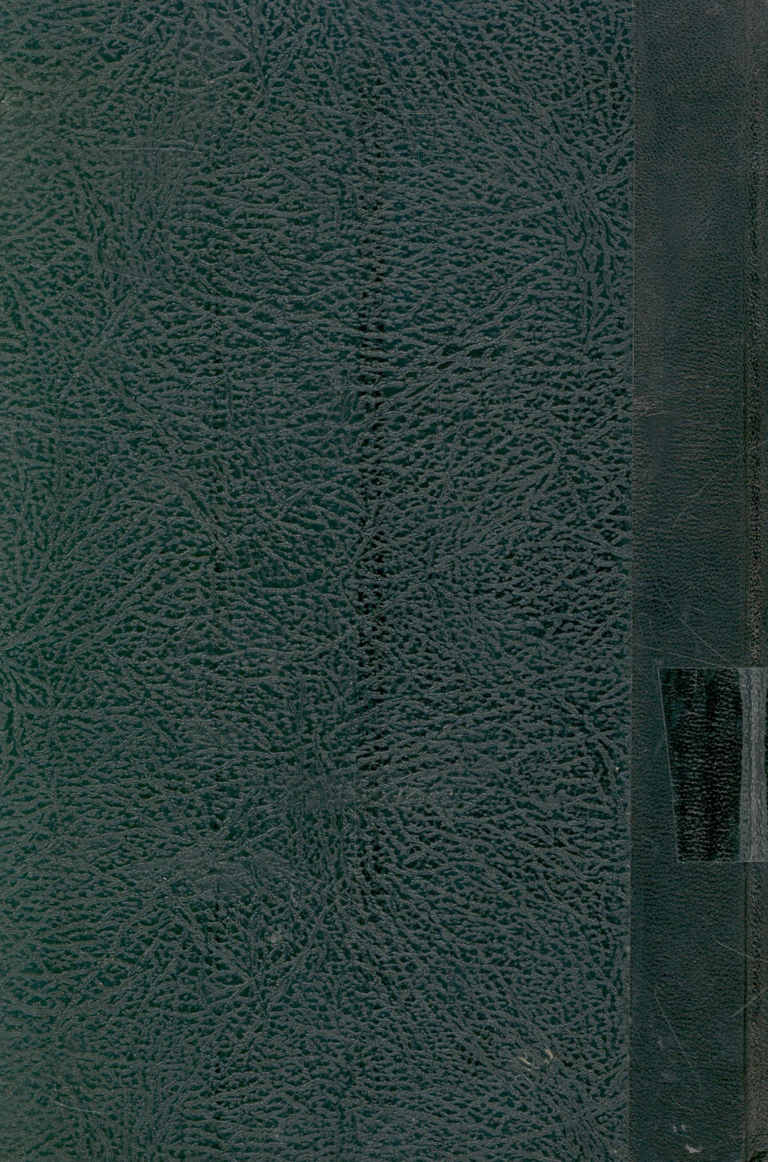


المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٨ ربيع آخر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

خطبة الدكتور اليوت سمث في مدرسة القصر العيني الطبية في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٥

ان مرور الكولونل هريسن بستة من الاقزام الذين اتى بهم من ولاية الكنجو ارى كثيرين منا لاول مرة اناساً من شعب قرأنا عنهُ في القصص وفي ما كان يحسب اخباراً موضوعة من عهد المصريين الاقدمين. ولقد اهتمَّ كثيرون بامر هؤلاء الاقزام حتى خطر لي ان اتلو على مسامعكم بعض ما وقفت عليهِ من امرهم بعد البحث في كتب الذين ذكروهم وبعد ما رأيتهُ بنفسي فيهم

هؤلاء الاقزام ستة اربعة رجال وامرأتان والبالغون منهم ثلاثة فقط رجلان وامرأة اي انهم بلغوا السن الذي تبلغ فيهِ العظام اشدها ولا تعود تطول. ومتوسط طولهم كلهم اقل من متوسط طول الاقزام عادةً على ما عُرف حتى الآن ولعلَّ سبب ذلك عدم بلوغ الفريق الاكبر منهم. ويعرف العمر من الاسنان ومن تعظُّم العظام والدليل الاخير اي تعظُّم العظام اصحُّ من الدليل الاول وقد صار الاستدلال بهِ ممكناً الآن بعد اكتشاف تصوير العظام باشعة رنتجن. وتمكنت بفضل الدكتور ملتن من تصوير عظام ايادي هؤلاء الاقزام واذرعهم صورها لي الدكتور خياط في مستشفى فكتوريا. ويظهر من هذه الصور ان النمو لم يتم تماماً الاَّ في اثنين فقط واصغر الباقين ولد لا يزيد عمرهُ على اثنتي عشرة سنة او احدى عشرة سنة قياساً على اولاد الاوربيين وطولهُ ١٫١٥٨ متر وثقلهُ ٤٩ رطلاً فقط ويليهِ شاب عمرهُ نحو سبع عشرة سنة وقد يكون اقل من ذلك سنة او سنتين ثم شاب آخر ليس اكبر منهُ كثيراً ولا يزيد عمرهُ على ثماني عشرة سنة واحدى المرأتين فتاة يُرجح لي ان عمرها اقل من عشرين سنة. ثم ان هذا التقدير مبني على القياس المعروف في اوربا بالنسبة الى عمر الاوربيين فاذا حسبناهُ بالنسبة الى عمر الاقزام وجب ان يكون عمرهم اقل من ذلك وعليهِ فلا غرابة اذا كان متوسط

طولهم وهو ١,٣٠٥ متر اقل من متوسط طول الاقزام الذين قاسهم السر هري جنستن بمتي وهو ١,٤٥٢ متر

لكن الرجل البالغ والمرأة البالغة من هؤلاء الاقزام الستة اقصر من اقصر الرجال وال الذين قاسهم السر هري جنستن فان طول هذا الرجل ١,٣٦٧ متر وطول المرأة ١,٢٨٦ م فهما قصيران جدًّا حتى بالنسبة الى الاقزام . ويؤيد ذلك ان احد رفاق الرجل اطول منهُ و لم يبلغ اشدهُ والمرأة الفتيَّة التي لم تبلغ عظامها حدها من النمو اطول من المرأة البالغة فان طولها ١,٣٣٤ متر . غير ان السر وليم فلوَر قاس بعض الاقزام فوجد انهم اقصر من هؤلاء ثم ان من يختار نفرًا من الاقزام ليأتي بهم الى اوربا لا يختار اطولهم بل اقصرهم كما لا يخفى . وقد ذكرت هذه الامور لكي نعلم كيف نبني حكمنا على شعب برمتهِ من النظر الى اشخاص قلائل اختاروا او اختيروا ليتغربوا عن اوطانهم

ولقد ظن البعض ان هذه اول مرة زار فيها الاقزام مصر او اوربا ولكن هذا الظن خطأ لان بعض ابناء جنسهم تقدموهم منذ عهد غير بعيد والمرجح ان كثيرين منهم وصلوا الى هذه البلدان في الازمان السالفة

فقد اكتشف الاستاذ شوينفرث اقزام اكًّا في بلاد منبتّو سنة ١٨٧٠ واخذ من ملكهم موزى ولدًا بدل كلب لكن هذا الولد مات في بربر وهو آتٍ بهِ الى مصر من اكلة معكرون في افرط فيها على ما اخبرني الاستاذ شوينفرث . ومما يجب ذكرهُ هنا ان الاستاذ شوينفرث لم يكن اول اوربي اكتشف اولئك الاقزام بل كشفهم اوربي آخر قبلهُ بقرنين فاعاد هو اكتشافهم

واول من ارسل الاقزام الى اوربا في ما اعلم هو مياني السائح الايطالي ولو قيل ان كثيرين اتوا بالاقزام قبلهُ فانهُ اقتفى خطوات شوينفرث الى بلاد منبتّو سنة ١٨٧٢ واتى منها بولدين لكي يجلبهما الى اوربا لكنهُ مات في اثناء الطريق وترك ما معهُ للجمعية الجغرافية الايطالية وفي جملتها القزمان فاتي بهما الى اوربا ولقيا فيها من المعاملة ما لقيهُ وسيلقاهُ هؤلاء الاقزام فقد كتب السر وليم فلوَر "انهُ لم يهتم العلماء بامر اثنين من الشعوب المتوحشة قدر ما اهتموا بهما فقاسوهما وصوَّروهما في القاهرة اولاً ثم في اوربا وكتبوا عنهما ما يملأُ مكتبة وكان بين العلماء الكاتبين السر رتشرد أُون في انكلترا وكورناليا ومنتغزا وجغليوني وزانتي في ايطاليا وبروكا وهامي وده كاترفاج في فرنسا" وقُدما الى الملك والملكة في ايطاليا وأُدخلا الى بيوت اعظم العظماء ثم جُعلا بين الغلمان في بيت الكونت منسكلشي في ڤرونا بعد ان عُلّما . ومات احدهما بالسل في ڤرونا سنة ١٨٨٣ ودفن هناك ولم تفحص رمتهُ فحصًا علميًّا ولا اعلم ماذا جرى لاخيهِ

واتى روملوجسي من رجال غوردون باشا بابنة من اقزام آكَّا الى اوربا وكانت لا تزال بخدمة مدام جسي حتى سنة ١٨٨٨ وهذا آخر ما امكنني ان اعرفهُ عنها

ولا يخفى ان بعض الاقزام يسكنون الآن على مقربة من منابع النيل. ومن رأي اكثر علماء الاثروبولوجيا الذين بحثوا في هذا الموضوع بالتدقيق ان الاقزام كانوا اكثر انتشارًا في الازمنة الغابرة منهم الآن ولذلك يُرجَّح ان سكان وادي النيل القدماء سمعوا عن الاقزام او رأوهم في سفرهم الى الجهات الجنوبية . ولكن اذا ثبت ذلك ثبوتًا ينفي كل ريب لا يلزم عنهُ ان يكون كل ما ذُكر في تاريخ مصر عن القصار القامة يراد بهِ جنس الاقزام هذا لانهُ يولد اناس قصار القامة بين كل الشعوب وهم من النوادر ولذلك يعتني بهم اعتناء خاصًّا ويؤْتى بهم الى قصور الملوك والعظماء . فقد يعرض للولد احيانًا ما يعوق نمو جسمهِ كلهِ او بعضهِ في اوائل عمرهِ فيبلغ اشدهُ يحترًا صغير الجسم او مشوَّه الخلقة بعض جسمهِ كبير وبعضهُ صغير . والاقزام الذين من هذا النوع هم المصوَّرون في الصور والتماثيل المصرية القديمة كالقزم خنمهتبو في دار التحف المصرية . ولقد اخبرني الاستاذ مسبرو انهُ يظهر لهُ من البحث المدقق في كل الكتابات المصرية التي قيل انها تشير الى الاقزام ان ليس منها ما يشير الى جنس الاقزام هذا بل هي تشير الى المسوخ الذين قزمهم توقّف في النمو او تشوُّه في الخلقة

ولعلَّ اقدم اشارة الى الاقزام وردت في رسالة للاستاذ شيابارلي وصف بها قبرًا من قبور المصريين سنة ١٨٩٣ ومفاد ذلك " ان الى الجنوب من القطر المصري بلاد فنط وكان المصريون الاقدمون يعتقدون ان كل ما وراءها بلاد لا تعرف الاَّ من القصص الخيالية وهي متوسطة بين العالم الذي يسكنهُ الناس والعالم الذي تسكنهُ الالهة او النفوس والاخيلة وهذه البلاد يسكنها الدنجا وهم اقزام متوحشون في وجوههم من الغرابة وفي حركاتهم من مخالفة المألوف ما ذكَّر المصريين بالاله بس " . وكان يؤْتى ببعضهم الى بلاد فنط او الى الاماميو (قرب وادي حلفا) إما اسرى حرب او بضاعة تجارة وكان جالبهم يغتني من جلبهم لان الفراعنة كانوا يغالون بالدنجا ويودون ان يكون عندهم منهم مهما بلغ ثمنهم لانهُ ليس امهر منهم في رقص الآلهة الرقص الذي كان الاله بس يرقصهُ في اويقات سرورهِ [1] فان رجلاً اسمهُ يورديدي اتى الملك اسي من ملوك الدولة الخامسة بقزم من هؤُلاء الاقزام اشتراهُ من بلاد فنط ولا يُعلم هل كان اول قزم دخل بلاط الفراعنة او تقدمهُ كثيرون قبلهُ . وقد ابدى

(١) ليقابل ذلك بما ذكرهُ السر هري جنستن عن بلاد اوغندا حيث وصف رقص اقزام البمبوت بما يشابه رقص الكهنة الذين يرقصون للاله بس

من الخفَّة والمهارة في الحركات والاشارات ما اذهل الناظرين وبقي ذكرهُ في البلاد الى مئة سنة بعد ذلك ". هذا ما قالهُ مسبرو في كتابهِ فجر العمران نقلاً عن شيابارلي وقال الاستاذ كين نقلاً عن شيابارلي ان رجلاً اسمهُ هروخُف ارسلهُ الملك ببي من الدولة السادسة بعد ايام الملك امي بنحو سبعين سنة لكي يأتيهُ بقزم من الاقزام حيًّا من بلاد الاشجار الكبيرة في اقصى الجنوب . ويعلم من كتابة احدث من ذلك وجدت في الكرنك ان الدنغ كانوا يردون من الجنوب ومعنى هذا الكلمة الاقزام كما يظهر من التفصيل التالي لا الرجال البحاتر المشوهون الذين قصرت قامتهم لتوقُّف نموهم (انظر كتاب ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ صفحة ١١٨)

قال الاستاذ مسبرو ان الكلمة المصرية تعني الرُّجَيْل اي الرجل المشوه الخلقة الذي تبقى قامتهُ قصيرة لتوقف نموهِ . ولكن الرجال المشوهين لايكونون شعبًا ولا يعتنى بامرهم حتى يبقى ذكر الواحد منهم محفوظًا في البلاد نحو مئة سنة . والمشوهون يوجدون في كل بلاد وبين كل الشعوب ولم يخلُ منهم القطر المصري ومن المحتمل ان الكلمة المصرية التي يراد بها الرجيل المشوَّه أُطلقت على الاقزام لقصر قامتهم والاَّ فلا تفسر الاشارة الى شعب من الاقزام . ولكن الاستاذ مسبرو ذكر اعتراضًا آخر وهو ان الزمن الذي كان يقضيهِ المصريون القدماء في الذهاب الى بلاد هؤلاء الاقزام لايكفي للوصول الى البلاد التي هم فيها الآن ولا يكفي الاَّ للوصول الى سواكن او ما يجاورها . فان كان الامر كذلك فبلاد الاقزام كانت تمتد شمالاً الى ابعد مما تمتد الآن والاَّ فلا معنى للخبر الذي قرأهُ شيابارلي .

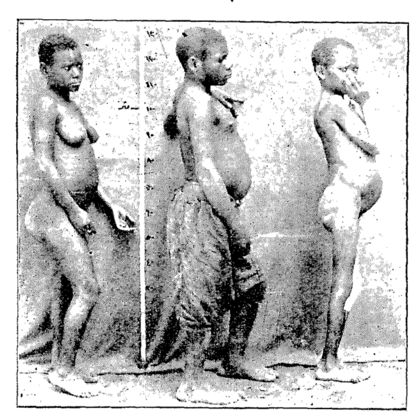
وذكر هيرودوتس المؤرخ بلاد الاقزام في خبر اوردهُ مفصلاً وقال انها على ضفتي نهر يجري من الغرب الى الشرق . وقد اخبرني المستر كريج رئيس جمعيتنا ان وصف هيرودوتس لايصدق الاَّ على نهر السَّبَت[1] فاذا كانت بلاد الاقزام ايام هيرودوتس ممتدة الى نهر السبت فلا يبعد ان تكون في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ممتدة الى اكثر من ذلك شمالاً حتى تصل اليها الحملة التي اشرت اليها سابقًا

ولم تنجلِ المسألة حتى الآن انجلاء تامًّا ولكن الادلة تدل كلها على ان الاقزام الحقيقيين وصلوا الى مصر في اول فجر التاريخ

وفي هيكل الملكة هتسو (حتشبست) في الدير البحري صورة تمثل هذه الحملة الى بلاد

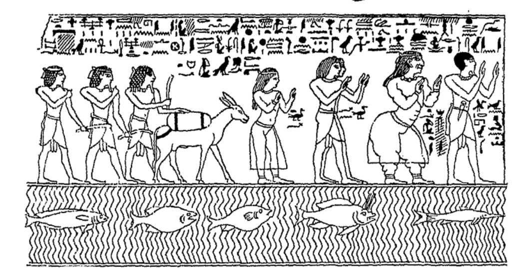
(١) [المقتطف] لعلَّ مرادهُ نهر النيل قبلما يصب فيهِ نهر السبت وهو المعروف ببحر العرب اما السبت نفسهُ فيجري من الشرق الى الغرب كما لايخفى

افزام افريقية



المرأة الكبرى شاب عمره ١٨ سنة فتاة عمرها ٢٠ سنة

انظر شرح ذلك في الصفحة ٥٠٦ من هذا الجزء



ملك فنط وزوجتهُ وابناه وابنتهُ وحمار محمل وثلاثة من الخدم

انظر الكلام على زوجتهِ وابنتهِ في الصفحة ٥٠٩ من هذا الجزء

[...]ب وفيها صورة ملكة فقط وهي قصيرة القامة عجزاء ربلاء رجراجة وقد بالغ النقاش في [...]ير ضخامتها ولكن بقي في صورتها ما يدل على انها ليست من البحاتر المشوهي الخلقة وعلى ان الاقزام الضخام العجز بلغوا بلاد مصر في تلك العصور السحيقة من الجهات الجنوبية

ومن رأي الاستاذ كولمن ان اقزام افريقية بلغوا سواحل بحر الروم في العصور الخالية وقطعوا الى اوربا ايضاً ولا تزال عظامهم في المدافن الباقية من العصر الظرري الحديث في سويسرا وجنوبي اوربا . ولكنني كثيراً ما وجدت في مدافن المصريين من كل العصور عظام اناس قصار القامة وهم من المصريين انفسهم كما تدل بقية الدلائل التشريحية وكثيرون منهم ليسوا اكبر جسماً من الاقزام الحقيقيين . واناس مثل هؤلاء يوجدون بين كل الشعوب ووجودهم لا يدل على وجود الاقزام الحقيقيين في العصورة الغابرة لا في اوربا ولا في مصر لان اوصافهم الطبيعية لا تنطبق على اوصاف اقزام افريقية

ولقد قرأ كل احد عن الاقزام الذين ذكرهم هوميروس وارسطوطاليس وهيرودوتس وكتسياس وابلينيوس وبمبونيوس ملا وغيرهم من الكتّاب اليونان والرومان . فان كنا في ريب من ان الكتّاب المصريين الاقدمين كانوا يعرفون الاقزام الحقيقيين فلا محل للريب في ما قاله اولئك الكتاب الاوربيون واذا كانت القصة التي رواها هوميروس عن البجع والاقزام خرافة فما اورده اراستثنيس الفيلسوف الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح لا يحتمل الريب . قالت لادي امهرست في كتابها "ملخص تاريخ مصر" ان البجع يقطع حتى يصل الى البحيرات التي بعد القطر المصري حيث منابع النيل وهناك يسكن الاقزام وليس في ذلك شيء من الخرافة بل هو الحق الصراح

واشار الكتّاب الاقدمون الى الحرب بين الاقزام والبجع وصوّر ذلك المصورون على الكؤوس اليونانية . وقد وصف السر وليم فلور صورة من هذه الصور على كاس في مجموعة هوب ترى صور الاقزام فيها قصار القامة كبار الرؤوس وجوههم كوجوه الزنوج وشعرهم مفلفل

وقال ارسطوان الاقزام يسكنون افريقية عند منابع النيل . وقال السر وليم فلور ان الخبر الذي ذكره هيرودوتس في تاريخه مفصل مدقق ويظهر انهُ صحيح تماماً حتى يستحق ان يذكر برمتهِ (وهنا ذكر الخطيب الخبر الذي نقلناه عن هيرودوتس في الجزء الخامس الصادر في غرة مايو الماضي فلا حاجة الى اعادتهِ . واعاد ما قالهُ اولاً وهو ان وصف النهر الذي ذكرهُ هيرودوتس ينطبق على وصف السبت ولا شبهة في انهُ اراد النيل حيث يصب نهر السبت لان نهر السبت يجري من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق ثم قال)

واول من ذكر الاقزام في العصور الحديثة رجل انكليزي اسمهُ اندرو بتل اقام [illegible] خط الاستواء ثماني عشرة سنة من ١٥٨٩ الى سنة ١٦٠٧ وقال في كتابهِ المطبوع سنة ١٦٢٥ " انهُ الى الشمال الشرقي من مانبي كسوك شعب قصير القامة يسمى ماتمبا لا يزيد طول الواحد منهم على طول ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة ولكنهم ضخام على قصرهم ويعيشون على لحم الحيوانات التي يصطادونها من الحراج بالقوس والنشاب"

والّف دبر كتاباً على بلاد الحبشة السفلى سنة ١٦٨٦ ذكر فيهِ شعباً من الاقزام سماهُ بكّا بكّا ولعلهُ شعب الاكّا الذي اعاد شويفورث اكتشافهُ بعد قرنين

ولم يُلتفت الى تلك الاخبار حينئذٍ ولا في القرن التالي بل عدّت من خرافات القصاصين وعُدَّ الاقزام المذكورون فيها من انواع القرود المشابهة للانسان ولكن من سنة ١٨٦١ فصاعداً صار السياح الضاربون في قلب افريقية يذكرون ما يتصل بهم من اخبار الاقزام . فذكر الدكتور توشار سنة ١٨٦١ والاميرال فلوريو ده لانجل سنة ١٨٦٨ ما اتصل بهما من ان شعباً من الاقزام آخذ في الانقراض ووصف ده شليو سنة ١٨٦٧ اقزاماً رآهم في بلاد اشنجو بين نهر الجابون ونهر الكنجو . ولكن الذي وجه الانظار اكثر من غيرهِ الى الاقزام هو ستانلي في ما كتبهُ عن سياحتهِ الى قرب منعطف الكنجو حيث سمع عن الاقزام في وطوى . ووصف الدكتور ولف اقزام وطوى فقال انهم اقل سواداً من الزنوج ولا يزيد طول الواحد منهم على ١,٤٠ متر ومتوسطهُ ١,٣٠ متر

ثم كتب السر وليم فلور رسالة مسهبة عن عظام قزمين ارسلها امين باشا الى دار التحف البريطانية سنة ١٨٨٧ ووصف السر هري جنستن الاقزام في ما كتبهُ عن بلاد اوغندا

وقد لخصت اكثر ما ذكرتهُ في هذه الخلاصة عما كتبهُ الاستاذ شوينفورث والسر وليم فلور وفيهِ اهم الامور التاريخية عن الاقزام ولو اردت ان اذكر اسماء كل المقالات التي كُتبت عنهم لما وسعني الوقت المعين لهذه الخطبة

ولا حاجة بي الى وصف البلدان التي يقطنها الاقزام وانما اقول انهم غير محصورين في اواسط افريقية بل توجد شعوب منهم في شبه جزيرة ملقا وجزائر فيلبين وجاوى وغينيا الجديدة- نسبتهم الى زنوج اسيا نسبة اقزام افريقية الى زنوجها . ويوجد ايضاً شعب من الاقزام في جزائر اندمان متوسط بين اقزام اسيا واقزام افريقية . وفدّا سيلان واقزام الهند من فريق واحد وليس فيهم المميزات التي تجعل سائر الاقزام من فريق آخر

وفي افريقية شعبان او ثلاثة من الاقزام الاول البشمن في الجنوب الغربي من افريقية

والثاني الهوتنتوت وهم مزيج من البشمن والزنوج الذين يتكلمون لغة البنتو . والثالث الاقزام الذين في افريقية الاستوائية وبلادهم تمتد من اوغندا الى الاوقيانيوس الاتلنتيكي في منطقة عرضها ثلاث درجات عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً وفيها الاقزام الذين منهم هؤلاء الستة ولعلهم اصغر الشعوب قداً

ولا حاجة بي الى التطويل في وصف هيآتهم لان صورهم الفوتوغرافية والمظهرة امامكم بالفانوس السحري تغني عن ذلك وانما اوجه التفاتكم الى بروز الفكين وشدة فطس الانف حتى صارت ارنبتاهُ مثلهُ حجماً في بعضهم وارتفاع الجبهة وبروزها وفلفلة الشعر وتفرقهُ حزماً حزماً. وهذه الاوصاف كلها موجودة في الزنوج ولكنها موجودة على اشدها في الاقزام فهم متطرفون في الزنجية وسوادهم ضارب الى السمرة فلونهم بني على نوعٍ ما ولذلك فهم اقل سواداً من كثيرين من الزنوج . ولكن يظهر من هؤلاء الستة ان لونهم يختلف. وارى ان الكتّاب بالغوا في الفرق بين لون الاقزام ولون سائر الزنوج لان لون كثيرين من الزنوج مثل لون هؤلاء الاقزام ولو كان دم الزنوج غير ممتزج بدم الحاميين او الساميين . ولولا قصر قامة الاقزام لعدوا من الزنوج . وقد تسرّع البعض في تشبيه البشمن الصفر الالوان بالاقزام . نعم ان الشعبين يتشابهان في امور كثيرة وبينهما وبين الزنوج قرابة وفيهما كليهما القامة قصيرة والانف افطس والجبهة بارزة والشعر مفلفل . ويتشابهان ايضاً بنية ولكنهما يختلفان على ما قالهُ بعض الكتّاب في ان نساء الهوتنتوت كبار الكفل وليس كذلك نساء الاقزام . وقد اختلف الكتّاب في هذا الموضوع فقال اكثرهم ان نساء الاقزام لا يكنَّ كبار الكفل وقال غيرهم انهنَّ قد يكنَّ كبارهُ. والفتاة من هاتين المرأتين كبيرة الكفل نوعاً كما ترون في الصورة. وبين البشمن والاقزام اختلاف واضح في اللون ولكن لون الاقزام ليس على درجة واحدة كما يظهر مما قالهُ السياح المختلفون . واذا صدّقنا ما قالهُ ده شليه عن لون اقزام اشيرا انهُ اسمر فاتح فلون الاقزام متدرّج من الاسمر الغامق وهو لون اكثر الاقزام الى الاصفر وهو لون البشمن . واذا تركنا اللون والقد والتفتنا الى شكل العينين والانف وجدنا فرقاً بيّناً بين البشمن والاقزام . ولا يسعني الوقت للاسهاب في هذا الموضوع الصعب ولكن يظهر مما لدينا من الحقائق ان البشمن والاقزام كليهما بقية شعب من الزنوج كان يقطن الجانب الاكبر من افريقية ثم طردهم الزنوج الكبار القامة فالتجأ البشمن منهم الى قفار الجنوب الغربي من افريقية والاقزام الى حراج الانحاء الاستوائية ويرجَّح ان العنصر الزنجي تقوّى في الاقزام بامتزاجهم بالقبائل التي حولهم فان واحداً من هؤلاء الرجال الاربعة وهو اكبرهم قداً اشبههم بالزنوج

واحدي المرأتين يختلف وجهها عن وجوه البقية و يشبه وجوه الاحباش حيث يكثر العنصر الحامي . ولذلك يرجَّح ان هؤُلاء الاقزام ليسوا من جنس صريح النسب بل من جنس امتزج بغيرهِ من الشعور المحيطة بهِ

والرأْي الشائع ان الاقزام اشبه بالقرود من اكثر الناس ولكن الادلة التي تؤَيد ذلك قليلة جدًّا . فان شفاههم تشبه شفاه القرود المشابهة للبشر ولا سيما حينما يشربون لان شفاههم تبرز حينئذٍ كما تبرز شفتا الشمبانزي وهو يشرب. وهي ليست ضخمة مقلوبة كشفاه الزنوج بل طويلة رقيقة

وآذان الاقزام صغيرة في الغالب وتشبه آذان الاوربيين شكلاً وشحمتها صغيرة في هؤُلاء الاقزام الستة ولا وجود لها في آذان القرود

وقد كتب كثيرون ان اجسام الاقزام مغطاة بالشعر ولكن ابدان هؤُلاء الاقزام الستة ليس عليها من الشعر اكثر مما يكون على ابدان الاوربيين عادة ولا يستثنى من ذلك الاَّ الولد فلعلَّ الشعر الذي على بدنهِ اكثر مما على ابدان الاوربيين عادة

وابهام اقدامهم ليس مفصولاً عن سائر الاصابع اكثر مما هو مفصول في الزنوج ولا هم اقدر على الامساك باصابع اقدامهم اكثر من الفلاحين او غيرهم من الذين يمشون حفاةً. ورؤُوسهم اقصر من رؤُوس الزنوج وصغيرة بالنسبة الى ابدانهم

ولم ينشر حتى الآن شيء عن تشريح ابدان الاقزام ولكن حدث منذ سنتين ان أُتي الى دار التشريح في مدرسة الطب هنا بجثتي زنجيتين صغيرتي القد جدًّا طول احداهما ١،٤٣٦ متر والاخرى اقصر منها ببضع مليمترات ولا يعلم اين وطنهما الاصلي وليس في جسميهما شيء من التشويه الذي يكون عادة في اجسام السودانيات وحجم اعضائهما وعظامهما وشكل رأسيهما ووجهيهما كل ذلك شبيه بما في الاقزام وفي بناء جسميهما ادلة كثيرة على انهما من جنس مُختلط مما يقل وجودهُ في اجسام الناس عادة فدماغاهما صغيران جدًّا الكبرى منهما وعمرها نحو ٤٠ سنة وزن دماغها ٨٥٠ جراماً والصغرى وعمرها ٢٢ سنة بلغ وزن دماغها ٩٢٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة المصرية ١١٨٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة الاوربية نحو ١٢٨٠ جراماً على ما اظن. ودماغ الغورلاَّ قد يزيد على ٥٠٠ جرام ودماغ الرجل المزعوم وجودهُ بين الانسان والحيوان يبلغ ثقلهُ ثقل دماغ الكبرى من هاتين المرأتين . ولا شبهة ان لثقل الدماغ شأناً كبيرًا ولكن لا يخفى انهُ اذا صغر الجسم صغر الدماغ معهُ ايضاً واذا استثنينا الثقل فلا شيءَ في دماغيهما يقربهما من ادمغة القرود

وخلاصة القول ان زنوج افريقية شعب متطرف في الزنجية ولكنهُ ليس اشبه من الزنوج بالقرود

طول العمر

هل يعمّر الناس في هذا العصر اكثر مما كانوا يعمرون في العصور الغابرة · هذه مسألة يتعذر بت الحكم فيها وانما نعلم ان متوسط عمر الانسان زاد بزيادة اسباب العمران ولا يزال آخذاً في الزيادة الى الآن

وقد ظهر بالاستقراء ان الحد الطبيعي لعمر الحيوان يساوي خمسة اضعاف المدة اللازمة لتمام نمو هيكلهِ او تعظيمهِ وهي في الانسان ٢١ سنة وعليهِ فان الحد الطبيعي لعمر الانسان ١٠٥ سنين فكل انسان يمكنهُ ان يعيش مئة سنة لو عرف كيف يعيش. قال الاستاذ متشنيكوف ان الانسان يجب ان يعيش ١٢٠ سنة . وحسب السر رتشرد اون حد عمر الانسان ١٠٣ سنين وعدة اشهر ولذلك فقد صدق من قال ان كل الذين يموتون دون الثمانين وكثيرين من الذين يموتون دون التسعين وبعض لذين يموتون دون المئة والمئة والخامسة انما يموتون قبل اوانهم حتى ان احد الكتاب الفرنسويين قال" ان الناس لايموتون حتف انوفهم بل ينتحرون"

ولقد كانت مسألة اطالة العمر شغل الانسان الشاغل فسعى سعياً متواصلاً ودأب ليل نهار في الاهتداء الى اكسير الحياة — شرابٍ اذا بلّ بهِ ريقهُ عاش مخلداً فكان تفتيشهُ عنهُ اعقم من تفتيشهِ عن حجر الفلاسفة وهو ذلك الحجر الموهوم الذي اذا مُسَّ التراب بهِ تحول تبراً او الحديد والرصاص غادرهما سبائك ذهب براقة . فقد ذُكر ان بونس دي ليون قضى عمرهُ يفتش عن" ينبوع الشبيبة " فوجد حتفهُ قبل ان يجدهُ . وان روجر باكون استحضر اكسيراً مركباً من الذهب والمرجان ولحم الافاعي والصبر وحصى اللبني وغيرها من المواد والعقاقير المختلفة الانواع اذا شربهُ الانسان عاش مدى الزمان. وقد قال بعضهم في وصف هذا المركب الغريب انهُ اذا شربهُ الانسان فأولى بهِ ان يوردهُ الموت الزؤام لا ان يطيل عمرهُ الى آخر الايام

وكان اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور يعتقد فائدة الافيون وملح البارود . وقال اشمول الانكليزي مؤسس المتحف الاشمولي في اكسفورد " انني كنت اشرب جرعة من الاكسير واعلق ثلاث عناكب حول عنقي " فعل ذلك لاطالة عمرهِ فلم يزد عمرهُ على ٧٥ سنة ولكنهُ كان يعتقد ان الوصفة المذكورة كانت تخفف اوصابهُ وتزيل آلامهُ · وعاش كونت مونتالوزيه عمراً طويلاً وكان يسكن قصراً جعل جناحيهِ زريبتين للبقر تسع الواحدة ٣٠

بقرة فكان نفس هذه البهائم يملأُ القصر على سعتهِ وفخامتهِ "ويطيبهُ برائحتهِ العطرية ويحسن صحة ساكنيهِ" على ما كان الكونت يقول

ومن الاوهام القديمة ان مساكنة الصغار سنًّا تفعل بالكبار فعل السحر ولا سيما اذا استنشق الكبار على الدوام نَفَس الصغار فان ذلك ينعش قواهم ويبعث النشاط في عزائمهم الخائرة واعظم منهُ عائدة ادخال دم الصغار الى عروق الشيوخ

ويحكى ان القديس انطونيوس بلغ المئة والخامسة من العمر وكان يسكن كهفاً في الجبال ويقتات بالخبز المبلول بالماء ولم يبدل لباسهُ ليلاً ولا نهارًا ولم يغتسل الاَّ مكرهاً ولم يتزوج . ويحكى عن رجل فرنسوي اسمهُ شفرول انهُ عاش اكثر من قرن في باريس فتمرس بأسمى ضروب الحضارة والرفاه فيها وكان شديد التأنق في مأكلهِ يتألف طعامهُ صباحاً من بيضتين وقطعة من لحم الدجاج ورطل من اللبن والقهوة . وغداؤهُ من شوربة التبيوكا والجبن والكستلاته والعنب . وكان يشرب على الغداء ثلاث زجاجات ماء ولم يأكل قط سمكاً ولا شرب خمرًا . الاَّ ان رجلاً انكليزيًّا عاش ١١٦ سنة وكان شديد الولع بالعرق يكثر شربهُ ولم يشرب الماء

والذي ينظر في اوصاف المعمرين وعاداتهم المختلفة التي لا ضابط لها يحار في ذلك ولا يهتدي الى حقيقة . فمنهم من قضي السنين الطوال يشرب اللبن دون غيرهِ . ومنهم من افرط في شرب المشروبات الكحولية . وعاشت امرأة ١١٦ سنة وكان معظم طعامها الزبدة والخضر . واخرى عاشت ١١٠ سنين قضت ٣٠ سنة منها لا تكاد تأكل فيها سوى البطاطس وبلغ رجل سنَّ المئة والخمسين وكان مولعاً بأكل بيض الدجاج الجديد

هذا من حيث الطعام واما من حيث الزواج وعلاقتهُ بطول العمر فقد ثبت ان معظم المعمرين كانوا متزوجين . وكثيرين منهم تزوجوا مرارًا ومنهم من تزوج بعد المئة مرتين وثلاثاً

وغالب المعمرين قصار القامة وممن شذَّ عن هذه القاعدة السر مومي مونتفيوري فانهُ جاز المئة وكان طولهُ ست اقدام وثلاث عقد

ومهما يكن من التناقض في اوصاف المعمرين وعاداتهم فالثابت ان الاعتدال في الاكل والشرب والاقلال من المشروبات الكحولية ما امكن خير قاعدة يعوَّل عليها في هذا الباب . قال تشارلس دكنس مؤلف الروايات الشهير عند الانكليز " ان الزمان لا ينتظر احداً ولا يتئد لمخلوق في مسيرهِ الاَّ الذين أُحسنوا مقابلتهُ ومعاملتهُ " . ومن راي الاستاذ متشنيكوف ان شرب اللبن المختمر (الرائب) يوميًّا خير الوسائل لاطالة العمر . ورايهُ هذا

مبنيٌّ على المذهب القائل بوجود مكروبات نافعة لا ضارَّةٍ فقط فاذا عُززت المكروبات النافعة التي في الدم صدَّت جيوش المكروبات الضارة التي تشنُّ الغارات على الجسم وتفتك بهِ

ومثل وصفة متشنيكوف وصفة الدكتور برون سيكارد الذي عاش ٧٦ سنة وجرَّب في نفسهِ تجارب كثيرة بعد ان كان خائر القوى واهن الجسم وكان يعتقد انهُ يمكن اطالة العمر بحقن الجسم من مركَّب مخصوص ولكن العلم لا يعوّل على رايهِ

على ان احكم الحكماء الذين غالبوا الموت فغلبوهُ بعض الغلبة لويجي كورنارو الايطالي وقاعدتهُ هي ان كلَّ انسان يجب ان يكون طبيب نفسهِ وقد جرى كثيرون على هذه القاعدة فنجحوا منهم رجل من كبار الاميركيين عمَّر وشهد بفضلها فقال " لقد استفدت من وصفة كورنارو كثيراً واني مقتنع ان كل من يجري عليها يعيش طويلاً ويقضي العمر سعيداً . نعم ان الكتب ملأى بما اكتشفهُ رجال العلم من الاكتشافات المختلفة لاطالة العمر وهناء المعيشة ولكن السرَّ الذي باح لنا كورنارو بهِ ابسط الاسرار واسهلها "

ومما يزيد قاعدة كورنارو قيمة انهُ عمل بما علَّم بهِ فعاش ١٠٣ سنين وكان قد قضى ايام الشباب باللهو والقصف والخلاعة والافراط في الأكل والشرب حتى اذا بلغ الخامسة والثلاثين بات جلداً منشوراً على عظام بينهُ وبين الموت خطوة ولكنهُ جمع جيش عزيمتهِ وجعل يداوي نفسهُ بنفسهِ ففاز وكان فوزهُ مبيناً بدليل انهُ كتب آخر مقالة عن حسن المعيشة وهو ابن خمس وتسعين سنة

واهمُّ ما شدَّد الوصية بهِ الاعتدال فقد وجد بعد تجارب كثيرة انهُ يكفيهِ كلَّ يوم اكل ١٢ اوقية من الطعام الجامد وشرب ١٤ اوقية من السائل فلم يكن يأكل درهماً واحداً يزيد عليها ووضع القاعدة الآتية بهذا الصدد وهي " من اراد ان يأكل كثيراً فليأكل قليلاً "

ولم يقصر وصيتهُ على الاكل بل اوصى بالمحافظة على المبادىء الصحية الاخرى فقال " اني اجتنبت الامور المضرة كالبرد والحرّ الشديدين والتعب الكثير والسهر الطويل والهواء الفاسد . فانهُ وان تكن قوة الصحة تتوقف في الاكثر على نسبة الطعام والشراب الا ان الامور المذكورة تؤثر تأثيرها . وكنت أنبذ الحقد والسوداء وغيرها من العواطف النفسانية التي تقلق العقل وتتسلط على الجسم . ولكني لم استطع تجنبها على الدوام بل كانت تنتابني من آن الى آن فأفادتني وتعلمت منها الحكمة الآتية وهي ان العواطف النفسانية قلما تؤثر في الجسم الذي انتظمت وظائفهُ بالطعام المعتدل . وعليهِ اقول ان الذين يتناولون كميات متناسبة من الطعام والشراب قلما يضرُّهم الافراط في الملذات الاخرى "

هذا وان قواعد العلم الحديث كلّها تؤيد ما قالهُ كورنارو من وجوب الاعتدال ونبذ الهموم والغموم · فان الذي يروم ان يعيش مئة عام يجب ان لا يبالغ في الاهتمام بمستقبلهِ وبمشاغل هذه الحياة وشؤونها لان الافراط في الاهتمام مثل التفريط فيهِ — كلاهما قاتل لصاحبهِ وخير الامور الوسط

ومن اشهر اتباع كورنارو هوراس فلتشر الاميركي فانهُ قام ينادي بوجوب انبساط النفس وانشراح الصدر لاطالة الحياة · وكان لم يبلغ الخامسة والاربعين من عمرهِ حتى وجد نفسهُ مصاباً بثلاثة ادواء عضالة ولم تقبل شركة من شركات التأمين على الحياة ان تنظمهُ في سلك مشتركيها · فعمد الى المداواة بالاكل والشرب وجعل يأكل ويشرب اقلّ مما يظنهُ الانسان كافياً لقوامهِ عادة حتى شفي وصار يستطيع ركوب الدراجة مسافة مئتي ميل في اليوم بعد ان شرع في معالجة نفسهِ بخمس سنوات · واضاف قانوناً آخر مهمًّا الى قوانين اطالة العمر وهو " امضغ طعامك سواء كان جامدًا او سائلاً كاللبن والشاي والقهوة والخمر والشوربة وسائر ما لهُ طعم " ويريد بالمضغ هنا اللوك وادارة ما في الفم باللسان حتى يزول طعمهُ ويُبلع في آنٍ معاً · وفلسفة ذلك ان اللعاب يمتزج بالطعام في الفم ويساعد على هضمهِ · وفلتشر هذا لا يزال حيًّا يرزق ولا يزال امامهُ مراحل كثيرة قبل مرحلة المئة ولكنهُ شديد الأمل ببلوغها سالماً معافًى

وخلاصة القول ليجتنب الانسان الافراط في كلّ شيء وليراعِ العادات القديمة وليقتبس عادات جديدة حسنة وليتنفس الهواء النقيّ وليكن طعامهُ ومزاجهُ متلائمين وليجتنب الادوية ما امكن اجتنابها وليكن قانعاً مسرورًا مطمئن البال — يعش مئة عام وهو لا يملُّ من الثواء اذا لم تفاجئهُ طارئة تصرم حبل اجلهِ قبل الاوان

ومما يذكر في هذا الصدد ان " المجلة الكبرى " الانكليزية بعثت تسأل جماعة من مشاهير المعمرين عن سرّ طول اعمارهم فجاءتها اجوبة من البعض ومعظمهم من غير المدخنين وقد نشرناها في عددٍ ماضٍ · ثم جاءتها مقالة بقلم كاتب قضى زماناً طويلاً يجمع الاحصاءات في هذا الموضوع وهاك ملخصها قال

ممَّا يحسن الانتباه لهُ ان قسماً كبيرًا من المعمّرين الذين أُحصوا الى الآن انما هم من النساء ومعظمهنّ من اللواتي تشبثن بعادة التدخين كلّ التشبث · واغرب من ذلك انهُ يتبين من الاحصاء الذي عندي ان مئة رجل ورجلاً من المعمرين الذين ماتوا وذكروا فيهِ كانوا من الذين تشبثوا بعادة التدخين ولم يطلقها منهم الاَّ منيتهم

اما النساء فمنهنَّ امرأَة اسمها سارة ثوماس لقيها الملك ادورد ذات يوم وكان وليَّ العهد حينئذٍ وكانت هي في المئة والسابعة من عمرها فأُعجب بها واعطاها شلينًا عن كل عام. وقد اعترفت انها كانت مولعة بشرب الدخان. ومنهنَّ امرأَة من المكسيك اعتادت التدخين منذ كانت بنت عشر سنين فجاوزت المئة وكانت تقول انها اذا لم تدخن هاجت اعصابها وكثر قلقها. واخرى كانت تدخن مرة كل ساعتين وهي في المئة والسادسة من عمرها

ومعظم المعمرين والمعمرات من الفقراء الذين يعملون في الخلاء ويعيشون عيشة الزهد والبساطة وخصوصًا في طعامهم وشرابهم. ومن العلماء من يقول انهُ اذا عُني المرء باختيار طعامهِ امكنهُ ان يعيش ثلاث مئة سنة. وحجتهم في ذلك ان الشيخوخة نتيجة جفاف العظام وكلُّ من يروم التعمير يجب عليهِ ان يمتنع عن اكل الاطعمة التي تجفّف العظام. قال احد اطباء الانكليز ان سبب الشيخوخة رسوب موادّ ترابية في الجسم اخصُّها كربونات الجير وفصفاتهُ وامتزاجها بالمواد الاخرى. ففي زمن الشباب تخرج هذه المواد من المعدة وتدخل الدم ثم يفرزها الجسم الى الخارج واما في الشيخوخة فيمتصها الجسم وتصير جزءًا منهُ. وأَثبت دشامبر الفرنسوي احد مشاهير علماء التشريح ان الموت نتيجة جفاف العظام فان جمجمة الطفل لينة وعظام الشيخ سريعة الانقصاف ولا تلتحم اذا انقصفت. وقدّر ان تصلّب العظام في الاحوال الطبيعية لا يبلغ الحدّ الذي يحدث الموت عندهُ حتى بين التسعين والمئة. ووصف الطبيب الانكليزي المشار اليهِ آنفًا امورًا شتَّى لمقاومة جفاف العظام او تصلبها فأشار بأكل الاثمار لقلة ما فيها من النتروجين واكل السمك ولحم الضان والعجل والدجاج دون غيرها لكثرة الحامض الفصفوريك فيها وشرب ثلاث زجاجات كلَّ يوم من الماء المقطر وفي كل زجاجة عشر نقط الى خمس عشرة نقطة من الحامض الفصفوريك وان يقطّر الماء الذي يشربهُ الشيوخ لان في الماء موادّ تعجل تصلّب العظام

وقد أَبان بعضهم ان متوسط عمر الانسان زاد عمَّا كان عليهِ فيما مضى ولا يزال على ازدياد. ففي القرن السابع عشر كان متوسط العمر ١٣ سنة فزاد فى القرن الثامن عشر حتى صار ٢٠ سنة وكان الناس يعدون ابن ٥٠ سنة فيهِ شيخًا همًّا. اما في ايامنا فان متوسط العمر بلغ في البلاد الانكليزية ٣٦ سنة. وقد ظهر من بعض الاحصاءات فيها ان ١٠٠ نفس من كلّ الف نفس يبلغون سنّ الخامسة والسبعين و ٣٨ سنّ الخامسة والثمانين و ٢ سنة الخامسة والتسعين. وان رجلاً واحدًا من كلّ ٤٠٠٠ يبلغ المئة وان قلة وفيات الاطفال هي السبب الاعظم في زيادة متوسط الاعمار

هذا وقد ظهر طبيب الماني حديثاً والقى خطبة على كلية الطب الامبراطورية في برلين قال فيها انهُ اذا فحصت اعضاء الجسم فحصاً دقيقاً باشعة اكس (اشعة رنتجن) أمكن تعيين العمر على وجه التقريب وبعبارة اخرى ان بين طول العمر وحجم الاعضاء المختلفة علاقة كبيرة فكلما كان القلب والرئتان والجهاز الهضمي والدماغ كاملة في تركيبها كان عمر صاحبها اطول وبالقياس الدقيق يعرف متى يحين اجلهُ . الاَّ ان هناك شواذ كثيرة لهذه القاعدة منها ان رجلاً عاش ١١٥ سنة وكان محيط صدره ٥٧ سنتمترًا على حين ان محيط صدر الرجل العادي ١٠٠ سنتمتر او نحو ذلك . وكانت احدى رئتيهِ مريضة وتزوج خمس مرات ورزق ٤٩ ولدًا ونبتت اسنانهُ ثانيةً وهو ابن مئة واخذ شعرهُ يسودُّ وهو ابن ١١٠ . فمن من الاطباء والحالة هذه كان يقدّر لهُ هذا العمر الطويل

القطران وما يستخرج منهُ

من نواميس الكون العامة عدم التلاشي اي ان الاجسام المادية لا تتلاشى ولا تضمحلّ بل تتحول من صورة الى اخرى فنقطة الماء التي يمطرها السحاب على اديم الصحراء تغور في الارض ويزول اثرها وتتلاشى ظاهرًا ولكنها في الحقيقة تتحوّل بخارًا يتصاعد الى الجوّ حيث يتكاثف سحابًا والسحاب ينعقد نقط ماء بينها النقطة التي نحن بصددها. وجرزة العشب التي يلتقمها الثور في مرعاهُ يمضغها وتهضمها معدتهُ وتمتصها امعاؤهُ ويتمثل جسمهُ بعضها ويقذف بالبعض الآخر الى الخارج فتتلاشى ظاهرًا وتتحول في الحقيقة من حال الى حال وما يفرزهُ الثور منها في مرعاهُ تتغذى بهِ جرزة اخرى فكأن الجرزة الاولى انتجت جرزة ثانية من نوعها فلم تتلاشَ ولم تضمحل . وما يبقى في جسمهِ منها يصير بعضهُ لحمًا وبعضهُ غازات تخرج من جسمهِ وتعود كلها اخيرًا الى الارض التي أُخذت منها. والسيجارة التي تدخنها تأكلها النار فلا يبقى منها غير الرماد والرماد يتطاير كالهباء المنثور فلا يثبت لهُ اثر حتى تظنها اضمحلت ولكنَّ علماء الكيمياء يقولون لك انها لم تتلاشَ بالاحتراق بل انحلَّت الى عناصرها المختلفة وبقيت في هذه الارض ولم يتلاشَ منها شيءٌ ويؤيدون قولهم هذا بوزن عناصرها التي انحلت اليها باحتراقها فيروك انها مثل السيجارة قبل تدخينها ثقلاً بل زادت بما امتزج بها من عناصر الهواء

فكأن عناصر هذا الكون وموادَّهُ المتنوعة في دوران مستمرّ تنتقل فيهِ من طور الى طور وتتبدَّل من شكل الى شكل — تحيا فتموت ثم تبعث حية وهلمَّ جرًّا ويسخّر الانسان بعضها في

ادوارها المختلفة لقضاء حاجاتهِ المختلفة ولا يبعد ان يجيء يوم نتمكن فيهِ من استخدامها جميعها في تلك الادوار لقضاء هذه الحاجة او تلك فلا يتلف شيء ولا يضيع شيء سدًى . فقد اهتدى على مرّ الزمن الى فائدة الزبل والرماد والخرق البالية وما اشبه من المواد التي كانت تحسب في بدء امرها نفايات مضى زمن نفعها وباتت لا نفع منها فاستخدم الزبل لتسميد ارضهِ والرماد لاستخراج الصودا والبوتاس وللزراعة ايضاً والخرق لعمل الورق

وكلّ يوم نسمع خبر اكتشاف جديد من هذا القبيل ومن اهم هذه الاكتشافات استخدام قطران الفحم الحجري وهو ما يتبقى من الفحم الحجري بعد ما يستخرج الغاز منهُ . فقد كانت شركات الغاز تحار في امرهِ ولا تهتدي الى فائدتهِ فتستأجر العمال لنقلهِ من ارضها وطرحهِ خارجاً . اما الآن فانهم يستخرجون منهُ كثيرًا من العقاقير الطبية والاصباغ والحوامض والزيوت والعطور وغيرها مما لا يستغني الناس عنهُ في شؤونهم اليومية ومعايشهم

والسبب في كثرة هذه المستخرجات كثرة المواد التي يتألف القطران منها فانها تزيد على المئة عدًّا . ومعظمها مركبات كربونية واكثر مواد هذا الكون الآلية مركبات كربونية اي نتيجة اتحاد الكربون بالهيدروجين او الاكسجين او النتروجين على نسب مختلفة وتراتيب متنوعة . فاجسامنا مركبات كربونية وكذلك طعامنا وشرابنا ولباسنا وكلّ ما فيهِ حياة او قابلٌ للحياة مركّبٌ من مركبات الكربون

اما ما يستخرج من الفحم الحجري عند تقطيرهِ الاول فاربع موادّ مختلفة وهي غاز وسائلٌ وقطران ونفاية تستعمل وقودًا وهي الكوك المعروف . ويستخرج من السائل الامونيا ومركبات الامونيا من كبريتات وكلوريد وكربونات . واهم هذه النفايات القطران وهو اذا ترك على حالهِ يستعمل طلاء للورق واللباد لسقف المنازل وتبطينها بهما . واذا مزج بمثل ثقلهِ من الجير الراوي او سمنت بورتلند فمن ذلك طلاءٌ (فرنيش) يطلى بهِ الخشب فلا ينفذهُ الحامض ولا الماءُ . اغلِ الحجر فيهِ فلا يعود الازميل يخدشهُ ويمكن عمل حبر الطباعة منهُ ولهُ دخل عظيم في صناعة احذية الكاوتشوك

واذا قطّر القطران على نار خفيفة خرجت منهُ الزيوت التي هي اخفّ من الماء مثل التولوين والبنزين واشباههما والزيوت التي هي اثقل من الماء مثل النفتالين والانتراسين . والبنزين المذكور هنا غير البنزين المعروف الذي تنظف الملابس بهِ فان هذا يقطّر من زيت البترول

وتصنع من النفتالين كرات صغيرة توضع بين الملابس لطرد العثّ منها . والحامض

الكربوليك يستخرج من الزيوت الثقيلة التي تقطَّر من القطران ولا يخفى انهُ من احسن مضادات الفساد واشهرها

واذا أُضفت الى البنزين الذي نحن بصدده شيئاً من الحامض النتريك خرج منهُ زيت المر الصناعي وهو زيت رائحتهُ كرائحة زيت اللوز المر يطيَّب الصابون بهِ ويضاف الى دهان الاحذية والى اشياء اخرى كثيرة اخفاء لماهيتها برائحتهِ

واستخرج بعض علماء الالمان من زيت المر منذ نحو سبعين سنة مادة تشبه النيل في جوهرها سميت انيلين من أنيل وهو محرَّف اسم النيل بالعربية . ولكن هذا الاستنباط لم يُفد شيئاً حتى قام رجل انكليزي اسمهُ بركن سنة ١٨٥٦ وحاول عمل الكينا الصناعية من الانيلين علماً منهُ ان بين الكينا والانيلين قرابة ليست ببعيدة فلم يُفلح في ذلك ولكنهُ اكتشف مادة اخرى غير التي كان يفتش عنها . والقصة التي يروونها في هذا الصدد لطيفة وهي ان بركن قضى ذات يوم يقلّب ويجرّب ويعدُّ ويحسب فلم يهتدِ الى شيء فتناول نفاية تجاربهِ وصبها كلها في اناء واسع ووضعهُ في شباك غرفتهِ ثم ألقى بنفسهِ على كرسيهِ كاسف البال لإخفاق تجاربهِ . وحانت منهُ التفاتة الى الاناء بعد ذلك فرأى مادة ارجوانية اللون تبصُّ فيهِ كأنها جوهرة وكان هذا بدء اختراع الانيلين . ولكن القصة غير صحيحة من حيث ظهور المادة الارجوانية والحقيقة انهُ اخذ الراسب واستخرج المادة المطلوبة بعد عناء كثير

ووُجد فيما بعد ان جوهر الانيلين الذي يستخرج من قطران الفحم الحجري يمكن ان يصير احمر اللون او بنفسجياً او ارجوانياً . وفي سنة ١٨٦٨ شرع بعض كيماويي الالمان يجربون التجارب لاستخراج جوهر الصبغ الذي في نبات الفوة ففازوا بمرادهم وكان نبات الفوة يزرع بكثرة في بلدان اوربا الجنوبية حتى بلغ ثمن ما بيع منهُ في السنة السابقة للاكتشاف المذكور نحو مليون وربع من الجنيهات فهبط سنة ١٨٩٢ الى ٦ آلاف جنيه وانقرضت بذلك زراعة الفوة

هذا ولما كان انيلين النيل وانيلين قطران الفحم الحجري واحداً في جوهرهما وكان الثاني ارخص من الاول اخذ يحلُّ محلَّهُ ولولا عناية الحكومة الانكليزية بنبات النيل وخوفها ان يخرب بيوت ملايين من فلاحي الهنود اذا بارت سوقهُ وأُبطل زرعهُ لأصابهُ ما اصاب الفوة قبلهُ

ومن المواد النافعة المستخرجة من القطران الانتيبارين والفناسيتين اللذان يوصفان للصداع والسلفونال او التريونال او الهبنون وغيرها من العقاقير المتنوعة التي تُتناول لعلاج الارق والحامض السليسيليك الذي يوصف للروماتزم وغيرهِ

ومن الزيوت الخفيفة المستقطرة من القطران التولوين يستخرج منهُ مسحوق حلاوتهُ ثلاث مئة ضعف السكر يسمى السكارين وهو يفضل السكر العادي من وجوه كثيرة فان السكر العادي كثيرًا ما يحدث مغصاً في الاطفال الذين يرضعون من الرضاعة وغيرهم ممن يشرب القهوة المحلاة بالسكر لاختماره في معدهم فاذا حلي اللبن والقهوة وغيرهما بالسكارين لم يحدث شيء من ذلك لان السكارين لا يحمض ولا يختمر كالسكر . والمعرضون لمرض البول السكري يعتمدون عليهِ في تحلية طعامهم

ويستخرج من القطران انواع كثيرة من المعطور كالمسك الصناعي وثمن الرطل منهُ نحو ٥٠ جنيهاً وعطر الخزام والفانلا وما اشبه

وخلاصة القول ان هذه المادة السوداء اللزجة اكثر مواد الكون اختلاطاً في تركيبها وتعدداً في عناصرها واجسامنا وجميع ما يتعلق بها من مأكل وملبس مشابهة للقطران ومشتقاته

تاريخ محمد علي باشا

حال القطر قبل توليته

وعدنا في الجزء الماضي ان نبسط الكلام على حال القطر المصري قبلما تولاهُ محمد علي باشا وفي مدة ولايتهِ وبعدها اظهارًا لما لهُ فيهِ من المآثر وانجازًا لذلك نقول

انتهى احتلال الفرنسويين للقطر المصري بعد ان اقاموا فيهِ نحو ثلاث سنوات فقد وصلت طلائع جيشهم الى الاسكندرية في اول يوليو سنة ١٧٩٨ واقلعوا منها في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ وكانت تلك السنوات الثلاث سنوات حروب وثورات ومع ذلك استتبَّ لعلمائهم ان يبحثوا في جغرافية البلاد وآثارها وزراعتها وصناعتها ويؤلفوا في ذلك من الكتب ما لم يؤلَّف مثلهُ لا قبلهُ ولا بعدهُ واستتبَّ لجنودهم ان يضعفوا شوكة المماليك حتى صار اذلالهم امرًا ميسورًا ولرجال الادارة منهم ان ينظموا حال البلاد ويجروا فيها من العدل ما كان اجراؤُهُ ممكناً مع شدَّة التحريض عليهم من كل جهة

قال الجبرتي عند ذكرهِ محاكمة الذي قتل الجنرال كلابر انهُ ذكرها على ركاكة لغتها لانها "تتضمَّن خبر المرافعة وكيفية المحاكمة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكّمون العقل ولا يدينون بدين وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل افاقي اهوج وغدرهُ وقبضوا عليهِ وقرروهُ ولم يعجلوا بقتلهِ وقتل مَن اخبر عنهم بمجرَّد الاقرار

بعد ان عثروا عليهِ ووجدوا معهُ آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم واميرهم بل رتبوا محكمة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليهِ السؤال والاستفهام مرةً بالقول ومرة بالعقوبة ثم احضروا مَن اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكم فيهم بما اقتضاهُ التحكيم واطلقوا مصطفى افندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمهُ حكم ولم يتوجه عليهِ قصاص كما يفهم جميع ذلك من المسطور بخلاف ما رأيناهُ بعد ذلك من افعال اوباش العساكر الذين يدَّعون الاسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الانفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرَّد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضهُ بعدُ"

وقال بعيد ذلك واصفًا الديوان الذي رتبهُ الجنرال منو لادارة الاحكام" وفيهِ (اي في جمادى الثانية سنة ١٢١٥) شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الاول من تسعة معممين لا غير وليس فيهم قبطي ولا وجاقلي ولا شامي وليس فيهِ خصوصي ولا عمومي بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء وهم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتب السر والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبهُ والشيخ موسى السرسي والشيخ خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسيب ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم افندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس فخر الشامي والوكيل فوريه ويقال لهُ مدير سياسة الاحكام الشرعية . وعينوا عشر جلسات في كل شهر واعدوا للمترجمين والكتبة الفرنسوية مكانًا خاصًا يجلسون فيهِ في غير وقت الديوان لترجمة اوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا ايضًا بجانبها دارًا نفذوها اليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر واخذوا يرتبون انفارًا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون فيها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كلهِ فوريه ... ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة اربعة عشر الف فضة في كل شهر وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء"

وكان الساري عسكر وهو الجنرال منو قد اعتنق الاسلام ويظهر مما كان يخاطب بهِ اهل مصر انهُ كان يبذل اقصى الجهد لجعلهم يحبون النظام وينظمون احوال البلاد من كل وجه وقد احصى المواليد والوافيات والزيجات وضبط الاملاك "حتى يتسر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ". وهذه الفقرة منقولة عن كتاب طويل كتب بهِ الى مشايخ الديوان ردًا على تهنئتهم لهُ بمولود رُزق بهِ من زوجتهِ ابنة الرشيدي

وقد استهله بالبسملة والشهادة فقال "بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاّ الله محمد رسول الله من عبد الله جاك منو ساري عسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنسوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى حضرة المشايخ والعلماء اهالي الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ادام الله فضائلهم " وختمهُ بقوله " اننا نشكر فضلكم على ما اظهرتم لنا تهنئةً بولادة ولدي السيد سليمان مراد جاك منو فنطلب من الله سبحانهُ وتعالى واسألهُ كذلك بجاهِ رسولهِ سيد المرسلين ان يجود عليَّ بهِ زماناً مديداً وان يكون للعدل محبًا وللاستقامة والحق مكرماً وفي وعدهِ صادقًا وان لا يكون من اهل الطمع "

وسواء كان الجنرال منو مخلصاً في اسلامهِ او غير مخلص وسواء عبّر هذا الكتاب عمّا يخالج ضميرهُ حقيقةً او عما يخالج ضمير كاتبهِ لهُ فلا شبهة في ان تكرير النصح والارشاد على الصورة التي فيهِ يؤثر في النفوس الاّ اذا كانت خالية من جراثيم الفضائل . ولم يكن الجبرتي متشيعاً للفرنسويين ولا مغضياً عن زلاّتهم بل ذكرها واسهب فيها فخطأ هدمهم لكثير من المنازل لكي يبنوا من انقاضها الاسوار والاستحكامات ويتسع معهم مجال الهجوم والدفاع . وتغريمهم الناس بالاموال الباهظة لدفع النفقات الكثيرة التي كانت لازمة لهم واغراءهم النساء المصريات بالجري على عادات نسائهم قال "انهُ لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهنَّ حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهنَّ الطرح الكشمير والمزركشات المصبوغة ويركبنَ الخيول والحمير ويسقنها سوقًا عنيفاً مع الضحك والقهقهة فمالت اليهم نفوس اهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش فتداخلنَ معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهنَّ وكان ذلك التداخل اولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في اخفائهِ فلما وقعت الفتنة الاخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في اهلها واخذوا ما استحسنوهُ من النساء والبنات صرنَ مأسورات عندهم فزيوهنَّ بزي نسائهم واجروهنَّ على طريقتهنَّ في كامل الاحوال فخلع اكثرهنَّ نقاب الحياء بالكلية ... وخطب الكثير منهم بنات الاعيان وتزوجوهنَّ رغبةً في سلطانهم ونوالهم فيظهر حال العقد الاسلام وينطق بالشهادتين . وصار مع حكام الاخطاط منهم النساء المسلمات متزيات بزيهم ومشينَ معهم في الاخطاط للنظر في امور الرعية والاحكام العادية والامر والنهي وتمشي المرأة بنفسها او معها بعض اترابها واضيافها وامامها القواسة والخدم وبايديهم العصي يفرجون لهنَّ الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن في الاحكام

" ولما اوفى النيل اذرعهُ ودخل الماء في الخليج وجرت فيهِ السفن وقع عند ذلك من

تبرُّج النساء واختلاطهنَّ بالفرنسيس ومصاحبتهم لهنَّ في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل وعليهنَّ الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب "

وخلاصة القول ان الجبرتي لم يترك للفرنسويين شائبة الاَّ ذكرها مصوراً اياها بالصورة التي رآها فيها لكنهُ كان نقاداً منصفاً على حسب ما كان يتراءى لهُ فشهد لهم بعدل الاحكام كما شهد على غيرهم بالجور والعسف وعلى كثيرين من اهالي مصر بانهم لم ينفكوا عن مكاتبة اعداء الفرنسويين وتحين الفرص للايقاع بهم او اخذهم الامور بالهزل والسخافة

ويظهر لنا انهُ لولا انكلترا لكانت مصر الآن بلداً فرنسوياً كسائر الولايات الفرنسوية لكن انكلترا عاونت الباب العالي على استرجاع الديار المصرية ثم تركتها لهُ لا لانها كانت تعجز عن البقاء فيها كما بقيت في الهند ولا لانها كانت تعلم ان العثمانيين اصلح لادارتها من الفرنسويين بل لانها كانت تظن ان مصلحتها تقتضي بقاءهذه الديار جزءًا من السلطنة العثمانية. وقد انفقت على استرجاعها اموالاً طائلة فان ما انفقتهُ الهند وحدها في هذا السبيل بلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات وجاءت الجنود العثمانية بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم لمعاونة الانكليز على ذلك وكانت مؤلفة من الانكشارية والارنؤود ومحمد علي في قيادة فرقة من الارنؤود

ولما رأى الفرنسويون ان لاقبل لهم بمناوأة الانكليز والعثمانيين بعد ان قطع الانكليز سد ابي قير وحصروا الجنرال منو في الاسكندرية ومنعوهُ من نجدة جنود القاهرة صالحوهم على الخروج من القاهرة بكل ما لهم من مال ومتاع وتعهد الانكليز ان يقدموا لهم الركائب براً والمراكب بحراً لا يصالهم الى فرنسا . ولما خرجت الجنود الفرنسوية من القاهرة عجب الانكليز من كثرة عددهم وعددهم واستعظموا الفوز الذين فازوا بهِ بأخذ المدينة من غير قتال. وتم عقد الصلح في القاهرة في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ واشترط فيهِ ان يخرج الفرنسويون منها في مدة خمسين يوماً ويمضوا الى رشيد ويقلعوا من هناك الى بلادهم بسفن يعدها لهم الانكليز ويجوز لكل احد من اهل مصر ومن سكانها ان يذهب معهم ويقدم لهم الانكليز كل ما يحتاجون اليهِ من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب . ويبقى جرحاهم في مصر ليعالجوا فيها الى ان يشفوا وينفق عليهم العثمانيون

ولم يكد الفرنسويون يخرجون من القاهرة حتى حلت فيها الفوضى وفعل العثمانيون المنكرات. ذكر الجبرتي " ان شخصاً من العسكر شرب شربة من عرقالسوس ولم يدفع ثمنها فكلم صاحبها القلق الانكشاري فاحضرهُ وامرهُ بدفع ثمنها ونهرهُ واراد ضربهُ فاخرج العسكري الطبنجة وضرب القلق فقتلهُ وهرب الى حارة الجوانية ودخل الدار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص

على كل من قصده فقتل خمسة ومرَّ شخصان من الارنؤود بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم ارنؤوديًا من جنسهما فلما اعياهم امره حرقوا عليهِ الدار فخرج هاربًا فقبضوا عليهِ وقتلوهُ وقُتل تسعة اشخاص في شربة عرق سوس. ووقع في ذلك اليوم ايضًا ان شخصين من القليونجية دخلا دار رجل نصراني فاخذا منها بقجتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخَّراهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا امره الى القلق فامر بالقبض على العسكريين فتخلصا وهربا بعد ان جُرح احدهما فاخذوا الشخصين المسخرين وقطعوا رأسيهما ظلمًا وعدوانًا وذلك من مبادئ قبائحهم... وكثر اشتغال العسكر بالبيع والشراء وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السقاة وارباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوي ويحتكرون مايريدون من الاصناف ويبيعونها باغلى الاثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالاذية لادنى سبب وتعرَّضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون اهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لاطفهم الساكن واعطاهم داره تركوه وان عاندهم سبوه وضربوه ولو عظيمًا وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال لهُ ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وانقذوكم من الكفار. والقلقات والانكشارية الذين دخلوا حارات النصارى كلفوهم اضعاف ما كلفوا بهِ المسلمين. ويأتي الشخص من العسكر ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعي ضياع كيسهِ او سقوط شيءٍ منهُ ويبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهرًا وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم انهم حضروا اليهم بأوامر اما لرفع الظلم عنهم او ما يبتدعونهُ من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغًا عظيمًا ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الاغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط بهِ العلم. او يركب العسكري حمار المكاري قهرًا ويخرج بهِ الى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعهُ في ساحة الحمير وتسلطوا على الناس بالسب والشتم وجعلوهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك وتمنى اكثر الناس وخصوصًا الفلاحين احكام الفرنسوية " انتهى باختصار

واكثر الجبرتي من مثل هذا الكلام والظاهر ان طابع كتابهِ حذف منهُ اشياء كثيرة من هذا القبيل . ومع ذلك رأى هؤلاء الجنود المؤمنون واهالي مصر عمومًا ان الفرنسويين الكفار قد نجسوا ارض مصر فارادوا ان يطهروها من آثارهم " فاحضروا ابنة الشيخ البكري وكانت

ممن تبرَّج مع الفرنسيس وسأَلوها عما كانت تفعلهُ فقالت اني تبت عن ذلك فقالوا لوالدها ما تقول انت فقال اقول اني بريء منها فكسروا رقبتها " واحضروا امرأَة تسمَّى هوى كانت تزوجت رجلاً اسمهُ نقولا القبطان ثم هربت وعادت الى زوجها الاول فاستأذن الوزير في قتلها فاذن لهُ بخنقها في ذلك اليوم ومعها جاريتها البيضاء ام ولده وقتلوا ايضاً امرأتين من اشباههنَّ". ومن هذا القبيل ان الوزير كان يذهب الى الجامع ويحضر الجمعة وهذان الفعلان اي قتل بعض النساء والذهاب الى الجامع كفيا لتطهير البلاد من الكفار. اما اعمال الانكشارية وغيرهم من الجنود العثمانية واطلاق العنان للماليك في الصعيد وسلب اموال العباد بما لا يحصى من الاساليب كل ذلك مما يُغتفَر لان الجنود مؤمنون جاؤُوا لانقاذ اخوانهم من الكفَّار

ثم ارسلت الجنود العثمانية الى الصعيد للايقاع بالماليك واستئصال شأفتهم لكن اهالي البلاد نفروا منهم على ما قالهُ الجبرتي " لما رأوهُ فيهم من الظلم والفجور والعنف باهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعي لنفور اهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية " اي المماليك

ولما ضاق الامر بالماليك كتبوا الى والي مصر ما ملخصهُ نقلاً عن الجبرتي " ان الارض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وانهم في طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وابلوا بالفرنسوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت فاما ان تعطونا جهة نتعيَّش فيها او ترسلوا لنا اهلنا وعيالنا وتشهّلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز او تعينوا لنا جهة نقيم فيها نحو خمسة اشهر مسافة ما نخاطب الدولة في امرنا و يرجع الينا الجواب ونعمل بمقتضى ذلك فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق في رقابكم لا رقابنا "

فاجيبوا باعطاء الامان لجميع الامراء المصرلية وانهم يحضرون الى مصر ويقيمون فيها ولهم ما يرضيهم ما عدا ابرهيم بك الالفي وعثمان بك البرديسي واابا دياب فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان ليتوجهوا اليهِ فيعطيهم مناصب وولايات كما يحبون وان لم يرضوا فليأخذوا اقطاع اسنا ويقيموا فيهِ. ولما وصلهم هذا الجواب وقرأوهُ في ديوانهم وعساكرهم مصطفة حولهم بينادقها تكلم الالفي وقال للرسل " اما قولكم نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان ينعم علينا فهذا مما لا يمكن وان كان مرادهُ ان ينعم علينا فاننا في بلاده وانعامهُ لا يتقيَّد بحضورنا بين يديهِ واما بقية اخواننا فهم بالخيار ان شاءوا اقاموا معنا والاَّ ذهبوا وكل انسان امير نفسهِ واما كون

حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا فلا يكفينا هذا وانما يكفينا من اسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجهِ فان لم يرضوا بذلك فان الارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله ما يكفينا ومَن اتى الينا حاربناهُ حتى يكون من امرنا ما يكون "

وكانت المصيبة بالمماليك مزدوجة على اهل القطر فهم يظلمون الناس حيث حلّوا ويسلبون ما عندهم والجنود التي ترسل لمحاربتهم تفعل فعلهم او تزيد حتى بلغ انين الاهالي عنان السماء وحاول الانكليز انقاذهم من الجور مرارًا ولكن ليس جملةً

هذا ولنعد الى ذكر الحوادث التاريخية المهمة مع ما يتصل بها من الامور الاجتماعية فنقول: ان الجنرال منو حاصر في الاسكندرية ولم يسلم وقتما سلّمت القاهرة ولكنهُ اضطرَّ اخيرًا الى التسليم فسلّم في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٠١ واقلعت الجنود الفرنسوية من الاسكندرية في ١٨ سبتمبر بكل ما لهم من اتباع ومتاع وبلغ عددهم احد عشر الفًا عدا الذين اقلعوا من رشيد من حامية القاهرة وقد انفق الانكليز النفقات الطائلة في هذه الحملة على غير جدوى لان السرهنري سمث كان قد عقد معاهدة مع الفرنسويين في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على ان يخرجوا من القطر المصري كما خرجوا منهُ الآن وهي المعروفة بمعاهدة العريش ولكن الحكومة الانكليزية ابت التصديق عليها ثم عادت الى التصديق على مثلها تمامًا بعد ما مرَّ عشرون شهرًا وخسرت الملايين الكثيرة من اموالها والالوف من رجالها وقائد الحملة كلها وهو الجنرال ابركرمبي الذي قتل امام الاسكندرية

وخرج الفرنسويون من الديار المصرية كما تقدم ثم تبعهم الانكليز وبقيت البلاد في يد العثمانيين وكانت الدولة قد ولّت عليها واليًا اسمهُ محمد باشا خسرو فوصلها في اوائل سنة ١٨٠٢ ودخل القاهرة في ١٧ رمضان سنة ١٢١٦ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٠٢ ولم يفعل من الافعال التي ترضي الاهالي الَّا حضورهُ الجمعة وزيارتهُ الاضرحة واكثارهُ من الباس الفراء للذين يريد اصطناعهم او تملقهم اما سيرهُ في سياسة البلاد فيدل على جهل مطبق وميل الى ارهاق الناس بكل واسطة ممكنة ولو كان نفعهُ منها قليلاً مثال ذلك اغراؤهُ اهالي العاصمة برفع التراب والانقاض من امام منزلهِ قال الجبرتي "واحضروا قوائم ارباب الحرف التي كتبت ايام الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور فاول ما بدأوا بالنصارى الاقباط فحضروا يتقدمهم رؤساؤهم جرجس الجوهري وواصف وفلتوس فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم طائفة كذلك ولما انقضت طوائف الاقباط حضر النصارى الشوام والاروام ثم طلبوا ارباب الحرف من المسلمين وبعد ان يفرغوا من العمل ويؤذنَ لهم في الذهاب يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار

باشا برسم البقشيش للطبالين والزمارين واذا حضرت طائفة ولم تقدِّم بين يديها هدية اوجعالة طوَّلوا عليها المدة واتعبوها واستحثوها . فاجتمع على الناس عشرة اشياء من الرذالة وهي السخرة والعونة واجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء وتعطيل المعاش واجرة الحمام" (للتنظيف من الوسخ)

وكان يحاول احيانًا التكفير عن ذنوبهِ بزيارة جامع او ضريح وتفريق شيءٍ من المال او الحنطة على طلبة العلم الاَّ ان الجبرتي لم يغترَّ بذلك بل قال فيهِ

وانها خطراتٌ من وساوسهِ يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرَما

واخيرًا قام الارنؤُود عليهِ باغراء محمد علي وحصروهُ في دارهِ وحرقوها عليهِ وكانت اخر دور مصر كما سيجيءُ فخرج منها وهرب بحاشيتهِ وعزوتهِ من الجند بعد ان اقام في الولاية سنة وثلاثة اشهر وواحدًا وعشرين يومًا وكان على ما قال الجبرتي "سيءَ التدبير لا يحسن التصرُّف يحب سفك الدماء ولا يتروَّى في ذلك ولا يضع شيئًا في محلهِ يتكرَّم على مَن لا يستحق ويبخل على من يستحق وفي آخر مدتهِ داخلهُ الغرور وطاوع قرناء السوءِ المحدقين بهِ والتفت الى المظالم والفرد على الناس فانقذ الله منهُ عبادهُ وسلَّط عليهِ جندهُ فخرج مرغومًا مقهورًا على هذه الصورة ولم يزل في سيرهِ الى ان نزل بقليوب بعد الغروب فعشَّاهُ الشواربي شيخ قليوب ثم سار ليلاً الى دجوة فانزل الحريم والاثقال في ثلاث مراكب وسار هو الى جهة بنها ومنها الى دمياط وغالب جماعتهِ تخلفوا عنهُ بمصر وكذلك الكتخدا وديوان افندي والخازندار والسلحدار"

وفي ١٤ محرم سنة ١٢١٨ اجتمع المشايخ والقاضي ورؤَساءُ الجند بايعاز محمد علي وولَّوا عليهم رجلاً من الارنؤُود اسمهُ طاهر باشا او جعلوهُ قائمقامًا الى ان تأْتيهُ الولاية من الاستانة لكن الانكشارية نقموا عليهِ لانهُ مال الى الارنؤُود وهجموا عليهِ وقتلوهُ بعد ان قام في الولاية ستة وعشرين يومًا. قال الجبرتي "ولو طال عمرهُ اكثر من ذلك لاهلك الحرث والنسل وكان بهِ هوس وانسلاب وميل للسلاوبين والمجاذيب والدراويش وعمل لهُ خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيرًا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معهُ"

وكان احمد باشا والي المدينة المنورة في مصر فرغب الناس في توليتهِ عليهم فعارضهم محمد علي في ذلك فجمع احمد باشا المشايخ وطلب منهم ان يجمعوا الرعية ويأمروهم بالخروج على الارنؤُود وقتلهم وكان محمد علي والارنؤُود رجالهُ في القلعة فجعلوا يطلقون المدافع على بيت احمد باشا فاخذ امرهُ في الانحلال وكان المماليك قد حضروا الى امام مصر والظاهر انهم مالأُوا الارنؤُود على الفتك بالانكشارية وبكل مَن ناوأَهم فارسلوا الى احمد باشا ليخرج من

المدينة فتركهُ من كان معهُ من اعيان العثمانية وذهبوا الى محمد علي والتجأُوا اليهِ وخرج احمد باشا في حالة شنيعة واتباعهُ مشاة بين يديهِ وعند ما خرج من البيت دخلهُ الارنؤُود ونهبوا جميع ما فيهِ وكانت مدة ولايتهِ يوماً وليلةً . والتجأ الدفتر دار وكتخدا بك الى محمد علي فاذن لهما في الذهاب الى بيتيهما ثم هجم الارنؤُود عليهما وقتلوهما

وولت الدولة وزيرًا اسمهُ علي باشا الطرابلسي فاتى الى الاسكندرية وكتب الى امراء المماليك يعلمهم بوصولهِ ويخبرهم انهُ وُلّي على الاقطار المصرية من الاسكندرية الى اصوان وقال لهم في آخر كتابهِ كان الواجب ان لا تدخلوا المدينة (القاهرة) الاَّ باذن من الدولة فان سيف السلطنة طويل وربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم . فكتبوا اليهِ جواباً قالوا فيهِ . " انهُ لما كان محمد باشا متولياً بذلنا الجهد في استرحامهِ وهو لا يزيد معنا الاَّ قسوةً ولا يسمح لنا بالاقامة في القطر المصري جملة وجرَّد علينا التجاريد من كل جهة وكان الله ينصرنا عليهِ في كل مرة الى ان حصل بينهُ وبين عساكرهِ وحشة بسبب علوفاتهم فقاموا عليهِ وحاربوهُ واخرجوهُ من مصر بمعونة طاهر باشا ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلتهُ ظلماً وقامت العساكر بعضها على بعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا فلما قُتل بقيت المدينة رعيةً من غير راعٍ وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم فحضر الينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فارسلنا من عندنا من ضبط العساكر وامَّن المدينة والرعية . واما محمد باشا فانهُ نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرَّد عليهم الفرَد الشاقة فتوجه عثمان بك البرديسي لتأمين اهالي القرى الى ان وصل الى ظاهر دمياط فاقام بمن معهُ خارج المدينة فما شعر الاَّ ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوهُ ونصرهم الله عليهِ فانهزمت عساكرهُ وقبض عليهِ . وهو الآن عندنا في الاعزاز والاكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو . واما قولكم اننا نخرج من مصر فهذا لا يمكن ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من اوطانهم واما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فاننا لا نستعين الاَّ بالله وقد ارسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجَّى الرضا ونحن منتظرون الجواب"

وتلكأ علي باشا عن الحضور الى مصر وارسل الى المماليك يخبرهم برضا الدولة عنهم بشفاعة الصدر الاعظم يوسف باشا وشفاعتهِ هو وان يقيموا بارض مصر اين شاؤوا وقطع لكل امير منهم خمسة عشر كيساً فسروا بذلك ولكنهم عرفوا بعد حين انهُ عازم على الغدر بهم فخادعوهُ هم والارنؤُود حتى جاء مصر واخبروهُ بما اطلعوا عليهِ من امرهِ وطردوهُ وقتلوهُ في اثناء الطريق

هو وحاشيتهُ وكان يحمل كفنهُ معهُ فنادى واحداً قبل ان اسلم الروح وقال لهُ بعرضك يا فلان ان معي كفناً داخل الخرج فكفني بهِ وادفني ولا تتركني مرمياً . قال الجبرتي وكان ذلك نتيجة "سوء سريرتهِ وخبث ضميرهِ فلقد بلغنا انهُ قال لعسكرهِ ان بلغت مرادي من الامراء المصريين (المماليك) وظفرت بالارنؤود ابحث لكم المدينة والرعية ثلاثة ايام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعلهُ بالاسكندرية مدة اقامتهِ بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في اموالهم وبضائعهم وتسلط عساكرهِ عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيلهُ لاهل العلم واهانتهُ لهم حتى انهُ كان يسمّي الشيخ محمد المسيري الذي هو اجل مذكور في الثغر بالمزوّر اذا دخل عليهِ مع امثالهِ"

ولا ندري هل ما رواهُ الجبرتي عنهُ كان صحيحاً او مختلقاً عليهِ فقد قال بُعَيْد ذلك "ان محمد علي حرَّش العساكر على محمد باشا خسرو وازال دولتهُ واوقع بهِ بمعونة طاهر باشا والارنؤود ثم استعان بالاتراك على طاهر باشا حتى اوقع بهِ ايضاً وظهر امر احمد باشا وعرف (اي محمد علي) انهُ اذا تمَّ لهُ الامر ونما امر الاتراك لا يبقون عليهِ فعاجلهُ وازالهُ بمعونة الامراء المصرية (المماليك) واستقرَّ معهم حتى اوقع بالاشتراك معهم بالدفتر دار والكتخدا ثم حاربوا محمد باشا بدمياط واخذوهُ اسيراً واحتالوا على علي باشا الطرابلسي واوقعوهُ في فخهم وقتلوهُ كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً للبرديسي (من امراء المماليك) فانهُ تآخى معهُ وجرح كلٌّ منهما نفسهُ ولحس من دم الآخر واغترَّ بهِ البرديسي وصدقهُ واصطفاهُ وفعل بمعونتهِ ما فعل بالالفي الكبير واتباعهِ وشرَّدهم وقص جناحيهِ بيدهِ"

فان محمد بك الالفي الكبير وهو اعظم امراء المماليك ذهب الى البلاد الانكليزية فاكرمهُ الانكليز وردوهُ بالهدايا والتحف الكثيرة فحسدهُ سائر المماليك واضمروا لهُ السوء فاضطر ان يهرب من وجههم في البلاد ويختبيء في نجوع العرب وسلبوا كل ماجاء بهِ من البلاد الانكليزية والظاهر من كلام الجبرتي ان المماليك فعلوا ذلك باغراء محمد علي

ثم ان محمد علي انقلب على المماليك واطلق محمد باشا خسرو الوالي الاسبق وانضم اليهِ وطرد المماليك من القاهرة وضواحيها بعد ان نكل بهم ونهب عسكرهُ اموالهم وبيوتهم وامتعتهم وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم واتصل اذاهم بالاهالي فخربوا بيوتاً كثيرة ونهبوا ما كان فيها ولم يطل الامر على محمد باشا خسرو حتى خُذل وجاء احمد باشا خورشيد من الاسكندرية وقوبل بالترحاب وجاءتهُ بشارة في ١٧ محرم سنة ١٢١٩ بتقليدهِ ولاية الديار المصرية ونصرهُ محمد علي في اول الامر ثم مضى الى الوجه القبلي لمنازلة المماليك فاستدعى احمد باشا جنوداً من

الدلاة لكي يعينوهُ على محمد علي وجنودهِ الارنؤود كأَنهُ اوجس منهُ ومنهم شرًّا فلما وصل الدلاة الى مصر عاد محمد علي اليها حالاً فامرهُ احمد باشا بالعودة الى الصعيد لقتال المماليك فقال انهُ انما اتى في طلب العلائف

وجاء حينئذٍ قاصد من اسلامبول وعلى يدهِ تقليد لمحمد علي بولاية جدة فابى محمد علي الصعود الى القلعة ووقع الاتفاق على ان احمد باشا ينزل الى بيت سعيد آغا ويخلع عليهِ هناك خلعة ولاية جدة فلما حضر وحضر محمد علي وتقلد ولاية جدة وخرج يريد الركوب ثار عليهِ الجنود وطلبوا علائفهم فقال لهم هوذا الباشا عندكم وركب وذهب الى دارهِ بالازبكية وصار ينثر الذهب في طول الطريق فمضى الجنود الى احمد باشا ومنعوهُ من الركوب فوعدهم خيرًا وطلب الاموال الطائلة من الاهالي وارسل الدلاة الى قليوب لينهبوها فركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع معهم كثيرون من الرؤساء والعظماء وذهبوا الى محمد علي وقالوا لهُ اننا لا نريد احمد باشا حاكمًا علينا ولا بد من عزلهِ من الولاية فقال ومن تريدون واليًا قالوا لا نرضي الاَّ بك فتكون واليًا علينا بشروطنا لما توسمناهُ فيك من العدالة والخير فامتنع اولاً ثم رضي واحضروا لهُ كركاً وعليهِ قفطان وقام اليهِ السيد عمر والشيخ الشرقاوي فالبساهُ ونادوا بهِ واليًا على الديار المصرية وكان ذلك عصر الاثنين في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ للهجرة الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

ولم يستتب الامر لمحمد علي حالاً لان انصار احمد باشا كانوا كثارًا وكانت القلعة في يدهِ ووقع الجدال بين بعض انصارهِ وبين الذين ولوا محمد علي فقالوا لهم كيف تعزلون من ولاهُ السلطان عليكم وقد قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. فقالوا لهم "ان اولي الامر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونهُ ويخلعونهُ"

والظاهر ان الباب العالي رضي بما فعلهُ المصريون فبعث بفرمان التولية الى محمد علي من ٢٠ ربيع الاول ولُقِّب فيهِ بمحمد علي باشا والي جدة سابقًا ووالي مصر حالاً وأُمر احمد باشا بالنزول الى الاسكندرية حتى يأتيهُ امر بالتوجه الى بعض الولايات

ولا تكاد تجد في الجبرتي ولا في غيرهِ من التواريخ العربية سوى ذكر الحروب والمظالم والمغارم لكن يؤخذ مما بين ذلك ما يدلُّ على ان الناس لم يتركوا زرعهم وعلى ان التجارة كانت رائجة بعض الرواج ولا سيما مع الشرق الاقصى ولولا الحروب والثورات لنال القطر المصري من ذلك ثروة وافرة جدًّا فقد نهب العرب مرة قافلة التجار الواصلة من السويس

وكان فيها اربعة آلاف جمل حاملة من البن والبهار والقماش . وتغدَّى احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عنده نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفهُ هدية فيها بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول له ولكبار اتباعهِ

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن البضائع المنهوبة والمسلوبة ان التجارة كانت متصلة مع اليمن والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات

وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولاسيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالفي الذي حرق لما كان فيهِ خسرو باشا فقد قيل انهُ كان في كواه الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كلهُ بالبسط الرومية والفرش الفاخر وفيهِ الستائر والموائد المزركشة وطاولات المراتب كلها مقصبات

هذا وسيأتي الكلام على ما اجراهُ محمد علي في هذا القطر مدة ولايتهِ

هل يسود السلام

لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الاَّ سمعنا لهُ بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعود منهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنَّة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام . وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كلّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم . فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّي بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلَّح استهزاء . وكأنهُ قُدّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فينا بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبي مكرهاً او مختاراً وحكَّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان

وليس يخافٍ انهُ ان كان ابطال الحروب ميسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لها تتعلَّم العظات والعبَر من حربهما . ولكن "وفي الساعة الظلماء يُفتقد البدرُ" فان البحث دائر الآن على عقد

الصلح بينهما وكفّ اذى الحرب عنهما بعد ان غالتهما اغوالها . هذا بوجه خاص ، وبوجه عام قام الكتّاب من كلّ حدب وصوب يعيدون الكرّة ويبحثون في ما اذا كان تأييد السلام امرًا ممكنًا وفي مقدمتهم مجلة انكليزية اسمها "مجلة لندن" فانها ارسلت السؤال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعوّل على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليهِ وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حلم في المنام لا يمكن تحقيقهُ" ثم اوردت الاجوبة التي جاءتها او استنتجتها من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهل احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا يفوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية. ولكنهُ لم يكد يتسنَّم العرش حتى اشتهر بين القاصي والداني ميلهُ الى السلام وسعيهُ في اثرهِ فلقب بملك السلام . وانهُ وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التمدن الحديث مهما جرَّت من الويل والدمار الأَّ انهُ يعلم ايضًا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقريب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليهِ سياستهُ الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضًا . وقد باح برأيهِ منذ عدة اشهر في رسالتهِ التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتمدنة ايضًا تقريب اليوم الذي يسود فيهِ العالم كلهُ سلام العدل على ان من السلام ضروبًا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها. فقد قام في العالم نفر من الظلاَّم الغاشمين حولوا جنائنهُ الناضرة مفاوز قاحلة وسمُّوا عملهم سلامًا ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطرهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابهُ احجموا احجام الانذال عن القيام بما يجب عليهم لما فيهِ من انكار النفس وحاولوا ستر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسموا ذلك حب السلام . فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبهُ ظلم الظالم وضعف الضعيف كما نتجنب الحرب الجائرة

اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأمن كل امة في ظلهِ على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل بهِ . والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنافرا او اختصما فان الولاء يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجتنبهما "

اللورد افبري (السرجون لُبك) العالم الانكليزي الشهير

كتب يقول " ان املي بسيادة السلام العام ضعيف جدًّا . فاننا نحن انفسنا شر قدوة للغير بزيادة نفقاتنا البحرية والبرية زيادة بالغة "

السر هنري فولر

وهو احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة . وقد كتب يقول :

" ان تقرير السلام العام بحل اسباب النزاع والخصام بين الامم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المنال جدًّا . واعتقد انهُ لابدَّ ان يجيء يوم تفضُّ الامم فيهِ مابينها من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد . على ان الخطى التي خطتها امتنا وغيرها من الامم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام "

السر فردريك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقًا . وقد كتب جوابًا اشار فيهِ الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قالهُ فيها يقولهُ الآن ايضًا . وهاك بعض ما جاء فيها : —

" يظنُّ الناس عمومًا ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعاوى الافراد وبالتالي انهُ يمكن فضُّ ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك . فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فتحلُّ بتعيين حَكَم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكمهُ كما جرى في كثير من مسائل الحدود ممَّا لو وقع النزاع عليهِ في العصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيهِ الى السيف

ولكنَّ هناك اسبابًا اخرى للنزاع والخلاف تنشأ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادَّعت دولة محاربة على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد . فدعوى مثل هذه لا تحلُّ في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية

ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور . والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معًا بحيث يتألف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة . فهذا الاتفاق او الخوف منهُ منع كثيرًا من الحروب الصغيرة ولكنهُ قلما نجح في حرب مع دولة قوية تستخفُّ بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظًا لتوازن القوات

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالبة بحل المسائل المتعلقة بكرامة اممها ومصالحها الجوهرية. والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدرُّع بالفطنة في حلّ المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة. فالمادية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأثيرها محسوس. اما معاهدات التحكيم فاذا بذلت العناية في ابرامها حتى تقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تستحق كلّ مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجعاً في كلّ حال"

السر غلبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابهِ "لا يسعني التعلُّل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامة ومصيبة طامّة. وما دام في الارض امم همجية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدُّن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تامّ على حلّ المنازعات التي تقع بينها." فلنتكل على الله ولكن ليبقَ بارودنا جافاً" (اي لنبقَ على حذر)

مستر مكنمارا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب ايضاً. قال

"لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف. فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى السلاح في حلّ الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المبارزة باتت تظاهراً لا ضرر منهُ فيعمد المبارز اليها واحدى عينيهِ على جلدهِ والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوَّى الآن بالوسائط السلمية. والى مثلهِ سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام. وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كلّهِ يعجّل مجيء ذلك اليوم"

السر توماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا. وقد كتب يقول

"لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد وانتجاعهم بلاداً اخرى. ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم. ومنها الحروب المدنية وهي افضل مما يدعو اليها مهما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها. على انهُ لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

أقرب الى العقل وأبعد عن الجهل واقلّ اندفاعاً مع تيار العواطف واكثر اختباراً في الموازنة بين خطر الحرب وفائدتها وبين الشرور والمصائب التي تُشهر الحرب لمعالجتها وازالتها

هذا وان اميال الناس الذين يتولون شؤُون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كلّ ما من شأنهِ ان يجرّهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب . وتراهم ينظرون بعين النفور والاشمئزاز الى كلّ من يشير بتحكيم السيف ولو تلميحاً . واقول في الختام ان كلّ انكليزي او فرنسوي او اميركيّ او الماني يذكر الحرب مستخفًّا بها مستهيناً بامرها لا يعدُّ رجلاً يركن اليهِ ويعتمد عليهِ في شؤُون الدولة الخطيرة "

مستر روفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال : —

" غاية ما نتمناهُ ان تتوصل الامم الى حلّ المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فتجتنب الحرب بذلك . ولكننا بعيدون عن هذه الامنية الآن . ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصبحون اقلّ ميلاً الى الحرب واكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع . فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلّها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحلُّ بهِ . ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى بهِ المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أُلّف فبأية الطرق ينفذ حكمهُ . فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك . ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذهِ "

السر وليم رمسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز . قال

" ايّ شيءٍ اقول ولم يُقل الف مرة . كلنا نتمنى ان تبطل الحرب وذلك يتأتى لنا من احدى طريقين . فإما ان امة من الامم تخرق معاهدة جنيفا وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيانيك (غازسام جدًّا) او مادة اخرى تميت الجيوش خنقاً . وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استقتالها فتدعو الحال حينئذٍ الى محاربتها بمثل ما تحارب بهِ . واما ان انتشار اسباب الحضارة والتمدن يؤَدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسماع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما اشبه ذلك . ولا ريب ان كلاً منا يتمنى ذلك ولكني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً "

السر ادورد رسل

صاحب جريدة "لفربول دايلي بوست" قال

"من الامور المبشرة بالخير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوربية تدريجاً عن محاربة بعضها بعضاً. ولكن الميل الى الحرب خلق مستحكم في النفوس والاغراء يخوض غمارها كثير في اطراف الارض النائية. ومع ان اهوالها تزيد كل يوم رغماً عما أُدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً. ولكنني أُومل — وان يكن تحقيق املي بعيداً — ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيهِ باجماع الامم المتمدنة على ابطالها لانهُ يثبت لهم انها ضرب من الحمق والجنون"

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسوي وزعيم حزب الاشتراكيين فيهِ. خطب ذات يوم فقال

"بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتتخذ شكلاً محدوداً وقد اصبح السلام الحقيقي ممكناً في اوربا" الى ان قال

"وفي اوربا محالفتان كبيرتان ترميان الى السلام. وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسوية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها"

التهذيب [1]

ايها الشبان الكرام

لما دعوتموني الى خطاب يُلقى اليكم في محفل من محافلكم ترددتُ في اول الامر لكبر سنّي ومللي وعجزي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رأيت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولو سامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد. ثم اخذت ابحث في موضوع يوافق غرضكم ويُرجى منهُ بعض الفائدة لكم ولامثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ارَ شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقبتم جمعيتكم بهِ وهو تهذيب الشبيبة السورية. غير انكم قد اضفتم الى ما تطلبونهُ لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الثناء والعون والدعاء بالفلاح. وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

(١) خطبة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن والاكاديميا الطبية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥

في نفسهِ مدحهُ الناس او لم يمدحوهُ عرفوهُ او لم يعرفوهُ

للحياة من المهد الى اللحد ادوارٌ ولكلٍ منها صفات خاصة بهِ وقد اختلف العلماء في تقسيم هذه الادوار بحسب ما نظروا اليهِ من ظواهر الجسد او العقل او الاخلاق او صروف الدهر التي يتقلب الانسان فيها. ولعل الاصح من الوجه العلمي انها ثلاثة ادوار وهي زمن النموّ والنشوء وزمن البلوغ وزمن الهبوط . اما الدور الاول فيتميز بانَّ من العملين القائمين ابداً في الجسد وهما التحليل والتركيب اي دثور انسجتهِ وتجديد بنائها — الغلبة لقوة التركيب فيحصل من ذلك اكتساب دائم في الحجم والقوة وفي ارتقاء الجسد والعقل . ويكون الطفل عند ولادتهِ في غاية العجز لا يُدرِكُ ولا يعقِلُ شيئاً ولكنهُ يأخذ سريعاً في الشعور بما حولهُ وفي استعمال حواسهِ الظاهرة وفي التأمل بما يراهُ . غير ان اعظم ما يتعلمهُ في هذا السنّ هو الكلام الذي يميّز الانسان بهِ على سائر الحيوان والذي تنشأ منهُ الصور العقلية والاشتراك بينها والذاكرة والمخيلة والعاقلة . وتكون اعمال العقل اولاً في الطفل ذاتية ثم تصير خاضعة للارادة وهذا الخضوع من اهمّ ما يطرأ على العقل البشري وبقدر ما يستطيع الانسان ان يتولَّى العمل العقلي يستطيع ادراك ما يريد البحث فيهِ ادراكاً جلياً والتعبير عنهُ بكلام صريح. ولما كان لهذا السن شأن عظيم في التربية والتهذيب وجب احاطة الولد بكل ما يكسبهُ قوة الجسد والعقل وحسن الخُلق والادب ووجب ايضاً الانتباه الشديد لمن يعاشرهم ويتعلم منهم الصفات والعادات الحسنة او القبيحة . والنمو في هذا السن سريع الى السنة الخامسة عشرة ثم يبطئ تدريجاً الى ما بعد ذلك ببضع سنين قبل ان يصل الى زمن البلوغ الكامل

والدور الثاني وهو دور البلوغ يمتد في اكثر الناس من السنة الثلاثين الى الخامسة والاربعين ويتساوى فيهِ عمل التحليل والتركيب فيبقى كل هذا السن في ما يكون عليهِ من قوة الجسد والعقل وهو غاية ما يبلغهُ ولذلك يعدّونهُ افضل ادوار الحياة واقدرها على ما يستطيع الانسان ان يأتي بهِ من اعمال الدنيا. غير ان في هذا الامر كغيرهِ شذوذاً كثيرة فقد يسرع او يبطئ سير كلٍ من هذه الادوار بحسب البنية الموروثة او نوع المعيشة فيعجز الانسان باكراً او تدوم قوتهُ في زمن الشيخوخة

وفي الدور الاخير وهو دور الشيخوخة والهرم تضعف قوة الجسد والعقل وتعجز عن القيام بما يطلب منها بحيث انهُ قلما يستطيع الرجل شيئاً من الاعمال العظيمة بعد السبعين . وتأخذ قوة التركيب في التناقص فيقل البصر ويثقل السمع ويبلد العقل وتضعف الذاكرة ويأبى الشيخ العمل ويختار ملازمة بيتهِ متوكئاً على عصاهُ . غير انهُ اذا كانت الرياضة الجسدية والعقلية

كافية بلا اجهاد مفرط وكان الطعام جيدًا معتدلاً والنوم حسنًا والهواء المحيط نقيًا والقلب خاليًا من الهموم الثقيلة دام نشاط العقل والجسد سنين كثيرة وعاش الانسان في شيخوخة صالحة خالية من اشد العلل التي تعتريها غالبًا . وفي كل ذلك موعظة للشبان والكهول ان يعيشوا عيشة راضية قنوعة طاهرة صحية حتى اذا بلغوا الشيخوخة كان لهم فيها شيء من الراحة واللذة

وقد رسم احد المصورين حياة الانسان في خمس صور وهو يحمل في كل واحدة منها حملاً . فالاولى صورة ولد حامل طاقة من الزهر وهو يمرح ويلعب في بستان جميل لا غم لهُ في ما مضى ولا هم في ما يأتي . والثاني صورة الولد شابًا رافعًا حملهُ بيدهِ اليمنى وهو يطلع جبلاً ويفتخر بقوة الشباب لا يعبأ بما في الحياة من الكد والجد ولسان حالهِ يقول

اذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بما دون النجومِ

وفي الثالثة صورتهُ كهلاً ولوائح الفكرة على وجههِ في ما يلقاهُ من صروف الدهر وعسر الحياة وهو يحمل حملهُ بلا افتخارٍ ولا ضعفٍ وقد علم بالخبرة صدق فيلسوف الشعراء القائل

تصفو الحياة لجاهلٍ او غافلٍ عما مضى فيها وما يتوقعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ ويسومها طلب المحال فتطمعُ

وفي الرابعة صورتهُ شيخًا ضعيفًا يحمل حملهُ ويسير فيهِ خطوات ثم يضعهُ على الارض ويجلس ليستريح هنيهة ثم ينهض للسير وهو يقول

فياليت الشباب يعود يومًا فأُخبرهُ بما فعل المشيبُ

والخامسة صورة محزنة صار فيها الشيخ هرمًا منطرحًا على الارض وحملهُ يجذبهُ الى قبر مفتوح ينظر اليهِ ويردد قول الشاعر الروماني الذي قال في هرمهِ : لقد بلغت المرفأ فاودعكما يا أملي ويا دهري كفى ما لعبتما بي فاذهبا الآن والعبا بغيري . وهو كلام لا يبعد عن المعنى الذي ارادهُ ابو العلاء بقولهِ

فياموت زُرْ ان الحياة ذميمة ويانفس جدّي ان دهرك هازلُ

وقد بلغتم الآن ايها الشبان عنفوان العمر وجزتم الدروس الاولى البسيطة ودخلتم هذه المدرسة الكلية لتتلقوا فيها العلوم العالية ثم الخاصة التي تؤهلكم لمباشرة المهنة التي تختارونها في الحياة . فاذكروا انهُ زمن الزرع وان ما تزرعونهُ في الحاضر تحصدونهُ في المستقبل كثيرًا كان او قليلاً خيرًا او شرًا . ولا يقتصر هذا الكلام على ما تدرسونهُ من العلم ولكنهُ يشمل عوائد الكد والجهد والاخلاق والصفات التي تكتسبونها الآن وستميزون بها في جل عمركم والتي ستجعل لكم مقامًا ساميًا بين الناس او شأنًا حقيرًا فهو الزمن الذي يتكون فيهِ الخلق

بحيث يكون الانسان بعد ذلك شهماً رفيعاً مكرماً او لئيماً دنيئاً مخذولاً . وهو الزمن الذي تفعل فيهِ فواعل المعاشرة الصالحة والقبيحة التي اشار اليها شكسبير الشائع الصيت بقولهِ يجب على الشريف ان لا يصاحب الاَّ الشرفاء اذ لا يقوى على المصاحبة المفسدة مهما كان شديد العزم . وما اوصى بشأنهِ سليمان الحكيم حيث قال يا ابني ان تملقك الخطاة فلا ترضَ لا تسلك في الطريق معهم امنع رجلك عن مسالكهم . وما قالهُ الشاعر العربي

واحذَرْ مؤاخاةَ الدنيّ فانهُ يعدي كما يعدي السليمَ الأجربُ

معنى التهذيب في اللغة التنقية والاصلاح فاذا ابتغيتموهُ وجب عليكم ان تنبذوا كل ما فيهِ شرٌّ من السجايا والصفات والاميال وان تربوا في انفسكم كل ما فيهِ خير لكم . ولما كان كلامي لكم الآن في هذا الصدد رأيت اننا ننال الفائدة المطلوبة اذا نظرنا الى المسئلة من ثلاثة وجوه وهي تهذيب الجسد وتهذيب العقل وتهذيب النفس . ولكنني ارى ايضاً انها جميعها مسائل كبيرة لا اقدر ان اوفيها حقها في كل ما يدخل تحتها من الجزئيات وان المقال فيها لا يكون هنا الاَّ عامًّا وجيزًا

١ تهذيب الجسد . نقدّم الكلام في هذا الوجه من التهذيب كما قدّم العلماء علم الابدان على علم الاديان والسبب في ذلك ظاهر وهو ما ذكرهُ بعض افاضل العلماء الرومانيين من ان العقل الصحيح في الجسد الصحيح وقد صار هذا القول مثلاً سائرًا من ذلك الزمن القديم الى الآن ولو كان لهُ شذوذ احياناً . وقد اثبتهُ علم الفيسيولوجيا الحديث بان الدماغ آلة العقل الذي يعمل بها ومن الواضح ان اعمالهُ لا تكون محكمةً الاَّ اذا كان الدماغ صحيحاً يغتذي بدمٍ صحيح وهذا لا يكون الاَّ اذا كان الجسد صحيحاً . فاذا فسد تركيبهُ ادّى ذلك الى الجنون واختلال القوة العاقلة واذا فسد غذاؤهُ بواسطة السكر او الحمّى او غير ذلك اضطربت اعمال العقل وشوهدت فيها ظواهر الهذيان . وفي هذه العلاقة الشديدة بينهما دليلٌ كافٍ على ان الانسان لا يتمتع بصحة العقل الاَّ اذا كان متمتعاً بصحة الجسد . فانظروا اذن الى صحة ابدانكم اذا شئتم ان تكونوا اصحاء العقول

ثم كما ان صحة الجسد تؤدي الى صحة العقل فهي ايضاً من اعظم الموجبات لسرور الحياة لان العافية اللذيذة قائمة بحسن قيام وظائف الجسد . ولما كانت هذه الحالة مألوفة عندنا فاننا نغفل عن قيمتها العظيمة وننساها ولا نعبأ بما يضرّها من الاسباب التي في يدنا منعها ولا نذكرها الاَّ متى سُلِبت منا وصدق فينا قول القائل "العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى" وقول الشاعر

لا يعرفُ الصحيحُ قيمةً لما كان من الصحة حتى يُبتلَى

ولا ينال الانسان العافية الاَّ اذا اطاع قواعد الصحة التي كثير منها معلوم لديكم فلا اذكر بعضها الاَّ على سبيل الاشارة فقط وسأُطيل الكلام في البعض الاخر. اما الطعام الذي تتجدد منهُ الخلايا المتنوعة التي تبنى منها انسجة الجسد والتي تشارك غيرها من كل حيّ في الولادة والعمل والموت فيجب ان تراعوا فيهِ هذه الشروط وهي ان يكون نوعهُ جيداً يؤكل باشتهاء في اوقات معينة وكميات معتدلة وان يمضغ على مهل حتى لا تحمل المعدة من العمل ما يجب عملهُ في الفم . واكثروا من تطهير افواهكم وانظروا ابداً الى نظافة اسنانكم وصحتها . وفي النوم راحة للجسد والعقل تسترد الطبيعة فيهِ ما تخسرهُ من القوة مدة اليقظة والعمل . وشروطهُ الصحية ان لا يكون اقل من ثماني ساعات للذين هم في سنكم . ولا يكون العشاء ضخماً ولا يكون غطاء الفراش ثقيلاً وان يتجدد هواء الغرفة بواسطة شباك او اكثر صيفاً وشتاء خلافاً لمذهب العامة الذين يسدون النوافذ ويكثرون من الغطاء مدة النوم فيجرُّ النائم ولا يجد هواء نقياً لتطهير دمهِ وتشتد عليهِ الاحلام المزعجة . وقالوا خيرُ النوم نوم مَن كان خاليَ البال سليم الضمير . والنظافة فقد سمعتم انها من الايمان وعرفتم ان بعض الاديان لا يجوز الصلاة الاَّ لمن اغتسل وطهر . فاغسلوا ارجلكم كل صباح كما تغسلون وجوهكم وايديكم واستحموا بالماء بقدر الحاجة والامكان . واعتنوا باظافيركم ولتكن اثوابكم ابداً نظيفة . الم تروا بعد غسل جميع الجسد ولبس الثياب النظيفة لذةً خاصةً تملأُ النفس بهجةً وتؤهلكم لمعاشرة العظام في الهيئة الاجتماعية خلافاً لما اذا كان فيكم شيء من القذر الذي يخجلكم ويحقركم بين الناس . وقد نظم جلال الدين الرومي العجمي ابياتاً في هذا الصدد على غاية ما يكون من الحسن اشار بها الى قلب طاهر في جسد طاهر فقال ما معناهُ احفظ نفسك طاهراً في ثوبك وفمك ويدك وفي ما تأكلهُ وتشربهُ . واعلم يا ابني ان في طهارة الظاهر وسماً لطهارة الباطن

بقي لي ان اذكر لكم في هذا الباب شيئين لهما علاقة شديدة بحفظ الصحة. احدهما التعرض للهواء المطلق ونور الشمس . وقد ثبت الآن عند الاطباء بالاجماع انهُ اذا كان الهواء نقياً فهو المطهر العظيم للدم والدم يقضي وظيفتين هما دعامة الحياة . الاولى انهُ يحمل في الشرايين ما دخلهُ من الطعام بعد هضمهِ حتى اذا بلغ الاوعية الشعرية اختارت خلايا الانسجة قوتها منهُ بحسب نوعها . والثانية انهُ يحمل في الاوردة ما يحلل ويفسد من تلك الخلايا فاذا عاد الى القلب اندفع منهُ الى الرئتين ليلاقي الهواء الداخل اليهما بواسطة التنفس فيعطي الهواء ما حملهُ

من المواد الفاسدة ويأخذ منهُ جوهرًا مطهرًا سماهُ قدماء الاطباء بالروح الحيواني وهو الاكسجين عند الحديثين . وبناء على ذلك فكلما كان الهواء نقيًّا كان اصلح وافعل في تنقية الدم وقد اهتدى اطباء هذا العصر في مداواة المصابين بالحميات والسل والامراض المزمنة الى تعريضهم للنور والهواء المطلق في المستشفيات او في مساكن مبنية على اسلوب خاص لمقابلة الهواء والنور بعيدة عن هواء المدن الفاسدة وسموها مساكن الصحة او مصاح (Sanatoria) وهم يفضلون هذه الطريقة على غيرها ويعولون عليها وبعضهم يرتاب في فائدة العلاج بالعقاقير . وقد شاهدت بعض الذين برئوا بواسطتها من امراض لم يكن يرجى لها الشفاء . اما النور وحدهُ فلا بد انكم قد سمعتم انهم الآن يعالجون ببعض اشعتهِ امراض الجلد المستعصية ففازوا بذلك فوزًا لم يعهد مثلهُ في ما مضى . فادخلوهما الى غرفكم واخرجوا اليهما وطالعوا كتبكم ما امكن بين الاشجار وفي الفلاة الواسعة

والامر الثاني الذي لهُ شأن عظيم في ما نحن فيهِ الرياضة . قال الشيخ الرئيس ابن سينا فيها انها حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر وتدفع فضلات الجسد وتنعش الحرارة الغريزية وتصلّب المفاصل والاوتار وتعدّ الاعضاء لقبول الغذاء واذا كانت معتدلة كان بها غنًى عن كل علاج في بعض الامراض الى ان قال وكثيرًا ما يقع تارك الرياضة في الدقّ لان الاعضاء تضعف قواها لتركها الحركة الجالبة اليها الروح الغريزية (أُكسجين الهواء) التي هي آلة حياة كل عضو . وقسمها الى ما هو عنيف ولطيف ومعتدل وشرح ما كان في زمانهِ (سنة ٣٨٠ هجرية) من انواعها وهي المنازعة والمباطشة والملاكزة والاحضار وسرعة المشي والرمي من القوس والزفن والقفز والحجل والمثاقفة بالسيف والرمح وركوب الخيل والاراجيح واللعب بالكرة والصولجان والطبطاب والمصارعة الى غير ذلك من انواع اخر وما لها من الفوائد لكل عضوٍ من اعضاء الجسد كالتبصر الدقيق للعين واجهاد الصوت للحلق والنهي عن بعضها في بعض العلل . وقد أُهمل كثير منها في هذه الايام وبُدلت بغيرها من الالعاب الحديثة التي انتم اعلمُ مني بها . غير انهُ مهما حدث من التغيير في نوع الرياضة وكيفما انفردت الامم في ما اصطلحوا عليهِ فلا خلاف في وجوبها بل هي قد صارت قسمًا لازمًا في التربية المدرسية من زمن الصبوة الى زمن الشباب ومن اصغر المدارس الى اعلاها . واقتبسوا من اللغة اليونانية كلمتين للتمييز بين المعتدل منها والعنيف الاولى الجمنستيك ومعناها التعرّي لانهم كانوا يتصارعون وهم عراة الابدان وتُسمَّى بها المدارس المتوسطة عند الجرمانيين (Gymnasia) اشارةً لما في درس العلوم من التمرين والتهذيب . والثانية الأَثليتك ومعناها المصارعة والمجاهدة ويريدون

بها انواع الرياضة التي يباشرها الشبان لبلوغ منتهى القوة العضلية منها . واضاف بعضهم كلمة ثالثة مأخوذة عن اليونانية ايضاً هي الكلستثيك ومعناها الظرف والجمال لسبب ما تؤدّي اليهِ من ذلك واكثر استعمالها في مدارس البنات

ولا تُباشَر الرياضة عادةً الاّ في الخارج فيكون فيها اذًا فائدتان التروُّض والتعرُّض للهواء المُطلق ولنور الشمس . واذا شئتم ان تروا ما لذلك من النفع للقوى الجسدية فانظروا الى شدّة ابدان الفلاحين والمكارين وغيرهم من الذين يقضون اكثر زمانهم في الحقول والفلوات ويعيشون في ما بقي عيشةً حقيرة في المسكن والطعام والنظافة الى غير ذلك من شروط الصحة . ثم قابلوا ما ترونهُ فيهم من القوة وصحة اللون بما ترونهُ من الضعف وصفرة الوجه في اهل المدن الذين يعيشون عيشة الرفاهة في الازقة المزدحمة والمنازل المزخرفة التي كثيرًا ما لا يدخلها كفاية من نور الشمس والهواء النقي . او انظروا الى عرب البادية وهم غير العرب الذين يجاورون المدن فقد قال فيهم احد كبار العلماء انهم اصحّ اهل الارض بنية وهم في الخلاء ابدًا ليلاً نهارًا مطبوعون على محبة الشجاعة والمروءة وعزّة النفس وركوب الخيل وكأن قد اجتمع في ابي الطيّب وهو واحد منهم اكثر من ذلك فانشد يقول

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وكان للرياضة والقوة العضلية عند قدماء اليونانيين والرومانيين شانٌ عظيم فبلغوا فيها منتهى الامكان وانشأوا منذ سنة ١٤٥٣ ق٠م جهادًا يعقد عند جبل اولمبس مرة كل خمس سنين ويدوم خمسة ايام في مشهد عظيم ولم تبح المسابقة فيهِ الاّ لمن قضى عشرة اشهر في مدرسة ايليس التي اشتهرت في ذلك الزمان بفن التمرين الجسدي . وكان اخص مباراتهم في الركض والوثب والمصارعة والملاكمة ورمي الكرة ترون بعضها مصورًا على طوابع البريد التي اصدرتها الحكومة اليونانية سنة ١٨٩٦ ذكرًا لاعادتها الى بلادهم في تلك السنة . فكان الجزاء للغالب عند اليونانيين اكليلاً من ورق الزيتون فقط اكتفاء بما في الغلبة من الفخر ثم اذا رجع الى بلدهِ لاقاهُ الشعراء والمنشدون رجالاً ونساء وادخلوهُ بالتهليل من ثغر فتحوهُ في السور تكريمًا لما نالهُ من مجد الظفر . ولكنهم غالوا وجاوزوا الحد لما اقاموا في مراسحهم الكفاح بالسيف حتى اذا سقط المغلوب على الارض كان للغالب ان يقتلهُ اولا بحسب ما اراد جمهور المشهد فان كانوا قد رأوا فيهِ علامات القوة والشجاعة رفعوا اباهمهم اشارة الى تركهِ وشأنهِ وان رأوا فيهِ الضعف والجبن خفضوها فكانت القاضية عليهِ بالقتل ثم يجرونهُ من المرسح كالكلب الميت والناس يصفقون طربًا . ودامت هذه العادة الوحشية الى القرن السادس

للتاريخ المسيحي ففي يوم من تلك الايام المشهودة والجريح مطروح على الارض والغالب شاخص ببصره الى الناس ليرى هل يريدون قتلهُ او تخلية سبيلهِ وثب راهب من خدمة الدين الى حفرة المتصارعين ورفع يدهُ نحو السماء ناشدًا القوم بالله ان لا يرتكبوا جريمة القتل . وكانوا حينئذٍ في حالة الهياج الشديد فرجموهُ بالحجارة الى ان مات شهيدًا. ولما وصل الخبر الى ثيودرك امبراطور الرومانيين في ذلك الحين تحركت فيهِ عواطف الرأفة وامر بابطال تلك العادة القبيحة فكان موت الراهب الشهم الجسور موتًا لها . ومن ذلك الزمان الى الآن لم يبق لها اثر الاَّ مقاتلة الرجال للثيران في اسبانيا وهي مكروهة مذمومة عند غيرهم من الامم الاوربية لما فيها من القساوة والعذاب للحيوان والانسان فلا بد من زوالها في عهد قريب

وقد تبيَّن لكم ايها الشبان مما تقدَّم ما يمكنكم اجتناؤُهُ من الفائدة العظيمة مدة الشباب من ترويض الجسد وتصليب اعضائهِ من حيث القوة في العمل واللذة في العافية ونشاط العقل في مهامّ الحياة. وقد كان الكلام في ما سبق من الوجه الايجابي واطلت البحث فيهِ وبقي الآن ان اقول شيئًا وجيزًا من الوجه السلبي . وحاصلهُ ان ابعدوا عن كل ما يوجب الضعف وعن كل عادة من العادات السرّية او الظاهرة التي تنهك قواكم وتذهب بمروءتكم وألقوا عن انفسكم كل نوع من الكسل والتواني في دروسكم واعمالكم . واجتنبوا التدخين فان الافراط فيهِ يضعف القابلية للطعام وهضمهُ ويفسد رائحة الفم ويفعل فعلاً ذريعًا في المجموع العصبي ويعارض النموّ الذي انتم لا تزالون في دورهِ فهو محرَّم عليكم في هذا السن. واحذروا كل نوع من المشروبات الروحية فانها كيفما كانت لغيركم فهي سمٌّ لكم . ولا تقربوا شيئًا من المقامرة التي تتلف الزمان وتفسد الاخلاق وتهيج المطامع وتذهب بخلوّ البال وراحة النوم ولذة العافية وتؤدي الى خسارة المال وخراب البيوت آجلاً او عاجلاً . وقد درس بعضكم وسمع البعض الآخر بالجراثيم المرضية المنتشرة في الهواء والماء والطعام او التي يحملها البعوض والذباب فاعلموا ان الطبيعة قد هيأَت في الدم خلايا خاصة لمقاتلة المكروب على انواعهِ واهلاكهِ بحيث اذا دخل الدم لاقتهُ تلك الخلايا وابتلعتهُ فان كانت اقوى منهُ قتلتهُ ولاشتهُ ولكن اذا كان هذا الجيش المدافع ضعيفًا مما تعملون من الاسباب المضعفة لهُ قوي عليهِ المكروب الغازي وقتلهُ واهلكهُ واستفحل في الجسد وفتك بالصحة او الحياة . وعلى ذلك فكل ما يأْول الى حسن الصحة فهو ناصرٌ لما في الجسم من قوة الدفاع وكل ما يوهن تلك القوة فهو حليف العدوّ والعاضد لهُ في البطش ولا يحلُّ للانسان ان يُلقي بيدهِ الى التهلكة

ستأْتي البقية

الخطر الابيض والخطر الاصفر

يرى بعض كتّاب الافرنج ان روسيا جنت على الجنس الابيض ما لم يجنهِ رجل ابيض على اخيهِ من قبل . فانها اقدمت على محاربة اليابان ولم تستعد لذلك كبرًا واستهانة حاسبة انها في اضعفها تفوق اليابان في اشدها وانها ستعقد الصلح مع اليابانيين في طوكيو عاصمتهم بعد اذلالهم ولا يلزم لذلك من الزمان اكثر مما قدر الانكليز لشرب الشاي في عاصمة الترنسفال ولكن الرياح جرت بما لا تشتهيهِ سفنها وعادت من المعمعان وقد فقدت كل شيء سوى شرف جنديتها واظهرت للصفر ضعف البيض في نزالهم واشعرتهم بقوتهم المستكنة فيهم . وبناء على ذلك سيهبون من سباتهم العميق ويأخذون بالثار من البيض لقاء استخفافهم بهم واعتدائهم على املاكهم هذا الزمان الطويل . وهنا مصدر الخطر الاصفر

ولكن فئة اخرى من الكتاب ترى غير ذلك . ترى ان نتيجة الحرب الحاضرة كفُّ يد الابيض عن الاصفر ليس الاَّ اعتقادًا بان الميل الى السكون والمسالمة خلق من اخلاق الرجل الاصفر الجوهرية وطبع فيهِ يغلب كل تطبع . ومنهم المستر لنتش الرحالة كاتب هذه المقالة فانهُ نشرها في مجلة القرن التاسع عشر بعنوان " الخطر الابيض " وابان فيها انهُ ان وجد هناك خطر فهو الخطر الابيض اي خطر ابتلاع الرجل الابيض للاصفر وقد زال بالحرب الحاضرة . اما الخطر الاصفر فوهم من الاوهام او حلم في المنام . قال

تعدُّ حرب روسيا واليابان فاتحة عصر جديد في تاريخ علاقتنا بالشرق ويرجح ان تكون نقطة انقلاب في مجرى الحوادث المستقبلة . هل خطر على بالنا نحن الغربيين الذين كثر تحدثنا بالخطر الاصفر ان نقابل بعين الشرقي بين الماضي والحاضر لنرى ماذا يقولهُ المشارقة عنا . فلا بد ان يكون قد رأى الخطر الابيض على ازدياد سنة فسنة منذ ابتداء علاقتنا بالشرق حتى الآن حين اشتد ساعد اليابان ونهضت تروم ايقافنا عند حدنا . وكل من خبر الشرق ولو قليلاً لا يعسر عليهِ تصور ما يظنهُ الصينيُّ واليابانيُّ فينا وما يشعران بهِ من نحونا . واذا تذكرنا تاريخ الماضي ونظرنا اليهِ بعين خالية من الغرض لم يدهشنا سلوكهما لانهُ نتيجة لازمة لابد منها

قال المسيو اناطول فرانس " ان ما يؤَديهِ الروس الآن في بحار اليابان وسهول منشوريا انما هو ثمر سياسة الشره والقسوة التي اتبعوها في الشرق وثمر السياسة الاستعمارية التي جرت

اوربا كلها عليها ايضاً . وما يكفرون بذلك عن ذنوبهم وحدهم بل عن ذنوب العالم المسيحي كلهِ في خطتهِ الحربية والتجارية "

اما الخطر الاصفر الذي بات اشهر من ان يذكر بعد ما قال الكتَّاب فيهِ ما قالوا وبعد الصورة التي صوّرها بهِ امبراطور الالمان — فانما هو رجم بالغيب او وهم من الاوهام . غير ان الخطر الابيض ليس في شيء من ذلك بل هو حقيقة قُدَّت من جسم قارة اسيا وصبغت بدم الرجل الاصفر . فانهُ لما دخل الروّاد والتجار الاولون بلاد الصين واليابان استقبلهم اهلوها على الرحب والسعة ورغبوا في معاملتهم بشرط ان يخضعوا لقوانين البلاد ولا يتعرضوا للشؤون الاجتماعية والسياسية . وبعد سقوط دولة منغ الصينية في القرن الخامس عشر أُقفلت ابواب الشرق الاقصى في وجه كل اجنبي حتى القرن السادس عشر حين جعل السياح من اسبانيا والبرتوغال يرتادون الصين قصد الاكتشاف فكان الاهالي يرحبون بهم وسمح امبراطور الصين حينئذٍ لبعضهم بالاقامة في ثغر كنتون للاتجار ولكنهم طغوا وتجبروا وساء سلوكهم حتى اضطرّت الحكومة ان تبعد احدهم من كنتون واسمهُ سيمون اندرادا قصاصاً على ما ارتكب من الذنوب فسافر شمالاً ونزل في اموي ونبو وتبعهُ غيرهُ اليها فعاثوا في البلاد سلباً ونهباً واغتصاباً فثار الصينيون عليهم وذبحوا مئات منهم واحرقوا عدداً كبيراً من سفنهم واصدر الامبراطور امراً بقطع كلّ علاقة معهم

وبعد ذلك أُنفذت الامبراطورة كاترينا الاولى الروسية الكونت فلادسلافتش في مهمة الى بكين فاكرم امبراطور الصين وفادتهُ وعقد معهُ معاهدة تجارية ولكن الاهالي لم يشاؤوا معاملة الاجانب فابلغوا الروس انهم يكرهون التجارة الاجنبية لان بلادهم تخرج لهم كلّ ما يحتاجون اليهِ من حاجي وكمالي وانهم قانعون بما هم عليهِ لا يطلبون المزيد ولكن الروس ظنوا ان لهم حقًّا في المتاجرة بينهم رضوا بذلك او لم يرضوا وحذا سائر الاوربيين حذوهم فيما بعد

ولتنجلي للقارىء الحقيقة في هذا الشأن لنسمع ما قالهُ صيني عن سبب قطع العلائق بين بلادهِ والغرب لاول مرة مخاطباً بهِ الاوربيين . قال

" لما جاء قومكم الاولون الى الصين لم يكن مجيئهم بدعوة منا فسمحنا لهم بالاقامة بيننا ولو لم نحتفِ بهم . وكنا نعاملهم ونتاجر معهم ما داموا خاضعين لقوانيننا . واول خلاف بيننا وبينهم وقع على مسألة لم تجرأُوا انتم انفسكم على المدافعة عنها اعني بها سلوككم فان قسماً كبيراً من تجارتكم كان بالافيون وكنا قد رأينا ان شرب هذا العقار متلف لاجسام الاهالي مفسد لآدابهم فحظرنا الاتجار بهِ . ولكنّ تجاركم خرقوا القانون وجعلوا يهرّبون الافيون حتى

اضطررنا ان نداوي العلّة بانفسنا فضبطنا كلَّ ما وجدنا منهُ واتلفناه. فعدَّت حكومتكم عملنا هذا ذنباً وتمحلت منهُ لها عذرًا لان تشهر الحرب علينا . فغزوتم ارضنا وفرضتم علينا غرامة واخذتم منا جزيرة هنغ كنغ فرضينا مكرهين لاننا لم نكن دولة حربية. ولكن هل تظنون اننا لم نتألم ونستفظع الامر أو هل تظنون لما قامت كلُّ دولة من دول اوربا ووضعت يدها على قطعة من ارضنا اننا لا نشعر لاننا لم نقاوم. ايراكم الصينيُّ الذي يراجع تاريخ اتصالكم بنا في الستين سنة الماضية خيرًا من زمرة لصوص او جماعة قرصان. ومَنْ مِنَّا نحن الفريقين تراهُ الفريق المعتدي أنحن الذين كنا عاقدين النية على الاحتفاظ بهيئتنا الاجتماعية وعاداتنا وشرائعنا ونظام حكومتنا وصونها من شوائب التمدن الاجنبي ام انتم الذين حملكم حبُّ الكسب التجاري على دخول بلادنا وادخال خميرة تمدنكم وآرائكم اليها مع بضاعتكم. واذا كنا قد اسأنا اليكم في نزاعنا معكم بعد ذلك فانَّ لنا عذرًا وهو محافظتنا على انفسنا . واغلاطنا — إن صحَّ أن تسمَّى اغلاطاً — انما هي حوادث مبنية على حقّ ثابت الدعائم ولكنَّ اغلاطكم هي اعمالكم نفسها

تأملوا القيود التي قيدتم بها مملكة عريقة المجد اعتقدت قروناً طوالاً انها في مقدمة الممالك حضارة ومدنية . فلقد اكرهتمونا على فتح موانينا وثغورنا في وجه تجارتكم والسماح بادخال عقار مهلك لشعبنا واخرجتم رعاياكم المقيمين بيننا من تحت سلطة قوانيننا وتملكتم تجارة سواحلنا والآن تدعون تجارة انهرنا . وكلما حاولنا مقاومة مطالبكم اضفتم اليها مطالب جديدة وزدتم اعتداء وخيلاء . ومع ذلك كلهِ تدعون انكم امم متمدنة ساقها النكد وسوء الطالع الى معاملة امم همجية "

اما الحوادث التي جرت في الصين في خلال الخمسين سنة الماضية فتشبه معاقبة الصينيين لقاتل ابيهِ بقطع قطعٍ من بدنهِ. فاننا بدأنا تنفيذ الحكم بقطع هنغ كنغ وتلتنا فرنسا فاقتطعت الهند الصينية بلا اقل عذر . ثم روسيا فاقتطعت بورت ارثر ومنشوريا ثم المانيا فاقتطعت كياوشاو . وفي اوربا كثيرون يرون ان ذلك خير ما ينال الصين وانهُ لابد من تصيير اهلها غربيين في تمدنهم ونوع اجتماعهم رضوا بذلك او لم يرضوا . على ان الذي يجوب الصين ويقابل بين معيشة الاهالي الذين عاشروا الاوربيين وخالطوهم ومعيشة الاهالي الذين في داخلية البلاد يشك في ما اذا كان الاولون احسن حالاً من الآخرين . نعم ان وسائل الرفاه المادية زادت زيادة قليلة ولكن بعد ان دفع ثمن غالٍ بها . فان بعض نتائج مدنيتنا النزاع والمزاحمة والتعب وبعض نتائج المدنية الشرقية السلام والقناعة والراحة وليست هذه الراحة في شيءٍ من كسل الهمج والمتوحشين بل هي جزاء كدّ وكدح لا مثيل لهما . ولا غنى

للذي يروم الوقوف على حقيقة ما هي البلاد وما هم اهلها عليهِ من السياحة فيها

وقياس المدنية الغربية عند الصيني ما يراهُ منها في شنغاي وتيان تسن وهنغ كنغ وغيرها من الثغور المفتوحة لتجارة الاوربيين فهناك يرى الابنية الباذخة والشوارع الواسعة والجواري المنشآت كالاعلام والنظافة الخارجية التي اساسها الماءُ والصابون. هذا كلُّ ما يراهُ من الحسنات ثم ينتقل منها الى حانات المسكر واماكن الفسق والخلاعة فتحجب مساوئها وشرورها محاسن الاولى في اعين قوم لولا الافيون الذي اكرهناهم على اعتيادهِ لكانوا من اهل الصحو والاعتدال. فان شوارع المدن المذكورة وغيرها ملآى من حانات يجرع قاصدوها المسكر على نغمات بيانو تلعب عليهِ عاهرة من العواهر حتى يخيل للصيني الذي يشاهد ذلك ان السكر والدعارة اعظم مايتسلى بهِ الاوربي. ولا يسع شعباً هو ارق شعوب الارض جانباً واوفرها ادباً واكثرها تجملاً ولطفاً الاَّ ان يقابل اخلاقهُ هذه بصلف الاوربيين الذين يعاشرهم وخشونة طباعهم وشدة خيلائهم. ثم انهُ لايدرك معني سعيهم في اخراجهِ عن مذهب كنفوشيوس وبوذا ونقائصهم ورذائلهم اكثر جلاءً من الصبح لذي عينين. وهو يعد طغمات المرسلين والمبشرين خطراً عليهِ وعلى بلادهِ وحقهُ ان يعدهم كذلك لان المبشرين بانجيل السلام لم يكونوا في غالب الاحيان سوى ممهدين للقلاقل واغتصاب البلاد من اهلها

اما اليابان فلم يكن اهلوها اقل من الصينيين اكراماً لضيوفهم من رواد وتجار فانهم اكرموا وفادة المبشرين بينهم من عهد القديس فرنسيس زفير في اواسط القرن السادس عشر ولم يغيروا معاملتهم لهم حتى جعل المرسلون يتعرضون للسياسة او حتى اشتبه الاهالي في تعرضهم لها

وفي سنة ١٨٥٣ نزل الكومودور بري الاميركي الى يوكوهاما قصد الاتفاق مع اليابانيين على فتح بعض ثغورهم للتجارة الاجنبية. فانقسم ولاة الامر منهم الى قسمين قسم يرئسهُ البرنس ميتو وكان من رأيهِ رفض ماطلبهُ الكومودور بري قائلاً انهُ لما كانت التجارة غرضهُ وغرض قومهِ فسوف يخربون البلاد تدريجاً ويعاملوننا كيف شاؤُوا وربما انتهت الحال بابتلاعهم اليابان . فاذا لم نطردهم الآن فلن تسنح لنا فرصة اخرى لطردهم في مستقبل الزمان . واما القسم الآخر فكان زعيمهُ الشوغن فقالوا ان اليابان لاتقوى على مقاومة الغريب وان افضل خطة تجري عليها عقد المعاهدات باحسن مايمكنها من الشروط حتى يأتي يوم تقتني فيهِ سلاح الغربيين وتحسن استعمالهُ. وعلموا ان الحق لاينفع مالم تظاهرهُ القوة . فرجح قولهم وعقدت معاهدة بين الشوغن والكومودور بري سنة ١٨٥٤ واخرى سنة ١٨٥٧ . وفي السنة التالية عقدت معاهدة بين انكلترا واليابان اشترطت اليابان فيها على انكلترا ان لاتدخل افيوناً الى

بلادها . وتلت انكلترا غيرها من الدول الاوربية

واول قتال بين اليابانيين والغربيين جرى سنة ١٨٦٣ حين أُسكتت مدافع اليابانيين وأُغرقت ثلاث من سفنهم وكانت نتيجة تلك المعركة اقناع اليابانيين باقتباس سلاح خصومهم واقتباس التمدن الذي يقتني ذلك السلاح . وهنا كل الفرق بين هذين الشعبين الصيني والياباني فان الاول اتخذ السياسة سلاحاً لهُ على ضعفها واما الثاني فانهُ ادرك السبيل الوحيد الى حفظ استقلالهِ وهو السلاح الماضي ورأى في اخضاع انكلترا للهند واستيلائها عليها عظة وعبرة لاتبرحان عن بالهِ . ولم يفعل اليابانيون ما فعلوا اعجاباً بمدنيتنا او علومنا او فنوننا او عاداتنا او مذاهبنا او آدابنا بل دفاعاً عن انفسهم من الخطر الابيض . وليس في تاريخ العالم ما يماثل شدة اندفاعهم وقوة ثباتهم في قضاء مآربهم وتنفيذ الخطة التي رسموها لانفسهم .

ومن دلائل فطنتهم وامتلاكهم لاهوائهم انهم احجموا عن مقابلة قوة الغرب بالقوة حتى اتموا استعدادهم لذلك . فانهم لما شهروا الحرب على الصين علموا ان في طوقهم اذلالها على اهون سبيل ولما أُمروا باخلاء بورت آرثر خيف ان يتمرد الجيش ولا يصدع بالامر ولكن المارشال اوياما بذل كل مالهُ من النفوذ الشخصي حتى تمكن من حمل الجيش على اطاعة الامر واخلاء القلعة

وفي سنة ١٨٧٣ كانت الحرب بين روسيا واليابان على قاب قوسين او ادنى بسبب كوريا فان الوفد الياباني عاد من اوربا مدهوشاً بما كانت الدول وخصوصاً روسيا تبذلهُ من الاستعداد الحربي فكتب تشيمتشي تقريراً قال فيهِ ان روسيا بتوسيع املاكها جنوباً باتت الخطر الاعظم على اليابان وعليهِ فان الغاية الاولى التي يجب ان ترمي سياسة اليابان اليها انما هي صدّ روسيا عن التقدُّم في كوريا . ورأى كثيرون من رجال الحكومة اليابانية حينئذٍ ان خير السبل الى بلوغ ذلك المرمى ان تشهر الحرب على روسيا حالاً ووضعت الخطط لغزو كوريا واحتلالها ولكنَّ الاكثرية رأت انهُ لم يئن الاوان لذلك وفازت برأيها قائلة انهُ اذا تأنت اليابان نالت ما تتمنى من روسيا . ومن ذلك العهد وضع كلُّ يابانيّ نصب عينيهِ محاربة الروس عاجلاً او آجلاً . وكانت حرب الصين تجربة أسفرت عن نتيجة مرضية لليابانيين وهي معرفتهم انهم اصبحوا اهلاً لتقلُّد سلاح الغربيين واستعمالهِ ولكن ختامها وقع وقع الصاعقة في قلب الامة كلها لاتخذالها في ميدان السياسة وحرمانها من بورت آرثر ثمرة انتصارها ظلماً وعدواناً بمكيدة دبّرها بعض الدول الاوربية فزادت خوفاً على خوف من الخطر الابيض وباتت تحسب لهُ الف حساب

هذا وقد كان اشتراك اليابانيين في الحملة الاوربية المختلطة التي وجّهت على الصينيين

سنة ١٩٠٠ كافياً ليرينا ما بلغتهُ الجيوش اليابانية من الدربة في ضروب القتال. وقد كنت في اليابان قبل اعلان الحرب الحاضرة بسنة فرأيت هناك دلائل كثيرة على ان الامة كانت تستعدُّ لهذه الحرب الهائلة وانها تتوقع اعلانها في القريب العاجل. ثم غادرت البلاد وانا موقن ان الحرب واقعة لا محالة وانهُ لا تمضي شهور كثيرة حتى يستطير شرارها ويثور غبارها. ولكني عدت فغيَّرت رأيي وانا عائد الى بلادي بطريق سيبيريا وروسيا لما رأيت الروس على تعدد طبقاتهم مجمعين على القول ان لا حرب وان اللعبة التي يلعبونها في الشرق الاقصى مجرَّد تهويل او ما يسميهِ لاعبو البوكر "بلَفّ" فلعبوا لعبتهم ولكنهم تمادوا في تهويلهم الى حدّ ان لم تجز حيلتهم على خصومهم فسقط في ايديهم وعادوا من لعبتهم بخفي حنين

ولما اطلق اليابانيون مدافعهم الاولى في هذه الحرب على السفينتين فارياق وكورتز الروسيتين في ميناء شملبو كان لاطلاقها معنى غير اعلان الحرب على روسيا وهو ان الشرقيين قاموا يناهضون الغربيين بعد طول الاستعداد لمنع اعتدائهم عليهم وانهم كالوا للكومودور بري الاميركي بالكيل الذي كال لهم وعقدوا النية على صدّ الخطر الابيض بالقوَّة. وقد دلَّت حوادث السنة الماضية على ان اليابانيين لم يقدروا قوتهم فوق قدرها. ومهما يكن هناك من الريب في نتيجة المعركة البحرية عند كتابة هذه السطور لا سيما بعد ما ابداهُ الاميرال روجستفنسكي الروسي من المهارة في ايصال اساطيلهِ الى مياه الشرق الاقصى فلا يكاد احد يرتاب في نتيجة الحرب الاخيرة. فاذا اصرَّ الروس على مداومة الحرب فلا بدَّ ان يصيب ڤلادڤستوك ما أصاب بورت آرثر وينالهم في خربين ما نالهم في مكدن

ومما لا يكاد يشكُّ فيهِ ايضاً ان من شروط الصلح اخلاء روسيا لمنشوريا وردَّ جزيرة سغالين الى اليابان. وقد اخذت نتائج هذه الحرب تبدو على الصين من كلّ جانب وزادت الحركة الآئلة الى سير الصين في خطة اليابان. وقصد اليابان في السنة الماضية عدد عظيم من التلامذة الصينيين لم يسبق لهُ مثيل ففي توكيو وحدها اربعة آلاف تلميذ على حين ان عدد التلامذة الصينيين في انكلترا لا يزيد على ٨٠ تلميذاً مع عظم التجارة التي بين انكلترا والصين. وفي الصين عدد كبير من الضباط اليابانيين يعلمون الجيش الصيني ويدربونهُ ويديرون ترسانات الحكومة. فتأثير هؤُلاء والتلامذة الصينيين عند رجوعهم الى بلادهم في جمهور الامة الصينية لا بدَّ ان يكون عظيماً. ومع ان نار الحرب مستعرة بين روسيا واليابان فقد زادت حركة التجارة ما بين الصين واليابان زيادة تذكر مما ينبئُ بعظم اتساعها بعد الحرب. ويؤمل اليابانيون ان ينالوا امتيازات من الصين بالتعدين ومدّ سكك الحديد في بلاد فوكيان

قياضاً بردّ منشوريا اليها . وبلاد فوكيان هذه هي البلاد المواجهة لجزيرة فرموزه على ساحل الصين الشرقي وهي ضمن دائرة نفوذهم

على ان من نتائج الحرب التي لا بدّ منها تمكين ربط الوداد بين تينك السلطنتين الاسيويتين وتقريب الواحدة منهما الى الاخرى . وحالما يشتدّ ساعد الصين وتصبح من الدول التي يعتدّ بمحالفتها لا يبعد ان نرى بينها وبين اليابان محالفة هجومية دفاعية . وظاهر للعيان انهُ قد آن الاوان لان تردّ الدول يدها عن الشرق الاقصى ولا تمدها فيما بعد لامتلاك بقاع منهُ . ولا يبعد ان تفضي الحال الى اكثر من ذلك عاجلاً او آجلاً فيصلنا انذار بان نخلي واي هاي واي بعد طرد الروس من بورت آرثر وتنذر المانيا باخلاء كياوشاو ولعمري ماذا يفعل الالمانيون لو جاءهم هذا الانذار وما هي القوة التي يقاومون اليابان بها . وقس علينا وعلى المانيا فرنسا

فيظهر من ذلك ان الخطر الابيض في شرق اسيا صائر الى الزوال ان لم يكن قد زال وان قاعدة منرو[1] التي يجري الاميركيون عليها من جهة اميركا مطبوعة في صدور مئات الالوف من الاسيويين من جهة اسيا ونافذة فعلاً ولو لم يصرح بها قولاً . وسيرى كثيرون في ذلك تحقيقاً لاعظم مخاوفهم من الخطر الاصفر . قال المسيو اناطول فرانس " وسنرى عن قريب خطراً يتهددنا . فاذا وُجد فمن أوجدهُ . فليس اليابانيون هم الذين جاءوا يفتشون عن الروس ولا الصفر هم الذين يفتشون عن البيض . وان كنا قد درينا بالخطر الاصفر الآن فان الاسيويين دروا بالخطر الابيض منذ زمن طويل . ألم يكن دك القصر الصيفي الى الارض ومذابح بكين وتقطيع اوصال الصين اسباب قلق واضطراب للصينيين . ام كان اليابانيون آمنين على انفسهم ومدافع بورت آرثر مصوبة اليهم . فقد ولدنا نحن الخطر الابيض وهو ولد الخطر الاصفر "

وكما ان الخطر الابيض ولد الخطر الاصفر فكذلك موت الاول يجلب موت الثاني . فان من يلم بتاريخ الصينيين ويعلم حق العلم ما طبعوا عليهِ من المسالمة وكره المخاصمة يضحك استهزاءً بمن يقول انهم يغيرون ذلك الخلق فيهم وينقلبون من تلك السجية الى ضدها فيصيرون محاربين بعد ان كانوا مسالمين لان ذلك يستلزم تغييراً جوهرياً في طبع الامة كلها والصينيون لا يقبلون تغييراً . انتهى

(١) احد رؤساء الولايات المتحدة الاميركية وقاعدته اميركا للاميركيين

التحوُّل الفجائي

MUTATION

لا يخفى ان انواع الحيوان والنبات كثيرة مختلفة بعضها عن بعض يسهل تمييزها لما بينها من الفوارق او المميزات فالانسان غير الفرس والفارة غير الهرة والتفاح غير البرتقال والفول غير القطن . وكذلك اصناف النوع الواحد مختلفة اختلافاً كبيرًا فتجد بين اصناف الكلاب فروقاً تكاد تجعلها انواعاً مختلفة منها ما هو كالحمار في جرمهِ ومنها ما تضعهُ في جيبك لصغرهِ . منها ما هو صغير البدن كبير الراس مستديرهُ ومنها ما هو كبير البدن صغير الراس مستطيلهُ . ومنها ما شعرهُ طويل اجعد متدلٍ كأنهُ شعر النساء المرجَّل ومنها ما لا شعر لهُ بل هو بادي البشرة كأن جسمهُ جسم الانسان . وتكثر هذه الاصناف في الفاكهة والخضر والبقول والازهار كالليمون والعنب والتفاح والطماطم والفلفل (الفليفلة) والورد . فاصناف الليمون كثيرة مختلفة شكلاً ولوناً وطعماً حتى يتعذر حسبانها كلها من نوع واحد وكذلك اصناف العنب والتفاح والطماطم والفلفل والورد وكل عام تتولَّد اصناف جديدة منها

لكن هذه الاصناف والانواع مهما اختلفت وتباينت تبقى متشابهة في امور كثيرة فلكلٍ من الانسان والفرس رأس ودماغ وفم وعينان واذنان ومنخران وفكَّان واسنان ولسان وقصبة ورئتان وكبد وقلب ومعدة وامعاء وكليتان ويدان ورجلان وعظام ولحم وجلد وشعر الى آخر ما هنالك مما يشترك فيهِ الانسان والحيوان وهو كل عضو جوهري ظاهرًا وباطنًا بل هما يشتركان في اصل هذه الاعضاء وما تتركب منهُ من الشرايين والاوردة والالياف والحويصلات الاصلية التي تتركب اجسامهما منها . واذا شرَّحت فارة وشرَّحتَ انسانًا فقلما تجد بينهما فرقاً في شيء جوهري . ولا تجد في جسم الانسان شيئًا لا تجدهُ في جسم الفارة فتجد اصابع اليدين والرجلين متشابهة تشابهاً تامًا واغشية العين وبلوراتها ورطوباتها تجدها متماثلة كأنها افرغت في قالب واحد . ويزيد هذا التشابه في اجنَّة الحيوانات فتجد اجنَّة الانسان والفرس والكلب والطائر متشابهة تمامًا في ادوارها الاولى حتى لا تكاد تفرق بينها . وشجرة التفاح وشجرة البرتقال تتشابهان في الاغصان والجذور والورق والزهر والثمر والنمو والتفرُّع وكذلك نبات القطن ونبات الفول وهلمَّ جرًّا . والتشابه بين الاجزاء الاصلية المؤلفة منها اوفى واتم ومع ذلك كلهِ لم يسمع في تاريخ البشر من اول عهدهم الى الآن ان فرسًا صار انسانًا او كلبًا صار ثورًا ولا ان برتقالة صارت تفاحة او تينة صارت رمانةً بل هذه الانواع مستقلَّة بعضها عن بعض وقد كانت

مستقلة كذلك منذ الوف والوف الوف من السنين. ولكن البحث في المتحجرات الارضية يدلُّ على ان هذه الانواع لم تكن كذلك منذ اول عهدها بل كان لكثير منها اصل واحد يجمعها ومنهُ اشتُقَّت كما اشتقَّت الاصناف المختلفة من النوع الواحد والانواع المختلفة من الجنس الذي يجمعها وهذا هو النشوء الذي قال بهِ دارون وغيرهُ من علماء الطبيعة واستدلوا على انهُ عمل بطيء جدًّا اقتضى الوفًا وملايين من السنين حتى بلغت بهِ انواع الحيوان والنبات ما بلغت من التعدُّد والتباين وعلَّلهُ دارون وغيرهُ بالانتخاب الطبيعي والجنسي والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح مما بيناهُ غير مرة في شرح مذهب دارون

لكن هذا المذهب لم يسلم من اعتراضين كبيرين الاول ان بعض انواع الحيوان والنبات لم تتغير قط منذ العصور الجيولوجية الاولى الى الآن مع انها تعرَّضت لما تعرَّض لهُ غيرها من موجبات هذا التغيُّر. والثاني ان التغير المشاهد في الانواع بطيء جدًّا حتى ان الزمن الذي قدروا اولاً انهُ مرَّ على الارض من حين صارت صالحة لمعيشة الحيوان فيها الى الآن لا يكفي لتولد الانواع وتباينها فاضطرَّ العلماء الطبيعيون والجيولوجيون ان يعيدوا النظر في تاريخ الارض لعلها تكون اقدم مما قدَّروا اولاً فاوصلوا قدمها الى مئة مليون سنة

وقد كان يخطر لنا خاطر نراهُ معقولاً ولو لم نرهُ مثبتًا بالامتحان العلمي وهو ان حياة النوع مثل حياة الافراد التي يتألف منها ذلك النوع كما ان حياة الفرد مثل حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فكما يولد الفرد وينمو وتمرُّ عليهِ ايام او سنون قبلما يبلغ اشدَّهُ ثم يلد افرادًا آخرين في احوال مخصوصة كذلك النوع يولد وينمو وتمرُّ عليهِ قرون كثيرة ثم يلد انواعًا أُخرى في احوال مخصوصة. فالنوع فصل قائم برأسهِ كالفرد ولهُ حياة طويلة نسبتها الى حياة الفرد كنسبة حياة الفرد الى حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فان جسم الحيوان مؤلف من حويصلات صغيرة وكل حويصلة منها تولد وتلد حويصلة مثلها ثم تموت وتندثر في ساعات او ايام والحيوان يولد ويلد ثم يموت ويندثر في سنة او سنوات واذا مشينا على هذا القياس فلا يبعد ان يجري النوع والجنس هذا المجرى فيكون للكون كلهِ نظام واحد من اعلاهُ الى اسفلهِ

ولا بدَّ من ان يكون هذا الخاطر قد خطر لكثيرين قبلنا ولكن الذين بحثوا عما يؤيدهُ قليلون اولهم الاستاذ ده ڤريس الذي قال ان الانواع تتولَّد فجأَة وسمَّى ذلك بالتحوُّل الفجائي Mutation كما سيجيء

وقد اطَّلعنا الآن على تفصيل حادثتين شاهدهما الدكتور تشارلس هويت من علماء اميركا تدلان على حدوث التحوُّل الفجائي في الطماطم فرأَينا ان نلخص ما ذكرهُ عنهما ثم نشفعهُ

بخلاصة التجارب التي جربها الاستاذ ده فريس النباتي الهولندي صاحب هذا الرأي

قال الدكتور هويت اشتريت سنة ١٨٩٨ نحو ٢٤ نبتةً من نبات الطماطم من الصنف المعروف "بالاكم" ونقلتها قبلما تزهر الى حديقة صغيرة حول بيتي فعاشت وازهرت واثمرت وكان ثمرها من ثمر الصنف الذي هي منهُ تماماً . كان النبات كلهُ كبيراً دقيق السوق بلغ طولهُ اكثر من مترين فاستلقى على الارض ولون ورقهِ اخضر باهت وفصوصهُ ضيقة بعيد بعضها عن بعض ذات زُنَيدات طويلة وسطحها قليل التغضن وثمرهُ معتدل الحجم كروي مسطح او مستطيل عرضاً ينضج في وقت واحد وهو مشحم طيب الطعم يستحيل من اللون الاخضر الى الاحمر القرمزي مع قليل من الصفرة

واخترت البزر من اجود هذه الاثمار وصرَّرت عليهِ وزرعتهُ في حديقتي في السنة التالية وانتظرت ان يكون النبات من صنف الاكم لان هذا الصنف صار ثابتاً ولانني اعتنيت اعتناء خاصاً حتى يبقى خالصاً لا يمتزج بغيرهِ ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها شيء من نبات الطماطم مطلقاً. فنبتت البزور وكبر النبات واذا هو مخالف للنبات الاصلي الذي اخذت البزر منهُ في شكلهِ وشكل ثمرهِ وفي كل الصفات المميزة لهُ وبان هذا الاختلاف من حين ظهر النبات من الارض اي في الاوراق الاولى منهُ وكانت الاوراق الاولى ثلاثاً وهذا شيء لم ارهُ في نبات الطماطم قبل ذلك. ونما النبات وبلغ اشدَّهُ وكان منتصباً مجموعاً ولا يبلغ ارتفاعهُ الاَّ نحو متر وثلث وكانت فروعهُ قليلة متينة ولون ورقهِ اخضر قاتماً وزنيدات الاوراق قصيرة قوية والوريقات عريضة غير بعيدة بعضها عن بعض وسطحها كثير الغضون والثمر مثل ثمر النبات الاصلي شكلاً ولكنهُ يختلف عنهُ لوناً وطعماً فهو اشد حمرةً منهُ واطيب طعماً ولا شيء من الصفرة فيهِ . ولم احفظ بزوراً منهُ بل اهملتهُ وظننت انهُ صنف جديد ضاع باهمالي لهُ

وسنة ١٩٠٠ اشتريت من شركة البزور في فلادلفيا بزوراً من بزور الطماطم المعروف بالاكم وكان مزروعاً في بنسلفانيا على نحو مئة ميل من الارض التي اشتريت منها نبات الطماطم اول مرة وزرعت البزر وربيت منهُ ثلاثين نبتةً وكانت كلها من صنف الاكم من غير خلاف مثل الذي وصفتهُ اولاً ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها نبات آخر من نوع الطماطم وبلغ النبات اشدَّهُ واثمر واحتفظت ببزورهِ جيداً مثلما فعلت اولاً وزرعتها في العام التالي حاسباً انها تنبت طماطماً من صنف الاكم الذي هي منهُ ولكن جاء الامر الآن كما جاء سنة ١٨٩٩ فانَّ كل نبات من هذه الانبتة وكل ورقة من اوراقها وكل ثمرة من اثمارها جاءت مثل النوع الذي تولَّد عندي سنة ١٨٩٩ تماماً ولا خطأ في ذلك لانهُ لم يهتم احد غيري بجمع البزر

وزرعهِ وخدمة النبات من اول ظهورهِ الى ان اثمر وقد اعتنيت بذلك اعتناء علميًّا كما اعتني بغيرهِ من التجارب العلمية . وسميت هذا الصنف الجديد بطاطم وشنطون وهو مخالف للصنف الذي تولَّد منهُ في الحالين شكلاً ولونًا وطعمًا ثمرًا وورقًا وقد حصل ذلك في هاتين النوبتين دفعةً واحدةً وكان التغيير شاملاً لكل البزور التي زرعتها لم تشذّ عنهُ بزرة واحدة . انتهى باختصار كثير

ويظهر من ذلك انهُ كان في الطاطم الذي زرعهُ ميل للتحوُّل ووجد في الارض التي زُرع فيها فواعل غير عادية ساعدت هذا الميل على الظهور . ولعلَّ الاصناف كلها تولدت على هذه الصورة وكذلك تولدت الانواع بعضها من بعض كأن في ميكروبات الارض وعناصرها ما يفعل بحويصلات النبات فعل اللقاح بالبيوض فتتولد منها اصناف وانواع جديدة كما يتولد حيوان من حيوان ونبات من نبات ويكون ذلك دفعة واحدة لا بالتدريج الذي قال بهِ دارون . والذي انتبه الى هذا الامر اولاً واثبتهُ بالتجارب هو الاستاذ ده ڤريس كما تقدم فانهُ زرع مئة نوع من النبات وكان يراقبها حتى اذا رأى اقلّ اختلاف في نبات منها عن النبات الاصلي المأخوذ البزر منهُ وَضعَ حولهُ غشاء شفافًا ومنع اتصال اللقاح من غيرهِ بهِ وبعد تجارب كثيرة رأى نوعًا واحدًا من هذهِ النباتات قد تغيَّر تغيُّرًا كافيًا لان يسمَّى نوعًا جديدًا وهو النبات المسمَّى بنبات الحمار لان ورقهُ يشبه اذني الحمار واصلهُ من اميركا أُتي بهِ الى اوربا سنة ١٦١٣ وزرع في هولندا واعتاد اقليمها وهو ينبت فيها الآن بريًّا ويزرع بستانيًّا . وقد لوحظ منذ سنة ١٨٧٥ ان هذا النبات اينع حول مدينة هلڤرسم وكثرت اصنافهُ هناك وتنوَّعت كأَنهُ كان في الدور الذي تظهر فيهِ التغيرات الجنسية فزرعهُ ده ڤريس بين ما زرع من النبات في بستان النبات بامستردام وظل يزرعهُ سنة بعد سنة ويراقبهُ مدة اربع عشرة سنة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٠ فتولَّد منهُ شكل جديد سنة ١٨٨٧ وتولَّد منهُ نوعان جديدان سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٩٠٠ صار عندهُ ٨٠٠ شجرة تردّ الى سبعة انواع جديدة لم تكن معروفةً من قبل . وقد انتقى هذه الثمانمئة شجرة من خمسين الف شجرة اي ان التحوُّل الفجائي حدث في ١١/٢ في المئة وتجارب ده ڤريس دقيقة جدًّا لا تحتمل الخطأ

وقد ابان المسيو داستر في مجلة العالمين الفرنسوية ان هذا التحوُّل الفجائي اصاب انواع الحيوان في العصر الجيولوجي الاول الذي تدل عليهِ الطبقة الاولى من طبقات الارض الحاوية الاحافير فقد ابان اغاسز انهُ يظهر من تلك الاحافير كأنَّ انواع الحيوان ظهرت كلها حينئذٍ في برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتضِ تكوّنها زمنًا طويلاً وكذلك ابان

الدكتور تشارلس هويت ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة في العصر الكربوني

ولما ظهرت الزحافات في الدور الثاني ظهر فيها اختلاف كبير فكان بعضها كبيرًا جدًّا يساوي الواحد منهُ اربعة افيال حجمًا وبعضها صغيرًا جدًّا اصغر من الهر وكان بعضها من اكلة اللحم وبعضها من اكلة النبات بعضها مما يعيش في الماء وبعضها مما يعيش على اليابسة بعضها يمشي على اربع وبعضها يمشي على اثنتين كالطيور وكان ظهور هذه الحيوانات كلها على اختلاف انواعها فجائيًّا بالنسبة الى الازمنة اللازمة لتحوُّل الانواع حسب رأي داروين ولا يعقل انهُ وجدت على ذلك الاسلوب ثم انقرضت لانها لا تصلح للبقاء ولكن الاقرب الى العقل انها وجدت بغتةً ثم تغيرت انواعها الى انواع اخرى اي انها ولَّدت انواعًا اخرى قبلما ماتت

ويؤخذ من كلام المسيو داستران التغير الفجائي يبتدئ في النبات عند اول ظهوره من البزرة كأنهُ امر عارض يطرأ عليهِ. ولكن يظهر لنا ان هذا التغير يبتدئ في النبات الاصلي الذي تتولَّد منهُ تلك البزرة حين تولُّدها فيهِ اي كما ان الحيوان ينمو ويتجدد جسمهُ كل سنة ولكن ذاتيتهُ تبقى هي هي ثم يأتي وقت يلد فيهِ حيوانًا آخر غيرهُ لهُ ذاتية مستقلة عن ذاتيتهِ كذلك النوع يلد افرادًا مثلهُ فيبقى متصلاً بها الى ان يأتي وقت يلد فيهِ نوعًا آخر جديدًا مستقلاً عنهُ فيكون النوع الجديد مخالفًا للاصل من حين ولادتهِ وبذلك تكون للانواع ذاتيات مستقلة مثل ذاتيات الافراد كما قدمنا في صدر هذه المقالة . وهذا التحوُّل الفجائي يفسر كل ما يرى من انواع الحيوان والنبات على اسهل سبيل ويدل على وحدة النظام في المخلوقات

حِيَل النبات

اذا صحَّ ما يقولهُ بعض العلماء من ان النبات يشارك الحيوان في الحس كما يشاركهُ في الحياة فليس بدعًا ان يفتق الحيل مثلهُ ويخلق الوسائل المتعددة لصيانة حياتهِ والدفاع عن كيانهِ ويعمد الى امور يشتمُّ منها رائحة الفهم والاستدلال وهي افعال طبيعية محضة لحفظ نوعهِ . فان من الحيوان ما يتغير لون جلدهِ بتغير لون الارض التي يتخذها سكنًا لهُ كبعض انواع السمّور في روسيا فان جلدهُ يبيضُّ في الشتاء متى كسا الثلج الارض اخفاءً لهُ من الاعداء ثم يعود الى لونهِ الاول بعد ذوبان الثلج . والضفادع التي تتسلق الاشجار يتلون جلدها بلون الاشجار وكذلك الضفادع التي تعيش بين الاعشاب ترى لونها مخضرًّا حتى يعسر الاهتداء اليها فيها . وما يقال في السمّور والضفدع يقال في غيرها فنكتفي بهما شاهدين على الحيل التي تستنبطها الطبيعة في الحيوان لحفظ نوعهِ

واذا استُغرب استنباط الحيل في الحيوان للمحافظة على نفسهِ وهو معروف بانهُ ذو شعور واحساس ومنهُ ما هو ذو فهم وادراك فما قولك بالنبات ونسبة الحسّ اليهِ لا تزال مذهباً ضعيفاً . لا ريب ان ما يبدو على النبات من دلائل حبّ الحياة والرغبة في البقاء والدفاع عن نفسهِ من مكايد الاعداء اعجب مما يبدو على الحيوان واغرب بقدر ما بينهما من التفاوت في المنزلة والرتبة

والطرق التي يعمد النبات اليها للمحافظة على نفسهِ كثيرة منها ان بعضهُ ينبت بين العواسج والاشواك لكي لا تمدّ اليهِ يد انسان مغتال ولا فم حيوان جائع

ومنها ان بعض انواعهِ ينزع عنهُ اوراقهُ متى انتهى زمن نموّهِ ويتخذ شكلاً مخصوصاً ويبقى مدفوناً تحت الارض لاسيما حيث يشتدّ القيظ صيفاً والبرد شتاء

ومن النبات ما ينبت تحت الماء فلا تصل اليهِ يد معتدٍ من الحيوانات التي تعيش في الهواء . نعم ان كثيراً من الحيوانات المائية يأكل النبات ولكنّ ضررهُ قليل في جنب الضرر الذي تحدثهُ الحيوانات الاخرى . ثم ان وجود النباتات المائية تحت الماء يقيها قرّ الشتاء في الاقاليم الباردة فان الماء مهما اشتدّ بردهُ لا يتجاوز درجة الصفر بخلاف الهواء كما هو معلوم

ومنهُ ما يتسلق الاشجار و يعرّش عليها فتبيت اوراقهُ بمأمن من الحيوان الآكل النبات كبعض انواع الدوالي واللبلاب

لكنّ من النبات ما لا يقتصر على خطة الدفاع عن نفسهِ بل يتخطاها الى الهجوم على الحيوان الذي يدنو منهُ او يعترض في سبيلهِ اخذاً بالثار من الحيوان الذي يسطو على غيرهِ من اخوانهِ . واشهرهُ نوع ينبت تحت الماء ويرسل خراعيبهُ في كل جهة وفي الخراعيب اكياس صغيرة في طرف كلّ منها اهداب على شكل قمع يؤدي الى ما هو بمنزلة الفم فاذا ضغط من الخارج فتح حالاً ثم انضمّ وانصرم حتى يتعذر على ما دخلهُ من الحشرات والديدان الصغيرة ان يخرج منهُ فهو لها مثل المصيدة للذباب والفئران . ومتى ماتت اغتذى النبات بلحمها

ومن النبات نوع اذا اكتمل نضج بزورهِ انفلق الغلاف الذي يحويها بقوة فانتثرت البزور في كل جانب فعسر على الحشرات الاهتداء اليها لصغرها . ومنهُ البنفسج واللوبياء والخروع وغيرها

ومن اغرب انواع النبات وابهجها نوع من السوسن يقلد الحية ذات الاجراس حيث يكثر وجودها في هيئتها والصوت الذي يحدث منها . فاذا مستهُ بهيمة ترعى عند تمام بلوغهِ ونضج بزورهِ صاتت البزور في غلفها صوتاً يشبه صوت الحية المذكورة فتنفر البهيمة منهُ مذعورة مخافة ان يكون حية فيسلم بذلك الى السنة التالية

ومن البزور ما يقلد الحصى في شكلهِ الخارجي ولونهِ حتى اذا سقطت بزرة على الارض بين الحصى عسر الاهتداء اليها او على التربة ظن انها حصاة فلم يتعرض لها . من ذلك بزور الخروع وبعض انواع اللوبياء . ومن التين الشوكي (الصبير) ما يشبه ورقهُ حجارة الارض التي ينبت فيها من حيث شكلها ولونها فلا يهتدى اليهِ . والمخلوقات كلها في جهاد مستمر يميت بعضها بعضاً ويحيي بعضها بعضاً ويقهر بعضها بعضاً وينصر بعضها بعضاً نظام تحار الافهام فيهِ ولا يسهل الاهتداء الى اسرارهِ وخوافيهِ

جزيرة سخالين (١)

هذه الجزيرة السحيقة الارجاء الشاسعة الاطراف تشغل قسماً كبيرًا من بحر اوختسك وهي منفى للذين يرتكبون الجرائم الكبيرة من الروس . وقد زادت اهميتها بسبب الحرب الحاضرة فجعل ساسة الدولتين المتحاربتين يبحثون في امرها وفي ما يأول اليهِ بعد الحرب . ويذكر القراء ان الطراد الرومي نوفيك غرق امامها في مياه ثغر كورسا كوفسك واليابانيون يجدون في اثرهِ ويطلقون قنابلهم عليهِ حتى اصاب الثغر المذكور نصيب منها . ومن ذلك الحين طرأ انقلاب عظيم على داخلية الجزيرة نشأ عنهُ تخفيف بعض الكرب عن المنفيين وتاليف فصائل متطوعة منهم لحراسة الجزيرة والمدافعة عنها جهد المستطاع . وقد بان واشتهر ان افكار اليابانيين موجهة اليها يتمنون فتحها والاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك

اما تاريخها فمجملهُ ان الاوربيين لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها قبل اوائل القرن الثامن عشر عند ماظهر اطلس الجغرافي الشهير انفيل وهو المسمى "اطلس الصين الجديد" . وظنوا بعد ذلك انها شبه جزيرة ولكن احد السياح الروس طاف شطوطها الغربية سنة ١٨٤٩ فرأى انها جزيرة لاشبه جزيرة . اما اليابانيون فعرفوا انها جزيرة منذ زمن طويل فان احد مهندسيهم وضع خريطة دقيقة لها سنة ١٨٠٨ فلم يعلم الاوربيون بها الا حديثاً

وفي سنة ١٨٦٧ عدت هذه الجزيرة ملكاً مشاعاً يحق للجميع الانتفاع بهِ ولكن وقع نزاع عليها بين الروس واليابانيين وعدها كل منهم ملكاً لهُ حتى اضطر الامر الى عقد مجلس من مندوبي الفريقين فقرر انهُ يجوز لمن اراد من الطرفين الانتفاع باراضي الجزيرة والجولان فيها بلا معارضة وان يعد القسم الجنوبي منها من المستعمرات اليابانية . ثم ابرم الفريقان اتفاقاً سنة

---

(١) معربة عن الروسية بقلم عساف افندي جرجس وهبه

١٨٧٥ ومآلهُ انتقال الجزيرة الى ايدي الروس ووضع اليابانيين يدهم على جزائر كوريل بدلاً منها

ومخرت باخرة من بواخر الاسطول الروسي المتطوع في مياهها سنة ١٨٧٩ وهي تقل عدداً كبيراً من المنفيين . وفي كل سنة يرسل اليها عدد منهم . وقد تألفت لجنة للاهتمام بسكناهم ومعيشتهم وتدبير شؤونهم

والجزيرة غنية بالمعادن وخصوصاً الفحم الحجري والبترول والحديد ولكن تربتها لا تصلح للزراعة . واعظم ما يرغّب اليابان فيها كثرة صيدها من انواع السمك المختلفة ويكثر على شطوطها نوع من السمك يصطادهُ اليابانيون و يسمدون بهِ حقولهم . وغاباتها كثيفة لم تمسَّها يد انسان . وقد انتدبت شركة البترول في باكو احد مشاهير الجيولوجيين من الروس لفحص مناجم البترول التي فيها فقرر ان كل ما رآهُ في اميركا وباكو منهُ لا يعادل ما رآهُ فيها . ويقال بالاختصار ان فيها من الخيرات الطبيعية ما لا تكاد بقعة اخرى من بقاع المعمور تحوي مثلهُ

وللروس فيها الآن ١٦٣٤ جندياً نيطت بهم حراسة المنفيين . وقد الفت الحكومة المحلية جنداً منظماً من المنفيين انفسهم دربتهُ على احكام الدفاع عن الجزيرة . ومما يذكر عنها ان اسباب المعيشة فيها صعبة لكثرة الامطار والجليد وشدة البرد وقلة اسباب اتصالها بروسيا في فصلي الشتاء والربيع خصوصاً وهي فرضة لضواحي نهر عامور فمن يستولِ عليها فقد استولى على بلاد غنية كثيرة الخيرات اذا عرف كيف يستثمر خيراتها



كتاب الاملاء

الى حضرتي الفاضلين الجليلين منشئي المقتطف الاغر

اني احييكما تحية مباركة طيبة واستجديكما قبولها ممن يدري مكانتكما في العلم والعالم واجلكما بقدر ما اثرتما بالفكر والقلم في وادي النيل بل في الدنيا وبقدر ما احييتما من انفس ماتت من الجهالة واشكر لكما ما تفضلتما بهِ من تقريظ كتابنا "كتاب الاملاء" واعتقد أن لكما عذراً في عدم استقصاء مواضيعهِ مطالعةً فان زمنكما نفيس وصرفهُ فيما يعنيكما ويعني الامة من جهات اخرى اولى ولو اتيح لكما من الوقت ما يسع المطالعة التامة في الكتاب

لوجدتماهُ وفاق غرضكما تماماً مميزاً فيهِ بين الراجح والمرجوح لا كما ذكر عفواً في صفحة ٤٠٨ من المقتطف الصادر في مايو الماضي فقد جاء فيها ما نصهُ وجمع بين آراء المحققين وآراء المتقدمين في كثير من المواضيع وحبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح

واني لا يمكنني أن أكلفكما مطالعة الكتاب ولا احب الاطالة في الاستدلال حرصاً على وقتكما النفيس ولكن لا بأس ان ذكرت مسألة واحدة هي نموذج التمييز بين الراجح والمرجوح في الكتاب كلهِ والكتاب موجود عند عدم كفاية ذلك ولا اخالكما الاَّ مكتفيين

جاء في صفحة ٤٠٨ من المقتطف المذكور ما نصهُ وفضّل نقط الياء المتطرفة

والحقيقة ان بعض العلماء كما ذكرت في صفحة ٣١ من مقدمة الكتاب يقول بنقطها اذا نطق بها ياء لا الفاً لينة ولما كان ذلك خلاف الراجح قلت ردًّا عليهِ في تلك الصفحة بعينها اثناء كلام هذا نصهُ لكن الذي عليهِ المعول ان النون والفاء والقاف اذا تطرفت او انفردت جاز فيها النقط وعدمهُ وان الياء اذا تطرفت او انفردت لا يجوز نقطها اه

ثم قلت في صفحة ٢٢٥ عند الكلام على نقط الياء ما نصهُ : الثاني الياء الواجب اهمالها وهي قسمان الاول الياء المتطرفة الى ان قلت في صفحة ٢٢٦ ما نصهُ : وذكرنا في المقدمة عن بعضهم ان المتطرفة تنقط ان لم تكن الفاً بصورة الياء فرقاً بين الياءين . فعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو (المعطِي) اسم فاعل و (المعطَى) اسم مفعول بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط . ولا يخفى ان النقط اشد اتصالاً بجوهر الكلمة من الشكل بدليل انهم يستغنون عن الشكل ولا يستغنون عن النقط فلو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني اه

. وقد فحت جميع مسائل الكتاب بالراجح ومن هنا يعلم اني ما فضلت نقط الياء المتطرفة بل الذي جريت عليهِ انها لا تنقط غاية الامر من حيث اني اذكر الخلاف ذكرت ان بعضهم خالف فقال بنقطها في حالة دون حالة كما ذكرنا وان دليلهُ قوي ولكنهُ خلاف المشهور . واني في هذا المقام التمس منكما امرين الاول قبول معذرتي في هذا الخطاب كما قبلت معذرتكما فيما ذكر . والثاني التفضل بنشر الحقيقة في المقتطف اتماماً للجميل الذي بدأتما بهِ لاسيما وان التمييز بين ما ذكر من مقاصد الكتاب التي نبهنا عليها فيهِ . وفي الختام ارجو قبول اخلاصي القلبي واحترامي والسلام حسين والى

[المقتطف] انما نشكر حضرة الكاتب الفاضل على تنويههِ بذكر المقتطف ولا ننكر اننا لم نطالع كتابهُ كلهُ ولكننا طالعنا ما بهِ الكفاية . والذي ذكرناهُ من حيث الراجح والمرجوح

خاص بمقدمة الكتاب لان فيها المواضيع التي تضاربت فيها آراء المتقدمين من كتّاب العربية والمحققين من علماء هذا العصر اما سائر الكتاب فلا وجه لاختلاف المتقدمين والمحققين فيهِ لانهُ من المعارف الوضعية او النقلية. وكأنهُ يطلب منا البسط والايضاح فلا نبخل بهما لاننا نرى منهما فائدة عامة . هب انك رأيت رجلاً من الصاغة جمع بين عشرين درة من الدر ثمن الواحدة منها مئة جنيه او اكثر وبين عشرين قطعة من الخزف ثمنها كلها خمسة مليمات وصاغ من ذلك عقدًا واحدًا وقد نظرت الى ذلك وانت تعرف ما هو الدر وكم ثمنهُ وما هو الخزف وكم ثمنهُ فاقلّ ما تقولهُ عن ذلك الصائغ حبذا لو ميز بين الدر والخزف . او هب ان حضرة مهندس ديوان الاوقاف وضع كتاباً شرح فيهِ كيفية رسمهِ لبناء ديوان الاوقاف الجديد وبناء غرفهِ ودورهِ وزخرفتهِ من الداخل والخارج ووضع فيهِ الرسوم المختلفة والاشكال التي اختارها من المباني العربية القديمة والتي نوَّعها واصلحها والزمن الذي اقتضاهُ بناء ذلك الديوان والنفقات التي انفقت عليهِ وبيَّن كل ذلك بالتفصيل التام . وان انسانًا من المشايخ اسمهُ الشيخ القليوبي مثلاً علق في حاشية كتاب من كتبهِ ان الخضر عليهِ السلام جاءهُ ذات ليلة وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ اني ارى بناء ديوان الاوقاف في شارع عابدين ضيقاً فابنِ لهُ دارًا آخرى. ثم نهض في الصباح فرأى دار ديوان الاوقاف الجديد قائمة تامة كما هي الآن

ثم هب ان رجلاً كتب تاريخ القاهرة بعد مئة سنة من الآن وذكر دار ديوان الاوقاف هذه فقال ان في اصل بنائها روايتين الواحدة ان مهندساً اسمهُ صابر بك صبري وضع رسمها وتولى بناءها وبلغت نفقاتها كذا كذا من الجنيهات من مال الاوقاف . والرواية الثانية ان الخضر عليهِ السلام بناها في ليلة واحدة بطلب الشيخ القليوبي. ذكر الروايتين ولم يفرق بينهما بقولهِ ان الاولى صحيحة والثانية خرافية. ولماذا نفرض هذا الفرض وعندنا ما هو مثلهُ فان مدينة تدمر كانت من اعظم مدن المشرق وكانت عاصمة مملكة كبيرة في بلاد الشام ولم تزل آثارها من اعظم آثار المدائن الشرقية. وقد ذكرت التواريخ القديمة شيئاً عن عظمتها وكيفية بنائها ولا يزال علماء الآثار يذهبون اليها ويبحثون في آثارها حتى لو جُمع كل ما كتب عنها في كتب المتقدمين والمتأخرين لملأ مجلدات كثيرة. هذه هي الرواية الواحدة عن اصل هذه المدينة وكيفية انشائها . ولاحد شعراء البادية رواية اخرى يقول فيها ان الله قال لسليمان الحكيم

وجيّش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ

فبنوها له‘. وهب ان كاتباً من الكتاب ذكر الروايتين ولم يشر الى ان الرواية الثانية خرافية بل ذكرها كأنها تحتمل الصحة كالرواية الاولى فهل نخطئ اذا قلنا حبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح . وقد يظن حضرة المؤلف اننا ابعدنا في التمثيل ولكن الامر ليس كذلك بل ان الفرق بين الاقوال الاولى التي قالها عن اصل الكتابة في الصفحة ٣و٤و٥ وبين كثير مما قاله‘ بعد ذلك في الصفحة ٦ وما يليها كالفرق بين الدر والخزف او بين رواية صابر بك صبري عن بناء ديوان الاوقاف ورواية الشيخ القليوبي او بين رواية المؤرخين وعلماء الآثار عن بناء تدمر ورواية النابغة الذبياني

فقوله‘" ان القدماء كانوا يصورون الليث رامزين بذلك الى ذاته ثم انتقلوا فرمزوا بالصورة الى اول الحروف في اسم صاحب الصورة " قضية علمية لم يصل العلماء الى تحقيقها الاَّ بعد الدرس والبحث وهي كالدر الثمين. وقوله‘" ان الكتابة بلغت غايتها من الاتقان والجودة في دولة التبابعة وان اول من خط بالعربي اسمعيل الاَّ ان كل حروفه كانت متصلة حتى الالف والراء" من الاقوال التي لا دليل ولا شبه دليل على صحتها . ونسبتها من حيث قيمتها التاريخية الى الاقوال الاولى كنسبة الخزف الى الدر لكن المؤلف ذكر هذه الاقوال وتلك كأنها من قبيل واحد في القيمة التاريخية وهذا الذي اردناه‘ حينما قلنا انهُ جمع بين آراء المحققين والمتقدمين ولم يميز بين الراجح والمرجوح اي لم يفصل او لم يفرق بينها بفارق يدل على صحة قول المحققين وبطلان قول غيرهم

ولا بأس بذكر الاقوال المرجوحة اذا قامت قرينة تدل على ضعفها او بطلانها ففي ما كتبناه‘ عن تدمر مثلاً في المجلد الخامس من المقتطف الصادر في غرة يوليو سنة ١٨٨٠ اي منذ ٢٥ سنة مضت ذكرنا اقوال المؤرخين عن بنائها واقوال غيرهم فقلنا " ان الامبراطور اورليانوس دوخها وقتل الثائرين من اهلها فافل نجم سعدها ولم تنهض من تلك السقطة بل دكَّت ابراجها الحصينة وتقوضت مبانيها الفخيمة وتهدمت صروحها الباذخة ولكن لم يعفُ آثارها كرور الايام ولا افنت عظمتها ايادي الدهر فقد ادهشت انقاضها واطلالها كل من رآها حتى زعم القدماء انها من بناء الجن كشأنهم في نسبة كل ما زعموه‘ فوق طور البشر الى الآلهة والجان قال النابغة الذبياني

الاَّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قم في البرية فاحددها عن الفندِ

وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمدِ

وقد ذكر تدمر ابو الطيب المتنبي حين تحصَّن بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة بن

حمدان العدوي سنة ٣٤٤ هجرية بقولهِ

وليس بغير تدمر مستغاث وتدمر كاسمها لهم دمارُ

فترى في ما نقلناهُ هنا حقيقتين تاريخيتين الاولى ان الامبراطور اورليانوس خربها في اواخر القرن الثالث المسيحي والثانية انها كانت خراباً في عهد المتنبي سنة ٣٤٤ للهجرة اي بعد ان خربها اورليانوس بنحو سبع مئة وعشرين سنة وذكرنا بين هاتين الحقيقتين خرافة مشهورة وهي نسبة بنائها الى الجن بنتها لسليمان وابنا ان هذا القول خرافة وبيّنا سببها وعلى هذا السبيل كان يحسن بالمؤلف ان يميز بين الاقوال الراجحة والمرجوحة

اما قولنا انهُ فضَّل نقط الياء المتطرفة فمبنيٌّ على ما جاء في الصفحة ٢٢٦ حيث قال وعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو المعطِي والمعطَى بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط ... الى ان قال

"ولو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني" اي لاختاروا الفرق بين الياء والالف بالنقط لا بالشكل فاذا كان المؤلف يقول ان الانصاف يقضي باختيار النقط فلا نلام اذا فهمنا من ذلك انهُ يفضل النقط والَّا نسبناهُ الى عدم الانصاف

هذا وما يصدق عليهِ حكم الراجح والمرجوح قليل جدًّا وما بقي من الكتاب قواعد وشروح تشهد لحضرة جامعها وشارحها بالاعتناء والتدقيق وحب الافادة فنكرر شكرنا لهُ

تشيع المقتطف للانكليز

الى حضرة منشئي المقتطف الفاضلين المحترمين

(وذكّر ان نفعت الذكرى) ان كثيرين ممن نعرفهم من قراء المقتطف الاغر مع اعترافهم بفضلهِ ونفعهِ يرمونهُ بالتشيع للانكليز يقولون انهُ لا ينوّه الَّا بالانكليز ولا يعترف بالفضل الَّا للانكليز ولا يستحسن الَّا ما هو انكليزي ولا ولا وربما حملهُ هذا الغلوّ في حب الانكليز على استحسان ما يستقبح من غيرهم ويستهجن ويستشهدون على الأول باغضائهِ عن ترجمة جول سيمون الفيلسوف الافرنسي الطائر الصيت والسيد جمال الدين الافغاني ثم اغضائهِ هذه المرة عن ترجمة المحسن الشهير احمد باشا المنشاوي وذكر خبر وفاتهِ بالاختصار في باب الاخبار ورؤيتهِ بعد خروجهِ من السجن في حين ان لهُ الحق ان يترجم وتنشر صورتهُ في صور المقتطف أُسوة بغيرهِ من المحسنين الانكليز وابنائهم الاميركيين ولهُ الحق ايضاً من جهة كونهِ من رجال المال والاعمال أُسوةً بالفحّام والسكاف وبائع البيرة الذين ترجمهم

المقتطف وبسليمان افندي الخوري الحمصي الطبيب الذي خدم المرضى بطبهِ وبكحلهِ . ويستشهدون على الثاني بذكر المقتطف في معرض الاستحسان قفز الرئيس روزفلت ووثبهُ من فوق الكرسي امام احد الوزراء لقاء برنيطة جديدة طلباً للراحة كأن الراحة لا تحصل الاَّ بهذا العمل الذي لو صدر من غيرهِ لعُدَّ خفةً ودناءةً معاً وقولهِ لاحد النواب اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جداً ولا وقت لي لمشاهدة احد مما يعد خشونة وفظاظة لو صدر من غيرهِ مع ان لهُ مندوحة عن ذلك بصرفهِ بالتي هي احسن فعسى ان يعتدل المقتطف ويقلل من هذا التشيع ويساوي بين الناس فذلك اقرب الى الصواب وابعد عن التهمة وبالله التوفيق بيروت منتقد

[المقتطف] لا نسرُّ بشيءٍ مطلقاً كما نسرُّ بالانتقاد لانهُ اما ان يُبيّن خطأً ارتكبناهُ نحن فنصلحهُ او خطأً ارتكبهُ المنتقد في ادراك غرضنا فنصلحهُ لهُ

ومدار هذا الانتقاد على اننا لا ننوه الاَّ بالانكليز ولا نستحسن الاَّ ما هو انكليزي

وجوابنا عن ذلك ان ليس الغرض من ذكر من نترجمهم في المقتطف من الانكليز التزلُّف اليهم او الى قومهم لان الذين نترجمهم يكونون قد ماتوا في الغالب ولان قومهم لا يعرفون العربية ولا يرون المقتطف . ولا نذكر اننا ترجمنا واحداً من الانكليز وعرف هو او ذووهُ ذلك . وانما غرضنا الفائدة العلمية التي تنتج لقراء المقتطف من مطالعة الترجمة او الفائدة التاريخية من ذكر اعمال المترجم العلمية . ومعلوم ان الذين يستحقون ان تذكر ترجماتهم في المقتطف كثار جداً لا يسع المقتطف ترجماتهم كلهم ولو كان اضعاف ما هو فيبقى علينا ان نختار ما نريد ولما لم يكن لنا غرض في التزلف الى المترجم او قومهِ وان قصدنا التزلُّف فلا سبيل لنا اليهِ لاننا قلما نترجم غير الموتى ولا احد من ذويهم يقرأُ المقتطف كما تقدم ترتب علينا ان نجري على سنة الطبيعة في اختيار ما هو انفع واقرب تناولاً من غيرهِ . واكثر مطالعاتنا في اللغة الانكليزية فنرى الترجمات المطلوبة فيها وهي في الغالب عن رجالها . ولكن اذا مات عالم مشهور من غير الانكليز فقلَّما نتأخر عن ترجمتهِ كما ترون في ترجمة باستور الفرنسوي ووركو الالماني والمعلم بطرس البستاني السوري والشيخ محمد بيرم التونسي وعبد الله باشا فكري المصري . ونحن اميل الى ذكر ترجمات العلماء منا الى ذكر ترجمات الفلاسفة او الكتَّاب عموماً ومع ذلك اذا عثرنا على ترجمة احدهم ورأينا فيها فوائد تستحق الذكر للانتفاع بها لا نتأخر عن نشرها . فذكرنا لترجمات الانكليز ليس للتنويه بهم ولا للتزلف اليهم بل للفائدة التي تحصل لقراء المقتطف من ترجمات اناس اشتهروا بالعلم او بالعمل

ولقد جرينا على هذه الخطة منذ ثلاثين سنة حينما كان اكثر قراء العربية يستخفون بعلم الانكليز وقوتهم ومهارتهم وكان كثيرون من اصدقائنا يخطئوننا الاَّ اننا كنا نعلم انهم هم المخطئون لاننا لم نختر ما اخترناهُ عن هوًى او قلة اطلاع وقد رأَوا الآن اصابة راينا وحسن اختيارنا . والفرنسويون انفسهم صاروا يحثون ابناء وطنهم على الاقتداء بالانكليز والجري على خطتهم في التعليم والتهذيب كما ترون في كتاب ديمولان الذي ترجمهُ من الفرنسوية الى العربية حضرة احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية

اما السيد جمال الدين الافغاني واحمد باشا المنشاوي فعذرنا عن اغفال ترجمة الاول منهما بسطناهُ قبل الآن وهو اننا لانعرف الرجل ولم نرَ لهُ الا كتيباً في الرد على دارون لا يستحق لاجلهِ مدحاً وقد وعدنا اخص اصدقائهِ مفتي الديار المصرية حالاً ان يكتب لنا ترجمتهُ واعددنا الصورة الفوتوغرافية لذلك ثم حالت اشغالهُ دون اتمام الوعد. واما احمد باشا المنشاوي فلم يكد يتوفى حتى نشرت الجرائد المصرية اقوالاً عن كيف جمع ثروتهُ لا تجعل حياتهُ مما يصح ان يذكر مثالاً للاقتداء بهِ . ولا يعلم حتى الآن كم يبقى من ثروتهِ متى اوفيت ديونهُ كلها ولا متى تصل الاملاك التي وقفها الى الجهات الخيرية التي وقفها عليها . وكل ذلك جعلنا نتردَّد في نشر ترجمتهِ ثم اكتفينا بما ذكرناهُ عنهُ بعد إعمال النظر واختيار الاصلح

واما استقباح حكم لقفز الرئيس روزفلت امام احد الوزراء فنحن نخالفكم فيهِ ونعدُّ قفزهُ من ادل الامور على الرجل كما هو — على البساطة الطبيعية الخالية من التصنُّع. والظاهر انهُ لا يعجبكم الاَّ ان يجلس المالك جلوس المتغطرس المتعظم ويقف الوزراء امامهُ خاشعين او يجلسون التركيَّة على طرف المقعد . وكذلك اعرابهُ عمَّا خالج ضميرهُ وتكلمهُ بالصدق حينما قال لاحد النواب اني لم اسرَّ بمشاهدتك . ولا ندري كيف يستهجن ذلك احد يحب الصدق ويكره الكذب. اما هذا الرئيس الذي تحتقرون فعلهُ وتستخفون بهِ فملوك اوربا واسيا يقفون عند رأيهِ ويعدونهُ من احكم ملوك الارض . والذي ذكر ما تستهجونهُ كاتب مشهور كان مناظراً لهُ ولولا قليل لكان هو الرئيس الآن للولايات المتحدة ولا يبعد ان يكون الرئيس بعدهُ

والشيء الذي تستهجنونهُ تستحسنهُ الامة الاميركية التي هي ارقى امم الارض ويستحسنهُ كل من ربي تربية العمل والاجتهاد والاخلاص وعدم التصنع . وياسعد بلاد يجدُّ ملوكها وقت الجد ويهزلون وقت الهزل ويتكلمون الصدق ولو عليهم ويظهرون امام رعيتهم انهم بشر مثلهم لا آلهة ولا اصنام

حالة مصر المالية

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعتُ على مقالتيكم في العدد الخامس تحت عنوان "نجاح مصر ومستقبلها" "وحالة مصر في هذا العام". واني وان لم اكن من فرسان هذا الميدان الاَّ ان ما اعتادهُ قراؤُكم من تساهلكم معهم ورغبتكم في البحث ونشر الحقائق جرَّأني على تقديم هذه العجالة قصد الاستفادة لا الانتقاد فاقول

يظهر من مقالتيكم انكم تعتقدون انهُ اذا كان الوارد الى مملكة اكثر من الصادر منها فذلك دليل تأخرها وخسارتها ولكن ها كم جدولاً منقولاً عن غرفة تجار انكلترا فيهِ قيمة الوارد والصادر عن عشرين مملكة في مدة عشر سنوات لغاية ١٨٩٩

الصادر بملايين الجنيهات	الوارد بملايين الجنيهات	
٢٣٧٠	٣٧٤٨	بريطانيا العظمى
١٦٩٨	٢١٩٥	المانيا
١٩٨٧	١٥٤١	الولايات المتحدة
١٤٠٥	١٦٦٢	فرنسا
١٠٥٤	١٢٦٢	هولندا
٦٠٨	٧١٢	بلجيكا
٦٥٩	٥٨٥	النمسا والمجر
٦٧٢	٥٢٨	روسيا
٤٢٢	٤٩٥	ايطاليا
٣٤٨	٣٥٢	اسبانيا
٢٣٥	٣١٣	الصين
٢٩٢	٢٥٥	الارجنتين
١٨٣	٢١٣	اسوج
١٤٠	١٧٤	اليابان
١٢٣	١٧٥	الدنمارك
١٤٠	١٧٥	شيلي

رومانيا	١٥٠	١١٠
مصر	٩٨	١٣٢
نروج	١٢٦	٧٥
البرتغال	٧٢	٥٧
المجموع	١٤٨٠٢	١٢٧١٠

وترون من هذا الجدول ان ١٤ مملكة واكثرها من الدرجة الاولى غنًى وتجارة كانت وارداتها اكثر من صادراتها فاذا كان المبدأُ المذكور آنفاً صحيحاً فيلزم ان نعتقد ان انكلترا مثلاً خسرت في مدة السنوات العشر المذكورة مبلغ ١٣٢٢ مليون جنيه وهكذا المانيا وفرنسا وبقية الاربع عشرة مملكة التي زادت قيمة وارداتها على قيمة صادراتها فهل يمكن ان يكون ذلك صحيحاً . نعم ان بين الممالك الست الباقية التي صادراتها اعظم من وارداتها يوجد اميركا وبر مصر ولا شبهة في نجاحهما ولكن ألا يوجد لذلك اسباب اخرى

والاكثرون في انكلترا يعتقدون ضد مبدإكم والجدول المتقدم يقوي حجتهم فما قولكم في ذلك

ثم ان ما يصح على الافراد يصحُّ على المملكة فما قولكم في التاجر الذي يخرج من محلهِ اكثر مما يدخل اليهِ فبلا شك لا يبقى عندهُ شيءٌ و بالعكس التاجر الذي يدخل محلهُ اكثر مما يخرج منهُ فهو دليل التقدُّم والنجاح . هذا ما جال في خاطري وارجو بسط رأيكم في ذلك ولكم الفضل

خليل ابرهيم

مانشستر جباره

[المقتطف] نشكر فضلكم لانكم نبهتمونا الى ايضاح هذا الامر فقد بلغنا انهُ اشكل على غيركم ايضاً . واننا نوضح اولاً مسألة التاجر التي ذكرتموها اخيرًا فنقول ان تشبيه المملكة بالتاجر لا يصح على الصورة التي ذكرتموها وانما يصح اذا كان التاجر يقابل بين ثمن البضائع التي يشتريها وبين ثمن البضائع التي يبيعها في سنتهِ فيجد انهُ دفع ثمن البضائع التي اشتراها اكثر مما قبض ثمن البضائع التي باعها . فان كان يفعل ذلك وينجح فالمملكة تنجح اذا دفعت ثمن ما يدخلها اكثر مما قبضت ثمن ما يخرج منها . وقيسوا على التاجر الصانع والزارع ومستخرج المعادن وكل رب بيت فانهُ اذا كان الواحد من هؤلاء يدفع ثمن ما يوردهُ الى معملهِ او الى ارضهِ او منجمهِ او بيتهِ اكثر من النقود التي ترد اليهِ ثمن بضائعهِ او غلات ارضهِ او معادن منجمهِ او اجرة عملهِ فانهُ سائر في طريق الخسارة والخراب لا محالة وهذا امر بديهي لا يختلف فيهِ اثنان .

والتاجر الذي تشيرون اليهِ لا يربح من زيادة ما يدخل محله على ما يخرج منهُ الاَّ اذا وهبوهُ البضائع هبةً او اكل ثمنها على اصحابها واما اذا اضطرَّ ان يدفع ثمنها في مواعيدها فانهُ يتأخر لا محالة واما اذا اردتم بالداخل والخارج النقود التي تدخل وتخرج فلا تعود الحال مماثلة لحال المملكة

هذا ولنعد الآن الى الممالك التي تزيد قيمة وارداتها على قيمة صادراتها ونخص الكلام بالبلاد الانكليزية اولاً

البلاد الانكليزية قيمة وارداتها اكثر من قيمة صادراتها كما قلتم ولكن لها موارد اخرى كثيرة تكسب منها الملايين الكثيرة وهي غير محسوبة مع قيمة صادراتها فاولاً لرجالها الذين خدموا الهند والذين يخدمونها الآن في البلاد الانكليزية معاشات ومرتبات تبلغ ٢٧ مليون جنيه كل سنة وهذه لا تحسب بين النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

وثانياً للانكليز اموال يستثمرونها في كل الدنيا في المعامل والمصانع والديون الدولية لا نظن ان ايرادها السنوي يقل عن ٢٨٠ مليون جنيه او هو اكثر من ذلك فقد بلغ ايراد الحكومة المعروف بايراد الدخل income tax في العام الماضي نحو ٣٦ مليون جنيه وبموجبهِ يكون دخل الاهالي نحو ٨٨٠ مليون جنيه ومعلومكم ان قيمة الصادرات كلها لم تبلغ سوى ٤٠٠ مليون جنيه فالباقي وهو ٤٨٠ مليون جنيه اكثرهُ ايراد للانكليز من اموالهم المستثمرة في الدنيا

ثالثاً السفن التجارية الانكليزية تحمل نحو نصف تجارة الدنيا ويعسر علينا ان نقدر ربحها من ذلك تماماً ولكنهُ كثير جدًّا لا نظن انهُ اقل من ١٣ مليون جنيه وهذا غير محسوب مع النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

فيصير حساب البلاد الانكليزية هكذا اي حساب ما تدفعهُ ثمن البضائع التي تستوردها من الخارج وما تقبضهُ ثمن البضائع التي تصدرها الى الخارج مضافاً الى ذلك الاموال التي تقبضها من الهند معاشات ورواتب والاموال التي تكتسبها فوائد وارباحاً لاموالها الكثيرة المشتغلة في الدنيا والاجور التي تأخذها سفنها التجارية

الاموال التي دفعتها في العام الماضي قيمة وارداتها ٥٩٧ مليون جنيه

الاموال التي قبضتها ثمن صادراتها	٤١٧	مليون جنيه
" " قبضتها من الهند	٢٧	" "
" " " ريع الديون والشركات	٢٨٠	" "
" " " اجرة سفنها	١٣	" "
والجملة	٧٣٧	

فتزيد الاموال التي تقبضها البلاد الانكليزية في سنة واحدة على الاموال التي تدفعها نحو ١٤٠ مليون جنيه على اقل التقادير

وقيسوا على ذلك المانيا فان قيمة صادراتها تبلغ الآن نحو ٢٩٠ مليون جنيه وقيمة وارداتها نحو ٣١٦ مليون جنيه اي انها تقبض في السنة ٢٩٠ مليون جنيه ثمن صادراتها وتدفع ٣١٦ مليون جنيه ثمن وارداتها فينكسر عليها من هذا الباب ٢٦ مليون جنيه ولكن لها اموال وافرة في الديون الروسية والايطالية واموال اخرى في الشركات الاجنبية الصناعية والتجارية ولها سفن تجارية تأخذ اجرتها من اموال الاجانب فيزيد ما تكتسبهُ المانيا من هذه السبُل كلها خمسين او ستين مليون جنيه

وقيسوا على ذلك سائر الدول التي تزيد قيمة وارداتها على صادراتها وهي مع ذلك ناجحة

اما القطر المصري فليس لرجالهِ معاشات من الممالك الاجنبية ولا لهم اموال يستثمرونها في الهند والصين وروسيا وفرنسا وما اشبه ولا لهم سفن تجارية تكتسب من نقل بضائع الامم الاخرى وليس فيهِ معادن ذهب يخرج الذهب منها ويضاف الى ايرادهِ الداخلي . وهو لا يفرق عن زارع مديون عندهُ اطيان يزرعها و يستغلها فيأكل بعض محصولاتها هو واولادهُ ومواشيهِ ويبيع البعض الآخر ويشتري بثمنهِ ثياباً لهُ ولاولادهِ من منشستر وليون وفحماً من نيوكسل وكارديف وزيتاً من روسيا واميركا ولحماً من غنم تجيء من بر الاناضول وفاكهة يؤْتى بها من سورية وبلاد اليونان ويدفع فوق ذلك فائدة ديونهِ لاصحاب هذه الديون من الفرنسويين والانكليز والالمانيين والروسيين وفوق الكل مال الويركو للدولة العلية او لمدانيها وليس لهُ مصدر آخر للايراد الاَّ مصدر واحد وهو السياح الذين يأتون الى هذا القطر كل سنة ويصرفون فيهِ نحو نصف مليون جنيه تضاف الى ثمن البضائع الصادرة منهُ . فاذا لم يزد المال الذي يحق لهُ قبضهُ كل سنة ثمن صادراتهِ على المال الذي يجب عليهِ دفعهُ كل سنة ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ فهو غير سائر في طريق الغنى

وخلاصة الكلام ان البلاد تغتني اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يُدفع لها من الخارج ربحاً لاعمالها واموالها تزيد على قيمة وارداتها وعلى كل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . وتفتقر اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يدفع اليها من الخارج ربحاً لاعمالها واموالها اقل من قيمة وارداتها وكل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها. واذا كان الذين اطلعتم على بحثهم من الانكليز لا يعتبرون هذه الامور كلها التي اعتبرناها فهم مخطئون

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

واجبات المرأة

قال السرجون مورلي من كبار فلاسفة الانكليز ووزرائهم في خطبة القاها دفاعاً عن المرأة وتأييداً للائحة التي عرضت على مجلس النواب حديثاً وطلب فيها حلّ بعض القيود التي تربطها " ان قليلين يعتقدون الآن ان عمل النساء الرئيسي ادارة شؤون المطبخ وتربية الاولاد . فان الواقع يناقض هذا الاعتقاد الدنيء " وقد كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر استشهدت فيها بهذا القول ثم اردفتهُ بما يفهم منهُ ان الاعتقاد المذكور لا يستلزم الحطَّ من قدر المرأة . وقالت ان امبراطور المانيا حصر واجبات المرأة في ثلاث كلمات وهي " الاولاد والطبخ والكنيسة " فانكر البعض عليهِ ذلك اما انا فلست ارى فيهِ نكراً بل اوافق عليهِ كلَّ الموافقة علماً مني بانهُ ليس في السماء ولا في الارض ولا تحت الارض موضوع لا ينطوي تحت كلمة من هذه الكلمات الثلاث ولا يضاح ذلك ابحث في كلٍّ منها على حدة فاقول

(١) الاولاد . اين تبتدئ دائرة اختصاصهم واين تنتهي . واذا عرف احد كلَّ ما يتعلق بالولد مثل ولادتهِ ونموّهِ وصحتهِ وارتقائهِ العقلي والادبي والروحاني والجثماني وعملهِ ولعبهِ وما اشبه فما هو الذي يجهلهُ ذلك الانسان وايُّ منصب في الارض لا يصلح لهُ سواء كان ذكراً او انثى

(٢) الطبخ . هل دائرة الطبخ محدودة . ان العقل ليقصر دون حصر العلوم التي تتعلق بطعام الانسان مثل علم المواد الطبية والنبات والحيوان والمعادن والرياضيات والطبيعيات والمواضيع المتعددة مثل التجارة والصادرات والواردات والضرائب وغيرها. وآخر ما يذكر منها وان لم يكن اقلها اهمية طبع الرجال(١)

(١) اشارة الى ما هو معروف من انهُ اذا كان الطعام انيقاً لذيذاً ظهرت على الرجال علائم الرضى والسرور والاَّ تبدَّل رضاهم سخطاً وسرورهم غماً

(٣) الكنيسة . يدخل تحت هذا الباب السعي في المحافظة على المعتقد ومعرفة علاقة الكنيسة بالحكومة وما شاكل ذلك

فهذه الامور المذكورة ليست مما يستهان بهِ ويترك للنساء لانهنَّ يعجزن عما هو اسمى منهُ . كلاَّ بل انهُ لو قبل النساء تحمُّل المسؤولية في الدين وتربية الاولاد واعداد الطعام ووقفن انفسهنَّ على انجاز اعمالهنَّ هذه طبقاً لاساس اقتصاديّ صحيح لانقلب العالم عما هو عليهِ واصبح جنة الله في ارضهِ

تربية الاولاد

الانسان مجموع اخلاق تغرسها يد الفطرة وتسقيها يد التربية . قال امرسون ان الفضائل كلها طبيعية في الطفل الحسن الجسم والعقل لامكتسبة يعسر عليهِ اكتسابها . واذا كانت اخلاق الوالدين صحيحة وكانوا يعلمون شرف مركزهم ويشعرون بمسؤوليتهِ سهل تعليم اولادهم وتهذيبهم المدرسي فيما بعد لان الولد متعلق بوالديهِ كل التعلق لايستطيع اختيار الوسط الذي يجب ان يعيش فيهِ . فاذا اهملاهُ فلا لوم عليهِ اذا نشأ عنيدًا لايكرمهما ولا يطيع لهما امرًا بل كل اللوم عليهما

هذا وان نمو الولد سريع من كل جهة فاذا بلغ السابعة من سنهِ بلغ طول قامتهِ نصف ما تصير اليهِ بعد البلوغ وثقل بدنهِ ثلث ما يصير اليهِ بعد البلوغ . ولا بد لتثقيف اخلاقهِ وتكميل رجوليتهِ من احاطتهِ صغيرًا بكل ما يسمو بالنفس الى مراتب الكمال . واحسن وسط ينشأ فيهِ بيت اساسهُ المحبة ونورهُ الحكمة واعضاؤُهُ الطهارة والوفاق وسمو التهذيب . وذلك يتأتى متى عرف الوالدون واجباتهم وطبيعة ولدهم ليتمكنوا من القيام بحاجاتهِ البدنية والعقلية والادبية . وليس الوسط الصحيح منزلاً خيم الفقر المدقع على ساكنيهِ فقضى على ما في نفوسهم من المواهب السامية ولا هو منزلاً بسط اليسار عليهِ ظلهُ فحول قلوب ساكنيهِ عن واجبات الحياة الحقيقية الى الزهو واللهو والغرور الباطل ولا هو منزلاً يعدُّ قضاة الملذات وشهوات النفس فيهِ غاية الغايات

قال الفيلسوف سبنسر في الكلام على جهل الوالدين لواجباتهم نحو اولادهم ما يأتي وقولهُ حجة

" لو ان الايام كرَّت بنا ودالت وعفت رياح الدهر كل اثر لنا ولم تبقِ منا الاَّ عرمة من الكتب التي يدرسها اولادنا في المدارس الآن لحار فيها الاثريون اللاحقون اذ لايرون هناك دليلاً يدل على ان الاولاد الذين درسوا تلك الكتب كان ينتظر ان يصيروا رجالاً ذوي

اولاد فيما بعد . ولقال اولئك الاثريون في انفسهم " لعل هذه الكتب خصت بالذين كانوا عازمين على البقاء عزباً . فاننا نرى فيها ما يدل على ما كان لهم من الاهتمام بمطالعة كتب الاولين كأن لم يكن عندهم مواضيع يهتمون بها . ولا نرى فيها اشارة الى تهذيب الاولاد وتربيتهم وذلك هو الحمق بعينهِ الاَّ ان تكون هذه الكتب مما يدرسها رهبانهم في اديرتهم "

" أليس من العجب العجاب ان لا يعلَّم الاولاد شيئاً عن التربية وهم سيصيرون رجالاً ذوي اولاد وعلى التربية يتوقف موتهم او حياتهم شقاؤُهم الادبي او سعادتهم . أوليس من الفظاعة ان يترك حظُّ الجيل الجديد للأقدار تتقاذفهُ التقاليد السقيمة والتصورات الصبيانية والخرافات العجائزية كيف شاءت . فاذا شرع رجل في التجارة وهو لا يعرف شيئاً من الحساب ومسك الدفاتر قلنا يا لهُ من جاهل يخرب بيتهُ بيدهِ ويسعى الى حتفهِ بظلفهِ . واذا شرع تلميذ ممن لا يزالون يدرسون التشريح في عمل العمليات الجراحية ادهشنا تهوُّرهُ ورحمنا على مرضاهُ سلفاً . اما الوالدون فانهم يشرعون في تربية اولادهم وهم لا يعلمون حرفاً من اصول تربيتهم الطبيعية والادبية والعقلية ومع ذلك لا يدهشنا عملهم هذا ولا نشفق على اولادهم

" اضف الى عشرات الالوف الذين يقتلون مئات الالوف الذين يعيشون عجافاً ضعافاً وملايين الذين ينشأُون وبنيتهم دون ما يجب ان تكون ترَ بعض ما يجرُّهُ الوالدون على اولادهم من الشقاء والبلاء لجهلهم قواعد الحياة . وفكّر ولو قليلاً في القواعد التي تسنُّ للاولاد ليجروا عليها سواءٌ كان ذلك في امر طعامهم او غيرهِ وانها كلها سائرة بهم اما في طريق السلامة او في طريق الندامة وان هناك عشرين طريقاً للشرّ مقابل طريق واحد للخير تُدْرِكْ بعض ما تجرُّهُ النظامات الجارية من الضرر العظيم في كلّ مكان

" وقد اعتاد الوالدون الذين يولد لهم اولاد نحاف البنية ان ينسبوا ذلك الى الاقدار ويدَّعوا ان مصائبهم هذه بلا سبب او ان سببها في علم الله . وليس ذلك بصحيح . ففي بعض الحالات تكون الاسباب وراثية ولكن الغالب ان يكون السبب من سوء تصرُّف الوالدين والوالدون هم المسأُولون غالباً عما ينال اولادهم من الأَلم والضعف والنكد والبلوى . فقد تكفلوا بالقيام عليهم ولكنهم اهملوا تعلم شيءٍ عنهم وعن ابسط القواعد الصحية التي يجب ان ينشئوهم عليها فقوَّضوا بنيان ابدانهم واورثوا اعقابهم المرض والموت العاجل "

اسراف الاميركيات

كتب المستر كليفلند موفات مقالة في احدى الجرائد الانكليزية عنوانها " انفاق المال في غير موضعهِ عار " وأطال في بيان ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك من النفقات الباهظة على

ملابسهنَّ . فقامت قيامتهنَّ عليهِ مدعيات انهُ بالغ في تقديرهِ ونسبة الاسراف اليهنَّ . فكتب مقالة اخرى قال فيها انهُ ان كان قد اخطأ في تقديرهِ فخطاؤُهُ في جانب القلة لا الكثرة . فقد قال مثلاً ان بعض نساء نيويورك يشترين جبة فرو السمور بمبلغ ١٢٠٠ جنيه وكان يظنُّ انهُ مبلغ فاحش ولكنهُ علم فيما بعد انهُ معتدل بالنسبة الى ما تباع جبة الفرو بهِ في بعض المخازن الكبيرة فان الجبة المتوسطة تباع بالفي جنيه . وسأل عن ثمن الفرو العال فقيل لهُ ان ثمنهُ قبل خياطتهِ ١١٠ جنيهات عادة اي ان ثمن البوصة المربعة جنيهان وثمن الجبة المبطنة بهِ التي لا يزيد طولها على متر ٦٦٠٠ جنيه والطويلة التي تصل الى القدمين ٨٨٠٠ جنيه

وكان قد قدَّر في مقالتهِ الاولى ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك على ملابسهنَّ وزينتهنَّ بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه في السنة فرأى فيما بعد ان ليس في ذلك شيء من المبالغة لاسيما وقد علم ان الواحدة منهنَّ تدفع عشرة آلاف جنيه ثمن فرو يلبس حول العنق وآخر لليدين

وقال ان الواحدة تنفق مئتي جنيه على مشتري ثوب خاص بالرقص ولكنهُ علم فيما بعد ان دنتلا ثوب للعرس اشتري بثلاث مئة جنيه وان "قماش" ثوب آخر اشتري بمبلغ ١٦٠٠ جنيه قبل خياطتهِ . وان ثمن "البياضات" بلغ ٦٦٠٠ جنيه

ثم اورد قائمة بالنفقات التي ينفقها كثير من النساء الاميركيات على ملابسهنَّ وزينتهنَّ في السنة فظهر منها ان متوسط ما تنفقهُ الواحدة ٧٧٠٠ جنيه

ويقال بالاختصار ان ٦٠٠٠ امرأة من نساء نيويورك الغنيات ينفقن كلَّ سنة ثمانية ملايين جنيه على ملابسهنَّ وزينتهنَّ . وفي الولايات المتحدة عشرة آلاف امرأة من الغنيات يستطعن اقتصاد ٦ ملايين جنيه على القليل كل سنة لتنفق على الفقراء والمساكين لو خفضت كلٌّ منهنَّ نفقات ملابسها الى ٦٠٠ جنيه

ومن رأي الكاتب ان النساء لا يتأنقن في الملابس ارضاء للرجال واستجلاباً لهم بل ارضاء لانفسهنَّ . والاَّ فلو كنَّ يفعلن ذلك استجلاباً الازواج لما كانت المتزوجات منهنَّ اكثرهنَّ اسرافاً على الملابس كما هي الحال . قال واتفق اني نزلت مرة في احد فنادق نيويورك البسيطة . فكنا اذا جلسنا لتناول الطعام جلس قربي رجل وامرأتهُ فلحظت انها كانت تبدّل كلَّ يوم حلَّة وان الحلَّة الجديدة افخر من التي قبلها حتى مضى اسبوع فقلت في نفسي لابدَّ ان تكون جعبة ملابسها قد فرغت فتعود الى الاولى فالثانية وهلمَّ جرًّا . ولكنها بقيت تلبس كلَّ مساء ثوباً جديداً مدة وجودي في الفندق واظنها لبست في تلك المدة ثلاثين ثوباً من الملابس الفاخرة . انتهى

هذا وإسراف الاغنياء على هذه الصورة امر لا بدَّ منهُ والاَّ تجمعت الاموال عندهم ووقفت حركة التجارة . ومنشأ الضرر ليس في هذا الاسراف بل في النظام المالي المتَّبع في الدنيا اي في تقويم اعمال الناس العقلية والبدنية بالمال فيحتال سمسار حيلة لا تكلفهُ الاَّ تشغيل فكرهِ ساعة من الزمان فيكتسب بها مئة الف جنيه ويشتغل عالم عشرين سنة في تحقيق قضية علمية مفيدة فلا يكسب منها عشرة جنيهات فتكون المئة الف جنيه ثمن الساعة من شغل السمسار والعشرة الجنيهات ثمن العشرين سنة من شغل العالم. ولكن لا سبيل لابدال هذا النظام بغيرهِ



السماد الكيماوي

شاع الآن استعمال السماد الكيماوي وقد استعملهُ كثيرون من ارباب الزراعة في العامين الماضيين وزاد استعمالهُ هذا العام . ولم نرَ لغير الجمعية الزراعية الخديوية كلاماً عن نتيجة استعمالهِ لكن الذين استعملوهُ في السنة الماضية ثم استعملوهُ هذه السنة يدلُّ استعمالهم لهُ سنة بعد سنة على انهم رأَوا منهُ فائدة تزيد على ثمنهِ ونفقات استعمالهِ والاَّ فلا يعقل انهم يدفعون مئات الجنيهات لكي يقال انهم استعملوا سماداً كيماويًّا

والاسمدة الكيماوية التي شاع استعمالها الآن لتسميد الحنطة والقطن ثلاثة وهي اعلى فصفات الجير وكبريتات الامونيا ونيترات الصودا . ومرادنا ان نشرح كلاًّ منهما بالتفصيل

اعلى فصفات الجير

عُرِف من قديم الزمان ان العظام تفيد الزراعة ولا سيما اذا طحنت ومزج التراب بها والمادة المهمة في العظام هي فصفات الجير لكن الفصفات عسر الذوبان جدًّا فصاروا يعالجون العظام بالوسائط الكيماوية لجعلهِ سهل الذوبان ثم اكتشفوا تراباً في الارض مؤلفاً من الفصفات القابل الذوبان فاستعملوهُ بدل العظام ونتج منهُ نفع كبير للزراعة . وهو في الاصل حجارة بنية اللون او رمادية فيسحق حتى يصير مسحوقاً ناعماً ويرد الى هذا القطر كذلك او يسحق فيهِ من حجارة فصفاتية وجدت في هذا القطر

وانواع الفصفات الطبيعي كثيرة مختلفة في مقدار النفع الناتج منها للزراعة فقد حلّل بعضهم ثلاثة انواع من اعلى فصفات الجير فوجد ان في الطن من النوع الاول ما يساوي ٤ جنيهات ومن النوع الثاني ما يساوي اربعة جنيهات ونصف جنيه ومن النوع الثالث ما يساوي تسعة جنيهات وربع جنيه مع ان الطن من النوع الاول كان يباع بسبعة جنيهات ونصف ومن النوع الثاني بسبعة جنيهات وربع ومن النوع الثالث بثمانية جنيهات ولذلك لا يحسن باحد ان يشتري سماداً كيماويّاً ما لم يتأكد ان احد الكيماويين الموثوق بعلمهم وذمتهم حلّله وعرف مقدار ما فيهِ من النفع للمزروعات

والفصفات الاعلى يفيد زراعة النباتات ذوات الجذور خاصةً كالجزر واللفت وبعض الحبوب كالشعير ولاسيما اذا تأخرت زراعتهُ . ولا يفيد الفصفات ولا غيرهُ من الاسمدة مالم تكن الارض محتاجة اليهِ فاذا كانت غنية بهِ او بالعناصر المهمة التي فيهِ فلا فائدة لها منهُ بل تكون اضافتهُ اليها من قبيل العبث

والمقدار اللازم للفدان الواحد نحو تسعين كيلو اي ان الطن من الفصفات يكفي لتسميد عشرة افدنة او احد عشر فداناً

كبريتات الامونيا

يستخرج من السوائل الباقية بعد استخراج غاز الضوء من الفحم الحجري وهو سهل الذوبان في الماء تسمد الارض بهِ فيضاف اربعون كيلو منهُ الى الفدان وكان المستخرج منهُ من البلاد الانكليزية سنة ١٨٩٠ نحو ١٤٠٠٠٠ طن ومن المانيا ١٠٠٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٢٥٠٠ طن ومن هولندا وبلجكا ٣٠٠٠٠ طن ومن الولايات المتحدة ١١٠٠٠ طن

نيترات الصودا

ملح يؤتى بهِ من بلاد بيرو وثمن الطن منهُ من ١٣ جنيهاً الى ١٦ جنيهاً وهو سريع الذوبان في الماء ويفيد الحبوب جدًّا كالقمح ونحوهِ والقنطار المصري منهُ يكفي الفدان وتظهر فائدتهُ حالاً بشدة اخضرار ورق النبات بعد استعمالهِ بايام قليلة والغالب ان تزيد بهِ غلة الفدان اردبين او اكثر

تربية العجول

مدة حمل البقر ٢٨٥ يوماً فان ولدت قبل ذلك فالمولود عجلة وان ولدت بعد ذلك فالمولد عجل هذا هو الغالب . واصلح الاوقات لولادة العجول بداءة فصل الربيع . ويترك العجل بعد

ولادتهِ ليرضع من امهِ او يفصل عنها ويسقى اللبن فاذا تُرك مع امهِ فلبنها يزيد عليهِ كثيرًا اذا كانت كثيرة الدر يكفي خمسة عجول في السنة الواحدة فترضع اولاً عجلين ومتى فطما بعد ثلاثة اشهر ترضع عجلين آخرين ثم يفطمان بعد ثلاثة اشهر ويكون لبنها قد قلَّ حينئذٍ فترضع عجلاً واحدًا . او يقتصر على ارضاع عجلها فقط ويحلب بقية لبنها وهو الشائع

واذا فصل العجل عن امهِ حالاً بعد ولادتهِ يوضع على التبن الجاف ويمسح بدنهُ جيدًا حتى يجف ويسقى رطلاً من اللبن او اللبن الذي يحلب من البقرة حال ولادتها وهو كثيف نوعًا ومسهل لتفرز بهِ المواد التي تكون مجتمعة في اسفل امعاء العجل . ولا بد من ان يسقى اللبن في اليوم الاول كل اربع ساعات او خمس وفي الايام التالية يسقى ثلاث مرات كل يوم الى آخر الاسبوع الاول وبعد ذلك يصير يسقى مرتين كل يوم ويكون مقدار طعامهِ هكذا

	في الصباح	الظهر	المساء
اليوم الثاني	رطلان	رطلان	ثلاثة ارطال
" الثالث	٣ ارطال	٣ ارطال	٤ "
" الرابع	٤ "	رطلان	٤ .
" الخامس	٤ "	"	٤ "
" السادس	٥ "	"	٥ "
" السابع	٥ "	"	٥ "
" الثامن	٦ "	.	٦ "
" التاسع	٦ "	.	٦ "

ومن اليوم العاشر فصاعدًا الى آخر الشهر الاول ثمانية ارطال في الصباح وثمانية في المساء وفي الشهر الثاني ثمانية ارطال من اللبن البائت في الصباح وثمانية في المساء وكذا في الشهر الثالث ثم يفطم

زراعة الكمأة

الكمأ نبات فطري لا ورق لهُ ولا ساق ولكن لهُ اصل مستدير كالقلقاس يؤكل نيئًا ومطبوخًا يتولد في الارض من نفسهِ اي من بزور تكون في الارض ويمكن ان يزرع زرعًا وقد اكتشف عالمان ايطاليان طريقة لمزج الارض بجراثيمهِ بحيث يتولد فيها من نفسهِ عامًا بعد عام من غير ان يزرع جديدًا اي انهما ماثلا الطبيعة في ذلك . والارض التي يتولد فيها كذلك

تكون حراجاً من شجر السنديان فيتولد بين جذور كل شجرة منها نحو عشرة كيلوغرامات من الكمأة في السنة تباع بنحو عشرين ريالاً

وفي طرابلس الغرب نوع من الكمأة يزرع فيها كالبطاطس ويكبر حتى يصير كالبرتقال حجماً فيقلع ويجفف ويستعملهُ الناس زاداً وهم يقطعون القفار ويمكن سلقهُ بالماء او طبخهُ بلبن النوق وهو طعام جيد



باب التقريظ والانتقاد

كتاب نجدة اليراع

للاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني فضل كبير على طلاب العربية بمؤلفاتهِ الكثيرة من قاموسهِ اقرب الموارد الى المقالات التي ينشرها في المقتطف وغيرهِ من المجلات . وقد اتحفنا الآن بكتاب سماهُ " نجدة اليراع " قال في مقدمتهِ انهُ رأى الالوف من ناشئة العصر يتوردون موارد الفصاحة ويتشوق كلٌّ منهم ان يكون لهُ في حلبة الكتابة سبق الرجاحة وان يلبي اليراع خاطرهُ تلبية السماحة . وقام في نفوسٍ نزاع الى ركض قرائحهم في هذا المضمار وتلظت في افئدةٍ لواعج وجد لنيل هذه الاوطار فهالهم قصاء الطريق ووعورتهُ على ما هنالك من جذب المناجع وكدورة المصانع . فانبرت بهِ النخوة الادبية الى نشر كتاب يردُّ المعدَمَ من الادباء غنياً والملتاح مستوفياً ريّاً . ويفتتح لمن يشتهي نشر المقالات في الجرائد ابواب البلاغه ويهيئ للقلم في كل باب مساغه وقسمهُ الى ثلاثة اجزاء الاول يحتوي فقراً للبلغاء في اكثر ابواب الكتابة ومعظمها مما جمعهُ القيرواني والثاني في المتضادات والثالث في القيود والامثال . وقد نشر الجزء الاول منهُ فاذا بهِ روضة غناء ادواحها فصول مختلفة المواضيع حافلة بعبارات منتقاة من اقوال البلغاء كانها الدر النظيم كقولهِ في التقى والزهد فلان عذب المشرب عفُّ المطلب نقيُّ الساحة من المآثم بريُّ الذمة من الجرائم اذا رضي لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق يرجع الى نفسٍ امارة بالخير بعيدة عن الشر مدلولة على سبيل البر . وقولهِ في طلوع الشمس بدا حاجب الشمس كشفت قناعها نشرت شعاعها ارتفع سرادقها اضاءت مشارقها . القت الغزالة لعابها وضربت الضحي اطنابها الخ

والكتاب كلهُ على هذا النمط وقد الحقهُ بمعجم يفسر ما فيهِ من الغريب وجعل ثمنهُ زهيدًا جدًّا تسهيلاً لاقتنائهِ على الطلاب

مدينة مصر

حاضرها ومستقبلها

كتب حضرة المسيو توسان كانيري من موظفي نظارة الاشغال سابقًا مقالة بالفرنسوية في مدينة مصر وحاضرها ومستقبلها وانشاء بلدية لها . وقد ترجمت الى العربية ونشرت هي وترجمتها في كراس واحد بالعنوان المتقدم فتصفحناهُ فاذا الكاتب يرى وجوب انشاء بلدية لمصر لما في انشاء البلدية من المنافع التي لاتنال الا بها

قال " ولقد كانت المدة التي قضيتها في خدمة الحكومة بقسم المباني في ديوان نظارة الاشغال وهي اثنتان وعشرون سنة سببًا في التأكد من ان الاعمال التي تفتقر اليها مدينة كبيرة مثل مصر لا بدَّ لها من نظام يهمهُ مباشرة الصالح العام فان الحالة الجاري السير عليها الآن لاتفي بالاحتياجات العديدة الواسعة في مدينة مصر ولم تكن رومية في عهد الرومانيين الاَّ قائمة بنظام البلدية . قال جيزو ان البلدية اساس الهيئة الاجتماعية فهي الواسطة الوحيدة لافادة السكان"

ثم ابان الفوائد التي تنشأ عن البلدية مثل زيادة الاهتمام بانشاء المصارف العمومية وتنظيف الشوارع وفتح الشوارع الواسعة وما اشبه ذلك من المسائل التي تتعلق بالبلديات الى ان قال " ان كل جهة متمدنة من المعمورة يقيم فيها اهلها تراهم يتولون ادارة شؤُون انفسهم بحسب احتياجات مصالحهم . فليس من داع لترك العاصمة في حالتها الحاضرة التي لاترضي"

شرح ديوان الحماسة

ديوان الحماسة كتاب مشهور جمعهُ ابو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفَّى سنة ٢٣١ للهجرة . قال في كشف الظنون " ان ابا تمام قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحهُ فاجازهُ وعاد يريد العراق فلما دخل همذان اغتنمهُ ابو الوفاء ابن سلمة فانزلهُ واكرمهُ واصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم فقطع الطريق فغمَّ ابا تمام ذلك وسرَّ ابا الوفاء فاحضر لهُ خزانة كتبهِ فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقي الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون بهِ حتى تغيرت احوالهم وورد ابو العواذل همذان من دنيور فظفر بهِ

وحمله الى اصبهان فاقبل ادباؤُها عليهِ ورفضوا ما عداه من الكتب في معناه . ثم شاع واشتهر وقد فسره جماعة فمنهم من عني بذكر اعرابهِ ومنهم من عني بالمعاني فممن شرحه ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ وابو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢" وهكذا الى ثمانية عشر شرحاً وفي جملتها الشرح الوافي لابي زكريا الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ وقد طبع هذا الشرح في مدينة بُن بالمانيا سنة ١٨٢٨ طبعهُ العلامة فريتغ والحق بهِ اربعة فهارس جمع في الاول منها اسماء الشعراء وغيرهم الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم واماكن ورودها في الكتاب . وفي الثاني اسماء المواضع والبقاع الواردة فيهِ وفي الثالث الالفاظ اللغوية والاعلام المفسرة في الشرح وفي الرابع قوافي الاشعار ذلك كلهُ لكي يتيسر الاهتداء الى اي شيء اريد في الشرح

وقد اختصر هذا الشرح الآن حضرة الفاضل الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي مقابلاً اياهُ بشرح آخر من الشروح الكبيرة المطبوعة في بلاد الهند واضاف اليهِ مئة بيت اسقطها التبريزي من شرحهِ فرُدَّت الى نصابها وطبعهُ طبعاً متقناً جداً بالشكل الكامل فجعل الابيات متناً في اعلى الصفحة وعليها الشرح بحرف دقيق في اسفلها وقد اوجز حيث يجوز الايجاز واسهب حيث يحسن الاسهاب وايضاحاً لذلك نذكر شرح بيت للتبريزي وشرحهُ في هذا الكتاب

قال التبريزي في شرح

انَّا بني نهشلٍ لاندَّعي لابٍ عنهُ ولا هو بالابناء يشرينا

ان كان الشعر للقيسي فالرواية انَّا بني مالكٍ . وانتصاب بني على اضمار فعل كأَنهُ قال اذكر بني نهشل وهذا على الاختصاص والمدح. وخبر ان لا ندعي ولو رفع فقال انَّا بنو نهشل على ان يكون خبرًا لكان لاندعي في موضع الحال . والفصل بين ان يكون اختصاصاً وبين ان يكون خبرًا صراحاً هو انهُ لو جعلهُ خبرًا لكان قصدهُ الى تعريف نفسهِ عند المخاطب وكان لايخلو فعلهُ لذلك من خمول فيهم او جهل من عند المخاطب بشأْنهم فاذا جعل اختصاصاً فقد امن من الامرين جميعاً وانما قلت خبرًا صراحاً لان لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص لكنهُ يستدل على المراد منهُ بقرائنهِ وعلى هذا قولهُ انا ابو النجمي وشعري شعري . وقولهُ "لاندعي لاب عنهُ" ندَّعي نفتعل وعنهُ تعلق بهِ ويقال ادعى فلانٌ في بني فلان اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبهِ عنهم وهذا كقولهِ رغبتُ في كذا ورغبتُ عنهُ . وقولهُ لاب اي من اجل اب ومعناهُ انَّا لا نرغب عن ابينا فننتسب الى غيرهِ وهو لا يرغب عنا قد رضي

كلٌّ منا بصاحبهِ . ويقال شريت الشيء بمعنى بعتهُ واشتريتهُ جميعاً ومنهُ الشروى وهو المثل
اما الشرح الذي اكتفى بهِ حضرة الشيخ صاحب هذا الكتاب فهو

"بني نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعهُ لقال انَّا بنو نهشل · ومعنى لاندعي لاب لانتسب لاب غير ابينا . وقولهُ ولا هو بالابناء يشرينا معناهُ انهُ راضٍ بنا كما نحن راضون بهِ" وقد اسهب احياناً اكثر من ذلك ولكنهُ اقتصر على ما قلَّ ودلَّ . وحبذا لو الحق هذا الشرح بشرح لاسماء الاعلام الواردة فيهِ اتماماً للفائدة

الاجوبة المسكتة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي صابر بديوان عموم الاوقاف كتاباً الفهُ وسماهُ "الاجوبة المسكتة" الواردة عن العرب والفلاسفة وغيرهم . قال في تعريف الاجوبة المسكتة نقلاً عن بعضهم "انها اصعب الكلام مركباً واعزهُ مطلباً لان صاحبها لعجل مناجاة الفكرة واستعمال القريحة حيث يروم في بديهتهِ نقض ما أُبرم القائل في رويتهِ" الخ . ونقل عن الامام عليّ قولهُ "نعم الناصر الجواب الحاضر"

ومما ذكرهُ من الاجوبة المسكتة اللطيفة "ان بعض الاعراب دخل على المأمون فقال يا امير المؤمنين انا رجل من الاعراب الاغراب . قال لا عجب . فقال اني اريد الحج . قال الطريق واسعة . فقال ليس معي نفقة . قال قد سقط عنك الحج . فقال ايها الامير جئتك مستجدياً لا مستفتياً"

وقد ذيّل الكتاب بتراجم اشهر فلاسفة اليونان القدماء الذين نقل بعض الاجوبة المسكتة عنهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو فنشكرهُ على هديتهِ ونثني على اجتهادهِ

الهدية العصرية الى الجامعة الوطنية

وقفنا على هذا الكتيّب لحضرة مؤلفهِ الاديب سليمان افندي مصوبغ المحامي وهو مجموع مقالات نشرها في بعض الجرائد ثم ضمها معاً فيهِ فمن مواضيع هذه المقالات العمران والمحاماة ومسأولية الانسان وادوار الحياة ومدنية البشر وما اشبه من المواضيع الادبية الاجتماعية



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) واضع حروف الهجاء

عطا افندي فهمي بدائرة والدة خديوي

مَن الذي وضع الحروف العربيَّة وكيف حصل ذلك

ج لا يُعلم مَن وضع الحروف العربيَّة . وقد كان اهل حمير يكتبون لغتهم المشابهة للعربية بحروف منفصلة صورناها في الجزء الاول من المقتطف الصادر منذ ثلاثين سنة وكان عرب غسان يكتبون بحروف شبيهة بالكتابة العربية المستعملة الآن وذلك قبل التاريخ الهجري . ويظهر من بعض الروايات ان العرب ترجموا الانجيل والزبور الى العربية قبل الهجرة بسنين كثيرة فلا بدَّ من انهم كانوا يكتبون العربية . ولا يعقل ان يكون العرب اتصلوا بالسريان واليهود والروم والقبط من عهد المسيح وهؤُلاء كلهم يكتبون لغاتهم بحروف هجائية والعرب اهل تجارة لا يتعلمون منهم كتابة لغتهم بحروف هجائية . ومتى فتحت بلاد العرب لعلماء العاديات فلا يبعد ان يكتشفوا فيها كتابات قديمة تدلُّ على منشإِ الكتابة العربيَّة فيها

(٢) زيادة حروف الهجاء

ومنهُ . لماذا نرى الحروف العربيَّة لا تقبل الزيادة ولا النقصان

ج انها تقبل الزيادة وقد زيدت فيها حروف البا والقاء والكاف والجيم للتلفظ ببعض الكلمات الاعجميَّة . ولو جارت الزمان واقتصر اصحابها على ما يلفظ منها الآن لاهملوا منها الذال والثاء

(٣) واضع الحروف في باقي اللغات

ومنهُ . مَن وضع الحروف في باقي اللغات

ج يتعذر علينا ان نجيب عن هذا السوال اما اللغات التي كتبت منذ عهد قديم فلا يُعلم مَن وضع حروفها لتوغلها في القدم ولان التاريخ لم يحفظ اسماء واضعي الحروف واما اللغات التي كُتبت حديثاً فالاوربيون والاميركيون الذين دخلوا بلاد اهلها للتبشير وضعوا لها حروفاً لتكتب بها وحروفهم رومانية

(٤) بوارج الدول

مصر . احمد افندي سليم . كم عدد البوارج والطرادات عند كل دولة من الدول

ج كان عددها قبل الحرب الحاضرة كما ترون في الجدول التالي

	البوارج من الطبقة الاولى	الطرادات المدرعة
بريطانيا	٥٣	٢٤
فرنسا	٢٠	١٧
روسيا	١٤	٦
المانيا	١٦	٤
ايطاليا	١٤	٦
اميركا	١٢	٦
اليابان	٥	٨

اما بعد الحرب فسفن روسيا غرقت او تعطلت او غنمها اليابانيون وما سلم منها قليل جدًّا . وهذه الدول تبني الآن عددًا كبيرًا من البوارج والطرادات كما ترون في الجدول التالي

	البوارج التي تبني الآن	الطرادات المدرعة التي تبنى
بريطانيا	٨	٤
فرنسا	٦	٢
روسيا	٥	٤
المانيا	٦	١
ايطاليا	٤	٣
اميركا	١٢	٢
اليابان	٢	

(٥) لغة العيون

بغداد . الخواجه يوسف مسيح . وقفنا على اشتغال بعضهم بابتكار لغة تكون الفاظها حركات العيون بناء على ان حركة العين تدلُّ على مقصد النفس كما هو معلوم فهل توصَّلوا الى طائل من ذلك

ج لم نقف على شيءٍ من ذلك ولا نظن انهُ يسهل التعبير عن كلمات اللغة بحركات العينين ولكن لا يتعذَّر تعليم الاصم ان يفهم كلام المتكلم من رؤْيتهِ حركات شفتيهِ وهو يتكلم من غير ان يسمع شيئًا وذلك جارٍ الآن فعلاً ثم يعلَّم الاصم ان ينطق فيصير يتكلم كما يتكلم سائر الناس ويفهم الكلام مثلهم ولو لم يسمع شيئًا

(٦) القطف الباكر

مصر . الخواجه ابرهيم مروسي . زرعنا عشر عقد من الكرم في شهر فبراير الماضي . وفي شهر مارس ظهر الورق في بعضها وظهر في احدى العقد قطف من العنب ثم جفَّ في شهر مايو وسقط من غير ان يمسهُ احد ولكن العقدة ما زالت تخضرُّ الى الآن فنرجو ان تخبرونا عن سبب ذلك

ج ان جرثومة الورق والقطف كانت في العقدة ولو بقيت العقد في امها ولم نقطع منها لنما القطف وصار عنقودًا من العنب لان الكرمة التي قُطعت العقدة منها تقدم لهُ ما يكفيهِ من الغذاء اللازم لهُ لانها كبيرة

وجذورها ضاربة في الارض في مساحة واسعة فتمتص الغذاء منها وترسلهُ الى الاوراق والعناقيد . والغذاء اللازم للعناقيد كثير وفيهِ مواد نيتروجية لازمة للزهر والثمر . اما العقدة التي زرعتموها فالغذاء فيها قليل جدًّا والجذور الصغيرة التي نبتت منها لا تستطيع ان تمتص ما يلزم من الغذاء لنمو العنقود فجفَّ ويبس ووقع . وربما يظهر فيها عناقيد في السنة التالية فيجب قطفها منها ورميها قبلما تكبر لان قوة الكرمة غير كافية لنموها وانماء العناقيد ايضًا فاذا تركت العناقيد عليها اضعفتها وقد تيبسها . ولا تتركوا العناقيد عليها الَّا بعد السنة الرابعة اذا اردتم ان تنمو وتقوى جيدًا

(٧) النور المنعكس

قنا . احد المشتركين . كانت احدى السيدات في ليلة ١٧ ابريل الماضي واقفة في بلكون منزلها المطلّ على الخلاء فرأت على بعد شيئًا يلمع كلمعان الماس ان لم اقل اشد لمعانًا منهُ وظهر لها حجم المنظر في اولهِ اكبر من نور نجم كبير ثم اخذ نورهُ يتراوح بين ظهور وانكماش مرات متوالية الى حد انهُ صار في الصغر كراس الدبوس ثم تلاشى . ولما كان هذا المنظر غريبًا نادت سيدة اخرى كانت معها في المنزل فرأت الثانية ما رأتهُ الاولى وكانت الثانية ترى والاولى لا تنظر شيئًا . ثم اتت سيدة ثالثة فرأت المنظر والسيدتان الاوليان لا تريانهِ وكانت الساعة ١١ مساءً . وغاية ما عللناهُ انهُ ضرب من ذبابات الارض لهُ صدفة براقة كان نور القمر ينعكس عنها فهل هذا التعليل صحيح ولماذا كانت الواحدة تراهُ والثانية لا تعود تراهُ

ج ان تعليلكم قريب من الصحة فان اليوم كان حينئذٍ ١٢ صفر والقمر يقرب ان يكون بدرًا والظاهر ان نورهُ كان ينعكس عن قطعة زجاج او خزف مدهون فراتهُ الاولى وكان يتغير بتحرك رأسها ثم لم تعد تراهُ من موقفها فاتت الثانية ووقفت الى جانبها فراتهُ ولو وقفت مكان الاولى تمامًا لتعذَّرت عليها رؤيتهُ حينئذٍ ثم لم تعد تراهُ لان القمر يسير الى الغرب حسب الظاهر فلا يرى نورهُ المنعكس من مكان واحد الَّا برهة وجيزة ويتضح لكم ذلك من وضعكم مرآة صغيرة على الارض بحيث يقع نور الشمس عليها ووقوفكم في مكان ترون منهُ النور المنعكس عنها فاذا بقيتم في مكانكم دقيقة او دقيقتين لا تعودون ترون النور المنعكس ولكنكم ترونهُ اذا انحرفتم عن مكانكم الى الجهة التي ينحرف اليها النور واذا كانت المرآة صغيرة كانت رؤيتكم لنورها اقصر مدةً

(٨) الزراعة السورية

صيدا . ا . ع . ز . نراكم تكتبون في باب الزراعة عما يختص بالقطر المصري على انكم تعلمون ان القطر السوري في اشد الحاجة

الى ذلك . ولماذا لا تترجمون كتاباً مفيداً في علم الزراعة وتنشرونهُ تباعاً في مقتطفكم المفيد لتعمَّ الفائدة

ج ان اكثر ما ننشرهُ الآن في باب الزراعة خاص بالقطر المصري لان مشتركي المقتطف فيهِ اضعاف مشتركيهِ في القطر السوري فمصلحتهم مقدمة طبعاً . ولما كان المقتطف ينشر من بيروت وكان مشتركو سورية اكثر من مشتركي مصر كان اكثر ما ننشرهُ في باب الزراعة خاصًّا بالقطر السوري وترجمنا حينئذٍ رسائل كثيرة في علم الزراعة وتربية المواشي حتى لا نظن اننا تركنا باباً لم نكتب فيهِ كتابة مسهبة كما يظهر لكم بالمراجعة ولقد كان في نيتنا ان نجمع مما كتبناهُ هناك كتاباً ونُنقّحهُ وننشرهُ ولكننا لم نجد الوقت اللازم لذلك حتى الآن

(٩) الماسونية

ومنهُ . تباينت الاقوال في اسرار الجمعية الماسونية فمن قائل انها لامر يختص بالدين ومن قائل بالسياسة ومن قائل ان المراد بها هدم كل سلطة فما هو غرضها الحقيقي ولماذا تبقي على امور سرية فيها

ج غرضها الحقيقي ان يساعد اعضاؤُها بعضهم بعضاً ولو لم يفعلوا ذلك دائماً . ولما كان جمهور كبير منهم من المتعلمين الذين خلعوا نير التقليد في كل شيء ديناً وسياسة فالباقون يحذون حذوهم في الغالب من معاشرتهم ولكن الماسونية نفسها لا تطلب ذلك ولا تنفيهِ كما ان الجمعيات التجارية والزراعية لا تطلب من اعضائها مطالب دينية ولا سياسية . اما ابقاؤُها على بعض الاسرار فلكي يعرف اعضاؤُها بعضهم بعضاً في الغربة ويستطيعوا ان يساعد بعضهم بعضاً

(١٠) سبب ارتقاء الغرب

ومنهُ . هل ارتقاء الغرب من الحكومة او من الشعب

ج من الشعب ولكن اتفق ان الحكومة لم تَحُل دون ارتقائهِ فلما ارتقى ارتقت معهُ ولو اتفق ان كان رجال الحكومة معارضين لارتقاء الشعب كما حدث في اسبانيا مثلاً لتأخر ارتقاؤُهُ الى ان يتولاهُ حكام لا يمنعون ارتقاءهُ . فالحكومة قد تفيد وقد تضر وقد لا تفيد ولا تضر فان كان الثاني فالغالب ان الشعب يعجز عن مغالبتها والسير في سبيل الارتقاء وان كان الاول اعتضد بها على الارتقاء كما حدث في بلاد اليابان وان كان الثالث فالارتقاء يجري مجراهُ ولو كان بطيئاً ثم يتغلب على الحكومة فتجري معهُ

(١١) الانكليزية والفرنسوية

ومنهُ . اي اللغتين اسهل الانكليزية او الفرنسوية وكم يقتضي لتعلم كل لغة منهما واتقانها وايهما انفع في القطر المصري وهل لمن يعرفهما او يعرف احداهما فائدة مادية

ج لعلَّ اللغتين متساويتان في السهولة

والصعوبة على ابناء العربية ويختلف الزمن اللازم لتعلم لغة منهما حسب ميل المتعلم الى تعلم اللغات ومقدار اجتهادهِ واسلوب المعلم الذي يعلمهُ . فقد تكفي لذلك سنتان وقد لاتكفي السنون الطوال والغالب ان اربع سنوات تكفي لاتقان لغة تكلماً وقراءةً وكتابةً اذا درست الدرس الواجب . والانكليزية انفع الآن من الفرنسوية في القطر المصري وقد زاد الاقبال عليها كثيرًا في هذه الايام ولا بدَّ من فائدة مادية من معرفة كل لغة عند من يعرف كيف يجني الفائدة

(١٢) ماء الآبار الارتوازية

ومنهُ . هل ماء الآبار الارتوازية يحتاج الى ترشيح في الزير

ج كلاَّ لانها تكون قد ترشحت في الارض

(١٣) فائدة البيض

ومنهُ . رأيت بعض الاطباء يصف مح البيض دون آحهِ فهل المح اشد نفعاً . وقرأت في بعض كتب الطب ان عدم مزجهما معاً مضرٌّ بالكبد فهل لذلك صحة

ج ان في بياض البيض ١٢ في المئة البيومن (زلال) و ٨٦ في المئة ماء وقليل من الاملاح القابلة الذوبان والالبيومن مادة مغذية . وفي صفارهِ نوع من الالبيومن اسمهُ ڤيلتين وزيت اصفر اللون وقليل من الحامض الفصفوريك . والڤيتلين فيهِ ١٦ في المئة والمادة الدهنية ٣٠ في المئة فالمادة المغذية فيهِ ٤٦ في المئة وهي في البياض ١٢ في المئة ولكن الصفار الثلث والبياض الثلثان فاذا حسبنا وزن المادة المغذية في البيض كلهِ بياضهِ وصفارهِ ٧٠ قمحة فاربعة وعشرون منها في البياض و ٤٦ في الصفار وفي الصفار عدا ذلك حامض فصفوريك وهو لازم لبناء الدماغ . والبيض مغذٍّ كلهُ ومن اكثر الاطعمة غذاء ولا نرى وجهاً لما رأيتموهُ في كتب الطب من ان عدم مزجهما مضرٌّ بالكبد

(١٤) الاغتسال بالماء البارد

ومنهُ . هل يصلح الاغتسال بالماء البارد لكل صحيح الجسم قوي البنية وهل يحسن استعمالهُ في كل الفصول وكم هي الكمية التي يلزم استعمالها وفي اي وقت يكون اصلح وهل السباحة في البحر والنهر مضرة

ج نعم يصلح وفي كل الفصول بشرط ان لا يشعر المغتسل ببرد شديد فاذا شعر ببرد شديد فالماء البارد يضرهُ ولا ينفعهُ وكلما كان الماء كثيرًا كان اصلح وافضل الاوقات الصباح وعلى كل حال لا يحسن الاغتسال بعد الاكل مباشرة والسباحة لا تضرُّ بل تنفع بشرط ان لا يتعب السابح كثيرًا

(١٥) لبس الجوارب

ومنهُ . هل يلزم لبس الجوارب دائماً لمن اعتادها وهل لنزعها تأثير يضر بالعيون حتى لمن نزل من سريرهِ بدونها على سجادة

من صوف

ج كلا لا يلزم لبسها دائماً ولكن لبسها اقرب الى النظافة فاذا اقام الانسان في بيتهِ ورأى ان العادات لا تقضي عليهِ بلبسها فعدم لبسها اصلح لهُ ولا يضرُّ ذلك بعينيهِ سواء نزل على سجادة من صوف او على الحصير او على الارض . واذا كان الفصل شتاء فبرد القدمين يتعب ويؤْلم وقد يضرُّ ايضاً فيلزم اتقاؤُهُ بلبس الجوارب او اعتيادهُ تدريجاً

(١٦) البراغيث

ومنهُ . عما تحدث البراغيث وما طرق استئصالها

ج تبقى بيوضها من سنة الى سنة فتولد منها وتبيض وتخلف وهلمَّ جرًّا . والنظافة التامة في البيت وما جاورهُ تقللها او تزيلها ولكن اذا نظف الانسان بيتهُ جيدًا ولم ينظف جيرانهُ وزوَّارهُ بيوتهم وثيابهم وابدانهم اتصلت البراغيث منها اليهِ



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الهلال	٢	٧	٥٠	مساء
الربع الاول	٩	٧	٤٦	«
البدر	١٦	٥	٣٢	«
الربع الاخير	٢٤	٣	٩	«

السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر ويكون نجم المساء في آخرهِ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يرى من الساعة ٢ ١/٢ صباحاً في اول الشهر وبعيد نصف الليل في آخرهِ

المشتري يطلع بعيد الساعة ٢ صباحاً في اول الشهر ونصف الليل في آخرهِ

زحل يرى بعد الساعة ١٠ مساء في اول الشهر والساعة ٨ في آخرهِ

الكسوف المقبل

قررت حكومة الولايات المتحدة ان تعفي من الرسوم النظارات والمرايا والمنشورات والعدسيات وغيرها من الادوات الفلكية التي يأخذها الفلكيون معهم لرصد الكسوف المقبل عند ارجاعها معهم بعد مشاهدة الكسوف . فان القانون يقضي باخذ الرسوم عليها ولكن مدير مرصد لك كتب الى الحكومة يطلب منها اعفاءها من الرسوم لاسيما وان اكثرها صنع خارج الولايات المتحدة

فاخذت الرسوم عليهِ عند ادخالهِ اليها . فاجابتهُ الحكومة انهُ وان كان القانون يقضي باخذ الرسم عليها ثانية الَّا ان مفعولهُ لا يسري عليها هذه المرة لان الغرض خدمة العلم

وقد حذت حكومة اسبانيا حذوها فقررت اعفاء الآلات التي يحضرها الفلكيون معهم الى اسبانيا لرصد الكسوف فيها

قطن صناعي

جُرّب عمل القطن الصناعي في باڤاريا من خشب الصنوبر ويقال ان التجارب جاءت على ما يرام . وطريقة ذلك انهم ينزعون عن الخشب قشرهُ ويقطعونهُ قدداً رقيقة جدًّا ثخن القدة منها ١/١٦ من البوصة او اقل ثم توضع في اسطوانة كبيرة من النحاس موضوعة افقيًّا ومبطنة بالرصاص ويدخل البخار اليها . وبعد ما يتمُّ تحليل القدد بالبخار يضاف اليها محلول كبريتيد الصودا وتحمى الاسطوانة تحت ضغط شديد مدة ٣٦ ساعة فيبيض الخشب ثم يغسل ويضغط ويضاف اليهِ كلوريد الكلس لزيادة تبييضهِ ويعالج ايضاً بمزيج من الحامض النتريك والهيدروكلوريك وكلوريد التوتيا ومواد اخرى فتخرج الخيوط منهُ دقيقة متينة يمكن صبغها بجميع الالوان

بحيرة قارون

ظهر من الاكتشافات التي اكتشفها ستون كار في صحراء الفيوم ان بحيرة قارون القديمة كانت تتأَلف في زمان من الازمان السالفة من سلسلة واحات تمتد الى الشمال الغربي من البحيرة الحالية وعلى بعد نحو ١٥ ميلاً من حدّها واكتشف عدداً كبيراً من حجارة الرَّحى والادوات الصوانية في تلك الناحية وارسل بعضها الى متحف القاهرة

خسارة الحروب

كتب الدكتور لويس الكند مقالة في "مجلة اميركا الشمالية" عن الحروب القديمة والحديثة اوضح فيها انهُ كلما زاد السلاح مضاءً قلَّ فتكهُ وقال ان حرب منشوريا بما يجري فيها من الفظائع والمجازر الآن ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الحروب القديمة التي كان سلاحها السيوف والحراب . فان البندقية الحديثة تقتل على بعد نحو ميلين ولكنها اقل فتكاً من بندقية الزناد التي لم تكد تقتل على بعد ٣٠٠ ذراع . وفي المعارك الكبيرة التي جرت بين سنة ١٧٤١ وسنة ١٨٧٨ (ومن ضمنها حرب الدولة العثمانية وروسيا) كان يقع ٢٥ قتيلاً من كلّ مئة رجل يصابون ولكن يؤْخذ من احصاءات الحروب الحديثة ان متوسط القتلى في ميادين القتال لم يزد على ١٨ في المئة من المصابين وكان بين ٧ و ١٥ على الغالب

والسبب في ذلك ان الرصاصة الحديثة صغيرة جدًّا حتى ان ٧٩ في المئة من الذين

يصابون بها في ابدانهم ورؤوسهم لا يموتون وان لم تستخرج منهم كأن لم يصبهم مكروه . وكان معظم سبب الوفيات في الحروب القديمة قذر الجروح وتأخر فن الجراحة . بخلاف ما هي الحال عليهِ هذه الايام فان عناية الجراحين بالنظافة مشهورة وفن الجراحة بلغ شأواً بعيداً فالجنود اليابانية تغير قمصانها قبل المعركة منعاً لفساد الجروح مما يعلق بالاقمصة من الغبار وما يلوثها من العرق . فكان هذا بعض السبب في قلة الوفيات بين جرحاهم

ونظهر غباوة جرّاحي الايام السالفة من الاعمال التي كانوا يعملونها لمنع فساد الجراح قال احد كبارهم ان البارود يفسد الجروح التي يحدثها لانهُ سمٌّ وان خير الطرق لمعالجة جرح مثل هذا كيُّهُ وصبُّ الزيت المغلي عليهِ . يحكي ان بعض الجراحين كانوا يعملون عمليات الكيّ فوجدوا انهُ لم يبقَ عندهم زيت فذعروا من ذلك وتوقعوا الموت العاجل لجرحاهم ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الذين لم يعالجوهم البتة التأمت جروحهم واصبحوا احسن حالاً من الذين اوقعهم سوءُ الطالع تحت ايديهم

قال واطلقت الدول المتحدة (التي اتحدت على بونابرت) ١٢ مليون خرطوشة و ١٧٩ الف قنبلة في معركة لبسك فقتل وجرح من الفرنسويين ٤٨ الف رجل اي ان ظلقاً واحداً من كلّ ٢٥٠ اصاب رجلاً . والمشاة يفقدون اكثر كثيراً من الفرسان ولو تعرّض الفرسان لنار حامية . وظهر من تاريخ حروب الروس انهم لم يكونوا ينكسرون حتى يفقدوا ٣٠ الى ٤٥ في المئة من مجموعهم بين قتيل وجريح وذلك دليل على استبسالهم واستقتالهم في القتال . اما في حرب الترنسفال فان الانكليز انهزموا في بعض المعارك ولم يفقدوا سوى ٢ الى ٥ في المئة من مجموعهم . ومتوسط ما يفقدهُ الروس من الضباط بالنسبة الى الجنود في المعارك ٢٨ في المئة وما يفقدهُ الانكليز ١٣ في المئة

الكلاب مكان البوليس

تستخدم ادارة بوليس فلادلفيا الكلاب للتفتيش عن السكارى كما تستخدم كلاب سان برنار للتفتيش عن الذين يهرأهم البرد في جبال الالب . فاذا اقبل الليل خرجت الكلاب الى الازقة والمنعطفات حتى اذا عثرت بسكّير مطروح على الارض عادت الى اقرب بوليس وجرّتهُ الى حيث السكير ملقًى ولا تزال ملازمة لهُ حتى ينقلهُ البوليس من مكانهِ

ومن مزايا هذه الكلاب انها تعلم بشبوب النار بقوة شمها الغريبة فتنذر البوليس بالخطر قبل امتداد اللهب . وبينها كلب اهتدى الى خمس نيران قبل تصاعد الدخان منها واهتداء الخفراء اليها بهِ فسلمت بذلك الارواح والاموال من النار

وتستخدم كلاب سان برنار لرد الاولاد الضائعين الى اهلهم. فقد علموها انهُ اذا وجد ولد يصرخ بين جمع مزدحم فالغالب ان يكون ضائعاً فتأخذهُ الى نقطة البوليس حيث يرد الى اهلهِ

ثوران يزوف وبيله

ثار بركان يزوف في اواخر الشهر الماضي وقذف مقداراً كبيراً من الحمم والمواد المصهورة في ٢٧ منهُ فسالت مسافة كيلومتر في ساعة واحدة

وثار جبل بيله في المارتينيك في اوائل الشهر فاضاءت قنتهُ بغتة مساء السبت في ١٠ منهُ ثم انشقت صباح الاحد فسال منها مقدار من الوحل الى الوادي وارتفع عمود دخان الى علو ١٥٠٠ ذراع

اقزام هريسن

اتفق المجمع الانثروبولوجي في انكلترا مع الكولونل هريسن على نشر تقرير علمي مستوفٍ عن الاقزام الذين جاء بهم الى انكلترا من افريقية واوصافهم البدنية والعقلية وعين مجلس المجمع لجنة من علماء الانثروبولوجيا والاطباء لهذه الغاية وهم السر جونستن رئيساً والاستاذ ارثر طمسن والدكاترة كيث ورفرس ومري لسلي والاستاذ جولند والمستر جراي والمستر جويس اعضاء

جائزتان

عين الدكتور هنري دي رتشيلد جائزتين الواحدة وهي ٢٠٠ جنيه تعطى السنة القادمة لمن يؤلف احسن كتاب في افضل طعام يطعمهُ الطفل منذ ولادتهِ حتى يبلغ السنتين من عمره. والثانية ١٢٠ جنيهاً تعطي لمن يؤلف احسن كتاب في تقديم اللبن الى اهالي مدينة كبيرة. وتباح الكتابة في هذين الموضوعين لكلّ من شاء بلا استثناء وتقفل المناظرة في غرة يونيو سنة ١٩٠٦

الملوك والرعية امام القانون

لا يجيز القانون الانكليزي للملك اقامة دعوى مدنيَّة على احد من رعيتهِ بل يجيز لهُ اقامة الدعاوى الجنائية. فاذا اقام دعوى جنائية اخذت شهادتهُ كتابة وقرئت في المحكمة لان الملك لا يحضر المحاكم. اما الرعية فيجوز لمن شاء منها ان يقيم دعوى مدنيَّة على الملك وذلك بان يعرض على مجلس الامة ما يسمونهُ "عريضة الحقوق" فتحال العريضة على الاعيان المنوط بهم النظر في الامور القضائية في مجلس الاعيان فيقررون ما اذا كانت الدعوى تسمع او تحفظ. ولم يرفع احد من الانكليز دعوى على احد من ملوكهم منذ مئة سنة

اما امبراطور الالمان فلا يجيز لهُ القانون ان يقيم دعوى على احد من رعيتهِ

مدنية كانت او قضائية وكذلك لا يجيز القانون لاحد من الرعية ان يقيم دعوى على الملك غير دعاوي الدَّين وحينئذٍ ترفع العرائض الى ناظر الجيب الخاص

واما ملك ايطاليا فيرافع رعيتهُ وترافعهُ في محكمة خصوصية يدعى الملك نفسهُ اليها لسماع شهادتهِ ولكن يحقُّ لهُ ان يرفض الجواب على اي سؤال يسألهُ وكيل المدَّعي

وكذلك قيصر روسيا فانهُ يجوز لايّ شاءٍ من رعيتهِ ان يرافعهُ الى المحاكم ولكن لم يجسر احدٌ من الروس ان يقيم دعوى على احد القياصرة منذ زمان طويل

فصول المريخ

كان المستر لويل يرصد المريخ في ٩ ابريل الماضي في مرصد فلاجستاف بالولايات المتحدة فرأى ما يدلُّ على تغير الفصول فيهِ واهمُّ ما رآهُ تغير لون المساحات المعروفة من اخضر مزرقٍ الى اسمر محمر. وطقس المريخ وقت الرصد يقابل طقسنا في شهر فبراير

تجارب جديدة في عمل الماس

جرَّب الاستاذ مواسان تجارب جديدة ليرى تأثير الكبريت والسلكا والفوصفور في تبلور الكربون فوضع بعض الحديد والسكَّر معاً في بوتقة وصهرها في اتون كهربائي. فلما أُشبع الحديد المصهور كربوناً من السكَّر وضع معهُ قليلاً من كبريتيد الحديد ثم برَّدت البوتقة فجأة بتغطيسها في الماء البارد فظهر ان الكربون تبلور ماساً من الداخل وان كبريتيد الحديد زاد تكوُّن البلورات. وكان لابدَّ من تغطيس المذوَّب في الماء البارد فجأة والاَّ لم يحدث تبلور. وظهر ان السلكا ساعد على التبلور ايضاً واما الفوصفور فلم يؤَثر اقلَّ تأثير

سباق القوارب

جرى سباق القوارب في ١٧ مايو الماضي بين احد عشر قارباً منها ستة اميركية واربعة انكليزية وواحد الماني بني في انكلترا وميدان السباق من مكان اسمهُ "سندي هوك" في ساحل اميركا الشرقي الى مكان اسمهُ راس "لزرد" في ساحل انكلترا الغربي والمسافة بين المكانين ٣٠٠٠ ميل. وقد تمَّ السباق في اواخر الشهر فكان السابق القارب المسمى "اتلنتك" لرجل اميركي فانهُ قطع تلك المسافة في ١٢ يوماً و ٤ ساعات ودقيقة فبلغ راس "لزرد" في ٢٩ مايو الساعة ٩ والدقيقة ١٦ ليلاً. فنال الجائزة وهي كأس من الفضة عينها امبراطور المانيا لهذه الغاية

وتلاهُ القارب همبرج لشركة المانية فانهُ بلغ آخر السباق في ٣٠ مايو الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ مساءٍ ثم القارب "فلهلا" وصاحبهُ ارل كروفورد الانكليزي فانهُ بلغ غايتهُ في ٣١ مايو الساعة ٨ والدقيقة ٨ مساءٍ

ثم تلت القوارب الاخرى بين متقدم ومتأخر ويظهر من كلام الجرائد الاميركية عن الاستعداد للسباق ان النتيجة كانت طبق المنتظر فان الاكثرين كانوا يقدرون السبق للقارب " اتلنتك " الاميركي ويحلون القارب " همبرج " محلاً ثانياً فجاء تقديرهم مطابقاً للواقع

معروضات عثمانية صناعية زراعية

جاءنا منشور بالعنوان المتقدم من الشوير في لبنان مؤرخ في ٢٥ ايار (مايو) سنة ١٩٠٥ وممضي بامضاء حضرة الوجيهين فارس افندي مشرق الرحباني رئيس شركة المعروضات وداود افندي سليمان مجاعص الكاتب . وقد وجها الخطاب فيهِ " الى ابناء الوطن الكرام " وأبانا ما المّ بجبل لبنان من الخسارة الاجتماعية اثر مهاجرة شبانه الى البلدان الاجنبية قصد الاتجار ثم قالا " ولذا فقد رأت شركة عثمانية وطنية ان تبدأ في مشروع يوقف تيار المهاجرة الهائل وذلك بان تسعى الى تحسين مصالحنا الثلث (الصناعة والزراعة والتجارة) عن طريق " محل للمعروضات العثمانية الوطنية " يجري فيهِ التنافس بالمصنوعات والمزروعات وتلقى النصائح والخطب اللازمة في الصناعة والزراعة حتى اذا تمَّ ما نريد وصار في امكان صنائعنا منافسة الصنائع الاجنبية تألفت شركة تجارية لتصديرها الى الخارج فتكون الحياة الاقتصادية عن هذا الطريق اعز واوفى ولنا في همم اخواننا المهاجرين اكبر شفيع بالرواج في البلاد القاصية "

وذكرا ان صاحب الدولة مظفر باشا متصرف جبل لبنان اظهر ارتياحهُ الى هذا المشروع فحثَّ مأموري الجبل على تعضيدهِ بتشويق الاهالي الى الاقبال عليهِ وعرض معروضاتهم الصناعية والزراعية في المعرض الذي يقام في محلّة " مرحاتا " بظهور الشوير في غرة شهر آب (اغسطس) المقبل . وقد خُصّص هذا المعرض لعرض المصنوعات الوطنية من جميع الاجناس والفواكه والخضر والبقول . وفي المنشور ان الشركة عينت جوائز نقدية للعارضين وان مدة المعرض لا تتجاوز ٣٠ يوماً

ولا ريب ان الفكرة حميدة يدعو لها كلُّ محبٍ لوطنهِ بالنجاح فعسى ان نرى من همة اصحابها ما يحقق هذه الامنية فلا يذهب سعيهم فيها سدًى

اصلاح غلط

في الصورة الاولى من صدر الجزء السادس " ترى بعض العلماء " صوابها " ترى بعين العلماء " . " وكوكبة الجبار " صوابها " كوكبة الجاثي "

وصفحة ٧٧ من الرواية السطر ١٨ بهية صوابها حليمة

فهرس الجزء السابع من المجلد الثلاثين

٥٠٥ اقزام افريقية (مصوَّرة)

٥١٣ طول العمر

٥١٨ القطران وما يستخرج منهُ

٥٢١ محمد علي باشا (مصوَّرة)

٥٣٢ هل يسود السلام

٥٣٧ التهذيب

٥٤٥ الخطر الابيض والخطر الاصفر

٥٥٢ التحوُّل الفجائي

٥٥٦ حِيَل النبات

٥٥٨ جزيرة سخالين

٥٥٩ باب المراسلة والمناظرة * كتاب الاملاء · تشيع المقتطف للانكليز · حالة مصر المالية

٥٧٠ باب تدبير المنزل * واجبات المرأة · تربية الاولاد · اسراف الاميركيات

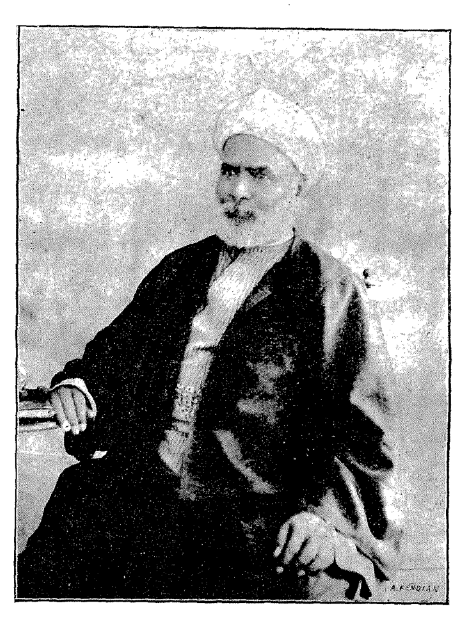
٥٧٤ باب الزراعة * السماد الكيماوي · اعلى فصفات الجير · كبريتات الامونيا · نيترات الصودا زراعة الكمأة

٥٧٧ باب التقريظ والانتقاد * كتاب نجعة البراع · مدينة مصر · شرح ديوان الحماسة · الاجوبة المسكتة

٥٨١ باب المسائل * واضع حروف الهجاء · زيادة حروف الهجاء · واضع الحروف في باقي اللغات بوارج الدول · لغة العيون · القطف الباكر · النور المنعكس · الزراعة السورية · الماسونية سبب ارتقاء الغرب · الانكليزية والفرنسوية · ماء الآبار الارتوازية · فائدة البيض · الاغتسال بالماء البارد · لبس الجوارب · البراغيث

٥٨٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٦ نبذة

رواية فتاة مصر الملحقة بالمقتطف



الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٩ جماد اول سنة ١٣٢٣

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

تمهيد

كأن المنايا تبتغي في خيارنا   لها ترةً او تهتدي بدليلِ

شهدنا قبيل كتابة هذه السطور مشهداً قلما يُرى مثلهُ في هذه العاصمة تتقدمهُ كتيبة من فرنسان البوليس وشرذمة من مشاتهِ تسيران في صفين على جانبي الطريق ووراءهما نعش مجلل بشيلان الكشمير يحملهُ طلبة العلم في الجامع الازهر ووراءهُ قاضي مصر وشيخ الجامع الازهر والعلماء وقضاة المحاكم الشرعية ووراءهم خلق كثير من المشايخ والمجاورين ثم مستشارو محكمة الاستئناف الاهلية وقضاة المحاكم الابتدائية ورجال النيابة وكلهم بالاوشحة الرسمية ورجال المحاماة بطيالسهم السوداء ثم ناظر الحقانية وقائد جيش الاحتلال ومستشار الداخلية ووكيل الحقانية ووكيل حكومة السودان ومدير مصلحة الصحة واكابر ضباط الجيش المصري من الانكليز والمصريين وكبار موظفي دواوين الحكومة ووكيل محافظة مصر وحكمدارها ورئيس مجلس شورى القوانين واعضاؤهُ وفضلاء العاصمة وادباؤها واعيانها على اختلاف طبقاتهم وكثيرون من وجهاء الارياف . وشهد اهالي الاسكندرية مشهداً مثلهُ في الصباح سار فيهِ نائب قائمقام الخديوي وسكرتير الوكالة البريطانية ووكلاء الداخلية والمالية والخارجية والمعارف العمومية وجمهور العلماء والوجهاء وهم يمثلون الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية في مصر والاسكندرية والقطر المصري كلهُ . فان مفتي الديار المصرية العلاَّمة المحقق الشيخ محمد عبده قضى وهو في الاسكندرية بداء اعيا الاطباء فحمل

منها الى العاصمة واحتفلت الحكومة المصرية بتشييع جنازتهِ احتفالاً رسميًّا فما صار لاحد من اعاظم امرائها ووزرائها . ولقد عمَّ الاسى عليهِ الديار المصرية وفقدهُ اهل الاسلام في مشارق الارض ومغاربها واسف عليهِ غيرهم من الذين يودُّون الخير لهذه البلاد ونزع الضغائن المتولدة من اختلاف الاديان لما لهُ من الايادي البيضاء والمساعي المشكورة في انارة الاذهان ودفع الوساوس فحق ان يقال فيهِ

عمَّت فواضلهُ فعمَّ مصابهُ فالناس فيهِ كلهم مأجورُ
والناس مأتمهم عليهِ واحد في كل دارٍ رنَّة وزفيرُ

وهو عصامي رقي الى هذه المنزلة بجدهِ وتوقُّد ذهنهِ وحسن نظرهِ في العواقب واقدامهِ على عظائم الامور . فانهُ جدَّ حتى اكتسب العلوم اللغوية والدينية وامتلك ناصية الانشاء ونبغ حتى صار من اكتب كتَّاب العصر ومن اعلم العلماء في العلوم اللغوية والدينية وما جرى مجراها . ثم تعلَّم اللغة الفرنسوية لكي يطَّلع على العلوم العصرية والافكار الحديثة ولاسيما ما تعلق منها بالفلسفة الاجتماعية . وترجم كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر في التعليم لكي يستعين بآرائهِ الفلسفية على اصلاح المدارس المصرية . وكان ذكي الفؤَاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتهيَّب الكبراء والعظماء لمجرَّد ما هم فيهِ او ما ادركوهُ من رفعة المقام فاستطاع ان يكون علمًا يهتدي بنور علمهِ المحافظون الذين لا يروقهم الَّا ما جرى عليهِ المتقدمون كاكثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومَن جرى مجراهم لانهُ كان ثقة فيهم . وعضدًا قويًّا لابناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة . ومرشدًا صادقًا للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها . وسيفًا صقيلاً على اهل البدع الذين قيَّدوا ابناء المشرق بقيود تظلم العقل عن التبصر وتغلُّ الايادي عن العمل . وملجأً امينًا للذين يودُّون نزع اسباب الشقاق التي اودت بطوائف المشرق وليس لها اصل راسخ بين اصول الدين ولا هي مما تقتضيهِ مطالب العمران

ثم انهُ كان عالي الهمَّة شديد الغيرة يستسهل الصعاب ويذلل المشاق سعيًا الى خير امتهِ وارتقائها فكنت تراهُ تارةً مدرّسًا يعلّم شبانها وتارةً مؤَلفًا يؤَلف الكتب او يشرحها وينشرها لتنوير اذهانها . وتارةً مفسرًا قواعد الدين تفسيرًا يقبلهُ العقل المستنير وتصلح بهِ شؤُون الامم وينطبق على مطالب الزمان . وتارةً منظمًا للمدارس المصرية القديمة حتى تجاري الحديثة في انتظامها وفي ما يُعلَّم فيها من العلوم القديمة والحديثة . وتارةً رئيسًا للجمعيات الخيرية الساعية

في اعانة الفقراء واصلاح شؤونهم وتعليم ابنائهم . وتارة مقداماً للذين يشيرون على الحكومة في مجلس شوراها بفعل ما يصلح القطر وينفع اهاليهُ . وتارةً مباحثاً ومناقشاً لاقناع رفاقهِ في ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد واهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد ازرها على الذين يعارضونها في مقاصدها إما لغرض في نفوسهم او لأن وجه النفع الذي نتوخاهُ لم ينجلِ لهم . وتارةً مجادلاً يدافع عن الدين بادلة مأخوذة من علوم المتأخرين التي جدت بعد عهد المتقدمين. وتارةً مبيناً بالحجج القاطعة ان الدين لا يمنع الارتقاء والاخذ باسباب العمران بل يحث عليهما ومظهرًا الشوائب والبدع التي دخلت فيهِ فاضرت اهلهُ وهي ليست منهُ في شيء بل يتبرأ منها وينهى عنها . وتارة صانع خير وفاعل بر وجامع اموال لاغاثة المنكوبين بالنيران والاوبئة وغيرها من الرزايا يقصد المصابين بنفسهِ ويوزع عليهم الاموال بيدهِ . وتارةً متصدرًا في الاندية العلمية والحفلات الادبيَّة يبيّن مزايا العلم وفوائد التربية ويشرح الاسباب التي رقّت اهالي اوربا واوصلتهم الى ما وصلوا اليهِ من العزة والمنعة وينعش الافئدة بذكر ما كان عليهِ اسلاف الشرقيين وما يمكن ان يصيروا هم اليهِ اذا تعاونوا وتناصروا واخذوا باسباب الارتقاء . وتارةً جالساً في مجالس الانس والصفاء يزيل الوحشة والجفاء من بين الوطنيين والاجانب ويؤلف بين الجماعات والمعاشر المختلفة في المبادئ والآراء والعادات. وتارةً قارعاً باب ولاة الامور لاعانة طلبة العلم وبذل المال لاصلاح الجامع الازهر وما اشبه من الغايات الحميدة . وتارةً جالساً في بيتهِ وحولهُ جماعة كبيرة من تلامذتهِ ومريديهِ وهو يطرفهم بالاحاديث المفيدة ويشرح لهم بعض ما عثر عليهِ حديثاً في كتب المتقدمين او المتاخرين — كل ذلك بعد قيامهِ بحقوق وظيفة الافتاء وادارتهِ لشؤونها وقضائهِ لمهامها على ما بها من المصاعب والمتاعب

وكتبهُ الى اصدقائهِ والذين يدعونهُ الى الحفلات العمومية ويمنعهُ انحراف صحتهِ او كثرة اشغالهِ عن اجابة طلبهم آيةٌ في البلاغة وحسن السبك حتى لقد يحار من يدعوهُ بين ان يتمتع بمشاهدتهِ او ينال منهُ كتاباً بخطهِ يحفظهُ تذكارًا لهُ ويتلوهُ على الحضور فتسكرهم طلاوتهُ . وكذلك تقاريظهُ للكتب فانها كانت تدعو الى ترويجها لثقة الناس بعلمهِ وبانهُ لا يكيل الكلام جزافاً

ولم تكن مشاغلهُ الكثيرة لتقعدهُ عن السعي في مصالح الناس فيقصدهُ ذوو الحاجات وهو لا يدّخر وسعاً في اغاثتهم بما في الامكان اذا تبيّن انهم محقّون في طلبهم. وكان مسموع الكلمة مقبول الشفاعة فكثر مريدوهُ على شدَّة المقاومة لهُ من الذين كانوا يغارون منهُ

ولقد لقي كثيرين من اعاظم الرجال في ممالك اوربا وفي بلاد الشام وتونس والجزائر وحادث اكبر فلاسفة العصر ووقف على آرائهم واوقفهم على ما يجهلونهُ من احوال الامم الشرقية فزاد اختباراً وحُنكةً . واستفاد من ملازمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وقرأ عليهِ دروس الحكمة الشرقية والاصول والمنطق وجاراهُ في المجاهرة بما يعتقدهُ صواباً ولو خالف فيهِ الجمهور

وكان في قلب بلاد المشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد جريء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيهِ ويثبت عليهِ ولا يخشى بأس متسلط ولا يهاب صولة كبير . وقد جرَّ عليهِ ثباتهُ على رأيهِ وجرأتهُ في نصرة الحق وقلة خوفهِ ورهبتهِ اهوالاً كثيرة ومحناً عديدة ولكن لما أُبدل الاستبداد بالدستور في هذا القطر اوصلتهُ هذه المزايا الى ما وصل اليهِ من المقام والسطوة وصيرتهُ في اعتبار الجمهور الخصم العنيد للاقوياء والناصر الشديد للضعفاء والركن الوطيد للاحرار والعضد القوي للساعين في تنوير العقول والافكار

هذه بعض مزاياهُ واذا اضفنا اليها سعيهُ في سبيل الاصلاح وميلهُ الى فريق المحافظين حتى يجاري فريق المتقدمين حكمنا ان البلاد الاسلامية فقدت بفقدهِ عالماً من اكبر علمائها ومصلحاً من اعظم رجال الاصلاح بين اهليها حرًّا هماماً مقداماً قوَّالاً فعَّالاً فمصابها بهِ اعظم مصاب وخسارتها اكبر خسارة فارقها الى رحمة ربهِ ولسانهُ يلهج بما في نفسهِ فنظم هذه الابيات قبيل ان تدركهُ الوفاة قال

ولست أُبالي ان يقال محمد	ابلَّ ام اكتظت عليهِ المآتمُ
ولكن ديناً قد اردت صلاحهُ	احاذرُ أنْ تقضي عليهِ العمائمُ
وللناس آمالٌ يرجون نيلها	وان متُّ ماتت واضمحلت عزائمُ
فيا ربّ ان قدرت رجعى قريبةً	الى عالم الارواح وانفضَّ خاتمُ
فبارِكْ على الاسلام وارزقهُ مرشداً	رشيداً يضيءُ النهج والليل قاتمُ

ولسان عارفيهِ ومريديهِ وكل الذين انتفعوا بنصحهِ وارشادهِ او تمتعوا بالنفع الذي نالتهُ البلاد على يدهِ ينشدهُ قائلاً

فاذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنة	اثنى عليها السهل والاوعارُ
سلكت بك العرب السبيل الى الهدى	حتى اذا سبق الردى بك حاروا

وسنعود الى ذكر ترجمتهِ بالتفصيل بعد ان نتمكن من جمع المواد اللازمة لها

توليد الحي من الجماد

يهتم فريق من اساتذة المدرسة الجامعة في كاليفورنيا بتوليد الحي من الجماد ورئيسهم في ذلك الاستاذ جاك لوب ودليلهم التجربة والامتحان فلا يلجأُون الى قضية نظرية او حقيقة فلسفيَّة الاَّ لمساعدة التجارب العلميَّة



الدكتور لوب استاذ الفسيولوجيا في مدرسة شيكاغو الجامعة

والدكتور لوب كان استاذاً للفسيولوجيا في مدرسة شيكاغو الجامعة وقد تلقّى الدروس في مدارس برلين ومونخ وستراسبرج ودعي الى مدرسة كاليفورنيا سنة ١٩٠٢ لتدريس فن الفسيولوجيا وقد نشر الآن نتيجة تجاربهِ وقال فيها انهُ يمكن التحكّم بظواهر الحياة وان هذا التحكّم هو الغرض الاهم من علم البيولوجيا . والامر الذي نجح في اثباتهِ وهو من الغرابة بمكان عظيم انهُ كان يأخذ بيضاً من بيوض بعض الحيوانات البحرية ويجعلهُ يلد صغارهُ بعض

الوسائل الصناعية من غير تلقيح ثم وجد ان ماء البحر وحدهُ يكفي لجعل تلك البيوض تنمو وتتولّد الحيوانات منها ولو كان الماء خالياً من آثار اللقاح. واوصل لقاح بعض الحيوانات البحرية الى بيوض حيوانات أُخرى فأثَّر فيها تأثير لقاحها . ويراد الآن ان يُعلَم كم يرث الحيوان من امهِ وكم يرث من ابيهِ ولا سيما اذا كان ابوهُ مخالفاً لامهِ في الصنف او في النوع ثم البحث في تولّد الاجسام الحيَّة من غير الحيَّة . والمرجح انهُ يتعذر تحقيق هذه الامنية الاخيرة ولكن لا بدَّ من اكتشاف حقائق كثيرة مفيدة في غضون البحث عنها

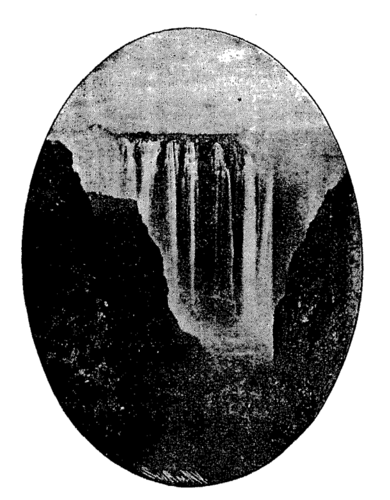
شلالات فكتوريا

يذهب بعض العلماء الى ان العمران ابتدأ في قارَّة افريقة وسينتهي فيها حينما تبرد الارض وتفرغ القوى الطبيعية من كل البلدان الشمالية وتصير افريقية المنطقة المعتدلة فتستثمر خيراتها ويستخرج الفحم الحجري منها ويتحكم بما فيها من القوى المائية. وقد بدأَت تباشير ذلك من الآن فان فيها ثلاثة انهر من اكبر انهر الدنيا تخرج من اواسطها وتصب في البحار المحيطة بها فالنيل يجري شمالاً ويصب في البحر المتوسط والزمبيسي يجري شرقاً ويصب في الاوقيانوس الهندي والكنغو يجري غرباً ويصب في الاوقيانوس الاتلنتيكي . وفيها ايضاً نهر رابع من اكبر الانهر وهو نهر النيجر لا يخرج من اواسطها بل من غربيها ويجري شرقاً ثم ينحرف جنوباً ويصب في الاوقيانوس الاتلنتيكي ولا بدَّ من التحكُّم في هذه الانهر للري والملاحة وتوليد الكهربائية

ويمتاز نهر زمبيسي بانهُ اصغر هذه الانهر لكن فيهِ ما يُعدُّ من اعجب عجائب الدنيا وهو شلالات عظيمة لا مثيل لها في العظمة الاَّ شلالات نياغرا باميركا. فان عرض شلالات نياغرا نحو ١٧٠٠ قدم وعلوها نحو ١٦٠ قدماً واما هذه الشلالات فعرضها اكثر من خمسة آلاف قدم وارتفاعها نحو ٤٥٠ قدماً والماء الغزير ينصب منها في هوَّة عميقة شقَّت في الصخر الاصم بفعل بركاني في العصور الغابرة فيصل الى القاع من هذا العلو الشاهق وهو يغلي ويزبد كأنهُ في مرجل عظيم قائم فوق اتون متقد ولا منفذ لهُ بعد ذلك الاَّ ممر ضيق في الصخر الاصم عرضهُ نحو مئة وخمسين قدماً فيجري فيهِ مسرعاً مزبداً في خط متعرج متمعج مسافة ٤٥ ميلاً وارتفاع جانبيهِ اربع مئة قدم ومجراهُ هذا اعجوبة من اعاجيب الدهر مثل انحدارهِ

ومن غريب امر هذه الشلالات العظيمة ان اهالي اوربا جهلوا وجودها حتى اواسط القرن الماضي حين اكتشفها الدكتور لفنستون المرسل الشهير سنة ١٨٥٤ وسماها باسم الملكة

فكتوريا . وكان سكان البلاد يرونها من بعيد ويرون الرشاش المتصاعد عنها بقوة انحدار الماء ولا يجسرون على الدنوّ منها فلم يعلموا سبب ذلك الرشاش . وكانوا يسألون الدكتور لفنستون قائلين " ألدخان صوت عندكم " واسم الشلالات في لغتهم " موسيواتونيا " اي " الدخان العجّاج " اشارة الى رشاشها المتناثر في الفضاء والى صوتها الذي يصم الآذان



شلالات فكتوريا كما ترى عن بعد وقتما يكون ماؤها على اقلهِ

فعزم لفنستون على رؤيتها وركب قارباً وسار بهِ اليها ولما صار على بعد خمسة اميال منها رأى الرشاش فوقها كأنهُ اعمدة دخان متصاعدة عن النار او سحب متلبدة في الفضاء . واخيراً وصل الى جزيرة عند راس الشلالات سميت باسمهِ فيما بعد لحفر الحرفين الاولين من اسمهِ في جذع شجرة هناك ولا يزالان الى اليوم . وشاهد من تلك الجزيرة انحدار الماء الى تلك الهوّة العميقة الضيقة ثم جريانهُ منها في الشق الضيق المشار اليهِ آنفاً

وقد شرعت الحكومة الانكليزية في مدّ جسر فوق نهر الزمبيسي امام الشلالات تمرُّ عليهِ

سكة الحديد التي يرام مدُّها بين القاهرة ومدينة الرأس . وسيكون طول الجسر ٥٠٠ قدم وعلوُّهُ ٤٠٠ قدم وهو اعلى جسر في العالم ووكلت هندستهُ الى اثنين من كبار مهندسيها . ولما كان عبور النهر من هناك مستحيلاً بسبب علو ضفتيهِ وانتصابهما وسرعة الماء كان لا بدَّ للمهندسَين من ان يدورا دورة طولها ١٠ اميال حتى يصلا من الضفة الواحدة الى الاخرى وفي ذلك ما فيهِ من اضاعة الوقت سدًى . فعمدا الى الطريقة الآتية وهي انهما علَّقا حبلاً او سلكًا ثخينًا بسهم ناريّ واطلقاهُ من ضفة الى الضفة المقابلة ثم ثبَّت العمال الذين يعملون على جانبي النهر السلك في الارض وربط المهندسان بالحبل كرسيًّا يعلّق بالسلك ويركب احدهما فيهِ فيجرُّ الى الجهة المقابلة وكان يربط بالكرسي ربطًا خشية ان تغيب عنهُ حواسهُ فيسقط في الماء

وقوة هذه الشلالات ٣٠ مليون حصان وفي النية استخدامها لاستخراج المعادن من البلاد المجاورة لها فانها تعدُّ اغنى بلدان العالم في معادنها كما فعل الاميركيون بشلالات نياغرا فانهم يحولون قوتها الى كهربائية ويستعملونها لادارة كثير من المعامل فيتعيش من ذلك ما يقرب من مليون نفس ولانارة مدينة بفلو بالانوار الكهربائية وهي على بعد ٢٥ ميلاً عنها ولادارة جميع الآلات التي فيها . وشركة نياغرا تفكر الآن في ارسال قوة الشلالات الى نيويورك وبوستن وفلادلفيا وشيكاغو وهي على بعد ٥٠٠ ميل عنها . فاذا أُرسلت قوة شلالات فكتوريا الى ٣٠٠ ميل حولها وقع ضمن تلك الدائرة مدينة بولاوايو ومناجم النحاس في باروتسيلاند وهي اعظم مناجم النحاس في الدنيا وبعض مناجم الفحم الكبيرة وستة مناجم ذهب وقد اكتشفت حديثًا مناجم حديد قرب الشلالات

ثم ان المياه المتدفقة منها تستخدم لارواء الاراضي الزراعية التي حولها . وقد تألفت شركة لاستخدام مياه الشلالات واتفقت مع شركة جنوب افريقية الانكليزية على مسح الاراضي المحيطة بها وربما انفقتا مليون جنيه للوصول الى غايتهما وقد تكفّلتا ألاَّ تشوّها منظر الشلالات الطبيعي

اما تكوُّن هذه الشلالات فمختلف فيهِ فانهُ لما اكتشفها لفنستون قال انها تكونت بفعل البراكين فانشق الصخر من ضفة النهر اليمنى الى ضفتهِ اليسرى وامتدَّ الشق الى مسافة ٣٠ او ٤٠ ميلاً في التلال المجاورة . ووافقهُ جميع السياح الذين قصدوا تلك البلاد بعدهُ ولكن المستر مولينه نشر مقالة في المجلة الجغرافية قال فيها ان الهوة وما يتبعها من الشقوق تكونت من أكل الماء للصخر على مر الحقب كما هي الحال في شلالات نياغرا . وهذا لا ينفي ان يكون الشق الاول حدث بفعل بركاني ثم غار واتسع بفعل الماء

ايضاحات لُغوية

غير خافٍ ان في عبارة اللغويين غموضاً على من يمارس كتبهم من طَلَبة الأدب والادباء لعهدنا . ولم أرَ من تصدَّى لانشاء رسالة تتكفل بكشف ما في المعاجم (القواميس) من الغوامض كما اني لا أعلم مدرسةً يلقى فيها درس لغويّ على كثرة المدارس في هذا العصر . وكأنما المراد بعلم اللغة عندهم حفظ شيء من الغريب الذي يعثرون عليهِ إما في دواوين الشعر واما في المقامات وما اشبه مما يُكلَّف الطلبة استظهاره فرأَيت الحاجة ماسةً الى نشر ايضاحات تزيل ما يقع لهم من الاشكال وتسهّل عليهم طريق الوصول الى فهم المقصود ابتغاء ان تكون لمن شاء الخوض في اللغة مصباحاً منيراً ولساناً عن وجه الصواب مبيناً فتبني على اساس البلاغة عبارتهُ . وترتوي من القاموس المحيط يراعتهُ

الايضاح الاوَّل

اعلم ان للغويين في تفسير الفعل المتعدّي بنفسهِ او بالحرف وفي تفسير مصدرهِ ومشتقاتهِ طريقتين . الاولى انهم يذكرون الفعل وما يتعلق بهِ من فاعل ومفعول ومجرور بالحرف ثم يفسرونهُ بفعل متعدٍ على حدّ قول القاموس في مادَّة (ن ض ض) نضَّ الطائر جناحيهِ : حركهما . والثانية انهم يقتصرون على ذكر الفعل والفاعل ثم يفسرونهُ بفعل آخر ويذكرون مفعولهُ وعلى هذه الطريقة مشى صاحب اللسان في مادَّة (ن ض ض) قال نضَّ الطائر حرَّك جناحيهِ ليطير . والامثلة على ذلك تكاد لا تحصى واليك منها خمسة واربعين مثالاً تنجلي بها المسئلة اتم الانجلاء

(١) قال في القاموس انتقشَ : اخرج الشوكة من رجلهِ . وفي اللسان وانتقشَ الشوكة : اخرجها من رجلهِ ومثلها عبارة الصحاح و (٢) دلَّس البائع : كتم عيب السلعة : هذه عبارة القاموس . وعبارة اللسان دلَّس عيبها كتمهُ و (٣) كمَّ الرجلَ : ردَّهُ عن حاجتهِ اشدَّ الردّ . وفي اللسان كمَّهُ عن حاجتهِ ردَّهُ عنها اشدَّ الردّ و (٤) في القاموس رزَّت الجرادة : غرزت ذنبها في الارض . وفي اللسان رزَّت الجرادةُ ذنبها في الارض : اثبتتهُ . و (٥) في القاموس المحارفة المقايسة بالمحراف وفي الاساس حارفَ الجرحَ بالمحراف : قاسهُ بالمسبار حتى يعرف حدَّ غورهِ و (٦) تمشَّرَ لاهلهِ : تكسَّب شيئاً هذه عبارة القاموس وعبارة الصحاح تمشَّر لاهلهِ شيئاً : تكسبهُ و (٧) في التاج احتسي : حفر حِسياً وفي اللسان احتسي حِسياً : احتفرهُ و (٨)

تياسروا : تقاسموا بينهم لحم الميسر . وفي الاساس تيامروا الجزورَ : تقاسموها و(٩) زَبرَهُ : رماهُ بالحجارة وفي اللسان زَبرَهُ بالحجارة : رماهُ بها و(١٠) لغم البعيرُ لغامهُ لغماً : رمى بهِ هذه عبارة اللسان وفي القاموس ولغم الجملَ كمنع : رمى بلغامهِ و(١١) وحسرَ الماءُ : نضب عن موضعهِ وفي اللسان وحسر البحر عن العراق والساحل نضب و(١٢) مرخ جسدهُ : دهنهُ بالمروخ وفي الصحاح مرختُ جسدي بالدهن مرخاً ومرَّخنهُ تمريخاً وفي اللسان مرخ جسدهُ بالدهن و(١٣) أَوحدَ الكلبَ بالصيد : أَغراهُ بهِ هذه عبارة اللسان وعبارة القاموس اوحد الكلبَ وغيرهُ : اغراهُ و(١٤) خندقَ : حفر الخندقَ وقال ابن منظور في مادَّة (ن ج د) خندقَ الخندق : حفرهُ و(١٥) في القاموس وطمحت المرأَة : جمحت وفي اللسان وطمحت المرأَة على زوجها : جمحت و(١٦) في القاموس أَبدَّ يدهُ : مدَّها الى الارض وفي اللسان ابدَّ يدهُ الى الارض مدَّها اليها و(١٧) مكرَ بهِ وامتكرَ : صبغ وفي القاموس مكر الثوبَ : صبغهُ بالمكر و(١٨) استفع ثيابهُ : لبسها واستفع الرجل : لبس ثوبهُ وكلتاهما مما رواهُ صاحب اللسان و(١٩) تسحرَ : أكل السحور وتسحَّر السحورَ : أكلهُ وكلا التعبيرين وارد في اللسان و(٢٠) استطرَ : كتب . هذه عبارة الجوهري ونصها سطر يسطر سطراً : كتب واستطرَ مثلهُ وفي القاموس واستطرهُ : كتبهُ و(٢١) قال ابن منظور أَزفى : نقل الشيءَ من مكان الى آخر وقال المجد أَزفاهُ : نقلهُ من مكان الى آخر و(٢٢) ازدهبَ الرجلُ : احتمل الزهبة كذا عبر المجد وقال ابن منظور إِزدهبهُ احتملهُ و(٢٣) الرصينُ الحفيُّ بحاجة صاحبهِ وفلان رصين بحاجتك : حفيٌّ بها و(٢٤) وفي اللسان ترشحت الام : لحست ما على طفلها . وفي القاموس الترشح والترشيح : لحس الام ما على طفلها و(٢٥) رفعَ القومُ : اصعدوا في البلاد هذه عبارة المجد وعبارة الاساس ورفعوا في البلاد : اصعدوا و(٢٦) في الصحاح خشف يخشف بالضم خشوفاً : ذهب في الارض وفي اللسان خشفَ في الارض يخشف خشوفاً وخشفاناً : ذهب فيها و(٢٧) في القاموس أَهربت الريحُ : سفت التراب وفي اللسان اهربت الريحُ ما على وجه الارض من التراب والقميم وغيرهِ : اذا سفت بهِ و(٢٨) في اللسان مشنَ ما في ضرع الناقة حلبهُ وفي القاموس مشنَ الناقة : حلب ما في ضرعها (٢٩) انتشف : شربَ النشافة وفي التاج وانتشف النشافة : شربها و(٣٠) في القاموس اقدحرَّ : تهيأ للشر . وفي اللسان اقدحرَّ للشر : تهيأ و(٣١) حقد في الامر : اسرع فيهِ وخفَّ في القيام بهِ . وحقد : خف في العمل وأَسرع و(٣٢) في القاموس . أَنوى : أَلقى النواة . وفي اللسان أَنوى النواة : القاها و(٣٣) تقبى : لبس قباءهُ وتقبي قباءهُ : لبسهُ وكلتا العبارتين عن اللسان و(٣٤) شكرَهُ : نخسهُ باصبعهِ وفي

اللسان شكزَهُ بإصبعهِ : نخسهُ و (٣٥) جرمَ الشاةَ : جزَّ صوفها وعبارة الاساس جرَمَ صوف الغنم: جزَّهُ و (٣٦) تهاكلَ القومُ : تنازعوا في الامر ، وتهاكوا في الامر : تنازعوا فيهِ . و (٣٧) قال الجوهري إعرَوْرَنَ الرجل : اي تهيأ للشر وفي الاساس إعرَوْرَنَ فلانٌ للشر : اشرأب لهُ . وعبارة اللسان إعرَوْرَنَ فلانٌ للشر كقولك إجثألَّ وتشذَّرَ اي تهيأ و (٣٨) التشحط الاضطراب في الدم وعبارة الجوهري تشحطَ المقتولُ بدمهِ : اضطرب فيهِ و (٣٩) قال المجد كاصَ : كعَّ عن الشيء وعجز وفي اللسان كاصَ عن الشيء : كعَّ عنهُ وعجز. و (٤٠) قال في اللسان عملتُ القومَ عمالتهم : أعطيتهم اياها وفي القاموس وعملَ فلاناً اعطاهُ العمالة. و (٤١) في اللسان قنا لحيتهُ بالخضاب : سوَّدها . وقنا لحيتهُ : سوَّدها بالخضاب. و (٤٢) مانَ شق الارض للزرع . ومانَ الارض : شقها للزرع . و (٤٣) في اللسان قردتُ السمنَ في السقاء : جمعتهُ وقرَدَ في السقاء : جمع السمنَ فيهِ . و (٤٤) في القاموس ماث الخبزَ في الماء : دافهُ وفي الاساس ماثَ الخبزَ : داقهُ في الماء . و (٤٥) اقتنَّ اتخذ قناً (اي عبداً) وفي اللسان اقتنَّنا قناً : اتخذناه . وكفى بهذه الامثلة تاييداً لما قلتهُ

فاعلم اولاً ان الفرقَ بين الصورتين ان الصورة التي يذكر فيها متعلق الفعل او المصدر المفسر قبل التفسير كما في قولك أنوى النواةَ : القاها وحقدَ في الامر : اسرع فيهِ هي اوضح من الصورة التي يقتصر فيها على ذكر الفعل او المصدر المفسر ويحذف المتعلق لان في العبارة دلالةً عليهِ نحو أنوَى : القى النواةَ وحقَدَ : خفَّ في العمل وأسرع

وثانياً ان هذا التعبير اي ذكر الفعل او المصدر مجرداً عن متعلقهِ ليس مما انفرد بهِ صاحب القاموس خلافاً لما تشير اليهِ عبارة بعض منتقديهِ على ان هذا التعبير وان جارياً على سنن البلاغة يستحسن العدل سنة مراعاةً لافهام اهل الزمان كيف لا وقد انتقدهُ جماعة ممن عاصرناهم وممن لو باحثناهم لسلّموا قطعاً ان ذلك جارٍ على حدّ قولهم أمرَ بهِ فطُرِد اي امر بطردهِ فطُرِد فحذف المضاف استدلالاً بما بعدهُ عليهِ . وهو من التراكيب المستفصحة

ومما يندرج في باب ما يتعلق باختلاف التعبير مع الاتفاق في المراد مثل قولهم عَذَبة الشجر : غصنهُ . والعذَبة من الشجر : الغصن والعَذَبة : غصن الشجر . وبالصورة الأولى عبَّر الجوهري وبالثانية عبَّر شارح القاموس وبالثالثة عبَّر صاحب الاساس . ومثل قولهم ايضاً السغواء : البغلة الخفيفة السريعة وبَغْلَة سغواء : خفيفةٌ سريعةٌ . ولقد رأيت من ينتقد على من يعبّر بالصورة الثالثة فدققت النظر في انتقادهِ فلم أرَهُ الاَّ شاهداً على قصور فهمهِ وضيق ذرعهِ ولكني اشكر ذلك المنتقد اذ لولا انتقادهُ ما انتبهت الى حلّ ما اشكل عليهِ ومنهم من

ينتقد على من يقول مثلاً المسهّم : البرد المخطّط ويقول وجه التعبير ان يقول المسهم من البرود : المخطط . وهو كالانتقاد الاول في الدلالة على قلة بضاعة المنتقد

الايضاح الثاني

ان اللُغويين يضيفون الفعل الى ما ليس هو بمختصٍ بهِ فيتوهم من يراجع كتبهم ان ذلك دليل على اختصاص الفعل بالمضاف اليهِ مع ان الغرض من اضافة الفعل الى مثلهِ انما هو ان يكون مثالاً لا قيداً . وازالةً لهذا الاشكال ودفعاً لهذا الايهام أُورد لك ما شاء الله من الامثلة التي تدلُّ على ان ما اضيف اليهِ الفعل مثالٌ لا قيدٌ (١) قال المجد تقاربت ابلهُ : قلَّت وأَدبرت وفي اللسان يقال للشيء اذا ولَّى وأَدبر تقارب و (٢) قال ابن منظور أَدا السبع للغزال اذوًا : ختلهُ ليأْكلهُ . وأَدوْتُ لهُ وأَدوْتهُ كذلك و (٣) في القاموس حدا الليل النهارَ : تبعهُ وزاد في التاج وكذا كلُّ شيء فالليل هنا مثالٌ لا قيد و (٤) قال في اللسان نَجِعَ البعيرُ : سمن ونجعتَ يا فلان بعد ما رأَيتك كالسعف اليابس . اراد سمنت وصلحت و(٥) قال ابن منظور أَعاف القوم إِعافةً : عافت إِبلهم الماء فلم تشربهُ . وقال المجد عافت دوابُّهم الماء فلم تشربهُ و (٦) في اللسان عيَّل دابَّتهُ : اهملها في المفازة وسيَّبها وفي القاموس عيَّل فرسهُ : سيَّبهُ في المفازة و (٧) نجا الشيء : فتحهُ . وقال شمر نجا بابهُ بنجوه : فتحهُ بلغة طيء و (٨) في اللسان أَمخّت الشاة : سمنت . وامخّت الدابة والشاة والإبل : سمنت و (٩) في المصباح إِنكثبَ الشيءُ : اجتمع وفي القاموس إِنكثبَ الرملُ و (١٠) في القاموس كثَّ الشعر : كثف وفي اللسان كثَّ الشيءُ : اي كثف وكثَّت اللحية الخ و (١١) في اللسان تكارس الشيءُ : تراكم وتلازب وفي القاموس تكارس البناء و (١٢) في اللسان نَتا الشيء نَتوًا ونتوًّا : ورم وفي القاموس نَتا العضو . و (١٣) قال المجد ضرجَ الثوبَ : صبغهُ بالحمرة وفي اللسان ضرجَ الثوبَ وغيرهُ : لطخهُ بالدم ونحوهِ وقد يكون بالصفرة و (١٤) قال المجد شردَ البعيرُ وقال ابن منظور شرد البعير والدابَّة . وقال الزمخشري جشرَ الدوابَّ وقال صاحب القاموس جشرَ الخيلَ : اخرجها للرعي و (١٥) في القاموس حسرَ البعيرَ : ساقهُ حتى اعياهُ وفي اللسان حسرتُ الدابة اذا سيَّرتها حتى ينقطع سيرها و (١٦) في التاج صفا القدرَ : اخذ صفوهُ و (١٧) في اللسان أَذلقَ السيفَ : اخرجهُ وفي الحديث أَدلقني المطر اي اخرجني (عن التاج) و(١٨) في الاساس تراغبَ الوادي : اتَّسع وفي اللسان تراغبَ المكانُ : اتَّسع و (١٩) في الاساس راعت الحنطة واراعت : زكَتْ وفي المصباح راعت الحنطة وغيرُها : زكتْ و(٢٠) في الصحاح زكتَ القربة وزكَّتها تزكيتاً : ملأَها وفي اللسان زكتَ الاناء زكتاً

وزكتهُ تزكيتاً كلاهما ملأهُ و(٢١) في اللسان تنشّط الارضَ : قطعها وفي الاساس تنشّط الطريق و (٢٢) نهمَ الابلَ : زجرها ونهمني فلانٌ : زجرني و(٢٣) في اللسان طفس الرجلُ : مات وطفسَ البرذون : مات و(٢٤) إنتمى البازي وتنمّى : ارتفع من موضعهِ الى موضع آخر وفي الاساس نمى الشيءُ وتنمّى : ارتفع و(٢٥) في القاموس ناضَ الحبلُ : تذبذب وفي اللسان ناضَ الشيءُ و (٢٦) نامَ الرجلُ : مات وفي القاموس نامت الشاةُ : ماتت و(٢٧) في القاموس هرعَ الدمُ : سال وفي اللسان هرعَ الشيءُ و (٢٨) في اللسان قثقثَ الشيءُ : اراد انتزاعهُ وفي القاموس قثقثَ الوتدَ حرّكهُ لينزعهُ و(٢٩) في الاساس هفّت الابلُ هفيفاً : اسرعت وفي القاموس هفّ : اسرع و(٣٠) هكعت البقرةُ تحت السدرة وهكعت البقرة تحت الشجر و(٣١) إهتورَ الرجلُ : هلك وفي اللسان إهتورَ الشيءُ : هلك و (٣٢) فضّ الدموعَ : صبّها وفي اللسان فضّ الماء و(٣٣) في الصحاح الفرس تَقِص الاكامَ : اي تدقّها وفي الاساس وقَصت الدوابُّ الاكامَ . كسرت رؤوسها

و (٣٤) في القاموس واشكَ الرجلُ : اسرع السير وفي الاساس ناقة مواشكة وقد واشكت في سيرها مواشكةً ووشاكاً و (٣٥) حبّر الشعرَ والكلام : حسّنهُ وفي اللسان وتحبير الخطّ والشعر وغيرهما : تحسينهُ و(٣٦) في القاموس وَثَرَ الفراشَ : وطّأهُ . وفي اللسان وَثَرَ الشيءَ وطّأهُ و (٣٧) في اللسان وصمَ العودَ وفي الاساس وفي العود والعظم وَصْم اي صدْعٌ و (٣٨) في الاساس وغلَ في الشجر وغولاً : توارى فيهِ وفي اللسان الوغول : الدخول في الشيءِ و(٣٩) في اللسان أوذمَ الشيءَ : اوجبهُ وفي القاموس أوذم الحجَّ و(٤٠) وأجذمَ البعيرُ في سيرهِ : اسرع وفي اللسان أجذمَ الفرسُ وغيرهُ مما يعدو : اشتدّ عدوهُ و (٤١) في اللسان ورِقعَ الرجلُ والفرس يورقع وقَعاً فهو وَقِع : حفي من الحجارة او الشوك واشتكى لحم قدَميهِ . وفيهِ ايضاً ورِقعت الدابة : اذا اصابها داءٌ ووجع في حافرها من وطءٍ على غِلظ . والغلظ هو الذي يبري حدّ نسورها

قلت لما كان المثال يوهم انهُ قيد كان الأولى بل كان الواجب مراعاةً لأفهام اهل هذا الزمان العدول عنهُ فمكان أوذمَ الحجَّ نقول اوذمَ الشيءَ ومكان وقصت الفرسُ الاكامَ اذا دقّتها نقول وقصت الدوابُّ ونقول حذلمَ الاناء بدل حذلمَ السقاء وطائر اودع مكان حمام أودع وهلمّ جرّاً واذا اردت الاتساع تأتي بجملة تكون بمنزلة مثال يتبين منهُ وجه الاستعمال كما تتبين القاعدة بالمثال في كتب العربية مثلاً فتدبّر

سعيد الخوري الشرتوني

التهذيب

تابع ما قبلهُ

فرغنا من الكلام في ما يتعلق بتهذيب الجسد فنشرع الآن في القسم الثاني من التهذيب وهو تهذيب العقل . يراد بالعقل قوة في الانسان تُدرِك بالحواس الظاهرة ما هو خارج وتعلم وتؤلف الصور العقلية وتذكر وتفعل وتشعر بوجدانها . وكل هذه الصفات خاصة بالحيوان وفاصلة لهُ عن النبات الذي ليس فيهِ شيء من ذلك . ويتميز الانسان عن غيرهِ من الحيوان بقوة النطق فهو الحيوان الناطق وهي الحيوانات البكم . وهذه القوة الناطقة هي ما رقّى الانسان في العلم والمعرفة مما اكتسبهُ من جنسهِ وجعلهُ في رتبة عالية منفردة حتى صحَّ فيهِ قول هملتون الفيلسوف لا شيء عظيم في الدنيا الاَّ الانسان ولا شيء عظيم في الانسان الاَّ العقل ولما كان استاذًا لعلم ما وراء الطبيعة في كلية ادنبرج كتبها بحروف كبيرة فوق منبر خطابتهِ ليراها الطلبة ابدًا ويذكروا ما للعقل من المكانة في الدنيا وفيهم وما لتهذيبهِ من عظيم الفائدة

قلنا ان قوة النطق الخاصة بالانسان هي المصدر الذي ينشأ منهُ كثير من المعارف التي يكتسبها من الحديث مع اهلهِ ورفقائهِ فهو يتعلَّم منهم في اول الامر اسماء الاشياء ثم صفاتها ثم علاقة العلَّة بالمعلول الى غير ذلك مما يجعلهُ كفوءًا للتفكُّر في الامور والحكم فيها والعمل بمقتضاها فيستقل برأيهِ ويصير حرًّا في سبيل الحياة . وعلى ذلك كان كثير مما يتوصَّل اليهِ من هذا القبيل عائدًا الى صفة الذين يألفهم مدة الصبوة والشباب فترى الملوك والعظماء يحيطون اولادهم بمن يأخذون عنهم العلم والظرف في الكلام . وهو ما نراهُ ايضًا في الاقوام الذين لم يجاوزوا هذا الحد في اكتساب المعارف فيجلس شبان البادية وهنود اميركا بمحضر كبارهم صامتين يسمعون كلام الحكمة التي بلغها اولئك الشيوخ من الخبرة بالناس وحوادث الايام ويتعلمون منهم شيئًا كثيرًا ينفعهم في ما امامهم من الحياة

وكان قوة النطق اساس لكل ما رقَّى الانسان الى منزلة عظيمة في العالم فاستنباط فنّ الكتابة لم يكن اقلّ منها شأنًا في رفعهِ الى رتبة اسمى في مدار العقل . لان الكتب عبارة عن تسجيل ما حصَّلهُ الجيل الواحد من المعرفة لمنفعة الجيل التابع حتى انهُ مع توالي الاجيال اجتمعت لنا كنوز من الحكمة لا نعرف لها عددًا او ثمنًا فهي لدينا الان ولكل من يطلبها تركةٌ ورثناها من سلفٍ لم يورث شيئًا يضاهيها . وكان فنّ الكتابة في اول الامر عند المصريين القدماء على غاية ما يكون من البساطة لانهُ لم يتجاوز صورة الشيء لاسمهِ كصورة

الرجل لاسم الرجل وصورة الاسد لكلمة الاسد ثم انتقلوا خطوة نحو الابجدية بان جعلوا صورة الماء عبارة عن حرف الميم لانهُ اول حرف يلفظ فيهِ . واول عهد لهذه الكتابة المعروفة بالهيروغلفية غامض وربما استُقصي الى اكثر من خمسة آلاف سنة قبل التاريخ المسيحي . وبعد ذلك اخذوا عنها ما يسهل كتابتها فاقتضبوها حتى صارت حروفاً على نوعين احدهما للكهنة والاخر للعامة وبقي الامر كذلك الى ما بعد المسيح . واما الاشوريون المعاصرون للمصريين في القدم والتاريخ فكانت كتابتهم في اول الامر بتصوير الاشياء التي ارادوا ذكرها كما كان عند المصريين ثم نقلوها الى الحروف المعروفة بالاسفينية او المسمارية التي اقدمها منقوش على ختم للملك سرغون قيل انهُ كان منذ ٣٧٥٤ سنة ق.م. وكان المصريون ينقشون على الصخور ما ارادوهُ او يكتبون على قراطيس مصنوعة من ساق البَرْدِيّ وهو البابيروس الذي اخذ عنهُ الافرنج كلمة القرطاس بلغتهم وكانت كتابة الاشوريين غالباً على اللبن او الاجر الذي بقي منهُ الى الآن عدد لا يحصى مجموع في دُوَر العاديات اي الآثار القديمة

ولما بلغت اللغة منزلة الكتابة قامت المدارس لتعليمها وتدريس مبادىء العلم البسيطة . ثم لما ارتقى شأن العمران والفنون ارتقى شأن المدارس ايضاً حتى صار عدد الكليات منها في مصر اربع تربّى فيها اولاد الملوك والامراء والاغنياء وقيل موسى الذي تبنّتهُ ابنة فرعون وقصدها علماء اليونانيين كافلاطون الفيلسوف وزنفون المؤرخ لينتفعوا بما كان يلقيهِ الكهنة من الدروس على الطلبة . فقامت الصنائع وشادوا الاهرام الراسخة الى الان كما كانت منذ الوف السنين والهيا كل العظيمة كهيكل رامون را في الاقصر الذي قال فيهِ احد كبار علماء هذا الزمان انهُ لم يُشد مثلهُ ابداً شيء عظيم لعبادة الله والمدافن العجيبة التي تخترق بطون التلال الى مسافة مئات من الاقدام وفيها من زخرفة التصوير والنقش ما يحيّر الالباب . وقد وقفتُ عندها مندهشاً كغيري من السياح الذين اتوها من اباعد الارض ليروا ما فيها من قدم الزمان ومتانة البناء وجمال الصناعة وما اقتضتهُ من ارتقاء العلوم الدقيقة كالحساب والهندسة والطبيعيات. وكان اكثر العلم والتعليم في تلك الاجيال القديمة الخالية محصوراً في الكهنة على طبقاتهم كما انحصر في القرون المتوسطة في مشايخ الاسلام وخدمة الدين المسيحي. واما حروف الكتابة المصطلح عليها الآن فذهب بعض المحققين الى ان اكثرها مأخوذ عن الفينيقيين فحملوها في اسفارهم البحرية الى اماكن بعيدة . فاذا صحّ ذلك حقّ لكثيرين منكم الافتخار فانكم من نسل قوم سادوا البحر والتجارة زمناً طويلاً قبل التاريخ المسيحي ومملكتهم الصغيرة لا تتجاوز الشطوط الواقعة بين طرطوس وارواد شمالاً وصور جنوباً فكانت بيروت من

مدنهم القليلة العدد العظيمة الشأن في فنّ الايجار وفي الصنائع والتجارة والغنى الذي لم يكن لهُ مثيل في ذلك الزمان

وكما نشأ من قوة النطق في الانسان فن الكتابة الذي سجل علوم الاولين والاخرين واذخرها وصانها من البلاء المشار اليهِ في المثل السائر كل علم ليس في القرطاس ضاع هكذا كانت هذه الصناعة مرقاةً لما يمكن الانسان ان يرتقي اليهِ من العلم والتهذيب . وهما شيئان الاول اكساب العقل المعارف والثاني تمرينهُ وتقويتهُ ليصير قادرًا على حصر القوة الفاكرة في ما توجههُ الارادة اليهِ لتتبصَّر بهِ من جهاتهِ المختلفة وتدركهُ حق الادراك وتحكم فيهِ حكماً صائباً . فترون مما تقدم انهُ لايختلف عن تهذيب الجسد الاَّ في الغرض فانهُ ينظر في الواحد الى اعمال جسدية غرضها الصحة او شيء آخر من متعلقات الحياة وينظر في الثاني الى علم يكتسبهُ الانسان ويستطيع بهِ اتقان العمل في ما يختارهُ من المهنة مهما كانت

وينال التمرين العقلي عادةً في المدارس ولكنهُ لاينحصر فيها لان بعض الاولاد والشبان يتلقون العلم في بيوتهم من معلمين يتفرغون لهم وبعضهم لا يتيسر لهُ المدرسة فيقرأُ لنفسهِ او على معلمٍ خاص وبعضهم لا يكتفي بما حصلهُ في المدارس فيطلب زيادة العلم باستمرارهِ على مطالعة الكتب الحديثة او التجول في البلاد البعيدة وتعهد مدارسها الشهيرة وحضور خطب كبار علمائها . ولكن الغالب والافضل في طلب العلم هو التربية المدرسية التي سير الدروس والعلوم فيها على شكل منتظم متتابع بادارة معلمين ينتخبون لما فيهم من الاهلية والخبرة في صناعة التعليم . وهناك فائدة اخرى كبيرة للمدرسة وهي ما يتولد في الشاب من الحماسة والغيرة والجد في المنافسة الجارية ابدًا بين الطلبة في دروسهم والعابهم

وللمدارس أنواع يتدرَّج الطالب فيها من الادنى الى الاعلى ويصح ان تقسم الى ثلاث رتب كبرى . الاولى الابتدائية ويقال لها البسيطة ايضاً وهي ما يتعلم الولد فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ . ويجبر الاولاد في بعض البلدان على ملازمتها في السنة السابعة من العمر الى السنة الثانية عشرة حتى صار فيها عدد الذين لا يحسنون القراءة قليلاً جدًّا وهو مما ترتقي بهِ الامة في العمران والثروة وراحة المعيشة حتى للفقراء . ومن المعلوم ان الذي لايتعلم القراءة في صغر السن يندر ان يتعلمها بعد ذلك وان الذي يستطيع مطالعة الكتب والجرائد اقدر غالباً في حرفتهِ من رفيقهِ الجاهل واذا جدَّ فربما بلغ من العلم ما يمكنهُ من مجالسة العلماء والانتفاع بهم او ان يعد منهم

والرتبة الثانية من المدارس تسمى بالعالية وهي المعروفة عند الالمانيين بالجمناسيا التي يشب

فيها الولد الى السنة الثامنة عشرة او العشرين من العمر . وافضلها مقسوم الى شطرين احدها لطلبة العلوم الحديثة في ما ينفعهُ من المعارف والتهذيب للمقام المعتبر بين الناس او للتجارة وغيرها من ابواب كسب الرزق . واخص دروس هذا الشطر اتقان ما بدأ بهِ الطالب في المدرسة البسيطة من الجغرافية والحساب والتاريخ والشروع في الجبر والهندسة والمساحة وغيرها من الرياضيات والفلسفة الطبيعية والانشاء وبعض اللغات الحديثة ويضاف اليها في جميع المدارس الاوربية والامركانية اللغة اللاتينية لانها قاعدة للغاتهم والمنشأ الاصلي للكثير من كلماتهم ولا سيما الحديثة العلمية منها . ولما كان درس بعض اللغات الافرنجية مفروضاً الآن في المدارس العربية فربما كان تدريس هذه اللغة فيها من الواجب ايضاً . واما الشطر الثاني من هذه الرتبة فهو لطلبة الرياضيات العالية والفلسفة الطبيعية واللاتينية واليونانية من الذين يستعدون لدخول الكلية ومنهم من يتهيأ لامتحان المناظرة في خدمة الدولة ومنهم لما يليق بمقامهِ في الهيئة الاجتماعية وبين كبار قومهِ

والرتبة الثالثة هي المعروفة بالجامعة او الكلية . ويتبيَّن لكم من اسمها ان القصد منها هو اعلى ما يطلبهُ الشاب في الفلسفة الخاصَّة بما وراء الطبيعة وفي ما وصل الينا من افضل كتب القدماء من اليونانيين والرومانيين في الفلسفة والشعر والرواية والتاريخ والمهن العلمية كعلم الطبّ للاطباء وعلم اللاهوت لخدمة الدين وعلم الحقوق لاهل الشرع . غير ان كثيرين من طلبتها يقصدون فيها غاية ما يمكن تحصيلهُ في المدارس من العلم والتهذيب العقلي حبًّا بهما او لخدمة الوطن في مجالس الامة وتولي السياسة والاحكام في بلادهم ومستعمراتها وقد سمعنا او رأينا بعضهم فالفيناهم افاضل عظاماً في جودة العقل وكثرة المعارف وحسن التدبير ولم يكونوا على شيء من ذلك لولا دروسهم الطويلة في احسن معاهد العلم . ولهذه الرتبة وحدها الحقّ في منح الالقاب المدرسية التي لها شأن عظيم عند الاقوام المتمدنين لانها تميّز من ينالها بالشهادة لما قضاهُ من جدّ الايام والليالي في طلب العلم . وهذه الالقاب هي البكلوريوس والمعلم والدكتور في كل من اقسام العلوم والفلسفة والطب واللاهوت تُعطى مكتوبةً للطلبة بعد درس سنين معلومة وامتحان خاصّ . وهي تمنح في حفلات مشهودة وربما لم يكن للشاب ولاهلهِ ساعة ابهج من تلك الساعة التي فيها يدخل المحفل لابساً الثوب الخاصّ بلقبهِ ومدرستهِ[1] وحاملاً شهادتهُ بيدهِ . ولهذه المدارس ايضاً ان تمنح لقباً اكرامياً لمن لم يكن من طلبتها

(1) الاثواب المدرسية قديمة العهد في التاريخ منها للطلبة ومنها لذوي الالقاب وكان الطيلسان لعلماء الاسلام من هذا القبيل

اذا اشتهر في بحث علم عظيم او في تأليف كتب لها المقام الاول في الفضل او في فن او عمل كبير مذكور . وقلما نبغ احد في شيء من ذلك وشاع صيتهُ الاَّ اكرمتهُ المدارس كما اكرمهُ الجمهور ولكن العظيمة منها ضنينة بالقابها الاكرامية الاَّ على نوادر الرجال

هذا شأن المدارس في ايامنا وهو ما وصل الينا من زمن النهضة العلمية التي بدأت في اوائل القرن السادس عشر وارتقت الى حالتها الحاضرة بعد الخبرة الطويلة . واما القول انها السبيل الوحيد الى اكتساب العلم وتهذيب العقل ففيهِ نظر لان كبار العلماء والمصنفين من اليونانيين والرومانيين والعرب لم تكن لهم هذه الوسائل الحديثة . فمنهم هوميروس الذي لا يزال نشيدهُ التاريخي في حرب طروادة قدوة لشعراء اوربا الى الآن وقد مرَّ ثلاثة آلاف سنة لعهدهِ . ومنهم افلاطون الذي نبغ في القرن الرابع قبل التاريخ المسيحي ويقرأ الطلبة الآن كتبهُ في كل المدارس العالية بلغتها الاصلية لما فيها من المسائل العويصة التي اذا خوَّض العقل فيها تمرَّن واشتدَّ . ومنهم اقليدس الذي وضع كتبهُ في الهندسة في القرن الثالث ق . م وهم يعلمونها الآن بنفس عبارتها بلا تغيير او تبديل . وكثيرون غيرهم كتبوا التاريخ والروايات والشعر . ولما قامت حديثًا في كلية اكسفورد مسئلة الغاء اللغة اليونانية من وجه كونها جبرية على كل الطلبة احتجوا بوجوب ابقائها لما في بنائها وكتبها من الفضل الذي لا يستغني عنهُ في اجهاد العقل وتقويتهِ فهي ثابتة الى الان لم يحكم بابطالها . واما العرب فهم الذين وضعوا علم الجبر ورقَّوا ما سلف من الحساب والهيئة على انهم لم يقرأُوا الاَّ بعض الكتب القديمة المعوَّل عليها في الفلسفة والهندسة والطب التي ترجمها علماءُ النساطرة في زمن الدولة العباسية فاخذوا عنها كثيرًا من العلم وشادوا المدارس في كل اقطار المملكة وتقاطر الى ما كان منها في الاندلس شبان اوربا ليدرسوا فيها العلوم ولاسيما الطب . وقام منهم علماء كبار كالشيخ الرئيس ابن سينا في الطب الذي طُبع كتابهُ المعروف بالقانون في رومية سنة ١٥٩٣ وتُرجم الى اللاتينية التي كانت حينئذٍ لغة المدارس والطلبة وبقي زمانًا طويلاً المعوَّل عليهِ في هذا الفن . ومنهم ابن رشد في الفلسفة وابن خلدون في التاريخ والحريري في اللغة والانشاء والمتنبي والمعرّي في الشعر وكثيرون غيرهم من الرتبة الاولى في القوة العاقلة . وربما لم يكن التعمُّق في درس ألفيَّة ابن مالك وشرحها لابن عقيل او الفقه الاسلامي وغيرهما من العلوم العربية اقلَّ عملاً في تهذيب العقل مما يُحصَّل من درس هندسة اقليدس او فلسفة افلاطون او اللغات القديمة وآدابها

ولكن الزمان قد تغيَّر وتغيَّرنا نحن معهُ ولم يبقَ ريب في ان العلوم الحديثة ومدارسها

قد رفعت شان الامم الحاضرة في العمران .وقد كان لنا في هذه الايام شاهد على ذلك لا يُفحَم في الامة اليابانية التي بلغ خبرها الآن اقاصي المسكونة .فانها استفاقت فجأة منذ خمس وثلاثين سنة فقط من غفلة قرون لا تحصى واخذت تبحث في ما يكون بهِ اصلاح امرها فارسلت وفوداً من خيار رجالها الى الممالك المشهورة في العلم والتمدن وفرَّقت نخبة شبانها ليطلبوا العلم في افضل مدارس المانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى واميركا وفي هذه السنة نالت سيدة يابانية اسمها تادا يوراتا الدكتورية في الطب من مدرسة ماربرج الالمانية وهي اول امرأة نالتها من تلك المدرسة الكلية على ما هي عليهِ من التشديد في امر الدروس والامتحانات . وما لبثوا ان اخذوا عنهم غاية ما بلغوهُ من استقامة الاحكام وحرية الافراد وارتقاء التربية المدرسية وانتشارها بين العامة والخاصة وجودة الصنائع والفنون ثم لم يُعلم من امرهم اكثر من ذلك الى ان حاربوا اهل الصين ثم الحرب الهائلة القائمة الآن بينهم وبين دولة عظيمة هي روسيا فادهشوا العالم اجمع بما اظهروهُ من حسن السياسة والتدبير والبسالة والاقدام وفن الحروب برّاً وبحراً ومراعاة جانب الانسانية في معاملة الاسرى والجرحى واحترام الحقوق وصاروا في الرتبة الاولى من رتب الدول العظيمة . وكان في كل ذلك صوت صارخ لاهل الارض جميعاً ان يستيقظوا ويعلموا قَدْر المدارس والعلم في ما مضى وحضر وسيأتي من تاريخ الجنس البشري

وهو صوت هاتف اليكم ايضاً ايها الشبان لتنتبهوا الى ما انتم عليهِ اليوم والى ما تكونون عليهِ غداً . فان انتهزتم الفرصة التي أُنعِم عليكم بها وجددتم في دروسكم واحرزتم كل خطوة ومثالة ومطلب حتى يتسهَّل لكم التدرُّج الى ما بعدها وانكببتم على القراءة والكلام والإنشاء وانتخبتم مهنةً تتقنونها وتزيدون انفسكم علماً فيها مدى الحياة واقلعتم عن الكسل والتواني وعن كل عادة تنهك قواكم وتشتت افكاركم الى ما لا نفع منهُ — كان نجاحكم الحاضر والمستقبل في تحصيل العلم من الامور التي لا ريب فيها وان لم تفعلوا صحَّ فيكم قول الشاعر

ومن رامَ العلومَ بغيرِ درسٍ   سيُدرِكُها اذا شابَ الغُرابُ

لما فرغنا من الكلام في تهذيب الجسد وتهذيب العقل وصلنا الى القسم الثالث الاخير من هذا البحث وهو تهذيب النفس اي طبعها على كل خلق كريم . فهو جل الغرض المقصود في مدارس هذا العصر اذ ما الفائدة من كثرة العلم وذكاء العقل اذا خرج الشاب منها قبيح الصفات شرساً معجباً بنفسهِ مؤذياً للناس . ويراد بالنفس الشيء الذي يشير اليهِ كل احد بقولهِ انا . قال ابو البقاء في كلياتهِ للانسان نفسان حيوانية تموت عند موت الجسد وروحانية لا تموت وهي ما يفهم ويعقل ويميز . وتعريفها عند جمهور الحدثاء انها الجوهر الروحاني في

الانسان العاقل الخالد المسؤول في حكم الله الادبي . وهي التي يتميز الانسان بها عن الحيوان الابكم لا من حيث قوة النطق فقط وارتقاء الصفات والقوى ارتقاء عظيماً يجعلهُ في منزلة معتزلة عنهُ ولكن على الخصوص في موهبة التمييز بين الحلال والحرام فهو الحد الحاد الفاصل بينهما . وقد اشار اليها الرئيس ابن سينا في ارجوزتهِ المعروفة ألّتي مطلعها

هبطتْ اليك من المحل الارفعِ ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنعِ

هذا ولما كانت على كل ما ذكر من المقام الرفيع في الانسان وفي العالم رأينا حالاً ما لتهذيب اخلاقها الادبية من القدر العظيم وهو في الجملة الابتعاد عن الاخلاق الذميمة والاتصاف بالاخلاق الممدوحة الكريمة ويقال لهُ عند بعضهم علم السلوك . وساذكر لكم الآن اخصها

(١) الاقدام على الامور والشجاعة فيها والملازمة لها والتعويل على النفس . وليس بدونها فلاح في الحياة فان الكسلان والجبان والمتقلب المتردد ومن يتوكأ ابداً على غيرهِ لا نصيب لهُ في هذه الدنيا الاَّ ما كان يسيرًا حقيرًا . فانتصبوا واقتحموا صعاب المطالب ولا تهابوا شيئاً الاَّ الكذب والحرام . وانتهزوا الفرصة متى جاءت فانها كما قال فيها شكسبير مدٌّ اذا انتهز حمل الى السعد واذا اهمل كان كل سفر الحياة ضحولاً وشقاء . ومن اقوالهِ ايضاً ما الافكار الاَّ احلام لا تصح الاَّ اذا برزت في العمل . واذا انتكم مصيبةٌ فتحملوها بالصمت فان الشكوى لغير الله مذلة . وهو ما اوصى بهِ الامبراطور فردريك وهو في مرضهِ الاخير الطويل المؤلم ابنهُ ولهلم الثاني امبراطور المانيا الحالي يا ابني تعلم احتمال الشدة ولا تضجر منها . وقال شاعر عربي في التعويل على النفس

وانما رجلُ الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجلِ

وقال آخر في وجوب غاية السعي

على المرء ان يسعى الى الخير جهدهُ وليس عليهِ ان تتمَّ المطالبُ

(٢) تكريم النفس وهو الشهامة اي عزة النفس وترفعها عن كل ما هو خسيس ذميم حقير في سيرة الانسان الظاهرة والباطنة . فلتكن انفسكم ابية ابداً وابعدوا عن كل ما يعيبكم من الحقد والحسد والغيبة والظلم والاستهزاء بالناس والتهكم عليهم وهم ربما كانوا ارفع منكم علماً ومقاماً . وكونوا كرماء اسخياء واجتنبوا البخل القبيح الذي قيل فيهِ ان البخيل يعيش في هذه الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء . ولا تتذللوا لاحد بغية الخير منهُ ولا سيما اذا كان لئيماً بل اعرضوا عنهُ

وكن ابيًّا عن الاذلال ممتنعاً فالذل لا ترتضيهِ همة الرجلِ

واذكروا ما قالهُ شكسبير اذا خسرت كرامتي فقد خسرت نفسي وما قالهُ زهير في بعض هذه المعاني

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يكرم نفسهُ لا يكرمِ

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ يفرهُ ومن لا يتق الشتم يشتمِ

(٣) الصدق . وهو اعظم الفضائل كما ان الكذب اقبح العوائد . فهو الدعامة الحاملة للهيئة الاجتماعية باجمعها بحيث انهُ اذا بطل لا نعلم ماذا نصير اليهِ من الخراب . وهو اخصُّ ما يتميز بهِ الكريم عن اللئيم بل نقول ان الصادق رفيع المقام ابدًا يوثق بهِ في الكلام والعمل ويعهد اليهِ بما يكسبهُ كثيرًا من الخير واما الكذَّاب فحبلهُ قصير لا يلبث ان يسقط في اعين الناس فيصير حقيرًا مكروهًا مجتنبًا وربما ادَّى ذلك بهِ الى قلة اسباب الرزق وفقر المعيشة . ومن اقوال الحكماء في هذا المعنى تكلم بما تعلم صدقهُ وليكن كلامك مطابقًا لما في باطن نفسك . اثمن كنوز الدنيا الصيت الطاهر فاذا زال لم يكن الانسان الَّا طينًا مصبوغًا . لو صوِّر الصدق لكان اسدًا يروع ولو صوِّر الكذب لكان ثعلبًا يروغ . يبلغ المرء بالصدق منازل الكبار . الصدق صدقان اعظمهما في ما يضرُّك . الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروَّة ولا تتمُّ هذه الثلاثة الَّا بهِ . الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب

ومن اخصّ انواع الصدق وافضلها الوفاء بالعهد اي القيام بما يعهدهُ الانسان على نفسهِ من الوعد لغيرهِ . وربما لم يكن لي ان اوضح المعنى المراد باحسن من ذكر شاهدٍ لهُ جرى في التاريخ . وهو انهُ لما كان ولهلم الثاني امبراطور المانيا في دمشق منذ سنين قليلة ذهب بجحفل عظيم الى ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي ووضع عليهِ اكليلاً من الازهار فعجب الناس من ذلك . وانما فعل الامبراطور ما فعل لان هذا الرجل العظيم اظهر في حروبهِ مع الصليبيين من الشهامة والمروَّة والوفاء بالعهد ما صيَّر لهُ شهرةً ذاع خبرها من ذلك الزمان الى الآن حتى ان كل اولاد مدارس العالم المتمدن يقرأُونها ويرون فيها قدوةً لهم في عزَّة النفس وشرفها . فمن ذلك انهُ لما حاصر صلاح الدين القدس وضيق على حاميتها وجبرهم على التسليم صالحهم على الخروج منها بعيالهم واموالهم الى المين التي كانت حينئذٍ بيد الصليبيين بفدية عشرة دنانير عن كل رجل . ولما اخذوا يخرجون ويدفعون ما ترتب عليهم من الفداء كان بينهم بطريقهم الكبير ومعهُ بغال حاملة خزائن عظيمة من المال فاشار الى السلطان بعض أُمرائهِ بما كانوا يرونهُ وقالوا لم يُعقد الفداء والصلح على هذا المال قال بلى قد عاهدتهم على عشرة دنانير لكل رجلٍ فيدفعها ويذهب في سبيلهِ وهكذا كان فصدق فيهِ المثل السائر الذي ذكرناهُ آنفًا الصدق

صدقان اعظمهما في ما يضرُّك. ولكنهُ كما كان صارماً على نفسهِ في غاية الوفاء كان ايضاً شديد العقاب للذين ينكثون العهد. فمن ذلك ان امير الكرك الصليبي نقض المدنة وغزا قافلةً من المسلمين فقتل الرجال ونهب المال ولما بلغ الخبر السلطان غضب غضباً شديداً ونذر على نفسهِ ان يقتل ذلك الخائن بيدهِ اذا مكَّنهُ الزمان . وكان الامر كما اراد لان من جملة الاسرى الذين سلموا للسلطان بعد واقعة حطين كان ملك القدس والامير المذكور آنفاً ولما وصلوا جميعاً الى طبريا ونزلوا في مضرب طلب الملك ماء ليشرب بعد يوم قاسى فيهِ الصليبيون من العطش ما لا يوصف فامر لهُ صلاح الدين بذلك ثم بعد ان ارتوى ناول الكاس الى رفيقهِ الامير فشرب والسلطان ينظر اليهِ ولا يقول شيئاً . ولما فرغ قال لهُ صلاح الدين اني امرت بالماء للملك لا لك لاني لو فعلت ذلك لكنت آمناً مراعاة لحقوق الضيافة وقد عهدت على نفسي ان اقتلك بيدي لنكثك المدنة التي اتفقنا عليها وايقاعك بقوم سائرين آمنين واني فاعل ذلك الان ثم قام وضرب عنقهُ بالسيف . فكان شهماً عظيماً يفي بوعدهِ ابداً ويتطلب الوفاء من الذين يعاهدونهُ وصار رُعباً للمراوغين في زمانهِ وعبرةً في كل جيل لكل من يروم العلاء في المكارم. ومما ذكر في تواريخ تلك الحروب انهُ كانت مودة شديدة بين صلاح الدين وريكاردوس ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد لما كان في كليهما من الصفات الرفيعة فكانا يتقاتلان ويتحابان حتى انهُ لما مرض ريكاردوس في عكا بالحمَّى ارسل لهُ صلاح الدين الفواكه والثلج ولما قُتل جوادهُ في حرب يافا التي انهزم فيها جيش المسلمين بامارة السلطان ارسل لهُ جوادين من خيار الخيل العربية. وقرأتُ في التواريخ العربية والافرنجية انهُ جرت مراسلة بينهما لزواج اخي صلاح الدين بابنة عمّ ريكادوس ولكنهُ لم يتمّ . فلما وضع الامبراطور ولهلم ذلك الاكليل من الازهار على قبر مكرم لم يكن في ذلك شيء يوجب الدهشة والعجب بل هو ما لاق بمقامهِ العالي أن يشهد لدى العالم بما احرزهُ صلاح الدين الايوبي من الاحترام في كل نفس شريفة

وقد استقصى ماركوس اوريليوس الامبراطور الروماني البحث في الاخلاق الحميدة التي يجب على الشاب ان يسعى اليها جهدهُ ويربيها في نفسهِ ويتميز بها في حياتهِ وجمعهُ في كتاب لهُ معروف باسم الافكار ومشهور بين الناس ولعلكم جميعكم تقرأونهُ اما في ترجمة او في لغتهِ الاصلية. فمن جملة كلامهِ في ذلك الكتاب ما قالهُ في الفيلسوف مكسيموس وهو تعلَّمتُ منهُ الحكم على نفسي وعدم الانقياد الى شيء من الشرّ والبشاشة في كل حال ولو في المرض والجمع بين لين الجانب وكرامة النفس والعمل في ما أُكلّفهُ بلا ضجر . ورأيت

الجميع على يقين من انهُ كان يعتقد بما يقولهُ وانهُ لم يكن في كل ما عملهُ شيء من سوء النية ولم يدهش ابداً او يبغت ولم يعجل في امرٍ او يؤخرهُ في العمل [1] ولم تأخذهُ حيرة او كرب ولم يضحك ليكتم كدرهُ ولم يكن غضوباً او ظنَّاناً . وكان يعمل الخير سهل الصفح بريئاً من كل ما فيهِ كذب وعليهِ سمة الرجل الذي لا يمكن تحويلهُ عن الصلاح لا الرجل الذي قد أُصلح . ومن اقوال مركوس اوريليوس ايضاً وتعلمتُ الحياء والمروءة والشهامة والاحسان والنزاهة لا عن اعمال السوء فقط بل عن افكار السوء ايضاً وتحمُّل التعب والكدّ باليد والبساطة في المعيشة وعدم التحرُّش بامور غيري وان لا أُشغل نفسي بالاشياء الخسة . وتعلمت ايضاً ان اعاشر العلماء وان اخلاقي محتاجة الى الاصلاح والتهذيب وان ابعد عن المباحث التي لا شيء فيها الاَّ الحيرة وعن التظاهر بالعلم والصلاح وان لا اكتب بالتكلُّف وان اصالح من اضرَّني بالكلام او العمل اذا اراد وان اقرأ بالتمعن ولا ارضى بفهم كتاب فهماً قليلاً وان لا أُسرع الى تصديق من يكثرون الكلام وان لا انظر ابداً الاَّ الى المعقول . وتعلمت ان اقبل من الاصدقاء معروفاً لا أُذَلُّ بهِ ولا اغفل عن شكرانهِ ووفقت المعيشة على ما يوافق شرائع الطبيعة والرصانة بلا مصانعة وان أُراعي مصالح اصدقائي وان احمل جهالة الجهَّال والذين يذهبون مذاهب وهم لا يتبصرون فيها انتهى . فهذه الاقوال وامثالها التي تشغل نحو مائتي صفحة من كتاب صغير حكم ثمينة اذا اصغيتم اليها وعملتم بما ترشدكم اليهِ كان لكم منها نفع عظيم في صفاتكم الذاتية ومنزلتكم عند الناس وعون كبير لما تجدُّون فيهِ من مساعي الحياة

وعند الامة الانكليزية كلمة شاملة لبعض الفضائل في الانسان لا تستوفي معناها كلمة واحدة في غيرها من اللغات ولذلك اخذوها كما هي الى لغات كثيرة . وهي كلمة جنتلمان (gentleman) للرجل ومعناها الحرفي الرجل اللطيف على انهُ يراد بها اكثر من ذلك وهو كل ما يميزهُ باللطف والصدق والوفاء وحسن الخلق والسلوك والادب والنظافة وعزة النفس والشكر على المعروف عن الجلف الفظ الخسيس الدنيء الساقط . وهو عندهم حد حاد فاصل بين رتبة شرفاء القوم ورعاعهم — بين اكابر الهيئة الاجتماعية والاجلاف الذين يرفض قبولهم فيها . وهي كثيراً ما تكون موروثةً في سلالة الاكارم او مكتسبة من معاشرتهم او غريزية في بعض الناس . وقد رأيت في كثيرين من اهل المشرق كأنها طبيعية فيهم مولودة معهم لا تختلف عما يشاهد في غيرهم

(١) ولا أُوخرُ شغلَ اليومِ عن كسلٍ الى غدٍ انَّ يومَ العاجزين غدُ

ومن ذلك انهُ لما كنت طبيب مستشفى فرسان مار يوحنا في بيروت دخلتهُ اختان مصابتان بمرض في العيون من قرية بيوتها لا تختلف عن المزابل . وكانت الكبيرة منهما في نحو السنة السادسة عشرة من العمر والصغيرة في السادسة او السابعة وبقيت في المستشفى بضعة شهور اراها كل يوم والكبيرة تسألني دائمًا عن اختها ولم تسألني مرة واحدة عن نفسها . فعجبت كل العجب كيف ان هذه الفتاة في اول صبوتها وشدة مرض بصرها تنسى حالها وتهتمّ لاختها الصغيرة وسألت رئيسة المستشفى التي كانت ترافقني في عيادتي اليومية وهي من حاذقات نساء الالمان هل انا مخطئ في ما اخذني من العجب قالت لا لان هذه الابنة على غاية اللطف في كل تصرفاتها واخلاقها من اكرم الاخلاق وامرها من النوادر التي تذكر في اجتماع التربية الحقيرة والمنزلة الوضيعة مع علوّ النفس الغريزي . وقال احد كبار العلماء في هذا العصر ان صفة الكريم كصفة الشاعر فطرة طبيعية لا مكتسبة على ان السعي اليها والجدّ فيها وتربية النفس عليها من الامور الواجبة الممكنة . فانتبهوا ايها الشبان الى هذه الكلمة ذات الشأن العظيم والى معناها والى ماتؤدي اليهِ من الكرامة

فما للمرء خير في حياةٍ اذا ما عدَّ من سقط المتاعِ

لقد طال هذا الخطاب وربما مللتم منهُ وحسبتم ان المقياس الذي نصبتهُ امامكم عالٍ لا يصل اليهِ احد من البشر واني نسيت انكم خلقتم ضعفاء وان التجارب التي في باطنكم والتي تحيط بكم شديدة البأس هيهات ان يسلم احد من غيها او لا يقع فيها ويسقط ويتهشم . فاقول اني لم انسَ شيئًا من ذلك واني اعرفهُ حقَّ المعرفة لاني قد جزت العقاب التي انتم سائرون فيها الآن وتعلمت بالخبرة ما انتم تعلمونهُ وما لا تعلمونهُ ولذلك كان لما اوصيكم بهِ في ختام الكلام شأن عائد لا الى فضلٍ فيَّ بل الى حياة طويلة ودرس طويل ومراقبة طويلة في انهماك الشباب في الجهل وضلال الدنيا للجميع حتى الشيخ الذي يئنُّ منها ويقول

فإنَّ امّارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيبِ والهرمِ

فوصيتي الاولى ان تدأبوا دائمًا في تهذيب اجسادكم وعقولكم وانفسكم على ما تقدم من الكلام. واذا كان القياس الذي تشخصون ببصركم اليهِ رفيعًا او وهميًا عقباتهُ كثيرة عسرة فلا تيأسوا لانكم اذا لم ترتفعوا الى اعلاهُ ارتفعتم ولا محالة الى بعضهِ وهو شيءٌ يذكر . قال احد الافاضل وصدق هل سمعتم ابدًا ان احدًا جاهد كل حياتهِ جهادًا امينًا صادقًا في نيل غرض ولم ينل شيئًا منهُ ألا ترتفع النفس اذا تاقت دائمًا الى الخير . هل سعى احد للرجولة وعزّة النفس والصدق والاخلاص وكان جهدهُ عبثًا

ووصيتي الثانية صلُّوا ابداً صلاة داود النبي القائل قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي . فهي افضل ما يصعد القلب فيهِ الى الله من الصلاة لانكم اذا نلتم منهُ تعالى القلب الطاهر الذي ينفر من الدنس ويجتنبهُ ويحاربهُ واذا كان فيكم الروح المستقيم روح الصدق والاخلاص والعدل والكرم والبر والاحسان واغاثة المسكين فقد نلتم امراً كبيراً . واذا وجدتم ابواب السماء مغلقة لايجتازها صراخكم – وهو عسر التصديق – فليس في ذلك عبث اذ ينعكس عملهُ في باطنكم ويحملكم على الجد في كل ما منهُ خير لكم . واذا عثرتم وسقطتم فلا تقنطوا بل انهضوا في الحال وجددوا القتال ما دمتم احياء ولا تكفوا حتى تغلبوا

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ عفافٌ واقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

الاغلاط الاستقرائية

في الانسان كما في غيرهِ من الموجودات قوة وضعف وكمالٌ ونقصٌ يرى الناظر اليهِ خلقًا في احسن تقويم يديرهُ عقلٌ لا يُسبر غورهُ ولا تعرف حقيقتهُ يحلُّ المبرمَ ويكشفُ المُلتفَّ ويدفع الامر الجلَل على انهُ ربما سقط في ما لا تسقط فيهِ العجماوات ولغ في الباطل ولغًا يُزري على باطل المعتوهين وهذيان المتخبطين . ويتفاوت نصيب الامم من هذا الانحراف العقلي ويختلف باختلاف تربيتها ودرجة قواها العقلية . فالامم الجاهلة الخاملة لما استسلمت لتيار جهلها وانقادت لصوت طيشها كان نصيبها من امراض العقل اوفرَ من نصيب جاراتها من الامم الحية التي نشأت في زوايا الكليات الجامعات وقعدت على منصةِ العلم وتربعت في نوادي الادب

قال جفنس "قد يقضي قوم حياتهم ناظرين سامعين شاعرين وهم لا يفقهون معنى لما رأوا" ونعرف من الشعوب من اذا انهكتهُ المظالم واهلكتهُ القوارص وضعضعت مناكبهُ صفقات الشرطة وويلات المستبدين ذهب الى أن ذلك مثال كامل في العدل ونموذج حسنٌ في حسنِ السياسة

بمثل هذا انحرف العقل عن جادتهِ وعلى هذا النمط اختلفت الامم في شعورها حتى بلغ الذهول ببعضها درجة المسلوبين المخدَّرين

وقد ذكرت في ما يأتي اغلاطًا استقرائية كثيرة الحدوث خصوصاً بين ظهرانينا وأرجعتها الى انحراف في الحسِّ والحكم والتسليم والخيال والادراك ونقص في الاستقراء. ولم

اتعرض لأغلاط الاستنتاج لأن اهمها مذكور في كتب المنطقيين المتقدمين

اغلاط الحس

قال ابن سينا في الشفا " من فقد حسًّا فقد يجب ان يفقد علمًا ما " ومن لم يَرُض بصرهُ ويهذب سمعهُ ويدرب لمسهُ ويستعن بالمبصرات المسمعات اصابتهُ عاهات في مراقبتهِ ربما ادَّت بهِ الى تيه من الاغاليط يتعذر الخروج منهُ او يستحيل

ظهر المرض الوافد (الهواء الاصفر) منذ عامين في بعض البلاد الشرقية فهزأ طغمة الجهل من الاهالي بما اتخذ من الاحتياط لمقاومتهِ وسخروا بالجراثيم وبمن يعتقد بوجودها لانهم لا يرونها . ومن يمرّ في الشوارع في هذه البلاد ايام وطيس الحر وينظر الغبار المتصاعد كقتام الجحافل لا تمرُّ عربة او خيل الأ وثثور وراءها عواصف من صعيد رجس تتيممهُ الصدور النقية والاعين المتلألئة يعلم ان هذا الاعتقاد الخرافيّ لم ينحصر في عوام تلك البلاد بل ربما تعدَّاها الى طبقة الخواص التي يتوقف عليها نجاح الامة

وقد يمكن المرء رؤية المحسوسات لكنهُ يعميهِ عنها خُلُق او عادة او انفعال او دين شبَّ عليهِ وربما لم يلتقط من مقدمات الحس الأ ما تتطلبهُ نفسهُ كمن يناضل عن بعض العوائد السالفة الفاسدة التي لا تخلو من نفع قليل فانهُ لا يرى منها غير هذا النفع ضاربًا صفحًا عن سوآتها . وكذلك ينشأ في العالم دين او مذهب فتتفرق اتباعهُ شيعًا كل شيعة بما لديها فرحة تدعي انها على صراط ذلك الدين القويم — لانها لم ترَ في كتبهِ الأ ما سوّلتهُ لها نفسها مغمضة عن حجج الخصم ومدعاهُ . هذا في الحسيَّات المعنوية اما في الحسيَّات المادية فاذكر انني كنت مع رفاقي في احد صفوفنا المدرسية فاعطانا الاستاذ قطعة قصت من ورم وطلب من كلّ منا ان ينظر اليها بالمكرسكوب ونصف لهُ ما نرى فكان احدنا اذا توهم انها ورم دهنيّ لم يرَ غير خلايا الدهن واذا توهم انها ورم غشائي لم يرَ غير الالياف الموصلة الى غير ذلك من الاختلاف البيّن حتى ذكر لنا انها كيت وكيت فصرنا نراها كما وصف لم يفتنا منها ذرَّة واحدة

ولا شكّ ان الناس يختلفون من حيث كمية ما يحسون بهِ في وقت واحد كمن يزورون المعاهد القديمة مثلاً فان منهم من لا يرى غير الابواب والعمد وبعض النواتئ الظاهرة . ومنهم من يرى الكتابات والنقوش وتقاطيع التماثيل ايضًا ومنهم من يفوق ذلك فيرى دقة تنضيد البناء واجادة النقش والاحكام وربما صوّر لنفسهِ مصوَّرًا يرى بهِ حدود البناء واقسامهُ

ويقابل ما تقدم ضعف في بعض الناس عن ان يجمعوا حواسهم ويصوبوا تنبههم الى

المحسوسات اللازمة فقط حتى لا تشوشهم الزوائد الحسية التي لا دخل لها في حقيقة موضوعاتهم . فهؤلاء اكثر مؤرخينا المتقدمين قلما يذكرون موضوع التاريخ على ان كتبهم طافحة بذكر النوادر والمحاضرات واسماء الجواري والمغنّين وغير ذلك وربما كانت اشبه بديوان شعري منها بكتاب يسجل اخبار الدولة وعمران الامة . واشبه بهذا ما جرى لي منذ مدةٍ حين كنت في بعض قرى الشام فوجدت متحجرات مرجانية اخذتها معي الى دمشق فكان بعض من اطّلع عليها تتعذر عليهِ رؤية الاشكال المرجانية وحدها من غير ان يشوشهُ قَطْعُ الحجر ولونهُ ومادتهُ . ويظهر مما تقدم ان التعمق والاحاطة بالمقدمات الحسية اللازمة كالتوسع في دوائر الحس ضروري لصحة النتيجة

ويلحق بهذه الاغلاط خلط الاستنتاج بالحس كما يظهر القمر لاكثر الناس عند شروقهِ او غروبهِ اكبر منهُ وهو في كبد السماء لانهُ على الحالة الاولى يتوسط بيننا وبينهُ اجسام نقدّر بعدهُ عنّا بها . فلو ظهر لنا بقدر شجرة او صخرة على حدود الافق المرئي نستنتج انهُ اكبر منها لانهُ ابعد منها فنرى هذا الاستنتاج محسوساً على ان قياس القمر الدائري يصغر كلما قارب القمر الافق

ومن نوع هذا الخلط الحسي الخلط المعنوي كنظر الشرقي للمرأة اليوم فانهُ بعد ما مرّ عليهِ حين من الدهر كانت النساء فيهِ عنوان الحقارة ومثال الخساسة استنتج انهنّ يبقين كذلك ما دام في البحر بلّة فاذا رآهنّ اليوم اختلط استنتاجهُ بحسهِ وظهرت لهُ المرأة وضيعة القدر خاملة الذكر فكأن لسان حالهِ يقول مع شاعر اليونانيين : " للمرأة يوما سرور عند الرجل — يوم زفافها ويوم وفاتها " . وهذا الخطأ الناشيء من ضعف الحواس وتغلّب الاستنتاج عليها هو من اقوى العوامل على ضعفنا وقد تحكّم فينا حتى انهك قوانا وغل ايدينا امام حاجاتنا العمرانية

وربما استحال على المرء التنبه لهُ لان الحس كما يقول جون ستورت مل " لا يكاد يدب حتى ينوء بحمل من تنبهات اكتسابية " يعرف ذلك المصححون في المطابع فهم مهما اجهدوا انفسهم في تنقيح المسودات قلما يفلحون تماماً لانهم في مراجعتهم الكلمات لا يقرأون حروفها كلها بل ربما قرأوا اوائلها واواخرها واكملوا من استنتاجهم اواسطها وهم يظنون انهم رأوا كل حرف منها

الاغلاط الحكمية

تحدث هذه الاغلاط من تفسير المحسوسات وارجاعها الى غير محالها من النظام العقلي لان هذا النظام اشبه بالمراكز التلغرافية العمومية التي لو ارجعت ما يأتيها من الانباء الى غير محلهِ ومنبعثهِ لاختل نظامها وانفرط عقدها . مثالهُ زعم علاقة سببية وارتباط لازم بين حوادث

مختلفة اقترنت بزمان او مكان واحد اتفاقاً كالبسطاء الذين يذهبون الى ان نجاح المسلمين في عصورهم الاولى نشأ من اقامتهم الصلوات في اوقاتها او من افراطهم في التقشف الى غير ذلك من الاقترانات الاتفاقية التي لا دخل لها في تفسير هذا التقدم العمراني . وكثيرًا ما يرى المطالع في الكتب والجرائد الغربية اخبار ما يحدث من النجاح بعد سن الشريعة الفلانية او القانون الفلاني ولكن لا يلبث ان يرى ان هذا النجاح حدث اتفاقًا وان تلك الشريعة او ذاك القانون فاسد يجب تغييره او محوه

ومن هذه الاغلاط الحكمية الشبه الكاذب بين الاشياء كمن يدعي ان الحكومة الاستبدادية خير للبلاد في كل الاحوال وانفع لانها مثل الحكومة البيتية (العائلية) وهذه كما يعلمها القراء على متانتها استبدادية محضة ولكن فاتهُ ان الرابطة في الحكومة الاولى قد تكون نفعية مادية بين رجلين مستأجر واجير وفي الثانية ابوية اهلية بين قاصر ووصي حنون . ولا نقصد بكلامنا هذا الحط من قدر البراهين التمثيلية فان منها مالهُ وقع جميل وحجة منتخبة كالتشبيهين اللذين اشار اليهما جون ستورت مل من ان العقل الصغير لا يسع العقل الكبير كما ان الكيل الصغير لا يسع الكبير او قول دالمبرت " ان بعض الحكومات لا يبلغ الاوج فيها الَّا النسر او الثعبان "

وتختلف هذه الهفوات الحكمية باختلاف الامم والمحيط والتربية الشخصية وبضعف الانسان الفطري من حيث هو فهذه كتب " العلم الالهي " مملوءة بالسفسطات والمغالط لان العقل البشري يحوم هنا حول الاحاطة بمن " ليس كمثلهِ شيء " سبحانهُ عما يصفهُ الواصفون

ونذكر في هذا الباب فعل التعصب والانفعال والخرافات في الحكم على المشاهدات وقد اجاد من شبه العقل الراسخ بالبحر الهادىء الرائق الذي يعكس صور ما يعوم عليهِ تمامًا فاذا حركتهُ العواصف هاج وماج وتكدر صفوهُ وربما حطم ما يحملهُ من سفن الحقائق . هذا ديّن المغرب يعتقد بصحة دعوى من يقدسهُ لما يعضدها من المعجزات فان رأى مثل هذه منسوبًا الى بوذا عدهُ مستحيلاً وذهب الى انهُ افك افّاكٍ وتخرُّص مجنون

قال الامام الغزالي في هذا المعنى (١): —

واكثر اغاليط النظار من التصديقات بالمألوفات والمسموعات في الصبي من الاب والاستاذ واهل البلد والمشهورين ..... واعلم ان من الاذهان ما فطر فطرة تسارع الى قبول كل مسموع ثم ينصبغ بهِ انصباغًا لا يمكن البتة انجلاؤهُ عنهُ ويكون مثالهُ كالكاغد الرخو

(١) محك النظر في صحيفة ٧٤

الذي يغوص الحبر في عمقهِ فان اردت محوهُ لزمك افساد الكاغد وخرقهُ وما دام الكاغد موجودًا كان السواد فيهِ موجودًا فهؤلاء ايضاً ما دامت ادمغتهم موجودة كانت هذه الضلالات فيها موجودة لا يقدر البشر على ازالتها ...... ومهما قصد رسوخ مثل هذا الاعتقاد في النفوس ينبغي ان يكرر ذلك على السمع في الصبي ويجثم الوجه عند ذكر منكرهِ ويستعاذ بالله تعالى ويطلق اللسان في ذمهِ ويقال ان ذلك قول بعض الكفرة .... فلا يزال يترسخ في نفس الصبي ذلك على التدريج من حيث لا يشعر كما يرسخ النقش في الحجر ويتعذر على كل العلماء دواؤُهُ بعد الكبر مثل العلة المستحكمة التي تجاوز معالجتها قدرة الطبيب ولا فرق بين مرض القلوب ومرض الابدان"

الاغلاط التسليمية

اتفق اكثر العلماء على أن في الانسان مراجع تسليمية صادقة متى رُدَّت النتائج اليها كانت صحيحة وقد سماها البعض بالبديهيات لكنهم لم يعينوها وقد نشأ من بعض ما يشبهها ويظن انهُ تسليمي بديهي سقطات فادحة اضرّت بالعمران كالقول بأن ما لا يمكن تشخيصهُ في الفكر لا يمكن وجودهُ. وقد سقط في ذلك منتقدو كولمبس لما ردّوا عليهِ اكتشافهُ كروية الارض والبلاد الاميركية لان ذلك يوجب وجود من يقف على وجه الارض معكوساً وهذا لا يمكن تشخيصهُ اذن فوجودهُ مستحيل . وعدَّ جون ستورت مل من هذا القبيل ذهاب الطبيعيين المعاصرين الى وجوب الاثير في الخلاء لانهم لم يقدروا على تشخيص فعل مادةٍ على اخرى بلا التصاق او واسطة فالقاعدة عندهم " انَّ الشيءَ ليس لهُ فعل في محلٍ لا يوجد فيهِ .... وبعد ما تقدَّم يجب علينا ان لا نعتمد على كثير من البديهيات كالقول ان المادة لا يمكنها التفكر وان الفضاء ليس لهُ نهاية وان الخلق من العدم مستحيل "

ويشبه هذا الخطأ الاغلاطُ اللغوية كالاعتقاد بأن ما نفرقهُ بين الاسماء في اللغة يجب ان يكون كذلك في الحس وقد نشأ منهُ خلط كثير في كتب المتقدمين خصوصاً . قال ارسطو " لا يوجد في الخلاء فوق او تحت لان الخلاء لا شيءَ واللاشيءُ لا يوجد فيهِ شيءٌ فكيف يوجد في الخلاء مثل هذه الاشياء ". وكان العلماء المتقدمون يذهبون الى وجوب الاختلاف بين المظاهر الارضية والمظاهر السماوية (لاننا نفرق في اللغة بين الارض والسماء) واذكر ان صديقاً لي اعطاني في السنة الماضية بقية شهاب سماوي لا حللة لهُ فكان جلُّ من رآهُ تأخذهُ الدهشة اذا ذكرت لهُ انهُ مؤلف من عناصر موجودة في الارض كالحديد والنحاس والنكل الى غير ذلك . واعظم الموانع في سبيل الهيئة الحاضرة الى الافكار العمومية استهزاء

الجهلاء بما هو معلوم اليوم من امر الارض وانها اخت شقيقة لبقية الاجرام السماوية

اغلاط الخيال

لا نريد ان نذكر هنا ما يحدث للخيال في بعض الامراض كالحميات وغيرها مثلاً وانما نذكر فعل الخيال الطبيعي وما يمكن ان ينشأ عنهُ من المغالط . واظهر انواع هذا الخطإ هو في بناء النظريات وتعليل الحوادث الكونية وكثيرًا ما نجسم الخيالي الخالص ونذهب الى انهُ امر واقعي مجزوم بصحتهِ . وكل نظرية تنشأ في العالم سواء كانت دينية او علمية لا بدَّ لها من الاعتماد على الخيال فان احسنت استعمالهُ قبضت على زمام افعل الوسائط في البحث والتنقيب وان اساءت فلها منهُ اخصب مصادر الخطاء . وهؤلاء اكثر المتصوفة لمَّا ذهبوا الى صحة كل ما يطرأ على خيالهم ووهمهم — الى صحة ركوب الماء (من غير سفينة) والى ركوب الهواء (من غير منطاد) والى الصعود الى الملإ الاعلى والتسلط على البشر او على الكون جميعهِ — اخرجوا للناس فلسفة لو لم يزينوها بالمبهم والمعمَّى لبرئ منها اكثر مريديهم وعدَّها ضربًا من فعل المخدرات . ويذكرني فعل المبهم اللفظي هنا بالمبهم الحسي المادي كالذي جرى في شمال ايطاليا منذ امدٍ ليس يبعيد حيث هطل من السماء رجيع بعض الهوام فزعم السكان انهُ منٌّ منَّ الله بهِ عليهم وصاروا يبتلعونهُ حتى لم يبقَ منهُ الاَّ النزر القليل للتحليل الكيماوي وما فعلوا ذلك الاَّ لانهُ ابهم عليهم امرهُ . والمشهور عند العلماء اليوم ان ما كان يدعى خارقًا للعادة في ازمن البساطة الماضية هو من هذا القبيل — تجسيم الخيال وضعف وسائط الحس والتجربة

وربما ساعد حب الانسان للفلسفة وميلهُ للاختراع على انتشار هذا الخطإ ففي الربع الاخير من القرن الماضي أُعلن اكتشاف نحو من اربعين عنصرًا بين العلماء لكن هذه العناصر لم تلبث ان عُدَّت من بنات الخيال واستهداف الآمال . ويتبرم طلاب الحقائق اليوم من فعل هذا الخيال في كثير من العلوم العصرية كذكر سكان الاجرام السماوية مثلاً وعقولهم واقتدارهم وعلومهم ومعارفهم الى غير ذلك مما يأباهُ العلم الصراح .وفي كتب الحياة والاخلاق والنفس والعمران وفلسفة الامراض كثير من هذه الامكانات الخيالية على ان القاعدة في وضع النظريات ان توافق النظريةُ الحقائق المقدمة وفضلاً عن ذلك ان ترتبط بها ارتباط اللازم والملزوم

الاغلاط الادراكية واغلاط الاستقراء الناقص

تحدث الاغلاط الادراكية من توحيد المدركات وتعميمها وذكرها على صورة النواميس الكونية الكلية كالقول المشهور " التاريخ يعيد نفسهُ " " ولا جديد تحت الشمس " وما

لا يوجد في الغابر لا يوجد في القابل" — جمل على كثرة صحتها لا تخلو من مواضع النقد .
فيا هل ترى اذا كانت المرأة في الماضي (والحاضر في بعض البلاد) العوبة للرجل ليس لها من الامر في الاسرة الأ ما رسمهُ الجهل لها انبقى كذلك الى الابد ؟ يعلم تخرُّص هذا القول المعاصرون الذين رأوا ثورةً وانقلاباً في تاريخ المرأة في البلاد المتمدنة وهم يتوقعون مثلهُ (وعساهُ يكون اخف وطأة واقرب للمروءة) في بلاد ارخى ظلام الجهل فيها استارهُ وشمس العلم في رائعة النهار

ولما فطر الانسان على حب التعميم ولمّ شعث المحسوسات كان هذا النوع من الخطإ كثير الانتشار خصوصاً بين علماء الحيوان والنبات فانهم في ترتيبهم الموجودات الحية ربما ادخلوا في الاجناس والفصائل ما ليس منها مغمضين عن الاختلاف المميز ومنشأ ذلك ضعف في الاستقراء والبحث

ويدخل في هذا الباب الغلط الناشئ من اغفال بعض الناس امكان تعدُّد الاسباب مثالهُ ما ذكر المستر هبن "من ان حركات صغار الحيوان كثيراً ما تنسب للغريزة والخلق على اننا نعلم ان للتقليد دخلاً عظيماً في عملها فلو ابعدنا الحيوان المقلّد لبطل اكثرها" . واقرب من هذا المثال ما يذكرهُ بعض المصلحين في الشرق من التعاليل المفردة لتأخر بلادهم كالاستبداد او فساد الاسرة او التباغض او التعصب مثلاً والصحيح ان مجموع هذه المصائب وما شاكلها هو العامل على تربيع البوم في عمران اهل المدنية القديمة

ومن ذلك ايضاً ارسال النواميس التي قامت على الاختبار والتجربة الى ما وراءها وجعلها مضطردة سواءٌ في المعلومات او المجهولات قال احد الكتاب "ان توسيع دائرة امتحانية محدودة توسيعاً استنتاجيًّا يدعو دائمًا الى نتيجة فاسدة وثمرات مضلة"

وقد يؤدي الافراط في تطلب حكمة الكون والقصد من الموجودات الى الاكتفاء بالاسباب السطحية دون التعمق في الارتباطات السببية ونتائجها والاحاطة بالمعلومات وقد استشهد عليهِ المستر هبن بذهاب المتقدمين الى أن وظيفة اوراق الشجر هي حماية الثمر من الشمس والهواء ليس الاَّ وقد اكتفوا بهذه الحكمة دون النظر الى فعل الورق في تنفس الشجر وهذه الوظيفة هي اهمّ من تلك كما لا يخفى . ومن هذا الخطإ ما نرى في كتب بعض الناشئة من آن وظيفة النساء هي امور البيت فقط وفاتهم ما تفعلهُ المرأة اليوم في البلاد المتمدنة من الوظائف التي كان لها الحظ الاوفر في اعلاء كلمة الانسان الحاضر

وذكر المستر مل ان النواميس الكلية المذكورة في بعض كتب العلم كلما كانت اختبارية

فقط من غير ارتباطٍ سببي بين الاسباب والمسببات كانت نتائجها اقرب للاستقراء الناقص. زعم بعض العلماء ان العمران البشري لا يستتب الاَّ بالجمعيات الفلانية كجمعية القسس مثلاً او بالتفرقة في الدرجة بين افراد الامة او بالاستبداد وكزعمهم ايضاً ان التهذيب يمنع من الارتزاق وان الحكيم لا ينجح في الاعمال المعاشية الكسبية — قواعد كلها من نوع الاستقراء الناقص لا تثبت امام التعمق في البحث او استقصاء الشواهد

هذه بعض امثلة من نزغات العقل وفلتاتهِ نرى اشباهها حيثما وجد الانسان وهي كالامراض السارية تحتاج الى وسط صالح ولا تنمو الاَّ حيثما عشش الجهل وضرب الذهول اطنابهُ وانقادت الناس بسوط الاستبداد كالانعام وحرم على العقل النظر والتأمل. وربما وجدنا امةً تتألف من ملايين من البشر تجري على قواعد تضحك منها الصبيان وهي تلوم القضاء والقدر على ما دهيت بهِ على انها لو فكت ادمغتها من عقالها واستنارت بنور العقل لرأت منهُ شمساً يخرق نورها كبد الظلمات وتخرق حرارتها حواجز الترقي فينعم البال ويستريح الخاطر ولكن الامور مرهونة باوقاتها عبد الرحمن شهبندر

الانباءُ بالطقس

نريد بالطقس المعنى المتعارف وهو كل ما يحدث من تقلب الهواء وانتشار السحب ووقوع المطر وهبوب الرياح او الصحو واعتدال الهواء. ولم يتوصل العلماءُ حتى الآن الى طريقة يمكن بواسطتها الانباءُ بالطقس قبل ايام كثيرة. فان الطرق المستعملة لذلك حتى في المراصد الفلكية ليس لها اساس علمي بل هي مبنية على مراقبة الجو والتقلبات التي تطرأُ عليهِ فاساسها اختباري استقرائي والاستدلال بهِ لا يلزم ان يصدق دائماً . وطرق الانباء بالطقس متعددة ومن اقدمها مراقبة حركات الحيوانات وسكناتها كالقطعان والطيور والعناكب والصراصير والنمل وغيرها من الحشرات

ومن الناس من يستدلُّ على الطقس بملاحظة المواد الآلية مثل الشعر واوتار الآلات الموسيقية وجذور النباتات فينذر بهِ من تقلصها او تمددها . ومنهم من ينذر بهِ من مراقبة الحجارة وجدران المنازل وما يطرأُ عليها من رطوبة او جفاف

ومنهم قوم لا يكتفون بالطرق المذكورة بل يعولون على اجسامهم وما يطرأُ على هذا

العضو او ذاك من الشعور . مثال ذلك ان الذي يصاب بالروماتزم يشعر بالم في العضو الذي ينتابهُ الداء كلما كان الهواء مشبعاً بالرطوبة

ومنهم من ينبئ بالطقس من مشاهدة احوال الهواء. ففي كل مدينة او قرية او مزرعة نفر يرجع اليهم في الانباء بالطقس ينظرون الى الجو وما تلبد فيهِ من الغيوم ويراقبون حركتها ثم ينبئونك بما يكون الطقس عليهِ غداً وكثيراً ما يصيبون . فهم يعولون على ظواهر ومشاهدات لها علاقة بالهواء واحوالهِ خلافاً للذين ذكروا قبلاً . ومن تلك الظواهر ما يكاد يعد قواعد مقررة في كل مكان وزمان . فاذا كانت السحب تتلبد في الجو دلَّ ذلك على قرب الامطار واشتدادها في البلدان التي يكثر وقوع المطر فيها . واهل كل بلاد ينبئون بالطقس من سير الغيوم في جوهم لان سير الغيوم دليل على جهة الريح والريح التي تجلب الامطار في بلاد قد تبعدها عنها في بلاد اخرى . مثال ذلك ريح الشمال فانها هي التي تدرُّ اخلاف المياه على القطر المصري او سواحلهِ الشمالية خصوصاً على حين ان ريح الشمال تبعد المطر عن بلاد الشام

ومن علامات الطقس في بعض البلاد الجبلية انهُ اذا كلِّلت هامة الجبال باكليل من السحاب استدلَّ الاهالي على قرب وقوع الامطار . واذا احاطت الهالة بالقمر كان ذلك نذيراً بالمطر في بلاد أُخرى وكذلك اذا انقشعت الغيوم وبان من ورائها غشاء رقيق من السحاب . واذا تبددت الغيوم رويداً كان ذلك دليلاً على عدم وقوع المطر في بعض البلاد . ومن الناس من يعرف حال الطقس من لون الغيوم وشكلها

وهذه القواعد كلُّها بنيت على طول الاختبار والاستقراء وهي وان لم تكن ذات اساس علميّ يركن اليهِ في كلّ حال الاَّ انها مفيدة للناس في اعمالهم بوجه الاجمال . وقد مهدت السبيل الى اكتشاف قواعد اشمل منها وادقّ مثل الانباء باحوال الطقس مدة طويلة في مكان ما بمراقبتها في فصل معين من فصول السنة او الانباء بحالة الطقس في فصل آتٍ من مراقبة حالتهِ في الفصل الذي قبلهُ

وقد ذهب كثيرون الى ابعد من ذلك فلحظوا ان الطقس في سنة من السنين كان مشابهاً للطقس في سنة قبلها فاستنتجوا ان هناك قاعدة يجري الطقس عليها وقالوا ان السنين تتشابه في طقسها كلّ ١١ سنة او ١٨ او ١٩ وان طقس السنة القادمة مثلاً يكون مشابهاً لطقس سنة معلومة قبلها ولكن الواقع لا يؤيد ذلك

على ان قوماً لم يعتدُّوا بهذا كلهِ لانهُ مبنيٌّ على المشاهدة والاستقراء ولا مجال فيهِ للسبب والمسبب فجعلوا يبحثون عن السبب الذي يخضع الطقس والتقلبات الجويَّة لهُ حتى اذا وجدوهُ

اخذوا يبنون نتائجهم عليهِ . ومن هؤُلاء الاستاذ زنجر الالماني فانهُ رأى ما للشمس من العلاقة الشديدة بالارض فقال انها العامل الاكبر في تقلبات الهواء وان هذه التقلبات ناشئة عن دوران الشمس على محورها . ولما كانت دورة الشمس على محورها تتمُّ في نحو ٢٦ يوماً اتخذ نصف هذه المدة لقياس تقلبات الطقس ووضع روزنامة (نتيجة) مدارها على تغييرهِ مرة كل ١٢ او ١٣ يوماً

ومنهم الاستاذ سرفوس فانهُ نظر الى جاذبية الارض للهواء المحيط بها وقال ان كلَّ التقلبات العظيمة التي تحلُّ بموازنة الهواء سببها انقلاب يطرأ على داخل الارض . ولكن هذا الرأي ضعيف حتى ان صاحبهُ نفسهُ اضطر ان ينسب الانقلاب الذي يطرأ على باطن الارض الى فعل الشمس والقمر وعليهِ فان رأيهُ هذا لا يكاد يختلف عن رأي الاستاذ زنجر

وقام الاستاذ لمبرخت بعدهما فبالغ في الاعتماد على السنب والمسبب في تعليل تقلبات الجو من غير ان يلتفت الى المشاهدة والاختبار فشط بهِ المزار . وادعى ان الارض محاطة بخمس حلقات تشبه حلقات زحل وان ازمنة دورانها وعلاقتها الواحدة بالاخرى هي اسباب تقلبات الجو وسماها باسماء بعض ملوك المانيا ووزرائها وكبار قوادها

ومن اقدم طرق الانباء بالطقس واكثرها انتشاراً طريقة مبنية على ان للاجرام السموية علاقة بكل ما يجري على الارض وخصوصاً تقلبات الهواء. فقالو ان لكلٍّ من السيارات تأثيراً خاصًّا وقسموا السنة الى مداتٍ تبعاً لتغلب هذا السيار او ذاك . ولكنهم غالوا في تقديم القمر على غيرهِ من حيث علاقتهُ بالارض وفي نسبة معظم التقلبات الجوية الى تغيراوجههِ من هلال الى بدر حتى ان من اكثر القواعد الجوية انتشاراً الآن ان الطقس يتغير كما هل الهلال او اكتمل البدر . ومهما يكن من ذلك فان كثيرين يعلقون الشأن الاعظم على ربعي القمر الاول والاخير على ان هذا كلهُ نتيجة اعتقاد العامة بالقمر وتأثيرهِ في الارض وليس لهُ اساس علمي

ولا يعلم ما اذا كان هذا الاعتقاد تابعاً لمراقبة تقلبات الطقس فيعد نتيجة عنها او سابقاً لها اي ان الناس اعتقدوا اولاً بتأثير الاجرام السموية وخصوصاً القمر في الارض ثم جعلوا يرصدون و يراقبون ليروا ما يؤيد هذا الاعتقاد ولعل الامر الثاني هو المرجح بدليل انتشار المذهب الحديث القائل بتأثير القمر في الارض . واصحاب هذا المذهب لم يجمعوا نتائج الارصاد والمشاهدات اولاً و يستدلوا منها على تأثير القمر في الطقس ثانياً بل بدأوا باقتباس الاعتقاد القديم بفعل القمر ثم جعلوا يبحثون عن اساس علمي لهُ بفرض الفروض ووضع الشروح وعرضوا نتيجة ابحاثهم على الجمهور طالبين تمحيصها بالمراقبة والمشاهدة . فهم يجرون في ذلك على ضد ما

يجري عليهِ اصحاب المذهب الآخر الذين يرصدون و يراقبون طويلاً ثم يلخصون اعمالهم في قضايا او قواعد يرسمونها للجري عليها

وليس ثمة ما يعترض بهِ على طريقة اصحاب المذهب الحديث ولكنها تستلزم نظراً صائباً دقيقاً وبحثاً خالياً من الهوى اذا كان لا بدَّ من الوصول الى الحقيقة فيما يختص بتأثير القمر في الارض وجوّها

وكان الناس لاول عهدهم بالبارومتر يعوّلون كلَّ التعويل عليهِ حتى ليعصمونهُ عن الغلط وينزهونهُ عن الشطط فكان اذا اقتنى احدهم بارومتراً يحسب انهُ بات مطّلعاً على اسرار الغيب من حيث الطقس وتقلباتهُ فلا تخفى عليهِ خافية منهُ . فاذا وقع المطر والبارومتر يدلُّ على الصحو هاج ذلك سخطهُ او كان صحو والبارومتر يدلُّ على المطر اشتد عجبهُ وزادت حيرتهُ . ولما كان البارومتر كثير الخطاء في دلالتهِ على الطقس فقد قلّت الثقة بهِ

ولما قلّت ثقة الناس بالبارومتر اعتمدوا على الهيغرومتر وهو آلة تدل على مقدار الرطوبة في الهواء كما يدل البارومتر على مقدار ضغط الهواء . ولما كان لضغط الهواء ومقدار الرطوبة فيهِ علاقة بالطقس امكن استخدام الهيغرومتر مكان البارومتر ولو لم يكن هذا هو الغرض الاصلي الذي وُضع لهُ . فاذا ارتفعت درجة الرطوبة فيهِ دلَّ ذلك على ان الهواء مشبع بخاراً . ولكن قد يتفق ان تزيد الرطوبة في الهواء ويبقى الطقس حسناً فيدلُّ الهيغرومتر على قرب تغير القطس . ويتفق ايضاً ان الطقس يكون رديئاً والرطوبة تنقص فيدل الهيغرومتر على تحسن الطقس وجفاف الهواء قريباً

واحسن انواع الهيغرومتر ما يصنع من شعر الانسان فان الشعر يتمدد بالرطوبة ويتقلص بالجفاف وكثير من المواد الآلية حيوانية كانت او نباتية لهُ هذه الخاصة . ثم نال الهيغرومتر ما نال البارومتر من ضياع الثقة بهِ لما ظهر انهُ ليس اصدق إنباءً من اخيهِ البارومتر . فصار يرجع اليهِ لمعرفة كمية الرطوبة التي في الهواء لا غير وهذه المعرفة لا تفيد في الانباء بالطقس في مكان اكثر مما تفيد معرفة مقدار الضغط فيهِ . وعليهِ فالبارومتر والهيغرومتر سيّان في ذلك

اما المراصد المتيورولوجية الكبيرة فتعوّل على طريقة حديثة للانباء بالطقس نتجت من البحث الدقيق في المتيورولوجيا العلمية والعملية اي من مراقبة الاحداث الجوية نفسها واستقرائها وعليهِ فان اساسها صحيح يركن اليهِ . واهمُّ ما في ذلك الاساس ان لحالة الطقس علاقة شديدة بتوزع ضغط الهواء وان الطقس في مكان لا يعرف من معرفة ضغط الهواء فيهِ وحدهُ كما يدلُّ البارومتر عليهِ بل من معرفة الضغط في بقعة واسعة جداً في وقت واحد وساعة

واحدة فلابدَّ من المراصد المتيورولوجية التي يرصد بها ضغط الهواء دوامًا

هذا وقد ظهر بالبحث ان توزع ضغط الهواء يختلف على صور شتى يمكن ضمها تحت ابواب معلومة وثبتت القضايا الآتية وهي

(١) ان الطقس يتوقف على توزُّع ضغط الهواء فالطقس الذي نراهُ الآن في مكان ما يعود في وقت آخر اذا اتفق ان كان توزع ضغط الهواء كما كان اولاً

(٢) ان طقس مكان ما يعرف من نسبة ذلك المكان الى ما حولهُ من الامكنة التي يعرف توزع ضغط الهواء فيها

(٣) اذا عرفنا ما يكون عليهِ توزع الضغط في يوم مستقبل او في وقت مستقبل استطعنا الانباء بطقس ذلك اليوم او الوقت قبل مجيئهما

(٤) ان التغيير الذي يطرأ على طقس مكان ما بالنسبة الى موقعهِ الجغرافي هو واحد دائمًا

فهذه القضايا استُنتجت من الارصاد المدققة واتخذت اساسًا للانباء بالطقس. ثم انهُ لا بدَّ للانباء بالطقس من معرفة احوالهِ في كلّ مكان ومعرفة ما يتعلَّق عليهِ توزع ضغط الهواء . وهناك امر آخر تجب معرفتهُ للانباء بطقس فصل مقبل وهو اي نوع من انواع توزع الضغط يكون في ذلك الفصل. وهذه المعرفة هي النقطة الاولى التي يتوقف الانباء بالطقس عليها . فاذا استحالت استحال علينا الانباء بالطقس ايضًا . واذا عرفناها على وجه التقريب امكننا الانباء بهِ على وجه التقريب: واذا عرفناها معرفة باتَّة قطعية امكننا الانباء بهِ على وجه باتّ قطعي. وهي الغاية القصوى لعلم المتيورولوجيا وكثيرون من العلماء يشكّون في ما اذا كان بلوغها ممكنًا ويؤيدون شكوكهم بحجج قويَّة

ومما تجب الاشارة اليهِ ان علماء المتيورولوجيا لا يعترفون ان لجرم من الاجرام السموية علاقة بالارض الاَّ الشمس ويقولون ان حرارتها الواصلة الى الارض والهواء هي السبب الوحيد في تقلبات الطقس . فان الشمس هي التي تسبب الصيف والشتاء وما يتبعهما من حرّ وبرد وتغيُّم ومطر وثلج وبرَدٍ وريح وعاصفة . وقد ثبت لهم انها السبب الاعظم في ما يسمى بطقس الارض ان لم تكن السبب الوحيد فيهِ فانهم لم يهتدوا بعد الى سبب آخر صحيح مع شدة بحثهم وتنقيبهم . اما القائلون ان للقمر وسائر الاجرام السموية علاقة بطقس الارض فلم يؤيد احد منهم قولهُ بدليل صادق بل يعتمدون على ما يحدث احيانًا صدفةً واتفاقًا . ولو فرض ان الصدفة صحت في ٥٠ مرة من كلّ مئة فذلك لا يصيّرها قاعدة يركن اليها بل لا يزال بينها وبين الحقائق العلمية شقق متراميه وهوة لا يسبر غورها

واعظم بلدان الارض اهتماماً برصد القطس ومراقبة ما يطرأ عليهِ الولايات المتحدة الاميركية فانها سبقت سائر الممالك المتمدنة في ذلك كما سبقتها في الزراعة والصناعة والتجارة وحكومتها تنفق مليوناً ونصفاً من الريالات على المراصد المتيورولوجية فيها وهو اكثر مما تنفقهُ سائر الامم المتمدنة كلها معاً على مراصدها ولكنَّ الاميركيين يربحون من ذلك ربحاً جزيلاً فقد قُدّر متوسط المال الذي يجنونهُ كلَّ سنة بسبب المراصد المذكورة بثلاثين مليون ريال اي ان كل ريال ينفقونهُ على هذه المراصد يربح ٢٠ ريالاً

اما ما تفعلهُ المراصد فانها ترقب انهار البلاد المعروفة بفيضانها فتنبئُ الاهالي بدنوّ الفيضان لئلاَّ يؤخذوا على غرة . فقد تعلَّم رجالها بالاختبار والحساب المدقق ان يعرفوا العلامات المنذرة بارتفاع الماء في الانهر او هبوطهِ واقاموا مقاييس الامطار في كلّ جهة من جهات البلاد حتى صاروا يعلمون مقدار الماء الذي ينصبُّ الى كلّ نهر ومقدار ما يسعهُ النهر منهُ ومواطن القوة والضعف من سدود كل نهر وضفافهِ فاذا اشتدَّ وقوع الامطار وبلغ السيل الزُّبى عرفوا اين يخشى على النهر ان ينصدع فانذروا الاهالي بالخطر

ومن اصدق الشواهد على ذلك انباؤُهم بالفيضان الهائل الذي طما سنة ١٩٠٣ . فان رجال مرصد وشنطون انذروا اهالي نيو اورليانس بهِ قبل وصولهِ اليهم بثمانية وعشرين يوماً وقالوا ان معظم ارتفاعهِ يبلغ ٢١ قدماً . فطغى في الساعة التي عينوها تماماً وارتفع حتى بلغ ٢٠ قدماً و ٧ بوصات اي اقلّ مما انبأوا بهِ بخمس بوصات لا غير وكان منشأُ هذا الفيضان في بلاد مساحتها نحو ٣٠٠ الف ميل مربع وتبعد عن مدينة نيو اورليانس الف ميل ولكن الراصدين عرفوا سرعة جريانهِ كما يعرف سائق القطار سرعة قطارهِ . وانباوا اهالي مدينة ممفيس انهُ يرتفع الى علوّ ٤٠ قدماً عندهم ويفيض على الجوانب وانذروهم بذلك قبل حدوثهِ بسبعة ايام . فهبَّ الناس الوفاً يعززون جوانب النهر فلا يغمرهم السيل وينقلون النساء والاولاد والماشية الى حيث يؤمن الخطر فلما أقدم الأَتيُّ الجارف وجدهم مستعدين للقائهِ فلم يجرف منهم سوى القليلين ومع ان خسارة الاملاك كانت عظيمة الاَّ انها كانت اقلّ بملايين الملايين من الخسارة التي كانت تلمُّ بهم لولم يحوطوا للشرّ قبل وقوعهِ

ومن فوائد تلك المراصد الانباء بالصقيع الذي كثيرًا ما ينتاب البلاد في اوائل الربيع والخريف فيهرأُ المزروعات ويترك الارض جرداء ربداء وقد يفسد في ليلة مواسم السنة ويذهب بآمال الفلاح ويغادرهُ خاوي الوفاض . فاذا درى الفلاح بهِ قبل وفودهِ تداركهُ بما لديهِ من الوسائل لتقليل ضررهِ كتغطيتهِ مزروعاتهِ واشجارهُ باغطية تقيها منهُ . والمراصد تنذر

الاهالي بالخطر قبل وقوعهِ بيوم كامل على الاقل فاذا آنستهُ في الهواء بعثت بالوسائل البرقية والتلفونية الى حيث يتوقع حتى لقد يزيد عدد تلك الوسائل على مئة الف في ساعات قليلة . وبهذه الواسطة سلم من الصقيع الذي انتاب البلاد سنة ١٨٩٨ ما قيمتهُ نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال من الاثمار

ومن اعظم فوائدها الإنباء بالزوابع . فان الرياح الشديدة تثور على سواحل اميركا بين شهري اكتوبر وابريل والعواصف تهبُّ من الهند الغربية في شهري اوغسطس وسبتمبر فتجتاح ما في البرّ طولاً وعرضاً وما في البحر من السفن الماخرة ذهاباً واياباً بين موانئ الساحل. فالمراصد تعلم بالزوبعة لاول ثورانها فتنذر الاهالي بها وترفع الاشارات في كلّ مكان تحذيراً لهم منها . وكان ٧٥ في المئة من الخسارة ألّتي تلحق بالملاحة الاميركية في البحيرات الكبيرة سابقاً مصدرهُ هذه الزوابع فنقصت حتى صارت الآن ٢٥ في المئة

ومن اغرب ما يحكى عن فوائد السجلات التي تحفظها المراصد فيها ان رجلاً في ولاية ايلنويس اتُّهم بقتل امرأة وكان اعظم دليل على جنايتهِ شهادة عامل قال في شهادتهِ انهُ كان يحفر في الارض فعطش وكانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر فصعد من الحفرة ليشرب من اناء كان هناك فالتفت الى كوة بيت فرأى المتهم يقتل المرأة فيهِ ثم فرَّ هارباً قبل ان يدركهُ. وكانت الشهادة صريحة وظهر انها قاطعة . ولكن المحامي عن المتهم قلَّب سجلات المرصد المتيورولوجي فرأى ان اليوم الذي ادعي على المتهم بارتكاب القتل فيهِ كان يوماً شديد البرد الى حد انهُ لو بقي الاناء الذي شرب الشاهد منهُ في الخلاء من الصبح الى الساعة الحادية عشرة كما قال لجمد كلهُ فلم يستطع الشرب منهُ . وكانت هذه البينة سبيلاً الى تبرئة المتهم ثم قامت الادلة التي ثبتت منها الجريمة على الشاهد نفسهِ

ومما تفعلهُ المراصد ان المكتب الرئيسي يصدر نشرات شهرية عن الحاصلات يقتطفها من تقارير الوف من الباحثين ويذكر فيها تأثير المطر او القيظ او البرد في القمح وغيرهِ من الحاصلات . ويصدر ايضاً نشرات عن سقوط الثلج في الولايات الغربية يذكر فيها مقدار ما سقط منهُ على الجبال ومقدار الماء الذي ينتظر في الصيف التالي لاعمال الري ونشرات خصوصية في كليفورنيا حيث يصنع الزبيب تنذر الفلاحين بالمطر فيستعدون لاتقائهِ لئلا يتلف موسمهم

وسعى اخيراً في اكتشاف طبقات الجوّ العليا بالبالون وذلك انهُ يصنع بلونات من اللستك يعلق بها آلات صغيرة تعرف بها احوال الهواء ثم يطلقها فتسير صعداً وتكبر كلما صعدت

وخفّ ضغط الهواء الخارجي عنها حتى تبلغ علوّ اربعة اميال او خمسة فينشق اللستك وتأخذ البلونات في الهبوط رويداً رويداً بجهاز فيها يقيها من السقوط الفجائي حتى تصل الى الارض فيلتقطها الذين يرونها ويأخذونها الى المراصد . وقد عينت المراصد جوائز لهم . والغرض من هذه البلونات معرفة مجري الرياح في طبقات الجوّ العليا وهو ما لا يعرف الراصدون عنهُ الاَّ القليل مع شدة اهميتهِ

وهو يسعى ايضاً في نشر تقارير عن تقلبات الهواء في عرض البحار مستعيناً على ذلك بالتلغراف الاثيري وينشر على الجمهور تقارير عن الجوّ وتقلباتهِ وخرائط يومية رسمت فيها البلاد كلّها ودُلّ على الاماكن المتشابهة في طقسها بخطوط تمرُّ فيها . فالمقيم في نيويورك يعرف كلّ يوم اين تصطكُّ الركب برداً واين يتصبب الجبين عرقاً . وقس على ساكن نيويورك غيرهُ من اهالي الولايات . وهذه الخرائط تنشر ايضاً في ٢٥٠٠ جريدة يومية وترسل بالتلغراف او التلفون او تذاكر البوستة الى الوف من البورصات ومكاتب البوستة ومكاتب المطالعة وغيرها من الاماكن العمومية ليطلع الجمهور عليها

هذا ولم تهبّ على الولايات المتحدة زوبعة منذ بضع سنين الاَّ كانت المراصد قد انبأت الاهالي بها فاحتاطوا لها . ولا نزل بها صقيع ولا طما فيها سيل الاَّ كانوا عالمين بهما متهيئين للقائهما . ولما كانت الشمس السبب الاعظم في كل ما يطرأ على جوّ الارض من الانقلاب ومصدر كلّ قوة وحركة في الارض (ما عدا المدّ) فان معرفة طبيعتها وماهيتها وعلاقتها بنا وتأثيرها في كرتنا ترشدنا الى الانباء بالطقس تماماً او تقريباً . وعليهِ قرر مجلس الامة في الولايات المتحدة منح المكتب المتيورولوجي مالاً لبناء مرصد يُدرَس وجه الشمس منهُ ويجهز بجميع الآلات والادوات التي اخترعها الانسان لتلك الغاية . وهي خطوة تعدُّ اعظم ما خطاهُ الانسان لترقية علم المتيورولوجيا لانها ستكون مفتاح الانباء بالزوابع والعواصف وما يطرأ على الارض من حرّ وبرد وقيظ وفيضان

هذا وعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بالحكومة الاميركية فتزيد سخاءً على الارصاد الجوية ولا سيما عند منابع النيل وما حولها عسى ان تكشف احوالهُ بالتدقيق او يكشف القانون الذي يجري فيضانهُ عليهِ فتحوط البلاد للشرَق والغرق قبل حدوثهما

شذرات في الانشاء

[المقتطف. ذكرنا في جزء يونيو ان حضرة الفاضل محيي الدين افندي الخياط طبع ديوان ابي تمام بعد ان فسَّر الفاظهُ اللغوية. وقد اطلعنا في صدرهِ على فصل كبير الفائدة يتناول كثيرًا من المواضيع التي يبحث فيها الآن ادباء اللغة كحقيقة الشعر ونبوغ غير العرب فيهِ والشعر العصري والتعريب والتوسُّع في الاستعمال فرأينا ان نثبتهُ هنا برمتهِ تعميماً لنفعهِ مكررين الشكر لحضرة منشئهِ محيي الدين افندي الخياط راجين ان آراءهُ الصائبة تشجع كثيرين من كتَّاب العصر على كسر قيود التقليد]

الشعر

الشعر شعور لطيف احست بهِ الارواح قبل الاشباح ووجدان وجد مع الغرائز والفطر قبل الهيولى والصور يجري على الخواطر مجرى الكهرباء في مساري الهواء ويسيل في الضمائر مسيل الماء في ثنايا الادماء. فهو اشبه بسلك اثيري بين القلب والدماغ يسري على اهواء الضلوع وهذه تدفعهُ بقوتها المكهربة (تكهربًا معنويًّا او حسيًّا على الرأي الحديث) الى مركز الدماغ ومنها الى القوة الخيالية التصويرية ومن هناك تجذبهُ اسلة اللسان المغناطيسية فتحملهُ على جناح تموجاتها الهوائية (المجازية) الى عالم الآذان فيدخلها باستئذان او بلا استئذان

ما لنا وللخيالات والتصورات فالشعر روح غنائية دبت في كل امة وسرت منها الى كل طبقة « ان صح ان يطلق الشعر على كل ما يستفز الالباب ويستخف الارواح ويختلب الافئدة ويستهوي العواطف وان كان عاميًّا محضاً كالمواليا والزجل والقوما وكان وكان والمطاول والمعنّي وما يلحق بها من هذا القبيل مما يفوق البعض منهُ على اكثر الشعر الموزون » وانت خبير ان هذا هو الاصل في اشتقاق هذه اللفظة (الشعر) ولذا كانت جاهلية العرب في صدر الاسلام تذهب الى ان بلاغة القرآن الباهرة وفصاحتهُ المدهشة هما من الشعر وان القرآن الكريم كلام شعري لان رشاقة الاسلوب ومتانة الديباجة وابداع المفردات وحسن التصوير مما يهيج الفطرة الشعرية سواءٌ كان الكلام موزونًا ام غير موزون

شيوع البلاغة في الشعر

ثم انهُ من الظلم الفادح والتحيز الفاضح ان تحصر البلاغة والفصاحة وحسن التصوير في امة دون امة او طبقة دون طبقة فانها حق شائع بين جميع الامم وما يحتكرها احتكار السلع الاَّ قليل الاطلاع قصير النظر في شؤون البشر لكن المتربع فوق قمة الادراك على بعد الفكر

والمشرف من سامق نظرهِ على سهوب هذه الشعوب والامم يعتقد ان الناس اكفاء وامثال في جميع المواهب الانسانية وانَّ بني الانسان في كل لسان هم من طينة واحدة وعنصر واحد او كما يقول النباتيون من فصيلة واحدة وانما تتفاوت المنازع والمشاعر واللغات نفسها بعض التفاوت اندفاعاً الى ما يطرأ عليها وعلى بنيها من الادوار والاطوار والبيئات في محيط هذه الكرة المحاطة بهذا الفضاء اللانهائي

نعم ان النابغين من الشعراء الذين يستحقون ان يطلق على كل واحد منهم لقب شاعر هم افراد قلائل في كل امة وفي كل جيل وهم الذين خُلقوا ليكونوا شعراء اي ان كيانهم الفطري حكم عليهم بان يكونوا شعراء مثل زهير في الجاهلية و ابي العلاء في الاسلام وعمر الخيام في الفرس وقد قيل عنهُ انهُ اخذ معاني ابي العلاء ونظمها بالفارسية وهي دعوى لا ينهض بها دليل لان الفضل لم يختص بامة ولا بلسان وتوارد الافكار من الامور المسلمة. ومثل هوميروس صاحب الالياذة في اليونان وهو الذي ذكرهُ ارسطو في كتاب المنطق واثنى عليهِ ومثل شكسبير في الانكليز وفيكتور هيغو في الفرنسيس وكمال في الاتراك وسواهم في سوى ما ذكرنا من الامم والشعوب

ويلحق بكل من هؤلاء شعراء كثيرون معاصرون وغير معاصرين لهم وربما وجد من هو اقدر منهم على سبك الالفاظ ومتانة الديباجة وسلامة الاساليب ممن هو اقوى عارضة وافصح لهجة غير ان روح الشعر التي وجدت في هؤلاء مع صفاء الذهن وسمو المدارك ودقة الشعور وبُعد التصور والفلسفة العالية والحكمة الباهرة والترفع عن السفاسف جعلتهم يشرفون على شعراء الامم من مكان شاهق ومنزل سحيق

الشعر والعصر

الشعراء في كل امة وفي كل جيل طرأ على اكثرهم عصور وازمان كانوا فيها اصحاب السيطرة الحقيقية على الرأي العام لا سيما في الجاهلية والاسلام ولنا على هذه الجملة دلائل لا محل لسردها وعلى كلٍّ فهم بلا شك عنوان الامة وممثلو تاريخها واحوالها الاجتماعية الاَّ ما شذ في بعض العصور التي اصبح بها الشعر تقليداً بحتاً لا يؤخذ منهُ شيءٌ من الاحوال الاجتماعية بل ولا يصور اخلاق قائليهِ اذ اصبح عبارة عن قوالب لفظية بمعان تكاد تكون محصورة يفرغ عليها المشتغلون بالشعر جميع الصور والتماثيل التي انشأها قبلهم الشعراء الفطريون عن شعور حقيقي واحوال اجتماعية وجدوا فيها وتركوها لبني الاعصر التالية صورة لفظية معنوية باقية تمثل اخلاقهم وعاداتهم كما تمثل الآثار القديمة الخالدة اخلاق واحوال الامم البائدة

ويا ليت المقلدين وقفوا عند ذاك التقليد الصِّرف الذي هو اشبه بترجيع الصدى او ترديد الببغاء او تمثيل الحاكي «الفونوغراف» لصور الالفاظ فانهُ كان على الاقل يحفظ لنا تلك الصور المجيدة او يحيي لنا بالاحتذاء ما درس من تاريخ الاباء بل هم تنزلوا عن تلك الذروة السامقة الى وهاد وشعاب حصروا فيها الشعر ضمن دائرة لا تكاد تجتاز ما درج عليهِ بعض الشعراء حتى هذا العصر من الغزل والمديح والتهنئة والرثاء فضلاً عن تنزلهم في الاساليب والديباجة والمفردات الى درجة الرثاثة والابتذال

ان الجاهليين الذين نتمنى ان نحذو حذوهم كما يريدهُ الراغبون في بقاء القديم على قدمهِ والنافرون من كل جديد قد ضربوا من الشعر في كل مذهب وولجوا بهِ في كل مشعب فترى شعرهم يضم بين اعاريضهِ وضروبهِ الوصف والترسُّل والتغني والتغزل والمدح والهجاء والعتب والرثاء وتدوين الاخبار وضرب الامثال ووضع الحكم والتنافر والتفاخر والحض والتهييج . كل ذلك بسائق الوجدان ودافع الشعور بلا تكلف ولا تقليد الى ما يقع تحت الحس وتكاد تلمسهُ النفس . وهذا كل ما يريدهُ العصريون فهم لا يريدون ان يأتوا ببدع جديد بل يريدون الرجوع بالشعر الى ما خطهُ شعراء الفطرة البدويون الذين تفننوا بوصف الناقة والجمل والسهل والجبل والفرس والغزال والهودج والظعن والاسد والنمر والسيف والرمح والقوس والسهم والفلك والنجم الى سائر ما وقع تحت اعينهم من الجمادات والحيوانات والطيور وما وطئتهُ اقدامهم من سباسب وقفار ومنازل وديار واطلال وآثار ورياض واشجار وجداول وانهار واضعين لكل مسمًّى اسماء تكاد تجتاز حد الحصر ويعجز او عجز عن الزيادة عليها شعراء الدهر. نعم ان تلك الاسماء صفات لكن اكثرها غلبت عليهِ الاسمية وهي على كل حال تدل على مبلغ تفننهم وتلاعبهم في المفردات والمواضيع كما يريد العصريون الذين يرون امام حسهم البخار يحملهم على جناح البخار ويقلهم في الصحارى والقفار على ما لا يكاد يوجد لهُ اسم غير القطار (وهو قديم) بدلاً من تلك النوق او السفن البرية التي كانت تمخر في عباب القفر وتعلو اسماؤُها واوصافها عن الحصر

فلا بدع بعد هذا اذا نزع الشاعر العصري الى التفنن بالقطار ووصفهُ كما تفنن اسلافهُ البدويون بوصف تلك النجائب ترتك على الربى والسباسب وان شغلتهُ الحضارة عن اختراع الاسماء فقد يتيمم بالتراب مَن فقد الماء

ثم هم يرون الآن امام اعينهم الاسلاك البرقية والاثيرية وما ظهر او سيظهر من غرائب الكهرباء في هذه الدكناء وما بين تلك الزرقاء فلا غرو حينئذٍ اذا مالوا الى التلاعب

باوصافهم كما كان اسلافهم روّاد الكلاءِ وورّاد الماء يتلاعبون بوصف الودق والبرق والسماء والماء والمنزل والدار والاطلال والآثار

ثم هم يرون الآن ما يسمونهُ بالفونوغراف والسنغراف والفوطوغراف والاتوميبل والبالون واذنابها مما لاتكاد تجد لهُ اسمًا واحدًا فضلاً عن اسماء متعددة فلا عجب بعدها اذا ذهبوا في اوصافها كل مذهب كما كان آباؤُهم الجاهليون يتشعبون بوصف الطيور والاصوات وتدوين الاخبار والوقائع وضرب الامثال كل مشعب

ثم هم يرون جيرانهم من الامم يجدُّون وراء العلم ومرافق الحياة وغضارة العيش او ما يسمون مجموعهُ بالتمدن فلا غرابة بعد هذا وذاك اذا قاموا الى حض بني قومهم وقبيلهم واستنفارهم لمجاراة جيرانهم في كل عمل نافع لهم ولشعبهم غير مباين لعاداتهم وتقاليدهم مذكرين لهم بمجد آبائهم على لسان الشعر كما كان اسلافهم سكان بيوت الشعر يتفاخرون ويعددون احساب قبائلهم ويتناشدون اشعار الحماسة والفخار والحض والاستنفار في مواسمهم ومجامعهم في تلك القفار

وخلاصة القول اننا اذا دققنا النظر وعرفنا الغاية من الشعر حكمنا بان شعراء البادية الفطريين هم الشعراء العصريون الحقيقيون ولو نفخ الله في ارواحهم ورأوا ما رأى العصريون لما عدمنا للقطار وامثالهِ من المخترعات العصرية والمكتشفات الوفًا من الاسماء والصفات ولكانت لنا من الشعر صورة مجسمة لتاريخ هذا العصر تبقى ما بقي الدهر ولنا الآن من رجال النهضة الشعرية الحديثة ما يسد هذه الثلمة ويضمن لنا سير اللغة والشعر عن النقطة التي قضت بعض ظروف العصور بالوقوف عليها

اللغة والتوسع في الاستعمال

ثم لا بد لنا هنا من التنبيه على امر ذي بال وهو ان اللغة العربية لاتحيا الحياة الطيبة ولا تنتشر انتشارًا واسعًا في هذا العصر الاَّ باستعمالها دون اعنات ولا تضييق على الوجه الذي اتصل بنا من ابنائها الاولين تقبل الدخيل فتعرّبهُ وتعدهُ منها وتتصرف بهِ وتتوسع في المجاز والاستعمال كما توسع ابناؤُها الاصليون بشرط ان تكون خالصة من شين اللحن ورثاثة الاساليب وان تتجافى عن التقعر في انتقاء الالفاظ الحوشية القلقة المهجورة وان تبتعد عن الاغراب او "المعاظلة" على رأي البيانيين في التركيب وان لا يسرع المشتغلون بها الى اعتقاد الخطإ في ما يتراءى لهم انهُ مخالف لما تعلموهُ من الرسوم او القواعد التي وضعها الواضعون على حسب ما اتصل بهم من كلام ابناء اللغة الاولين اذ الناقد البصير يعلم ان تلك الرسوم او القواعد غير ضابطة وغير مستقصية لانهُ لم يتصل بواضعيها الاَّ القليل من كلام ابناء اللغة الاولين

كما حققهُ المحققون. وما اتصل اليهم مما خالف تلك الرسوم سموهُ شاذاً ثم لم يجيزوا ان يقاس عليهِ

الدخيل

ترى بعض الكتبة او الشعراء يأبى او يأنف من استعمال الدخيل الذي لهُ مرادف في العربية ولم يعلم ان القرآن الكريم نفسهُ استعمل الدخيل مع وجود المرادف لهُ وقد نسج على منوالهِ جميع كتَّاب العربية وشعرائها بلا استثناء ولعل اكثرهم يخفى عليهِ ما استعملهُ والاَّ فايّ لفظ دخيل يتعذر وضع مرادف لهُ لكن النزوع الى المرادف قد يفضي بعض الاحيان الى الاعنات فضلاً عن ان الدخيل مما يزيد في ثروة اللغة ولا يجعلها ضمن دائرة مفرغة الحلقات وان كانت هي من اغنى اللغات . وذلك الآن هو شأن اللغات الحية التي تقبل كل دخيل على انها ان لم تقبلهُ اختياراً فقد قبلتهُ وستقبلهُ اضطراراً جرياً على الناموس الطبيعي العام . ولو بعث الله روح الشهاب الخفاجي (صاحب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل وصاحب الانتقاد على درة الغواص) الى عالم الاحياء ورأى الالفاظ العصرية التي اوجدها العلم العصري الحاضر واطلع على تطور اساليب الكتابة وتوسع الكتبة في الاستعمال لضم الى كتابهِ الشفاء عدة كتب مؤلفة من الفاظ الفوطوغراف والفونوغراف والسنغراف والتلغراف والتلفون والغاز والاتومبيل والبالون والوابور والوف من اسماء الآلات الميكانيكية وسائر ما اخترع في هذا العصر وعد من ابكار افكار ابنائهِ ولزاد على انتقادهِ تلك الدرة درة الغواص درراً ناصعة بالمجاز لامعة بالقياس والتوسع في الاستعمال . انتهى

[المقتطف] لا بدَّ من ان القارئ الكريم الذي قرأ نبذ الفصل المتقدم نبذةً نبذةً رأى فيها كلها ما ينطبق على ما تقرَّر في ذهنهِ بمطالعة المقتطف السنين الطوال وما يؤيدهُ كل عقل لم يقيدهُ الغرض ولاسيما النبذة المعنونة "باللغة والتوسُّع في الاستعمال" فان الكاتب اشار فيها الى ما تحيا بهِ اللغات وهو قبول الدخيل والتجافي عن الالفاظ المهجورة والابتعاد عن الاغراب . والنبذة المعنونة "بالدخيل" حيث قال ان القرآن الكريم نفسهُ استعمل الدخيل مع وجود المرادف لهُ وقد نسج على منوالهِ جميع كتَّاب العربيَّة وشعرائها بلا استثناء . والدخيل يزيد في ثروة اللغة وهذا شأن اللغات الحيَّة التي تقبل كل دخيل على انها ان لم تقبلهُ اختياراً فستقبلهُ اضطراراً جرياً على الناموس الطبيعي العام

هذا والكتَّاب الآن بين من تراهُ واقفاً لهم بالمرصاد يعنفهم على كل ما يعدهُ خارجاً عن قيود اللغة وبين الناموس الطبيعي الذي يوجب التغيير والتبديل والنمو والاندثار والزيادة والنقصان مع حفظ النوع جملة . وسيكون الفوز للاصلح على كل حال

تاريخ محمد علي باشا

تولّى محمد علي باشا والفوضى ضاربة اطنابها في البلاد والجهل مخيّم عليها وفيها من الامراء والعظماء والجنود الوف لاهمَّ لهم الاَّ اشباع بطونهم باية واسطة كانت يستحلّون كل محرَّم ولا يرعون لاحد حرمةً وان شذَّ منهم احد واهتدى الى طرق المكارم وحاول الارعواء عن المحارم سفَّه قومهُ رأيهُ واقصوهُ وامتهنوهُ . ولشدَّة ما عانى الناس من الجور والهوان الفوهما وصار همُّهم الاكبر ان يكيلوا للذين دونهم كما يكيل لهم الذين فوقهم لا يُستثني من ذلك احد ممَّن لهم ذكر حتى العلماء وحملة الشريعة الاَّ واحدًا او اثنين

ولم يكن محمد علي من طينة غير طينة ابناء نوعهِ ولكنهُ كان اعلى منهم همَّةً واوسع حيلةً مذهبهُ قول ابي تمام السيف اصدق انباء من الكتب وسياستهُ في البلاد سياسة الاميركيين في الارض التي يريدون احياءها يقطعون اشجارها ثم يقلبونها ويحرثونها قبل زرعها واستثمارها . خدمهُ السعد بموت خصومهِ او بنفوذ حيلهِ فيهم وبامتداد اجلهِ فليَّن الدهر طباعهُ وعلَّمهُ الاختبار كيف يصطنع الناس ويستفيد منهم ثم يصلح البلاد ويدخل اليها اسباب العمران ليكثر خيرها لهُ ولولدهِ

وليس من غرضنا ان نذكر حوادث ولايتهِ بالتفصيل لانها كانت كثيرة تضيق عن استيفائها المجلدات بل ان نشير الى بعض الامور الكلية التي يُستدلُّ منها على احوال ولايتهِ بنوع عام وعلى مجمل ما فعلهُ في هذه البلاد من حين تولاها الى ان تولاهُ الفناء

وبديهي انهُ لم يرسم لولايتهِ خطة معلومة جرى عليها بل سار منقادًا بمقتضى طبعهِ واحوال زمانهِ . ولا بدَّ من انهُ عرف سيرة نبوليون وكان يسمع عن افعالهِ وتدويخهِ ممالك اوربا فسوَّلت لهُ نفسهُ ان يقتدي بهِ . وكان غرضهُ في اول الامر ارضاء الدولة العلية ولإرضائها سبيلان لا بدَّ منهما الاول تعمير خزينتها ولو سلب في هذا السبيل كل ما يمتلكهُ اهالي مصر من نقود وحلي وامتعة ولو باع اطيانهم ومواشيهم وباعهم هم عبيدًا . وكانت لا تكتفي بل تطلب المزيد فاذا جاء من يدفع اليها ازيد من ذلك اعطتهُ الولاية . والثاني تأمين طريق الحج وارسال المرتبات الى الحرمين الشريفين حتى تبقى للدولة السيادة الدينية على رعاياها لانها هي الرابط الوحيد بينها وبينهم . فما دام الوالي يجمع الاموال الوافرة ويؤمن طريق الحج ويرسل النفقة الى الحرمين فهو قائم بكل ما يُطلب منهُ ولا يُسأَل كيف جمع المال ولا كيف امَّن الطريق . اما اقامة العدل ونشر لواء الأمن وتعضيد الزراعة وتأمين التجارة

والاعتناء بصحة الاهلين ونحو ذلك مما يهتمُّ بهِ ارباب الممالك الآن بل مما كان الفرنسويون يهتمون بهِ وهم في هذه الديار فلم يكن لها ذكر او اشارة حينئذٍ لا فعلاً ولا اسماً ولذلك اعجب الجبرتي بذكر محاكمة الرجل الذي قتل الجنرال كلابر فذكرها بالتفصيل ونوَّه بها واتخذها وسيلة للتوبيخ والتعزير كما تقدم

ورأى محمد علي ان بقاءهُ في الولاية لا يدوم ما لم يكن مورد اموال البلاد في يدهِ فاذا كان لهُ منازع او مزاحم فيهِ فلا هو يستطيع ان يجمع القدر الكافي ولا المزاحمون يمتنعون عن المزايدة واخذ الولاية منهُ . وكان المماليك اكبر مناظريهِ في ابتزاز الاموال فلا يتركون لهُ نصفها ولا اقل من نصفها وكاد واحد منهم وهو محمد بك الالفي يفوز عليهِ في مرضاة الدولة واخذ الولاية منهُ فانهُ لم يكد يمر عليهِ سنة فيها حتى عزلتهُ الدولة بسعي محمد بك هذا وارسلت اليها والياً اسمهُ موسى باشا وامرتهُ ان يقيم في القلعة فتكون الولاية لهُ بالاسم ويعود المماليك الى سالف عهدهم وتكون ولاية البلاد في يدهم فعلاً وذلك كلهُ لقاء الف وخمسمائة كيس تعهَّد الالفي بدفعها نقداً ثم اذا كانت الولاية في يدهِ ويد رفاقهِ توالت المزايدة بينهم عليها لا كما اذا كانت لوالٍ واحد . فرأى محمد علي انهُ لا يفوز على الالفي الاَّ بان يزيد عليهِ فيدفع الى الدولة اكثر مما وعدها الالفي بهِ وهذا لا يستطيعهُ ما لم يوافقهُ كبراء البلاد عليهِ فتودَّد اليهم وتلطَّف وزار المشهد الحسيني في عيدهِ وتغدَّى عند السيد السادات واكثر من الركوب والطواف في شوارع المدينة وحسَّن للعلماء حتى كتبوا عريضةً الى السلطان افرغوا فيها جعبة فصاحتهم وبيانهم وظنوا ان البلاغة تفعل فعل الدينار وهي بنصها نقلاً عن الجبرتي

"بسم الله الرحمن الرحيم الرؤُف الحليم الحمد لله ذي الجلال على جميع الشؤُون والاحوال نرفع اليك اكفًّا من بحر جودك مغترفة ونتوجه الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ان تديم بهجة الزمان ورونق عنوان اليمن والامان بدوام وزير تخضع لمهابتهِ الرقاب وتدنو لهمة سطوتهِ المهمات الصعاب منتهى آمال المقاصد والوسائل ومحط رحال المطالب من كل سائل حضرة صدر الصدور ومدبر مهمات الامور الصدر الاعظم محمد علي باشا ادام الله دعائم العز بقيامهِ وفسح للانام في ايامهِ محفوفاً بعناية الرب الكريم محفوظاً بآيات القرآن العظيم آمين . اما بعد رفع القصد والرجاء ومد سواعد الخضوع والالتجاء فاننا ننهي لمسامعكم العلية وشيم اخلاقكم المرضية بانهُ قد قدم حضرة الدستور المكرم والمشير المفخم مدبر مهمات الاسكلات البحيرية وخادم الدولة العلية الوزير قبودان باشا الى ثغر سكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد اغا وصحبتهُ الامر الشريف الواجب القبول والتشريف المعنون بالاسم الهمايوني العالي

دامت مسراتهُ على ممر الدهور والاعوام والليالي . فاوضح مكنونهُ وافصح مضمونهُ بانهُ قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد علي باشا وبين الامراء المصريين فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات وتنظيم امر الحج على حكم سوابق العادات والحال انهُ ينبغي تقديم ذلك على سائر المطلوبات وان هذا التأخير سببهُ كثرة العساكر والعلوفات وترتب على ذلك لكامل الرعية بالاقاليم المصرية الدمار والاضمحلال وانهت الامراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية وانهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات واخراج امير الحج على حكم اساوب المتقدمين مع الامتثال لكامل ما يرد من الاوامر الشريفة الى ولاة الامور بالديار المصرية وانهم يقومون في كل سنة بدفع الاموال الميرية الى خزينة الدولة العلية ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم وبلوغهم مأمولهم فاصدرتم لهم الامر الهمايوني الشريف المطاع المنيف بعزل الوزير المشار اليهِ لتقرير العداوة معهُ ووجهتم لهُ ولاية سلانيك ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى باشا وقبلتم توبتهم وان العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار ببلوغ المأمولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية حكم التماسهم من اعتاب حضرة الدولة العلية . فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط الكفيل قدرتهُ على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الافعال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التي منها خيانة المرحوم السيد علي باشا والي مصر سابقاً بعد واقعة مير ميران طاهر باشا وقتل الحجاج القادمين من البلاد الروسية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلومنا وبمشاهدتنا خصوصاً ما وقع في العام الماضي من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم عليها في وقت الفجرية فجلاهم عنها حضرة المشار اليهِ وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شيء لا ينكر فحينئذٍ لا يمكننا التكفل والتعهد لاننا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة في الامور التي لا قدرة لنا عليها لاننا لا نقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقتهِ وامناؤُه على بريتهِ ونحن ممتثلون لولاة اموركم في جميع ما هو موافق للشريعة المحمدية على حكم الامر من رب البرية في قولهِ سبحانهُ وتعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسولهُ

فان حصل منهم خلاف ذلك فكل الامر فيهم الى مالك الممالك لان اهل مصر قوم ضعاف وقال عليهِ الصلاة والسلام اهل مصر الجند الضعيف فما كادهم احد الاَّ كفاهم الله مؤنتهُ وقال ايضاً وكل راعٍ مسؤُول عن رعيتهِ يوم القيامة. ونفيد ايضاً حضرة المسامع العلية من خصوص الفرَض والسلف التي حصل منها الثقلة للاهالي من حضرة محسوبكم الوزير محمد علي باشا فانهُ اضطرَّ اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالاً لاوامر الدولة العلية في دفعهم والخروج من حقهم واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد رغبة في حلول انظار الدولة العلية. فالامر مفوَّض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم نسأَل الله الكريم المنان ان يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع رفعة تترشح بها في النفوس عظمتهُ وسطوة تسري بها في القلوب مهابتهُ وان يبقي دولتهُ على الانام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآلهِ وصحبهِ ذوي المناقب الوفية" انتهى

ولم يكتفِ محمد علي بذلك بل وعد كبراء العلماء بالتزام الاقاليم فيملأُوا جيوبهم من اموال اخوانهم المساكين وهذا هو الطلسم الذي كان يفتح بهِ الكنوز

وكان محمد بك الالفي قرماً عنيداً حسن النظر في العواقب لا تجوز عليهِ الحيل ولا يصطلي لهُ بنار ولو لم يعاجلهُ القدر لتغيَّر حال هذا القطر حتماً. قال الجبرتي ذهبت اليهِ (بعيد خروج الفرنسوية من مصر) فوجدتهُ جالساً على السجادة فجلست معهُ ساعةً فدخل عليهِ بعض امرائهِ يستأْذنهُ في زواج احدى زوجات مَن مات من اخوانهِ فنتر فيهِ وشتمهُ وطردهُ وقال لي " انظر الى عقول هؤُلاء المغفلين يظنون انهم استقروا بمصر ليتزوجوا ويتأَهلوا مع ان جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها اهون من الورطة التي نحن فيها الآن". ولما اطلق الوزير (يوسف باشا) لابرهيم بك الكبير التصرف والبسهُ خلعة وجعلهُ شيخ البلد كعادتهِ وان اوراق التصرفات في الاقطاعات والاطيان تكون بختمهِ وعلامتهِ اغترَّ هو وباقي الامراء بذلك وازدحم الديوان ببيت ابرهيم بك المرادي وعثمان بك حسن والبرديسي وتناقلوا الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبتهُ لهم واقامتهُ لناموسهم. فقال لهم محمد بك الالفي " لا تغتروا بذلك فانما هي حيَل ومكايد فانظروا في امركم وتفطنوا لما عساهُ يحصل فان سوء الظن من الحزم. فقالوا لهُ وما الذي يكون فقال ان هؤُلاء العثمانيين لهم السنون العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ احكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وامراء مصر ليس لهم معهم الاَّ مجرَّد الطاعة الظاهرة وخصوصاً دولتنا الاخيرة وما كنا نفعلهُ من منع الخزينة وعدم الامتثال. وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة فلا يهون عليهم ان يتركوها لنا كما كانت

ويرجعوا الى بلادهم فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم "

فلما سمعوا منهُ ذلك صادق عليهِ بعضهم وقال آخرون هذا من وساوسك وقال غيرهم هذا لا يكون بعد ما قاتلنا معهم ثلاث سنوات واشهرًا بانفسنا واموالنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غنى لهم عنَّا . ثم قالوا لهُ وما رأيك الذي تراه قال الراي عندي ان نعدّي الى بر الجيزة وننصب خيامنا هناك ونجعل الانكليز واسطةً بيننا وبين الوزير والقبطان ونتم الشروط التي نرتاح نحن وهم اليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقي ولا ندخل مصر حتى يخرج العثمانيون منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يقلدونهُ الولاية والدفتردارية ونحو ذلك . فوافق على هذا الراي بعضهم ولم يوافق البعض الاخر وقالوا له " كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم اعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بنا شرًّا قمنا باجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك يتوسط الانكليز بيننا وبينهم فتكون لنا المندوحة والعذر " . فقال " اما الاستنكاف من الالتجاء الى الانكليز فان القوم (اي العثمانيين) لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم ما قدروا على اخراج الفرنسوية من البلاد . وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي لما حضروا بدون الانكليز . على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب واما هذه فهي وساطة مصلحة لا غير . واما انتظار حصول المنابذة فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع والرأي لكم " . فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم

ولما رأى انهم لم يوافقوا على ما اشار بهِ انضمَّ الى رئيس الكتَّاب لقربهِ من الوزير واوهمهُ انهُ يستطيع ان يجمع اموالاً وافرة من الصعيد ان قلدهُ الوزير امارتهُ فانهُ يجمع تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وليس لهم ورثة ويجمع ايضًا الغلال والاموال الاميرية . فلما بلغ الوزير ذلك اسرع الى اجابتهِ لوجهين الاول الطمع في تحصيل المال والثاني تفريق شمل المماليك ونجح بعد ذلك في قتل كثيرين من رؤسائهم غيلةً . ثم ذهب الالفي الى بلاد الانكليز وعاد منها بالهدايا والتحف الكثيرة كما تقدم . قال الجبرتي ان مدة غيابهِ سنة وشهور وعاد وقد تهذبت اخلاقهُ بما اطّلع عليهِ من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجدٍ وصارت مسامرتهُ لاخوانهِ بعد ذلك في ذكر العدل الموجب لعمارة البلاد وكان يقول لسليمان بك في التمثيل ان الانسان الذي لهُ ماشية يقتات هو وعيالهُ من لبنها وسمنها وجبنها يلزمهُ ان يرفق بها في العلف حتى تدرَّ وتسمن وتنتج لهُ بخلاف ما اذا اجاعها واجحفها واتعبها واشقاها

واضعفها حتى اذا ذبحها لا يجد فيها لحماً ولا دهناً هذا الذي اعتدناهُ وربينا عليهِ فان اعطاني الله سيادة مصر والامارة في هذا القطر لامنعنَّ هذه الوقائع واجري فيهِ العدل ليكثر خيرهُ وتعمر بلادهُ ويستريح اهلهُ ويكون احسن بلاد الله

وصادرهُ محمد علي بعد عودتهِ من بلاد الانكليز واستعان عليهِ بالمماليك انفسهم كما تقدَّم في الجزء الماضي حتى كاد يفتك بهِ فراسل الباب العالي واستعان بالانكليز وكان الوزير حينئذٍ محمد باشا السلحدار واصلهُ مملوك من مماليك السلطان مصطفى فسأل كم عدد من بقي من المماليك في مصر فقيل لهُ انهم يزيدون على الفين فقال ارى تمليكهم على شروط نشترطها عليهم اولى من تمادي العداء بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر . فقرَّ الرأي على عزل محمد علي باشا من ولاية مصر وتولية موسى باشا على ان يدفع الالفي للخزينة الفاً وخمس مئة كيس معجلاً وجاء قبودان باشي الى الاسكندرية ومعهُ الوالي الجديد . وارسل محمد بك الالفي الى ابرهيم بك المرادي وعثمان بك البرديسي لكي يساعداهُ في دفع هذا المال ووعدهما بان تكون السيادة لهما

وبلغ محمد علي ذلك فراسل امراء المماليك وارسل اليهم الهدايا فوقعوا بين من يطلب منهم المال وبين من يدفعهُ اليهم فاختاروا العاجل على الآجل وخذلوا الالفي فظلَّ يمطل القبودان ويحارب رجال محمد علي منتظرًا وصول الانكليز لمساعدتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة بالهواء الاصفر فقال قضي الامر وخلصت مصر لمحمد علي لا مَن ينازعهُ ولا مَن يغالبهُ وقضي على المماليك فلا تقوم لهم راية بعد اليوم ثم اوصى ان يدفن في وادي البهنسا واسلم الروح ليلة الاربعاء تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٢٢١ (٢٨ يناير سنة ١٨٠٧)

وكان القبودان قد رأى الانشقاق بين المماليك وانهم لا يستطيعون ان يقدموا لهُ المال الذي طلبهُ فعاد الى محمد علي ووعدهُ محمد علي باضعاف ما وعدهُ بهِ الالفي معجلاً ومؤجلاً فارسل الى محمد علي يأمرهُ بارسال عريضة يكتبها لهُ كبراء مصر من المشايخ وغيرهم فكتب العريضة وارسلها مع ابنهِ ابرهيم بك وارسل معهُ هدية حافلة خيولاً واقمشة هندية ومفاد العريضة على ما في الجبرتي " ان محمد علي باشا كافل الاقليم وحافظ ثغورهِ ومؤمن سبلهِ وقامع المعتدين وان الخاصة والعامة راضون بولايتهِ واحكامهِ وعدلهِ والشريعة مقامة في ايامهِ ولا يرتضون سواهُ لما رأوا فيهِ من عدم الظلم ومن الرفق بالضعفاء واهل القرى والارياف ... ويرجون من مراحم الدولة العلية ان تبقيهُ والياً عليهم لان جميع اهل البلاد صاروا في غاية من الراحة والامن برًّا وبحرًا بحسن سياستهِ وعدلهِ وامتثالهِ للاحكام الشرعية ومحبتهِ للعلماء واهل الفضائل والاذعان لقولهم ونصحهم " الخ . قال الجبرتي ولما كتبوا ذلك لم يطَّلع عليهِ الاَّ

بعض الافراد المتصدرين ولم يمكّنوا غيرهم من قراءته بل كانوا يطلبون اختامهم فيختمونهُ بها واذا ابى احد ان يسلّم ختمهُ كتبوا اسمهُ وختموا تحتهُ بختم مشابه لاسمهِ . قال وهذا هو السبب في عدم نقلي صورتها تماماً

" ثم شرع في تقرير فريضة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الاروام والاقباط والشوام وسائر الناس ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف كيس لكي يهديها الى القبودان وقال انها سلفة لمدة ستة ايام ثم ترد الى اربابها فاتاهُ مرسوم من القبودان ببقائهِ والياً على مصر لان الخاصة والعامة راضية باحكامهِ وعدلهِ بشهادة العلماء واشراف الناس ولكن لا يكون لهُ تعلق بثغر رشيد ولا دمياط والاسكندرية فان ايرادها من الجمارك يضبط للترسخانة السلطانية في اسلامبول . ويجب عليهِ ان يرضي الامراء المصريين (المماليك) ويمتنع عن محاربتهم ويعطيهم جهات يتعيشون بها ". وسيتلى عليك كيف ارضى المماليك وكيف ساس البلاد

وفي اوائل سنة ١٨٠٧ وصلت بعض السفن الحربية الانكليزية الى الاسكندرية لكي تمنع رجوع الفرنسويين اليها وتعين المماليك على استرجاع الولاية ولكنها وصلت بعد موت الالفي باربعين يوماً ولم يكن فيها سوى خمسة آلاف جندي بقيادة الجنرال فريزر فدخلوا الاسكندرية ونظموا امورها احسن تنظيم على ما قال الجبرتي وذهبت فرقة منهم الى رشيد بقيادة الجنرال وكوب فدخلت المدينة وهي تظنها مستسلمة لها وانتشرت في شوارعها الضيقة فصوّب عليها الاهالي رصاص البنادق من كوى بيوتهم وسطوحها وقتلوا منها ١٦٥ نفساً واخذوا ٢٦٢ اسيراً ارسلوهم الى القاهرة وكان الجنرال وكوب بين القتلى فاضطرّ الذين بقوا من الحملة ان يفتدوا الاسرى بالخروج من الاسكندرية . وابدى محمد علي باشا في هذه النوبة من الحزم وحسن النظر في العواقب ما اشتهر بهِ بعدئذٍ . ثم لما عقد الصلح بينهُ وبينهم قدَّم لهم الهدايا من الخيول والاقمشة الهندية وخلع عليهم خلعاً وشيلاناً كشميرية وركب معهم الى الاسكندرية واستلم المدينة منهم ولم تكن من خطتهِ كما تقدم فصارت منها

وحاول الانكليز وهم في الاسكندرية ان يستعينوا بالمماليك فلم يفلحوا وقال واحد من امراء المماليك وكان اكثرهم جنداً اني مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت الفرنسوية فلا اختم عملي بالالتجاء الى الكفّار . وبذل محمد علي جهدهُ حينئذٍ في استرضاء المماليك قال الجبرتي انهُ ارسل اليهم المشايخ فقالوا لهم ان الانكليز تخاصموا مع سلطان المسلمين واغاروا على ممالكهِ وطرقوا ثغر الاسكندرية وقصدهم اخذ الاقليم المصري واذا تملكوا البلاد لا يبقون على احد من المسلمين

وحالهم ليس كحال الفرنسوية لان الفرنسوية لا يدينون بدين واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الاديان ولا يصح منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم. وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية. فاجابهم المماليك ان ما قلتموهُ وابديتموهُ نعلمهُ ولو تحققنا الامن والصدق من مرسلكم لحاربنا وقاتلنا بين يديهِ ولكنهُ لا يفي بعهد ولا بوعد وطالما غدر بنا وما مرادهُ بمصالحتنا الآن الا تأخيرنا عن الذهاب الى الانكليز. و بعد جدال طويل ذكرهُ الجبرتي مفصلاً قال ان المماليك انخدعوا وعقدوا الصلح مع محمد علي. وكان مشايخ مصر وعلماؤُها ينعتون الانكليز بالكفار ويحضون الاهالي على محاربتهم وهم يرون بعيونهم ما تفعلهُ جنود واليهم بين ظهرانيهم قال الجبرتي انهُ لم يكد الانكليز يخرجون من رشيد حتى نزل الاتراك على الجماد وما جاورها واستباحوا اهلها ونساءها واموالها ومواشيها زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها... ثم احاطت العساكر ورؤَساؤُهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منهم الاموال والكلف الشاقة واخذوا ما وجدوا بها من الارزاق وقال. بُعَيد ذلك "انهم افحشوا في التعدي على الناس في الاسكندرية بعد خروج الانكليز منها وغصب البيوت من اصحابها واخذ امتعتها بدعوى انهم انفقوا ما كان معهم في الجهاد ودفع الكفار"

اما المماليك فالظاهر مما كتبهُ الجبرتي مع تشيعهِ لهم ومما كتبهُ غيرهُ من كتاب العصر ان ارضاءهم لم يكن ميسورًا وتأمن البلاد شرهم. ولكن ألم يكن في الامكان ارهابهم واخضاعهم ونفي بعضهم واستخدام البعض الآخر في بعض المصالح التي كانوا قادرين على القيام بها. هذه مسألة يعسر بت الحكم فيها الآن لان وجهيها وجيهان وكيفما كانت الحال لم يكن اغتيالهم على الاسلوب الذي اغتيلوا بهِ من الضروريات لاسيما وان سوء الادارة بقي متسلطاً على البلاد سنين كثيرة بعد اغتيالهم كما لو كانوا فيها. ولم تسكن القلاقل الا رويداً رويداً بعد ان ذهبت بالوف من النفوس كان وباء دخل البلاد وعاث فيها ثم انقرض منها بعد ان فتك بكل المعرضين لهُ من اهاليها ولم يسرع زوالهُ بإحراق بعض القرى والكفور

نكبة المماليك

اما نكبتهم فكانت على هذه الصورة. لما كان شهر صفر من شهور سنة ١٢٢٦ قلَّد محمد علي باشا ابنهُ طوسون باشا قيادة الركب الموجَّه الى الحجاز لقتال الوهابية وقال انهُ عازم على ارسال جنود الى الشام بقيادة شاهين بك الالفي لمساعدة يوسف باشا والي دمشق على استرداد الولاية من الجزار وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتاً صالحاً لالباس ابنهِ خلعة السفر

فاختاروا لهُ الساعة الرابعة من يوم الجمعة (٦ صفر) فلما كان يوم الخميس ارسل المنادي ينادي في الاسواق ويدعو كبار العسكر والامراء المصرية الالفية وغيرهم ليحضروا الى القلعة ويركبوا امام الموكب وهم بافخر حللهم فلما اصبح يوم الجمعة ركب الجميع وصعدوا الى القلعة وصعد المماليك كلهم باتباعهم وجنودهم ودخل امراؤهم على محمد علي باشا وحيوهُ وجلسوا معهُ حصةً وشربوا القهوة فباسطهم في الكلام ثم سار الموكب على الوضع الذي رتبوهُ وكان الباشا قد اسرَّ الى بعض خواصهِ ما يريدهُ من الغدر بهم وقتلهم كلهم حتى اذا صار المماليك في المضيق المنحدر بين الباب الاعلى والباب الاسفل (باب العزب) أُغلق باب العزب في وجههم وكانت الجنود قد وقفت على جانبي الطريق على نقر الحجر والحيطان فصوبت عليهم رصاص البنادق فدهشوا واستلوا سيوفهم ولكن لم يمكنهم التقدم ولا التأخر ولا نفعتهم خيولهم وفراستهم فتيلاً فسلموا للقضاء وبقي الرصاص ينصبُّ عليهم الى ان قتل كثيرون منهم وتمكَّن الباقون من الرجوع والوصول الى الساحة الوسطى فادركهم الحمام هناك فقتلوا كلهم وكل من تزيا بزيهم ولو لم يكن منهم. وفتشوا عمن تخلف منهم في القلعة ولم يخرج مع الموكب فاحتزوا رأسهُ وظلَّ القتل مستحرًّا فيهم من الضحى الى ان مضت حصةٌ من الليل ومثَّلوا بكبارهم تمثيلاً شنيعاً. وانتشر الجنود في المدينة كالجراد يفتشون عنهم ويقتلونهم وينهبون البيوت ويهتكون الحرائر ويسلبون ما على النساء من الحلى حتى انهم ليقطعون زند المرأة اذا عسر عليهم نزع السوار منهُ. واصبح يوم السبت والنهب والقبض والقتل مستمرة وركب الباشا في الضحى وحولهُ امراؤهُ الكبار مشاة وامامهُ الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواهُ والفرح والسرور بقتل المماليك طافح على وجوههم فكان كلما مرَّ على ارباب الدرك ووقف ويخهم على النهب. وخرج اليهِ شخص من تجار المغاربة وصرخ في وجههِ وهو يقول " ايش هذا الحال وايش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن اناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا اجناد ". فوقف اليهِ وارسل معهُ نفرًا الى دارهِ فوجدوا فيها شخصين احدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من الناهبين فامر بقتلهما فاخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رأسيهما. ونزل ابنهُ طوسون واجتاز في المدينة وقتل واحدًا من الناهبين فانكفَّ العسكر عن النهب ولكن استمرَّ القبض على المماليك وكل من تزيا بزيهم فقتلوا كلَّ من وجدوهُ منهم ولو شيخًا هرماً وارسلوا الى كشاف النواحي والاقاليم ليقتلوا كل من وجدوهُ فيها فجعلت رؤوس القتلى ترد الى القاهرة من اليوم التالي وكانت توضع عند باب زويلة وباب القلعة. وقدَّر الجبرتي عدد من قتل من المماليك واجنادهم باكثر من الف نفس ولم ينجُ من الالفية الاَّ احمد

بك زوج عديلة هانم بنت ابرهيم بك الكبير فانهُ كان غائباً في ناحية بوش وامين بك فانهُ تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام . وبقي من المماليك نفر عاودهم التنكيل وذهبت بقيتهم الاخيرة الى بلاد السودان فاستوطنتها وعاد البعض منها الى مصر في حالة يرثى لها من الفقر والذل . وانقرضت دولة عظيمة ابقت في القاهرة من آثار مجدها مالم تبقهِ دولة اخرى

قال الدكتور مندريشي وكان طبيباً لمحمد علي انهُ دخل عليهِ حينئذٍ وهو في القلعة بعيد المذبحة وهنأهُ بفوزهِ على المماليك فلم يجبهُ بل التفت يمنةً ويسرةً لئلا يقوم احد من تلك الجثث المطروحة امامهُ وينتقم منهُ ثم طلب كأس ماء يبرد بهِ ظمأهُ لانهُ كان في اشد الاضطراب والقلق لئلا يفسد عليهِ عملهُ فتكون فيهِ آخرتهُ

ولما انقضى امر المماليك وجه محمد علي عنايتهُ الى اصلاح القطر المصري وقمع ثورة الحجاز وفتح بلاد السودان والاقتصاص من عبد الله باشا والي عكاء . وسنبسط الكلام على ما يتعلق بموضوعنا من ذلك في الجزء التالي

الة الطيران

جاء في السينتفك اميركان ان الدكتور مونتغومري من اساتذة كلية "سانتا كلارا" شرع منذ نحو عشرين سنة في الدرس والتنقيب حتى اكتشف اموراً جديدة عن الانتقال في الهواء تختلف عما هو معروف عند العلماء فصنع بمساعدة استاذ الطبيعيات في الكلية المذكورة آلة تربط بالبلون اذا ركبها الانسان وطار البلون بهِ ثم فصلت عنهُ هبطت براكبها الى الارض رويداً رويداً واستطاع ان يديرها كيف شاء وينزل بها حيث شاء على مقربة من المكان الذي هي فوقهُ

وفي اواخر ابريل الماضي اراد تجربتها للمرة الخامسة في مشهد عمومي وكان قد جربها اربع مرات قبلاً ولم يسمح بمشاهدتها الا لنفر قليل . وكان النسيم عليلاً والشمس مشرقة فملئ البلون غازاً وركب الرجل الذي نيطت بهِ تجربة الآلة مثل السرج منها ورجلاهُ متدليتان كما تتدلى رجلا راكب الدابة ثم اطلق البلون فسار يشق العنان صعداً وما زال يرتفع حتى غاب عن الابصار وبات الناس لا يرون منهُ غير نقطة سوداء في قبة السماء . ولما صار على علو اربعة آلاف قدم قطع الراكب الحبل الذي يصل البلون بالآلة فهبطت الآلة فجأة نحو مئة قدم ثم استعادت موازنتها واخذت تهبط رويداً رويداً وكانت حركتها اشبه بحركة ورقة ترمى الى اسفل والهواء ساكن هادئ

اما الراكب فليبيّن ان الآلة طوع بنانهِ يديرها كيف شاء جعل يدور بها في شكل دائرة ثم يرتفع وينخفض و يتقدم ويتأخر ويأتي حركات اخرى اقنعت جمهور المشاهدين انهُ يستطيع ادارة الآلة كما تدار السفينة بالدفة او اسهل . وما زال كذلك حتى نزل في مكان يبعد ثلاثة ارباع الميل عن مكان الصعود وهو المكان الذي عينهُ الاستاذ مونتغومري لينزل فيهِ وكانت المدة التي مرت بين صعودهِ ونزولهِ عشرين دقيقة ووصل الى الارض سليماً صحيحاً لم يمسهُ اقل اذى

اما الآلة فمؤلفة من نسيج رقيق منشور على قدد دقيقة من خشب مرن على هيئة جناحين طولها ٢٤ قدماً ومساحتهما ١٨٥ قدماً مربعة. ويتصل بهما من خلف شبه دفة يرتفع الراكب بها او ينخفض وثقل الآلة كلها ٤٢ رطلاً مصريًّا والراكب ١٥٦ رطلاً

وقد دلت هذه التجربة على ان قضية الطيران خطت خطوة جديدة في سبيل الحل اي انهُ امكن اختراع آلة تعوم في الهواء وتهبط الى الارض رويداً ويديرها الراكب على هواهُ وهي تهبط بهِ . ولكن لا يزال هناك عقبتان كؤودتان لا بدَّ من تمهيدهما قبلما يصير الطيران ممكناً الاولى الاستمرار على الطيران مدة طويلة والثانية ارتفاع الآلة عن الارض من نفسها بلا مساعدة البلون . اما العقبة الثانية وهي صعود الآلة في الهواء من غير بالون فيدعي رجل برازيلي اسمهُ الفارس انهُ يكاد يذللها فانهُ صنع طيارة لها جناحان كجناحي الطائر وهي خفيفة جدًّا ومتينة جدًّا حتى يضع فيها اقوى ما يكون من القوة ويبقى ثقلها على اخفهِ ومساحة جناحيها لا تزيد على ٤٠٠ قدم مربعة وفيها آلة بخارية تدير مروحتين قطر كلٍّ منهما خمس اقدام ٢٤٠ دورة في الدقيقة وقوة الآلة البخارية مثل قوة حصانين وهي تدور ١٦٠٠ دورة في الدقيقة وقوة حركتها كافية لحمل ١٥٠ رطلاً مصريًّا لا غير. وقد جربت بالامس فوضعت فيها اجسام ثقلها ١٥٠ رطلاً وربطت ببالون عادي وطار البالون بها الى ان صار ٣٠٠٠ قدم فوق سطح الارض حينئذٍ اديرت آلة الطيارة وقطع اتصالها بالبالون وبقي الذين في البالون يرقبون حركاتها وهي نازلة وكذلك الجمع المجتمع تحتها على الارض فهبطت اولاً بغتةً في خط عمودي ثم سارت في خط افقي مائل مسافة ميل الى ان وصلت الى الارض. وفي عزم مستنبطها ان يصنع طيارة اكبر منها كثيرًا ويضع فيها آلة قوية تكفي لرفعها عن الارض وهي حاملة رجلاً او اثنين. فاذا تمكن من ذلك انحلت مسألة الطيران من حيث الصعود والنزول وتبقى مسألة البقاء في الهواء مدة طويلة ومسألة مقاومة العواصف والمسألتان بعيدتا الحل جدًّا او تكشف قوة اخرى غير معروفة

فلسفة التعب

يظن الناس عموماً ان قلّة الطعام وكثرة العمل هما اعظم الاسباب المؤدية الى التعب على حين انهم يشاهدون باعينهم كثيرين من الذين يتولاهم التعب حالاً وينهك قواهم وهم يأكلون ويشربون كثيرًا ويعملون قليلاً سواءٌ كان عملهم عقليًّا او بدنيًّا . اذًا لا بدَّ للتعب من اسباب أُخرى

اذا أُطلق المجرى الكهربائي على ساق ضفدع ففعلت الكهربائية بها فعل الحركة الاختيارية تحركت الساق ذهابًا وايابًا مدة ثم اخذت حركتها تقلُّ حتى تنقطع اخيرًا . وقد يظنُّ ان قوة الساق نفدت بسبب قلة الغذاء ولكن اغسل عضلاتها بمذوّب خفيف من الملح العادي فتتجدد قواها وتعود الى الحركة كالاوَّل . وهذا يدلُّ على ان سبب فقد الحركة ليس قلة الغذاء ويعلم بوسائل اخرى ان سببهُ تجمّع مادة سامةّ شديد الحموضة في العضلات . وعليهِ فالتعب انما هو تجمّع بعض السموم في الجسم

واذا حقنت ساق الضفدع بخلاصة لحم البقر او بدم حيوان متعب ظهرت عليها آثار التعب كما لو كانت قد تحركت مرارًا كثيرًا فكلَّت من العمل الشاق . وعليهِ فلا يستبعد ان ينشأَ التعب احيانًا عن تناول مواد شديدة الحموضة جامدة كانت او سائلة

كتب احد الاطباء في هذا المعنى يقول " أُصبت بالاعتقال لسبب اجهلهُ ثم شفيت منهُ ومضت ثماني سنوات لم يعاودني في خلالها سوى مرتين او ثلاث وكان ذلك عند اكلي شيئًا من خلاصة اللحم فاستدللت على ان خلاصة اللحم سمٌّ لي ولكنها قد لا تكون سمًّا لغيري . وهناك اسباب اخرى منها تناولي من الطعام اكثر مما يستطيع جسمي تمثيلهُ او افرازهُ بسهولة ولكن هذا السبب كان ثانويًّا في امري . وقد وجدت ان الافراط في الاكل اقلُّ ضررًا من اكل مواد لا يصلح اكلها ولو كانت كمياتها قليلة

ومنها خلوّ العمل الذي نعملهُ من اللذة . فقد كنت معلماً في احدى المدارس وكان معظم عملي جاريًا على خطّة واحدة لا مجال فيهِ للابتكار فكان يتعبني لخلوّهِ من لذة التنوُّع والتفنن ويدهشني والحق يقال ما اراهُ من ان اعمال معظم الناس واحدة كلَّ يوم فما يعملهُ الواحد منهم اليوم يعملهُ غدًا وهكذا الى آخر العمر فلا بدع اذا لم يجدوا فيها لذة بل وجدوها متعبة منهكة

وزد على ذلك كلهِ انني كنت أُسرف في قوتي البدنية عند مباشرتي لعملي المشار اليهِ بفرك يديَّ الواحدة بالاخرى وتقطيب جبيني وكثرة الاهتمام والحركة بلا بركة . وقد

وجدت الآن ان التفكّر اسهل عليَّ وانا مستلقٍ لا اكاد احرك عضلاتي ولعلَّ السبب في ذلك ان هذه الحالة ادعى الى جمع القوى وعدم تشتيتها

ومن اسباب التعب ما هو ضدُّ السبب المتقدم فان التنوع في العمل قد يتعب اذا تكرَّر مثل عدمهِ ثم ان العادة والتكرار المنتظم قد يجعلان العمل الذي لا تنوُّع فيهِ غير متعب للذهن كحركة السابح وحركة الجندي السائر على نغمات الموسيقى

وللعادة تأثير عظيم في اعمال الناس واشغالهم وما يلحق بها من التعب فهي اما ان تجعل الانسان يتعب كثيرًا من عملهِ لاسيما اذا كان ميَّالاً الى التفنن والتغيير واما ان تجعل العمل الصعب في وقت سهلاً في وقت آخر . فقد كنت اتناول مع طعام الصباح كثيرًا من المواد الجامدة فاجد من نفسي نشاطًا ورغبة في الشغل بعد الطعام . ثم غيرت عادتي فاقتصرت على تناول بعض المواد السائلة فصرت اتعب حالاً من العمل البدني او العقليّ . ولو سئل احد في ذلك لقال طبعًا ان السبب قلة الطعام وليس الامر كذلك لانني لا اشعر الآن بتعب من العمل بعد الطعام السائل او ما اشعر بهِ من التعب اقلُّ مما كنت اشعر بهِ بعد تناولي الطعام الجامد صباحًا

ولقد كثرت اعمال الناس واشغالهم في هذه الايام فزادت على اثرها اتعابهم فيحسن بنا ان نبحث في اسباب التعب الحقيقية اذا كنا نروم النجاة منها ومن غوائلها . ولست اريد بالتعب التعب المرغوب فيهِ الذي يعقبهُ النوم الهنيء في اوانهِ بل التعب الذي يدركنا قبل الاوان ولم يكمل عملنا بعد ولا يكفي في بيان سبب هذا التعب ان نقول ان فلانًا عمل كثيرًا او اكل قليلاً فتعب بل يجب ان نبحث ايضًا في ما اذا كان عملهُ ملائمًا لهُ او كان قد اتمَّهُ على الطريقة الملائمة وفي ما اذا كان الطعام الذي اكلهُ صالحًا وقد اكلهُ على الطريقة الواجبة

اما انا فقد وجدت بالاختبار اني اكون اقل تعبًا بعد شغل شاق لذيذ دام اثنتي عشرة ساعة مني بعد شغل ساعة لم يكن الشغل فيها لذيذًا وبعد طعام غير ملائم . واني اعرف رجلين ينشئان مجلة فيعكفان على كتابتها وتحريرها ولا يهتمان بطعام ولا رياضة لما يجدان في ذلك الشغل من اللذة العقلية ومع ذلك ترى آثار العافية والنشاط بادية عليهما . واعرف آخرين يجدون لذة في العمل ولا يتعبون منهُ مهما كان شاقًا على شرط ان يراعوا الاعتدال في طعامهم ورياضتهم

ومغزى ما تقدم اما ان يعنى الانسان بانتقاء عملهِ وشغلهِ او بانتقاء طعامهِ وطريقة معيشتهِ . فان الذين يستطيعون عمل كل شيء و يعيشون اية عيشة كانت من غير ان يشعروا

بتعب يذكر قلال جدًّا . ولا يمكن تعريف العمل الممل وسن قانون لهُ ولا سن قوانين وقواعد شاملة للطعام الملائم وغير الملائم . فما يعدهُ الواحد من الاعمال لهوًا وتسلية يؤثر في الآخر تأثير السم الناقع . وما يلائم من الطعام مزاج زيد قد لا يلائم مزاج عمرو



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

القمر لم ينفصل عن الارض

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

وصلنا مقتطف هذا الشهر وفيهِ بين الاخبار ان الاستاذ بيكرنج الفلكي الاميركي قال ان القمر انفصل عن الارض حيث الاوقيانوس الباسيفيكي الخ . فرأيت ان الطبيعة لا تصادق على هذا القول وشككت في صدق الذي اخذتم عنهُ الخبر بنسبة ذلك الى استاذ فلكي وها انا متطفل باعتراضي رغبةً في اشهار الحقيقة وقد اكون مخطئًا فاتوقع اصلاح خطائي

من الاسباب التي تنفي كون القمر منفصلاً عن الارض بعد انجماعها وصيرورتها كتلة سائلة

١ . اختلاف القمر والارض في الثقل النوعي فان ثقل القمر النوعي ثلثا ثقل الارض النوعي فلو كان انفصل عنها كان اقتضى ان يكون ثقلهما النوعي واحدًا لان كليهما من كتلة واحدة متماثلة

٢ . عوامل المد والجزر اثنان الشمس والقمر لكن القمر اشد فعلاً بسبب قربهِ فان كان العامل الاضعف وحدهُ وهو الشمس قدران يفصل جزءًا من الارض فبالاحرى بعد انفصال القمر واتحاد فعلهِ بفعل الشمس كان يقتضي ان المد يمزق الارض شذر مذر

٣ . لو كان المد مع قوة التباعد عن المركز كافيًا لفصل قمر عن الارض فلماذا لم ينفصل في ذات الوقت قمر ثانٍ من الجانب المقابل لمفصل الاول ويكون حول الارض قمران متقابلان

لان المد يكون ابداً على جانبين متقابلين من الارض بدرجة واحدة من القوة

٤ . ان قلنا ان القمر انفصل عن الارض بقوة التباعد عن المركز مع قوة المد فبالضرورة يجب ان نحكم بان الانفصال حدث علي خط الاستواء حيث قوة التباعد على اشدها ولكن هذا ينفيهِ ميل فلك القمر علي دائرة خط الاستواء

٥ . لا ينفصل جزء من الارض الاَّ اذا زادت قوة التباعد عن المركز على قوة الثقل ولا يتوازن الثقل وقوة التباعد عن المركز عند خط الاستواء الاَّ اذا كانت سرعة دوران الارض على محورها ١٧ ضعف سرعتها الحالية وذلك يزيد عن ١٧ الف ميل في الساعة فلو انفصل القمر عنها وهي تدور بهذه السرعة كان يجب ان يدور الآن بهذه السرعة حولها لانهُ جزء من مادة محيطها الاستوائي ثم ان الارض تدور الآن بسرعة نحو الف وثلاثين ميلاً في الساعة عند خطها الاستوائي فاين ذهبت تلك السرعة

٦ . المد يدور على سطح الارض من الشرق الى الغرب والقمر بالعكس يدور من الغرب الى الشرق فلو كان انفصل من موقع المد فحالاً يصل الى موقع الجزر قبل ابتعادهِ عن الارض فينجزر ويعود اليها قهراً

٧ . لو كانت قوة التباعد عن المركز مع المد كافية لتجزئة الارض بعد اجتماعها كانت بالاحرى منعت اجتماعها وهي شتات

الدكتور
ابرهيم الصليبي
السلط

[المقتطف] اننا لا نثبت خبراً مثل هذا الاَّ ونحن نعلم صحة نسبتهِ وهذه ليست اول مرة كتبنا فيها عن انفصال القمر عن الارض ولا الاستاذ بكرنج اول من قال ذلك ولكنهُ خالف الاستاذ جورج دارون في المكان الذي ظن ان القمر انفصل منهُ . واكثر ما قيل عن القمر هنا مشروح في مقالة الاستاذ جورج دارون ابن دارون الشهير وقد نشرت خلاصتها في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف وها كم ايضاح وجوه الصواب في ما اعترضتم عليهِ والخطإِ في ما حسبتموهُ منافياً لانفصال القمر عن الارض

الاول ان ثقل القمر النوعي نحو ثلاثة بالنسبة الى الماء او نحو ستة اعشار ثقل الارض النوعي ولكن ثقل ظاهر الارض اقل من نصف متوسط ثقل الارض كلها فثقل باطن الارض النوعي اكثر من ضعفي ثقل ظاهرها النوعي ويدل ذلك على ان باطن الارض اكثرهُ معادن ثقيلة او مواد مضغوطة جدًّا لشدة الضغط عليها وهذا يؤيد انفصال القمر عن الارض ولا ينقضهُ لان ثقل القمر النوعي مثل ثقل الجانب الاكبر من سطح الارض الى عمق الف ميل او الفي ميل

الثاني ان الذي فصل القمر عن الارض ليس قوة المد وحدها بل ساعدتها قوة التباعد عن المركز ولا يبعد ان هاتين القوتين بقيتا تفعلان الوفاً من السنين حتى تمكنتا من فصل القمر عن الارض . ويظهر بالحساب ان هذا الانفصال يمكن ان يتم حالما تصير الارض تُتمّ دورتها اليومية في اقل من ساعتين وعشرين دقيقة ولو بلحظة واحدة . ولم تعودا تتمكنان بعد ذلك من فصل قمر آخر ولو اضيفت اليها قوة القمر لان ميوعة الارض قلت بعد ذلك باشعاع الحرارة منها بمرور الزمن وقلّ محيطها بتقلصها فضعف فعل التباعد عن المركز وربما قلت سرعتها ايضاً . والقمر يساعد الشمس مرةً ويقاومها مرةً كما لا يخفى فيتلف اليوم ما فعلهُ امس اي لو اجتمعت قوتهُ وقوة الشمس اليوم فرفعتا جانباً من قارة اسيا ففي الغد يخالف فعلهُ فعلها فترفع هي جانباً من قارة اسيا ويرفع هو جانباً من قارة افريقية فيضعف كلٌّ منهما فعل الآخر

الثالث ان المد يحدث الآن في الجهة الاخرى من الارض كما يحدث في الجهة المقابلة للقمر لانهُ في الماء فان الارض الجامدة التي تحت الماء الأبعد تنجذب الى جهة القمر اكثر مما ينجذب الماء الذي عليها فكأنها تسبق الماء ساقطةً الى نحو القمر فيرتفع الماء في ذلك الجانب ايضاً (راجعوا كتاب الفلك للدكتور فان ديك صفحة ١٥٦) ولم يكن الحال كذلك حينما انفصل القمر عن الارض بل كانت الارض مائعة كلها

الرابع ان ميل فلك القمر على خط الاستواء قليل جدًّا نحو خمس درجات وهذا يمكن تعليلهُ بانحراف فلك الارض وبالفواعل الكثيرة التي تفعل بالارض من الخارج كجذب السيارات لها

الخامس ان السرعة اللازمة الآن لم تكن لازمة حينئذٍ بل كان يكفي ان تبلغ السرعة نحو عشرة اضعاف ما هي الآن وقد كان يوم القمر مثل يوم الارض وسيعود يومهُ مثل يوم الارض اخيرًا

السادس ان الجسم الذي يفصل عن الارض بقوة التباعد عن المركز وبقوة الجذب الخارجي لا يبقى مماسًّا للارض بل يبعد عنها اولاً في خط بين الماس والعمودي فلا يصل الى مكان الجزر

السابع ان قوتي الجذب والتباعد عن المركز تكفيان لذلك متى بلغت الارض حدًّا معلوماً من الميوعة والتقلص والسرعة في دورانها على محورها ولا يبعد ان تكون قد انفصلت منها اجزاء اخرى قبل القمر فابعدت عنها جدًّا وجذبتها اجرام اخرى او تمزقت وعادت الى مادة الكون او يكون القمر انفصل عن الارض اجزاء كثيرة انضمت معاً فصار منها القمر

ولا يخفى عليكم ان الذين قالوا بانفصال القمر عن الارض واخبروا عن ماضيهِ وانبأوا بمستقبلهِ مثل الاستاذ جورج دارون والاستاذ بكرنج من اكبر علماء الفلك الرياضي ويستحيل ان يقولوا قولاً الاَّ بعد ان ينفوا كل الاعتراضات التي تعترض دون صحتهِ . ونسبة معارفهم في علم الفلك الرياضي الى معارفنا كنسبة غنى روشيلد الى غنى رجل لا يملك مئة دينار. وليس في العلوم كلها ما يقتضي بحثاً ودقةً وحسابات عويصة مثل علم الفلك حتى ان نتيجةً تذكر في نصف سطر وتكتب بعشرة ارقام قد يشتغل في الوصول اليها عشرة حسَّاب مدة شهر من الزمان فليس من العدل ان يجلس الانسان في كرسيهِ ويعترض على ابحاث ونتائج اذاب العلماء ادمغتهم في الوصول اليها . ثم ان اكثر ما يقال عن القمر لم يثبت كلهُ بالبرهان الرياضي حتى الآن ولا ادَّعى العلماء انهُ مثبت ثبوتاً ينفي كل ريب ولكن لا يقوم اعتراض عليهم الاَّ ممن يعرف كل ما يعرفونهُ

طلب الدليل

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

قال حضرة رفيق بك العظم في مقدمة كتابهِ "اشهر مشاهير الاسلام" بعد ما قال ما قال عن هينبال ومع هذا فاين هو من موسى بن نصير ومولاهُ طارق اللذين جاءا من اقصى العربية الى المغرب فدوَّخا ممالك هينبال القديمة في افريقيا الشمالية الى اخر ما هنالك .... بل اين هو من عبد الرحمن بن عبد الله النافقي الذي اقتحم ما وراء البرين .... ثم تطرق الى نبوليون فقال اين نبوليون الذي طبقت شهرتهُ التاريخية الآفاق .... من قتيبة بن مسلم فاتح السند وتركستان . وعبد الملك بن مروان الذي تولَّى منصب الخلافة

وقد تتبعت هذا الكلام الى آخرهِ فلم اجد فيهِ حجة تقنعني على صدقهِ ولا ازال في ريب من هذا القبيل فالتمس منكما ان تقابلا بين هؤلاء الرجال وتظهرا من ادلة التاريخ التي بين ايدينا من هو اعظم حقيقة ولكما الفضل والشكر سلفاً

بيروت خليل يعقوب الخوري

[المقتطف] لا اصعب من المقابلة بين الناس والموازنة بينهم لاسيما وانهُ يلزم من يقابل بينهم ان يصف الاحوال التي نشأوا فيها وصفاً دقيقاً خالياً من الغرض ويردها الى شكل واحد . وان كان حضرة المؤلف يجد الى اجابتكم سبيلاً فقد نشرنا سؤالكم ليطلع عليهِ والاَّ فلا شبهة في ان ما فعلهُ قوَّاد العرب من اعجب ما فعلهُ اعاظم القواد في كل زمان



موسم القطن هذا العام

اوضحنا في ما كتبناهُ عن نجاح القطر المصري ان نجاحهُ لا يستمرُّ اذا هبط ثمن القطن حتى عاد ثمن القنطار جنيهين او جنيهين ونصف جنيه لان ليس في القطر الآن مورد آخر لكسب المال من الخارج بدل ما يدفعهُ ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ وديون حكومتهِ الاَّ ثمن القطن فاذا نقص عن ثمن البضائع الواردة وفوائد الديون وقع القطر في الافلاس

وتدلُّ الدلائل الحاضرة على ان الموسم الواصل سينقذ القطر من الخسارة التي وقع فيها بسبب عجز الموسم الماضي وهبوط ثمنهِ . فان زمام الزراعة واسع ونمو القطن جيد حتى اذا سلم من الآفات الجوية فلا يبعد ان يبلغ ثمانية ملايين قنطار واذا اعترتهُ الآفات العادية بلغ سبعة ملايين او سبعة ونصفاً

ثم ان السعر آخذ في الارتفاع فقد بلغ سعر نوفمبر في الكنترنات عند كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً واذا بقي على هذا الحد ولم يزد عنهُ بيع القنطار بثلثمئة وستين غرشاً الى ٣٨٠ غرشاً

اما الموسم الاميركاني (وعليهِ يتوقف سعر القطن بنوع عام) فحالتهُ تدعو الى ارتفاع السعر من وجهين الاول ان مساحة الارض المزروعة هذا العام تبلغ نحو ٢٨ مليون فدان وقد كانت في العام الماضي ٣٠ مليون فدان فالنقص في مساحة الارض نحو ستة في المئة وهو وحدهُ كافٍ لجعل موسم هذا العام اقلَّ من موسم العام الماضي بنحو مليون بالة اذا جرى موسم هذا العام في نموّهِ وخصبهِ كما جرى موسم العام الماضي

والوجه الثاني ان حالة نمو الموسم هذا العام دون ما كانت عليهِ في العام الماضي فقد كانت حالة النمو في شهر مايو ٧٧,٢ في المئة وكانت في العام الماضي ٨٣ في المئة . وفي شهر يونيو ٧٧ في المئة فقط وكانت في العام الماضي ٨٨ في المئة اي ان حالة الموسم كانت تزيد تحسناً في العام الماضي وتزيد سوءا هذا العام وهي دون حالة الموسم سنة ١٩٠٣ فانها كانت حينئذٍ ٧٤,١ في المئة في اول يونيو و ٧٧,١ في المئة في اول يوليو وكانت مساحة الارض المزروعة حينئذٍ ٢٨٩٠٧٠٠٠ اي نحو ٢٩ مليون فدان وبلغ المحصول حينئذٍ ١٠٠١١٠٠٠ اي نحو

عشرة ملايين بالة . فاذا جرى موسم هذا العام كما جرى موسم سنة ١٩٠٣ فلا يبلغ عشرة ملايين بالة بل يكون اقل منها

وقد نشرنا الجدول التالي وفيهِ حالة الموسم الاميركي في كل سنة من السنين الماضية حتى سنة ١٨٨٧ كما وجدها مكتب الزراعة في بداءة كل شهر عن الشهر الذي قبلهُ ومقدار المحصول ومساحة الارض المزروعة ومنهُ تتبين الامور المذكورة آنفًا اجلى بيان

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠					٢٨١١٣٤٢٨
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨		٣٠٠٥٣٧٠٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ومعلوم انهُ لا يمكن بت الحكم من الآن في ما يكون عليهِ الطقس في هذا الشهر والشهرين

التاليين ولو جرى مجرى العام الماضي (وقد كان الطقس في العام الماضي من اصلح ما يكون لزراعة القطن في اميركا) فلا يحتمل ان يزيد المحصول هذا العام على ١١ مليون بالة لان ضيق المساحة يقلل المحصول نحو مليون بالة والضرر الذي اصاب الزراعة في مايو ويونيو يقللهُ مليوناً آخر . واذا جرى الموسم هذا العام كما جرى سنة ١٩٠٠ فمن المحتمل ان يبلغ المحصول احد عشر مليوناً ونصف مليون بالة . وهب انهُ بلغ هذا المبلغ فالسعر الحالي غير غالٍ لان المقطوعية العمومية تزيد اربع مئة الف بالة كل سنة بزيادة السكان . ومعامل انكلترا عندها من الطلبات ما يشغلها هذه السنة كلها وبعض السنة التالية ومعامل اميركا عندها ما يشغلها هذه السنة واكثر السنة التالية . واكثر هذه الطلبيات للصين

القطن وندوة العسل

صورة مذكرة نشرتها نظارة الداخلية تصف بها الضرر الذي يصيب القطن من ندوة العسل والطرق التي يلزم اتخاذها لوقايتهِ وهي

أُصيب القطن بضرر عظيم في السنين الماضية في شهري اغسطس وستمبر وخصوصاً في مديرية البحيرة بسبب ما يسمونهُ ندوة العسل

فقد شوهد في مساحات واسعة من الاراضي المزروعة قطناً في مركز كفر الدوار وغيرهِ من المراكز التي كانت تنجو من الدودة وكانت تبشر بمحصول وافر ان الاوراق تصبح سوداء على حين فجأة وتضعف الشجيرات و يتلف جانب عظيم من المحصول ويسمَّى هذا الضرر بندوة العسل وتعليل ذلك هو ما يأتي :—

في مثل هذا الأوان يشاهد في بعض المحلات على النبات آلاف من البعوض الصغير الاخضر (Hémiptera) بعضهُ باجنحة وبعضهُ بدون اجنحة . وهذا البعوض المعروف باسم (Aphis) يتغذى من الاوراق بطريق المص وذلك ولو انهُ لايكفي لقتل النبات ولكنهُ بالطبع يضعفهُ . وحين تغذّي البعوض كما ذكر يضع على الاوراق مادة لزجة من نوع الندى العسلي . ووقت الفيضان حينما يكون الجو رطباً يجلب هذا الندى العسلي اليهِ جرثومة نوع من الفطر الاسود التي يحملها الريح فتستقر في الاماكن التي توجد فيها هذه المادة اللزجة . وتأثير ذلك يظهر سريعاً فان مسام الاوراق تختنق حالاً و يسودُّ النبات كما ذكر آنفاً . ولحد الآن يظهر انهُ ليس في الامكان مقاومة الفطر المذكور والامر الوحيد الذي يمكن اجراؤُهُ هو مقاومة البعوض بحال ظهورهِ . وعليهِ يلزم في البلاد المعروفة فيها ندوة العسل ان يراقب ظهور البعوض (Aphis) لاول مرة مراقبة شديدة

وقد صار تجربة الطريقة الآتية لقتل هذا البعوض ونجحت نجاحاً عظيماً وهي يرش النبات بآلة رشاشة رفيعة جدًّا بمركب ممزوج من المواد الآتية :—

نصف رطل صابون وجالون واحد من الماء (الجالون يساوي اربعة ليترات ونصف لتر) وجالونان من الكروسين Kerosene (ويضاف الى ذلك وقت الاستعمال ماء بمقدار ٢٥ ضعفاً من مجموع كمية المزيج المذكور)

ويصير تقطيع نصف الرطل الصابون قطعاً وتغلي بجالون الماء حتى تذوب تماماً فترفع عن النار ويضاف اليها الجالون من الكروسين ويحرك الممزوج تحريكاً قويًّا — ومتى برد هذا المركب يخزن في قزايز لاستعمالهِ وقت اللزوم

ويمزج هذا المركب بخمسة وعشرين ضعفاً من مقدارهِ من الماء الاعتيادي ثم يوضع في الرشاشة ويرش بهِ النبات الموجود فيهِ البعوض (Aphis) وحيث ان هذا البعوض يلجأ عادة الى السطح الاسفل من الاوراق فيلزم رشها من الاسفل بكل دقة وفي الانتهاء ترش من الاعلى

ومن المحتمل ان ينجو بعض هذا البعوض ولذلك يلزم التفتيش في الزراعة بعد الرش بيومين او ثلاثة واذا وجد اثر منهُ حيًّا فتعاد عملية الرش مرة ثانية

واهم شيء هو الوقوف على الجهات التي ظهرت فيها ندوة العسل سابقاً

وهذا البعوض يشاهد عادة على اطراف غيطان القطن بقرب المصارف ومجاري المياه فيجب التفتيش في هذه الاماكن لمعرفة ظهور هذه الآفة ومتى ظهرت يلزم حالاً الشروع في الرش ثم التفتيش في باقي انحاء الغيط . ومن المهم ان يكون الرش في الصباح او في المساء . والفائدة من قتل البعوض هي منع وجود الندى العسلي وحينئذٍ لا تجد جراثيم الفطر ما تتغذى بهِ فتموت

وقد طلب بالتلغراف من فرنسا خمسون طلبة رشاشة مصنوعة بنوع خاص للرش رشاً رفيعاً جدًّا من كل ناحية وحين ورودها تصرف للجهات حسب اللزوم

وبقطع النظر عن ذلك فالزراع الذين يخشون من ندوة العسل يحسنون صنعاً لو طلبوا بمعرفتهم رأساً الآلات اللازمة بالتلغراف من فرنسا من محل

M.M. Vermorel à Villefranche (Rhône)

ويرسل لهُ الثمن بواقع ٣٥ فرنكاً ثمن الرشاشة في فرنسا واسمها Pulverisateur Eclair No. 1 وموجود الآن في دائرة درانت باشا التي أُصيبت بضرر عظيم في الماضي نحو عشرين من هذه

الآلة وجار تشغيل عدد من الانفار لابادة البعوض قبل ظهور الفطر المنتظر في اغسطس

اما الكروسين الذي يفضل على البترول فيمكن الحصول عليهِ من المحل الآتي باسكندرية

Messrs Worms & Co.
Shell Transport Line

وسعر الطن يساوي جنيهين اثنين في الاسكندرية ونفاية الصابون الاخضر المناسب لهذا المزيج يمكن الحصول عليها من شركة الملح والصودا في معملها بكفر الزيات

[المقتطف] واذا ظهر المن المسمَّى هنا بعوضاً على قليل من ورق القطن فيسهل قطف ذلك الورق وحرقهُ

تصدير الفاكهة والخضر

يقول المعتنون بزرع الشليك (الفروله او الستروبري) في ضواحي العاصمة ان محصول الفدان الواحد يبلغ مئة جنيه الى مئتي جنيه في السنة. والظاهر من اقوالهم واقوال غيرهم من زارعي الفاكهة والخضر على انواعها ان محصولها يفي باتعاب الفلاح وايجار الارض ويكون منهُ ربح وافر وقد قرب الوقت الذي يستغني فيهِ القطر عن كل انواع الفاكهة والخضر التي ترد اليهِ الآن من الخارج فيتوفَّر لهُ نحو مليون جنيه كل سنة من هذا السبيل لان الفاكهة والخضر الطرية والمقددة التي ترد اليهِ في السنة يبلغ ثمنها حسب تقدير الجمارك نحو سبع مئة الف جنيه والباعة يشترونها بمليون جنيه على الاقل ومن ذلك اثمار مقددة باكثر من مئتي الف جنيه واثمار وخضر محفوظة باكثر من ٣٣ الف جنيه وبرتقال وليمون وغير ذلك من الفاكهة الطريَّة باكثر من ١٢٠ الف جنيه وزبيب باربعة وخمسين الف جنيه وهلمَّ جرًّا وهذه كلها من الفواكه والاثمار التي يمكن ان تزرع في القطر المصري وتجود فيهِ

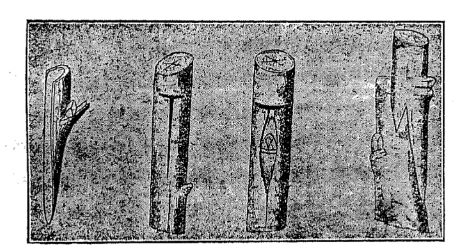
ثم انهُ لا يصعب على اهل الزراعة في هذا القطر ان يكثروا من زرع بعض الخضر والفاكهة ما يزيد عن حاجة البلاد ويصدر منهُ مقدار كبير الى الخارج فقد صدر منهُ في العام الماضي من البصل ما ثمنهُ ٢٦٥ الف جنيه ومن الطماطم ما ثمنهُ ١٩ الف جنيه وليس ما يمنع زيادة الصادر من هذين الصنفين زيادة بالغة ولا ما يمنع وضع الفاكهة والاثمار في علب وتصديرها الى الخارج فان الفاكهة الموضوعة في علب ترد الينا من كليفورنيا في غربي اميركا على غلاء اجور العمال هناك واجرة النقل برًّا وبحرًا فيجب ان تكون الفاكهة الصادرة من القطر

المصري ارخص منها جدًّا · وقد رأينا انواعًا من الفاكهة المحفوظة في علب صنعت في ابعدية الكونت زغيب على مقربة من مصر وهي تضاهي ما يماثلها من فاكهة اوربا واميركا في اتقان عليها · واذا تيسر للقطر المصري ان يستغني عما يرد اليهِ من الفاكهة والخضر ويصدر ما يماثلها توفر لهُ مليونا جنيه في السنة

تطعيم الاشجار

ابنا في الجزء الماضي في باب التحوُّل الفجائي انهُ يطرأُ على النباتات احيانًا تغير فجائي يغير نوعها · ولا يخفى ان هذا التغير يكون احيانًا مقصورًا على اصلاح النوع نفسهِ ومن ذلك تولدت الاصناف البستانية من الاصناف البرية . وتسهل الاستفادة من الصنف الجديد باخذ التقاوي منهُ كما حدث لما أُخذت تقاوي القطن العفيفي مثلاً واليونوفتش من صنفين تولدا جديدًا او بقطع جزء صغير من الصنف الجديد وتطعيمهِ في الصنف القديم كما في تطعيم الورد بورد آخر وتطعيم المشمش بمشمش آخر وتطعيم التوت بتوت آخر وتطعيم الليمون بليمون آخر وهلمَّ جرًّا

وانواع التطعيم مختلفة اشهرها الخمسة التالية



الشكل الاول

الاول ان يقطع غصن طري من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها وينزع منهُ جانب فيهِ ورقة وتحتها برعم كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الاول. واذا قطع معهُ شيء من الخشب وجب نزعهُ منهُ بالتأني حتى لا يبقى فيهِ الاَّ القشر السليم واسفل الورقة والبرعم الذي تحتهُ . ثم يبرى طرف قضيب من قضبان الشجرة التي يراد تطعيمها و يشق قشرهُ شقًّا كحرف التاء الافرنجية كما

ترى فوق الرقم ٢ في الشكل الاول ويجب ان يصل الشق الى الخشب ولا يجرحهُ ثم ترفع طرفي القشر برأس السكين وتدخل الجزء الذي نزعتهُ اولاً في هذا الشق وتسوي طرفيهِ عليهِ كما ترى فوق الرقم ٣ وتربطهُ ربطاً محكماً بقشر شجر او بخرقة ولكن لا تشد الرباط كثيراً فينمو البرعم ويغتذي مما تحتهُ ويتولد منهُ غصن مثل الشجرة التي أُخذ منها · وعلى هذا الاسلوب يطعم التوت البري بتوت جوي فتقطع قضبان التوتة البرية كلها ويطعم منها ثلاثة او اربعة واذا ظهرت فيها فروخ اخرى غير فروخ المطاعيم نزعت منها حال ظهورها فتصير قضبانها كلها من نوع الشجرة التي طعمت بها

الثانية ان يقطع غصن صغير من الشجرة التي يراد التطعيم بها ويكون فيهِ برعم او اكثر كما تقدم ويبرى حتى تكون فيهِ زاوية داخلية كما ترى في الجزء الاعلى الذي فوق الرقم ٤ في الشكل الاول ثم تبري غصناً من الشجرة التي تريد تطعيمها حتى يستقر المطعوم عليهِ ويلتحم بهِ كما ترى فوق الرقم ٤ ويطلى الغصن والطعم بالطين او نحوهِ لكي لا يجف المطعوم سريعاً بتبخُّر الرطوبة منهُ · ويفضل ان يكون في الطعم برعمان او ثلاثة لا برعم واحد ويجب ان يتصل قشر الطعم بقشر المطعم كما ترى فوق الرقم ٤ ستأتي البقية

زراعة القطن في جزائر الهند الغربية

اهتمَّ الانكليز بزرع القطن في جزائر الهند الغربية فابتدأُوا في سنتا لوشيا سنة ١٩٠٠ وبلغت مساحة الارض المزروعة في تلك الجزائر ٥٠٠ فدان سنة ١٩٠٢ و ٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٣ و ١١٦٨١ فداناً سنة ١٩٠٤ ومن ذلك ٧٢٤٣ فداناً مزروعة بالقطن المعروف بالسي ايلند وينتظر ان يبلغ محصول السي ايلند هذا العام ١٨٠٠٠ قنطار اي يكون متوسط محصول الفدان قنطارين ونصف قنطار وان يبلغ ثمنها مئة الف جنيه · واذا استمرت الزيادة على هذه النسبة فلا يبعد ان تبلغ مساحة الارض المزروعة عشرات الالوف من الفدادين ولكن ان كان متوسط محصول الفدان لا يزيد على قنطارين ونصف فلا نظن انهُ يكون هناك ما يرغّب اهل الزراعة في زيادة الاهتمام بزرع القطن ولاسيما اذا هبط ثمنهُ . ثم ان الذين يزرعون القطن في الولايات المتحدة لا يجهلون ان ثمنهُ يهبط كثيراً اذا زاد المحصول عن المقطوعية زيادة كبيرة · فاذا اتفق انهُ زاد في سنة من السنين كما حدث في العام الماضي ضيقوا نطاق زراعتهِ في العام التالي لكي يبقى سعرهُ مرتفعاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تعليم الاطفال

ما يجب ان يعلَّموهُ وما يجب ان لا يعلَّموهُ

اول ما يلاحظ في الاطفال كثرة السؤالات التي يسألونها حالما يتعلمون الكلام ورغبتهم في ان يلمسوا بايديهم ما يرون باعينهم ويغيروا شكل كل ما يقع في ايديهم اذا استطاعوا ذلك ويقلدوا كل ما يرون اما بالرسم على الورق او بجبل الطين وعمل التماثيل على صور واشكال شتى

والطفل يكثر من السؤال اعتقادًا منهُ ان ابويهِ وكل كبير غيرهما يحيطون علمًا بكل شيء وقد جرت عادة اكثر الوالدين ان ينتهروا اطفالهم عند الاكثار من المسائل ظنًّا منهم انهُ من قبيل الفضول في الكلام وهذا وهم اذ لكل معلول علَّة وعلَّة اكثار الاطفال من السؤال تنبه قواهم العقلية ونموّها فاذا لم يجبهم والدوهم اجوبة ترضيهم لم يسكتوا بل تحوّلوا الى غيرهم واذا لم يرتضوا باجوبة هؤلاء عادوا وقد تولاهم الخذلان وخيبة الامل

ومن اعظم اغلاط الوالدين اشتغالهم بشؤون الحياة اليومية عن النظر في مصالح اطفالهم فيهملوا امر المستقبل التهاء بالحاضر ويتركوا تربية اولادهم للصدفة او يسلموهم الى المربيات والخادمات وهنَّ لا يعلمن مطالب الطفولة وواجباتها فيقلنَ في انفسهنَّ ان كان الوالدون لا يهتمون باطفالهم افنكون نحن اكثر اهتمامًا منهم بهم فيشرعنَ في العناية بمنظرهم الخارجي سترًا لحاجاتهم الحقيقية

ومن عادة الاطفال عند ولادة اخ او اخت لهم ان يسألوا والديهم من اين اتى هذا المولود فيحار بعض الوالدين في الجواب عن هذا السؤال لاسيا وهم لا يريدون ان يضلّوا صغارهم ويجيب آخرون عليهِ بقولهم ان الله بعثهُ وآخرون انهم اشتروهُ او ان القابلة جاءت بهِ . والغالب ان الاولاد يسكتون على امثال هذه الاجوبة ولكنها اجوبة لا تفيدهم شيئًا ولا تبيّن لهم

حقيقة . والذين يجيبون بها و باشباهها يعتمدون على قول من قال ان الجهل فضيلة وان اساس العفاف والطهارة قلة المعرفة وحجتهم في ذلك ان نواميس ولادة الاولاد قد حُطت عن مقامها السامي الى الدرك الاسفل فلا يحسن بالصغار ان يطّلعوا على حقيقتها

والحقُّ ان لا ظلام الاّ ظلام الجهل ومعظم الذين ساروا في ذلك الظلام عثروا وسقطوا سقوطاً لم ينهضوا منهُ وقليل منهم وصلوا الى سنّ البلوغ وقواهم سليمة من الضرّ والاذى . فهل يجب على الوالدين ان يخبروا اولادهم بسرّ وجودهم وهم صغار ويربوهم على المبادئ والتصورات السامية في خلال ذلك . هذا سؤَال تصعب علينا الاجابة عنهُ لاننا لا نعلم ماذا تكون نتيجة ذلك . قالت كاتبة انكليزية مشهورة ما يأتي :—

" اذا سأل الولد الصغير امهُ حائرًا من صنعني ومن اين اتيت فالغالب ان تجيبهُ على ذلك جوابًا اولى بها ان لا تنطق بهِ وان يكن صحيحاً وهو ان الله صنعك اذ هذا الجواب من حيث الصحة هو مثل قولها لابنها اذا افرط في الاكل وأُصيب بسوء الهضم ان الله ابتلاك بهِ . أَليس خيرًا لها ولهُ ان تقول انك اتيت من ابيك وامك يا ولدي فقد صنعت من جسمينا فانت جزء منا . وقد نموت فينا كما تنمو البزرة في الثمرة وحملتك شهورًا طوالاً تحت قلبي حيث صوّرت ولبثت الى ان ولدتك بالتعب والالم . ألا يتعلّق قلب الولد بها متى اطلع على نسبتهِ اليها بهذا القول اكثر مما يتعلق بها بالقول الاخر الذي لا يروي لهُ غليلاً فيتطلب الحقيقة حتى اذا وجدها حفظها سرًا لا يبوح بهِ خشية ان تعدّ معرفتهُ لهُ جرماً عليهِ "

هذا ما قالتهُ تلك السيدة ولكن ليس في تاريخ العمران ما يدلُّ على ان افشاء سر الحمل والولادة للاولاد اسلم عاقبة من اخفائهِ عنهما الى ان يبلغا اشدهما . ويظهر لنا ان الاخفاء اسلم عاقبةً وان صرف الاذهان عن هذا الموضوع افاد الامم التي تصرف الاذهان عنهُ كما ان تنبيه الاذهان اليهِ منذ الصغر اضرّ غيرهم من الامم . اما الاطفال فليس من الضروري اخبارهم بكل شيء ولا هم يصرون على معرفة كل شيء . واي شيء نعلمهُ حق العلم حتى نخبرهم بحقيقتهِ فاذا قلنا لهم ان اخاكم الصغير هدية من الله لا نكون ابعد عن الصواب من قولنا لهم انهُ من والديكم ولا هو اسهل عليهم ادراكاً من قولنا لهم ان سوء الهضم من كثرة الطعام

وكما يجب على الوالدين ان يطلعوا اولادهم على ما تفيدهم معرفتهُ يجب عليهم ان يخفوا عنهم ما تضرهم معرفتهُ

تأديب الاولاد

تأديب الاولاد ومقاصتهم بالضرب من بقايا عصور الجهل الماضية . قال الاستاذ فولر اتبع مذهب سليمان الحكيم في ضرب الاولاد ان شئت واما انا فاتبع مذهب سيد سليمان القائل اغلب الشرّ بالخير . فان استعمال القوة الحيوانية التي يمتلكها الرجل لمقاصة الاولاد ذوي الابدان اللينة الغضة حطة لهم ومفسدة

ولا يمكن تعيين قصاص واحد لكلّ من أذنب من الاولاد لاختلاف امزجتهم فما يوافق نزق الطبع لا يوافق ليّن العريكة وما يلائم عصبيّ المزاج لا يلائم الدموي او اللمفاوي . فليترك الامر لفطنة الوالدين في ذلك

ومما يحسن الالتفات اليهِ في هذا الباب ترغيب الاولاد في قراءة الكتب والروايات التي تهذب النفس وترفعها عن الدنايا . قالت مس جلدر وهي من النساء الانكليزيات اللواتي اشتهرن بالكتابة في الجرائد والمجلات انها قرأت تاريخ حياة بنيامين فرنكلين الكاتب والفيلسوف الاميركي الشهير فوطدت النفس وهي صغيرة على الاشتغال بالتحرير فنشأت كاتبة نحريرة

قراءة الروايات

الناس صنفان من حيث التربية والتهذيب . صنف يرى انهُ يجب الاقتصار في تربية الاحداث والحدثات على ما يقوّم الاخلاق والطباع ويدرّب العقول على الحسن وينبه الاميال الى الخير وان تسهل امامهم السبل المؤدية الى ترقية الآداب واعلاء شأنها ويسدّ كلُّ سبيل الى الجهة الاخرى اي ان يعرف الاولاد كلّ ما في هذه الدنيا من الخير وهم صغار فينشأوا عليهِ وان يجهلوا ما فيها من الشرّ على الاطلاق حتى اذا كبروا وشبوا كانوا ملائكة في زي بشر

والصنف الآخر يرى ان التربية الصحيحة لا تقوم بفتح ابواب الخير وسدّ ابواب الشر امام الصغار بل بفتحها كلها على السواء امامهم واظهار ما في دخول الاولى من النتائج الجليلة وما في دخول الثانية من العواقب الوخيمة بالشواهد والامثال فينشأوا ميالين الى الخير راغبين عن الشر . والذين يرون هذا الرأي يقولون ان المرء مفطور على الخير والشر منذ تصورهِ وان كل ما يبذل من المساعي في تبيين الخير وتكبيرهِ وتزيينهِ في العيون وستر الشر وتصغيرهِ وتقبيحهِ حتى يقتصر الصغار على الاول منهما دون الآخر انما يذهب ادراج الرياح ما دامت بذرة الميل الى الشر مغروسة فيهم منذ خلقتهم . وان الغرض من التربية ليس اقتلاع تلك البذرة

ولا محو آثار الشر من الطبع بل تعويد الصغار اتباع الحسن وتغليب الخير على الشر في نفوسهم وتقوية ضمائرهم وتنبيهها حتى لا يرتكبوا القبيح واذا ارتكبوهُ وتنبهت ضمائرهم بكتتهم على سوء افعالهم فنكصوا عن ارتكابها ثانية تائبين نادمين

هذا ما يقال في التربية عموماً ولما كانت قراءة الروايات على اختلاف مواضيعها مما يقبل الصغار عليهِ لما فيها من اللذة والتفكهة وكانت جزءًا من التربية فقد انقسم الناس فيها الى قسمين قسم يقبح قراءتها وينهى عنها وخصوصاً قراءة الروايات الغرامية لما فيها من اضاعة الوقت على غير طائل ومن الاضرار بالاخلاق والآداب وقسم لا يمنع قراءتها بل يرغب فيها لانها تدل على الخير والشر معاً فتحض على الاول وتحذر من الثاني

وقد تناول كثيرون من كتاب الغربيين هذا الموضوع وبحثوا فيهِ البحث الدقيق والانكليز منهم لا يذمون قراءة الروايات من الوجهة الادبية قدر ما يذمونها من الوجهة المادية اي انهم لا يذمونها من حيث اضرارها بالآداب قدر ما يذمونها من حيث اضرارها بالجسم لأن الامة الانكليزيَّة امة عرفت بميلها الى الالعاب الرياضية مثل لعب الكرة وسباق الخيل والقوارب وما شاكل . وفي ادخال الالعاب الرياضية الى مدارس الحكومة عندنا والاهتمام بها اهتماماً عظيماً دليل على شغف الانكليز بها حتى في غير بلادهم واعتمادهم عليها في التربية والتهذيب. قال احد كتاب الانكليز ان الوفاً من الانكليز رجالاً ونساء شباناً وشابات يقضون ساعات الفراغ في قراءة الروايات فيسمّمون ابدانهم بدلاً من أن ينعشوها ويقووها بالرياضة في الخلاء. وبالامس لقيت غلاماً قويَّ البنية يقرأ رواية مشهورة وهو لا يلوي على شيءٍ بدلاً من ان يلعب مع رفاقهِ ابناء سنهِ ويتعلَّم كيف يصير رجلاً

وقال آخر تحت عنوان " الرجال العظام لا يكتبون روايات " ان خفة الحركة والنشاط في العمل اول الاسباب الى عظمة الامة وكتابة الروايات وقراءتها تستلزمان الجلوس والقعود عن الحركة فتفضيان الى سوء الهضم وقصر البصر

وقال كاتب من كتاب الروايات ان للعب الكرة فضلاً عليَّ لا انكرهُ ما دمت حيًّا فان كتابة الروايات اورثتني ضعفاً عصبياً لم اشفَ منهُ الاَّ بمداومة لعب الكرة .ومن رأي غيرهِ ان الاقبال على قراءة الروايات الى درجة تشبه الجنون افضى الى اضعاف البنية العمومية

على ان بينهم قوماً يرون غير ذلك. منهم كاتب استحسن ميل الناس الى قراءة الروايات دون كتب الفلسفة وما فيها من الآراء الوهمية والخيالية وقال ان الروايات تمثل لنا حقيقة الحياة .والسبب في ميل الناس الى قراءتها هو ان معيشة الصانع والعامل والتاجر تضيق الصدر

وتجبس النفس . ومشاغل التمدن الحديث وهمومهُ الكثيرة تميل بالناس الى طلب الخلاص من تلك الحال اما بالرياضة البدنية كاللعب او بالرياضة العقلية كقراءة الروايات . وقال غيرهُ ان قراءة الروايات تعلّم الانسان ما لا بدَّ ان يعلمهُ من امور هذه الحياة خيرًا كان او شرًّا وان السعي في ابطالها عبث لانهُ مخالف لسير الطبيعة وان التربية الصحيحة لاتقوم بالاقتصار على معرفة الخير بل بمعرفة الخير والشر على السواء وتدريب الاميال على الحسن والحض عليهِ والتحذير من ضدهِ وترك الانسان حرًّا مختارًا مسأُولاً فكم من قبيح انتج حسنًا وكم من خير اعقب شرًّا

والذي نراهُ بالاختبار ان الاعتدال في قراءة الروايات وفي ايضاحها اسباب الشر هو خير الامور فالذي يقرأُ قليلاً ويقتصر على الروايات الفاضلة المفيدة يستفيد منها ولا يضيع وقتهُ ولا ينهك صحتهُ . والروايات التي يعتدل كاتبوها فيها فلا يقتصرون على وصف المناقب الفاضلة ولا يكثرون من وصف المعايب يفيدون برواياتهم اكثر من غيرهم وهي الروايات التي يجب ان تفضَّل على غيرها . وعلى كل حال لا يحسن بوالد ولا بوالدة ان يسمحا لا بنيهما او لابنتهما بقراءة رواية لم يقرأْها احدهما او احد معارفهما ويجدها خالية مما يضرُّ ويشين

باب التقريظ والانتقاد

مرور في ارض الفناء ونبأٌ من عالم البقاء

اسم كتيّب الَّفهُ حضرة الاديب شكري افندي الخوري احد السوريين المقيمين في سان باولو بالبرازيل . وهو على صورة رواية انتقد المؤَلف فيها الفساد الذي يعتور الهيئة الاجتماعية الحاضرة ولا سيا في البلاد الشرقية وجعل كلامهُ رسالة من صديق ميت الى صديق حيّ ووصف بلسان المكاتب مشهدين عظيمين عالمًا ارقى من هذا العالم ودينونة على مدخل عالم البقاء . وقد كان في جملة الذين دينوا احد ملوك الشرق وراهب ومتصرف من متصرفي لبنان وصحافيّ وطبيب ومحامٍ وكان قصاص الصحافي "٣٠ جلدة بقضبان الرصاص حتى غاب عن الصواب من الاوجاع لان الضرب كان بالاكثر على اصابع يدهِ اليمنى التي كان يقبض بها

القلم" ومن ذنوبهِ التدليس والتخبير والتظاهر بالغيرة على الدين وعلى الوطنية

وهذه الرواية على طراز الرواية التي الَّفها دانتي الايطالي وسمَّاها "ديفين كومدي" وقسمها اقساماً منها "انفرنو" اي الجحيم وصف فيهِ سفرهُ اليهِ ومن لقيهُ فيهِ من الرجال وما صادفهُ من الاهوال . او هي على مثال رواية "دون كيشوت" التي الفها سرفنتس الاسباني واراد بها انتقاد نظام الفروسية الذي كان سائداً في زمانهِ

وتمتاز هذه الرواية على اكثر الروايات العربيَّة الموضوعة باتساع صور الخيال فيها وتعدُّد اشكالها وامتزاجها بعضها ببعض امتزاجاً سهل المأخذ . وكثير من عباراتها باللغة العامية السورية التي تقرّبها من افهام الجمهور فنثني على اجتهاد المؤلف ونؤمل ان انتقادهُ يصيب المحجة ولا يضيع سدًى . وحبذا لو ترجمت هذه الرواية الى اللغة التركية لكي تعم فائدتها الذين عناهم بالذات

رواية ٣٠ سبتمبر او غوائل المدنية

رواية ادبية اجتماعية عرّبها حضرة الاديبين ابرهيم افندي صادق وعثمان افندي صدقي وطبعاها على نفقتهما وثمنها ٣ غروش صاغ وحبذا لو ذكرا الاصل الذي عرّبت عنهُ

الخلاصة الحكمية في المملكة النباتية

رسالة في الحبوب والخضر والاثمار والاشجار وخواصها وفوائدها بقلم متياس افندي ابرهيم سعد وهي كبيرة الفوائد على صغر حجمها . ومن الفوائد المذكورة فيها ان قطران الخشب يطرد السوس من اهراء الحنطة اذا دهنت بهِ بعض الالواح الخشبية ووضعت في الاهراء بين الحنطة

الدر النظيم في فن التنويم

في هذه الرسالة كلام موجز على فنّ التنويم واشهر طرقهِ المستعملة في اوربا واميركا من قلم حضرة الاديب لطيف افندي يعقوب شكيب وقد طبعت بادارة المكتبة الشرقية لحضرة صاحبها الاديب ابرهيم افندي فارس والكلام فيها قريب المأخذ على ما فيهِ من التدقيق ولكننا لا نودُّ ان يشيع هذا الفن لان ضررهُ اكثر من نفعهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اللغة والغناء

مصر . عطا افندي فهمي . هل للغة تأثير في اصوات الغناء

ج يقال ان لها شيئاً من التأثير وان الغناء شائع في ايطاليا لان لغتها تسهّل الغناء على اهلها

(٢) عدم تشابه التوأمين

ومنهُ . تلد المرأَة احياناً ولدين توأمين ولا يكونان متشابهين تشابهاً تاماً فما سبب ذلك

ج ان البيضة التي يتولد الجنين منها تكون كاملة في الام وهي مستديرة مثل بيوض اكثر الحيوانات وشاملة لدقائق كثيرة ماخوذة من كل عضو من اعضاء الام ثم يصل اليها اللقاح من الاب وهو جسم صغير جدًّا طويل دقيق شكلهُ مثل شكل الافعى ولكن رأْسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وفيهِ دقائق صغيرة من كل عضو من اعضاء الاب فيخرق البيضة ويدخلها وللحال يخرج جانب مما كان فيها لانها كانت ملأَى فلا تسع ما فيها مع اللقاح الذي يأتيها . والظاهر ان هذا الجسم يدخل كلهُ او بعضهُ حسب قوتهِ وضعفهِ او حسب درجة نموهِ وان ما في البيضة يخرج كثير منهُ او قليل حسب ما يدخلها من اللقاح . وهذه الحالات كثيرة مختلفة لا ضابط لها وانما يجمعها قولنا ان البيضة الملقحة يكون فيها دقائق كثيرة من اعضاء الاب ودقائق كثيرة من اعضاء الام ولكن ذلك ليس على درجة واحدة فقد يكون فيها من مميزات الام اكثر مما فيها من مميزات الاب وقد يكون فيها من مميزات الاب اكثر مما فيها من مميزات الام

ثم ان في جسم الاب دقائق متصلة اليهِ من ابوَيهِ واسلافهما وفي جسم الام دقائق متصلة اليها من ابوَيها واسلافهما على درجات مختلفة فلا يبعد ان يدخل احدى البيضتين كثير من الجسم الآتي من الاب ويدخل الاخرى قليل من آخر آتٍ منهُ فيكون جنين البيضة الاولى اشبه بابيهِ او اسلافهِ من جنين البيضة الثانية فيختلفان

(٣) قوة السلاح

ميت بشار . قرياقص ميخائيل لماذا يرسل

السلاح الجيد مقذوفاتهِ الى ابعد مما يرسلها السلاح الرديء مع ان المقذوفات واحدة

ج اذا كانت انابيب البنادق او المدافع مختلفة في طولها وثخن تجويفها وشكلهِ والمقذوفات واحدة فلا بدَّ من اختلاف الابعاد التي تصل اليها باختلاف انابيب البنادق والمدافع وهذا هو الواقع. ثم ان انابيب المدافع والبنادق الجديدة امتن حديداً من الانابيب القديمة فتحتمل مقذوفات اقوى باروداً فتنقذف الى مسافات اطول

(٤) الشيب والعمر

ومنهُ . هل الشيب دليل على قصر العمر او على ضعف الصحة

ج لا هو دليل على قصر العمر ولا على ضعف الصحة ولكنهُ فعل طبيعي يبتدئ غالباً في سن الكهولة ويزيد رويداً رويداً الى الشيخوخة كما ان الاسنان لا تنبت غالباً الاّ بعد وصول الطفل الى الشهر السابع او الثامن ولا تتكامل الاّ حينما يبلغ السنة الثالثة

(٥) اللحم المحرم

ومنهُ . لماذا يأكل الناس بعض الطيور ويحرّمون اكل البعض الآخر ولماذا يأكلون في فرنسا لحم الخيل ولا يأكلونهُ هنا ولماذا لا تحث الجرائد الناس على اكل لحم الخيل في هذا القطر بعد ما غلا فيهِ لحم الضان

ج ان لحم الطيور التي تأكل الحبوب والاثمار اطيب من لحم الطيور التي تفترس الحشرات او تفترس غيرها من الطيور والغالب ان الناس يأكلون الاولى ويمتنعون عن اكل الثانية وفي ذلك شيء من الفائدة العمومية عدا ما فيهِ من مراعاة الذوق وذلك ان الطيور التي تأكل الحبوب والاثمار تضرُّ باهل الزراعة فيكون من صيدها واكلها فائدة لهم والطيور التي تأكل الحشرات تفيد اهل الزراعة فيكون في صيدها واكلها ضرر لهم . اما لحم الخيل فلم يكن يؤكل لغلائها ولذلك لم يألف الناس اكلهُ وحسبوا انهُ غير جائز او غير مفيد لكن اهالي فرنسا كسروا قيود التقليد شأنهم في كل شيء واكلوا لحم الخيل والخيل رخيصة عندهم فيسهل على الفقراء ابتياع لحمها اما هنا فالخيل غالية الثمن اذا كانت فتية صالحة للركب او للعمل واذا شاخت ولم تبقَ تصلح للعمل لا يكون لحمها طيب الطعم . وبلاد مثل بلاد المشرق يعسر فيها نسخ العادات القديمة لاسيما وان اكثر اهاليها يحرمون لحم الخيل فاليهود يحرمونهُ لان الفرس لا يجتر ولا يشق الظلف والنصارى يجارون اليهود في اكثر ما حُرّم في التوراة وائمة المسلمين مختلفون في تحليل لحمها وبعضهم يحرمهُ او يكرهُ اكلهُ ولذلك كلهِ قلَّ اكل لحم الخيل في البلاد الشرقية حتى لم يبقَ مألوفاً مع ان العرب كانوا يأكلونهُ . اما الجرائد فلا فائدة من حثها الاّ على ما تتبين فائدتهُ ويكون مما يسهل العمل بهِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	١	٦	٣	صباحاً
الربع الاول	٨	٠	١٦	"
البدر	١٥	٥	٣١	"
الربع الاخير	٢٣	٨	١٠	"
الهلال	٣٠	٣	١٣	مساء

وفي اليوم الثلاثين من اغسطس يكسف القمرُ الشمس كسوفًا يرى تامًا في اعالي الصعيد ويظهر في القاهرة ايضًا ويبلغ اكثر من تسعة اعشار قرص الشمس اما اوقاتهُ فقد ذكرناها في الجزء الخامس من اجزاء هذه السنة

السيارات

عطاردِ نجم المساء في اول الشهر ولا يرى في اخرهِ

الزهرة نجمة الصبح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نصف الليل في اول الشهر وقبل الساعة ١١ في آخرهِ

المشتري يشرق قبل نصف الليل قليلاً في اول الشهر

زحل يطلع في اول الشهر الساعة ٨ مساء

متحف الاستانة

كتب الاستاذ سايس العالم بالآثار المصرية والاشورية والحثية يقول انهُ زار متحف الاستانة العلية في الربيع الماضي فوجدهُ من اجمل متاحف الدنيا في اتساعهِ وبنائهِ ومحتوياتهِ وترتيبها العلمي والفضل في انشائهِ وتنظيمهِ لمديرهِ حمدي بك. وقد اثنى عليهِ ثناء جميلاً يفتخر كل شرقي بسماعهِ من ذلك العلاَّمة . ثم قال انهُ رأى الآثار الحثيَّة التي في ذلك المتحف وامعن نظرهُ فيها ونقل كثيرًا من نقوشها وكتاباتها ورأى ايضًا آنية الخزف السوري المستخرجة من آثار قادش عاصمة الحثيين وبينها كاس قبرصية . وحث طلبة العلوم الاثرية في اثينا على زيارة هذا المتحف ودرس ما فيهِ من الآثار. ونحن نضيف شكرنا على شكرهِ لحضرة حمدي بك لانهُ اوجد في عاصمة السلطنة ما تفتخر بهِ وحفظ آثار اسلافنا من الضياع والتلف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم مجمع ترقية العلوم البريطاني في جنوبي افريقية في شهر اغسطس المقبل وقد عزم ٣٨٥ من اعضائهِ على الذهاب الى جنوبي

افريقية لحضورهِ فتتلى خطبة الرئاسة في ١٥ اغسطس في مدينة الراس وتتلى خطبة عن جيولوجية شلالات فكتوريا في مدينة يوهنسبرج في ٣٠ اغسطس وتتلى بقية الخطب بينهما ويزور اكثر الاعضاء شلالات فكتوريا (وهي الموصوفة في اول هذا الجزء) ومن الخطب التي تتلى فيهِ خطبة عن مرض النوم وخطبة عن الملاريا وخطبة عن الماس وخطبة عن الطيران وخطب كثيرة تتعلق بافريقية من حيث جيولوجيتها وجغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها واخلاق اهلها وما اشبه

مراصد اليابان في كوريا

لم تكد جنود اليابان تحتل كوريا حتى شرعت حكومة اليابان في انشاء المراصد المتيورولوجية فيها لرصد الظواهر الجوية ومنها مرصد في شمولبو مبني على ارفع اكمة هناك فجاء مرتفعاً عن سطح البحر سبعين متراً وشرعوا في الرصد فيهِ من اول يناير الماضي. وقد دعي اليهِ كثيرون من سكان سيول وشمولبو في شهر مارس الماضي وشاهدوا ما فيهِ من آلات رصد الجو والزلازل وهي مما صنعهُ او اصلحهُ الاستاذ اوموري الياباني وكان بين الزائرين سفراء اليابان وفرنسا وبريطانيا العظمى وكثيرون من وجهاء كوريا

احتفال المدرسة الكلية السنوي

احتفلت المدرسة الكلية السورية احتفالها السنوي السادس والثلاثين يوم الاربعاء في ٢٨ يونيو الماضي وقد قدمت الاحتفال عما هو معتاد بسبب حضور اللجنة الطبية من الاستانة قبل الاوان لامتحان المنتهين في القسمين الطبي والصيدلي. واعضاء هذه اللجنة الفريق محمود حقي باشا والاميرالاي احمد فهمي بك والبكباشي اسكريت روشن بك

وقد منحت الدبلوما الطبية لستة وعشرين طبيباً وهذا اكبر صف خرج من المدرسة الطبية ولتسعة من الصيادلة ومنحت البكلوريا لصف المنتهين من القسم العلمي وعددهُ ستة ثم حلف سعادة حقي باشا رئيس مجلس الامتحان تلامذة الطب والصيدلة اليمين المعتادة وختمت الحفلة بترنيم اغنية الكلية وكانت الموسيقى تصدح في خلال وقائع الاحتفال

تعب العين

كتب الدكتور دكسن احد مشاهير الاطباء الاميركيين مقالة في تعب العين خطأ فيها قول من يقول ان الانسان الذي تكل عيناهُ من شدة التحديق في الاشياء التي امامهُ تصطلح بترك الشغل والعمل وقال انهُ ما من عضو من اعضاء الجسم يقصر عن اتمام وظيفتهِ الَّا اذا كان مختلاً معتلاً وعليهِ فان تعب العين لا يزول باراحتها بل بمعرفة العلة ومداواتها . قال ومن الثابت ان اجهاد العين هو السبب الاعظم غالباً في انحطاط

الجسم انحطاطاً عصبياً وفي المستيرياوالسوداء والقيء والقلق والدسبسيا العصبية وخفقان القلب والاغماء والصداع والقبض وغيرها

ومن رأيهِ ان دقة البصر وجلاءهُ ليسا دليلاً على صحة العين كما يظن الناس عموماً ويفاخرون بذلك لان كثيرين من ذوي البصر الدقيق البعيد لا يستطيعون اجهاد عيونهم طويلاً . بل ان قياس صحة العين سهولة البصر وعدم الشعور بالتعب بعد استعمالها

ذبابة التستس

ذكرنا غير مرة ان هذه الذبابة تلسع الناس فتسبب المرض المعروف بداء النوم وقد كُشف الميكروب الذي يخرج منها حينئذٍ ويسبب هذا الداء وانها تلسع المواشي فتميتها . وقد كتب الاستاذ كوخ الآن من شرقي افريقية انهُ اكتشف فيها الميكروب او الجسم الحلمي الذي يميت المواشي حينما تلسعها

اكرام العلماء

منحت مدرسة كولمبا الجامعة باميركا الاستاذ بكرل الكيماوي الفرنسوي المشهور نشان برنارد لاجل اكتشافاتهِ المهمة في الاورانيوم التي كانت اساساً للبحث عن اشعة الراديوم ونحوها . وقد منحت مثل هذا النشان قبلاً للورد ريلي والسر وليم رمسي والاستاذ رنتجن

حجر بعلبك

كتب احد الاميركيين الذين زاروا سورية في موسم السيَّاح الماضي وشاهدوا قلعة بعلبك رسالة الى السينتفك اميركان قال فيها حبذا لو كان السلطان يعطينا الحجر الكبير الملقى امام قلعة بعلبك تذكاراً لهمة قوم يستطيعون حفر ترعة بناما . فلو فعل لنقلنا الحجر الى البحر ولم نهدم بيتاً ولم نقطع شجرة ثم جئنا بهِ الى اميركا محمولاً على ظهر الامواج . وقد قدّر ثقل الحجر بالف وخمس مئة طن

هبة ركفلر الجديدة

ركفلر من اغنياء اميركا الذين اغنوا العلم والعلماء بهباتهم . وقد انبأتنا الجرائد العلمية الآن انهُ وهب مليوني جنيه لديوان التعليم العمومي الذي انشأتهُ حكومة الولايات المتحدة لاجل الاهتمام بنشر التعليم فيها . واشترط انفاق الريع الناتج من هذه الهبة على نشر التعليم العالي في الولايات المتحدة . ووهب ايضاً مدرسة يال الجامعة مئتي الف جنيه

اكبر المواني

اكبر مواني العالم من حيث مقدار البضاعة التي تدخلها كل سنة ميناء لندن وهنغ كنغ ونيويورك . ويليها انتورب في البلجيك فان ثقل ما دخلها من البضاعة سنة ١٩٠٣ بلغ تسعة ملايين طن

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثلاثين

٥٩٣ الشيخ محمد عبده (مصوَّرة)

٥٩٧ توليد الحي من الجماد (مصوَّرة)

٥٦٨ شلالات فكتوريا (مصوَّرة)

٦٠١ ايضاحات لُغويَّة . لسعيد افندي الخوري الشرتوني

٦٠٦ التهذيب

٦١٧ الاغلاط الاستقرائية . لعبد الرحمن افندي شهبندر

٦٢٤ الانباء بالقطس

٦٣٢ شذرات في الانشاء

٦٣٧ تاريخ محمد علي باشا

٦٤٦ آلة الطيران

٦٤٨ فلسفة التعب

---

٦٥٠ باب المراسلة والمناظرة * القمر لم ينفصل عن الارض . طلب الدليل

٦٥٤ باب الزراعة * موسم القطن هذا العام . القطن وندوة العسل . تصدير الفاكهة والخضر تطعيم الاشجار (مصوَّرة) . زراعة القطن في جزائر الهند الغربية

٦٦١ باب تدبير المنزل * تعليم الاطفال . تأديب الاولاد . قراءة الروايات

٦٦٥ باب التقريظ والانتقاد * مرور في ارض الهناء ونبأ من عالم البقاء . رواية ٣٠ سبتمبر او غوائل المدنية . الدر النظيم في فن التنويم

٦٦٧ باب المسائل * اللغة والغناء . عدم تشابه التوأمين . قوة السلاح . الشهب والعمر . الحمم المحرم

٦٦٩ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٣ نبذة

رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف



اسكار الثاني ملك اسوج ونروج

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ رجب سنة ١٣٢٣

اسكار الثاني ملك اسوج

وانفصال نروج

ذكرنا في الجزء السابق والذي قبلهُ طرَفاً من سيرة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الذي ارتقى ببسالتهِ وهمتهِ من مصاف الجند الى ان صار والياً على القطر المصري بل كاد يكون ملكاً مستقلاً فيهِ . ونحن ذاكرون الآن سيرة رجل آخر ارتقى جدّهُ من مصاف الجند الى ان صار قائداً عظيماً ثم ملكاً مستقلاً في الوقت الذي نشأ فيهِ محمد علي باشا وهو يوحنا برنادوت الذي صار ملكاً لاسوج

ولد هذا الرجل في جنوبي فرنسا سنة ١٧٦٤ قبلما ولد محمد علي بنحو خمس سنوات وانتظم في الجيش الفرنسوي جنديًّا بسيطاً سنة ١٧٨٠ وانضمَّ الى رجال الثورة الفرنسوية وارتقى في المناصب العسكرية الى ان صار قومندان فرقة سنة ١٧٩٤ وما زال يتدرَّج في الارتقاء الى ان صار مرشالاً سنة ١٨٠٤ وهو اعلى منصب في الجندية ولا بدَّ من انهُ بلغ ذلك المنصب بجدهِ وبسالتهِ لان نبوليون لم يكن ينعم بالمناصب العسكرية جزافاً ولم يكن شديد الميل اليهِ بل كان يغار منهُ لكنهُ كان منصفاً فلم يمسك عنهُ منصباً استحقَّهُ

ولم يكن للملك اسوج وليُّ عهد فاختارهُ مجلس النواب الاسوجي وليًّا لعهدهِ وذلك سنة ١٨١٠ وقبض على ازمة الملك في السنة التالية لان الملك مرض حينئذٍ وهي السنة التي فتك فيها محمد علي بالمماليك واستتبَّ لهُ الملك في القطر المصري . وطلب اليهِ نبوليون ان يعاونهُ بمقاطعة الانكليز تجاريًّا فابى لان ذلك مجحف بمصلحة اسوج المالية ثم اضطرَّ ان ينضمَّ الى خصوم نبوليون ويحاربهُ معهم لكنهُ ابى ان يشن الغارة معهم على فرنسا . ويقال انهُ كان

يطمع في ان يصير عرش فرنسا اليهِ . وتوفي ملك اسوج سنة ١٨١٨ فخلفهُ باسم كارلس الرابع عشر ولقبهُ قومهُ بالملك الصالح الحكيم وهو خير لقب يلقب بهِ الملوك . واستعزَّت مملكة اسوج في عهدهِ فانهُ رقَّاها علماً وزراعة وصناعة وتجارة وتوفي في ٨ مارس سنة ١٨٤٤ . فولد قبل محمد علي بخمس سنوات وتوفي قبلهُ بخمس سنوات فضلاً عن المشابهات المتقدمة وذلك من غرائب الاتفاق

ولما توفي خلفهُ ابنهُ باسم اسكار الاول وتوفي سنة ١٨٥٩ فخلفهُ بكرهُ باسم كارلس الخامس عشر وتوفي من غير عقب فخلفهُ اخوهُ الملك الحالي سنة ١٨٧٢ باسم اسكار الثاني وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول ولم يكن يُظَن ان عرش الملك يصل اليهِ لانهُ لما ولد كان جدهُ لم يزل متربعاً فيهِ فلم يرَبَّ التربية التي تعدهُ للقبض على ازمة الملك بل تُرِكَ الى ميلهِ الطبيعي فاختار البحرية وارتقى فيها رويداً رويداً الى ان صار ملازماً ودرس كل فروعها درساً مدققاً . واستفاد من الاسفار الكثيرة التي سافرها . وهو شاعر مطبوع فقويت مخيلتهُ بما مرَّ امام عينيهِ من الصور الكثيرة وعاد من الاسفار وعمرهُ عشرون سنة فدخل مدرسة ابسالا الجامعة تلميذاً وامتاز في العلوم الرياضية ولكنهُ لم يترك البحرية فارتقى في مناصبها الى ان صار اميرالاً وهو على ذكاء عقلهِ وقوة عارضتهِ انيس المحاضرة طلق المحيَّا فاحبهُ البحارة كلهم من اعلاهم الى ادناهم وكان حبهُ لهم لا يقلُّ عن حبهم لهُ كما يظهر من القصيدة التي نظمها وموضوعها "ذكرى الاسطول الاسوجي" . وكانت اكادمية العلوم الاسوجيَّة قد عينت جائزة لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم هذه القصيدة وبعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت لها واعطتها الجائزة وهي لا تعلم من نظمها

ولما اتمَّ دروسهُ في المدرسة عاد الى البحر وزار مدناً كثيرة وتوفي اخوهُ الثاني حينئذٍ ولم يولد لاخيهِ الاكبر ولد فترجح ان ينتقل الملك اليهِ وطلب منهُ ابوهُ ان يفتش عن اميرة يقترن بها فاختار الاميرة صوفيا ناسو ونظم فيها القصائد الحسان وهي من فضليات النساء وجواهر الملوك . ومرَّت السنون وهو عاكف على دروسهِ العلميَّة والادبيَّة والاهتمام بترقية الحربية والبحرية وهي عاكفة على تربية اولادها وتهذيب اخلاقهم

وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر البليغ ولم يكتفِ ببنات افكارهِ ومولدات قريحتهِ بل ترجم الى لغة اسوج كثيراً من الاشعار النفيسة فزادت بها غنًى على غناها

وتوفي ابوهُ سنة ١٨٥٩ كما تقدم وآل الملك الى اخيهِ الاكبر وكان لا يزال من غير ولد

فصار وليًّا لعهدهِ وتوفي اخوهُ بغتةً سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلتهُ مهامهُ في اول الامر عن النظم والانشاء لكنهُ عاد اليهما سريعاً ولا يزال يعود اليهما كلما سنحت لهُ الفرصة لان القريحة لا تكمُّ ولو بمهام الملك

ومن امثلة نثرهِ المرسل قولهُ في رسالة الى صديق نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر فبراير سنة ١٨٨٩ ما يأتي

"الفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهَّاج. وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجارًا اصفرَّ ورقها وقارب الانتثار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج قضتهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها تجلَّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يمسنَ بجمالهنَّ عجباً ويتهن دلالاً ويتعانقن عناق العشَّاق ويبسطنَ ظلهنَّ الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها بايديها اسفاً وشجناً وكأن لسان حالها يدعو من يمرُّ بها ليقف ويعتبر

أُخيَّ — للانسان ايضاً ربيع وصيف وخريف. الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيّر الصباح مساء والربيع خريفاً. وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاَّ بعد كرور الايام وقد لا تستردها ما لم يمرَّ بها سامري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تضربهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع. انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء بزمهريرهِ تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور يدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دواماً سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

ونحن. نحن الذين تعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما نريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودَّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر ألاَ نرى في ضمائرنا ما يدلُّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة وموت

الشتاء . أَوَليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة . أَلا نرى شيئًا من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أَوَليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا . فعلى مَ نقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابديٌّ دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراهُ في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

والصداقة ألتي تمكَّنت ربطها في هذه الدنيا أَلا تتبعنا الى الاخرى . على مَ لا تزيد عراها وثوقًا واحكامًا

الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور ربطت قلوب الذين يرمون الى غرض واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم . هذه الصداقة لابد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياة دنيا قضيناها في خريف هذا العمر"

والف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الفها لهُ ڤولتر في بلاغة عبارتها وفاقها في البحث وصدق الرواية

ولما توّج ملكاً على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قالهُ اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعارًا لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يأْل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكاً ولذلك ساجعل شعاري !Brödrafolkens Väl فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصدهُ لهما بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ الآن ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما تمناهُ وسعى اليهِ جهدهُ لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيء فتفاقم الخلاف رويدًا رويدًا الى ان انفصمت عُرَى الاتفاق حديثًا . وقد قال في هذا الشان ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الاخر

وكتب هو ومشيروهُ الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ السلام والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغمًا عن ارادتها

وقد نشر الدكتور نَنسن الرحالة النروجي الشهير رسالة ضافية الذيول يجث فيها عن

اسباب الخلاف الذي وقع بين اسوج ونروج وافضى الى التفريق بينهما بعد ان قضتا احدى وتسعين سنة متحدتين اتحادًا وثيق العرى ثابت الاركان . فأيّد رأي قومهِ اهل نروج واستصوب الخطة التي جروا عليها في حل الخلاف ووافق على سعيهم الى انشاء دولة جديدة مستقلة عن الدولة الاسوجية استقلالاً تامًّا ما دامت سبل الاتفاق وعرة يتعذر الوصول الى غاية حميدة معها . وقال ان الاتحاد بين الدولتين لا يكون ثابتًا وطيد الاركان ولا يأول الى المصلحة العمومية الاّ اذا روعي فيهِ استقلال كلٍّ من الفريقين وضمنت لهُ الحريَّة المطلقة في ادارة مصالحهِ والتصرف في شؤُونهِ طبقًا للحقوق المخولة لكل دولة حرة مستقلة . وفي ما خلا ذلك فالاتحاد يجحف بحق فريق لمصلحة فريق آخر فيولد القلق والحذر ويثير الحقد والسخط لان الحر الكريم لا يرضى بالحيف ولا يحتمل الضيم فيبدو النفور ويقع ولا تؤمن العواقب اذا تصدَّع صرح الاتحاد وتداعى الى السقوط . وعليهِ فاما ان تتحد المملكتان اتحادًا ثابتًا وطيدًا على القواعد التي اشرنا اليها واما ان تنفصل الواحدة عن الاخرى على وفاق ووئام وتسير كل منهما في الخطة التي ترى الصلاح فيها

وصدَّر الرسالة بفذلكة تاريخية ذكر فيها مآثر قومهِ سابقًا ولاحقًا فقال ليست نروج من البلدان التي لم تعرف الحضارة الاّ حديثًا ولا وصلت اشعة العلم اليها الاّ اخيرًا . فان النهضة النروجية قديمة العهد والتاريخ يدلنا على ان بلادنا توحدت وتنظمت الاحكام فيها منذ نيف والف سنة وانها كانت في مقدمة البلاد الاوربية حضارة ومكانة منذ سنة ٨٧٢ بدليل الآثار التي دوّنت لنا في التاريخ حين كانت ظلمات الجهل والغباوة لا تزال مخيمة على قسم كبير من البلاد الاوربية ولاسيا الشمالية منها واثار اسوج في تلك الفترة مقصورة على سلسلة ملوك لم يؤْثر عنهم شيء يخلد لهم ذكرًا في اخبار الدول وسير الرجال. على انهُ لما انقرض بيت الملك في نروج سنة ١٣٨٧ اتحدت اسوج مع نروج والدنمارك برئاسة ملك واحد . ثم انفصلت اسوج عنا سنة ١٥٢١ وبقي الاتحاد بيننا وبين الدنمارك حتى سنة ١٨١٤ . على ان كلاًّ من الفريقين كان مستقلاً استقلالاً تامًّا مستأثرًا بادارة جيشهِ وماليتهِ طبقًا لدستورهِ الخصوصي ولم تظهر نروج في مظهر دولة تابعة للدنمارك مطلقًا

وافاض في هذا المعنى مستشهدًا بالحوادث التاريخية ونص المعاهدات والاتفاقات الدولية الى ان قال على ان ملوك اسوج كانوا يطمعون بنروج ويسعون في ضمها الى املاكهم ولكن لم يتأتَّ ذلك الاّ في فاتحة القرن الماضي . فان ملك اسوج عاهد القيصر اسكندر الاول على الانضمام اليهِ لمقاتلة نابليون وشن الغارة على فرنسا على شرط ان تفصل نروج عن

الدنمارك وتضم الى اسوج . فاجابهُ القيصر الى ذلك ووضعت معاهدة كيال التي منحت ملك اسوج — لا اسوج نفسها — ولاية نروج ولم يرد فيها شيء يدل على انهم جعلوا نروج قسماً من اسوج او مقاطعة تابعة لها بل كل موادها تدل على ان نروج تبقى حرة مستقلة وتسير طبقاً لشرائعها وحقوقها وامتيازاتها . ومع ذلك فالنروجيون ابوا ان يوافقوا على ما قضت بهِ تلك المعاهدة لانها أُبرمت بلا مشورتهم فحشد المرشال برنادوت جيشاً قوياً واغار على نروج فهب النروجيون لردهِ والذود عن الديار فرأى بعد اجتيازهِ الحدود النروجية باربعة عشر يوماً انهُ يتعذر عليهِ الاستيلاء على البلاد بالرغم عن اهاليها فنبذ طرق الاكراه وعوَّل على اللين والمجاملة ففاوضهم في الاتحاد مع اسوج على شروط معلومة فاجابوهُ الى ذلك وعقدت معاهدة موس في ١٤ اغسطس سنة ١٨١٤ وهي التي اتخذتها الامتان قاعدة لاتحادها في خلال الاحدى والتسعين سنة الماضية . ومن انعم النظر في تلك المعاهدة يتضح لهُ انها ليست معاهدة بين غالب ومغلوب بل اتفاق بين دولتين متساويتين في الحقوق والامتيازات فان اسوج اعترفت فيها بان نروج دولة مستقلة وانهُ لا بدَّ من رضاها لعقد شروط الاتحاد بين الدولتين والوصول الى الغاية المقصودة منهُ وهي اتحادها في الحرب والسلم . على ان تلك الغاية اصبحت مضمونة باجتماعهما تحت سلطة ملك واحدٍ ومن يقوم مقامهُ اذا حدثت فترة في الملك ونعني بذلك مجلس الامة الاسوجية . وعليهِ بقي لكل من الفريقين حق التصرف المطلق في شؤونهِ ومصالحهِ الخصوصية التي لا تدخل في الاتحاد المشار اليهِ . على انهُ يظهر ان ذلك الاتحاد لم يأتِ بالفوائد المنتظرة فان جو السياسية لم يصفُ تماماً بين البلادين منذ ١٨١٤ الى يومنا هذا

والسبب الاول في ذلك اختلاف البلادين على طريقة ادارة الشؤون الخارجية فانها نيطت بناظر الخارجية الاسوجية ولم يكن لذلك الناظر علاقة بمجلس النواب النروجي فكانت النتيجة ان زمام شؤوننا الخارجية سلم الى رجل ليس في وسعنا ان نطلب منهُ حساباً عن اعمالهِ عند الاقتضاء . ومما زاد النروجيين استياء من تلك الحال ان نروج اكثر تمسكاً بالهيئة الدستورية من اسوج فالاسوجيون لا يزالون يتبعون تقاليدهم القديمة المبنية على مراعاة الطبقات بالنظر الى الاصل والفصل بينما النروجيون يسيرون على المبادئ الديمقراطية الحديثة فما يرضي اسوج لا يرضي نروج على ان الساعين الى التوفيق بين البلادين هوَّنوا الامر علينا اذ جعلوا ناظر الخارجية تابعاً للملك رأساً ولكن الامر لم يلبث على تلك الحال طويلاً فان الدستور الجديد الذي وضع في اسوج سنة ١٨٨٥ حرم الملك ذلك الحق وباتت مصالحنا الخارجية في يد رجل اجنبي لا رابطة لنا بهِ فاستاء النروجيون لذلك استياء شديداً وعدوهُ

اجحافاً باستقلالهم وحقوقهم الدولية لانهُ من المقرر انهُ يجوز لهم عقد معاهدات واتفاقات دولية طبقاً لما تقتضيهِ مصالحهم الاقتصاديَّة بدليل انهم عقدوا معاهدات مختلفة بعضها بالاتفاق مع اسوج حيث اتفقت مصالح الامتين وبعضها بالانفراد عنها حيث تتفق تلك المصالح

اما مسألة القناصل فخلاصتها ان نروج طلبت ان يكون لها قناصل غير قناصل اسوج لرعاية مصالحها التجارية فوافقت اسوج على ذلك مبدئيًّا ولكن نقطة الخلاف كانت في تعيين الرئيس الذي يرجع اولئك القناصل اليهِ ويستمدون سلطتهم منهُ فاصرَّت اسوج على ان يكون مرجعهم الى ناظر الخارجية وابت نروج ذلك قائلة ان ذلك الناظر موظف اسوجي لا علاقة لهُ بالشؤون النروجية فاما ان تعود علاقة ناظر الخارجية بالملك الى ما كانت عليهِ سابقاً واما ان يعين ناظر خارجية ثانٍ لنروج فتعاظم الخلاف واشتدت الازمة الى ان بات الانفصال خير وسيلة لاصلاح الحال وتلافي الشر (انتهت خلاصة الرسالة نقلاً عن المقطم)

والامر واضح ان نروج ودت ان تنفصل عن اسوج برضى الملك لانها طلبت ان يكون احد اولادهِ ملكاً عليها وهو دليل قاطع على حبها لهُ واعترافها بفضلهِ ولما ابى ذلك نقل البرق في حينهِ ان النروجيين يتحدثون باختيار البرنس كارل الدنماركي ملكاً عليهم وهو ثاني اولاد ولي العهد في بلاد الدنمرك ولد سنة ١٨٧٢ واقترن بالبرنسس مود ابنة ملك الانكليز في ٢٢ يوليو فاذا تم ذلك جلست ابنة ملك الانكليز على سرير نروج وجلست ابنة عمها التي اقترنت بالبرنس جوستاف ادولف على سرير اسوج

وقد امتاز حكم هذا الملك العادل بالسعي المتواصل في مصلحة المملكتين فارتقتا زراعة وصناعة وتجارة وعلماً وادباً ولم يذخر وسعاً في البحث عما تحتاج اليهِ رعيتهُ فيطوف في الولايات ويحادث الناس ويتطلب الوقوف على الحقائق . وقد يقف فجأةً في اماكن البوليس يسمع محاكمة الذين أُخذوا في المخالفات . ومن رأيهِ ان الملك مضطرٌّ الى تضحية امياله الشخصيَّة لاجل مصلحة شعبهِ اذا اقتضت ذلك . وهو من اهل التقى والصلاح فلا يصعب عليهِ ان يحرم نفسهُ نفعاً لكي تنالهُ رعيتهُ . وقد وجد في زوجتهِ اكبر معين لهُ ولها اربعة اولاد الاول البرنس غستاف ولي العهد وبكرهُ البرنس غستاف ادولف الذي اقترن حديثاً بابنة اخ ملك الانكليز . والثاني البرنس اسكار برنادوت وقد تنازل عن حقهِ في الملك لكي يقترن بفتاة ليست من الاسرة المالكة . والثالث البرنس كارل . والرابع البرنس اوجين

والملك مثال الفضيلة وظهارة السيرة والمحبة العائلية فوق ما هو ممتاز بهِ من الشهرة العلميَّة والادبيَّة

الفقر في بلاد الغنى

مهما يقل عن فقر العامل والفلاح في هذا القطر فانهُ لا يبلغ فقرها في بعض الممالك التي يعدُّ اهلها في طليعة الامم غنى وجاهاً . ولا تشتد بهما الحاجة ولا يعضهما الجوع بنابهِ فيميتهما تضورًا او يحملهما على فعل ما فعل العمال في لندن عاصمة العواصم واعظم مدن الارض غنى واكثرها سكاناً . فقد ضاق باب الرزق في وجه الوف من العمال هناك هذه الايام فخرجوا الى الشوارع يحملون ادواتهم بايديهم و يسوقون نساءهم واولادهم امامهم سوق الانعام لعلَّ اولي الامر ينظرون ما صاروا اليهِ من الذل والفاقة فتأخذهم الشفقة عليهم و يرثوا لبلواهم ويخففوا الضيم عنهم

فاهتمت الحكومة بامرهم ووضعت مشروع قانون سمتهُ قانون الذين لا عمل لهم وعرضتهُ على مجلس النواب ليصادق عليهِ وينفذهُ . ولكن حدث ما أَخر المصادقة عليهِ فاجتمع سبع مئة امراة انكليزية زوجات سبع مئة عامل وقصدن مجلس النواب ليقابلن رئيس الوزارة ويطلبن التعجيل في تنفيذ القانون المشار اليهِ . وكان كثيرات منهنَّ لابسات ملابس رثة وحاملات اطفالهنَّ على ايديهنَّ فلما بلغن المجلس استقبلهنَّ عضوان من اعضائهِ وابلغا المستر بلفور رئيس الوزارة امرهنَّ فطلب ادخالهنَّ اليهِ فدخلن وكنَّ قد عيَّنَّ امراة لمخاطبتهِ بالاصالة عن نفسها والنيابة عنهنَّ فقرأَت امامهُ عريضة طلبت فيها ان يصادق على القانون برمتهِ . ثم قالت وقد أُخبرنا ان المجلس ينصرف بالاجازة في ١٢ اغسطس وليس قصدنا الآن لوم اعضائهِ ولكننا نقول بكل احترام ان حالتنا نحن واولادنا والوف مثلنا في طول البلاد وعرضها لا تقلُّ في اهميتها عن اهمية الاجازة لهم

فاجابهنَّ جواباً قصيرًا مآلهُ ان الحكومة تبذل اقصى المجهود لحمل المجلس على المصادقة على القانون . لانهُ يعلم مقدار ما هناك من الضيم والشقاء

فقالت مسز تيلر (اسم المرأة التي انتدبت للكلام عن اخواتها) لست اظنك عالماً بكل ما حلَّ بنا . فاجاب ان كنت لا اعلمهُ كلهُ فاني اعلم بعضهُ . ثم أُبلغ النساء ان مدة المقابلة انتهت . وقابل الوفد السر هنري كمبل بنرمن زعيم الاحرار والمستر ردمند زعيم الارلنديين فطيبا خواطرهنَّ ووعداهنَّ انهما هما وحزبهما لا يعارضون في تنفيذ القانون

اما القانون المشار اليهِ فغايتهُ تكفُّل الحكومة بتدبير اعمال للعمال حينما يضطرون الى العطلة

نلسن ووقعة طرف الغار

اخبار الحرب في الشرق الاقصى اليوم وخصوصاً ما يأتيهِ اليابانيون فيها من الشدة والبأس مع الدهاء والتجربة المنجزة تجيل في الخيال صور الماضين من العظام حتى يتراءى للمرء ان ارواحهم تناسخت فظهروا اليوم باسم كروكي وطوغو وغيرهما . وقد اذكرني هذا البحري الياباني زميلهُ نلسن الانكليزي ووقعة طرف الغار فاحببت ان اذكرها لقراء المقتطف الاغر والشيء بالشيء يذكر

ولد نلسن في نورفوك من البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٥٨ وكان يميل الى اقتحام الامور العظيمة منذ نعومة اظفارهِ فطلب العيشة البحرية ودخل الاسطول سنة ١٧٧٠ فخدم الخدم الطيبة وامتاز بالابداع والهمة خصوصاً جرأة الصدر ساعة المخاوف والمعاطب حتى قال عنهُ الملك وليم الرابع انهُ " ربان صبي مع حماسة تدل على انهُ فوق المعتاد من الرجال " . ولما نشبت الحرب بين الانكليز والافرنسيس سنة ١٧٩٣ رأس نلسن اسطولاً صغيرًا وأرسل الى البحر المتوسط ومع ان سفينتهُ كانت من احط سفن الاسطول اظهر من الجرأة والكمال في الصناعة البحرية ما جذب الأنظار نحوهُ وجعلهُ محط الآمال . وقد كان لهُ الفضل الاعظم في حصار (باستيا) وتسليمها . ثم ان الدولة الاسبانية بعد اتحادها بالدولة الافرنسية شهرت الحرب على البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٩٦ فالتقى اسطولاهما الواحد بالآخر اتفاقاً قرب رأس سنت فنسنت وكان الاسطول الاسباني مؤلفاً من سبع وعشرين سفينة والاسطول الانكليزي من خمس عشرة فخرق امير البحر الانكليزي السر جون جرفس خط العدو وقطع منهُ تسع سفن فحاول امير البحر الاسباني رتق الفتق بدورانهِ حول مقدمة اسطولهِ ليتصل بما انفك عنهُ الَّا أن نلسن ساق سفينتهُ من مركزهِ في مؤخر الاسطول على رغم من رئيسهِ امير البحر وقطع على العدو سبيلهُ فاحبط مسعاهُ وكسرهُ شر كسرة ولولا ذلك لما فاز الانكليز بامنيتهم في الغالب وسُمع ينادي عسكرهُ في وطيس هذه الوقعة الهائلة " اما مقبرة وستمنستر واما الظفر " وكوفئ بعدها برتبة امارة البحر ولم يؤاخذ بخلع طاعة رئيسهِ السر جون جرفس

وقاد بونابرت قرب ذلك الزمن اسطولاً الى مصر ليهدد الانكليز بالتعرض لشؤون الهند فهاجمهُ نلسن عند ابي قير في ايار (مايو) سنة ١٧٩٨ وكانت النتيجة ان الاسطول الافرنسي

وهو مؤلف من ثلث عشرة سفينة لم ينجُ منهُ الاَّ سفينتان فقط على ان سفنهُ كانت اعظم من السفن الانكليزية

وقد اقرت الدول العظمى لانكلترا بالسيادة البحرية منذ وقعة ابي قير هذه وكان الفضل الاعظم فيها لبراعة نلسن واقتدارهِ

ثم انهُ رأى ان نابليون يعد اسطولاً جديداً سنة ١٨٠١ لمهاجمة السواحل الانكليزية فهاجمهُ قبل ان يتم مشروعهُ وعقد معهُ معاهدة اميان التي بلغ بها من المكانة في قلوب الانكليز انهم صاروا يقرون لهُ بالرئاسة في البحرية الانكليزية

ومما ينتقد عليهِ في هذه الاثناء صحبتهُ امرأة السير وليم هاملتن التي اشتهرت بجمالها فلم يقدر على اخفاء ما يكنُّ لها لان الجنس اللطيف — وخصوصاً من كان مثل محبوبتهِ — كان يفعل بهِ ولا فعل الطلسمات المسطرة في كتب الاوائل فعانى منها التعب وجرت عليهِ صحبتها بعض القلاقل حتى اضطر ان يطلق امرأتهُ

لكن ذلك لم ينقص من قدرهِ شيئاً عند تجدد الحرب سنة ١٨٠٣ فانهُ رأس العمارة في البحر المتوسط فرسا قرب طولون وحصر الاسطول الافرنسي داخل المرفإ سنتين على ان اضطراب الجو وسعي العدو في الهرب وطول زمن الحصار مما لا يثبت عليهِ الاَّ امثال نلسن . وكان نابليون في هذه الاثناء يجيش الجيوش ويجمع الاساطيل قرب بولونيا لشن الغارة على البلاد الانكليزيَّة فأفلت الاسطول الافرنسي من حصارهِ في اواخر آذار (مارس) سنة ١٨٠٥ وقصد اميرهُ المسيو ڤيلنوف جمع اسطول اسباني وقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي الى جزر الأنتيل ثم الرجوع الى الشطوط الاوربية لانتياش ما بقي من الاساطيل الافرنسية تحت الحصار ثم الوصول الى بولونيا للاتحاد بنابليون . اما نلسن فانهُ تعقبهُ لكن عاقهُ عن اللحاق بهِ تفتيشهُ عنهُ في اميركا الجنوبية وغيرها وقيام الاعاصير في سبيلهِ فارسل بعض السفن الخفيفة لتخبر امارة البحر الانكليزية بتقدم اسطول العدو نحو شطوط اوربا فبعثت هذه من اضطرهُ ان يلتجئ الى فرول . اما نلسن فانهُ لما خفي عنهُ موقع ڤيلنوف وقارب الشطوط الاوربية ذهب الى بلاد الانكليز فانتهز ڤيلنوف الفرصة وفر من فرول الى قادش في الجنوب مخالفاً مقاصد رئيسهِ نابليون فلما أُشعرت البحرية الانكليزية بالامر جعلت نلسن رئيساً على اسطول كبير وارسلت معهُ امير البحر كولنغود ليهاجما العدو في ملجإهِ فجرت هنالك وقعة طرف الغار الشهيرة شطر موضوعنا وهاك خلاصتها مأخوذة عن سوثي واوكنور مورس وغيرها

وقعة طرف الغار

في الرابع عشر من ايلول باكرًا رجع نلسن الى بورتسموث وبعد ما قضى بعض الشؤون على الشاطئ سعى في الوصول الى البحر بطريق معزولة لعلهُ يتخلص من زحمة جمهور المودعين غير انهُ وقفت في طريقهِ عصابة منهم كانت تتقدم الى الامام لتلمح وجههُ وكثير منها كان يغسل خديهِ بماء عيونهِ ويضرع الى الله طالبًا لهُ البركة

كان لانكلترا عدد من الابطال كبير لكنها لم يكن لها احد بلغ بهِ حب بني ملتهِ ما بلغ حب نلسن لهم وكلهم كانوا يعلمون ان قلبهُ مفعم بالرأفة والانسانية كما هو خالٍ من شوائب الخوف وانهُ لم يكن في فطرتهِ اقل صبغة انانية او طمع بل انهُ خدم بلادهُ بكل ما في وسعهِ بقلبهِ وروحهِ وقوتهِ مع الغيرة الخالصة والجنان الثابت لذلك كانوا يحبونهُ بصدق واخلاص كما كان يحب بلاد الانكليز

وبعد ما قطع نلسن في البحر شوطًا بعيدًا وقارب قادش وعلم ان ڤيلنوڤ لا يخرج الى عرض البحر ما دامت قوة الانكليز تقارب قوتهُ امر ثمانيًا من سفنهِ ان تختفي عن العيان ليستدرج عدوهُ ويستفزهُ الى الحرب فجازت عليهِ الحيلة وعند طلوع الفجر شوهد الاسطول الافرنسي مع حليفهِ الاسطول الاسباني من ظهر سفينة "ڤكتري" سفينة نلسن على شكل خطين متوازيين وكان الاسطول الانكليزي مؤلفًا من سبع وعشرين سفينة واربع بوارج واسطول العدو من ثلاث وثلاثين سفينة وسبع بوارج كبيرة وافضليتهُ من جهة الكبر والضخامة اكثر مما هي من جهة العدد وقد حملت سفنهم من العساكر نحو اربعة آلاف شرذمة نخبة من رماة بالبنادق

اما نلسن فانهُ صعد الى ظهر سفينتهِ بعد الشروق تمامًا وكان هذا اليوم (اليوم الحادي والعشرون من اكتوبر) يوم عيدٍ في اسرتهِ لان عمهُ قهر في مثلهِ اسطولاً افرنسيًا اكبر من اسطولهِ . وكان نلسن يتفاءل بهِ ويظن انهُ يكون يوم مجالهِ ايضًا وامثال هذه الخرافات قلما يخلو منها احد تمامًا

وكان الهواء حينئذٍ نسيمًا خفيفًا مع هباتٍ شديدة تهب من الغرب . وقد اشير الى الاسطول بالحملة على العدو بخطين فرفعت الاشرعة وكان كولنغود على امرة خط الوقاية (المقابل لجانب مهب الريح) ومعهُ اربع عشرة سفينة ونلسن على خط الريح ومعهُ خمس عشرة سفينة ولما راى هذا ان الامور طبق مرغوبهِ ذهب الى مقصورتهِ وكتب الدعاء الآتي : —

" يا الهًا عظيمًا اعبدهُ تعطف بالنصر على بلادي وعلى مصلحة اوربا عمومًا وليكن هذا

النصر المنتظر خالياً من اقل سوء تصرف يشوبهُ ولتكن الانسانية بعدهُ سائدة في الاسطول البريطاني اما انا فانني اسلم نفسي للذي خلقني ولتهبط بركاتهُ على اجتهادي في خدمة بلادي ولهُ افوض امري والامر العادل الذي خولتهُ لا حمية . آمين"

ثم صعد بلاكوود الى سفينة " فكتري " نحو الساعة السادسة فسألهُ نلسن بعد ما شام مخايل الخير وتوسم حسن المنقلب ووطد نفسهُ على اسر عشرين سفينة على الاقل وان كان العدو منيعاً "هل يوجد في الاسطول البريطاني نقص في الاشارات الحربية " فقال بلاكوود انهُ يظهر لهُ ان الاسطول يفهم موقعهُ فهماً واضحاً وما كاد يتم جملتهُ هذه حتى اشار نلسن الى الاسطول باشارة نهائية ستخلدها الايام ما خلدت لغة الانكليز او ذكرهم وتلك الاشارة عبارتهُ المأثورة "ان بلاد الانكليز تتوقع من كل رجل قيامهُ بواجبهِ" فاجاب الاسطول هذه الاشارة بهتاف شديد . ذكر المؤرخون ان فيلنوف قال لما سمع هذه الجلبة الانكليزية " هلكنا وقضي الامر " قال نلسن " الآن لا اقدر ان اقوم باكثر مما فعلت . يجب علينا ان نفوض امورنا وحجتنا العادلة لمجري الامور جلَّ وعلا واني اشكرهُ على هذه الفرصة العظيمة فرصة القيام بالواجب "

ولبس في ذلك اليوم لباسهُ الرسمي كالمعتاد وعلى صدرهِ عن اليسار اربعة اوسمة احرزها وقد تطيَّر ضباطهُ منها لانها تجعلهُ شحمة الآكل وغرض الرامي خصوصاً لما كانوا يعلمون من وجود احسن الرماة بالبنادق في الاسطول الافرنسي . فبث بعضهم لبعض خوفهُ وودوا لو يقنعهُ احد بتغيير لباسهِ لكنهم علموا ان مثل هذا الكلام يثير غضبهُ . ففي احد مواقعهِ الغابرة لما اشير عليهِ بمثلهِ قال " بالشرف احرزتها وبالشرف اموت معها "

وكانت خطة نلسن ان يقطع خط العدو من نقطتين لان ذلك يكون احسن مغبة واشد تأثيراً مما لو قطعهُ من نقطة واحدة ما دام عدد الاساطيل المحاربة كبيراً وقدَّم مراكبهُ الى الشمال ليقطع على العدو خط الانفلات الى قادش ومن ثم كان كولنغود مفتاح الحرب وقد اعجب بهِ نلسن وغبطهُ على انهُ السابق في معمعان هذه الموقعة

ثم صوَّب العدو مدفعاً مفرداً على سفينة فكتري وبقي يطلقهُ حتى راى انهُ خرق شراعها الاوسط ثم صوَّب عليها مدافعهُ الجانبية مخصصاً منها حبال صواريها لعلهُ يعطلها قبل ان تلتحم بهِ وقد رفع نلسن اعلاماً عديدة كالعادة حتى اذا اتلف واحد منها يقوم مقامهُ غيرهُ اما العدو فانهُ اخفى اعلامهُ

وفي الاثناء اتجهت سفينة فكتري نحو احدى السفن الافرنسية الكبيرة فكانت النيران

الجارفة تنزل عليها متوالية وكان كاتب الاميرال من اول فريساتها اصابتهُ قنبلة وهو يحادث مع هاردي الربان فاختطفتهُ من بين اصحابهِ وصيرتهُ الى اعمالهِ . ثم اصابت قنبلة أُخرى جماعة من البحارة قتلت منهم ثمانية فطلب نلسن من الربان ان يفرق رجالهُ في السفينة

وبعد بضع دقائق اصابت رمية نارية العمودين اللذين تربط بهما اطراف عوارض الصاري في مؤخر السفينة ومرت بين نلسن وهاردي واصابت شظية من العمودين الثاني فرضت رجلهُ فوقف كلٌّ منهما يتأمل صاحبهُ وقد ظنَّ انهُ جرح فتبسم نلسن وقال " بلغت الشدة بهذا العمل يا هاردي انهُ لا يدوم طويلاً "

اما سفينة ڤكتري فانها ما ردت على عدوها حتى ذاك الحين شرارة من شراراتهِ على ان خمسين من بحارتها اضحوا بين قتيل وجريح وصاريها المقدم انقضَّ مع اشرعتهِ واقطابهِ وقد صرَّح نلسن انهُ ما رأى في كل ما مرَّ عليهِ من العظائم شيئاً يفوق هذه الشجاعة الهادئة شجاعة بحارتهِ في هذا الحادث المدلهم . وبعد الظهر بهنيهة اطلقت ڤكتري نيرانها على العدو من جانبها

وكان يستحيل على نلسن خرق خط العدو ما لم يستولِ على سفينة من سفنهِ فامر مدير سفينتهِ ان يديرها نحو سفينة للاعداء كبيرة تدعى ردوتابل (هائلة) فاصلتها هذه ناراً حامية صبتها عليها صبة واحدة ثم اغلقت كوات مدافعها فجأة خشية ان يدخل منها الانكليز ومنذ ذلك الحين لم يسمع لها طلق واحد من العيارات الضخمة

ويذكر القارئ ان قسماً من دعاء نلسن كان ان يمتاز الاسطول البريطاني بالانسانية في النصر المنتظر ولكي يعطي لذلك مثالاً بنفسهِ ويعلم مكارم الاخلاق اعطى الاوامر مرتين باماطة الاذى والكف عن الردوتابل لانهُ ظنها سلمت ولم يكن لديهِ شيءٌ آخر غير سكوتها يثبت لهُ امر التسليم لانها لم يكن لها راية وقد جاءهُ القضاء وعاجلهُ حمامهُ منها بعد ما حماها مرتين . فان قنبلة اطلقت من قلعة صاريها المؤخر اصابتهُ في كتفهِ اليسرى فوق رباطهِ العسكري على بعد خمسة عشر يرداً فانكب على وجههِ في البقعة التي تلطخت بدم كاتبهِ

وكان هاردي على بعد بضع خطوات منهُ ولما التفت اليهِ وجد ثلاثة رجال يحملونهُ فقال نلسن " قد وقعت انا ايضاً يا هاردي " فقال " ارجو ان لا يكون ذلك " فاجابهُ " نعم ان سلسلتي الفقرية اخترقت " ولم يغب وعيهُ حتى ذلك الحين لحظة واحدة ولاحظ وهم ينزلونهُ على السلم ان حبل الدفة الذي كان اتلف لم يغير فامر بتجديدهِ . ثم غطى وجههُ واوسمتهُ بمنديلهِ كيلا تراهُ البحارة

وكان مستشفى السفينة طافياً بالجرحى والمحتضرين فلما نقلوا نلسن اليهِ لاقوا منهم بعض

الصعوبة . ثم انهم وضعوهُ في محل المنامة الاوسط وقد تبين بعد ذلك ان الضربة قاضية فأُخفي هذا عن الكل الاَّ هاردي وقسيس السفينة والمطببين . وقد تحقق هو من الشعور الذي حدث في ظهرهِ ومن اندفاق الدم في صدرهِ ان لا اعتناء ولا تطبب يجديانهِ نفعاً فامر الجراح ان يفارقهُ الى من يرجى لهُ النفع منهُ وكان كل ما يمكنهم عملهُ ان يروحوهُ بقطع الورق و يسقوهُ كوبات من شراب الليمون ليطفئ ظمأهُ الشديد

وكان وجعهُ شديداً جدًّا وقد اظهر اهتمامهُ بماجريات الحرب التي ابتدأَت تنكشف وكانت بحارة فكتري تهتف كلما سلمت سفينة من سفن الاعداء وكان لكل هتاف اثر استبشار في وجه البطل المحتضر يومض في عينيهِ

وبعد ساعة وعشر دقائق من جرح نلسن عاد اليهِ هاردي فتصافحا ساكتين وحاول هذا ان يتغلب على شعورهِ في مثل هذه الساعة المؤلمة لكنهُ عبثاً يحاول . قال لهُ نلسن "كيف حال الاقدار معنا اليوم" فاجابهُ جيدة جدًّا . قد سلَّمت عشر سفن وغيرت طريقها خمس من مقدمة الاسطول تريد الحملة على سفينتك وقد دعوت اثنتين او ثلاثاً من سفننا لردها ولا اشك انني اسحقها" فقال نلسن "ارجو لك ذلك" .وسأَلهُ هل سلمت سفينة من السفن الانكليزية فاجابهُ "لا خوف من هذا الامر"

ثم تكلم نلسن في نفسهِ وقال "اصبحت ميتاً يا هاردي وسينتهي بي الامر قريباً" . فاظهر هاردي املهُ ان يكون عند الجراح امل بالبقاء فاجاب نلسن "كلا هذا يستحيل لان ظهري خرق وسيخبرك الجراح بهِ" ثم صافحهُ هاردي مرة ثانية وفارقهُ الى ظهر السفينة بقلب يكاد يمزقهُ الاسى

وفي اثناء ذلك فقد نلسن كل شعور مما دون صدرهِ من جسمهِ وبعد ما اخبر الجراح بهِ قال لهُ "انت تعلم انني مضيت الى سبيلي وانا اعلمهُ واني اشعر بشيءٍ يصعد في صدري (واضعاً يدهُ على يسارهِ) يدلني" ولما سأَلهُ الجراح عن المهِ اجابهُ "بلغ بي الالم انني افضل لو كنت ميتاً لكن الرجل في موقفنا (بصوت اخف) يود لو يمتد اجلهُ هنيهة اطول"

وبعد ان غاب الربان هاردي عن المستشفى خمسين دقيقة عاد اليهِ وصافحهُ مرة ثانية وهنأَهُ بالنصر التام على الاعداء واخبرهُ انهُ يجهل عدد السفن التي سلمت لكنها على الاقل اربع عشرة او خمس عشرة فقال نلسن "حسن ولكني سمتُ العشرين" . ثم قال بصوت اشد "القِ المراسي يا هاردي القها" فاشار اليهِ ان الاميرال كولنغود يأْخذ ادارة الامور على نفسهِ فقال "لا يكن ذلك وانا حي . القِ المراسي القها"

ثم دعا اليهِ هاردي وقال لهُ بصوت منخفض " لا تقذف بي من السفينة " واظهر رغبتهُ في ان يقبر قرب والديهِ ما لم يرَ الملك خلاف ذلك. ثم عاد الى الخصوصيات فقال " قبلني يا هاردي " فانحنى عليهِ وقبلهُ من خدهِ فقال نلسن " الآن قد اكتفيت اني اشكر الله على قيامي بواجبي " فوقف هاردي فوقهُ دقيقة او دقيقتين لا ينبس ببنت شفة ثم انحنى عليهِ وقبلهُ مرة ثانية وفارقهُ فراقًا لا لقاء بعدهُ

وأحب نلسن الآن ان يقلب ذات اليمين وقال " ليتني لم اترك ظهر السفينة لأن الامر سينتهي بي قريبًا " وكان الموت يقترب منهُ مسرعًا واصبح لفظهُ ثقيلاً لكنهُ سُمع يقول بوضوح " اشكر الله قد قمت بواجبي " وبقي يردد هذه الجملة حتى كانت اخر كلامهِ وفارق دنياهُ في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين اي بعد ثلاث ساعات وربع من اصابتهِ

وكان قد سقط بعد جرح نلسن بنحو ربع ساعة ما ينيف على الخمسين من عسكر فكتري ببنادق العدو ولم يمضِ طويل حتى لم يبقَ على صاري الردوتابل المؤخر غير اثنين فقط احدهما قاتل نلسن لكنهُ لم تطل حياتهُ ليفتخر بفعلتهِ فان ضابطًا انكليزيًا مسنًا عرفهُ من قبعتهِ فدلَّ عليهِ من قتلهُ وهو يطلق النار والثاني قتل وهو يحاول النزول الى السفينة . ولما سلمت الردوتابل وُجد قاتل نلسن ملقى على قلعة الصاري وقد اصابتهُ رصاصة في صدرهِ واخرى في رأسهِ . اما خسائر الانكليز في وقعة طرف الغار فقد بلغت الفًا وخمس مائة وسبعة وثمانين رجلاً وسلم العدو فيها عشرين سفينة لكنهُ كان يستحيل على الاسطول القاء المراسي كما اشار اليهِ نلسن فإن عاصفة هبت من الجنوب الغربي غرق بسببها بعض المسلوبات والبعض الآخر ذهب الى الشاطىء والبعض اتلف وواحدة افلتت الى قادش ولم يسلم للانكليز الا اربع سفن بعد الجهد

وكانت وفاة نلسن اشد تأثيرًا على الامة الانكليزية من فاجعة عمومية فان الناس ارتاعت عند سماعها واصفرت وجوهها كأنها فقدت صديقًا حميمًا وبلغ ما عملهُ نلسن من الاتقان ان الحرب البحرية بعد طرف الغار عدت منتهية وان بحر المانش الذي كان يسميهِ نبوليون " خندقًا رطبًا " بات سدًا منيعًا يزري بسد الاسكندر الكبير

دمشق عبد الرحمن شهبندر

ايضاحات لُغوية

الايضاح الثالث

في ان اللغويين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد

من تصفح كتب اللغة رأى ان اللغويين الاولين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد . وهنذا اسوق اليك ادلةً من كلامهم مما رواهُ صاحب اللسان والجوهري والزبيدي والفيروزابادي تثبت لك صحة ما اقول (١) جاء في اللسان (الملاَّح) حمضة مثل القلام فيهِ حموة يؤكل مع اللبن و (٢) قال ابن بري (النيتون) شجرة خبيثة منتنة وقال ابو عبيدة (النيتون) شجر منتن و (٣) قال ابن شميل (الاراك) شجرة طويلة خضراء ناعمة الورق وفي اللسان (الاراك) شجر معروف و (٤) في اللسان (الهيتم) شجرة من شجر الحمض جعدة و (٥) (الهفَّة) السحاب لا ماء فيهِ وفي القاموس (سحابة هفية) لا ماء فيها و (٦) قال في الصحاح (النُّعَرة) مثال هُمَزة . ذباب ضخم ازرق العين اخضر وقال ابن منظور (النعر) ذباب ازرق يدخل في انوف الحمير والخيل . وقال الاحمر (النعرة) ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها و (٧) (الخورَم) صخور لها فروق الواحدة خورمة و (٨) (الدمث) السهول من الارض و (٩) (الزارَّة) الذبابة الشعراء وفي بعض النسخ الذباب ومثلهُ في التكملة و (١٠) في التكملة ايضاً (الشرْجبان) شجرة مشعانة وقال ابن الاعرابي (الشرْجبانة) بالضم وقد تفتح شجرة مشعانَّة و (١١) في اللسان والتاج (الرَشأ) شجرة تسمو فوق القامة . وعشبة الواحدة رَشأة و (١٢) في الصحاح (الحنتم) الجرَّة الخضراء وفي اللسان (الحنتم) جرار خضر تضرب الى الحمرة الواحدة حنتمة و (١٣) في التهذيب للازهري (عناقيُّ الحليّ) ثمرتهُ اذا ابيضَّت ويبست و (١٤) (الحبن) شجرة الدفلى و (١٥) (الطلح) شجرة الخ عن ابن شميل . قلت الاولى ان يُفسَّر اسم الجنس بمثلهِ مراعاةً للمطابقة على ان اللغويين الاولين ما كانوا ليستعملوا الوجهين الاَّ وهم على بينةٍ من صحة كل منهما فتفسير اسم الجنس بالواحد وبعبارة اخرى تفسير الجمع بالمفرد انما هو باعتبار ان اسم الجنس يطلق على الواحد اتساعاً فيكون من ثمة من باب تفسير المفرد بمفرد مثلهِ . وعلى هذا خرجهُ ابن جني وقال هذا كما في خرجت فاذا السبع

غير ان الذين انتقدوا القاموس لم يحفلوا بهذا التخريج أو لم يخطر لهم على بالٍ وعندي انهُ

كلما استطعنا اقامة دليل على جواز صورةٍ من صور التعبير نكون كمن وهب الكاتب هبةً تخرجهُ من الشدة وتنقلهُ من الضيق الى السعة

الايضاح الرابع

في اختلاف اللغويين في الاطلاق والتقييد

اكثر ما ينشأ هذا الاختلاف عن التدقيق والتسامح فمن دقّق النظر قيّد ومن تسامح أطلق ثم جاء المتأخرون فمن اطّلع منهم على كلام اهل التدقيق رواهُ كما رآهُ ومَن لم يظفر الّا بكلام المتسامحين نقلهُ كما وجدهُ . واما من ظفر بكتب الفريقين فلا مراء انهُ يختار تفسير المدقّقين

واعلم ان هذا التقييد قد يكون راجعاً الى معنى الحرف . وقد يكون راجعاً الى انهُ لغة قبيلة . او الى انهُ غير ثبت كما ترى فيما أُروي لك من الامثلة المنقولة عن كتبهم

قال المجد والفيومي في مادة (ش ح ن) الشحْناء : العداوة وقال الراغب في مفرداتهِ الشحناء : عداوة تملأُ النفس

وقال المجد في مادة (ا ر ز) الأَريز : اليوم البارد وقال ابن منظور . يوم أَريزٌ : شديد البرد . وقال المجد في مادة (ع ص م) العصام : الكحل وقال بعضهم العصام : الكحل في بعض اللغات

وفي مادة (ك د م) من القاموس الكَدَمة : الحركة : وفي اللسان الكَدَمة : الحركة عن كِراع . وليست بصحيحة

وفي مادة (ع ض ب ل) من القاموس العضبل : الصلب وزاد الشارح " حكاهُ ابن دريد عن اللحياني وقال ليس بثبتٍ "

وفي مادة (ق ف ع) من القاموس . القُفّاعة . بالضم : شيء يتخذ من جريد النخل ثم يُغدَف بهِ على الطائر فيصاد

وزاد الشارح قال ابن دريد هي كلمة عراقيَّة ولا احسبها عربية

وفي مادة (ف ر ع) من القاموس أُفرِع بسيد بني فلان بالضمّ : اخذوهُ وفي اللسان افرع بسيد بني فلان : أُخذ فقُتِل . وفي الاساس في مادة (ف ر ق فرَق لي الطريقُ فروقاً وانفرقَ انفراقاً : اتّجه لك طريقان واستبان ما يجب سلوكهُ منهما . وفي اللسان والصحاح والقاموس فرَقَ لهُ الطريقُ : اتّجه لهُ طريقان

وفي مادة (ب خ ت) من القاموس البخيت المحظوظ . وزاد في اللسان قال ابن دريد ولا احسبها فصيحةً

وفي مادة (و ب ر) قال الصاغاني الوبار: شجرة حامضة تكون بتبالة . وفي القاموس شجرة حامضة شاكةٌ تكون بتبالة . قال في التاريخ " نقلهُ الصاغاني ولم يقل شاكةً وكأَنَّ المصنف زادهُ لبيان التسمية كأَنَّ شوكها الصغير مثل الوبر . وتبالة ارض معروفة "

الايضاح الخامس

في التوجيهات اللغويَّة

اعلم ان مدار التوجيهات اللغويَّة على الاشتقاق او المجاز اوالقلب او الإبدال . فمن التوجيهات المبنية على الاشتقاق (١) ما جاء في مادَّة (ان س) من اللسان قيل للانس إنس لأَنهم يبصَرون كما قيل للجنّ جنٌّ لانهم لا يؤْنسون اي لا يبصَرون

و (٢) ما جاء في مادَّة (اوب) من التاج الأَوْب النحل قال ابو حنيفة سميت أَوبًا لا يابها الى المباءة

و (٣) ما جاء في مادة (ش ب ك) الشبك محركةً اسنان المشط لتقاربها و(٤) ما ورد في مادَّة (ان ي) من اللسان الإِناء الذي يرتفق بهِ وهو مشتقٌّ من ذلك (اي من الإِنى بمعنى النضج والادراك) لانهُ قد بلغ أَن يعتمل بما يعاني بهِ من طبخ او خرز او نجارة

و (٥) ما ورد في مادَّة (ه ل ل) الهلال سمي هلالاً لأَن الناس يرفعون اصواتهم بالاخبار عنهُ

و (٦) ما ورد في مادَّة (ه و س) الهوْس المشي الذي يعتمد فيهِ صاحبهُ على الارض اعتمادًا شديدًا ومنهُ سمي الأَسد الهوَّاس

و (٧) ما ذكرهُ الراغب في مادَّة (س ر ر) في مفرداتهِ وهو قولهُ السرير ما يجلس عليهِ من السرور اذ كان ذلك لأُولي النعمة وسرير الميت تشبيهًا لهُ في الصورة

و (٨) ما قالهُ ابن منظور في مادَّة (وزر) في اللسان الوزير في اللغة اشتقاقهُ من الوَزَر . والوزر الجبل الذي يعتصم بهِ لينجي من الهلاك وكذلك وزير الخليفة الذي يعتمد على رأْيهِ في اموره ويلتجئُ اليهِ . وقيل قيل لوزير السلطان وزير لانهُ يزرعن السلطان اثقال ما اسند اليهِ من تدبير المملكة اي يحمل ذلك وفي الصحاح الوزير الموازر كالأَكيل المواكل لانهُ يحمل عنهُ وزرهُ اي ثقلهُ

و (٩) ما جاء في مادَّة (س رد) من اللسان ونصهُ السرْد اسم جامع للدروع وسائر الحلق . سمي مَسْرَدًا لانهُ يسرَد فيثقب طرفا كل حلقةٍ بسمار

و (١٠) ما ورد في مادة (و ز ع) الاوزاع بطون من حِمْيَرَ . سمُّوا بهذا لأنهم تفرَّقوا

و (١١) ما جاء في اللسان في مادة (ع ف ر) العِفِرناة اما ان يكون من العفَر الذي هو التراب . واما يكون من العفْر الذي هو الاحتفار . واما ان يكون من القوَّة والجلد

و (١٢) قول صاحب اللسان في مادة (ا م م) المؤَامّ بتشديد الميم المقارب . أُخذ من الأَمّ وهو القرب يقال هذا امرٌ مؤَامّ

و (١٣) قول صاحب اللسان ايضاً في مادة (ص د ي) فلان يتصدَّى لفلان مأخوذ من اتّباعهِ صَداهُ اي صوتهُ

و (١٤) قول صاحب التاج في مادة (ح و ل) الحول السنة اعتبارًا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها

و (١٥) قول صاحب اللسان في مادة (ث غ ر) ومنهُ قيل للموضع الذي تخاف ان يأتيك العدو منهُ في جبل او حصن ثغر لانثلامهِ وامكان دخول العدو منهُ

و (١٦) ما ورد في مادة (ح ط م) سميت النار الحطمة لانها تحطم كل شيء

سعيد الخوري الشرتوني

بين روسيا واليابان

عقد الصلح والغرامة

كتب احد كبار الكتاب مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة قال فيها ما خلاصتهُ

لا تمضي بضعة اسابيع من كتابة هذه السطور حتى تبيت روسيا ولا قِبَل لها بالاستمرار على الحرب وماذا تفعل حينئذٍ أَتعقد الصلح ام تخلي منشوريا وشرقيّ سيبيريا وتسترجع بقية جيشها الى اركتسك كما تهددت وتوعدت ان تفعل واذا عقد مؤتمر الصلح فماذا يكون سلوك روسيا فيهِ وماذا تكون مطالب اليابان . ومتى يسوَّى بين الخصمين وكيف تكون التسوية وما تكون نتائجها . هل يعقب الحرب الحاضرة سلسلة حروب طويلة بين روسيا واليابان

لا تنقطع لها حلقة وتبقى منشوريا عظمة الخلاف بينهما قروناً طوالاً وارضها ساحة للقتال والجلاد وتطاعن الاقران

هذه اهمُّ المسائل التي تسأل في الاندية السياسية الآن بل ربما كانت اهمَّ مسائل القرن الحاضر

اما اليابان فلم تعلن مطالبها بعدُ . فهي تحذر اعلانها قبلما تعترف روسيا بضرورة عقد الصلح وتعزم حقَّ العزم على عقدهِ حالاً وتقرُّ انها مغلوبة . ثم ان الشروح التي تعلقها الجرائد الموالية لروسيا في كلّ بلاد على شروط الصلح قد تجرّئ روسيا على مقاومة مطالب اليابان جهد الامكان والمطاولة في مفاوضات الصلح الى ما لا حدّ لهُ . فلذلك رأت اليابان ان الاعتصام بالفطنة والتأني خير ما يليق بها في الاحوال الحاضرة

وان تكن اليابان قد أبت ان تبوح بمطالبها الى الآن حتى لخلّص اصدقائها ومعتمديها خارج بلادها الّا انهُ لا يعسر علينا كثيرًا ان نعرف اقلَّ تلك المطالب فان اليابان لم تحارب حرب فتح واعتداء بل حرب دفاع عن وجودها واستقلالها وحقوقها . وقد غلبت روسيا اتمّ الغلبة براً وبحرًا ولكنها لا تريد ارهاقها ولا هو من مصلحتها ان تضعفها وتذلّها . بل بالضد من ذلك لانهُ اذا قويت روسيا وصادقت اليابان عاد ذلك على اليابان باعظم الفوائد . وليس للانتقام والاخذ بالثار محلٌّ في السياسة الصحيحة الرشيدة حيث العقل الاول والعواطف المحل الثاني لان السياسة الرشيدة مبنية على مبادئ تجارية وقواعد اخذ وعطاء دقيقة

هذا ولما كانت اليابان تحارب حرب دفاع حُقَّ لها اولاً ان تطلب عوضاً ماليًّا عن النفقات والخسارة التي جرّها اعتداء روسيا عليها وهو حقٌّ لا ينازعها فيهِ احد . وحقّ لها ثانيًا ان تطلب ضمانًا كافيًا يجعل هجوم روسيا عليها في الاستقبال ومحاربتها لها اخذًا بالثار امرًا مستبعدًا ان لم يكن مستحيلاً

وليس تقدير الغرامة المالية التي تطلبها اليابان بالامر السهل اذ لا يعلم احد متى يعقد الصلح وكلُّ يوم يمرُّ قبل عقدهِ يزيد مقدار الغرامة طبعاً . ولعلّ من العدل والصواب ان يقال ان نفقات اليابان في الحرب الحاضرة تقارب مجموع الديون التي استدانتها والقروض التي عقدتها مدة الحرب ولها . ويضاف اليها مقدار من المال عوض ما المّ بها من الخسارة بسبب الحرب والنفقات الحربية التي لا بدّ لها من انفاقها بعد عقد الصلح . وهذا بيان الاموال التي استدانتها اليابان للحرب داخلاً وخارجاً

قروض داخلية

زيادة الدخل . والوفر	٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ين
زيادة الضرائب . واحتكار الدخان	٦٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «
اموال اقترضت من مصالح الحكومة المختلفة ومن الحسابات الخصوصية	٥٥ ٠٠٠ ٠٠٠ «
قرض عقد في ١٣ فبراير ١٩٠٤	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٣ مايو «	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ١٢ اكتوبر «	٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٧ فبراير ١٩٠٥	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٠ ابريل «	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المجموع	٦٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ «

او ٦٤ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه انكليزي (الين نصف ريال مصري)

قروض خارجية في لندن ونيو يورك

قرض عقد في ٩ مايو ١٩٠٤	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
« « ١٠ نوفمبر «	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٦ مارس ١٩٠٥	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المجموع	٥٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «

ومجموع المجموع ١١٦ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه . اي ان هذه الحرب كلفت اليابان من اولها الى الآن اكثر من ١١٦ مليوناً من الجنيهات وذلك ما عدا الخسارة التي نالتها في الحرب كما تقدم. منها خسارة الرجال بين من افقدتهُ الحرب احد اعضائهِ فبات عالة على اهلهِ ومن راح قتيلاً فترك ارامل ويتامى لا بدَّ لاهلهم ان يعولوهم وان لم يكن لهم اهل فالحكومة . وعليهِ فلا غنى للحكومة اليابانية ان تنظر في هذا الامر وتحسب حسابهُ عند اقتضاء الغرامة من روسيا

ولا يعلم بالتحقيق عدد الرجال الذين افقدتهم الحرب بعض اعضائهم فباتوا لا يستطيعون عملاً ولا عدد الارامل واليتامى الذين باتوا عالة على البلاد بسبب الحرب ولذلك لا يمكن تقدير الدية التي تفرض على روسيا الأعلى وجه التقريب . ولنأخذ حرب فرنسا والمانيا مثالاً نقيس عليهِ . فان الالمانيين فقدوا في تلك الحرب ٢٠٥٨ ضابطاً و ٤٧٣٢٠ من صف الضباط

والجنود . اما اليابانيون فخسارتهم اعظم كثيرًا . وبعد الحرب السبعينية عينت المانيا ٢٨٠٥٠٠٠٠ جنيه ينفق ريعها على مصابي الحرب و ١٥١٣٤٦٦ جنيهًا معاشات و ٨٩٧٠٠٠ جنيه اخرى . ولكن هذا المال كلهُ كان اقلّ من القليل حتى ان بعض المعاشات لم يزد على نصف شلين في اليوم فاضطرت الحكومة الالمانية الى زيادة المال لزيادة المعاشات

على انهُ وان يكن عدد الرجال الذين فقدتهم اليابان في هذه الحرب اعظم كثيرًا من الذين فقدتهم المانيا في الحرب السبعينية الاَّ ان ما ينفقهُ الياباني اليوم اقلّ كثيرًا مما كان الالماني ينفقهُ سنة ١٨٧١ . وعليهِ يقدَّر المال اللازم لعيالة منكوبي هذه الحرب من اليابانيين بثلاثين مليون جنيه

والحرب الحاضرة تشبه حرب فرنسا والمانيا في هذا الامر وهو انهُ لا روسيا ولا فرنسا تمكنتا من دخول ارض العدو اذًا فالخسارة التي لحقت الاهالي الالمانيين والخسارة التي لحقت الاهالي اليابانيين متشابهتان . وقد دفعت الحكومة الالمانية الى شعبها بعد حرب فرنسا ٦٥٥٠٠٠٠ جنيه عطلاً وضررًا و ٨٤٠٠٠٠ جنيه الى اصحاب البواخر والسفن وذلك مع شدَّة تدقيقها واقتصادها . ولكن التجارة البحرية الالمانية لم تكن حينئذٍ شيئًا يذكر في جنب تجارة اليابان الآن . وزد على ذلك ان التجارة الالمانية لم تتعطل سوى اشهر قليلة اما تجارة اليابان فقد مضى عليها نحو سنة ونصف وهي معرقلة بسبب الحرب واليابان جزيرة تجارتها وصناعتها متوقفتان على الحرب . وقد خسرت خسارة عظيمة بسبب ارتفاع اجرة الشحن والتأمين وارتفاع اثمان الحاجيات كمواد الطعام والقطن والصوف والحديد والسماد وما اشبه . ومما زاد الطين بلة حسبان روسيا جميع واردات اليابان تقريبًا مواد مهربة ومعاملتها كذلك وعليهِ شرعت تغرق السفن المحملة ارزًا وقطنًا وخشبًا وسمادًا وغيرها حتى ارتفت اثمانها ارتفاعًا فاحشًا . فمَّا تقدم يتبين جليًّا ان خسارة اهالي اليابان في هذه الحرب اعظم جدًّا من خسارة الالمانيين في الحرب السبعينية وتقدر بنحو ١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه على القليل

بقي المال اللازم لتجديد الادوات والآلات التي أفنتها الحرب وللانفاق على حكومة منشوريا الملكية ولتعويض ما انفقتهُ الحكومة اليابانية من النفقات الاضافية على سكك الحديد والبوستة والتلغراف مدة الحرب ولسدّ النفقات العظيمة التي يستلزمها ارجاع الجيش الياباني الى بلادهِ وحلّ الفيالق التي اقتضتها الحرب وارجاعها الى اماكنها . ويقدر المال اللازم لذلك بمبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

فاذا جمعنا النفقات المتقدم ذكرها كان لنا اقلّ ما انفقتهُ اليابان على الحرب وهو مبلغ ١٨١٥٠٠٠٠٠ جنيه . هذا اذا انتهت الحرب عاجلاً

ثم انهُ يحق لليابان ان تطلب اكثر مما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب ناهجة في ذلك منهاج المانيا . فقد قدر بعضهم ان المانيا خسرت في حربها ٥١٠٠٠٠٠٠ جنيه فقط وآخر انها خسرت ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ومع ذلك فقد اخذت من فرنسا نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه غرامة و١٢٫٠٤٧٫٦٧٨ جنيهاً فائدة الغرامة و٨٠٠٠٠٠٠ جزية فرضتها على باريس و٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه جزية اقتضتها من المقاطعات التي احتلتها . اي ان ما اخذتهُ من فرنسا يعادل اربعة اضعاف ما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب او اكثر فلا بدع اذا طلبت اليابان من روسيا ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لتسدَّ بها نفقات الحرب وخسارتها وتنفق ما بقي على ترقية شؤُون بلادها وخصوصاً كوريا حيث الحاجة ماسة الى انشاء سكك الحديد والمواني والطرق والتلغراف والمدارس والمعامل وما شاكل

***

اما من جهة روسيا فقد قال بعض ارباب الامر والنهي فيها انها تخلي منشوريا ولا تؤَدي غرامة الى اليابان . واكّد لي بعض كبار الماليين والسياسيين في فرنسا حديثاً ان روسيا لا تؤَدي غرامة مالية الى اليابان بل لا تستطيع تأديتها . نعم انها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه من اهلها وربما لقيت اشدَّ الصعاب في تدبيرها من الخارج ولكن لا مفرَّ لها من تأدية عوض الخسارة التي سببتها وهي تستطيع تدبير الغرامة ولكن ربما اضطرت ان تؤَدي ضماناً الى مدائنيها مثل ايراد جماركها او ايراد احتكار المشروبات الروحية او سكك الحديد كما فعلت تركيا ومصر واليابان والارجنتين وغيرها

ولو فرض ان روسيا أَبت دفع ما تطلبهُ اليابان منها واختارت الاستمرار على الحرب الى النهاية لكانت العاقبة عليها وخيمة لان مطالب اليابان تزيد وقد لا يعود رهن ما عندها كافياً لسدّ تلك المطالب فتضطر ان تبيع غاباتها ومناجمها لشركات من الماليين الاجانب. واذا طال على الحرب المطال فقد لا يكفي الرهن والبيع فتضطر ان تتوقف عن دفع الفوائد التي تستحق على دينها الخارجي البالغ نحو ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وتمين فائدتهُ البالغة ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لايفاء فائدة دين جديد تعقدهُ لتأدية الغرامة

وربما اعترضت روسيا بانها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه بعد حرب ضاقت فيها مذاهبها وفنيت حيلها وفرغت جيوبها فتردُّ اليابان اعتراضها بقولها ان الذنب ليس ذنبها

وربما ذكرتها بفرنسا وبالازمة المالية التي مرّت عليها منذ ٣٤ سنة وقالت لها ان ما فعلتهُ فرنسا حينئذٍ يجب ان تفعليهِ انتِ الآن . فان حرب فرنسا والمانيا كلفت فرنسا ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه نصفها نقدًا وقد تجشمت فرنسا المشاق في تدبير ذلك المال وكانت حالتها المالية اشد ضنكًا من حالة روسيا المالية الآن . فان دينها العمومي كان ٤٤٧١٢٠٩٠١ جنيه سنة ١٨٦٩ اي قبل الحرب بسنة فبلغ ٩٣٧٥٨٤٢٨٠ جنيهاً سنة ١٨٧٥ وكانت فائدتهُ ١٣٩١٧٣١٩ جنيهاً سنة ١٨٦٩ فبلغت ٢٩٤٩٣١٤٩ جنيهاً سنة ١٨٧٢ اما روسيا فان ميزانيتها السنويَّة تزيد على مئتي مليون جنيه فلا يعسر عليها تدبير عشرة ملايين جنيه بضرب الضرائب على اعيانها المترَفين المسرفين وقد لا ترى نفسها مضطرة الى ذلك بل كلُّ ما تحتاج اليهِ ان تنقح حساباتها وتحوّل عشرة ملايين من الاموال الباهظة التي تنفقها على جيوشها البرية والبحرية وسكك الحديد الحربية الى حساب الدين الخارجي

ويقول بعض الروس انهُ لا يعسر على روسيا تدبير مئتي مليون جنيه لو عنيت بذلك ولكنها لا تنوي البتة ان تحيد عن خطة التوسع في الفتوحات وانها لا تؤدي الغرامة الى اليابان الاَّ مكرهة واليابان لا تستطيع اكراهها . ويستشهدون بالمانيا فيقولون انها انما استطاعت ان تفرض غرامة فادحة على فرنسا وتتقاضاها منها لانها استطاعت ان تضع يدها على بعض املاك فرنسا ضمانًا حتى اخذت آخر سنتيم منها . اما اليابان فانَّى تستطيع مثل ذلك

وجوابًا على ذلك اقول ان ساسة الروس الذين يظنون ان روسيا تستطيع اطالة الحرب الى ما شاء الله من غير ان ينالها شرٌّ او ضرٌّ وانها تأْبى تأْدية الغرامة الى اليابان لان اليابان لا تستطيع وضع يدها على بعض الاملاك الروسية ضمانًا لهم على خطاء مبين . فان شرقي سيبيريا يساوي اكثر من مئتي مليون جنيه في عين اليابان او في عيون الذين تتنازل اليابان لهم عن تلك البلاد او تنيلهم بعض الامتيازات فيها اذا شاءت ذلك . ولو كان شرقي سيبيريا مخلص الولاء للروس كثير السكان وخيراتهُ مستثمرة لما كانت قيمتهُ لليابان تساوي التعب عليهِ . ولكنهُ ليس كذلك لان خيراتهِ لا تزال مكنونة في ارضهِ مدفونة في صدرهِ فلا بدع اذا طمحت اليابان ببصرها اليهِ . وسكانهُ قلال وكثيرون منهم سلالة المجرمين والمنفيين السياسيين فليسوا شديدي الولاء لدولتهم . فاذا كانت روسيا تظنُّ انهُ لا يساوي مئتي مليون جنيه فان اليابان تعدُّهُ رخيصاً بتلك القيمة ولا تمرُّ على امتلاكها لهُ الاَّ سنوات قليلة حتى تجمع منهُ اكثر من مئتي مليون جنيه

هذا وقد تأْبى روسيا تأْدية الغرامة الى اليابان وتأْبى الاستمرار على الحرب ايضاً فتسترجع

جنودها وادارتها الملكية نحو بحيرة بيكال وتثليث هناك . ولكن هذه الخطة تعود بالوبال عليها فتبيت على كره منها دولة محصورة في اواسط اسيا لا منفذ لها الى البحر كما سأُبينهُ قريباً

فيظهر مما تقدم ان روسيا لا تستطيع التخلُّص من تأدية الغرامة ما لم تجلُ عن منشوريا وشرق سيبيريا . وليس في نية اليابان وضع يدها على قسم من املاك روسيا ولكنها قد تضطرُّ الى ذلك فيما لو رفضت روسيا ان تؤدّي اليها غرامة ترضيها . ثم انهُ لا ينتظر ان اليابان تسمح لروسيا بوضع يدها على بورت آرثر وبقاء فلادفستوك فيها فتخرج منهما متى شاءت وتهاجم السواحل اليابانية وتكون سيفاً معلقاً فوق راس اليابان فلا غنى لليابان عن ان يبقى بحر اليابان ملكاً لها . وهي تريد ان يعقب هذه الحرب سلام دائمٌ ثابت الاركان فلا يسعها والحالة هذه ان تترك بورت آرثر وفلادفستوك يفلتان من يدها ليكونا خطراً عليها . اما من جهة بورت ارثر فلا ينتظر من اليابان ان تتنازل عنها مرة أُخرى . واما من جهة فلادفستوك فيؤكدون ان اليابان تصرُّ على اخذها من روسيا او على دك حصونها او ان تتكفل روسيا بألاَّ تستقدم اليها بوارج لتقيم فيها الى اجل طويل . والمرجح انها لا ترتضي بالحبر على الورق ضماناً بل تطلب ضماناً اقوى من ذلك للاحتفاظ بسلامتها

ولا يعلم ما اذا كان اليابانيون يستولون على فلادفستوك او يجردونها من السلاح او يتركونها وشأنها كما هي الآن قلعة حصينة فان ذلك كلهُ يتوقف على كيفية مقابلة الروس للمطالب اليابانية . ولكن اذا طلب اليابانيون الاستيلاء على جزيرة سخالين (ولست اخالهم الاَّ طالبيها ونائليها) بات المضيق الذي يفصل بينها وبين فلادفستوك في قبضة ايديهم وباتت فلادفستوك تحت رحمتهم فاتخذوها رهناً في مفاوضات الصلح

ولنعد الى مفاوضات الصلح فاقول انهُ اذا عقد الصلح حالاً فقد تقنع اليابان باخلاء الروس لمنشوريا وتنازلهم عن جزيرة سخالين لها وغرامة قدرها مئتا مليون جنيه . اما مسأَلة فلادفستوك وسكة حديد منشوريا فمسأَلة ثانوية لا اولية . ولكن اذا اختارت روسيا الاستمرار على الحرب كما توعدت وتهددت زادت مطالب اليابان ثقلاً يوماً على يوم واسبوعاً على اسبوع ولا بدع في ذلك ولا غرابة

وخير ما تفعلهُ روسيا الآن ان تتذكر الماضي وتعتبر بحرب فرنسا والمانيا . ففي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٠ اي بعد موقعة سيدان بسبعة عشر يوماً اجتمع جول فافر ناظر خارجية فرنسا حينئذٍ بالبرنس بسمرك ليعلم منهُ ما تشترطهُ المانيا لعقد الصلح . فطلب بسمرك الاستيلاء على الالزاس وغرامة قدرها ٨٠ مليون جنيه ولكن جول فافر أَبى ان يتنازل عن قيراط من اراضي

فرنسا وحجر من قلاعها فبقيت الحرب جارية مجراها . ولم يمضِ على ذلك ستة اسابيع حتى اجتمع تييرس ببسمرك طالباً عقد الصلح فعاد خائباً لان بسمرك أصرّ على طلب الالزاس وغرامة قدرها ١٢٠ مليوناً . وفي دسمبر من تلك السنة طلب بسمرك ١٨٠ مليوناً . واخيراً عقد الصلح في فبراير من السنة التالية بعد ان طلبت المانيا اللورين فوق الالزاس فنالتهما وغرامة قدرها ٢٠٠ مليون فنالتها

فاذا كانت روسيا تروم الصلح عن حسن نية فلتتعجّل في عقدهِ لأن كلّ يوم يمرّ بلا صلح يزيد غرامة الحرب نصف مليون جنيه تستقطر من دم الصانع والعامل

هذا واذا اعتمدت روسيا على مداخلة صديقاتها من الدول واملت ان اطالة الحرب تحمل احداهنَّ على مساعدتها في النهاية فاعتمادها انما هو على ما لا يركن اليهِ واملها في غير محلهِ . نعم ان من مصالح فرنسا الجوهرية تقوية روسيا على المانيا ولكن ليس من مصلحة المانيا ان تتخلَّى مرة اخرى عن سيادتها في اوربا ارضاءً لروسيا . وزد على ذلك ان توسط المانيا وفرنسا لا يغني فتيلاً الاَّ اذا تمكنتا من استجلاب بريطانيا العظمى او الولايات المتحدة اليهما وكلا الامرين بعيد الاحتمال . ثم ان بريطانيا العظمى لا تستطيع مساعدة روسيا بشيءٍ مهما حاولت فرنسا والمانيا اقناعها بذلك ومهما كانت رغبتها شديدة في تقوية روسيا اذ من الخيانة ان تتخلى الآن عن حليفتها اكراماً لروسيا . فاذا كان ساسة روسيا يطمعون باستجلابها اليهم ويؤملون استرضاءها بمنحها امتيازاً ما في اسيا او بعقد محالفة انكليزيَّة فرنسوية روسية فما يخادعون الاَّ انفسهم . نعم انهُ يسرُّ بريطانيا العظمى ان تقوي روسيا وتساعدها وهي تسعى في تعزيز مصلحتها ولكنها لن تفعل ذلك قبلما يعقد الصلح بين روسيا واليابان وتسوَّى جميع اوجه الخلاف التي بينهما . انتهى

ولقد كان لهذه المقالة المحكمة الحجة القوية الدليل صدى في الاندية السياسية والظاهر ان القيصر اطَّلع عليها وعلى ما ماثلها من المقالات الكثيرة فاسرع الى المذاكرة في عقد الصلح . ونال الماليون غايتهم من الروس واليابان ولم يستفد من الحرب احد سواهم ولكن لا يبعد ان يعود من ذلك نفع على الامة الروسية والامة اليابانية . وكم من نفع جرَّهُ ضرٌّ

تاريخ الوهابية

في ترجمة محمد علي باشا كلام كثير عن الوهابيَّة وحربهِ لهم . وكان احد علماء الاسلام الافاضل قد اطّلع على تاريخ حسين بن غنام الاحسائي احد مؤرخي الوهابيَّة فتصفحهُ وبعث الينا بخلاصة منهُ فرأينا ان ننشرها الآن اتماماً للفائدة ليُعلم اصل الذين حاربهم محمد علي وولداهُ واوقعوا بهم قال الكاتب

اسم الكتاب "روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام" وهو في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد حوى تاريخ "الفتوحات الاسلامية التي مبدأها العقد السادس من القرن الثاني عشر" وهو خمسة فصول الاول في ما جرى في تلك الازمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والاحساء وغيرها من البلدان . الثاني في نسب الشيخ ومبدإ امرهِ وما جرى لهُ من اهل مصرهِ وعلماء عصرهِ . الثالث في رسائل ارسلها الى بعض خواص الاخوان . الرابع في شيء من المسائل التي سئل عنها . الخامس في بعض كلامهِ على القرآن . ورتبهُ على السنين وبدأهُ من اول نشأة ابن عبد الوهاب وختمهُ سنة ١٢١٣

افاض في المقدمة في ذكر ما الفهُ الناس في بلاد نجد وما والاها من الشرك الخفي والظاهر ووصف المقامات التي نذروا اليها والشيوخ الذين اعتقدوا فيهم وانتقل الى " بلدان مصر وصعيدها وما فيها من الامور التي ينزه اللسان عن ذكرها وتعديدها خصوصاً عند قبور الصلحاء والعباد ومن ساداتها وعبيدها "

ثم ذكر ما يفعل من هذا القبيل في بلدان اليمن وقال ان حلب ودمشق واقصى الشام والموصل وبلاد الاكراد والعراق وبغداد والبصرة وقرى السلط والجرّة والقطيف والبحرين وغيرها من بلاد العرب كلها واقعة في هذا . واستشهد بقصيدة للامير ابن اسماعيل الصنعاني وكان مشهوراً بالعلم والفهم قال فيها واصفاً ما سرى من البدَع :

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... فلم ينجُ منهُ مركبٌ وركابُ
وطوفان نوح كان في الفلك اهلهُ ... فنجاهم والغارقون تَبابُ
فانّى لنا فُلك ينجي وليتهُ ... يطير بنا عما نراهُ غرابُ
واين الى اين المطار وكلما ... على ظهرها يأتيك منهُ عجابُ
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لهُ ... ذئاب وما عنهُ لهن ذهابُ

لقد مزقتهُ بعد كل ممزّق فلم يبقَ منهُ جثة وإهابُ
وليس اغتراب الدين الأَ كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب ايابُ
فيا غربة هل يرتجي منك اوبةٌ فيجبر من هذا البعاد مصابُ
فلم يبق للراجي سلامة دينهِ سوى عزلة فيها الجليس كتابُ

وقال في مبدإ امر الشيخ ما ملخصهُ : هو محمد بن عبد الوهاب ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والالف في بلد العينية فانبتهُ الله نباتاً حسناً وبقي بعد سنّ الطفولية يتعلم زمناً حتى استظهر القرآن قبل العاشرة واشتغل على ابيهِ وكان توسم فيهِ النجح ورآهُ اهلاً للصلاة بالجماعة قبل ان يبلغ الثانية عشرة فقدّمهُ وزوّجهُ وحججهُ واخذ في قراءة الفقه على مذهب الامام احمد ورُزق مع الحفظ سرعة الكتابة بحيث انهُ يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراساً . ثم رحل في طلب العلم الى ما يليهِ من الامصار فزاحم كبار العلماء فوطئ الحجاز والبصرة مراراً واتى الاحساء واخذ العلم عن جماعة وسمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو واتقن تحريرهُ وكتب الكثير من اللغة والحديث وهو يحث على طريق الهدى والاستقامة وكان اكثر لبثهِ لاخذ العلم بالبصرة واخذ في بث الدعوة ثم سكن حريملا مع والدهِ مثابراً على دعوتهِ تاركاً ما سلكهُ علماء السوء فانتظم في سلكهِ عصابة فاتخذوهُ جليساً واتبعوا طريقتهُ فقرأوا عليهِ كتب الحديث والفقه واشتهر في بلدان العارض من حريملا والعينية والدرعية والرياض ومنفوحة فانحاز لدعوتهِ جم غفير واقام في حريملا سنين وصنف كتاب التوحيد واهتدى بهِ أحد الامراء عثمان بن معمر في العينية فاقام بها وساعدهُ الامير على الارشاد فبدأ يعظم امرهُ ففشا الدين في بلدان العارض فأمر الشيخ الامير بهدم القباب والمساجد المبنية على قبور الصحابة وقطع الاشجار التي كان يتنابها الناس وعُدّلت على السنن المشروع فأُنكر عليهِ ذلك وحكموا بكفرهِ واستحلال دمهِ ومالهِ وتقوّل بعضهم عليهِ ووشوا بهِ الى علماء الاحساء والبصرة والحرمين وافتوا للحكام بانهُ اقبح الضلاَّل والفسَّاق واشرُّ الخوارج وحسبوا انهم اذا حرّشوا عليهِ الحكام يجدُّون في قتلهِ فصنفوا المصنفات في تبديعهِ وتضليلهِ وقالوا انهُ مغيّر السنة والاحكام بقصد تنفير الخواص والعوام ليشاقُّوا الولاة فيعصوهم . ولما تظاهر الشيخ بالدعوة والناس قد أُشربت محبة المعاصي قلوبهم لم يكفّر اولئك العربان وتوقف تورعاً حتى تألبوا عليهِ وكفروهُ وجماعتهُ ولم يأمر بسفك دم اكثر اهل الاهواء حتى حكموا عليهِ واصحابهِ بالقتل والتكفير . ومع ما كان يُنقل اليهِ من الاذى لم يكترث لهم وكان يتضرع الى مولاهُ ان يشرح للحق صدورهم ولم يعامل احداً بالاساءة بعد القدرة عليهِ . ولما

وفدوا عليهِ ومثلوا بين يديهِ لم يوبخ احداً منهم واسدى اليهم معروفهُ وتجاوز عما فعلوهُ. فعل بهِ اعداؤهُ ذلك واكثرهم معترف ان ما اتى بهِ هو الحق والصواب ولكن خشوا ان تسلب رئاستهم ودنياهم

ثم اغرق المصنف في الدعوة الى الاجتهاد وبيان آراء الصحابة والعلماء فيهِ وخصوصاً الائمة الاربعة ونسب انقطاع الاجتهاد الى العلماء والامراء ونقل قولهم "صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس قيل من هم قال العلماء والملوك" قال ابن المبارك

رأيت الذنوبَ تميت القلوبَ وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل افسد الدين الاَّ الملوك واحبار سوءٍ ورهبانها

وختم هذا البحث بقصيدة لمحمد بن اسماعيل المشار اليهِ قال فيها :

ويُعمر اركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشدِ
اعادوا بها معنى سواع ومثلهُ يغوث وودّ بئس ذلك من ودّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ
وكم عقدوا في سوحها من عقيرة أُهلّت لغير الله جهراً على عمدِ

الى ان يقول

علامَ جعلتم ايها الناس ديننا لاربعة لا شك في فضلهم عندي
همو علماء الدين شرقاً ومغرباً ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلاً ولا تقليدهم في غد يجدي
ولا زعموا حاشاهمو ان قولهم دليل فيستهدي بهِ كل مستهدي
بلى صرَّحوا انا نقابل قولهم اذا خالف المنصوص بالقدح والردِ

توفي صاحب الدعوة ولهُ من العمر قريب من اثنتين وتسعين سنة كان في خلالها مستمرًا في تحصيل نافع الزاد وصنف مصنفات كثيرة منها رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جواباً لكثير من شبههم التي ادلوا بها وهي في كرّاس فيها خلاصة دعوتهِ ولباب علمهِ . وقد شرحها المؤلف وقال أن العلماء من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الامة من تعظيم القبور وبناء المشاهد والمساجد عليها ودعائها وسؤال اهلها الحاجات وتفريج الكربات ويبينون للناس ان هذا خلاف دين الاسلام الذي بعث الله بهِ رسولهُ (ص) ودخول في عبادة الاوثان فليس هذا الذي بينهُ الشيخ للناس من النهي عن دعوة اهل القبور والاشراك

بهم والتبرك بالاشجار والاحجار فهمهُ من تلقاء نفسهِ دون ان يفهمهُ احد من علماء هذه الامة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنهُ والانكار والتغليظ على من فعلهُ من الجهال وازالة ما قدروا عليهِ من ذلك . ومرادي بالعلماء هم الذين يُعتدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند اهل الاسلام الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم بل يجاهدون في سبيل الله اهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم

ونقل ابن غنام طرفاً صالحاً مما ورد في كتاب ابن شامة في انكار المنكرات وضروب الشرك الاكبر الذي فشا على عهدهِ في مصر والشام وقال ان هذه هي مثل الدعوة التي صرح بها ابن عبد الوهاب وذكر جانباً من اراء علماء المذاهب مثل ابن القيم وابن بكر الطرسوسي وغيرهم في هذه المنكرات واخذ يسرد من رسائل الشيخ التي دعا فيها الى تجريد التوحيد

ويحتوي الجزء الثاني على رسائل عديدة كتبها الشيخ في حث مجاوريهِ على الاخذ بما ارتآهُ والرد على خصومهِ . قال من جملة جواب لهُ ان تعليق التمائم من الشرك وكتب الطلاسم في الحجب وهي من السحر والسحر يكفر صاحبهُ وان من دعا نبيًّا او صحابيًّا او وليًّا مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني واغثني كافر بالاجماع . واورد في إنكار التذكير وقال انهُ من البدع وذكر السيوطي في الاوائل ان اول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون

وجلُّ رسائل الشيخ دائرة على الدعوة الى التوحيد . وذكر ابن غنام مسائل كثيرة في الاصول والفروع سئل عنها فاجاب . وقد استغرق ما نقلهُ ابن غنام من تفسيرهِ وبعض الاجوبة التي اجاب بها سائليهِ نحو تسعة كراريس وكلها دلت على ان الرجل عظيم في ايمانهِ عظيم في بيانهِ وتبيانهِ

ثم ذكر المؤرخ غزوات ابن عبد الوهاب واورد السبب الذي اخرجهُ من بلدهِ العيينة بعد ان كان يأمر بالعرف وينهى عن المنكر ذلك ان امرأة من اهل تلك البلدة عرفت بسوء فاقرت على نفسها وتكرر ذلك منها فاعرض الشيخ عنها ثم اقرت حتى عادت الى الاقرار مراراً فسئل عن عقلها فاخبر بتمامهِ وصحتهِ فامهلها اياماً رجاء ان ترجع عن الاقرار الى الانكار . فاقرت اربع مرات فأمر برجمها فشدت عليها ثيابها لترجم بالحجارة على الوجه المشروع فخرج الامير عثمان وجماعة فرجموها حتى ماتت فلما طار هذا الخبر كثر لغط اهل البدع وطارت قلوبهم شعاعاً فلما اعياهم رد ما قالهُ من تلك المسائل عدلوا الى ردها بالمكر والحيلة فشكوهُ الى شيخهم فاغروهُ بهِ فطلب الى الامير عثمان يأمرهُ بقتلهِ او اجلائهِ عن وطنهِ فامر هذا الامير الشيخ

بالخروج فجاء الدرعية فلما سمع الامير محمد بن مسعود بقدومهِ اسرع اليهِ مسلماً عليهِ فلطف منهُ محلهُ واخبرهُ بان يمنعهُ بما يمنع بهِ نساءهُ واولادهُ من جميع من عاداهُ وطلب الى الشيخ ان لا يرحل عن بلدهِ وكان هذا الامير معروفاً في جاهليتهِ بحسن السيرة فعاهدهُ الشيخ على عدم الخروج وقام يدعو الناس الى التوحيد وآزرهُ وزراءُ الامير واعوانهُ واخوانهُ من اهل الدرعية وذلك في حدود سنة ١١٥٧ ﻫ وبقي الشيخ سنتين يناصح الناس وهاجر الى الدرعية خلق كثير بينهم زمرة من اهل البيوتات . وسنة ١٢٠٦ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحالهُ من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة يتلو القرآن ابداً ويحيي غالب الليل بالقيام والتأني في تنفيذ الاحكام من كتب الائمة الاربعة المقلدة وكان يجبي اليهِ بيت المال من جميع بلدان المسلمين فيفرقهُ عليهم في طريقة من الزهد مرضية وكان متكففاً من ذلك المال لا يأكل منهُ الاَّ بالمعروف وكان سمحاً كريماً لا يردُّ سائلاً ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً وكان عليهِ دين كثير وفي عنهُ

وهنا انشأَ المؤلف يذكر غزوات الوهابية مع من جاورهم من القبائل والبلدان وكلها دائرة على بث دعوة واحتياز مغنم ومقابلة شر بمثلهِ . اخبار متشابهة يجري كل سنة مثلها الى اليوم في تلك الاصقاع . ويظهر للمتأمل ان معظم تلك الحروب التي جرت على عهد ابن عبدالوهاب كانت للدين فلما مات عادت المطامع الى مجراها السابق . والغالب ان الاميرا النجدي وابنهُ اللذين عملا بمشورة الشيخ طول حياتهِ قاما ببث دعوتهِ بين الامراء المجاورين بعد ان اشتدت شكيمتهما

ومن طالع التاريخ الذي نحن بصددهِ حق مطالعتهِ وعرف حال جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يلبث ان يقع في ذهنهِ ان كل تاريخ هذه الطائفة قتل وقتال وقيل وقال . نعم ان الامر على ما يقول فقد ذكر لي احد عقلاء النجديين يوماً ما معناهُ : يُعاب على قومنا شيئان مهمان احدهما الفتن التي ما فتئت يثور ثائرها بين اظهرنا والدماء التي تهراق من رفيعنا ووضيعنا — وان تكن غارات اليوم بين ابن سعود وابن الرشيد مثلاً ليست كغارات امس المذكورة في تاريخ ابن غنام فان تلك كانت لنشر كلمة التوحيد بين اولئك الاعراب الجفاة الاجلاف وهذه تدعو اليها المطامع والشهوات الدنيويَّة — وثانيهما انقسام الناس في نجد الى جنسين جنس يقال لهُ الخضيرية وجنس يقال لهُ قبيلية او شيوخ فالاول في حلّ من تعاطي الصناعات كلها والثاني لا يجوز لهُ تعاطيها لان ذلك يعدُّ شيناً عليهم وعرّة في وجوه انسابهم فيقتصرون على التجارة والفلاحة . واذا تعاطى احد الشيوخ وبعبارة ثانية الاشراف صناعة ما

وكان في الاصل شريفاً يسقط عندهم شرفهُ ويمسي معدوداً من الطبقة النازلة طبقة الصناع والاجراء في بلادهِ طبقة الخضيرية . واذا تزوج احد الشيوخ من بني خضير اي صاحب الشرف من فاقدهِ وكان للشريف عصبة يستحلون قتلهُ مدعين انهُ اسقط شرفهم . قلت لهُ وانما اعيب عليكم امراً ثالثاً وطالما ذاكرتكم بهِ وهو جمودكم على حالة واحدة في العلم وتحريمكم لمطالعة كتب لا تخلو مطالعتها من انارة عقولكم ووقوفكم عند حد البحث في الدين دون الالتفات الى ما لا بد منهُ من علوم الدنيا . وما يخيل لي الا ان رجالكم الذين يأتون الامصار عارفون ما تمسُّ اليهِ حاجة بني نحلتهم من العلوم والصنائع وما ينقصهم من المتممات التي لا اثر لها في باديتكم . اما انقسام الناس في نجد الى فئتين فليس بالامر الجديد فان الرومان كانوا كذلك بل كان اشراف اسلافكم العرب الخُلّص يرون الصنائع مضيعة لشرفهم ويعتدون في الغزو والغارة شرفهم الوحيد

هذا ما سمحت بهِ المكنة من الكلام على تاريخ الوهابيين ويسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد وهم في الحقيقة حنابلة على مذهب احمد بن حنبل احد الائمة الاربعة المشهورين عند اهل السنة والجماعة . ومن راجع طبقات الحنابلة ودرس سيرة رجالهم يدرك ان اهل هذا المذهب من القديم هم من اشد الناس انكاراً للمنكرات وقد يؤدي ذلك ببعضهم احياناً الى القسوة والغلظة وتضييع الفائدة المطلوبة من الامر والنهي المشروعين حتى ان الغزالي وصفهم بالجمود مع اعتبارهِ لهم وحماستهم المأثورة في بث الدعوة . واخبرني فاضل نجدي ان للوهابية تاريخاً آخر وصل بهِ مؤلفهُ كلام ابن غنام بما حدث في زمنهِ من وقائعهم خصوصاً مع الدولة العلية وهو سياسي اكثر مما هو علمي . وهذا الكتاب المحكيّ عنهُ على كثرة سجعهِ وقلة تنسيقهِ لو ظفر بهِ احد المستشرقين لطبعهُ على علاتهِ لان صاحب الدار ادرى بالذي فيها . والله يعلم السرَّ والخفي . انتهى

ويظهر مما ذكرهُ الجبرتي عن الوهابية وكان معاصراً لهم ورأى الجنود المصرية تخرج لقتالهم وحادث الذين رأوهم وكالموهم بل حادث بعض اسراهم انهم لم يكونوا على شيء من الغلو او من الضلال وانهُ لو لم يرشِ محمد علي قبائل العرب بالمال ويستعين بهم على الوهابية لما استطاع التنكيل بهم

مسائل العلم في القرن العشرين

كان العلماء قبل القرن التاسع عشر يقولون انهُ لا علاقة لازمة بين ظواهر الكون المختلفة اي ان علم الفلك والجيولوجيا والطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا وسائر فروع العلوم انما هي علوم مستقلة بعضها عن بعض وان كلاً منها يجري مجراهُ من غير ان يعتمد على غيرهِ . ولكنَّ علماء القرن التاسع عشر نقضوا هذا الرأي واثبتوا ان العلوم والمعارف المختلفة اعضاء عائلة واحدة ونقضوا كثيرًا من الامور التي كانت مسلَّمة دينًا او فلسفة فقام ائمة الدين وانصار الفلسفة القديمة وقعدوا واضطرمت نار الجدال بين الفريقين

وقد دخل القرن العشرون والعلم يتجلَّى بابهى حللهِ في جميع فروعهِ بعد ان بلغ أبعد غاياتهِ ظاهرًا حتى بات الناس يتساءلون أما بعد تلك الغايات غاية . وهل بلغ العلم حدَّ الكمال والتمام فبات سعي العلماء وبحثهم وتنقيبهم بعد الآن مما لا طائل تحتهُ . او ليس هناك مسائل لم تحلَّ بعد

وجوابًا عن ذلك نقول ان بعض العلماء يذهب الى ان العلم بلغ من الكبر عتيًّا بحيث لم يعد يؤَمل منهُ شيءٌ ويخالفهم البعض الآخر فيقول انهُ لم يزل في طور النمو والبلوغ وان امامهُ مراحل كثيرة لا بدَّ ان يقطعها وادوارًا لا بدَّ ان يمرَّ بها قبلما يبلغ الغاية القصوى . ولنأخذ كلاً من فروع العلم المختلفة على حدة لنرى ما تمَّ فيها وما عسى ان يتمَّ معتمدين على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ دولبر نشرت في مجلة العلم العام الاميركية ولنبدأ بالفلك

الفلك

مما عرف حتى الآن ان الارض جزءٌ من النظام الشمسي وانها عريقة في القدمية وهي وسائر اعضاء النظام المذكور بلغت حالتها الحاضرة بعد نموّ دام ملايين من السنين وان الفواعل التي كانت في الماضي لا تزال هي نفسها الى الآن تحدث التغييرات في اقدار تلك الاعضاء والمسافات التي تفصل بينها . وان القمر كان جزءًا من الارض فانفصل منها بفعل المدّ مبتعدًا عنها وسيبقى في نفور وابتعاد نحو ٥٠ مليون سنة ثم ينقلب راجعًا . اما الشمس فجسم من غاز حام وسبب حرارتها تقلّصها بفعل الجاذبية وهي تشعُّ الحرارة على مقدار معلوم محدود ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدروا ان حرارتها تنفد بعد ١٠ ملايين سنة فتظل حينئذٍ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نارآكلة ما لم يطرأ عليها طارىءٌ يجدّد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضي ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الاوَّل . ومثل ما

يحدث في الشمس يشاهد الآن في الوف من الاجرام السموية فان منها ما هو في كل الاطوار التي مرَّت عليها الشمس او تمرُّ في المستقبل — من اجسام غازية منيرة الى اجسام جامدة لا نور فيها ولا حرارة

ومما نعلمهُ ايضاً ان اقرب نجم من الثوابت الينا أبعد من الشمس عنَّا مئتي الف ضعف او اكثر وان النظام الشمسي برمتهِ يسير في الفضاء بسرعة نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة نحو النجم المسمَّى بالنسر الواقع

على اننا نجهل ما اذا كان سير هذا النظام في الفضاء سيراً آبدياً شارداً او انهُ سيرٌ منتظم في حلقة لا نعلم شكلها . فقد علمنا جهة سير بعض الكواكب وقسنا سرعتها ولكنَّ ما نعلمهُ من هذا القبيل لا يكفي لمعرفة ما اذا كانت حركتها منتظمة او هي مثل حركة دقائق الغازات يكثر فيها الاصطدام والالتحام . فان ظهور النجم الجديد في كوكبة فرساوس ثم انطفاءهُ بغتة لا يمكن تفسيرهُ الَّا بحدوث الاصطدام بين الكواكب . وكبرها وعظم سرعتها كافيان لان يحولاَّها عند تصادمها غازاً منيراً . ولا يبعد ان ينال النظام الشمسي مثل ذلك ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انهُ لو قدّر اصطدامنا باقرب جارٍ لنظامنا وبقيت سرعتنا على ما هي عليهِ الآن اي ١٢ ميلاً في الثانية لاقتضي لنا خمسون الف سنة قبل الوصول اليهِ

هذا وان عدد الكواكب المنظورة نحو مئة مليون كوكب والفلكيون يعجبون لماذا لا نرى من الكواكب البعيدة اكثر مما نراهُ الآن . ثم ان عدد الكواكب في كوننا اقلُّ مما كان الفلكيون يخمنون والظواهر تدلُّ على ان للفلك المنظور حدًّا محدوداً لا كما كان يظنُّ من ان عدد الكواكب غير محدود وهي في فضاء غير محدود . وهذه القضية لم تحلَّ بعد بل هي شغل بعض المراصد الشاغل . وكلُّ احد يروم ان يعلم ماهية الكون الذي نحن فيهِ وماجرياتهِ فقد كان الاقدمون يزعمون ان النظام الشمسي مؤلف من سبعة سيارات فاكتشف في القرن التاسع عشر اكثر من خمس مئة . ولم يمرَّ على اكتشاف السيار اروس الاخير سوى ثماني سنوات واكتشفت اقمار جديدة من اقمار المشتري وزحل والمرجح ان السيارات لم تكتشف كلها بعدُ وعليهِ ترى العلماء ينقرون وينقبون عما لم يكتشف منها لعلهم يكتشفونهُ

وكوننا محدود كما تقدم ولكنهُ طويل عريض واسع ممتدٌّ تضلُّ فيهِ الابصار والبصائر ولا تحيط بهِ الافهام . فان بعض كواكبهِ بعيد عنا الى حدّ انهُ يقتضي لنورهِ مليون سنة حتى يصل الينا . واذا علمت ان النور يقطع ١٨٦ الف ميل في الثانية من الزمان تبين لك انهُ يقتضي لنظامنا الشمسي الوف الملايين من السنين حتى يصل الى احد تلك الكواكب البعيدة

لان سرعتهُ نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة كما سبق القول

وما لا يزال علمهُ خافياً علينا ماهية السيارات وطبيعتها وهل هي مسكونة او خالية من السكان . وليس المراد بقولنا مسكونة ان فيها سكاناً يشبهوننا في جميع صفاتهم ومزاياهم المادية بل ان فيها احياء سواء اشبهونا اولا . فان منها ما هو شديد الحرارة كالمشتري وما هو شديد البرد لا هواء فيهِ ولا ماء كالقمر فان كان مسكوناً فلا ينتظر ان يكون سكانهُ مثلنا لاختلاف اقليمهِ عن اقليم ارضنا . وجهد ما يمكننا استنتاجهُ بالتمثيل من هذا القبيل انهُ اذا اتخذنا نشوء الحياة على الارض قياساً لنا حكمنا انهُ لا يكاد يحتمل ان الارض هي وحدها مسكونة من بين ملايين العوالم والاجرام التي تتركب مما تتركب الارض منهُ وتخضع للنواميس التي تخضع هي لها . على ان هذا قياس تمثيليٌّ لا حقيقة مثبتة . ولعلَّ القرن العشرين يميط لنا النقاب عن هذه الاسرار كلها

الجيولوجيا

علم الجيولوجيا كلهُ مما وَلَد القرن التاسع عشر . ومع عظم تقدمهِ فيهِ لا يزال اكثر من نصف اليابسة غير ممسوح بعد وكثير من القضايا المتعلقة بالقسم الممسوح لم يحلَّ بعد مثل الظواهر البركانية وتركيب باطن الارض وحرارتهِ وما اشبه من المسائل التي اذا حلَّت عرفنا اموراً كثيرة نتوصل بها الى معرفة عمر الارض وخصوصاً طول الزمن الذي مرَّ منذ اصبحت صالحة لسكن الاحياء . اما الآن فالاقوال عن عمر الارض كثيرة ففي بعضها ان عمرها عشرة ملايين سنة وفي البعض انهُ الف مليون سنة وفي البعض ما بين ذلك . وقد مضت مدة طويلة والجيولوجيون يحاولون اكتشاف مقياس يقيسون بهِ الادوار الجيولوجية مثل الدور الجليدي ليعلموا متى ابتدأ ومتى انتهى ولكنهم لم يهتدوا الى ذلك بعد بل كلُّ ما يقولونهُ مجرَّد ظنٍّ وتخمين فمنهم من يقول انهُ انتهى منذ عشرة آلاف سنة ومنهم منذ خمسين الفاً ومنهم ما بين ذلك . ولعلَّ القرن العشرين يكشف لنا هذه المكنونات ايضاً

الكيمياء

علم الكيمياء من العلوم التي ولدت ونشأت في القرن التاسع عشر مثل الجيولوجيا وما عرف منها قبل ذلك العهد كان رجماً وافتراضاً لم يبنيا على ناموس عموميّ معروف فلم تكن علماً . فلما جاء القرن الماضي عرف الكيماويون ما لم يكونوا يحلمون بهِ قبلاً مثل قياس حجم الدقائق والجواهر وسرعة حركتها وغيرها من المباحث الدقيقة

ومن القضايا التي لا بدَّ من حلها ما اذا كانت المادة تتلاشى اولا . في الفلسفة الطبيعيَّة

ان عدم التلاشي من خصائص المادة العمومية وكثير من القضايا الفلسفية مبنيٌّ عليها . ولكن ظهر من ابحاث بعض العلماء وتجاربهم ان المادة تفقد بعض ثقلها في احوال معلومة بتغيرات طبيعية تطرأُ عليها لا بإزالة بعض دقائقها منها . وهذا اذا صحَّ يفضي الى انقلاب عظيم في العلوم يعدُّ اعظم ما طرأَ عليها منذ مئة سنة ويصبح المذهب السديمي ومذهب النشوء والارتقاء ومذهب قدمية الانسان من المذاهب الحقيرة القدر والشأن في جنبهِ وذلك لأَن ثبوت الجواهر اي عدم تغيرها في مقدارها ونوعها اساس التصورات والآراء الصحيحة في كلّ فنّ ومطلب . فاذا انتقض هذا المذهب بقينا حيث نحن الآن وحيث كنا من قديم الزمان

ثم ان بعض الكيماويين شرعوا في صنع مركبات تحلُّ محلَّ المركبات الطبيعية ففازوا بعمل الكينا والسكر والالبومن للطعام والنترات لتسميد الارض وغيرها فمتى صاروا يصنعون مقادير عظيمة منها بحيث يسهل الاتجار بها عاد ذلك بالفائدة على الناس عموماً . وزد على ذلك سعيهم في اكتشاف مواد لتلقيح المصابين بالكوليرا والطاعون والحمى الصفراء والحمى التيفويدية وشفائهم على مثال لقاح الدفثيريا والمرجح انهم يفوزون بمطلوبهم فيطول متوسط عمر الانسان

الطبيعيات

من اهم ما اكتشف في القرن التاسع عشر تحت هذا الباب ماهية الحرارة — اي انها حركة في دقائق المادة وجواهرها لا مادة كما كانوا يزعمون قبلاً . وكذلك الاثير وكثير من ظواهرهِ . فترتب على هذه الاكتشافات تقدم كثيرٍ من الاعمال والصنائع ونشوء صنائع جديدة اساسها الكهربائية ونشوء السبكترسكوب لدرس طبيعة الاجرام السموية وارتقاء التلسكوب فبلغ قطر بلورتهِ ٤ اقدام بعد ما كان ٤ بوصات

على انهُ وان كنا نعلم الآن ان الحرارة حركة في دقائق المادة وان سرعة تلك الحركة قياس الحرارة الَّا اننا نجهل ماهيتها قبلما تحولت حرارة ونجهل الصورة التي تكون عليها القوة في جواهر المادة فاننا نقول "القوة الكيماوية" مثلاً ولا ندري ماهيتها ولا ماهية الفرق بينها وبين قوة الحرارة وقوة الجاذبية . فاذا عرفنا هذا السرَّ لم يبعد ان نستخرج من الاثير ما نحتاج اليهِ من القوة لانهُ مشبع بها وفي كلّ سنتيمتر مكعب من الفضاء من القوة ما تقضى بهِ حاجات رجل واحد اياماً كثيرة

ثم ان معرفة ماهية الاثير تمكننا من معرفة امور كثيرة منها لماذا تتخذ البلورات اشكالاً هندسية ولِمَ القوة التي نسميها بالحياة من خصائص النسيج الخلوي في الحيوان والنبات دون غيرهما

وليس الناس أكثر علماً بماهية الجاذبية منهم بماهية الحياة . فاننا نعلم كيفية فعلها وان هذا الفعل اسرع من فعل النور بملايين المرّات . هذا كلّ ما نعلمهُ عنها فاذا استطاع احد ان يعلم أكثر من ذلك عُدَّ من اعاظم المكتشفين

البيولوجيا

وعند علماء البيولوجيا مسائل كثيرة حاولوا حلّها فلم يهتدوا اليهِ . فقد ظهر من مباحث علماء القرن التاسع عشر ان جميع صور النبات والحيوان الموجودة الآن انما هي نتيجة تغيرات بطيئة طرأت على صور الاحياء الاولى ووظائفها منذ ملايين من السنين وهذا ما يسمونهُ بناموس النشوء والارتقاء . ولكن كيف حدثت تلك التغييرات وما الذي اوجبها هاتان مسألتان لم يتيسر لاحد الجواب عليهما بعد . فان داروِن تكلّم عن الانتخاب الطبيعي والوراثة او الاختلافات المتعددة التي تطرأ على النسل وبقاء الاصلح منهُ ولكنهُ لم يذكر سبباً لوجود تلك الاختلافات وهذه هي المسألة العظيمة التي تنتظر الحلّ . فقد ثبت ان التغييرات الاكتسابية لا تورث وان الطبيعة لا تحتفظ بسوى التغييرات التي تحدثها هي لاسباب لا تزال مجهولة فانها تخلق الجبابرة والنوابغ جدًّا بالفطرة لا بالاكتساب من الوسط والمحيط . فاحوال الوراثة وشروطها شغل كبار البيولوجيين الشاغل

ومما حيَّر العلماء عموماً والبيولوجيين خصوصاً ما ظهر من سنة او سنتين وهو فقس البيض غير الملقح فقساً طبيعيًّا بمعالجتهِ ببعض المواد الكيماوية غير الآلية مثل كلوريد المغنيسيوم . وقد جرّبت هذه الطريقة مرارًا فصحّت بحيث لم يبقَ ريب في صحتها . ومؤداها ان الحياة عمل كيماوي ولا يتوقف ظهورها في الجسم على تولدهِ من جسم حيّ آخر سابق لهُ كما ان المواد الكيماوية في الجسم الحيّ لا يتوقف وجودها فيهِ على مواد كيماوية سابقة لها وانهُ اذا أُعدت تلك المواد باية طريقة كانت نشأت الحياة عنها . وزاد بيولوجيٌّ فرنسويٌّ على ذلك انهُ اذا قطعت البيضة ست عشرة قطعة مثلاً نشأ عن كلّ قطعة حيٌّ لا يختلف عن البيضة الاصلية في شيءٍ سوى الحجم فانهُ يكون اصغر من الحيّ الاصلي طبعاً . وهذا اذا صحَّ فتح باباً جديدًا للبحث تفوق اهميتهُ الفلسفية أهميتهُ البيولوجية كما لا يخفى

ومنذ بضع سنوات اكتشف عالمان المانيان ان نقطة صغيرة من مزيج مؤلف من الزيت وأحد املاح البوتاس تشبه الاحياء المكرسكوبية من عدة اوجه فانها تتحرك من نفسها وتغيّر شكلها ولها دورة مختصة بها وتضيف الى نفسها دقائق من المواد التي حولها وتتأثر بالمؤثرات الخارجية . اي انها تفعل فعل الاحياء في كلّ شيءٍ سوى شيءٍ واحد وهو التوليد . وقد

ميميت هذه النقطة البرتوبلازم الصناعية ولا ينقصها حتى تصير حيًّا صناعيًّا حقيقيًّا غير ان يضاف اليها بعض المركبات الكيماوية . بقي ان تعرف تلك المركبات لتضاف اليها

على ان كثيرين يشكون في ما اذا كان يمكن عمل احياء صناعية ويقولون ان ذلك فوق طوق العلم البشري وان ظواهر الحياة والعقل خارجة عن نطاق العلم الطبيعي بخلاف الفلك والجيولوجيا والكيمياء وما شاكلها من فروع العلوم المختلفة . ولكن ما يقوله هؤلاء في الحياة الآن كان السابقون يقولونهُ في الفلك والجيولوجيا والكيمياء منذ عهد ليس ببعيد . ألم يكفّر نيوتن لاعلانهِ اكتشاف ناموس الجاذبية بعلة ان ذلك مدعاة لنفي وجود الخالق . أو لم تشهر حروب الاقلام على الذين حملتهم الجرأة على القول ان عمر الانسان اكثر من ٦٠٠٠ سنة

وخلاصة القول ان القرن التاسع عشر خلّف للقرن العشرين قضايا صعبة المراس عسرة الحل مثل ماهية الكهربائية والحياة وعلاقة العقل بالجسد وغيرها من المسائل التي تعدُّ الآن مما وراء الطبيعة وان تكن ظواهرها بادية للعيان وآثارها معروفة في كل مكان . واذا قسنا الحاضر بالماضي وقابلنا بين ما هو معروف الآن وما لم يكن معروفًا في قديم الزمان حكمنا ان هذه القضايا كلها مما لا يتعذر حلهُ . وليس حلّها على همة العلماء بعزيز

منتخبات من ديوان الحماسة

قال مسكين الدارمي

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

لِكُلِّ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ ... وَمَوْضِعُ نَجْوَى لاَ يُرَامُ اطِّلاَعُهَا

يَظَلُّونَ شَتَّى فِي ٱلْبِلاَدِ وَسِرُّهُمْ ... إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا

وقال يحيى بن زياد

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لاَحَ بَيَاضُهُ ... بِمَفْرَقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا

وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي ... تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ انْ يَتَنَكَّبَا

وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْهٌ فَسَامَحَتْ ... بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

وقال المرار بن سعيد

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ
وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقال عصام بن عبيد الزماني

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ
أَدْخَلْتَ قَبْلِيَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

وقال معن بن اوس

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمْ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ
إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

وقال عمرو بن قميئة

لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَى فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا
إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

وقال اياس بن القائف

تُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا

فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معاً ... كفى بالممات فرقة وتنائيا
إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها ... فقدت صديقي والبلاد كما هيا

وقال آخر

وأنت امرؤ إمّا ائتمنتك خالياً ... فخنت وإمّا قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال سالم بن وابصة الاسدي

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هجرا
إذا شئت أن تدعى كريماً مكرّماً ... أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرّا
إذا ما أتت من صاحب لك زلّة ... فكن أنت محتالاً لزلّته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلّة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

وقال المؤمل بن اميل المحاربي

وكم من لئيم ودّ أني شتمته ... وإن كان شتمي فيه صاب وعلقم
وللكفّ عن شتم اللئيم تكرّماً ... أضرّ له من شتمه حين يشتم

وقال بعض الفزاريين

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسوأة اللقبا
كذاك أدبت حتى صار من خلقي ... أني وجدت ملاك الشيمة الأدبا

وقال رجل من بني قريع

اذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه شديد

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ
وَإِنَّ امْرَءًا يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِماً مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقال آخر

وَإِنكَ لاتدري إِذَا جاءَ سَائِلٌ أَأَنتَ بِمَا تعطيهِ أَمْ هوَ أَسعدُ
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لهُ غَدُ
وَفِي كَثْرَةِ الأَيْدِي لِذِي الْجَهْلِ زَاجِرٌ وَلَلْحِلْمُ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

وقال آخر

وَإِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وقال العباس بن مرداس

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ
ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلاَ الصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ
فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمُ قَلِيلاً فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمُ كَثِيرُ

وقال منظور بن سُحَيم

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقِرَى أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي الْبَوَاكِيَا
فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِيَ مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا
وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِئَامٌ فَادَّكَرْتُ حَيَائِيَا
وَعِرْضِيَ أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

وقال سالم بن وابصة

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لَحْمِي وَلَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُهُ حِقْدًا مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمِ
بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوَتَّرَةً يَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ
إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال آخر

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

وقال نافع بن سعد الطائي

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكَرَّمَا
وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وقال حاتم الطائي

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لِتَشْرَبَ مَاءَ الحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ
وَمَا أَنَا بِالطَّاوِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفًّا وَأَتْرُكَ صَاحِبِي
إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقَلُوصِ فَلَا تَدَعْ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ
أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ العِقَابُ فَعَاقِبِ

وقال عروة بن الورد

دَعِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ لَعَلَّنِي أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الحَقِّ مَحْمِلُ
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الحُقُوقِ مُعَوَّلُ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الأَيَّامُ فَالمَوْتُ أَجْمَلُ

وقال آخر

تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا وَخُلَّةِ ذِي وُدٍّ أَشُدُّ بِهِ ازْرِي

وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحُزُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الوَدَجَا
وَمَا نَزَلْتُ مِنَ المَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا

وقال مالك بن حريم الهمداني

وَأُنْبِئْتُ وَالأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
بِأَنَّ ثَرَاءَ المَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ
وَإِنَّ قَلِيلَ المَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كَمَا حَزَّ القَطِيعُ المُحَرَّمُ
يَرَى دَرَجَاتِ المَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسْطَ القَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

وقال محمد بن بشير

لَأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بِالخَلَقِ وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالعُلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي وَكَانَ مَالِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي المَنْهَلِ الرَّنِقِ

وقال ايضاً والوزن كالاول

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجَا أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا
كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

وقال رجل من الفزاريين

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي القَوْمِ الطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ



محمد علي باشا



ابرهيم باشا

تاريخ محمد علي باشا

تابع ما قبلهُ

لما استتبّ الامر لمحمد علي باشا في الديار المصرية ولم يبقَ لهُ منازع قوي يخشى شرهُ بعد نكبة المماليك وجَّه عنايتهُ الى استرضاء الدولة فاخمد لها ثورة الوهابية في الحجاز وساعدها على اخماد ثورة اليونان . وكان يعلم ان ذلك كلهُ لا يكفيها بل قد تعزلهُ في اية ساعة ارادت وتولي مصر مَن يدفع لها اكثر منهُ وانهُ لا بدَّ لهُ من ان يعدَّ المعدَّات الحربيَّة لمناوأتها اذا تصدَّت لهُ وهذه المعدات من جنود واسلحة وسفن حربية لا تقوم الَّا بالمال الوافر فتصرَّف في جمعهِ على طرق شتَّى حتى لم يعد في الامكان ان تزاد الضرائب عما صارت اليهِ فحوَّل عنايتهُ الى اصلاح الزراعة والصناعة والتجارة لكي يزيد ريع البلاد ودخلهُ منها لانها اصبحت ملكاً لهُ والى افتتاح السودان لاستخراج الذهب من مناجمهِ وتجنيد الجنود من اهاليهِ والتخلُّص من الارنؤود الذين صار يخشى شرهم والى تنظيم الجنود المصرية على حسب الطرق الجديدة لكي يسهل عليهم مصادمة جنود الدولة اذا دعت الحال الى ذلك . حتى اذا قوي ساعدهُ خرج على الدولة فغزا سورية وفتح مدنها عنوة ونكَّل بالجيوش العثمانية في معارك كثيرة كما سيجيء وكاد يصل الى عاصمة السلطنة . ولولا الدول الاوربية ولا سيما انكلترا لكانت السلطنة العثمانية على غير ما هي عليهِ الآن وسنشرح هذه الامور باوجز عبارة

اخماد ثورة الوهابية

نشرنا في هذا الجزء فصلاً آخر يبين فيهِ اصل الوهابية وتحوُّلهم من الدعوة الدينية المحضة الى الغرض السياسي . وقد همَّ الدولة العلية امرهم لئلا تقوم في بلاد العرب خلافة عربية تنازعها الملك ولأن اشراف مكة رأوا ان امرهم صائر الى العدم اذا استفحل امر الوهابية فلم ينفكوا عن الاستنصار بالدولة عليهم مع ما كان فيها من الاضطراب الداخلي بقيام الانكشارية على السلاطين وقتلهم . فاستعانت بمحمد علي على الوهابية فكفاها شرهم ولكن بعد ان افنى في حروبهم بدرات الاموال وسفك دماء الوف من الرجال. وقد سيَّر عليهم ثلاث حملات الحملة الاولى بقيادة ابنهِ طوسون اوفدها سنة ١٨١١ وكان الشريف غالب امير مكة يكاتب محمد علي ويظهر لهُ النصح والصداقة ويعدهُ بنصرة عساكرهِ متى وصلت الى الحجاز . قال الجبرتي انهُ كان "ينافق للعثماني والوهابي في وقت واحد لانهُ كان يخاف الوهابي فيقول لهُ انهُ معهُ على العهود التي عاهدهُ عليها من ترك الظلم واجتناب البدع وكان يميل الى العثمانيين لكونهِ

علي طريقتهم. ووصل جنود هذه الحملة الى قلعة ينبع وامتلكوها عنوة ونهبوا كل ما كان فيها من الودائع والاموال والاقمشة والبن وقتلوا الرجال وسبوا النساء والبنات وباعوهنَّ ووصل المبشرون بذلك الى القاهرة فضربت المدافع من القلعة وطاف المبشرون علي بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وارسلوا بتلك البشارة شخصاً الى اسلامبول يبشرون اهل الدولة وسلطان الاسلام بأول فتح حصل"

وسارت الجنود المصرية من ينبع الى ان وصلت الى الصفراء والجديدة والارض هناك جبليَّة وكان العرب قد كمنوا لها فيها فهزموها شر هزيمة فهربت من وجوهم لايلوي اولها على آخرها ولجأ بعضها الى البريك وبعضها الى ينبع وبعضها الى المويلح وهي تظن العرب جادين في اثرها ولااحد يتبعها وعاد كثيرون منها ومن زعمائها الى مصر. قال الجبرتي "ولقيتُ بعض اكابرهم من الذين يدَّعون الصلاح والتورع فقال لي انَّى لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام فيهِ فريضة . والقوم (الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذن فينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذَّن المؤذن وصلُّوا صلاة الخوف فتنقدم طائفة للحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وينادون في معسكرهم هلمَّ الى حرب المشركين المستبيحين الزنا الشاربين الخمر التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحِلين المحرمات" .

وبلغ شريف مكة ما حلَّ بالجنود المصرية عند الصفراء والجديدة فكاتب محمد علي وبيَّن لهُ من اين تؤكل الكتف وذلك ان الذين هزموا الجنود المصرية هم عرب حرب والصفراء وهم مجهودون والوهابية لايعطونهم شيئاً ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلتم لهم الاموال واغدقتم عليهم الانعام صاروا معكم وملكوكم البلاد . فجدَّ محمد علي في جمع الاموال باي وجه كان وارسلها صناديق محملة وجعل يرسل تجريدة بعد تجريدة الى ينبع وقصد اعوانهُ شيخ قبيلة حرب ولم يزالوا بهِ حتى وافقهم على غرضهم فاعطوهُ مئة الف فرانسه عدا الخلع والفراء وشالات الكشمير واعطوا كذلك بقية شيوخ العرب فسهلوا عليهم الاستيلاء على المدينة المنورة ثم على مكة وجدة . وبلغ الخبر محمد علي فافرج عنهُ ثم سار بنفسهِ الى الحجاز لكي يقوى جنودهُ على قهر الوهابية ولعلهُ اراد ايضاً ان يجد سبيلاً لامتلاك تلك البلاد حاسباً انهُ اذا لقب بصاحب الحرمين الشريفين رسخت في الولاية قدمهُ وانتشرت في الاقطار مهابتهُ واحجمت الدولة العلية عن مصادرتهِ . واخذ معهُ جماعة من الضباط الاوربيين ليدير بهم جنودهُ .

وكان زوج اخت شريف مكة قد خرج الى الوهابية وانتصر لم فأُخذ اسيرًا ووضع الشريف الاغلال في عنقهِ وارسلهُ الى الاستانة فاسقط في يد الامير سعود امير الوهابية وأرسل يفتديهِ بالمال وطلب الصلح من محمد علي وشريف مكة فاجيب ان الصلح لا يتم ما لم يدفع كل ما أُنفق على الجنود من ابتداء الحرب الى ذلك الحين ويرد كل ما غنمهُ من الحجرة الشريفة ويدفع قيمة كل ما تخرَّب بسببهِ

ثم ان محمد علي قبض على شريف مكة غيلةً وعلى اولادهِ وارسلهم الى جدَّة ومنها الى مصر واستولى على اموالهم وكنوزهم وهي وافرة جدًّا وفيها سبحات من الجوهر النفيس وامَّر الشريف يحيى بن الشريف سرور بدلاً من عمهِ لكن عملهُ لم يقع موقع الرضي عند رجال الدولة العلية لانهم اوجسوا منهُ شرًّا فارسلوا اليهِ ليرد الشريف الى مكة ويرد اليهِ ما اخذهُ منهُ من الاموال والذخائر. وعاد محمد علي الى مصر بغتة لانهُ بلغهُ ان خزندارهُ لطيف باشا عاد من الاستانة ومعهُ فرمان الولاية لنفسهِ وكان قد ارسلهُ اليها بخبر فوزهِ على الوهابية

وتوفي الامير سعود امير الوهابية وخلفهُ ابنهُ عبد الله وكان ضعيف الراي لين العريكة يكره الحرب وسفك الدماء فارسل الى طوسون باشا يعرض عليهِ الطاعة وتمَّ الصلح على ان يحتل طوسون باشا مدينة الدرعية عاصمة بلاد نجد وهي عاصمة الوهابيين ويرد الوهابيون ما اخذوهُ من الحلي والجواهر من الحجرة الشريفة ولا سيما الماسة المعروفة بالكوكب الدري التي زنتها مئة وثلاثون قيراطًا. وجاء نفر من الوهابيَّة الى القطر المصري حينئذٍ والتقى الجبرتي باثنين منهم وقال انهُ وجد منهما انسًا وطلاقة لسان واطّلاعًا وتضلّعًا ومعرفة بالاخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الاخلاق وحسن الادب في الخطاب والتفقُّه في الدين واستحضار الفروع الفقهيَّة واختلاف المذاهب. وانهما دخلا الجامع الازهر وسألا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل وعن الكتب الفقهيَّة المصنفة في مذهبهِ فقيل لهما ان اهل هذا المذهب انقرضوا من ارض مصر. واشتريا نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشّاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها

ولم يرضَ محمد علي بهذا الصلح لانهُ لم يُنِلْهُ ما كان يبتغيهِ من بلاد العرب فارسل ابنهُ الاكبر ابرهيم باشا لتأديب الوهابيَّة وعاد طوسون باشا الى مصر واصيب بالطاعون وتوفي بهِ. اما ابرهيم باشا فانهُ ابلى بالوهابيَّة وفتح مدنهم ومعاقلهم فسلموا لهُ واتى باميرهم عبد الله الى مصر ليسير منها الى الاستانة فقابلهُ محمد علي بالبشاشة وقام لهُ اكرامًا واجلسهُ الى جانبهِ وحادثهُ وقال لهُ ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال فقال محمد علي وكيف رأيت ابرهيم باشا

قال بذل الهمة وما قصَّر حتى كان ما قدَّرهُ المولى . وكان معهُ صندوق صغير سألهُ محمد علي عمَّا فيهِ فقال هذا ما اخذهُ ابي من الحجرة اتيت بهِ لآخذهُ الى السلطان وفتحهُ فاذا فيهِ ثلاثة مصاحف ونحو ثلثمئة حبَّة من اللؤلوءِ الكبير وحبَّة زمرُّد كبيرة . فقال لهُ محمد علي ان اباك اخذ من الحجرة اشياء كثيرة غير هذه فقال هذا الذي وجدتهُ عند ابي فانهُ لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسهِ بل اخذ منهُ كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة. فقال محمد علي هذا صحيح وقد وجدنا عند الشريف اشياء من ذلك

ووصل الامير عبد الله الى الاستانة فطافوا بهِ في شوارعها ثلاثة ايام ثم قطعوا رأسهُ وزالت بهِ شوكة الوهابيَّة

فتح السودان

كان محمد علي يسمع عن حروب نبوليون وعن مهارة الجنود المنظمة وتتوق نفسهُ الى تنظيم جنودهِ وحاول ذلك غير مرة فلم يستطع لان الجنود التي عندهُ من الارنؤود والدالاة والمغاربة كانت تثور عليهِ وتضطرهُ الى العدول عن رأيهِ فلما عاد من الحجاز وكان قد استخدم بعض الضباط الفرنسويين صمم على تنظيم جنودهِ بواسطتهم فثار رؤَساءُ الجنود عليهِ وتآمروا على الفتك بهِ وافشى واحد منهم سرَّهم فاحتاط محمد علي لذلك ولما رأوا ان مكيدتهم عرفت لم يسعهم الرجوع عن عزمهم لانهُ لا بدَّ لهُ من الانتقام منهم على كل حال فاجمعوا على ان يتفرقوا في شوارع القاهرة ويعيثوا فيها فساداً حتى يتألب حولهم الرعاع وتشتد الفتنة ففعلوا ولكن دارت الدائرة عليهم . ورأى محمد علي حينئذٍ ان لا بدَّ لهُ من ارسال فريق كبير من الجنود غير المنظمة من البلاد حتى يتيسَّر لهُ تنظيم البقية وكان قد سمع عن غنى السودان ورأى التبر يؤْتى بهِ من سنار وزيَّن لهُ بعضهم سهولة الاستيلاء عليها وتجنيد الجنود منها فبعث اليها حملة عقد لواءها لابنهِ الاصغر اسمعيل باشا وكان قد علَّم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سف Sèves الفرنسوي ياور الجنرال ناي وهو الذي سمي بعدئذٍ سليمان باشا الفرنسوي فسهل عليها الفوز على السودانيين . وارسل حملة أُخرى عقد لواءها لصهرهِ محمد بك الدفتردار بعث بها لفتح كردوفان . وفتح اسمعيل باشا بلاد النوبة بعضها سلماً وبعضها حرباً وظلَّ سائراً الى ان وصل الخرطوم في نحو عشرة اشهر وسار منها قاصداً سنار وكان يلاقي بعض الصعاب في طريقهِ لان المماليك الذين فرُّوا من القطر المصري الى بلاد السودان اخذوا معهم بعض البنادق والمدافع وعلَّموا السودانيين كيفية الحرب والصدام. ودخل اسمعيل باشا سنار من غير حرب لان ملكها بلغهُ ما حلَّ بغيرهِ فلاقاهُ طائعاً فاقرَّهُ عليها ولكن وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسمعيل

باشا فمات اكثره ُ وبلغ محمد علي ذلك فبعث بابنهِ ابرهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسمعيل وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل في فرعيهِ الابيض والازرق . واصيب ابرهيم باشا بالدوسنطاريا فعاد ادراجهُ الى مصر وتولى ياورهُ طوسن بك قيادة جيشهِ

واما محمد بك الدفتردار فالتقى بجنود كردوفان في باره وهزمهم واثخن فيهم قتلاً واسراً لانهم كانوا مسلحين بالسيوف والحراب واما جنودهُ فكانوا مسلحين بالبنادق والمدافع . ثم بلغهُ ان الملك نمراً ملك شندي اغتال اسمعيل باشا فعاد الى المتمة واثخن في اهلها وذلك ان اسمعيل باشا عاد الى شندي لانهُ بلغهُ ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استحضرهُ اليهِ وعنَّفهُ وفرض عليهِ جزية فاحشة فاضمرها لهُ ودعاهُ الى وليمة هو ورجالهُ وسقاهم كثيراً من المسكر وكان قد جمع قشاً وهشيماً حول مكان الوليمة فاضرم فيهِ النار ووقف هو ورجالهُ بسيوفهم حول النار يقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسمعيل باشا خنقاً ومات كل الذين معهُ وانتشر الخبر في السودان فجاهر امراؤُهُ بالعصيان وعاد الدفتردار الى شندي كما تقدَّم فقتل اهل المتمة ووجد ان الملك نمراً هرب من وجههِ فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصلهُ الامر من محمد علي بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوَّخ بلاد السودان ومهَّدها للولاة الذين جاؤُوها بعدهُ ولم يجد فيها محمد علي ذهباً كثيراً ولا تجارة كريمة لكنهُ استفاد من تجارتها ومن الرقيق الذي كان يرد منها . ولم يحسن ولاتهُ ادارتها فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفاً للظلم والقسوة حتى الآن

اخماد ثورة اليونان

وثارت بلاد اليونان تطلب الاستقلال فاستعان الباب العالي عليها بمحمد علي ليشغلهُ عن طلب الاستقلال فخرج عليها ابرهيم باشا بنحو ثمانية آلاف من المشاة وثمانمئة من الفرسان والمدفعية وكان قد استخدم كثيرين من الضباط الفرنسويين والايطاليين لتنظيمهم وكان معهُ اسطول كبير فيهِ ثلاثون بارجة واربع حراريق و ١٦ من مراكب النقل التركية و ٢٨ من مراكب النقل الاوربيين فعقد الفوز لهُ في كل المعارك تقريباً حتى خيف من انهُ يستأْثر بامتلاك بلاد اليونان ولكن جاءَت واقعة نفارينو المشهورة سنة ١٨٢٧ فتلف بها الاسطول المصري والاسطول التركي ثم جاءَت معاهدة لندن فحرمتهُ من ثمرة حربهِ في بلاد اليونان . وأُرسلت الجنود الفرنسويَّة لاخراج الجنود المصرية من تلك البلاد ولكنهُ جنا شيئاً آخر وهو ان جنودهُ تمرَّنت على الحروب المنتظمة حتى فازت في المعارك التي وقعت بينها وبين الجنود العثمانية كما سيجيء

تعمير البلاد

لا نريد بتعمير البلاد هنا ترقية اهاليها وتسهيل سبل الكسب لهم وحفظ ما في يدهم من الاموال والمقتنيات كما تفعل الممالك المتمدنة الآن . بل تكثير خيراتها وترويج متاجرها حتى ينال واليها النفع الاكبر منها . هذا هو الغرض الذي كان محمد علي يرمي اليهِ في ما فعلهُ في البلاد ودليلنا على ذلك انهُ كان يناظر التجار ويحاول احتكار التجارة والاستئثار بالمكاسب كلها واذا بلغهُ ان احدًا من الاهالي جمع ثروة طائلة صادرهُ فيها حتى يبتزها منهُ وقد يبتز روحهُ معها . وتاريخ الجبرتي مملوء من هذه المصادرات حتى ان الثروة كانت اكبر بليَّة على الناس . والظاهر ان الايام لينت طباعهُ في اخريات ايامهِ فصار حليماً رؤوفاً يرأف بالناس ولو اثروا وقد ينعم عليهم بالاموال الطائلة

اما الملوك الذين غرضهم الاول تعمير بلادهم فلا يتصدون للتجارة ولا يناظرون الناس في اعمالهم ولا يصادرون الاغنياء بل يكرمونهم ويحسبونهم من دعائم ملكهم

وقد اورد الجبرتي اخبارًا كثيرة عما كان محمد علي يفعلهُ في احتكار التجارة قال في حوادث سنة ١٢٢٥ هـ انهُ "سافر الى الاسكندرية ليبيع الغلال التي جمعها من البلاد بالفرَض التي فرضت على الاهالي فباع الافرنج اكثر من مئتي الف اردب كل اردب بمئة غرش وسعر الاردب في مصر ثمانية عشر غرشاً وهو لم يشترها ولم تكن عليهِ بمال بل اخذها من زراعة الفلاحين من اصل ما فرضهُ عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل والزامهم بكلفة شيلهِ واجرة نقلهِ الى المحل الذي يلزمونهم بوضعهِ فيهِ واخذ من الافرنج ثمنهُ اصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسه والبضائع من الجوخ والقرمز والقصدير" . فهذه مئتا الف جنيه وكأَنها خرجت من جيوب الفلاحين ودخلت جيبهُ

وقال في حوادث سنة ١٢٣١ انهُ " استمرَّ في بناء السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلي وبحري الى الاسكندرية لتباع للافرنج الاردب من الحنطة بستة آلاف فضة . وكان اذا استوفى كل المطلوب من الفلاحين وبقي عندهم شيءٌ من الحبوب اخذهُ منهم وحسبهُ لهم بنصف ثمنهِ ولا يعطيهم هذا النصف بل يحسبهُ لهم من اصل المال الذي يطالبون بهِ في العام المقبل . ولرغبتهِ في التجارة انشأ سفناً ببحر الروم وبحر القلزم واقام لهُ وكلاء في كل الاساكل حتى ببلاد فرنسا وانكلترا ومالطه وازمير وتونس ونابلي والبندقية واليمن والهند واعطى اناساً مقادير عظيمة من الاموال ليسافروا بها ويجلبوا البضائع وجعل لهم الثلث في الربح نظير سفرهم وخدمتهم فمن ذلك انهُ اعطى للرئيس حسن المحروقي خمسمائة الف فرانسه ليسافر بها الى الهند

ويشتري البضائع الهندية ويأتي بها الى مصر ولشخص آخر ستمائة الف فرانسه وكذلك لمن يذهب الى بيروت وبلاد الشام لمشترى الحرير. وعمل في مصر مصانع لنسج القطن والحرير والجنفيص واحتكر ذلك وابطل دواليب الصنّاع واقامهم يشتغلون وينسجون في المناسج التي احدثها ويأخذ من ذلك ما يحتاج اليهِ وما زاد يرميهِ على التجار وهم يبيعونهُ للناس باغلى ثمن وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفاً بعد ان كان يباع بنصفين"

وقال في مكان آخر انهُ "اخذ كل ما ورد في مراكب التجار من البضائع على ذمتهِ ثم باعهُ للمتسببين بما احب من الثمن . وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبهُ اخضر وجرمهُ اكبر من جرم البن اليمني الذي يأتي الى مصر في مراكب الحجاز فاخذهُ في جملة ما اخذهُ في معاوضة الغلال ورماهُ على باعة البن في مصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونهُ بالزيادة ويخلطونهُ مع البن اليمني وهو دون البن اليمني في الطعم واللذة وبينهما فرق ظاهر". ولخص تلك الاقوال في حوادث سنة ١٢٣٥ حيث قال " ان اسباب الخراب التي نصّ عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة وزاد على ذلك احتكار جميع الاصناف والاستيلاء على ارزاق الناس فلا تجد مرزوقاً الاَّ مَن كان في خدمة الدولة متولياً على نوع من انواع المكوس او مباشراً او كاتباً او صانعاً في الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينمّ بها عليهِ فيحاسب عن مدة استيلائهِ فيجتمع عليهِ جملة من الاكياس فيلزم بدفعها وربما باع دارهُ ومتاعهُ فلا يفي بما تأخر عليهِ فاما يهرب ان امكنهُ الهرب واما يبقى في الحبس هذا اذا كان من ابناء العرب واهالي البلد واما اذا لم يكن منهم فربما سومح او تصدَّى لهُ من يخفف عنهُ او يدخلهُ في منصب او شركة فيرتفع ويرجع احسن مما كان "

وهذا ابلغ وصف رأيناهُ للاسلوب العقيم الذي جرى عليهِ محمد علي في تعمير القطر المصري ولا عجب اذا زالت آثار اعمالهِ النافعة لانها كانت مرتبطة بهِ ومتوقفة عليها فلما زال زالت ولم يبقَ منها الاَّ ما هو عمومي مثل الترعة المحمودية التي اوصل بها الماء الى الاسكندرية وجعلها كافية للملاحة . وسد ابي قير الذي ردَّ بهِ غوائل البحر عن مديرية البحيرة . والقناطر الخيرية وهي وان لم تفد في زمانهِ لكنها افادت في هذا العصر بعد ان قوّيت ووثّقت جدرانها فوائد لا تقدَّر بمال لانهُ لولاها ما امكن زرع القطن في الوجه البحري ولو لم يبنها هو لبنيت في هذا العصر

وكتب المستر باركر الذي كان قنصلاً لانكلترا في هذا القطر يصف اشتغال محمد علي

بالتجارة قال لما اتيت هذا القطر كنت احسب ان سموَّهُ يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميلهِ مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا من القطن في السفينة الفلانية وطيهُ ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابقِ صافي الثمن تحت امري . وظننت انهُ يمكنني ان اقنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاختبار ان التجار يخونونهُ اذا ائتمنهم ولذلك فالطريقة الفضلى لهُ ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعهُ بالمزاد لمن يرسو عليهِ اعلى سعر و يكون الثمن نقداً . ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيهِ مشروعاتهُ من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدّم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة او ستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة أعشار الثمن نقداً واتعهَّد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا . وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفاً والباقي عند التسليم . ويقول الذين ذاكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيهِ غبن كثير على المشتري . واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انهُ يبقى عندهُ جانب من الثمن طلب منهُ ان يرسل اليهِ بعض الآلات الثمينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنهُ الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديونًا لا دائنًا حاسبًا ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبهُ منهم لكي لا يخسروا معاملتهُ

ثم كتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يصف استعداد محمد علي لمحاربة السلطان قال ان الباشا باذل اقصى جهدهِ في تحصين الثغور البحرية لانهُ يحسب ان السلطان سيعود اليهِ ويناقشهُ الحساب بعد فراغهِ من حرب الروس . وعندهُ الآن خمسون الفًا من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفًا من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيرًا لا تزال ترهبهُ . وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس. ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فاتلف من المزروعات ما يقدَّر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنهُ لم يتأخر عن التأهُّب مخافة من ان يقصدهُ السلطان بمكروه . وغاظهُ عقد الصلح بين الدولة والروس لانهُ اراح السلطان . وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولها خمسون مدفعًا بناها لهُ رجل تركي امي لا يقرأُ ولا يكتب. وعندهُ رجل فرنسوي اسمهُ ده سريسي وهو الذي يبني سفنهُ عادةً وقد بنى لهُ الآن بارجة

محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال يبني ثلاث بوارج أُخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب سنة ١٨٣٠ يقول لم تبقَ شبهة في ان محمد علي ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم . وقد تكلم ابرهيم باشا مع ضباط جيشهِ وبيَّن لهم عزمهُ على مناوأة الدولة كأنهُ يريد ان يؤَثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونهُ . ومما قالهُ لهم " ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منهُ شربة ماء لمنعها عنا . ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عندهُ كاولادهِ وبفضلهِ وكرمهِ وصلنا الى ما صلنا اليهِ انا وانتم . مصر لهُ اخذها بسيفهِ ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيرهُ "

وكتب يصف بعض المصانع التي انشأها محمد علي قال لما صرنا على مقربة من رشيد التفتُّ الى الشاطىء فاذا انا بجبل من بالات القطن فيهِ الف وخمسمائة بالة وبجبل آخر من اكياس الفول يصعد عليهِ السياح فيطلون على المدينة والبلاد المجاورة لعلوهِ . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرهِ ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً فاخراً لعمل الطرابيش المغربية لم يستطع الاوربيون ان يناظروهُ . وفي هذه المعامل ثلاثة آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين

وكتب سنة ١٨٣١ يقول ان محمد علي شرع في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون اكبر بوارج الدنيا طول جسر قاعدتها مئتا قدم وعرض ظهرها نحو ستين قدماً . وقد بلغ قطنهُ هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندهُ زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وقد نجحت زراعة شجر التوت لتربية دود الحرير ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكر والروم . والمدبغة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي لاحذية الجنود والبحارة

وزبدة القول ان محمد علي امتلك الديار المصرية بالحرب والحيلة وجرى على الاساليب التي كان يجري عليها معاصروهُ من اهل المشرق وكال لخصومهِ بالكيل الذي كانوا يكيلون لهُ بهِ لو تمكنوا منهُ . ثم سمت نفسهُ الى توطيد قدمهِ وتوسيع ملكهِ فاعدَّ ما استطاع من عدة واستخدم ما اتصلت اليهِ يدهُ من الوسائل لتنظيم الجيوش وعمل الاسلحة وبناء البوارج واوجد ما يلزم لذلك من الاموال الطائلة باستغلال البلاد واصلاح زراعتها واخذ كل ما امكن اخذهُ من اهاليها والقبض على ازمة الصناعة والتجارة . وقد اضطرهُ ذلك الى حماية الاوربيين وترغيبهم في الاقامة فيها فروعيت حقوق الناس رويداً رويداً الى ان نسخت اساليب الجور القديمة . اما الحملة على بلاد الشام وما جاورها فسنفرد لها فصلاً خاصاً في الجزء التالي

أَلرجل أَسعد ام المرأَة

يتفنن اصحاب الجرائد الغربية تفنناً غريباً في ابتكار المواضيع وابتداع الطرق والاساليب لترويج جرائدهم وفتح باب المناقشة والمناظرة في المواضيع الادبية والاجتماعية التي يتشوق الجمهور اليها ويقبلون عليها مثل مسألة العزوبة والزواج والمقابلة بين الجنسين الرجال والنساء في الخَلق والخُلق كقولهم "ايٌّ اجمل الرجل او المرأة" وقولهم "ايٌّ اسعد عيشاً الرجل او المرأة" فيقبل الكتاب على الكتابة في امثال هذه المواضيع وكلٌّ يرى رأْياً ويذهب مذهباً

ومن هذه المواضيع ما اقترحهُ صاحب مجلة بيرصون في جزء حديث. فانهُ كان يتنزه في بعض الغياض فرأى سنجاباً يتسلق شجرة فتمنى لو مسخ مثلهُ يوماً واحداً ثم عاد بشراً فيخبر بما كان يشعر بهِ في اثناء مسخهِ. وخطر في بالهِ ان يسأل قراء مجلتهِ من العلماء الطبيعيين السؤَال الآتي وهو "لو أُتيح لكم ان تمسخوا حيوانات فاية الحيوانات تختارون" فمنهم من اختار الفيل ومنهم من اختار الوعل ومنهم من اختار القرد او السمكة او الذبابة او العصفور. والذي اختار الذبابة انما اختارها لسرعة طيرانها في الهواء فتتمتع من مناظر الطبيعة ومشاهدها بما لا يتيسر لانسان ولكن لم يرضهِ قصر عمرها. ومن اختار العصفور قال انهُ اختارهُ لانهُ ملك الهواء يتقلب في طبقاتهِ كيف شاء ويحوم على الاشجار ذات الاثمار ويتنقل في الرياض بين الازهار

وفائدة الكتابة في هذه المواضيع شاملة للكاتب والقارىء. فالاول يجد فيها متسعاً للتصورات والتخيلات مما يشحذ القرائح ويعوّد القلم السيولة في كلّ ما ينتدب اليهِ. والثاني يتعلم منها ما لم يكن يعلمهُ ولا سيما اذا كان الكاتب ممن حوى ووعى

عرفنا استاذاً كان يقترح على تلامذتهِ الكتابة في مواضيع على هذا المنوال ظاهرها تافه مضحك وباطنها مفيد مهذّب. منها "لو كنت هرًّا" اي ان يحسب كلٌّ منهم نفسهُ هرًّا ويكتب تاريخ عمرهِ من لدن شبّ حتى درج وما جرى لهُ في حياتهِ وما ارتكب من السرقات وما اتى من المنكرات. فكان كلٌّ يكتب ما تملي عليهِ مخيلتهُ وتجود بهِ قريحتهُ

كتب بعضهم في الموضوع الذي سبقت الاشارة اليهِ في صدر هذه المقالة وهو "ايٌّ اسعد عيشاً أَلرجل او المرأة" فوضع نفسهُ تارةً موضع الرجل وطوراً موضع المرأة. فذكر المزايا التي للرجل على المرأة كما يشعر بهِ هو ثم المزايا التي للمرأة على الرجل كما صوَّرهُ لهُ الخيال

وأراه الاختبار والمشاهدة ثم وضع مزايا كلٍّ في كفة من كفتي ميزان خياله فرجحت كفة المرأة وحكم انها احسن حالاً واسعد عيشة من الرجل . قال

يمتاز الرجل على المرأة بانهُ اقوى بدنًا واقل تأثرًا وشعورًا . وهو يعتقد انهُ اسعد حالاً من المرأة واعتقاده هذا يساعده على احتمال كثير من متاعب الحياة ومشاقها بلا تأفف ولا تذمر . ولعل هذا الاعتقاد وهميٌّ لا اساس من الصحة لهُ ولكنهُ متأصل في صدور الرجال الى حدّ ان اشقاهم حالاً واتحسهم طالعًا يأبى ان يكون امرأة ولو كانت اهنأ النساء عيشًا واسعدهنَّ طالعًا . وعنده ان اسعد النساء اشقى من اشقى الرجال

على ان الكون كلهُ اوهام في اوهام ولولا ذلك لباد السلام وساد الخصام . فان النساء يعتقدن اعتقدات ليست اقلّ تاصلاً في صدورهنَّ من الاعتقاد المتقدم في الرجال بل ربما كانت ارسخ في نفوسهنَّ واثبت . اما تاثير اعتقاد الرجال المذكور آنفًا فيهم فهو انهُ يجعلهم لطفاء في معاملة النساء راغبين في العمل والسعي لعيالتهنَّ حريصين على الذود عنهنَّ . وهذا الامر طبيعي لازم لانهُ اذا ربي فتى كملت فيهِ صفات الرجولة بين فتيات قويات البنية مستقلات الراي عظيمات النفوذ والسلطة عليهِ ضعفت فيهِ صفات الرجولة ونشأ اشبه بالنساء منهُ بالرجال . وبعبارة اخرى ان اختباره للفتيات اللواتي نشأ بينهنَّ لم يعلمهُ ان المرأة ضعيفة تستحق عطف الرجل عليها ومساعدتهُ لها كما هو اختبار الرجال عادة بل انها اقوى منهُ فينحط لذلك من مقام الرجال . وهذا شان الرجل الذي يتزوج امرأة مترجلة فانهُ يخضع لها في الغالب وتفتر همتهُ وتضعف عزيمتهُ

هذا ولما كان الرجال اكثر حرية واستقلالاً من النساء كانوا بالطبع اكثر تعرضًا للخطر منهنَّ فان حريتهم في الشغل والعمل جعلتهم اقوى بنية واكثر تعرضًا للمشاق والمخاطر . ثم ان الرجال اكثر تعلمًا من النساء وتمرسًا بشؤون الحياة وعليهِ ينتظر منهم اكثر مما ينتظر منهنَّ فاذا قصروا طولبوا على قدر معرفتهم واستحقوا اللوم على قدر اختبارهم لان الذي يعرف كثيرًا يطالب باكثر

ويقاسي الرجال من مناظرة اقرانهم ومنافستهم اكثر مما يقاسي النساء ولكن النساء لا يعلمن ذلك لان الرجال قلما يخبرونهنَّ بهِ والمرأة لا تخشى اختها مثلما يخشى الرجل اخاه . فانك كثيرًا ما ترى الرجل يقضي عليهِ يأسًا بسبب ما يلقى من نكران الجميل وقلة الاخلاص والوفاء واللؤم ممن كان يظنهم خلّص الاصدقاء فضلاً عما ينالهُ من كيد الاعداء وانتقامهم . اما المرأة فقلما ينالها مثل ذلك

والعمر اشبه ببرنج او ميدان صفَّت حولهُ المقاعد والمجالس فيتصارع الرجال في ساحتهِ ويتطاعنون ويقتل بعضهم بعضاً على ان النساء يجلسن في كراسيهنَّ ويشاهدن ما يجري وجهد ما يلقين من العناء انهنَّ يتزاحمن على المقاعد الامامية وغاية ما ينال المغلوبة منهنَّ انها لا تجد لها كرسيًّا فتقف خلف المقعد الاخير بعيدة عمَّا يتعرض لهُ المتبارزون من الموت او العار

ثم ذكر الكاتب بعض هموم النساء ومشاغلهنَّ فقال ان منها هموم الزواج والازواج والاولاد والخدم والخياطات . ثم هموم العزوبة وما فيها من العزلة وما تجرهُ من الكآبة والسوداء فتشتغل الغنيات منهنَّ بالمبرات . ومتوسطات الحال بالاقتصاد حتى تستفيد الواحدة من الدينار قدر ما تستفيد الغنية من خمسة دنانير. والفقيرات اما باحتراف الحرف واما بارتكاب المعاصي . ومن رأيهِ انهُ مهما كثرت هموم النساء ومشاغلهنَّ فهي دون هموم الرجال ومشاغلهم

المرأة بين الغيرة والحب

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يشتهيها احد لعدوٍ فضلاً عن صديق — وقفا بين عاملين قويين تنازعاها وتجاذباها كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليهِ الاَّ اذا قلَّت قوة الآخر او صارت اقرب اليهِ منها الى الآخر

ففي تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديدتين حبّ بلادهِ وحبّ ولي عهدهِ فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهدهِ على ما كان بهِ من السفه والطيش والعناد يجرُّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتلهِ برًّا بوطنهِ

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروميّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حب الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قاتلة الزوج والاولاد فداء البلاد وهجرت بيتها برًّا بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حكم على ولي عهدهِ بقلع عينيهِ فاما ان يعفو عن ابنهِ فيسخط العدل ويرضي الرحمة او ان ينفذ الحكم فيهِ فيرضي العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنهُ لذة بصرهِ فاختار الثاني ولكنهُ فقأ عيناً من عيني ابنهِ وعيناً من عينيهِ فوفق بين العدل والرحمة بما يرضيهما كليهما

وفي الرواية المعروفة باسم "غرام وانتقام" وقف بطل الرواية بين حب معشوقتهِ

والانتقام من ابيها قاتل ابيهِ فاختار الثاني دون الاول ولم يمنعهُ هوى حبيبتهِ عن الاخذ بالثار ازالة للعار

ومن اجمل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة أُوقفت موقفاً حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليهِ من بنات جنسها . ومتى عرفت ان الغيرة اظهر صفات المرأة واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركت حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرير الخبر ان اميرة حبشية احبت فتى من رعايا ابيها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنتهِ بان يقاد الى مشهد لهُ بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امرهُ بان يفتح الباب الذي يختارهُ فاذا كان وراءهُ الوحش مزقهُ ارباً او كان وراءهُ الفتاة زوجهُ اياها حالاً واطلق سبيلهُ وعفا عنهُ

فحار الفتى في امرهِ وادار نظرهُ في جمهور المشاهدين حولهُ فوقعت عينهُ على عين الاميرة حبيبتهِ وكانت هي وحدها تعلم ما في كلٍّ من الغرفتين فأشارت اليهِ ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لقي —

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الاميرة حبيبها على الباب الذي كان الوحش وراءهُ فلقي حتفهُ او دلتهُ على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءهُ فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرتها من الفتاة الجميلة التي اختارها ابوها ليزوجهُ اياها فدلتهُ على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرتها على حبها فدلتهُ على الغرفة الاخرى حيث افترسهُ الوحش الضاري مفضلة موتهُ على تزوجهِ بفتاة اخرى غيرها

فلبى الكتّاب دعوتها رجالاً ونساءً وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان الاميرة دلت حبيبها على باب نجاتهِ ومن ذاهب الى انها دلتهُ على باب حتفهِ . واكثر الكاتبات من الفريق الاول وحجتهن في ذلك انهُ وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة فانهُ لا يهون عليها ان ترى حبيبها يمزق ارباً امام عينيها . وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منهُ لانها اذا كانت مخلصة في حبها لهُ ضحت كل شيءٍ لتفتديهُ وتنقذهُ

وقالت اخرى انهُ وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرتها الى حد الجنون الَّا انها لا بدَّ ان تكون قد قالت في نفسها ما دمتُ في قيد الحياة ففسحة الامل

واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كلَّ ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بابعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

وقال كاتب ارى ان الاميرة عقدت نيتها على انقاذ حبيبها فلا تفقده بوقوعهِ بين براثن الوحش المفترس وان كان انقاذها لهُ يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانهِ بفتاة غيرها . والسبب في عقدها النية على تخليصهِ علمها انهُ وان تزوج غيرها لم يفتإ العمر عن ان يحلها المحلَّ الاول من قلبهِ وهذا مما يعزيها لانهُ ما من شيءٍ تطمح المرأة اليهِ في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لها المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عندهُ علماً منها بميل الرجل ميلاً فطرياً الى الارتقاء في المناصب. ثم انها تؤمل ان تموت زوجتهُ فتتزوجهُ بعد موت ابيها وهذا الأمل يوسع مجال العيش في عينها ويمكنها من احتمال المحنة بالصبر والسكينة

وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشدَّ من الحبِّ ثورة ولكن الحبَّ يتغلب عليها اخيراً فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنتهُ عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب . وهو لم يسيءْ اليها وانما اساء اليها ابوها بالحكم الذي حكم بهِ على الشاب

وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات

لا ريب عندي ان الاميرة دلَّت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع فائرة الدم لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذلك

وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصاً قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمًّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهنَّ امواتاً على ان يتزوجوا غيرهنَّ اذ لا بغض اشدَّ من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلَّمت الاميرة حبيبها الى الهلاك عفواً واعتباطاً . وقال آخر ان غيرة المراة اشدُّ وطأة من حبّها

ومن الكتَّاب من مزج المزح بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات اليها وطلبت منهُ ان يضع في احدى الغرفتين نمراً كان حبيبها قد رباهُ وعلمهُ الصراع وصارعهُ مراراً في المرسح امام ابيها وغيرهِ من المشاهدين . فلما أُطلق عليهِ لم يمسهُ بسوءٍ بل جعل يدور حولهُ متودداً اليهِ ثم انقلب على جنبهِ كأنهُ ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ابنتهُ باحتفال حافل

الطعام واللباس

من المسائل التي يكثر تداولها على الالسن قولهم ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس . وقد ظهر بالاختبار ان ما نحتاج اليهِ من الطعام يختلف كثيرًا باختلاف الاحوال واخصها الاقليم الذي نسكنهُ والحرفة التي نحترفها فان الذين يحترفون الحرف الشاقة من بدنية وعقلية يحتاجون الى مقادير من الطعام اكثر مما يحتاج اليهِ الذين لا شغل لهم ولا عمل بل يقضون معظم الوقت في البطالة والكسل . وطعام الذين يسكنون الاقاليم الحارة يجب ان يختلف في كميتهِ ونوعهِ عن طعام سكان الاقاليم الباردة

ومعظم الناس يأكلون اكثر مما يجب ان يأكلوا ولا يمكن تعيين كمية واحدة من الطعام لكلّ احد . ولكن وجد بعد البحث ان متوسط ما يلزم للبالغ من الذكور من الطعام الجامد في اليوم بين ٥٠٠ و ٧٠٠ درهم ومن الماء بين ٦٠٠ و ٩٠٠ درهم . والاناث يحتجن الى اقل من ذلك

وهذا الطعام الجامد اما ان يكون كلهُ نباتًا او خليطًا من الاطعمة النباتية والحيوانية والطعام المختلط خير من غيرهِ والناس يميلون اليهِ . وهم اقل حاجة الى الطعام في الصيف منهم اليهِ في الشتاء والسبب في ذلك ان الطعام مصدر حرارة الجسم ولما كان الجسم يشعُّ من حرارتهِ شتاء اكثر مما يشعُّ منها صيفًا كانت حاجتهُ الى ما يعوّض الحرارة في الحالة الاولى اكثر منها اليهِ في الحالة الثانية

واكثر مواد الطعام توليدًا للحرارة اللحم وخصوصًا الدهن وكأن الناس عرفوا ذلك بالغريزة فترى سكان الاصقاع الباردة يكثرون من اكل اللحوم وبعضهم يقتصر عليها دون غيرها وترى سكان المناطق الحارة يكثرون من اكل ما تنبت الارض من حبوب وبقول واثمار . وكأن الطبيعة تروم تنبيه الناس الى الاقلال من اكل اللحوم في الصيف والاكثار من المواد النباتية فتكثر الاثمار والبقول صيفًا

واكثر الخضر غذاء البازلاء واللوبياء والفصولياء والاثمار الموز . اما الاثمار الكثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال وما اشبه فانها قليلة الغذاء ولكن لها فوائد كثيرة

والانسان يشرب عادة في فصل الحر بين ٦٠٠و٩٠٠ درهم من الماء كلّ يوم ولكن طلب الماء يتوقف على درجة افراز العرق فكلما زاد افرازهُ زاد طلب الماء وكلما قلّ قلّ . وافضل ما يخفف العطش ويبرد الظمأ الماء المعتدل البرودة . ولكن اذا برد الماء كثيرًا وشربت منهُ

جرعات كبيرة كان منهُ ضرر وهكذا يقال في جميع المبردات فانها تضرُّ الهضم وتسبب التخمة اذا اكثر الانسان من شربها او شرب منها جرعات كبيرة . اما شرب الماء المبرَّد جرعات صغيرة فانهُ يخفف العطش ولا يضرُّ

ومن احسن المبردات الليموناده وسائر ما يدخلهُ الليمون على شرط ان يصنع من الليمون الطبيعي . اما ما يصنع من حامض الطرطير وحامض الليمون والحامض اللبنيك فمضرٌّ جدًّا والسوائل الغازية مثل الغازوزة منعشة للجسم لاحتوائها على غاز الحامض الكربونيك

وليس اضرُّ من شرب المشروبات الروحية في الحرّ . فان الذين يكثرون من شربها اقلُّ احتمالاً من غيرهم للحرّ واكثر عرضة للاصابة بالرعن (ضربة الشمس) . وقد اشتدَّ الجدال بين الاطباء على ما اذا كان الكحول مغذيًا يحسن شربهُ في حال الصحة او لا . والاكثرون على انهُ اذا لم تزد كمية ما يشرب منهُ في اليوم على ١٢ درهمًا فهو مفيد على الغالب اما الخمور التي هي اقلُّ كحولاً واخفُّ فعلاً فيجوز الشرب منها الى حدّ ثمانين درهمًا . واذا مزجت بالغازوزة انعشت في الحرّ

اما اللبس فخير للانسان أن لا يلبس ملابس غامقة اللون في الحرّ لانها تمتصُّ من الحرارة اكثر من غيرها واحسن الالوان الابيض فالاصفر فالضارب الى الحمرة فالضارب الى الخضرة فانها اقلُّ امتصاصاً للحرارة واسرع اشعاعاً

اساطيل الدول

اتَّضح الآن ان للاساطيل الحربيَّة الشأن الاكبر لدى الدول البحرية وان للبوارج المقام الاول بين الاساطيل لانها اقوى من غيرها في الهجوم واصبر في الدفاع . وقد عني قلم المخابرات البحرية في الحكومة الاميركية بالمقابلة بين اساطيل الدول ووصل في هذه المقابلة الى اول يونيو الماضي اي الى ما بعد المعركة البحرية الاخيرة بين الروس واليابان . وجعل اساس المقابلة كبر السفن الحربية وعمرها . وقسم السفن الى تسعة اقسام الاول البوارج التي من الطبقة الاولى وهي التي تفريغها عشرة آلاف طن فاكثر . والثاني حاميات السواحل من البوارج الصغيرة والسفن المراقبة . والثالث الطرادات المدرعة . والرابع الطرادات التي تفريغ الواحد منها اكثر من ٦٠٠٠ طن . والخامس الطرادات التي تفريغ الواحد منها بين ٦٠٠٠ و٣٠٠٠ طن . والسادس الطرادات التي تفريغها بين ٣٠٠٠ و١٠٠٠ طن . والسابع متلفات قوارب الطوربيد .

والثامن قوارب الطوربيد. والتاسع الغوّاصات . وقد حُسب بين الطرادات كل السفن الحربية غير المدرعة التي تفريغها اكثر من الف طن وأُهمل وصف الطرادات المحمية لان كل الطرادات صارت محمية بدروع تحمي آلاتها

ولقد كان ترتيب الدول البحرية في اول هذا العام هكذا : بريطانيا . فرنسا . روسيا المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . النمسا . فكانت نتيجة المعركة البحرية الاخيرة ان هبطت قوة روسيا البحرية من المقام الثالث الى المقام السابع وصارت تحت اليابان فصار ترتيب الدول البحرية هكذا : بريطانيا . فرنسا . المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . روسيا . النمسا . وصارت نسبتها بعضها الى بعض هكذا

بريطانيا	١٠٩٥٨٧١	طن	ايطاليا	٢٥٤٥١٠	طن
فرنسا	٠٦٠٣٧٢١	"	اليابان	٢٥٢٦٦١	"
المانيا	٠٤٤١٢٤٩	"	روسيا	٢٢٤٢٣٧	"
الولايات المتحدة	٠٣١٦٥٢٣	"	النمسا	١١٢٣٣٦	"

وقد ذكر في الجدول التالي عدد ما عند كلٍّ منها من البوارج والطرادات وقوارب الطربيد الخ

	بريطانيا	فرنسا	المانيا	اميركا	ايطاليا	اليابان	روسيا
بوارج من الطبقة الاولى	٥١	١٩	١٦	١٢	١٣	٥	٧
حاميات السواحل	٦	١٧	١٦	١٢	١	٥	٧
الطرادات المدرعة	٢٩	١٨	٤	٢	٥	٨	٣
طرادات فوق ٦٠٠٠ طن	٢١	٤	٠	٢	٠٠	٠٠	٤
" بين ٦٠٠٠ و ٣٠٠٠	٥٠	١٨	٩	١٦	٠٥	١١	٣
" بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠	٥٦	١٨	٢٧	٢١	١٢	١١	٧
متلفات قوارب الطربيد	١٢٦	٣١	٣٧	١٦	١١	٢٢	٣٣
قوارب الطربيد	٩٠	٢٣٨	١٠٥	٢٧	١٠١	٨١	٨٢
غواصات	٠٩	٣٧	٠١	٠٨	٠١	١١	١٣

وفي اول يناير الماضي كانت قوة روسيا البحرية ٤٤٧٣١٥ اي اعظم من قوة المانيا وكانت قوة اليابان حينئذٍ ٢٢٠٧٥٥ فخسرت روسيا نصف قوتها غرقًا واسرًا فصارت ٢٢٤٢٣٧ وكسبت اليابان ما حمولهُ ٣٢٠٠٠ طن فصارت قوتها البحرية ٢٥٢٦٦١ وستزيد قوتها بانتشال بعض البوارج والطرادات الروسية واغتنام ما دخل المرافئ المحايدة في جملة غرامة الحرب

ثم ان جانباً كبيراً من العمارة الباقية لروسيا محصور في البحر الاسود لا يستطيع الخروج منهُ وتفريغهُ ٩٣٠٠٠ طن فالباقي لروسيا مما تستطيع ان تلقى بهِ اعداءها في عرض البحار لا يزيد على ١٣١٢٣٧ طن . واذا استولت اليابان على السفن الروسية اللاجئة الى المرافىء الاجنبية زادت عمارتها بارجة وخمسة طرادات ومدفعية وستة من قوارب الطربيد فتصير قوة اسطولها ٣٠٠٥٢١ طنًّا فتفوق ايطاليا وتقارب الولايات المتحدة الاميركية واذا تقاضت غرامة الحرب من روسيا فلا بدَّ لها من ان تبني بوارج ومدرعات فتفوق الولايات المتحدة بل قد تفوق المانيا ايضاً وتصير عمارتها الثالثة في الدنيا

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

في مثل هذا الاوان من السنة الماضية اهدى الينا حضرة المؤَرخ المدقق رفيق بك العظم الجزء الثالث من كتابهِ "اشهر مشاهير الاسلام" وكان الكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص. واهدى الينا الآن الجزء الرابع وهو يتضمن سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان احد الصحابة ومن اشتهر في دولتهِ

والكتاب ابواب تبحث في نسب عثمان واسلامهِ وصحبتهِ وخلافتهِ وفتوحهِ ومآثرهِ واخلاقهِ وكتبهِ وخطبهِ ومقتلهِ . ويلي هذه الابواب كلام عن عبدالله بن عامر وحبيب بن سلمة الفهري وتاريخهما

وقد ضمنهُ من المباحث السياسية والاجتماعية ما يدلُّ على اصالة رأيهِ وصدق وطنيتهِ ورغبتهِ الشديدة في مصلحة امتهِ وبلادهِ مع الاعتدال التام في ذكر الاسباب كقولهِ في فصل عقدهُ للخلافة والدين

يؤْخذ من مجمل ما نقلناهُ بهذا الصدد ان البيعة وان كان يتوقف عقدها على رضى الجمهور الَّا انها لم تتأسس على قاعدة محض الاختيار اعني اختيار الامة او من ينوب عنها من اهل الحل والعقد ولو تأسست على تلك القاعدة لكانت الحكومة الاسلامية اقرب للجمهوريَّة منها للملكية وكذلك لو استمر العهد بالخلافة من واحد الى اخر على شرط تقيد الامير بقانون

الشورى لكان اسلم عاقبة واسد لذرائع الخصام والانقسام كما قال ذلك معاوية بن ابي سفيان لابن حصين حين وفد عليهِ . ولكن لما لم تكن كذلك واخذ اصل البيعة شكلاً بين شكلين شكل الشورى وشكل الاستبداد او شكل الاطلاق والتخصيص تولدت في ثنايا الخلافة جراثيم النزاع حتى افضي الامر بعدُ الى التغالب والغالب بالضرورة قهّار قلما يراعي اميال الامة وتحري قاعدة الشورى التي نوّه بمحاسنها الشرع فلا جرم ان تستحيل حكومة ذلك مآل رئاستها الى استبداد قاهر بعيد عن مقاصد الاسلام غالب للمسلمين على امرهم كما حصل بعد وكان سبباً عظيماً لكمون الضعف في ثنايا القوة المريعة التي قامت بها دول الاسلام حتى اذا آن اوان الراحة والنزوع الى التمتع بجني الاسلام اخذ ذلك الضعف يظهر في كل جزء من اجزاء الامة وفي كل عضو من اعضائها حاكماً كان او محكوماً حتى بلغ لهذا العهد غاية تنذر بانحدار مريع : لا وقوف معهُ : من شاهق ذلك المجد القديم والقوة الماضية التي بلغت في عصرها اقصى ما تبلغهُ قوى الدول القائمة في ابان زهوها

ان الدول ما زالت تقوم وتقعد وتضعف وتقوى والامم كذلك . غاية ما في الامر ان الضعف اذا تناهى يغير احياناً شكل الامم كما لو قيل ان الرومان اخلفهم الطليان وان اليونان اخلفهم البزنطيون وان هؤلاء اخلفهم الارورام والاصل في الحقيقة لكل شعب واحدٌ تقمص قديمهُ بجديدهِ في شكل آخر ولو مزيجاً واقام لهُ دولة غير الاولى . وهكذا الشأن في كل امم المغرب مع ما لاقتهُ من ضروب الشقاء والاستبداد وما انتابها من القوة والضعف فانها ما زالت تسقط وتقوم وتعالج انواع الارزاء وتحاول بعد الهبوط الى الحضيض العروج الى السماء حتى بلغت من الحياة هذا المبلغ الذي يرى الآن وتقمصت في شكل جديد لم ترَ مثلهُ عين الزمان

رب سائل يسأل كيف اذن لم يتلافَ المسلمون امر ذلك الضعف واستمروا منذ اخذوا بالتقهقر في منحدرهم الذي لا نهاية لهُ غير الموت والخذلان مع ما يشاهدونهُ من حال الملل الاخرى التي صار اليها ملك الاسلام . فالجواب عنهُ ان ذلك الضعف الذي اشرنا الى انهُ كمن في ثنايا القوة منذ تأسست دولة المسلمين انما منع المسلمين عن تلافيهِ بل ألجأهم للاعراض عن معالجتهِ امران : الاول : ما قدمناهُ من عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث اخذت الخلافة شكلاً ترك ثغرة كبرى للولوج اليها من طريق القوة والتغالب فاوجد نزاعاً مستمرًا من اجلها في الامة افضى الى مصير الامر ليد الغالب والغالب لا يتقيد بالشورى ولا يجاري رغائب الامة بالضرورة

والامر الثاني اصطباغ الدولة منذ نشأتها بصبغة دينية مهدت السبيل لاولياء امر الامة

بعد الخلفاء الراشدين للاخذ على ايدي الرعية وافواهها باسم الدين وجعل الحياة السياسية للامة حياةً دينية لاسبيل معها لنوابغ الامة وعقلائها للتنقل بها في مدارج الرقي الطبيعي الذي تقتضيهِ حالة كل عصر سواءٌ كان في حياة الام السياسية او حياتها الاجتماعية لاسيما بعد ان قالوا بحرمة الاجتهاد ووقفوا عند حد محدود من الفروع وهذا ما جعل ذلك الضعف الكامن ينمو في جسم الامة نموًّا جعلها تأْنس بحياة السكون والاستسلام وتعطي بازمتها الى الامراء والحكام حتى في عصر زال فيهِ الاعتقاد بوجوب الطاعة العمياء للامراء وجوبًا دينيًّا وعرف اكثر عقلاء المسلمين ان الدين لن يكون مانعًا من قيام الدول على قاعدة مراعاة الاصلح وانما هو تأثر النفوس بحكم العادة المأْلوفة للاباء اخذ باعنة الابناء الى سلوك سبيل الاقتداء

واعلم ان الشارع جوّز الاجتهاد باحكام المعاملات دون العبادات وهي العقائد والاعمال لان الاولى تتعلق بمصلحة المسلمين الدنيوية والثانية تتعلق بمصلحتهم الدينية· والنصوص الدينية لا اجتهاد فيها لانها قطعية واما المعاملات فقد اعتبرها الشارع دنيوية واجاز فيها الاجتهاد تيسيرًا على الامة في وضع الاحكام بازاء الحوادث التي لا تتناهى . هذا في المعاملات فما بالك بامور الامة السياسية التي يناط بها قيام الدول لا جرم انها اولى ان تعتبر دنيوية وان تكون لذلك حياة المسلمين السياسية غير حياتهم الدينية . ولا يعترض هنا ان الكتاب الكريم امر بالشورى ووعد المؤمنين بالاستخلاف في الارض وان في هذا اشارة الى كيفية وضع الحكومة ووجوب كونها شوروية فاستلزم ذلك ان تكون دينية اذ هذه اصول او كليات يتمشى عليها ما يتمشى على كليات الاحكام الاخرى من جواز الاجتهاد في جزئياتها وفروعها لجعلها دائرة مع المصلحة الدنيوية . ومقومات الحكومة كثيرة لا تنحصر في الكليات ولا تختص بزمان او مكان بل هي تابعة للحاجة سائرة مع ترقي الزمان ومن ثم كانت حياة المسلمين السياسية بعيدة بالضرورة عن الحياة الدينية لانها قائمة بالاجتهاد السائر مع الحاجة الدائر مع المصلحة

لا جرم ان الصحابة عرفوا هذا الاصل فجنح الخلفاء الراشدون منهم الى الشورى في تدبير امور الدولة كما رأيت من سيرة الخليفتين ما فيهِ الكفاية وعرفوا ان لهم ما وراء ذلك الاصل ان يأْخذوا بما هو نافع لهم من مقومات الملك لانهُ منوط بالمصلحة التي يقتضيها التيسير على المسلمين وتستلزمها حاجة الدولة فاخذوا اصول الحكومة الادارية عن الفرس كتدوين الدواوين وفرض العطاء ومسح الارضين واحصائها ووضع الخراج عليها واستعمال التاريخ وغير ذلك مما مر بك ذكرهُ في هذا الكتاب · وفاتهم ان ياخذوا عن الرومان اصول الحكومات النيابية الثابتة التي تقوم بالتكافل بين افراد الامة وتضمن استمرار قاعدة الشوري التي اوجبها

الكتاب الكريم وانما اذهلهم عن هذا ان ليس لديهم تاريخ في اصول الحكومات يرجعون اليهِ وكانت الحكومات النيابية بعيدة العهد يومئذٍ من مجاوريهم الرومانيين فلجأُوا الى اناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة ومضى هذا على وجههِ حتى جاء عصر كان الامام فيهِ هو المتسلط على كل شؤون الدولة تسلطًا ملازمًا لتسلطهِ الديني فكما ان لهُ ان ينيب عنهُ امامًا في الصلاة فلهُ ان ينيب عنهُ قاضيًا للقضاء وكانت الخلافة لذلك اشبه بالدينية منها بالسياسية وامتزجت بسبب ذلك السياسة بالدين امتزاجًا ادّى الى استمرار سير الحكومة على نمط واحد وجمود الافكار على مبدإ الخضوع المطلق للامير باعتبار ان الامير رئيس ديني تجب لهُ الطاعة مع التغاضي عما يجب عليهِ في مقابلها من العدل

ان اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين حوّل الاحزاب السياسية التي تقوم في الدول لخير الامة ومصلحة الشعب الى فرق دينية كانت في الاسلام آفة الدين ومفرق شمل المسلمين. مثالهُ ان الاحزاب السياسية التي قامت في الصدر الاول لمطلق الغرض السياسي او الانتصار لزيد والاخذ بناصر بكر ما لبثت ان انقلبت الى فرق دينية ومشت الى الانتحال في الدين كالخوارج مثلاً فانهم بعد ان كانوا يذهبون الى عدم لزوم الخلافة ووجوب العمل بمبدإ التعاون العام في امور الدين والدنيا انقلبوا الى نحل دينية فرقت شمل المسلمين. وكالشيعة فانهم بعد ان كانوا ينتصرون لعليّ رضي الله عنهُ لاعتقاد انهُ اهل للخلافة ويريدونهُ عليها ولو بالقوة انقلبوا ايضًا الى اعتقاد وجوبها لآل البيت وجوبًا دينيًّا وانفردوا بمذاهب خاصة كلها ترمي الى الدين وبالدين. وكان في غضون ذلك ما كان من الفتن التي انهكت قوى المسلمين وصبغت بدمائهم اديم الارض باسم الدين. والدولة الاسلامية واقفة بين كل هذه الفتن والشقاق والتحزب والافتراق في مركز واحد ومتجهة الى وجهة واحدة لم يطرأ على صبغتها تغيير الَّا بتحولها من الشورى الى الاستبداد مع ان المعهود في الدول التي تنتابها الفتن وتقوم فيها الاحزاب ان ينتاب صبغتها التغيير وتنقلب اشكالها بتقلب الزمان وقيام الفتن بين الاحزاب السياسية في كل زمان

هذا الاجمال ينبئك كيف استحكم داء الضعف في الامة الاسلامية مع انهُ عارض قد كان في الامكان تلافيهِ قبل ان يستحيل الى جمود اذهل الامة لهذا العهد عما يحيط بها في هذا الوجود وظهر اثرهُ حتى على اعمال المسلمين واخلاقهم وعقائدهم وعوائدهم بحيث صاروا لا يقبلون اي جديد الَّا باسم الدين ويرفضون كل امر نافع اذا لم يعرف عن اسلافهم الميتين حتى سبقتهم في مضمار الحياة كل الامم المسيحية والوثنية وسادت على دولهم اضعف الدول الغربية

وهم يدافعون الخير و يأبون مجاراة الامم لمطلق التوهم في ان مجاراة السابقين خروج عن الدين وان الاسلام والعياذ بالله قد حرَّم كل امر نافع على المسلمين الاَّ ما قال بحلهِ شيخ من الشيوخ الماضين . وهذه غاية من الهوس بالدين لم تبلغها امة في الاولين ولا الاخرين . والله يشهد ورسولهُ والملائكة والعقلاء كافة ان الاسلام بريء مما يزعمون

اصلاح الازهر

الازهر اكبر المدارس واقدمها ولكنهُ دون كثير من المدارس العليا في نفعهِ لطلابهِ وفي انتفاع البلاد منهم لما كان يعتور نظامهُ من الخلل . وقد وُجهت العناية حديثاً الى اصلاح ادارتهِ واصلاح طرق التدريس فيهِ " لتحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن محدود بطريقة سهلة التناول والتحلي بثمرة تلك العلوم وهي محاسن الاخلاق والاعمال . وقد قسمت فيهِ العلوم الى مقاصد ووسائل والمقاصد علوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصولهُ والاخلاق الدينية . والوسائل المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة ومصطلح الحديث وضمَّ اليها الحساب والجبر . وهذه العلوم بقسميها هي التي يلزم طالب الامتحان لشهادة العالمية بالامتحان فيها . ثم ان هناك علوماً أُخر تستوجب لمحصلها التفضيل على مَن في درجتهِ في التوظف والمرتبات وهي تاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة " وقد كان الابتداء بهذا الاصلاح سنة ١٣١٤ فوضعت قوانينهُ وامر الجناب الخديوي بالعمل بها " وصارت مشيخة الازهر مشيخة نظامية ولم يبقَ عليها الاَّ الجد في العمل بهذه القوانين والمحافظة على ان تكون كل اعمالها مطابقة لها ومراقبة تنفيذها على الوجه الاكمل وتمتُّع العلماء والطلاَّب بثمراتها . ولم يكن ذلك بالامر السهل القريب المنال ولهذا كان التعب والعمل للتنفيذ فوق ما يحتمل في العادة ولكنها المقاصد القويمة تسهل الصعب وتخفف ثقل العناء وتصحح العزيمة للدأب على الاعمال "

وقد نشر الآن كتاب عن اعمال مجلس ادارة الازهر يتضمَّن البيان السابق ونتيجة العمل بالنظام الجديد والتوسع فيهِ . ومما جاء في هذا الكتاب ويحسن نقلهُ عنهُ تعميماً لفائدتهِ وصف دار الكتب التي انشئت حديثاً في الازهر ووصف اصلاح التعليم . وهاك ما جاء فيهِ عن دار الكتب

" ان المبلغ الذي قرر للمكتبة الازهرية وهو ٤٦٤ جنيهاً قد خصص لمرتبات الامين والمغيّر والكاتب والخادم (الفراش) ولاربعة من العمال الموقتين انتخبوا من العلماء ليعملوا جميعاً في جمع الكتب وترتيبها تحت ملاحظة الامين ومنهُ مبلغ ١٥٠ جنيهاً لشراء كتب جديدة

ولتكميل بعض النواقص من الكتب الموجودة ولتجليد ما يوجد منها بلا جلود. ثم زيدت هذه المرتبات سنة بعد سنة بحسب مقتضيات الاحوال كما زيد في عدد العمال ووضع مجلس الادارة لهذه المكتبة قانونًا عامًا سار العمل فيها عليهِ الى الآن سيرًا حسنًا . ولاجل ان يعرف ما هي هذه المكتبة واين كانت كتبها وكيف كان حالها وما هو شأنها اليوم نذكر طرفًا من خبرها ليعلم مقدار العناية في جمع تلك الكتب وترتيبها على هذا النظام التي هي عليهِ الآن

كان في الازهر خزائن كتب وضعت في بعض الاروقة والحارات وبعضها في المساجد القريبة كجامع الفاكهاني وجامع العيني ونيط حفظها جميعها باشخاص يقال لهم المغيرون فتصرفوا فيها تصرفًا سيئًا للغاية صح معهُ اطلاق اسم المغيرين عليهم لانهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها ومزقوا جلودها واوراقها وتركوا ما لا عناية لهم بهِ منها في التراب يأكلهُ العث ويبليهِ التراب وهذا غير ما تصرفوا فيهِ تصرف الملاَّك وصار بايدي باعة الكتب يباع على نفاستهِ بالثمن البخس ولم يبالِ المتصرف الاول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ولا لينتفع بها لعدم امكان الانتفاع

ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب في مكان واحد واصلاح ما افسدتهُ منها هذه الايدي وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف في الازهر برواق الابتغاوية وكتب لديوان الاوقاف في سنة ١٣١٤ فارسل من اخذ المقايسة لاصلاحهِ وانشاء ما يلزم لهُ من الخزائن التي توضع فيها الكتب ثم عرض الامر على الجناب العالي فاقرهُ مستحسنًا لهُ وخرج هذا العمل من القوة الى الفعل وتهيأ المكان لما وجد لاجلهِ من وضع الكتب وحفظها فيهِ من الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات وشرع عمالها في انفاذ ما عهد اليهم من اول سنة ١٨٩٧ افرنكية الموافق شعبان سنة ١٣١٤ وهنالك ظهر العجب العجاب

حملت تلك الكتب من خزائنها السابق ذكرها الى ذلك المكان الجديد فكان يأتي بها اولئك المغيرون محشوة في الركائب والمقاطف ثم يفرغونها تلالاً واكوامًا عليها خيوط العناكب وبينها الاتربة وبتخللها الجلود البالية وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع الا ما لا يكاد يذكر وجلس بجانبها اولئك الموظفون المكلفون بجمعها وترتيبها واعضاء المجلس والامين يراقبون عملهم ويرشدونهم الى الطريق الاقوم فعملوا وكدوا واستخلصوا من بين هذه الدشوت والاوراق المتفرقة كتبًا معتبرة في كل الفنون وكان معهم مندوب من ديوان الاوقاف وموظف آخر نيط بهِ تقويم كل كتاب وجد او جمع بالثمن اللائق بهِ وقيدت في دفاتر باعداد متسلسلة واستلمها الامين باثمانها المقدرة لها ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون وقرروا لكل فن موضعًا

مخصوصاً من المكان وقد استغرق عملهم هذا ازماناً طوالاً كانت كلها اتعاباً ومشاق . واني لاعرف كتباً كثيرة مما تجدهُ الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضهُ في خزانة فلان وبعضهُ الآخر في خزانة فلان وباقيهِ في خزانة فلان ولم تجتمع اجزاؤُهُ بعضها على بعض الاَّ بطريق المصادفة الحسنة واعرف كذلك ان بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبأ بهِ احد ممن تولوا تغييرها للطلاب ولم يعنَ بفرز الدشت لتوجد تلك النفائس بين اوراقهِ الاَّ بعد ان كان صدر امر احد مشايخ الجامع باحراقهِ وتدارك الامر من يعرف قيمة العلم ولا يبالي بالتعب في المحافظة عليهِ . وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهي بين الاتربة مع انها من اجود المصاحف خطاً وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها وغير ذلك كثير فنكتفي بما ذكرناهُ فما الغرض الاَّ بيان حالها قبل جمعها وفي هذا القدر ما يكفي لذلك

بعد ان عرف ان في الازهر دار كتب اقبل عليها اهل البر فاعانوها بهدايا من الكتب النفيسة واهم هدية قدمت اليها هي هدية كتب المرحوم سليمان باشا اباظه فان ورثتهُ حياهم الله لثقتهم ببعض اعضاء المجلس سمعوا قولهُ وقبلوا اشارتهُ وقدموا كتب ابيهم الى دار الكتب الازهرية مشترطين ان تجعل لها خزائن مخصوصة في مكان مخصوص فكان كذلك وجاءَت تلك الكتب كالعروس تجلى لصاحبها ليلة الزفاف لان الباشا رحمهُ الله كان ممن يتعشق الكتب ويحب فنون الآداب العربية والتاريخ وهي في كتبهِ شيءٌ كثير فكان ورثتهُ قدوة لغيرهم من الناس وبذلك كلهِ تكونت مكتبة جميلة منتظمة لا ينقصها الآن سوى الفهرس العام والعمل فيهِ سائر سيراً حسناً وان كان بطيئاً ولعلهُ يتم قريبا بعد ان شاء الله تعالى

ولم يكتفِ المجلس بهذا القدر بل رجع الى الاروقة الشهيرة في الازهر وهي اروقة الترك والشوام والصعايدة والمغاربة وجعل الكتب التي بقيت فيها تحت مراقبة امين المكتبة الازهرية وطلب من ديوان الاوقاف مبالغ اخرى لترتيب كتبها وتنسيقها فاجيب الطلب وتعينت العمال ورتبوا الكتب في تلك الاروقة على الطريقة التي رتبت عليها المكتبة ثم وضع الكثير منها بعد جمعها وترتيبها في خزائن جديدة صنعها ديوان الاوقاف على نفقتهِ بالاروقة المذكورة تحت مراقبة هذا الامين ولا تزال العناية موجهة الى تجديد خزائن لباقيها

ولقد تفضل الجناب العالي بزيارة دار الكتب الازهرية عدة مرات وما من مرة الاَّ واظهر سرورهُ مما رآهُ فيها من حسن الوضع والنظام وهي الآن مطرح انظار السائحين ومحط رحال المطالعين ومكان النفع العام للعلماء والطالبين

وقد زيد في مبلغ المائة والخمسين جنيها المخصصة لشراء الكتب واصلاحها وتجليدها مائة جنيه في كل عام فاصلح وجلد كثير مما كان من الكتب بلا جلود واشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاق بها المكان على سعتهِ فاضطر المجلس الى اخذ مكان آخر من الازهر اصلحهُ ديوان الاوقاف وعمل فيهِ ما عمل في الاول وامتلأَت خزائنهُ ايضاً بمعتبرات الكتب ونفائسها مما يتجدد شراؤهُ كل يوم

ولم يصل المجلس الى هذا الحد من صيانة تلك الكتب وجعلها بمأمن من الضياع والتلف الاَّ بعد عناء شديد وجهد جهيد في مقاومة تلك الافكار العتيقة ومطاردة تلك الاطماع التي كان يقصد منها بيع تلك البقية بذلك الثمن البخس . واني اعرف كثيراً من اهل الفضل والدين ارجعوا الكتب التي كانوا اشتروها من اولئك الباعة الادنياء الى مكتبة الازهر لعلمهم انها صارت دار الحفظ والصيانة لهذه الكتب الموقوفة على المتعلمين اما بعض اهل الشهرة من كبار العلماء وصالحيهم فقد جيء من بيوتهم بالكتب في الزنابيل والغرائر لا يعرف لكتاب منها اول ولا آخر

وما جاء فيهِ عن اصلاح التعليم

وفي اول السنة الدراسية من سنة ١٣١٤ الداخلة في سنة ١٣١٥ شرع مجلس ادارة الازهر في تنفيذ بعض مواد القانون فبدأ بالمادة الثانية والعشرين لانها اساس ترقي التعليم وهي القاضية على الحواشي والتقارير في الاربع السنين الاولى من سني التعليم فحدد الكتب التي تقرأُ فيها بدون تلك الحواشي وتلك التقارير التي تحول بين الطالب وبين الفهم وتشوش عليهِ موضوعات العلوم فاصدر قراراً في ٦ شوال سنة ١٣١٤ بان الكتب التي تقرأ في السنين الاربع الممنوع فيها الحواشي والتقارير تكون في علم النحو من الاجرومية الى ابن عقيل وفي فقه الحنفية من مراقي الفلاح الى العيني وفي فقه المالكية من ابن تركي الى الشرح الصغير وفي فقه الشافعية من ابن قاسم الى التحرير بدخول الغاية في الجميع وحتم في القرار منع قراءة شرح الكفراوي على الاجرومية لانهُ اضر الشروح بالطلبة المبتدئين ثم الزم الاساتذة بان يبدأُوا دروس الفقه في كل سنة من السنين الاربع برسالة في علم التوحيد قاصرة على سرد العقائد ومجردة عن البراهين الكلامية وان يختموا دروس الفقه في كل سنة منها برسالة صغيرة في علم الاخلاق حتى يشب الطالب متحلياً بالآداب الشرعية وكذلك حتم على الاساتذة ان تكون قرءاة الكتب المعتاد قراءتها في ايام العطلة الدراسية مجردة عن الحواشي والتقارير

وقد لاحظ المجلس اثناء تلك السنة الدراسية ان بعض الطلبة وكثيراً من المشايخ قد

تعودوا ان يطيلوا مدة البطالة الرسمية فاصدر قرارًا في آخرها ليكون عليهِ العمل من اول السنة التالية الدراسية (١٣١٥ الداخلة في سنة ١٣١٦) ابان فيهِ مدد المسامحات القانونية وحددها تحديدًا في غاية الوضوح حتى لا يحتجّ طالب ولا يتأول عامل وحتم على كل استاذ وكل طالب ان لا يخلي من ايام العمل القانوني يومًا واحدًا من القاء الدروس او تلقيها وقرر العقوبات على كل من يخالف بقطع الجرايات فيما ليس فيهِ شرط واقف وبقطع المرتبات النظامية التي رتبت بمقتضى القانون فيما لا يسمح شرطهم بقطع الجراية فيهِ

وكذلك لاحظ المجلس في اثناء القاء الدروس في تلك السنة الدراسية ان في الازهر عادة مستحكمة وهي اهمال الاستاذ للطالب في آدابهِ وفي مواظبتهِ على الحضور في الدروس واهمال الطالب لانهُ لم يتعود من مشايخهِ المراقبة عليهِ فاهمل في احترامهِ لهم وتباطأ في اعمالهِ ولم يبالِ بحقوق اخوانهِ الطلبة ففسدت اخلاق الطلاب وضاعت آدابهم الدينية وتلاشت عوائد حسن المعاشرة بينهم فاصدر المجلس قرارًا في ٢٩ شعبان سنة ١٣١٤ ليكون دواء لتلك الادواء بيّن فيهِ ما على الطالب من الحقوق وما على الاستاذ من الواجبات فحتم على الطالب ان لا يتلقى اقل من ثلاثة دروس في اليوم وان لا يشتغل اثناء الدرس بغيرهِ ولا يكلم فيهِ غير استاذهِ وان لا يسأل الطالب استاذهُ في الدرس اكثر من ثلاث مرات في الموضوع الواحد فان بقيت لديهِ شبهة كلمهُ فيها بعد الفراغ من الدرس . وان تكون سيرتهُ الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين وان يحترم استاذهُ في الدرس فلا يرفع صوتهُ عليهِ ولا يجلس بين يديهِ بهيئة تنافي الآداب وان يعامل جليسهُ في الدرس بالحسنى فلا يؤذيهُ بالقول ولا بالفعل وان يستمر في تلقي الكتاب الذي ابتدأ فيهِ على الاستاذ الذي شرع في تلقيهِ عنهُ حتى يتمهُ فاذا بدا لهُ الانتقال الى شيخ غيرهِ وجب عليهِ ان يخبر شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها . واذا شرع الطالب في تلقي كتاب وجب عليهِ اكمالهُ فلا ينتقل الى كتاب ارقى منهُ قبل ان يتمهُ وكل هذه الآداب التي قررت للطالب كانت العادة جارية بين الطلبة بمخالفتها وضررها بالتعلم والاخلاق لا مرية فيهِ

واما الاستاذ فقد حتم عليهِ في ذلك القرار ان يكون القدوة الحسنة للطلبة في حسن الاخلاق والسيرة الشخصية وان يتعهد الطلبة الذين يحضرون دروسهُ بنفسهِ ان كان مبصرًا او بمن يستنيبهُ ان كان ضريرًا ليعرف من يتغيب منهم عن الدرس فيخبر عنهُ شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها ليخبر شيخ الجامع بانقطاعهِ عن الدروس وان يراقب حال الطلبة اثناء الدرس حتى لا يأتي احدهم بما نهي عنهُ فاذا خالف نبههُ الشيخ اول مرة فاذا عاد زجرهُ فاذا عاد ابعدهُ

عن الدرس واخبر شيخ جهتهِ ليخبر شيخ الجامع ليعاقبهُ بما يراهُ . وان يجتنب الاستاذ حتماً تلك العادة القبيحة عادة سب الطلبة وشتمهم الشتم القبيح بسبب الآباء والامهات وضربهم بالعصي والنعال وان يوجه ذهن الطالب الى تعقل المسائل وفهم المعاني من اقرب الوجوه متجنباً الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف . وان يحضّر الاستاذ درسهُ قبل إلقائهِ فيراجع ما يحتاج لمراجعتهِ من الكتب لتصحيح الفاظ الشعر التي تذكر في الشواهد حتى لا يضيع وقتهُ في التفاهم مع الطلاب وان كان ذلك لا يمنعهُ من قبول رأي التلميذ ان كان صواباً وان لا يأتي الاستاذ للطالبين في اثناء الدرس بما يشوش عليهم الفهم فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بتلك الاحتمالات المضيعة للاوقات وان لا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الاَّ مسألة جاءت عرضاً وتوقف عليها فهم المقام فيتكلم عنها الاستاذ بعبارة قصيرة على قدر ما تدعو اليهِ الضرورة في الافهام . وجعلت مدة الدرس بحيث لا تنقص عن ساعة ولا تزيد عن ساعتين

وكل هذه التكاليف التي نيطت بالاستاذ كانت العادة جارية بعدم ملاحظتها وكان همُّ معظم المشايخ الكبار هو التشدق بالاحتمالات البعيدة وتضييع الاذهان تفتيها كما يزعمون ولا يبالون أفهم الطالب ام اشكل عليهِ الامر اصحت القاعدة ام ضاعت هباء . أعرف شيخاً من كبار المالكية قد شهر بالتقدم في السن كان يقرأ درساً في علم المنطق ايام المسامحات من كتاب الخبيصي ويحضر درسهُ هذا كل الباقين من المجاورين في الازهر تقريباً . وعرض في درسهِ ان حاشيتهُ اعترضت على الشرح فاخذ الشيخ يدفع الاعتراض بالتمحلات والاحتمالات النحوية حتى استقرَّ رأيهُ على تصحيح كلام الشرح فقال لهُ بعض الطلبة وانا اعرفهُ ايضاً " يا مولانا انهُ يترتب على هذا التصحيح تغيير حكم القاعدة المنطقية فبعد ان تكون الكلية تنعكس جزئية مثلاً يصير عكسها كلية ولم يقل بهذا المنطقيون " فاجابهُ الاستاذ : ليس في هذا من ضرر يا كيت وكيت اذا صح الاعراب واندفع الاعتراض فما علينا من القاعدة الاصلية وما يطرأ عليها من البقاء او الانقلاب : واعرف شيخاً آخر من كبار الشافعية قرأ في درسهِ لعدم مراجعة الكتب قبل القاء الدرس البيت المشهور (كادت نفوس القوم عند الغلصمة) بالفاء بدل الغين فقال لهُ احد الطلاب وانا اعرفهُ ايضاً انها الغلصمة بالغين لا بالفاء فسبهُ وشتمهُ واهانهُ كثيراً واصر على انها بالفاء . كل هذا قد لاحظهُ المجلس ووضع لهُ ذلك القرار تخفيفاً لتلك الاضرار ومراعاة لمصلحة المعلمين والمتعلمين بما يقضي بهِ الشرع الشريف ويطالبنا بهِ الدين القويم . انتهى

وما دام روساء الامة وقادة الافكار قد انتبهوا للازهر واهتموا باصلاحه فلا تتعذر عليهم طرق الاصلاح فيُجنى منهُ النفع الذي يجب ان يجني من مدرسة كبيرة تضمُّ الوفًا من الطلاَّب

تاريخ دول العرب والاسلام

يعجبنا من نفر من الادباء انهم يقضون ساعات الفراغ من اعمالهم المختلفة في تأليف كتاب او ترجمة رواية او كتابة مقالة كأنهم يحسبون الوقت كنزًا اثمن من ان يضاع باللهو والجلوس في القهاوي. ومن هذا النفر حضرة محمد بك طلعت حرب مدير قلم القضايا في الدائرة السنية فانهُ الَّف كتابًا نفيسًا في تاريخ دول العرب والاسلام طبعهُ اول مرةٍ فراج ونفدت نسخهُ وطبعهُ الآن طبعةً ثانية بعد ان نقحهُ وزاد عليهِ زيادات كثيرة مفيدة . وقد صدر الجزء الاول منهُ الآن وهو يبتدئ بكلام تمهيدي في جغرافية بلاد العرب واشهر من ساح فيها من الافرنج وعلى ذلك حواش مصدرها الجرائد الفرنسويَّة. ولو صبر المؤلف الى الآن وطالع ما تقولهُ الجرائد الفرنسويَّة لرأى ان منهاجها قد تغيَّر كثيرًا لان اكثر كتَّاب الصحف الاوربية لا يهمهم الاَّ مصالح قومهم فيدورون مع الاهواء كشراع السفينة . وقد ذكر في هذا التمهيد الاقوال المتباينة في مساحة بلاد العرب وعدد سكانها وقال " ان سبب هذا الاختلاف ليس بالامر الغريب لتعلقهِ ببلاد قلَّما دخلها اوربي او عالم اجنبي لشدَّة حرارتها ووعورة مسالكها وجهل لغات اهلها وعوائدهم وتمسكهم بدينهم وشدة ابائهم دخول الاجنبي بلادهم". اما من حيث شدة الحرارة ووعورة المسالك وجهل اللغات والعوائد فهذه كلها لا تمنع رواد افريقية من ان يرودوا بلاد العرب لاسيما وان داخلها جبال واودية وسهول ونجود من اجمل واخصب ما خلق الله ولو كانت في ايدي اناس غير اهلها لكانت جنة الله في ارضهِ . واما اباء اهلها فممدوح ولكن يجب ان يقترن بعمل ما يغني عن الاجانب وهنا محل النظر والعبرة

ويلي ذلك كلام مسهب عن السياح الاوربيين الذين دخلوا بلاد العرب من عهد نيبهر سنة ١٧٦٢ الى الآن وعن احوال البلاد السياسية في الزمن الحاضر وبذلك ختم المؤلف التمهيد وشرع في فصول الكتاب فتكلم على العرب قبل الاسلام جاريًا مجرى مؤرخيهم وذكر من اخلاقهم واطوارهم ما يستحسن وما يستقبح وبين تأثير ذلك في احوالهم الاجتماعية اي ان حال البدو الآن وتأخرهم عن جميع الامم المتاخمة لهم ناتجان عن احوالهم الاجتماعية فلو كانت احوالهم صالحة مثل احوال اهالي سويسرا مثلاً او مثل احوال اهالي فرنسا لوجب ان يكونوا

مرتقين مثل اهالي سويسرا واهالي فرنسا والاَّ فطينتهم دون طينة اولئك وهذا لا يسلم بهِ حضرة المؤلف ولا نسلم بهِ نحن . فما هي الاحوال الاجتماعية التي ابعدت النجاح عن امة فيها "كثير من الصفات التي تبرهن على ميلها للسعادة والارتقاء الى درجة عظيمة ومن تلك الصفات التي امتازت بها عن سائر الامم علو الهمة وشرف النفس وحفظ حرمة الجوار والمحاماة عن المظلوم والوفاء بالوعد وصدق العهد والجرأة والاقدام وحب عظائم الامور والكرم والجود"

وقد ابان المؤلف بُعَيْد ذلك" انهُ لم يكن في العرب طبيعة الانتظام فان ارواحهم الوطنية منيت من فطرتهم بسوس قبيح ابقاها مأكلاً للشقاق ومرتعاً للانقسام ... فكان دأبهم التقاطع وغزو بعضهم بعضاً قبل تألفهم والانقسام والخروج عن طاعة الدولة الحاكمة بعده فدلوا بذلك على انهم لا يحسنون سياسة الملك وان احسنوا تاسيسهُ ومن الاسف ان قد سرى هذا الداء في جميع دول الاسلام بعد ذلك فنخر عظام المسلمين حتى تداعت كل الاعضاء او كادت"

والكلام في هذا الفصل والفصول التالية بعضهُ منقول عن كتب العرب وبعضهُ عن كتب الافرنج الذين ساحوا في بلاد العرب او كتبوا عنهم وبعضهُ تطبيق واستنتاج من المؤلف . والبحث في اكثر المواضيع موجز جدًّا فالبحث في خرافات العرب ومعتقداتهم ملأ صفحتين وبعض صفحة مع ان الذي كتب في هذا الموضوع في المقتطف ملأ بهِ اكثر من عشرين صفحة . والكتاب كلهُ كما قال فيهِ حضرة القاضي الفاضل حفني بك ناصف جمع في اوراق كثيرة ما تفرَّق في اسفار جليلة واقتصر على اللباب وانتصر للصواب

والفصل الثاني من الكتاب في العرب البائدة كقوم عاد وثمود وطسم وجديس وهذا البحث يقتضي تمحيصاً كثيراً . والثالث في العرب المستعربة وهذا ايضاً يقتضي البحث الدقيق لان الشك اول مراتب اليقين وكل ما قيل في كتب الاقدمين عن عاد وثمود وقحطان وعدنان وابرهيم واسمعيل امسى الآن في معرض الشك عند العلماء المحققين وكذا القول عن العرب المستعربة في الفصل الرابع

اما الكلام على العرب بعد الاسلام فلهُ باب آخر في فصلين الاول في تاريخ النبي من حين اظهر دعوتهُ الى حين وفاتهِ والثاني في الاسلام وانتشارهِ بسرعة.

وقد طبع الكتاب على ورق جيد بقطع صغير وهذا هو الجزء الاول وسيليهِ ثلاثة اجزاء الاول ينتهي بسقوط بغداد والثاني في الدول التي انشقت من بني عباس ودول الاسلام في الاندلس والثالث في تاريخ الدولة العثمانية فعسى ان يوفق الى اتمامها على ما يريد خدمة للقراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد بيتية

طرد النمل على انواعهِ من البيت : اذا اردت طرد النمل الاحمر من بيتك فازرع النبات المعروف بعاشق الشجر او نوع آخر من النبات الذي اذا نما فرش الارض كاللباد ويدعى بالانكليزيَّة (winter-green) ولطرد النمل الاسود ازرع نبات الافسنتين . واما لوقاية السكر من الحشرات فايتِ بالطباشير وارسم خطًّا واضحًا حول فم الوعاء الذي فيهِ السكر فبهذا تبعد النمل عنهُ لا محالة

الدوخة المسببة عن ازدياد المرارة او غير ذلك : الاحتياط من هذا المرض يكون بالطريقة الآتية . اولاً اعصر ليمونةً في نصف كاس ماء بارد وحرك المزيج هنيهةً ثم اخلط معهُ قليلاً من الصودا بعد ان تغلى على النار وحركهُ ايضًا واشربهُ وهو على تلك الحالة . هذا الدواء يستعمل ايضًا لوجع الرأس يشربهُ المتألم عند ابتداء الوجع

لسع الحشرات ولذعها : يغسل محل اللسع او اللذع حالاً بماء النشادر

عضة الكلاب الكلبة : اكوِ الجرح بحجر جهنم ثم دع المجروح يشرب مقدارًا كافيًا من الويسكي او غيرهِ من المسكرات حتى تنونهُ حالاً

الاحذية : لمنع دخول الماء في جلد الاحذية خذ قليلاً من زيت الخروع وادهن الجلد بقطعة من القماش

تنظيف القناني (الزجاجات) : تغسل القنينة بالماء السخن وقليل من الفحم المدقوق

الفحم : يحفظ الفحم بوضعهِ في الزوايا المعتمة والرطبة من البيت

منع لهيب النار من التصاعد بقوة شديدة في المداخن او الوجاقات: ارمِ في النار قليلاً من الملح او حفنة من الكبريت

تنظيف زجاجة القنديل : اذا اخذت نقطة او نقطتين من الكيروسين وفركت الزجاجة بها تراها بعد برهة تلمع كالبلور

الكي والحرق : اعجن قليلاً من كربونات الصودا بالماء وضع المعجون حالاً على المحل المحروق ففي الحال يبطل الوجع ويقي المحروق الالتهاب

وجع الصدر المسبب عن البرد : اغلِ الماء او الزيت وغطس فيهِ قطعة من الفلانلا ثم ضعها على صدرك قبل النوم

ازالة اثر الحامض عن الثياب : ملح النشادر خير دواء لذلك

السعال : اغلِ اوقية من بزر الكتان في ١٥٠ درهماً من الماء ثم صفها وامزجها بقليل من العسل واوقية سكر نبات وعصير ثلاث ليمونات ثم اغلِ المزيج واسق المصاب منهُ

الجرح بالسكين وغيرها : لتوقيف جريان الدم نقط نقطة او نقطتين من الكرياسوت على الجرح يقف الدم حالاً

التطهير من العدوى عند ازالة العفونة : خذ زجاجة من كلوريد الكلس وصب قليلاً في المحلات القذرة المسببة العفونة . والاحسن ان تداوم هذا كل اسبوع

طرد الذباب والبعوض : خذ ٢٠ نقطة من الحامض الكربوليك وبخرهُ في الغرفة التي تنوي طرد الذباب منها واذا حرقت قطعة من الكافور تطرد البعوض

البراويز المذهبة : لصقلها واعادة لونها امسحها باسفنجة قد صُبَّ عليها قليل من التربنتينا

القماش الملوث بالشحم : لازالة هذه البقع افركها اولاً بالتربنتينا ثم ضع قطعة من الورق النشاف تحت البقعة وقطعة أُخرى فوقها واضغط عليها فحينئذٍ يشرب الورق الشحم وتزول البقعة

تنظيف الشعر : ايتِ باوقية من كربونات الصودا مع ربع اوقية من ملح الطرطير و ١٥٠ درهماً من الماء الصافي وامزجها معاً ثم اغسل رأسك جيداً

ازالة الصدإِ من الاقمشة البيضاء : امسح البقع بعصير الليمون او الملح المذوب وضع القماش بعدئذٍ في الشمس وكرر هذا العمل حتى يزول الصدأ او ضع القماش الملوث في كيس من الشاش واغلهِ

العث : لوقاية الاصواف وغيرها من الاقمشة القابلة العث . اولاً قبل وضع الثياب في الخزائن اضربها بعصاً ضرباً خفيفاً ونظفها من كل الاوساخ والغبار ثم ضعها في كيسٍ من

ورق وخط فم الكيس بكل اتقان

ازالة الدهان عن الاقمشة : الكلوروفورم خير علاج لذلك

دهن الوجاق : ادهنهُ بالتربنتينا او بالقرنيش الاسود كل ثلاثة اشهر مرة

طرد الجرذان : ضع في المحل الذي تكثر الجرذان فيهِ قليلاً من كلوريد الكلس فتهرب من رائحتهِ

الآنية الفضية : يمكنك ان تبقي الانية الفضية تلمع دائمًا اذا وضعتها في كيس مع قطعة من الكافور

اخراج اللولب او البرغي : احمِ مغزلاً من الحديد وضعهُ حالاً على راس البرغي ثم اخرج البرغي وهو حامٍ

ازالة رائحة البصل : افرك يديك بورقةٍ من الكرفس فتزول الرائحة حالاً

ازالة الحبر : اغسل اولاً ما اردت تنظيفهُ بالماء ثم ضع عليهِ الحامض الاكساليك واذا تغير فاغسلهُ بماء النشادر

ازالة اقذار البيض عن الملاعق : امسح الملاعق جيدًا بالملح المدقوق

ازالة وسخ الاثمار الحامضة عن اليدين : اغسل اليدين اولاً بالماء ثم نشفهما قليلاً واشعل عودًا من الكبريت وضع يديك على اللهيب ثم اغسلهما مرة ثانية فيزول كل قذر او افرك يديك بقليل من الملح الناعم ثم اغسلهما بعصير ليمونة واخيرًا بالماء

النشا : بعض الاحيان يحمض النشاء بعد غليهِ فلمنع هذا ضع معهُ قليلاً من كبريتات النحاس (الشب الازرق)

غسل الثياب : اذا وضعت ثلاثة ملاعق كبيرة ملآنة من الكيروسين في الماء وغليت الثياب فيهِ هونت عليك تنظيفها

بيروت عزيز سليم كربيديان



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءِ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

يعجبني والحق يقال قول المقتطف في صدر باب المناظرة (اذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم) وعليهِ جئتكم بهذه العجالة تنويهاً بشأن العالم الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات الذي اعترف ضمناً بغلطهِ فاصلحهُ بنفسهِ وذلك فيما كتبهُ عن الجذام في رسالتهِ المدرجة في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين من المقتطف وجه ٢٨٦ حيث قال وهو (اي الجذام) من العلل التي تزمن وعدواهُ معتقد بها دائماً وقال ايضاً ما نصهُ بالحرف الواحد وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ بالوسائل الصحية الخ . قال ذلك الآن بعد قولهِ في كتابهِ المسمَّى حفظ الصحة وتدبير المرض المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ وجه ١٦٧ ما نصهُ وعندي انهُ (اي الجذام) غير معدٍ ولو جاء في الحديث فرَّ من المجذوم فرارك من الافعى . فنثني على هذا الفاضل لرجوعهِ عن الغلط بعد خمس وعشرين سنة لما تبيَّن لهُ الحق وهذا يوافق ما جاء في المقتطف جزء ١١ مجلد ٢٢ وجه ٨٢٤ وهو بنصهِ "فانتقض القول بانهُ مرض وراثي وثبت القول القديم وهو انهُ مرض معدٍ ينقل بالعدوى" فالرجاء نشر رسالتي هذه افادةً للقراء ولكم الفضل

دمشق احد المشتركين

[المقتطف] ان المذهب الذي اتبعهُ استاذنا الدكتور ورتبات في الطبعة الاولى من كتابهِ كان المذهب المتَّبع عموماً عند علماء الطب كما رأيتم من خطبة الاستاذ وركو وهو

اشهر علماء الطب بالاجماع . ثم تغيَّر هذا المذهب العلمي باكتشاف ميكروب الجذام فاشار الدكتور ورتبات الى ذلك في الطبعة الثانية من كتابهِ المشار اليهِ التي طبعت سنة ١٨٩٣ حيث قال في الصفحة ٢٠٣ ما نصهُ "واختلفوا في هذه الايام في كونهِ (اي الجذام) معدياً والارجح انهُ غير معدٍ الاَّ على سبيل التلقيح وذلك انهم اكتشفوا في هذه العلة باشلساً خاصًّا بها شاهدناهُ في صديد المصابين فاذا كان خدش في يدي من يخدمهم فربما دخلت المادة السامَّة على هذا السبيل الى دمهم وظهر المرض فيهم" . ثم ثبت ذلك فعلاً فان كاهناً من اهل التقى كان يمرض المجذومين فاصيب بالجذام ومات بهِ

علاج لسع العقرب

حضرات الافاضل المحترمين اصحاب المقتطف الزاهر

يؤْتى بقطع من كبريت العمود وتوضع على موقد فيهِ نار حتى يتصاعد دخان الكبريت ثم يوجه موضع اللسع الى هذا الدخان مدة ١٠ دقائق او اكثر فيزول الالم ويبرأُ الملسوع باذن الله

كاتبه

مصر القاهرة محمد سليمان

وصف الباخرة

مخرت بنا بعد الهزيع الثاني تجري كرخٍ همَّ بالطيرانِ
بقوائمٍ في الماء تحت مناكبٍ فوق العباب تشقهُ بسنانِ
في جوفها ترْبٌ وملء فؤَادها نارٌ ويزفرُ أُنفها بدخانِ
تعلو وتسفل فوق موجٍ مزبدٍ كفؤَاد صبٍّ دائم الخفقانِ
موجٌ يهاجمها بقلب سميذعٍ ويعودُ عنها هارباً كجبانِ
ينقضُّ حول جدارها متدافعاً متخبطًا فتسحقهُ كبعض قناني

***

زنجيةٌ من قبل نوحٍ لونها — الليليُّ يشهد انهُ سوداني
ما حامُ جدٌّ للزنوجِ ألا ترى كيف احتوتهُ مدة الطوفانِ
نشأَت بصيدُونَ القديمة أُمها اما ذووها من بني كنعانِ
مملوكة منذ القديم تحكمت فيها الرياحُ تحكُّمَ السلطانِ

حتى اذا عنقوا الرقيقَ تزوَّجتْ هذا البخارَ فقادها بعنانِ

***

سارتْ تجرُّ الذيلَ ابيضَ نيرًا وكذا الحنادس ذيلها نوراني
من فوقها فلك وتحت نعالها فلكٌ وحول محيطها أُفقانِ
فكأَنها في الجوّ جرمٌ سابحٌ يحكي الدراري السبعَ بالدوَرانِ
وكأَنها بين العوالم عالمٌ عنها استقلَّ بحيزٍ وكيانِ
يحوي المآكلَ والمشاربَ جمةً ويعيش فيهِ الوحش كالانسانِ

***

فيها شهدنا الشمسَ حال غروبها في البحر تهبطُ نحوهُ بتوانِ
سلطانة الآفاق تجري حكمها منذ الصباح بغيرةٍ وتفانِ
قد مسها نصبٌ فاصبح وجهها عند الاصيلِ مزعفر الالوانِ
لما دنا وقتُ المبيتِ تبرقعت خجلاً وعاطفةً بأحمر قانِ
مشت الهوَينا والملالُ يزيلها عن دَست عزتها الرفيع الشانِ
حتى اذا بلغت حمى محبوبها غاصت بمهدٍ ازرق كتاني
وهناك غشَّاها دثارُ اشعةٍ بدريةٍ فتواصل القمرانِ

***

فتلصَّصتْ زُهرُ النجومِ عليهما كالغيدِ تشرفُ من كوى ايوانِ
نظرتْ فهيجها الغرامُ وشاقها حتى غدتْ كالطائح النشوانِ
فتدحرجتْ وهوتْ يدافع بعضها بعضًا فصارتْ في أثيرٍ ثانِ
اشرِفْ على ماء الخليج يريكها غرقى تلوحُ مثالثًا ومثاني.

***

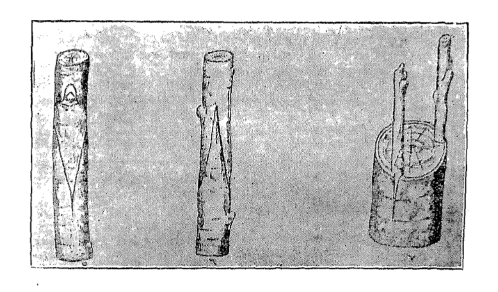
ان كان ضم البحر اجرامَ السما مالي ارى منها النجوم تراني
أفما ترى الاكليلَ يعلو جبهةً فوق البطين وتحتهُ الشرطانِ
ومناكب الجوزاء يثقل عنقها عقدُ الثريَّا الساطع اللمعانِ
فالافقُ أُفقٌ والنجومُ ثوابتٌ اما الظلالُ تلوح في الخلجانِ

سليم عنحوري



تطعيم الاشجار

ذكرنا في الجزء الماضي بعض طرق التطعيم ومرادنا ان نذكر الآن ثلاث طرق اخرى وهي الطريقة الاسفينية والطريقة السرجية والطريقة المزلوفية. اما الطريقة الاسفينية فمرسومة فوق الرقم ٥ وهي ان يبرى المطعوم من تحت البرعم حتى يصير كالاسفين ويقطع الغصن الذي يراد تطعيمهُ قطعاً فرضيًّا حتى يدخل الاسفين فيهِ قيلاً فرضةً كما ترى فوق الرقم ٥ ثم يربط بقشرة او بخرقة



والطريقة السرجية عكس الطريقة الاسفينية وهي ان يبرى الغصن الذي يراد تطعيمهُ كالاسفين ويفرض الطعم حتى يركب على الاسفين ويركَّب عليهِ كما ترى فوق الرقم ٦ ويربط الجزءان معاً

والطريقة المزلوفية اكثر انتشاراً من غيرها وهي شائعة في تطعيم الليمون والزيتون وذلك بان يقطع ساق الغرس بمنشار ويسوَّى اعلى القطع بسكين ماضية ونقطع مزاليف من الشجرة التي يؤخذ الطعم منها وتجعل اطرافها كالاسافين وتدخل بين القشر والخشب كما ترى فوق الرقم ٧ ويسهل ذلك بان تصنع مزلوفاً من الخشب الصلب مثل الطعم تماماً وتدقهُ بين القشر والخشب حيث تريد ان تضع الطعم حتى تجعل لهُ مكاناً هناك ثم تنزعهُ وتضع الطعم مكانهُ وتلف الخرَق والطين حول المطعوم

الندوة العسلية

لا تزال الندوة العسلية شغلاً شاغلاً للحكومة لانها تخشى ان تصيب القطن فتتلف جانباً كبيرًا منهُ كما حدث في العام الماضي فانها وقعت في كثير من اطيان البحيرة فاتلفتها وكنت ترى الطين منها واشجار القطن فيهِ مسودة الورق يابسةً لا لوز فيها او فيها قليل من اللوز الدميم . وما لم يتلف كلهُ جاء قطنهُ قليلاً دنيًّا في رتبتهِ بيع قنطارهُ بمئتين وخمسين غرشاً حينما كان القنطار من غيرهِ يباع بثلثمئة او بثلثمئة وخمسين غرشاً

وقد نشرت نظارة الداخلية بالامس النشرة التالية

بالنسبة للمذكرة الصادرة من النظارة في اول يوليو سنة ١٩٠٥ بخصوص ندوة العسل قد علم انهُ في بعض الجهات لم يدرك الزراع ان الواجب افراغ كل جهد لابادة البعوض الصغير الاخضر المسمى (Aphis) بحال ظهورهِ (وهو المعروف عادةً بالمن)

فانهُ كما توضح بالمذكرة المشار اليها مجرد تغذي البعوض بطريق المص لايقتل الاوراق (ولو انهُ بدون شك يضعفها) ولكنهُ يترك عليها مادة عسلية لزجة وقت تغذيهِ منها

وهذه المادة اللزجة تجلب اليها جرثومة الفطر الاسود التي تكون منتشرة في الهواء وتستقر في الاماكن التي توجد فيها تلك المادة

ويقول كثير من الزراع (وهم مصيبون) ان ندوة العسل تأتي متأخرة عن هذا الاوان ولكن يلزم ان يكون مفهوماً لدى الجميع انهُ قد ظهر لحد الآن انهُ متى جاءت الندوة لا يبقى في الامكان مقاومتها

والامر الوحيد الذي يجب اجراؤهُ هو ابادة البعوض (Aphis) حال ظهورهِ باستعمال الرشاشة اذا كانت موجودة والاَّ فيصير تنقية الاوراق واحراقها وعند اللزوم يصير قلع بعض الشجيرات واذا وجدت وريقات عليها شيءٌ من تلك المادة اللزجة وجب ايضاً تنقيتها واحراقها حتى حين مجيء الندوة الآن او فيما بعد لاتجد شيئاً يجلبها اليهِ فتفوت بدون احداث ضرر

وجميع ما ذكر قد سبق ايضاحهُ في المذكرة السابقة ولكن حيث انهُ لا يزال يوجد التباس عند كثيرين من الزراع فيكون من الضروري جدًّا اتخاذ الوسائل السريعة لايضاح الحقيقة لجميع من يهمهم ذلك

وقد شوهد البعوض (Aphis) والمادة العسلية ايضاً في جهات كثيرة وفي بعض الاماكن

التي ظهر فيها مؤَخرًا ضباب كثيف في الصباح قد نزلت الندوة على الاوراق المصابة فاسودت الشجيرات وماتت

فيلزم استنهاض همم المزارعين للبحث حالاً عن البعوض والمادة العسلية لانهم اذا اهملوا ذلك لحين ظهور الندوة يكون قد فات الوقت الذي يمكن مداركة هذه الآفة فيهِ

حياة البزور

البزر الذي يؤْخذ من النبات هذه السنة يزرع في السنة التالية . هذا هو الغالب المتبع وبعض البزور لا يصلح للزرع اذا مضى عليهِ اكثر من سنة ولكن اكثرها يصلح ولو مضى عليهِ اربع سنوات كبزر البطيخ والخيار . وقد يحتاج المزارع ان يعلم كم سنة تبقى البزور حية صالحة للزرع ولذلك نشرنا الجدول التالي

البزر				البزر			
بزر الهندباء	يمكن زرعهُ	بعد ٩	سنوات	بزر السبانخ	يمكن زرعهُ	بعد ٥	"
" الباذنجان	"	" ٧	"	" الكوسى	"	" ٥	"
" الفول	"	" ٦	"	" الطماطم	"	" ٥	"
" الخرشوف	"	" ٥	"	" اللفت	"	" ٥	"
" البنجر	"	" ٥	"	" المليون	"	" ٤	"
" الكرنب	"	" ٥	"	" الجزر	"	" ٤	"
" القنبيط	"	" ٥	"	" البازلا	"	" ٤	"
" الخيار	"	" ٥	"	" اللوبياء	"	" ٣	"
" الخس	"	" ٥	"	" الذرة	"	"	سنتين
" البطيخ	"	" ٥	"	" الكراث	"	"	"
" الفجل	"	" ٥	"	" البصل	"	"	"

ورق التوت وتعليف الغنم

مَن رأَى الغنم المعلَّفة في جبل لبنان وكل خروف منها يزن اربعين او خمسين اقةً من اللحم والدهن وعلم ان اكثر علفها من ورق التوت مع قليل من الحبوب كالكرسنة ونحوها علم ان في ورق التوت غذاء كثيرًا . ثم ان عليهِ الاعتماد في علف المواشي زمن الخريف حينما تيبس المراعي وقبل ان تهطل الامطار ويظهر العشب . فاذا اكثر اهل الزراعة من زرع

التوت على جوانب الترع والمساقي والمصارف فمنهُ فائدة كبيرة من هذا القبيل تفي بنفقات غرسهِ والارض التي يشغلها . وقضبانهُ اصلح القضبان للوقود وخشبهُ اصلح انواع الخشب لعمل السواقي ونحوها لانهُ يقيم في الماء ولا يبلى ولحاء قضبانهِ متين يربط بهِ وتجدل منهُ الحبال . ولهُ ظل ظليل زمن الصيف عند اشتداد الحر فتقيل المواشي فيهِ وقت الظهيرة . وهذه الفوائد يجب ان ترغب اهل الزراعة في الاكثار من زرعهِ . ثم انهم اذا تعلموا كيفية تربية دود الحرير واعدوا مكاناً لتربيتهِ كان لهم منهُ فائدة أُخرى كبيرة جداً

الاغراس في الفدان

يضطر الفلاح احياناً كثيرة ان يعرف مقدار الاغراس ألتي يمكن غرسها في كل فدان اذا كان البعد بين الغرس والآخر عدداً معلوماً من الاقدام ليعلم كم يشتري من التقاوي اومن الفسائل اوكم يستعمل من السباخ . وقد اثبتنا هنا الجدول التالي وهو يبتدىء بالاشجار الكبيرة التي يجعل بين الشجرة والشجرة منها اربعون قدماً وينتهي بالمزروعات التي تزرع في خطوط البعد بين الخط والآخر منها قدم فقط وبين البزرة والاخرى نصف قدم او ثلث قدم كالبصل ونحوهِ

البعد بين الاغراس	عددها في الفدان
٤٠ قدماً في ٤٠	٢٧
٣٥ " " ٣٥	٣٥
٣٠ " " ٣٠	٤٨
٢٥ " " ٢٥	٧٠
٢٠ " " ٢٠	١٠٩
١٨ " " ١٨	١٣٥
١٦ " " ١٦	١٧١
١٤ " " ١٤	٢٢٣
١٢ " " ١٢	٣٠٢
١٠ اقدام " ١٠	٤٣٦
٩ " " ٩	٥٣٨
٨ " " ٨	٦٨٠

البعد بين الاغراس	عددها في الفدان
٧ اقدام في ٧	٨٨٩
٦ " " ٦	١٢١٠
٥ " " ٥	١٧٤٢
٤ ٤ " ٤	٢١٥١
٣ " " ٣	٢٨٤٠
٣ " " ٢	٧٢٦٠
٣ " " ١ ١/٢	٩٦٨٠
٣ " " ١	١٤٥٢٠
٢ ١/٢ " " ٢	٨٧١٢
٢ ١/٢ " " ١ ١/٢	١١٦١٦
٢ ١/٢ " " ١	١٧٤٢٤
٢ " " ٢	١٠٨٩٠
٢ " " ١ ١/٢	١٤٤٦٦
٢ " " ١	٢١٩٦٩
١ ١/٢ " " ١ ١/٢	١٩٦٦٨
١ ١/٢ " " ١	٢٩٠٤٠
١ ١/٢ " " ٠ ١/٢	٥٨٠٨٠
١ " " ١	٤٣٥٦٠
١ " " ٠ ١/٢	٨٧١٢٠
١ " " ٠ ١/٣	١٣٠٦٨٠

تربية العجول

ربّى بعضهم العجول من غير لبن مطلقاً فانهُ كان يشتري العجل وعمرهُ عشرة ايام لا غير ويطعمهُ عصيدة مصنوعةً من سبعة ارطال من مدقوق بزر الكتان الذي عصر زيتهُ وسبعة ارطال من الحنطة و ١٥ رطلاً من غلاية القش او الدريس و ٣٠ رطلاً من الماء الحار ويمزج هذه العصيدة بالماء ففي الصباح يمزج اربعة ارطال منها باربعة ارطال من الماء ويسقيها للعجل ويفعل مثل ذلك في الصباح

ولكن تربية العجول على غير اللبن وهي صغيرة غير سليمة العاقبة ومتى كبرت العجول قليلاً ودفئ الهواءُ تترك حول الدوار او العزبة لترعى ويجب ان تظلَّل في النهار من الشمس واذا دخل فصل الشتاء واشتدَّ البرد وهي صغيرة وجب ان تزرب في مزارب كبيرة وتطعم الجذور ومسحوق الشعير وكسب البزر

واذا مضى الشتاء وجاء الربيع تطلق في المراعي لترعى النهار كلهُ ويحش لها البرسيم لتأكلهُ ليلاً وليس من الحكمة ان تترك لتمرح وتلعب كثيرًا اذا اريدت للذبح لان الحركة العنيفة تضعفها وتقسي لحمها ويحسن حينئذٍ ان تربى في مكان مظلم على قدر الامكان ويقدم لها كل ما تستطيع اكلهُ من العلف . واذا اريد تسمين العجل فلا بد من اطعامهِ مدقوق الشعير او مدقوق الفول مع الرضَّة (النخالة) . ومدقوق الحبوب خير من كل انواع العلف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فرس البحر

المنتزه . بدران افندي احمد

(١) جاء في كتاب لاحد الفضلاء ما نصهُ " نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلي رحمهُ الله تعالى ما صورتهُ قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة انهُ لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الاخرى في سنة اثنتين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى ارض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر واذناها كآذان الجمال وعيناها مثل الناقة ولها ذنب طولهُ شبر ونصف طرفهُ كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبناً وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها اربعة انياب اثنان من فوق واثنان من اسفل طولهن دون الشبر وعرض اصبعين وفي فمها ثمانية واربعون ضرساً وسناً مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن

ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة باربعة اظافر كاظافر الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمس عشرة قدماً وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها احمر وزفرتهُ مثل السمك وطعمهُ كطعم الجمل وغلظ جلدها اربع اصابع ما تعمل فيهِ السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقلها على جمل بعد جمل واحضروهُ الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوهُ تبناً واقاموهُ بين يديهِ

فما هي هذه السمكة وهل يوجد من نوعها الآن ام هي من الاسماك المنقرضة

ج يظهر من وصفكم ان هذا الحيوان فرس البحر الذي كان كثيراً في النيل ولا يزال كثيراً في اعاليهِ . ذكر عبد اللطيف البغدادي ان واحدة كانت بجهة دمياط ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر في تلك الجهة مغروراً وضربت اخرى بجهة اخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل واعمل الناس في قتلهما كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجدِ شيئاً فاستدعي بنفرٍ من المريس صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها في اقرب وقت و بلهون سعي واتوا بهما الى القاهرة فشاهدتُهما فوجدت جلد احداها اسود اجرد ثخيناً جدًّا وطولها من راسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها وراسها . وفي مقدم فيها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من اسفل المتطرقة منها نصف ذراع زائد والمتوسطة انقص بقليل . وبعد الانياب اربعة صفوف من الاسنان على خطوط متساوية في طول الفم في كل صف عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلهما واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع زائد غليظ وطرفهُ كالاصبع اجرد كانهُ عظم شبيه بذنب الوبل وارجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها خف شبيه بخف البعير الا انهُ مشقوق الاطراف باربعة اقسام وارجلها في غاية الغلظ اه . والظاهر انهُ لم يدقق النظر في اسنانها لان كل صف من اضراسها ستة لا عشرة كما قال ولكن الثلاثة المتأخرة من هذه الستة تكون مزدوجة الراس . وأُمسكت فرس من افراس البحر في المنصورة في ايام محمد علي باشا جد العائلة الخديوية . فقد ذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٣٣ انهُ ظهر بالارز بالبحر الشرقي بناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي قدر الجاموس العظيم فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقيأ اكثرهُ وكان ظهورهُ من العام الماضي فيجتمع

عليهِ الكثير من اهل الناحية ويرجمونهُ بالحجارة ويضربون عليهِ بنادق الرصاص فلا يؤثر في جلدهِ ويهرب الى البحر واتفق انهُ ابتلع رجلاً الى ان اصيب في عينهِ وسقط وتكاثر عليهِ الناس وقتلوهُ وسلخوا جلدهُ وحشوهُ تبناً واتوا بهِ الى بولاق وتفرج عليهِ الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآهُ انهُ اعظم من الجاموس الكبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولونهُ لونهُ وجلدهُ املس ورأسهُ عظيم يشبه رأس ابن عرس وعيناهُ في اعلى دماغهِ واسع الفم وذنبهُ مثل ذنب السمك وارجلهُ غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوهُ الى بيت الافرنج وانعم بهِ الباشا على بغوص الترجمان الارمني وهو يبيعهُ على الافرنج بثمن كبير

(٢) الارضاع بعد الموت

ومنهُ . وجاء في الكتاب المذكور ما يلي وهو ان كتب الى زين الدين الرحبي انهُ وجد بالقاهرة كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوماً واللبن يخرج من ابزازها من الجانب الاعلى واما الجانب الاسفل فانهُ يبس . فكيف تعللون ذلك اذا كنتم تصدقونهُ

ج اننا لانميل الى تصديقهِ ولكن ان كان صحيحاً فلا تكون الكلبة ميتة بل تكون مصابة بحالة صرعية مثل الحالة التي ينام فيها بعض الناس اياماً كثيرة متوالية لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يتحركون لكن لم يذكر حتى الآن في ما نعلم ان هذا الداء اصاب الكلاب

(٣) اليد اليمنى

سان جوان . البرازيل الخواجه جبران قدوم . نرى اليد اليمنى اقوى من اليسرى فهل ذلك ناتج من الاستعمال او هو طبيعي فيها

ج بل هو ناتج من الاستعمال لان الذين يمرنون يدهم اليسرى تصير قوية فيهم كاليد اليمنى في الذين يمرنونها . ولكن السبب الذين يدعو الى تمرين يدهم اليمنى دون اليسرى طبيعي كما سيجيء

(٤) سبب استعمال اليمنى

ومنهُ . ما الذي اوجب استعمال اليد اليمنى اكثر من اليسرى

ج السبب ان الجانب الايسر من الدماغ اقوى من الجانب الايمن وهو متسلط على اليد اليمنى والجانب الايمن على اليسرى فتصير اليمنى اقوى من اليسرى ولكن يتفق ان يكون الجانب الايمن من الدماغ اقوى من الجانب الايسر فتصير اليد اليسرى اقوى من اليمنى

(٥) حروف العميان

ومنهُ . من وضع حروف الطبع للعميان وفي اي زمن كان ذلك

ج يقال ان اول من حاول تعليم العميان القراءة هو المسيو برنولي الرياضي وكان ذلك

سنة ١٦٥٧ واول من حاول تعليمهم بحروف بارزة مصنوعة لذلك هو المسيو هوي الباريزي وذلك سنة ١٧٨٤ ومن ثم انشئت المدارس لتعليمهم في اماكن كثيرة في اوربا واميركا وهو اول من استنبط طبع الكتب للعميان بحروف ناتئة لكي يقرأُوها لمساً باناملهم وقد اختار رسم الحروف الافرنجية المائلة كما ترسم في الكتابة ورأى رجل اسكتلندي اسمهُ غول كتب العميان المطبوعة في باريس فرغب في اصلاح حروفها لكي تسهل قراءتها على العميان فغير رسم الحروف وجعلها كلها مركبة من الخطوط والزوايا من غير خطوط منحنية فيها وطبع الكتاب الاول بهذه الحروف سنة ١٨٢٧ . ثم اصلح هذه الحروف وجعلها مركبة من نقط لكي يسهل على انامل العميان الشعور بها • وزاره رجل اميركي اسمهُ هو واقتبس منهُ استعمال الحروف ذات الزوايا واشاعها في اميركا

واستنبط رجل اسمهُ لوكاس علامات خصوصية لحروف الهجاء العلامة منها نقطة مفردة او نقطة وخط مستقيم او اعقف او خط قائم او افقي او مائل الى اليمين او الى اليسار فحرف a نقطة وحرف b نقطة وخط اعقف كالواو العربية وحرف t خط قائم وحرف s خط افقي وهلم جرًّا

واستنبط غيره علامات اخرى غير هذه وغرضهم تسهيل القراءة على العميان • الى ان قام المسيو لويس بريل وهو ضرير فرنسوي فاستنبط الحروف المؤلفة من النقط فشاعت حروفهُ حالاً لان العميان وجدوا ان الشعور بها اسهل عليهم من الشعور بغيرها فحرف a فيها نقطة واحدة وحرف b نقطتان الواحدة فوق الاخرى وحرف c نقطتان الواحدة الى جانب الاخرى وحرف d ثلاث نقط على زاوية قائمة الى اليمين وهلمَّ جرًّا ويتعلم العميان القراءة بهذه الحروف والكتابة بها ايضاً بسهولة تامة وقد وجدوا ان نسبة السهولة في قراءة الحروف المؤلفة من النقط الى قراءة الحروف المؤلفة من الخطوط كنسبة ٩٥ الى ٤٨ وسنزيد ذلك بسطاً في فرصة أُخرى

(٦) اسوداد الشعر بعد شيبه

ومنهُ • اعرف رجلاً سنهُ اكثر من اربعين شعرهُ اسود حالك وقد بدأ الشيب فيهِ منذ عشر سنوات فشاب عشر شعرهِ بسرعة ثم توقف الشيب ولم يعد يزيد فما سبب ذلك

ج لا تزال مسألة الشيب من الغوامض التي لم تحل كل فروعها والامر الذي ذكرتموهُ مشاهد كثيرًا وقد شوهد اناس اعتراهم الشيب ثم عاد شعرهم اسود كما كان لا لان الشعر الابيض يعود اسود بل لان للشعرة حياة محدودة فتقع وينبت غيرها مكانها فاذا وقعت شعرة سوداء ونبت مكانها شعرة بيضاء

زاد الشيب انتشاراً واذا وقعت شعرة بيضاء ونبت مكانها شعرة سوداء قل الشعر الشائب رويداً رويداً . ولا بدَّ من ان يكون قد حدث ذلك للرجل الذي تشيرون اليهِ . ويقال ان بعض الادوية يقوي منابت الشعر فيصير الشعر الاسود ينبت مكان الشعر الابيض فاذا كان ذلك صحيحاً (ونحن نرجح صحتهُ) فيكون سبب الشيب الذي اعترى صاحبكم ضعفاً اصاب منابت الشعر ثم زال هذا الضعف فصار الشعر الاسود ينبت مكان الابيض

(٧) معتقد الامير بشير

مصر . الخواجه ابرهيم سرومي . احقيقي ان الامير بشيراً الشهابي كان معتنقاً الديانة المسيحية سرًّا

ج كذا يقول الذين كتبوا تاريخهُ والذين لقيناهم من معارفهِ

(٨) مستقبل بني اسرائيل

ومنهُ . يقال في الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين ان يعقوب دعا بنيهِ وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم في آخر الايام ولكنهُ لم يخبرهم بما يصيبهم في آخر الايام فلماذا ذلك

ج ان المفسرين من علماء الديانة المسيحية يقولون انهُ اخبرهم بمستقبلهم الى ان يولد المسيح منهم وتنقضي دولتهم . والبحث في المسائل الدينية التي من هذا القبيل لا يوصل فيهِ الى نتيجة قطعيَّة لانهُ مبنيٌّ على آراء الناس وهي تختلف باختلافهم اذا لم يحكم عليهم بقبول تفسير مخصوص دون غيره

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الربع الاول	٦	٦	٩	صباحاً
البدر	١٣	٨	١٠	مساء
الربع الاخير	٢٢	٨	١٤	صباحاً
الهلال	٢٨	.	.	

السيارات

يظهر عطارد في منتصف الشهر صباحاً ولا يظهر في اولهِ ولا في آخرهِ

المريخ يغيب نحو الساعة ١٠ ١/٢ مساء الشهر كلهُ

المشتري يشرق الساعة ١٠ ١/٢ مساء في اول الشهر والساعة ٩ في آخرهِ

زحل يُشرق بُعَيد غروب الشمس ويرى الشهر كلهُ

اوقات الكسوف المقبل

لم تتصل بنا حتى الآن اوقات الكسوف التي حسبها المرصد الخديوي لمدن القطر المختلفة ولكننا رأينا جدولاً وضعهُ حضرة محمد افندي ابي الفضل الفلكي وفيهِ اوقات الكسوف للمدن التالية

	ابتداء الكسوف س	دق	وسط الكسوف س	دق	انتهاء الكسوف س	دق
مكة وجدة	٤	١	٥	٤	٦	٢
اصوان وكوم امبو	٣	٢٣	٤	٣٦	٥	٣٧
الاقصر	٣	١	٤	١٨	٥	١٣
القاهرة	٣	٩	٤	١٨	٥	٢٢
تونس	١	٠٠	٢	٢٠	٣	٢٢

ولا يكون الكسوف كليًّا في القاهرة بل تظهر الشمس فيها كالهلال

داء السرطان

اصدرت اللجنة الانكليزية الملكية التي انيط بها البحث في السرطان وعلاجهِ تقريرًا في احصاء حوادثهِ ونموّهِ في الاحوال الطبيعية والامتحانية. فقالت عن الامر الاول انهُ لا يمكن الحكم في ما اذا كانت زيادة حوادث السرطان زيادة حقيقية او ظاهرة فقط فان هناك امراضاً كثيرة تشبه السرطان شبهاً عظيماً حتى يصعب التفريق بينها وبينهُ فاذا اصابت عضوًا من الاعضاء الداخلية لم يخرج تشخيصها عن حدّ الظن والتخمين. وكثيرًا ما اتفق شفاء امراض شخصت سرطانًا ولكن ظهر فيما بعد ان التشخيص كان خطاء وانها لم تكن سوى امراض مشابهة للسرطان. والسبيل الوحيد الى تمييز السرطان من غيرهِ انما هو الفحص المكرسكوبي الدقيق يأتيهِ المجربون في هذا الفنّ

وهناك امر جدير بالاعتبار وهو انهُ ظهر ان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ على الغالب. فزيادة حوادثهِ قد تكون دليلاً على تناقص الوفيات بالامراض الاخرى وكثرة المتقدمين في السنّ بين الناس وبالتالي على زيادة متوسط الاعمار

وقالت عن الامر الثاني انهُ لا علاقة ظاهرة بين قابلية الاصابة بالسرطان واعتياد الاكل من احد الوان الطعام. فمن ٥٠٥ انفس من الهنود اصيبوا بالسرطان ١٤٦ نفساً كانوا يأكلون الاطعمة النباتية و١٣٧ نفساً كان معظم طعامهم اللحم و٢٢٢ كانوا يأكلون من الصنفين وقد كان بعض الاطباء يزعمون ان قابلية الاصابة بالسرطان تزيد بمجرد الافراط في الاكل مهما كان نوع المأكول ولكن هذا الزعم ظاهر البطلان اذ ليس بين العوامل التي يتعرض الانسان لها ما هو اشد فعلاً في تقصير اجلهِ من الافراط في الاكل

وثبت بالتجارب الكثيرة الدقيقة ان السرطان انما هو تغيير يطرأ على خلايا العضو الذي يصاب بهِ بحيث تنمو وتتوالد مستقلة وتشذ عن قوانين نموّ الجسم التي هي فيهِ وتؤلف جسماً غريباً يسطو على الجسم ويمتص حيوتهُ ويهدُّ بنيانهُ كما لو كان حلمة خارجة عنهُ . فاذا مات الحيُّ المصاب بهِ مات هو ايضاً وسبب موتهِ فقد الغذاء اللازم لقوامهِ فانهُ نشأ جسماً ذا وجود مستقلّ بنفسهِ ويمكن توالدهُ الى ما لا نهاية لهُ بقطع قطع منهُ وزرعها في تربة صالحة لهُ كما لو لقح بها حيوان من نوع الحيوان المصاب فانها تنمو فيهِ وتكبر وتفعل بهِ فعلها بالاول . فقد قطعت بثرة سرطان حجمها بقدر الحمصة من جسم فارة ولقحت بها فئران اخرى فنمت وكبرت حتى بلغ حجم المواد المستخرجة منها حجم كلب كبير.

هذا وقد جربوا تطعيم حيوان بسرطان اخذ من حيوان آخر يختلف عنهُ في نوعهِ فلم يفلحوا . ثم ان التلقيح قلما يفلح بين اصناف النوع الواحد اذا كانت متباعدة ولو قليلاً كاصناف الفئران البرية التي تؤخذ من بلاد مختلفة . وقد ظهر بالامتحان ان السرطان لا يعدي الاَّ بالتلقيح من حيوان الى حيوان . فقد وضعوا فئراناً سليمة مع فئران مصابة بالسرطان في قفص واحد مدة طويلة فبقيت سليمة

ومما ثبت ايضاً انهُ وان كان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ عادة الاَّ انهُ اذا لقح بهِ حيوان صغير السنّ قوي البنية فتك بهِ فتكاً اشدّ من فتكهِ بالكبير

هذا ما توفقت اللجنة المذكورة اليهِ . بقي ان يعلم ما هو سبب السرطان وما هي الاحوال التي تلائمهُ ولماذا يصاب بهِ المتقدمون في السنّ اكثر مما يصاب بهِ غيرهم وما هو التغيير الذي يطرأ على خلايا العضو المصاب بعد اصابتهِ بالداء

وكتب الاستاذ هيولت مقالة مسهبة في الجزء الاخير من جريدة نانشر وصف فيها ما وصل اليهِ البحث عن حقيقة السرطان واسبابهِ وعلاجهِ وخلاصة ذلك ان السرطان متولد من خلايا تحوَّلت عن حالتها الطبيعية وصارت من النوع المولِّد كالخلايا التي يتولد منها الجنين . وسببهُ في النبات تهييج الخلايا فتصير مولدة وقد علم بالمشاهدة ان بين السرطان والتهييج المستمر في الحيوان علاقة سببية فيحتمل ان يكون التهييج السبب الاكبر للسرطان . ولم يكشف حتى الآن علاج شافٍ لهُ ولكن ثبت ان استئصال الغدد السرطانية حالما تظهر خير علاج لها وظهر ايضاً ان اشعة رنتجن تفعل بالسرطان السطحي كأن هذه الاشعة تؤثر في الخلايا المولدة اكثر مما تؤثر في الخلايا العادية التي يتكون الجسم منها فتضمر الخلايا المولدة وتتلف من غير ان يلحق الجسم ضرر ويحتمل ان هذه الاشعة تزيد الانقسام في نسيج

الاورام السرطانية فتتعرَّض لتغذيتها · ومن المحتمل ان اشعة رنتجن تهيج الخلايا السرطانية وتردها خلايا جسمية فتصير كجسم غريب ·
وقد لاحظ كلوز وغايلرد ان سرطان الفئران يتولاهُ الفساد احياناً ويزول من نفسهِ وان ذلك يحدث احياناً قليلة في الانسان ايضاً وان الفئران التي فسد سرطانها فشفيت يفعل مصل دمها فعلاً شافياً في غيرها من الفئران المصابة بالسرطان فيحتمل ان يوجد علاج شافٍ للسرطان في مصل دم الذين يشفون منهُ من تلقاء انفسهم

رواتب وزراء انكلترا

حددت رواتب وزراء انكلترا سنة ١٨٣١ ولم تزد شيئاً حتى الآن عما كانت عليهِ حينئذٍ والوزراء ووكلاؤهم واتباعهم اوارباب المناصب السياسية ٦٢ نفساً يتناولون ١٥٨٥٨١ جنيهاً في السنة واعلى راتب ٥٠٠٠ جنيه واوطاهُ ٣٣٦ · وليس لرئيس الوزارة راتب ولكنهُ يتقلد زمام احدى الوزارات مع رئاسة الوزارة ليستحق الراتب وكثيراً ما يتقلد منصب ناظر الخزينة الاول

ومن اكثر الوزراء شغلاً رئيس مكتب التجارة ولكن راتبهُ قليل في جنب شغلهِ فانهُ يتناول الفي جنيه في السنة · واكثرهم شغلاً بلا خلاف وزير ارلندا ولكن راتبهُ ٤٤٢٥ جنيهاً · على ان اعظم الرواتب راتب حاكم ارلندا فانهُ ينقد ٢٠٠٠٠ جنيه و ٣٠٠٠ جنيه علاوة ويعطى منزلاً رسمياً للسكن ومنزلاً آخر خصوصياً

ومن المناصب ثلاثة لا شغل لاصحابها ولا عمل غير تناول الراتب وهم رئيس المجلس الخاص وناظر الختم الخاص ومستشار دوقية لنكستر

ورئيس بيت الملك يتناول ٢٥٠٠ جنيه وكلٌّ من اللوردات خشم الملك ٧٠٢ وهم سبعة · وناظرة ملابس الملكة ٥٠٠ جنيه وهي دوقة في الغالب · اما الناظر الذي لا ينقد راتباً فهو صراف الخزينة اي الذي يدفع الرواتب

جوائز مجمع العلوم الفرنسوي

عين مجمع العلوم الفرنسوي المسمَّى بالاكادمي عدة جوائز تمنح للسابقين في الفروع الآتية بين هذه السنة وسنة ١٩٠٩ · وهذا بيان بعضها

جائزة سنويَّة قدرها ٤٠ جنيهاً انكليزيًّا تعطى لمن يؤلف احسن رسالة او يكتشف احسن اكتشاف لتعميم استعمال الكهربائية

جائزة قدرها ١٠٠ جنيه تعطى كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافاً مهمًّا لترقية علم الفلسفة الطبيعية

جائزة قدرها ١٢٠ جنيهاً تمنح كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافاً مهمًّا (من

الفرنسويين) في الكهربائية

جائزة قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى هذه السنة لمن يثبت ان مؤلفاتهِ في الفلسفة الطبيعية رقت هذا العلم اكثر من مؤلفات غيرهِ

جائزة سنوية قدرها ١٦٠٠ جنيه او جائزتان سنويتان قدر كلٍّ منهما ٨٠٠ جنيه تعطى او تعطيان لمن يثبت ان ما اكتشفهُ او كتبهُ في الفلك او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او علم المعادن او الجيولوجيا او الميكانيكيات العملية فاق بهِ الاقران

جائزة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى من سنة ١٩٠٦ لمن يؤلف احسن مؤلف مدة خمس سنوات ويشترط ان يكون المؤلف مبتكرًا من الطبقة الاولى

جائزة قدرها ٢٠٠٠ جنيه تعطى سنة ١٩٠٧ لمن يكتشف اكتشافًا جديدًا مهمًّا في الرياضيات او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او التاريخ الطبيعي او الطب

اما الجوائز المعينة لهذه السنة فقد ختمت المسابقة عليها في غرة يونيو الماضي

رحلتان الى القطب الشمالي

اشترى دوق دورليان باخرة اسمها بلجكا وجهزها بمؤونة سنتين وسار بها في ٢٤ مايو يقصد الاصقاع القطبية للاكتشاف ويقال ان في نيتهِ الاجتماع بحملة زجلر التي قصدت القطب برئاسة المستر انتوني الاميركي وكانت هذه الباخرة قد سافرت الى جهات القطب الجنوبي في سنة ١٨٩٧ وعادت سنة ١٨٩٩

وسافر القومندان بيري الاميركي في ١٦ يوليو الماضي لاكتشاف القطب الشمالي في سفينة سميت "روزفلت" باسم رئيس الولايات المتحدة الاميركية . وقد صنعت بحيث اذا اطبق الجليد عليها من جوانبها وضغطها ارتفعت من الماء ولم يمسها الجليد بضرر . وقد سار بالطريق الاميركية وقصدهُ بلوغ مكان يبعد ٥٠٠ ميل عن القطب فاذا بلغهُ ترك السفينة هو والذين معهُ وركبوا المزالق على الجليد في فبراير القادم . وفي السفينة مؤونة تكفيهم سنتين

الراديوب

اشرنا في الجزء السادس الى هذا الجسم وقلنا انهُ نامٍ متوسط بين الحي والجماد وقد صنعهُ المستر بطلر برك وذلك انهُ صنع مرقًا من الجلاتين وعقمهُ ووضع فيهِ قطعة صغيرة من بروميد الراديوم فتكوَّن فيهِ اجسام كالميكروبات وكانت تنمو وتنقسم كالاجسام الحية وتفرق عن الميكروبات في انها لا تنمو في جسم آخر اذا طُعِّم بها كما تنمو الميكروبات في الاجسام التي تطعَّم بها . وقد كثر البحث عن هذه الاجسام فلم تعلم حقيقتها حتى الآن وسماها صانعها راديوبات لكي تقابل

الميكروبات وتدل على علاقة الراديوم بها

كلف الشمس

عادت الكلف الكبيرة الى الظهور على وجه الشمس فظهرت كلفة منها في ١٣ يوليو الماضي بلغ قطرها نحو مئة الف ميل وكانت ترى بالعين المجرَّدة وقد رآها البعض في لبنان وكتبوا الينا يقولون "كنا على رابية في الخامس عشر من الشهر وكانت الشمس مائلة الى المغيب وهي محجوبة بضباب رقيق فشاهدنا على سطحها بالعين المجرَّدة كلفةً سوداء كبيرة وكانت في اسفلها تقريباً منحرفة الى جانبها الايمن وفي صباح اليوم التالي سوَّدنا زجاجةً ونظرنا الشمس من ورائها فرأينا الكلفة في مكانها في اعلى الشمس وبقينا نراقبها يومياً فكانت تصغر رويداً رويداً وترى في أعلى الشمس والشمس في الشرق او في اسفلها وهي في الغرب الى ان اختفت"

موءتمر السل

يعقد موءتمر السل في باريس من ٢ اكتوبر القادم الى ٧ منهُ . وسيكون اربعة اقسام الاول الباثولوجيا الطبية برئاسة الاستاذ بوشار وسيبحث في معالجة الذئب الاكّال بالطرق المستحدثة وفي استقصاء السل في اول درجاتهِ بالطرق المستحدثة كذلك . والثاني الباثولوجيا الجراحية برئاسة الاستاذ لانلونغ وسيبحث في انواع السل المختلفة وعلاقة الجراحة بتدرن الدماغ وغشائهِ وعلاقة الجروح الكبيرة بالسل . والثالث العناية بالاولاد في سنّ الطفولة دفعاً للسل برئاسة الاستاذ جرانشر . والرابعة العناية بالبالغين كذلك . والخلاصة ان المؤتمر لا يترك باباً من ابواب السل الاَّ ويطرقهُ وقاية منهُ قبل حلولهِ وتخفيفاً لشرّهِ بعد الاصابة بهِ

المرأة في اسوج

المرأة في اسوج من اكثر نساء الارض ارتقاء ومساواة للرجل في العلوم والفنون ففي السنة الماضية نالت ثلاث سيدات شهادة دكتور في الفلسفة وتسع شهادة دكتور في الطب . وعينت سيدة ناقلة لشهادة دكتور في الشرائع استاذاً لهذا الفنّ في كلية ابسالا ومادام سونيا كوفالسكي الرياضية المعروفة عند الرياضيين استاذاً للرياضيات في كلية اخرى . وبين الكتّاب كاتبتان اسوجيتان اشتهرتا في اوربا بالمقالات والخطب وهما ألن كاي وسلمى لاجرلوف

مكتشف دورة الدم

المشهور ان مكتشف الدورة الدموية هو وليم هارفي الانكليزي اكتشفها في اوائل القرن السابع عشر ولكن احد الاطباء الاميركيين كتب مقالة قال فيها ان الاسبانيين

يزعمون ان رجلاً منهم اسمهُ سرفتوس هو الذي اكتشفها والا يطاليين ان ثلاثة منهم اكتشفوها والفرنسويين ان رابليه مكتشفها. والحقيقة ان اكتشاف دورة الدم اقتضى لهُ نحو الف سنة — من زمن ارسطو وجالينوس وان الرجل الاول الذي استنتج نتائج منطقية صحيحة مبنية على اختبار مئات من السنين انما هو وليم هارفي

ضغط الهواء وسرعة النبض

ظهر لبعض العلماء ان سرعة النبض تزيد زيادة منتظمة كلما قلَّ ضغط الهواء . وضغط الهواء يقلُّ في الصعود الى رؤُوس الجبال وعند ما يشبع الهواء بخارًا مائيًا فان البخار المائي اخف من الهواء فاذا كثر فيهِ قلَّ ثقل الهواء فقلَّ ضغطهُ . وعليهِ فان ما يشعر بهِ الناس من ضيق الصدر والخلق في الايام التي تكثر فيها الرطوبة سببهُ سرعة النبض الناشئة عن ضغط الهواء

عطارد والكسوف المقبل

كتب المستر ستوني الى جريدة ناتشر الانكليزية يوجه فيها انظار الفلكيين الذين ينوون رصد الشمس في الكسوف المقبل الى السيار عطارد ويشير عليهم برصدهِ ايضاً قائلاً انهُ يكون وقت الكسوف قريباً جدًّا من الخط الواصل بين الارض والشمس

همة العلماء

عرض الاستاذ جنسن على مجمع العلوم الفرنسوي تقريرًا وصف فيهِ تسلقهُ بركان يزوف حديثاً وعمرهُ ثمانون سنة فقال انهُ وصل الى شفا فوهة البركان والقى فيها دلوًا ذات صمامات تفتح وتغلق كما يشاء فلما بلغت الدلو عمقاً عظيماً فتح الصمامات حتى امتلأَت الدلو غازًا ثم اغلقها وانتشلها . وسيمتحن ما فيها من الغاز ليرى نسبتهُ الى ما يتصاعد عن الشمس من البخار

قطارات بلا سوَّاق

في المانيا قطارات نقل تسير وتقف بلا سائق يديرها وهي تسير بقوة الكهربائية وقوة قاطراتها ٢٤ حصاناً فاذا دنت من محطة قرع فيها جرس من غير ان تحركهُ يد انسان فينتبه ناظر المحطة ويستعد لاستقبالها ومتى وقفت واراد تسييرها بعد ذلك صعد الى القاطرة ووصل المجرى الكهربائي فتمشي

الحسّ في النبات

يرى احد علماء الالمان ان الخلايا التي تؤَلف سطوح اوراق النبات هي مكان الحس منهُ وان شكلها ومحتوياتها تمكنها من ان تفعل فعل العدسية في جمع اشعة النور

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

٦٧٣ اسكار الثاني ملك اسوج (مصوَّرة)
٦٨٠ الفقر في بلاد الغنى
٦٨١ نلسن ووقعة طرف الغار . لعبد الرحمن افندي شهبندر
٦٨٨ ايضاحات لُغويَّة . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٦٩١ بين روسيا واليابان
٦٩٩ تاريخ الوهابية
٧٠٥ مسائل العلم في القرن العشرين
٧١٠ منتخبات من ديوان الحماسة
٧١٧ تاريخ محمد علي باشا (مصوَّرة)
٧٢٦ أَالرجل أَسعد ام المرأَة
٧٢٨ المرأَة بين الغيرة والحبّ
٧٣١ الطعام واللباس
٧٣٢ اساطيل الدول

٧٣٤ باب التقريظ والانتقاد * اشهر مشاهير الاسلام . اصلاح الازهر . تاريخ دول العرب والاسلام
٧٤٦ باب تدبير المنزل * فوائد بيتية
٧٤٩ باب المراسلة والمناظرة * الرجوع الى الحق . علاج لسع العقرب . وصف الباخرة
٧٥٢ باب الزراعة * تطعيم الاشجار (مصوَّرة) . الندوة العسلية . حياة البزور . ورق التوت وتعليف الغنم . الاغراس في الفدان . تربية العجول
٧٥٧ باب المسائل * فرس البحر . الارضاع بعد الموت . اليد اليمنى . سبب استعمال اليمنى . حروف العميان . اسوداد الشعر بعد شيبهِ . معتقد الامير بشير . مستقبل بني اسرائيل
٧٦١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٧ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ شعبان سنة ١٣٢٣

مقام المعلّم

خطبة للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة

اصدق وصف ينطبق على المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية انهُ جنديٌّ حاكم. والتاريخ شاهد ان الجنود اذا حكموا نبغوا واشتهروا من الاسكندر الكبير الى قلب الاسد وصلاح الدين ففردرك الكبير فنابليون الاول. والرئيس روزفلت جنديٌّ باسل خدم بلادهُ في الحرب الاهلية وتجمَّل بفضائل الجنود ولم تصمهُ نقائصهم فلما القيت اليهِ مقاليد الامور في الولايات المتحدة تجلت فيهِ تلك الفضائل على اكملها فكان مثالاً يحتذى وقدوة تتبع في استقامة السيرة وطيب السريرة وحرية الضمير وطهارة الذمة. ومن حسن حظهِ انهُ في امة تعرف اقدار الرجال فلذلك ترى قومهُ يكادون يؤَلهونهُ لا سيما وانهُ جعل الولايات المتحدة محط انظار الدول وصاحبة الكلمة المسموعة في مجامع السياسة الخارجية. ولسوف يذكر العالم بالشكر سعيهُ في مصالحة الروس واليابانيين ما دام في الناس قلب يخفق ولسان ينطق

على ان اعظم ما اشتهر بهِ غيرتهُ على شؤُون بلادهِ الداخلية ودأْبهُ في ترقيتها من عالٍ الى اعلى ونقلها من حسنٍ الى احسن. وقد خطب حديثًا خطبة شائقة في التعليم والتهذيب على اعضاء جمعية المعلمين الوطنية اخترنا تلخيصها اظهارًا لفضل الرجل وعلمهِ وغيرتهِ لعلَّ فيها لنا عبرة. قال :

انكم ايها الاساتذة اخص جماعة جمهورية في بلاد جمهورية لانكم تجتمعون وتتذاكرون وتتباحثون كالاكفاء من كل وجهٍ وكلكم ساعٍ في تربية الناشئة من الصبيان والبنات ليكونوا رجال الامَّة ونساءها

وليس كثيرًا ان يقال ان من اخص اعمال الجمهورية ما يعملهُ المعلمون المهذبون . فانهُ مهما تكن عيوبنا — ولا ننكر ان فينا بعض العيوب — فقد ادركنا حق الادراك اننا

لا نستطيع ان نقوم بما يجب علينا في الحكم على انفسنا بانفسنا ما لم تكن عقولنا مستنيرة واخلاقنا مهذبة . وانتم ايها المعلمون ان لم تحسنوا القيام باعمالكم فان اجل هذه الجمهورية ينقضي في جيل . فقد خدمتم هذه البلاد وهذه الجمهورية اجل خدمة وذلك بتعليمكم الاولاد الذين يولدون هنا والذين يأتون الينا من اطراف الارض النائية على اختلاف بلدانهم وجعلكم اياهم جسماً واحداً وهذه خدمة جوهرية للجمهورية لا يقدَّر ثمنها . وزدتم على ذلك انكم وجهتم عقول الطلبة المختلفي الشعوب والاجناس الى وجهة واحدة حتى يمتزجوا معاً ويصيروا امة واحدة

وما من منكر ان الفضل الأعظم في صيرورتنا نحن اهل هذه الجمهورية الاميركية العظمى شعباً واحداً متحداً بدلاً من ان نكون مجموع شعوب متنافرة عائد عليكم وعلى مساعيكم . وان التلامذة الذين يتعلمون في مدارسنا العمومية سواء ولدوا هم وآباؤهم هنا او في الخارج يُشربون في قلوبهم الحب والاحترام المتبادلين اللذين لابدَّ لنا منهما في حل القضايا التي امام امتنا

ولكم خدمة اخرى جديرة بالذكر ولا غنى لنا عنها . ففي بلادنا هذه حيث تنزَّل الثروة فوق منزلتها الحقيقية نحن مديونون اعظم دين لهذه الجمعية التي تستبدل هذا المطلب المادي اي جمع الثروة بمطلب ادبي اسمى واكمل وهو حب العمل الشريف لمجرَّد كونهِ عملاً شريفاً . ولست انكر البتة ان الغنى الماديّ لازم لتمدننا ولكنني اقول انهُ اذا كان تمدننا لا يبني على اساس الغنى صرحاً ادبياً مشيداً لم نعدَّ في مصاف الامم العظيمة فالمال لازم للامة لزومهُ للافراد وما من عمل اراهُ الزم من زيادة المال للمعلمين لاصلاح حالهم مادياً جزاء ما لهم من الفضل على الامة

ومما يزيد خدمتكم قدراً ورفعة شان انكم تُظهرون بسيرتكم ان الغاية الادبية التي تتوخونها جديرة بما تبذلون عليها من التعب وانكم تهتمون اعظم اهتمام بعمل كلّ ما من شأنهِ ان يعود بالخير على بني وطنكم ولو لم يكن منهُ ربح مادي لكم . وسيرتكم هذه اكبر خدمة تخدمون بها ابناء وطنكم لان الضرر الاعظم الذي يجلبهُ ارباب الثروة الواسعة على الامة هو ان نجاحهم يضع نصب العيون مثالاً فاسداً لا يصحُّ النسج على منوالهِ . فاذا لم نبالغ في الحفاوة بالغني الذي لا ميزة لهُ الأ غناهُ لم يبقَ لهُ شأن يذكر بيننا ولا سلطة علينا . ولئلا تسيئوا فهم مقالي اقول ان الغنيّ الذي أعنيهِ انما هو الرجل الذي لا همَّ لهُ الأ مالهُ لا الرجل الذي ينفق مالهُ في وجوههِ ويعدُّهُ وسيلة لا غاية . اما الاغنياء الذين ينفعون بلادهم بغناهم فيستحقون الاكرام مثل سائر الانام . واذا اصابنا ضرر من الاغنياء فاللوم علينا غالباً لا عليهم لان ضررهم ينحصر بالاكثر في اثارة حسدنا وتذمرنا . اما في معاملاتهم فهم اقرب الى النفع منهم الى الضرر

ويحق لكل احد ان يتقي ضرر الضارين منهم ولكن لا يحق ولا يجوز لاحد ان يذم الاغنياء لمجرّد كونهم اغنياء . لا تنسوا ذلك ايها الاساتذة فانهُ لا يجوز ذم الغني لانهُ غني كما لا يجوز ذم الفقير لانهُ فقير . والرجل الذي يحملهُ الغنى على البطر هو الرجل الذي لو بقي فقيرًا لحملهُ الفقر على الحسد والضغينة . والامران صحيحان على حدٍ سوى

الرجل الذي يرى غيرهُ اصلح منهُ حالاً فيحسدهُ ويكرههُ هو الرجل الذي لو اغتنى لساء سلوكهُ وبطر وعتا واضرَّ بغيرهِ . والذي يحسد الغني ويكرههُ لانهُ غني يعرب عن مخافة وخلل في عقلهِ وعن انهُ يكون عبدًا ذليلاً للمال ما دام لغيرهِ وسيدًا عاتيًا اذا صار المال لهُ . وهذه الاخلاق اي البغضة والتذلل والعتو والحسد من قبيل واحد لانها ناتجة عن خطإٍ في قدر الغني فوق قدرهِ كثيرًا

ثم ان قيامة العامة على الاغنياء وهزء الجرائد بهم وسوء سلوك الاغنياء الذين يستخفون بحقوق غيرهم لا علاقة لها بعضها ببعض في الظاهر ولكنها في الحقيقة ناشئة عن عيوب واحدة في جوهرها . واحد تلك العيوب عدم توجيه الاذهان الى غاية حميدة . والامة التي لها غاية حميدة ترمي اليها وترفع اقدار الرجال الذين يسعون في بلوغها لا ترى بينها من يضع الغني في غير موضعهِ او يرفع قدر الغني اكثر مما يستحق

وهذا العيب انما يصلح على ايديكم وايدي الاساتذة اخوانكم المنتشرين في جميع اطراف البلاد . فالواجب عليكم ان تبينوا بعلمكم وعملكم معًا انكم ان كنتم تعدون الغنى امرًا حسنًا فانكم تعدُّون غيرهُ احسن منهُ . نعم ان من اللازم الذي لا انفكاك عنهُ ان يحصّل المرء شيئًا من المال يكفي لهُ وللذين هم عالة عليهِ ولكن السعي وراء المال اذا تجاوز حدَّ الكفاف انحطَّ عن المطالب الشريفة والغايات السامية

وتاريخ الامة الاميركية مملوءٌ باسماء الرجال العظام مثل وشنطون ولنكن وغرانت وفرغوت وهوثرن وبوفلتن وموريس وسنت غودنس ومكونس مشاهير القواد والكتّاب والمصورين والنحاتين والعلماء والمخترعين والمكتشفين والمهندسين والمحسنين وقادة الافكار وكل الذين اشتهروا في مطلب من المطالب المختلفة ولا يذكر بينهم من الاغنياء الا الذين استخدموا مالهم في طرقهِ المشروعة ووجوههِ النافعة وعدوهُ وسيلة لا غاية واحسنوا التصرف في كسبهِ وانفاقهِ

طوبى لكم لانكم أُعطيتم ان تقودوا النفوس وترشدوها الى الغايات النبيلة ولانكم تبثُّون بعلمكم وعملكم في عقول رجال الجيل المقبل ونسائهِ ما يُعرَف بهِ مقام ذلك الجيل في تاريخ الانسان

واريد في الختام ان اذكر امورًا حدثت في الاسبوع الماضي امورًا تؤيد ما قلتهُ لكم من

انهُ ينبغي ان يكون في البلاد اناس يفضّلون المطالب السامية على اكتساب الثروة . ففي الاسبوع الماضي فقدت هذه البلاد رجلاً من كبار ساستها ومن نوابغ رجال القلم فيها رجلاً كان لهُ مقام غريب انفرد بهِ بيننا . رجلاً يحق لكلٍ منا ان يفتخر بهِ لاننا كلنا استفدنا منهُ والولايات المتحدة كلها صارت احسن مما كانت لان جون هاي عاش فيها . انتظم هذا الرجل في خدمة الحكومة وهو شاب وجُعل سكرتيرًا للرئيس لنكن وكان لنكن يثق بهِ و يعتمد عليهِ ثم تقلّب في مناصب كثيرة وكان من مزاياهُ انهُ كان يعتزل الخدمة دائمًا حينما لا يستطيع ان يجري فيها على حسب رغبتهِ . وظلّ يتقلب في المناصب التي خدم بها وطنهُ الى ان بلغ اسماها فصار وزيرًا وتربّع في الوزارة ست سنوات في عهد رئيسين فنال هذه الجمهورية احترام ام الارض بما فعلهُ وما كان عليهِ . وهذه الخدمة لا يستطيعها الاّ رجل امامهُ مطالب سامية تبعد عن كل ما يشين بُعْد المشرق عن المغرب

ولقد اردتُ ان يخلف جون هاي الرجل الذي احسب انهُ خير خلَف لخير سلف ولما طلبت منهُ ان يقبل هذا المنصب كنت كمن يطلب منهُ ان يتجاوز عن ربحهِ المالي الوافر ولكنني لم افكّر بذلك ولا هو فكّر بهِ ايضًا لاني كنت اعلم انهُ مهما كان المانع الذي يمنع اليهو روت عن قبول الوزارة فلا يكون الخسارة المالية التي يخسرها لو قبل الوزارة فاجاب طلبي وقبلها

ولا اتكلّم عن هاي وروت كانهما فردان لا مثيل لهما في هذه البلاد كلاّ بل هما مثال لاناس كثيرين من اقرانهما فاذا سمعنا الانتقاد على رجال الحكومة الانتقاد الذي اقول بأسف انهُ في محلهِ غالبًا وجب علينا ان نتذكر ايضًا ان لهذه الصورة وجهًا آخر وان في اميركا الآن كما في كل زمان وعندما تلمّ الملمات وتشتدّ الخطوب رجال ادارة من الطراز الاول لا يضنّون بشيءٍ في سبيل النفع العام ولو خسروا بذلك خسارة مالية لا تقدَّر. وليس بين وزرائي الآن من لم يخسر ماليًّا بانتظامهِ في سلك الوزارة وما من احد منهم الاّ وقد خسر شيئًا يعزّ عليهِ لكي يبقى في خدمة امتهِ وليس لهُ الاّ جزاء واحد ينتظرهُ او يعبأ بهِ وهو الشعور الداخلي بانهُ خدم بلادهُ وعمل ما يستحق ان يُعمَل

وارجو ان تزيد الرغبة في خدمة الامة في البلاد كلها حتى يسهل على كل احد ان يضحي مصلحتهُ الخصوصية لاجل المصلحة العمومية سواء كان في خدمة الحكومة او في غيرها من الاعمال لان الذين ليسوا في خدمة الحكومة قد ينفعون قومهم اكثر من الذين في خدمتها. وليكن النفع العام خير ما تحدى اليهِ الركاب وما يتوخاهُ كل انسان رجلاً كان او امرأة في هذا العصر وفي كل العصور وفعلهُ هو الجزاء وهو الفخر لمن يفعلهُ

همة الشيوخ

يؤخذ من مراجعة تواريخ المشاهير من العلماء ان كبر اعمارهم لم يخفض من هممهم ولا اضعف قواهم العقلية بل ان كثيرين من اشهر مشاهيرهم ظهروا للعالم واشتهروا بعد ان جاوزوا سن الكهولة ودخلوا طور الشيخوخة . وامثلة ذلك كثيرة نأتي على بعضها تأييدًا لما نقدم

فمنهم كنت الفيلسوف الالماني كتب كتابهُ المعنون "بحث في العقل المجرَّد" وهو في سنّ السابعة والخمسين وهو كتاب مفعم تصوراتٍ وافكارًا سامية حتى لم يقم بين العلماء بعدهُ سوى نفر قليل أدرك كنهها . وكتب كتابًا آخر لا يقلُّ عن الكتاب المذكور آنفًا علمًا وسموًّ فلسفة وهو في سنّ السبعين

ومنهم لابلاس الرياضي الفرنسوي نشر اوائل كتابهِ المسمى "نظام العالمين" وهو في سنّ الخمسين ونشر الباقي منهُ وعمرهُ سبعون سنة . وهو الكتاب الذي بسط فيهِ رأيهُ في المذهب السديمي فاقام العلماء واقعدهم لاول الامر ثم صار المذهب المقبول عند الاكثرين الى الآن

هذا في علم الافلاك او تكوُّن العالمين واما في الجيولوجيا فاشهر من اشتهر السر تشارلس لَيل ومعظم ما كتبهُ فيها كان بعد ان جاوز الاربعين واكمل تنقيح كتابهِ "مبادىء الجيولوجيا" قبل موتهِ بثلاثة ايام ومات وهو ابن ٧٨ سنة . وكتابهُ هذا لا يزال الى اليوم حجة يرجع الجيولوجيون اليهِ ليهتدوا بمشكاتهِ حتى لقد لُقّب بابي الجيولوجيا ومبدعها

وفي طليعة علماء البيولوجيا تشارلس داروين قضى شبابهُ ومرحلة من كهولتهِ ينقب وينقّر حتى سنّ الخمسين فنشر كتابهُ "اصل الانواع" المشهور وهو الكتاب الذي حام عليهِ الجدال واشتدّ النضال بما لم يعهد في كتاب قبلهُ ولا بعدهُ . ثم كتب كتاب "تسلسل الانسان" وهو في الثانية والستين فكان مثل كتابهِ الاول شهرة وانتشارًا وتأثيرًا

ومنهم الفيلسوف هربرت سبنسر فانهُ توفي وعمرهُ ٨٣ سنة ولما بلغ الاربعين من عمرهِ لم يكن قد نشر شيئًا من مؤلفاتهِ المشهورة . فلما بلغ الثانية والاربعين نشر كتاب "المبادئ الاولى" ونشر كتاب "مبادىء الفلسفة العقلية" وهو ابن اثنتين وخمسين سنة و "مبادىء علم الاجتماع" وهو ابن ست وخمسين وكتاب "العدل" وهو ابن احدى وسبعين وهذا الكتاب من اسمى ما الفهُ في الفلسفة الادبية . ولما بلغ الثمانين اتمّ آخر كتاب من فلسفتهِ المشهورة المعروفة بالفلسفة التركيبيَّة ولم تكلَّ قريحتهُ ولا نبا سيف دماغهِ

واشهر ساسة الاميركيين وفلاسفتهم بنيامين فرنكلين اخذ صيتهُ يمتدُّ في السياسة

والفلسفة بعد ان جاوز الستين . وبلغ الثمانين وهو في مناصب الحكومة يطلب الاعتزال وهي تضن بهِ حرصاً على خدمتهِ

واكتشف كولمبس اميركا وعمرهُ ٥٦ سنة ودار مجلان حول الارض وعمرهُ ٤٩ سنة واكمل جيتي الشاعر الالماني كتابة "فوست" وعمرهُ ٨٠ سنة . وعمر اللورد كلفن الآن ٨١ سنة ولا يزال يشتغل بالطبيعيات والرياضيات بهمة لا تعرف الملل ولا الكلل واكتشافاتهُ فيهما ابتدأت بعد ان بلغ الاربعين . واتم ما كتبهُ في سلك البحار والمادة والفلسفة الطبيعية والجيولوجيا بعد ما جاز الستين

واكتشف فاراداي تأثير المغنطيسية في استقطاب النور وهو بين الخمسين والستين من عمرهِ . وكتب جون فسك كل ما كتبهُ في التاريخ بعد الاربعين واهمها ما كتبهُ بعد ما ناهز الخمسين . وكسب فندربلت ١٦ مليون جنيه بعد الخامسة والسبعين . وبيير بنت مورجان الغني الاميركي الشهير حيٌّ يرزق وعمرهُ ٦٨ سنة واعظم اعمالهِ تأليف شركة الفولاذ (الصلب) وهي اعظم شركة صناعية في الدنيا الفها بعد ان بلغ الستين . وعمر كارنجي ٧٠ سنة وقد جمع ملايينهُ الكثيرة بعد ان جاوز الخمسين ولا يزال الى الآن متوقد الذهن اذا تكلم فالعالم كلهُ يسمع كلامهُ . والدكتور ويرمتشل في السادسة والسبعين مارس صناعة الطب زمناً طويلاً وفاق بها الاقران ثم مال الى الانشاء وهو ينشئ الآن الروايات البديعة فيكتسب من الرواية منها يكتبها في شهر من الزمان الوف الريالات ان لم نقل الوف الجنيهات (انتهى ملخصاً من مقالة في مجلة العلم العام)

فهذه الشواهد وامثالها دلائل ناطقة على ان كبر السن لم يؤثر في كبار الرجال فلا أضعف لهم همة ولا فلَّ عزيمة ولا اطفأ نور قريحة وقادة . اما نحن فترى الواحد منها اذا جاوز حد الاربعين تمثل بقول عنترة

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعينِ

وقعد عن السعي يندب شبابهُ وقد يبلغ الثمانين وهو في صحة وعافية يحسد عليهما ولو ابدى بعد الاربعين بعض ما ابداهُ من السعي والهمة قبلها لانجز في كهولتهِ وهرمهِ ما لم ينجزهُ في شبابهِ . ولعل في ما تقدم تعزية لمن خانهُ السعد ولازمهُ النحس شاباً فيئس وقطع كل امل بالنجاح كهلاً . ولا يبعد ان يكون معظم السبب في نجاح الكهول والشيوخ خلوهم من مشاغل الشباب وانصرافهم بكليتهم الى ما فيهِ مصلحتهم دون لذتهم واهتمامهم باعداد ما يعولون بهِ انفسهم وعيالهم اذا اقعدهم المرض او الهرم عن السعي والعمل في أخريات العمر

غرائب النبات والحيوان

تلك الفلوات المحرقة والفيافي المجدبة التي يأبى ساكن النار ان يستجير بها والتي اذا دعا على اخيهِ لم يدعُ عليهِ باحرَّ منها — فيها ما يزيل وحشتها كما يزيل البدر وحشة الليلة الظلماء ويزين وجهها كما تزين الشامة وجنة الصهباء ويعلي قيمتها كما يعلي الدرُّ قيمة الصدف . فكأَن الطبيعة خشيت ان يقال عنها انها ملأَت رحابها بما لوكان بدلاً منهُ نارٌ لاستخدمها الانسان لحاجتهِ واصطلى بها المعدم من بردهِ فأَودعتها ما يخفف وطأَة الانتقاد ويدلُّ على ما في اعمالها من الحكمة والسداد وانها خلقت الدواء قبل ان تخلق الداء واوجدت الكرب ولكن بعد ان اوجدت العزاء

فمن ودائعها في الصحراء الواحات وامرها مشهور . ولكن سل علماء الطبيعة الذين جابوا الارض طولاً وعرضاً يستجلون غوامضها وينقبون عن كنوزها يخبروك ان في اكناف المفاوز المترامية نوعاً من النبات يذخر الماء لحاجتهِ ويجود بهِ على طالب رفدهِ من الانسان او الحيوان تبريداً لغلتهِ . منهُ نبات ينبت في صحراء موهاف بكليفورنيا يبلغ علوُّهُ نحو نصف متر وتضرب جذورهُ في الارض فتملأُ بقعة قطرها نحو ستة امتار وهي مساحة واسعة بالنسبة الى حجم النبات . وترى الجذور قرب سطح الارض لا تبعد عنهُ الى اعمق من ١٠ سنتيمترات فتتمكن بذلك من امتصاص مقدار كبير من ماء المطر ولو هطل مرة واحدة فيكفيها موُّونة على مدار السنة . على ان منهُ ما يرسل بعض جذورهِ افقية وبعضها عمودية فتغرز في الارض الى عمق كثير

اما الطريقة التي تخزن هذه النباتات الماء بها فغريبة في بابها . فان مقدار ما يتبخر من ماء النباتات عادة انما هو على نسبة مساحة سطحها الاخضر او اوراقها . فقد اخذت شجيرة من شجيرات البن اليمني ووزنت فبلغ ثقلها ٢٠٫٥ الجرام وقيست مساحة اوراقها فبلغت ١٦٤٤٧٦ مليمتر مربع اي ان نسبة ثقلها الى مساحة اوراقها كنسبة ١ الى ٨٠٢٣ . واخذت شجيرة من البسناجا وهو نوع من الصبر ينبت في الصحراء ويذخر الماء ولهُ جذع بلا اوراق ووزنت فبلغت زنتها ٧٧٠٠٠ جرام ومساحة سطح جذعها ١٠٣٢٣٢٠ مليمترًا مربعاً اي ان نسبة ثقلها الى مساحة سطحها كنسبة ١ الى ١٣٫٤ . فيظهر من هذه المقابلة ان مساحة السطح الاخضر في نبات البن ٦٠٠ ضعف مساحة السطح الاخضر في الصبر المذكور وبعبارة اخرى ان قوة التبخر في نبات البن اشد من قوة التبخير في نبات الصبر ٦٠٠ ضعف .

وزد على ذلك ان تركيب نبات الصبر هذا هو بحيث يقل معهُ مقدار ما يتبخر منهُ كثيراً ويستطيع النبات بهِ ان يحافظ على القسم الاعظم من الماء الذي امتصهُ . فان قشرتهُ صلبة وداخلهُ مؤلف من خلايا يذخر الماء فيها والماء ٩٦٫٣ في المئة من ثقلهِ وعليهِ فان فيهِ من الماء ما لايوجد في اكثر الخضر ماءً كالخيار فان فيهِ ٩٥ في المئة من الماء

وهذا الصبر على انواع منها ما ماؤُهُ مرٌّ مقيءٌ ومنها ما ماؤُهُ حلو طيب المذاق . شاهد بعضهم استخراج الماء من نوع البسناجا المذكور آنفاً ووصفهُ فقال جيءَ بشجيرة منهُ علوُّها نحو متر ثم قطعت من اعلاها حتى بان لبابها وأُخذت عصاً فدقَّ اللباب بها حتى خرج العصير كلهُ منهُ وصبَّ في اناء فاذا هو ماءٌ لذيذ الطعم فيهِ ملوحة قليلة يشربهُ العطشان ويفضلهُ اهالي المكسيك على الماء القراح

وقد جهزت الطبيعة هذا النبات بحرس قوي من الاشواك تكسوهُ كلهُ فتصونهُ من غارات الحيوان آكل العشب اما ما كان منهُ مرًّا مقيئًا فانك تراهُ قليل الشوك اذ مرارتهُ كافية لان تدفع عنهُ هجمات اعدائهِ

غير ان الحيوانات التي تسكن الصحراء وان كانت تلقى اشدَّ الصعاب في سبيل استقاء الماء الآن المشهور عنها انها قلما تتطلبهُ تقضي الايام الطوال بل الشهور صائمة عنهُ ولا ينالها من صيامها شرٌّ ولا ضرٌّ . ومن الحيوان ما لا يشرب الماء بتاتاً ولا يأكل المواد التي يكثر الماء فيها كالخضر بل طعامهُ الحبوب اليابسة . ذكر بعض اهل السياحة من العلماء انهُ توغل في احدى صحارى استراليا ومعهُ تسعة جمال فلم تشرب ماءً مدة اثني عشر يوماً. وذكر آخر ان الغنم المعروفة بالمرينوس قد يمرُّ عليها شهران كاملان لا ترى فيهما الماء فضلاً عن ان تشربهُ . وربى آخر فارة برية فلم تشرب الماء شهراً كاملاً وكانت تقتات بالحبوب اليابسة ولما أُلفت اتاها بالماء فلم تشرب وادناهُ منها حتى مسَّ فاها فنفرت منهُ . وربى غيرهُ فارة اخرى ثلاث سنوات فلم تشرب في خلالها ماءً وانما كانت تقتات بالحبوب اليابسة . وقد حار العلماء في ذلك اذ يستحيل على حيوان لهُ اجهزة للتنفس والهضم والافراز ان يعيش على مثل هذا القدر اليسير من الماء حتى تساءل البعض قائلين ترى هل لتلك الحيوانات اعضاءٌ تمتصُّ بها الرطوبة من الهواء وتحوّلها ماءً تسدُّ بهِ حاجة اجسامها . أَو هل تأخذ ما تحتاج اليهِ من الماء من نشا الطعام عند تحليلهِ في اجسامها كيماويًّا كما انها لا تستطيع اخذ طعامها مباشرة من التراب فتأخذهُ من النبات بعد امتصاصهِ لهُ واغتذائهِ بهِ

المدح والذم والتقريظ والانتقاد

المدح والذم وما ادراك ما هما . أمران استأسد فيهما الهوى والتصق بهما العلم والجهل والرجاء واليأس والرغبة والرهبة حتى ندَّت الالسنة والاقلام عن مناهج الصواب . فشردت الاماديح والاهاجي عن مواطن الصدق ودرجت مدارج الكذب وتجلببت جلابيب التمويه فانقلب كلٌّ منها الى ضدّ ما أريد بهِ . اي استحال هجو الكرام مدحاً ومدح اللئام هجواً على حدّ ما قال المتنبي

واذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فليت شعرى من يقوم في زعمهِ ان هجو المشهور بالانصاف والوفاء يصدَّق عند من اتصل اليهم صيتهُ او من الذي يستطيع ان يغطي بسجف مدحهِ ما شاع وذاع من رذائل وخيانات من اشتهر بقلة الحياء وعُرِف بالكبرياء والخيلاء

فما مثل هذين الاَّ مثل من يطلي العبد الاسود بطلاء ابيض او يطلي الابيض الكرجي بطلاء اسود حتى يظهرا للنظر على ضدّ ما جبلا عليهِ ولكن لا يحكم على العبد الاسود انهُ ابيض ولا على الابيض انهُ عبد أسود الاَّ ريثما يذهب الطلاء فيعود كل منهما الى حالهِ الاول فكم ياوقاك الله في الاقدام على مثل ذلك من صفاقة الوجه ولآمة النفس

فمن ثمَّ كثر ما نسمع لعصرنا في هذه الناحية" انا لا امدح " او" انا لا احب المدح " فاذا تذكرت ان متعلّق المدح هو الصفات الجميلة كالحكمة والكرم والشجاعة والمروءة والرأفة والوفاء . وأنَّ متعلق الذم انما هو الصفات القبيحة كالجهل والطيش والجبن والشح والاختلاس والرثاء حكمت الحكم الباتَّ ان ما ذكرنا من قول ناشئة العصر" انا لا امدح" او" انا لا احب المدح " انما هو ضلال مبين ان أخذ الكلام على اطلاقهِ والاَّ فهل من انسانٍ يذم المحسن ويهجو الشجاع و يطعن في اهل المروءة والنجدة ام هل من احدٍ يشقُّ عليهِ مدح الكرام او هل من امرىءٍ ينفر من الثناء على الابطال الصناديد او يشمئز من التنويه بارباب العلم من مثل الائمة الذين وضعوا كتب العلوم وقرَّروا قواعدها وحرَّروا ضوابطها او من مثل المخترعين الذين كانوا ولن يزالوا للبشرية وَبْلَ منافع وديمَ فوائد كمخترع الخط ومخترع السفن البخارية والسلك البرقي وغيرهم ممن يضيق المقام عن سرد اسمائهم

ولكن اذا نظرت الى وقوع المدح غير موقعهِ ورأيت مطارفهُ الفاخرة على من يدنسونها

بصديد المعايب هان عليك ان توافقهم وذهب عنك استغراب قولهم ذاك" انا لا امدح "
وايقنت ان ذلك المدح لمن يتنكبون السنن المسنونة والآداب المحمودة لا يتعدى ان يكون من
باب وضع الشيء في غير موضعهِ وهو لعمر الله الظلم بعينهِ وما كان الظلم ليحمد

بالله ربك قل لي من ذا الذي اذا خلي وشأنهُ تطاوعه نفسهُ ان يمدح من اذا راجعت تاريخ
اعمارهم أو نظرت الى آثارهم اخذك العجب من اجترائهم على الظهور للناس مع كثرة قبائحهم
ووفرة فضائحهم . ألا بعيشك انبئني من الذي يطيب لهُ ان يسمع الثناء على جماعة لو انبعثت
عن المساوىء رائحة كريهة لما امكن التخلص من نتانة مساوئهم الاَّ باحراق القناطير المقنطرة
من العود والبخور

فما تقول يا اخا الادب وظهير الفضل متى رأيت في مديح كل منهم مئين من القصائد
تصورهم للناس بصور ينابيع الفضل ومصادر المجد واركان الحق وانصار العدل . وما هم وحياة
الانسانية الاَّ دمامل مثالب يسيل قيحها على ذلك المحيا الجميل محيا الانسانية

اقول هذا اضطهاد للادب واصحابهِ . والفضل وار بابهِ وهو لو اريد تصويرهُ او تمثيلهُ
جاز ان يقال انهُ كاعداد المزابل للادباء والنبلاء ونصب كرامي الكرامة والتعظيم للسفهاء.
فياللحق من مضيعيهِ وللفضل من مضطهديهِ

واعلم ان لا داعي الى شيء من ذلك الجور على الاخلاق الكريمة واهلها والخروج عن
الواقع الاَّ هوًى متبع او امل في نوال او خوف من عقاب او جهل بحقيقة الحال كما سبق
الالماع اليهِ. فربما هوي الشاعر امرأةً غير بارعة في الجمال فيصور لها في شعرهِ من المحاسن
مالا اثر لهُ الاَّ في تخيلاتهِ . وقد يعظم امل امرىء في شخص حتى يقوم في زعمهِ انهُ سيفتح
لهُ خزائن رونشيلد فيمثلهُ فيما ينظم في مدحهِ من القصائد بحر جود يتدفق على الدنيا او سحاباً
من ذهب يهمي على الارض

وربما خشي على حياتهِ من جائرٍ لا قبل لهُ بكف عاديتهِ عنهُ فيتزلف اليهِ بقصيدة او
بقصائد تشرح تفوقهُ على الانام وتبين عظمة شأنهِ عند الاقوام وتجعلهُ ملاذ البلاد وتحط
عن مرتبتهِ عنترة بن شداد وذلك كلهُ رجاء ان لا يتناولهُ بمكروهٍ وفراراً من ان يمسهُ
بأذًى . وقد يكون المرء معتقداً علو الهمة وشرف النفس في زيدٍ فيطلق قريحتهُ في بيان رفعة
قدرهِ وعلو منزلتهِ حالة كون الواقع على ضدّ ما قام في وهمهِ ولا يكون ذلك عن رغبةٍ ولا
عن رهبة ولا انقياداً لهوى في الصدر بل تمثيلاً لما ثبت لهُ عند المادح من الطباع السليمة
والصفات النبيلة

ومن هنا فلا تستغرب ان ترى الشاعر يمدح زيدًا ثم يهجوهُ ويهجو عمرًا ثم يمدحهُ وهو لا يبالي ما قال الناس فيهِ ولا يخشى عار هذا الانقلاب حتى كأن البشر أصبحوا بهائم لا يُستحى ان ترتكب المعاصي امامهم . فهذا المتنبي مدح كافورًا أعلى المدح واجلّهُ ثم هجاهُ اشدّ الهجو واوجعهُ فاليك بعض ما قال في مدحهِ

ولكن بالفسطاط [1] بحرًا أزرتهُ حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
قواصدَ كافورٍ توارك غيرهِ ومن قصدَ البحرَ استقلّ السواقيا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانهِ وخلّت بياضًا خلفها ومآقيا

الى ان يقول

يُدلُّ بمعنًى واحدٍ كل فاخرٍ وقد جمع الرحمان فيكَ المعانيا

ودونك ما قال في هجوهِ

من ايَّة الطرق يأتي مثلك الكرمُ أينَ المحاجمُ يا كافورُ والجلمُ
جازَ الالى ملكت كفَّاك قدرهمُ فعُرِّفوا بك ان الكلبَ فوقهمُ

أُخذتُ بمدحهِ فرأيتُ لهوًا مقالي للأُحيمقِ يا حليمُ
ولما أنْ هجوتُ رأيتُ عيًّا مقالي لابن آدم يا لئيمُ

اني نزلتُ بكذّابينَ ضيفهمُ عن القرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجال من الأيدي وجودهمُ من اللسان فلا كانوا ولا الجودُ
ما يقبض الموت نفسًا من نفوسهمِ الّا وفي يدهِ من نتنها عودُ

ومنها

لا تشترِ العبدَ الّا والعصا معهُ ان العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ
ما كنتُ أحسبني أحيا الى زمنٍ يسيءُ بي فيهِ كلبٌ وهو محمودُ

ومنها

مَنْ علَّم الاسودَ المخصيَّ مكرمةً اقوامهُ البيضُ ام آباؤهُ الصيدُ

ثم استيعابًا للكلام في هذا الباب تقسم المدح الى قسمين احدهما المدح بالصفات الفطرية كالسماحة والبسالة والآخر المدح بالصفات الكسبية كالتبحر في العلم وطول الباع في الصناعة . فاما المدح بالصفات الفطرية فلا يحتاج الى علم يتلقى على استاذ . فكلٌّ يستطيع ان يعرفهُ ويحق

(١) الفسطاط مصر القديمة

لهُ ان يذكرهُ ويثني بهِ على صاحبهِ . فمن يرَ زيداً يفرق المال على العفاة ويقري الضيفان ويرَ عمراً يخوض غمار الحرب ويفتك بكماتها يتهيأ لهُ ان يثني عليهما بالسخاء وشدة البأس وثبات الجأش . وكذلك من ينال عوارف خالد او يأمل تحصيل فائدة عندهُ يطلق لسانهُ في مدحهِ . وكذا قل في من يخشى غائلة قوي فانهُ يتذرع الى التخلص منهُ بالمدح . فاذا راجعت دواوين الشعراء فلا ترى مدحةً لم تشذ عن باعثٍ من تلك البواعث

وممن مدحوا رهبةً عبد الله الشهير بصفي الدين بن الشكر كما قال فيهِ شمس الخلافة

مدحتك السنة الانام مخافةً ونقارضت لك في الثناء الاحسنِ
أترى الزمانَ موءَخراً في مدتي حتى أعيش الى انطلاقِ الالسنِ

واما المدح بيسطة العلم وطول الباع فيهِ والبراعة في الصناعة فلا يُقبَل الاَّ من اكابر العلماء وحذاق اهل الصناعة او ممن يسند ذلك اليهم . والاَّ فمن اين للتاجر الجاهل صناعة التصوير مثلاً ان يحكم بأن فلاناً هو ابرع مصوري زمانهِ ولا يعرف من دقائق الصنعة شيئاً ولم يكاشف بشيءٍ من اسرارها . بل من اين للبقال ان يحكم لخالدٍ انهُ اعلم زمانهِ وفرد اوانهِ وهو لا يعرف قاعدة من قواعد ذلك العلم الذي ميزهُ فيهِ على الاقران . ورفعهُ عن الامثال والانداد . فلا جرم ان كلا هذين ممن يهرف بما لا يعرف فالمدح بالعلوم والصنائع انما هو من خصائص اربابها يقبل منهم ولا يقبل من سواهم لمكان انهم اهل المعرفة بذلك والخبرة بهِ . وفي الشرائع عامةً ان ما لا يعلمهُ الاَّ ذوو الخبرة يقضي فيهِ على قولهم

غير أن تباين الانظار والاذواق وتلاعب الاهواء والاغراض بنفوس من اثبتنا ان لهم القول الفصل بذلك وتفاوت طبقاتهم في العلم وسعة الاطلاع وقلتهِ قد اطاش سهامهم واوهن احكامهم فارانا واحداً لسان اهوائهِ ورغائبهِ وواحداً مقول حسدهِ وكبرهِ وآخر شاهداً بفساد ذوقهِ وضعف نظرهِ او مثبتاً بوهن حكمهِ قلة اطلاعهِ

ألا وان بعض ما يخالط النفس مما ذكرناهُ يثور عليها فيخيم ضبابهُ حتى ما ترى وجه الصواب فتركب مطايا الغلو مدحاً او ذماً . ومن هناك تراهم في تراجم العلماء وتقريظ كتبهم يجاوزون حد المعقول كما يفعل الشعراء في مدح من يجزل لهم الصلات ويسني لهم الجوائز كابي دلف الجواد المشهور فقد قال فيهِ العكوَّك احد فحول الشعراء المبرزين

انما الدنيا ابو دُلَفٍ بين مغزاهُ ومحتضرهْ
فاذا ولى ابو دُلَفٍ ولت الدنيا على اثرهْ
كلُّ من في الارض من عربٍ بين باديهِ الى حضرهْ

مستعيرٌ منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخرهْ

والذي يبعث المقرظ على المغالاة في مدح كتاب او قصيدة إما نشوة تأخذ بلبهِ لوقوعهِ في الكتاب او القصيدة على ما يحسن في ذوقهِ ويلائم ما في نفسهِ . وإما كون الكتاب او الشعر لحبيب لهُ كرامة عندهُ فهما وان كانا من طبقة متوسطة يجعلهما في الطبقة الاولى ولا يرى فيهما مغمزًا ولا مطعنًا وينوه بالمؤلف والشاعر تنويهًا ينطبق على ما لهُ في صدرهِ من التكريم . وكذلك يفعل في الانتقاد اجابةً لداعي سخطهِ كما سترى . وإما مقصد آخر تتعلق بهِ نفس المقرظ فتتطرق الى ادراكهِ بالتقريظ المتعدي حد ما يستحق المقرظ ونظائر ذلك كثيرة لعهدنا . فأجدر باولئك المادحين والمقرظين ان يرفعوا البراقع عن عيونهم ويجعلوا المدح والتقريظ منطبقين على الواقع ولو توسعوا فيهما كما تقتضيهِ طبيعة الثناء بالخير والاَّ ازرى بهم اهل الذوق من الخواص والعوام ولم يعد فيهم من يحفل بكلامهم او يأخذ بهِ فيكون لهم بذلك عقوبة شبيهة بعقوبة المأمون للعكوك . فقد اخرج لسانهُ من قفاهُ لقولهِ في ابي دلف ايضاً

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ الى حالِ
وما مددتَ مدى طرفٍ الى احدٍ الاَّ قضيت بارزاق وآجالِ

والادلة على الغلو في التقريظ كثيرة نقتصر منها على ثلاثة ونحيل بالباقي على مطالعة الكتب

الدليل الاول

في تقريظ الخطب النباتية

قال ابن خلكان في خطب عبد الرحيم بن نباتة[1] "وقع الاجماع على انهُ ما عُمل مثلها" يريد انها فريدة في بلاغتها وحيدة في حسن ديباجتها يتيمة الدهر في انسجامها وقوة معانيها . اقول ان هذا الاطلاق ليس بقائم على اسٍّ متينٍ كما يراهُ من اطلع على نهج البلاغة فقد أُودع من الخطب ما تراءى فيهِ البيان بأبهى مظاهرهِ وتجلى بابهر بدائعهِ . فياليت شعري من ذا الذي يوازن بين خطب الامام عليٍّ وخطب ابن نباتة ثم يجرؤ ان يقول في الخطب النباتية "وقع الاجماع على انهُ ما عُمل مثلها"

لا أُريد بذلك الغضَّ من هذه الخطب فهي والحق يقال خطب بليغة محبرة تشهد لصاحبها بطول الباع في صناعة الانشاء وتقضي لهُ بانهُ من افرس فرسان البيان ومن

(١) ولد ابن نباتة سنة ٣٣٥ هـ بميا فارقين وتوفي بها سنة ٣٧٤ هـ وقد خرج من ميا فارقين الخطيب الشهير المعروف بأبي حليم وهو احد بطاركة النساطرة

احقّ من يشار اليهم بالبنان . ولكنها لم تبلغ ان تفضُل على الخطب الحريرية [1] فضلاً عن الخطب العلوية . وان شئت فعارضها بها تظهر لك حقيقة الامر وتعلم حينئذٍ ان ابن خلكان [2] انما قال فيها ما قال اما لأنها اشدّ ملاءمةً لذوقهِ واما لأنها احسن من سواها موقعاً في نفسهِ واما لانهُ لم يقابلها وتتنئذٍ بما هو من جنسها فقلّد في تقريظها غيره فجاء حكمهُ جائراً فيما أرى

الدليل الثاني

في وصف ابي الوليد بن زيدون

قال ابن بسّام [3] صاحب الذخيرة في ابي الوليد بن زيدون "كان ابو الوليد غاية منثورٍ ومنظومٍ وخاتمة شعراء بني مخزوم اخذ من حرّ الايام حرًّا . وفاق الانام طرًّا"

نعم ان ابن زيدون [4] كاتب بليغ وشاعر مجيد . فلا يتعدّى الحدّ من يقول انهُ غاية منثورٍ ومنظوم

اما اطلاق القول بأنهُ فاق الانام طرًّا فمن قابل شعرهُ بشعر غيرهِ من الفحول انتقض عندهُ هذا القول من اصلهِ فانهُ يرى في طبقتهِ خلقاً من الشعراء فلو سئل ابن بسام متى امتحنت الانام اجمع وعرفت طبقة كلّ منهم حتى جاز لك القول انهُ فاق الانام طرًّا ما استطاع الى الجواب سبيلاً اللهم الاّ ان يقول انما اراد انام بلدهِ وعصرهِ فيكون من باب قولهم جمع الامير الصاغة يعني كلهم والمراد كل صاغة بلدهِ لا كل صاغة الدنيا

قلت الاولى في مثل ذلك ان يُجرى على سنة التخصيص كما جرى صاحب الذيل في ترجمة ابي الفضل الميكالي [5] قال "كان أوحد خراسان في ذلك العصر ادباً وفضلاً" وكما قال في صفيّ الدين الحليّ [6] ونصّ قولهِ "هو الامام العلاّمة البليغ القدوة الناظم الناثر شاعر عصرهِ على الاطلاق" واوقع منهُ في النفس واثبت عند الامتحان ما جاء لابن شاكر في

(١) كانت ولادة الحريري سنة ٤٤٦ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ

(٢) ولد ابن خلكان باربل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ

(٣) ابن بسام توفي سنة ٣٠٢ وقيل ٣٠٣ هـ

(٤) كانت وفاة ابن زيدون بمدينة اشبيلية في صدر رجب سنة ٤٦٣ هـ (٥) كانت وفاة ابي الفضل الميكالي يوم عيد الأضحى سنة ٤٣٦ هـ

(٦) كانت ولادة الصفي الحلي سنة ٦٧٧ هـ ووفاتهُ سنة ٧٥٠

ترجمة ناصر الدين بن النقيب [1] وهذا نصّ قولهِ " شعرهُ حسن جيد عذب منسجم فيهِ التورية الرائقة اللائقة المتمكنة . وهو احد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء مصر في ذلك العصر ومقاطيعهُ جيدة الى الغاية " ونظير هذا قولهُ في عبدالله الجماعلي الدمشقي [2] " كان اماماً حجة مصنفاً متفنناً محرّراً متبحّراً في العلوم "

وينتظم في هذا السلك قولهُ في الكاتب المعروف بالبديع [3] كان آيةً في النظم والنثر. فما قالهُ ابن شاكر فيمن ذكرنا تنويه مقبول ونعت يصحّ في المعقول ومن هذا الباب وصفهُ لابن المعتز [4] بصاحب الشعر البديع والنثر الرائق

الدليل الثالث

ما جاء للزمخشري في تقريظ مقامات الحريري وهذا هو

أُقسم بالله وآياتهِ ومشعر الحجّ وميقاتهِ
أنّ الحريريّ حريٌّ بأن نكتب بالتبر مقاماتهِ
معجزةٌ تعجز كل الورى ولو سروا في ضوء مشكاتهِ

قلت لامراء ان النسج على منوال الحريري اشقّ ما يحوم حولهُ المنشئ وأوعر ما يسلكهُ الكاتب ومقاماتهُ حريّةٌ بان تكتب بماء الذهب فقد شهدت بلاغتها انهُ قد ملك قياد البديع وقامت لهُ اللغة مقام الخادم المطيع والعبد الامين وانقادت لهُ المعاني انقياد الاسير العاني لكنني لا احسبها معجزة تقصر ايدي البلغاء قدمائهم ومحدثيهم عن الاتيان بمثلها . وما كان الزمخشري ليعجزهُ انشاء مقامات في طبقتها وهو من ابلغ الكتّاب في اللسان العربي . وعندي ان هذا الغلوّ في تقريظ المقامات الى هذا الحدّ وان كان لأحد امراء البيان وفرسان اليراع اشبه بغبار يقع على محيّاها فيحجب من جمالهِ وربما ساق الفحول من علماء الأدب الى تعقبها والتنديد بها

وربّ قائل يقول كفى بالحريريّ فضلاً وحسبهُ فخراً ان يطريهُ مثل الزمخشريّ هذا الاطراء ويقضي لهُ بالسبق على الناس اجمعين . فهذا من فريق من لا يدقّقون النظر في الامور واما انا فلو كنت الحريريّ وكانت هذه المقامات لي لتبرّأت من قبول تقريظ يجعلني

(١) توفي ناصر الدين بن النقيب سنة ٦٨٧ هـ (٢) ولد عبدالله الجماعلي الدمشقيّ سنة ٥٤١ هـ ومات سنة ٦٣٠ هـ (٣) توفي الكاتب المعروف بالبديع سنة ٥٢٤ هـ (٤) ولد ابن المعتزّ في شعبان سنة ٢٤٩ هـ وقيل في ربيع الآخر سنة ٢٩٦

فريد الدنيا وفائق الناس من درج منهم ومن بقي ومن يأتي . وفي قول ابي القاسم الحريري "هذا مع اعترافي بان البديع[1] سبّاق غايات . وصاحب آيات . وان المتصدّي بعدهُ لانشاء مقامةٍ ولو أُتي بلاغة قدامة لا يغترف الاَّ من فضالتهِ ولا يسري ذلك المسرى الاَّ بدلالتهِ" ما يشير الى انهُ لا يرتاح نفساً إلى ان يبلغ الغلوّ في تقريظ مقاماتهِ الى حد ان يجعلها فوق طوق البشر كما هو صريح قول الزمخشري فيها . ولعلّ سائلاً يقول لو سئل الزمخشري[2] عن قولهِ

معجزةٌ تعجز كلّ الورى ولو سروا في ضوء مشكاتهِ

بماذا كان يجيب قلت ما كان يسعهُ ان يخرج من ذلك الاَّ بان يقول انما أردت ان الحريري بلغ اقصى ما يستطيع ان يبلغهُ اكابر اهل الانشاء في وضع المقامات وانما عدلت عن مذهب الاقتصار على الحدّ الاوسط الى مذهب الغلوّ تفخيماً للأمر واظهاراً لمزيَّة ذلك المنشىء الناشر راية الابداع الحامل لواء البراعة . على ان الزمخشري قد غلبت عليهِ فيما اظنّ نشوة الاستحسان لبدائعها والتعجب من روائعها حتى خيل لهُ انها معجزة تفوت حدّ الفصاحة البشريَّة ولاسيما ان كان ممن يهيمون بمتانة العبارة مع التنميق والزخرفة فيكون قد رآها بعين الساري وقد طلع عليهِ البدر . هذا ولم أرَ مادحاً أرعى لقدر العلم والانصاف من البديع الهمذاني فقد وصف في مقامتهِ القريضية امرأ القيس والنابغة وزهيراً وطرفة وجريراً والفرزدق والمحدثين والمتقدمين من الشعراء وصفاً منطبقاً على الصحة قال في امرىءِ القيس "هو اول من وقف في الديار وعرصاتها واغتدي والطير في وكناتها . ولم يقل الشعر كاسباً . ولم يجد القول راغباً ففضل من تفتق الحيلة لسانهُ . وتنتج الرغبة بيانهُ"

وقال في النابغة "يثلب اذا حنق . ويمدح اذا رغب . ويعتذر اذا رهب فلا يرمي الاَّ صائباً"

وقال في زهير "يذيب الشعر والشعر يذيبهُ ويدعو القول والسحر يجيبهُ"

وقال في طرفة "هو ماء الاشعار وطينتها وكنز القوافي ومدينتها . مات ولم تظهر اسرار دفائنهِ . ولم تفتح اغلاق خزائنهِ" ثم وازن بين جرير والفرزدق فقال

"جرير ادقّ شعراً . واغزر بحراً . والفرزدق امتن صخراً . واكثر فخراً . وجرير اوجع هجواً . واشرف يوماً . والفرزدق اكثر روماً واكرم قوماً . وجرير اذا نسب اشجى واذا

---

(1) البديع الهمذاني توفي سنة ٣٩٨ هـ وقد أربى على الاربعين (2) الزمخشري ولد بزمخشر قرية بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ ومات في جرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ

ثلب أردى . واذا مدح اسنى . والفرزدق اذا افتخر اجزى . واذا احتقر ازرى . واذا وصف اوفى "

وقال " المتقدمون اشرف لفظاً . واكثر من المعاني حظاً . والمتأخرون الطف صنعاً . وارق نسجاً "

وشتان ما حكم البديع وحكم الحريري في مسئلة المتقدمين والمتأخرين اما الاول فقد مرّ بك حكمهُ واما الثاني فقد قسم الناس الى فريقين فريق قضي للمتقدمين على المتأخرين حيث قال في المقامة المراغية "حضرت ديوان النظر بالمراغة . وقد جرى بهِ ذكر البلاغة . فاجمع من حضر من فرسان اليراعة . وارباب البراعة على انهُ لم يبقَ من ينقح الانشاء . ويتصرف فيهِ كيف شاء ولا خلف بعد السلف .... وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل . ولو ملك فصاحة سحبان وائل"

وفريق قضى للمتأخرين على المتقدمين حيث قال "عظمتم العظام الرفات . وافنتم في الميل الى من فات وغمصتم[1] جيلكم الذين فيهم لكم اللدات[2] ومعهم انعقدت المودات . أنسيتم ياجهابذة النقد . وموابذة[3] الحل والعقد . ما ابرزتهُ طوارف القرائح . وبرَّز فيهِ الجذع على القادح . من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة . والاساجيع المستملحة . وهل للقدماء اذا انعم النظر . من حضر . غير المعاني المطروقة الموارد . المعقولة الشوارد . المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد"

ثم مهد لنفسهِ طريق الامتياز على المتأخرين والمتقدمين من البلغاء . ونادى بلسان حالهِ انهُ مع ما اخذ نفسهُ بهِ من الاعنات في تلك الرسالة بالتزام ما لا يلزم البليغ من الاتيان بكلمة مهملة واخرى معجمة مع التقيد بالسجع والجناس وسائر وجوه البديع قد جاء بابلغ الكلام واسمنهِ فبز الاوائل والاواخر

قلت لاغرو ان هذا المنشئ الذي يعدُّ من اعيان الطبقة الاولى بين ارباب اليراع قد حال العجب بينهُ وبين الاصابة بالحكم فكان البديع اصوب منهُ رأياً في ذلك واصح نظراً وارسخ في البلاغة قدماً . والواصف اذا خرج من رق الهوى وانقاد لدليل الحجى كان في الموازنة كالميزان عدلاً وصدقاً . وهذا خالد بن صفوان الشبيه بالبديع في الموازنة الخالية من جذبات الحب ودفعات البغض الناطقة بسطة العلم وصفاء الذهن قد وازن بين جرير

(١) غمصتم اي عبتم (٢) اللدات المتساوون في العمر (٣) الجهابذة جمع الجهبذ وهو الصراف والموابذة جمع الموبذ وهو في الاصل حاكم المجوس فاستعير هنا

والفرزدق والاخطل في مجلس هشام بن عبد الملك موازنةً انعقد عليها رضاهم واليك خبرها

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان صف لي جريرًا والفرزدق والاخطل فقال يا امير المؤمنين اما اعظمهم فخرًا وابعدهم ذكرًا واحسنهم عذرًا وايسرهم مثلاً . واحلاهم عللاً . البحر الطامي اذا زخر . والحامي اذا دغر [1] والسامي اذا خطر . الذي اذا هدر [2] قال واذا خطر صال [3] الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق

واما احسنهم نعتًا . وامدحهم بيتًا . واقلهم فوتًا . الذي اذا هجا وضع . واذا مدح رفع فالاخطل

واما اغزرهم بحرًا . وارقهم شعرًا واهتكهم لعدوهِ سترًا . الاغر الابلق . الذي ان طُلب لم يُسبق . وان طَلب لم يُلحق فجرير

وكلهم ذكي الفؤاد . رفيع العماد . واري الزناد

قال مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرًا ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الاولين ولا في الآخرين اشهد انك احسنهم وصفًا . وألينهم عطفًا . واخفهم مقالاً . واكرمهم فعالاً

فقال خالد اتم الله عليك نعمتهُ . واجزل لك قسمتهُ . انت والله ايها الامير ما علمت كريم الفراس عالمٌ بالناس . جوادٌ في المحل . بسام عند البذل . حليمٌ عند الطيش . في الذروة من قريش . من اشراف عبد شمس ويومك خيرٌ من الأمس

فضحك هشام وقال ما رأيت يا ابن صفوان كتخلصك في مدح هؤلاء ووصفهم حتى ارضيتهم جميعًا وسلمت منهم "

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة كلامٌ يجدر بنا في هذا المقام ذكرهُ فنرويهِ لك بنصهِ قال " لا احسب احدًا من اهل التمييز والنظر نظر بعين العدل وترك التقليد يستطيع ان يقدِّمَ احدًا من المتقدِّمين المكثرين الاَّ بان يرى الجيد في شعرهِ اكثر من الجيد في شعر غيرهِ ولله در القائل : اشعر الناس من انت في شعرهِ حتى تفرغ منهُ

وقال المعتبي " أُنشد مروان بن ابي حفصة لزُهَير فقال زهير اشعر الناس ثم أُنشد للأعشى فقال بل هذا اشعر الناس ثم أُنشد لامرىء القيس فكأنما سمع بهِ غناء على شراب فقال والله امرؤُ القيس اشعر الناس "

والحاصل ان المدح والتقريظ بحيث لا مصدر لها الاَّ الفضل والصواب كما تقدَّمت لنا

---

(١) دغر : قحم من غير تثبت (٢) هدر : صوَّت (٣) صال : سطا

الاشارة اليهِ كان على المادح او المقرظ ان يقطع لممدوحهِ او مقرَّظهِ ثوبًا من الثناء واسعًا ضافيًا ليكون في سعتهِ وضفوهِ دليل على ان ذلك وان كان حقًّا الاَّ انهُ قد خالطهُ شيءٌ من تحسين الحبّ وما كان الحبيب ليقري حبيبهُ بالطعام الجشب [1] او ليقف بمدحهِ عند حدّ الاهلية بل يدفعهُ الحبّ الى ان يتخطى ذلك الحدّ تخطيًا مألوفًا. وهل المدح الاَّ عن كرم في الطباع وكيف يتلاقى الشحّ والكرم في جهةٍ واحدة وباعتبارٍ واحدٍ

سعيد الخوري الشرتوني

زوجها ابوها

الشعر القصصي كان شائعًا عند العرب قبل الاسلام كما ترى في اراجيزهم وبعض قصائدهم المشهورة وهو اقرب الى الفطرة من الشعر المقصور على المدح والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكم او على نظم العلوم والفنون. لكن العرب لم يبلغوا فيهِ مبلغ اليونان والرومان ولا مبلغ الفرس والهنود ثم اهملوهُ بعد الاسلام فوضعوا قصةَ عنترة نثرًا بدلاً من وضعها شعرًا. وفعلوا كذلك بالف ليلة وليلة. وقد رأى ابناء عصرنا ان يعودوا الى الشعر القصصي ويجاروا فيهِ الافرنج ومن ذلك هذه القصيدة وقد حدثت حادثتها في احدى مدن سويسرا وتناقلتها الجرائد الافرنجية. وخبرها ان احد الشبان واسمهُ مولر تزوج منذ عشرين سنة بفتاة فقيرة مثلهِ فاضطرَّ ان يرحل عنها وهي حامل ثم انقطع خبرهُ حتى ظنهُ الناس قد مات في غربتهِ اما زوجتهُ فولدت بنتًا وماتت عنها ساعة وضعها فتبنَّى الطفلة رجل غنيٌّ كريم من بلدة مجاورة. وفي هذه الايام عاد والد تلك الطفلة من سفرهِ وقد حسنت حالهُ فأُخبر بوفاة زوجتهِ اما ابنتهُ فلم يعرف عنها شيئًا ورجح لهُ اهل بلدهِ انها قد تكون لحقت بوالدتها ثم فارقهم. واتفق انهُ قدم بلد الرجل الذي تبنَّي ابنتهُ ووقع بصرهُ عليها دون ان يعرفها فأُعجب بجمالها وآدابها فخطبها الى مربيها فازوجهُ بها ثم عرف من حديثها انها ابنتهُ بلا ريب فلم يجد افضل من الانتحار فانتحر بعد ان اوصى لها بثروتهِ. انتهى الخبر ملخصًا

فتناول هذه القصة حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله ونظمها فجاءت قصيدة حسناء تشهد لناظمها بالبراعة والفضل قال

---

(١) الجشب من الطعام ما لا ادام فيهِ

تزوّجها لكن بغير غرامِ وفارقها من بعدِ صحبةِ عامِ
وما كان لولا فقرُهُ بمسافرٍ وهل لفقيرٍ راحةٌ بمقامِ
على أنهُ مذ سار أَلقى اعتمادهُ على جيرةٍ في الحيّ غيرِ كرامِ
ثني الطرفَ عنها منهم "كل مرتجى" لدفعِ بلاءِ او لنيل مرامِ
واعرض عنها عارفوها لفقرها كاعراضهم عن مبتلي بجذامِ
فمدَّتْ يديها للسؤال برغمها كما مدَّ جانٍ عنقهُ لحسامِ
تطوّفُ غرثى بالبيوتِ لعلها يجودُ عليها محسنٌ بطعامِ
وكم ليلةٍ باتتْ وقد غلبَ الاسى عليها فلم تهنأْ بطيب منامِ
يزيدُ سكونُ الليلِ حزنًا فؤادها لما حولها من وحشةٍ وظلامِ
وما زال ذاك البؤس يطوي شبابها وينقلها من صحةٍ لسقامِ
الى ان تولَّاها المخاضُ بطفلةٍ بدايتها موصولةٌ بختامِ
فضت أُمها وقت الولادة ما دَرَتْ ببنت حباها النحسُ أمْ بغلامِ
رمتها الى الدنيا تعاني شقاءها وليس لها من ناصرٍ ومحامِ
ومن عاشَ منكودًا مدى العمر عيشهُ فما يتهنَّا مرة بجمامِ

***

توهم قومٌ ابصروا البنت انها الى قبرها منقادةٌ بزمامِ
كذاك حياةُ الطفلِ لولا عنايةٌ قضى قبلَ يؤتَى حبوةٍ وفطامِ
ولكنها لاقتْ كريمًا محببًا فعاشتْ لديهِ في اعزّ مقامِ
كريمٌ تبنَّاها فكان لها أبًا وكان لها في الناسِ خير امامِ
فشبَّتْ على مهد الدلالِ ولم تُعَبْ ولا عيرتها الحاسداتُ بذامِ
ولما مضت عشرون عامًا تسربلتْ من الحسن والاحسانِ ثوبَ تمامِ
فكانت تفيض السحر في قلب من ترى فتملأهُ من صبوةٍ وغرامِ
نفورٌ نفارَ الظبي من ظلّ ريبةٍ ومن وَحي الخاطرِ وهمسِ كلامِ
وما ذاكَ عن كبرٍ ولكن لعلها بمن حولها من حسَّدٍ ولئامِ
وخيرُ حجابٍ للمليحةِ نُبلها وان لم يحجَّبْ وجهها بلثامِ

***

ترامى الى الشبانِ في الحي صيتها وللحسنِ صيتٌ طائرٌ مترامِ

فاقبلت الخطّابُ منهم وبعضهم يزاحمُ فيها البعض ايَّ زحامِ
وفيهم ابوها عادَ من بعد غربةٍ ادرَّتْ لهُ مالاً كصوبِ غمامِ
ويجهل كلّ الجهل أنّ لهُ ابنةً يهيم بها الخطّابُ كلَّ هيامِ
وقد بلغ الضعفين من عمر بنتهِ ولكن لهُ قلبٌ كقلبِ غلامِ
فلما رآها عاد من غير علةٍ طريحَ سقام او جريحَ سهامِ
فما نبذوهُ حينما جاء خاطباً ولم يسمعوا فيهِ أقلَّ ملامِ
وللمال عند الاكثرين كرامةٌ وفضلٌ بخطّابِ الاوانسِ سامِ
وما هي الاّ حفلة عقدوا بها زواجهما ثم انقضت بسلامِ
فكان زواجاً في الكتاب محرَّماً وعند عبادِ النارِ غيرَ حرامِ

***

تمازجت الروحانِ كلَّ تمازجٍ كما التزمَ الجسمانِ كلَّ لزامِ
فأذكرها ذاك الهناء شقاءها ولليتمِ جرحٌ في الحشاشةِ دامِ
فسالت مآقيها بدمعٍ كلؤلوءٍ تحدَّر من سلكٍ بغيرِ نظامِ
فقال لها لا تكتمي الامر واكتمي مسيلَ دموعٍ في الخدودِ سجامِ
فقصّتْ عليهِ كيف عاشت يتيمةً على فضلِ قومٍ صالحينَ كرامِ
وكيف أصيبتْ أمها حين وضعها بموت كما شاء الشقاء زؤامِ
فلما انتهت مما روَتْ ظلَّ صامتاً لفرطِ جواهُ ملجماً بلجامِ
تحدَّق في ماضيهِ تحديق نادمٍ فأقشعَ عن عينيهِ شبهُ غمامِ
رأى انهُ جهلاً تزوَّج بنتهُ كرامٍ رمى أحشاءهُ بسهامِ
فباء بيأسٍ يذهلُ المرءَ بعضهُ ويصرعهُ سكراً بغيرِ مدامِ
فأملى عليهِ ذلك اليأس أسطراً بدمعٍ أسىً مكتوبةً وضرامِ
يقول لها فيها مقالة والدٍ يحنُّ حنين الزوج دون ملامِ
وهبتكِ مالي وهوَ ابقى لديكِ من حياتي التي لم ارجها لدوامِ
أقيمي بلا زوج غداً او تزوّجي بذاك وهذا تحفظين ذمامي
ولا تسألي عما لقيتُ فانني لقيتُ "حمامي قبل يوم حمامي"

القاهرة نقولا رزق الله

القويّ يأكل الضعيف

او الحق للقوة

اظهر ما في هذا الكون من الآيات بين الاحياء آية سُطِّرت في اديم الارض ورحاب الفضاء — وهي ان القويّ يأكل الضعيف . وعلى هذه الآية بنى علماء البيولوجيا والطبيعة اقوالهم وشروحهم في تفسير قواعد الحياة ومنها اشتقوا قولهم "الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح" اي ان القويّ يبيد الضعيف ويرث الارض بعدهُ إما بالاعتداء عليهِ مباشرة كما تفعل الضواري من الحيوان وكما كان الانسان يفعل في عهد همجيتهِ وإما بالاعتداء عليهِ بواسطة وتلك الواسطة هي الطبيعة بما فيها من حرّ وبرد وجوع وعري ومرض . فان هذه العوامل كلها تساعد القوي على الضعيف او تقرض الضعيف من امام القوي فالصحيح والغني اصلح للبقاء وابعد عن الفناء من السقيم والفقير . وغالى اهل السياسة في هذا المذهب قولاً لما رأوا شدة تمكنهِ بين الامم فعلاً وانهُ هو المبدأ السائد للناس في معاملاتهم بعضهم لبعض فوضعوا قاعدتهم المشهورة وهي " الحق للقوة "

وتاريخ الانسان من بدء ظهورهِ على هذه الارض الى عهدنا الحاضر شاهد على ان هذا المبدأ لم يتغير بتغير احوال الناس في معايشهم وارتقائهم من حال البداوة والهمجية الى حال الحضارة والمدنية . فقد كانت طوائف البشر فيما مضى كطوائف الحيوان في كل زمان ومكان — يبتلع القوي الضعيف ويهضم حقوقهُ . ولم يكن لها دأب سوى شن الغارات بعضها على بعض لجرّ مغنم او اخذ ثار وما اشبه . وهذا ما لا يزال يجري الى الآن ولكن على شكل آخر وفي زي آخر اي ان الدولة الفلانية تغتصب وتسمي اغتصابها استرداد حق مفقود وتعتدي وتسمي اعتداءها دفع اهانة او تعويض شرف او اتقاء شر . وقاعدة " الحق للقوة " من موضوعات القرن التاسع عشر قرن العلم والنور والعمران . وليست هذه باول مرة ظهرت الذئاب فيها بجلود الحملان

واذا كان الانسان طماعاً سلاباً نهاباً لاخيهِ فلهُ اسوة بسائر الحيوان ولا لوم عليهِ في ذلك ما دامت الاثرة سنة طبيعية عامة وانما يلام لان لهُ ميزة على سائر الحيوان بشيءٍ هو النفس او الروح او العقل مهما شئت سمهِ وحقنا ان نقول

لولا العقولُ لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرف من الإنسانِ

والحيوان يعتدي بعضهُ على بعض ويفترس بعضهُ بعضاً بطرق شتى واساليب مختلفة . فمن

السمك نوع يسمى الرامي تشبيهاً لهُ برامي السهم عن القوس او البصّاق وانما سمي كذلك لانهُ اذا رأى حشرة على نبتة نبتت قرب الشاطئ دنا منها الى اقرب ما يمكنهُ ثم ملأ فاهُ ماء وقذف بهِ على الحشرة فتسقط في الماء فيلتهمها . وهو يصيب غرضهُ وقلَّما يخطئهُ ويكثر وجودهُ في انهار جزائر الهند الشرقية واهل جاوى وما جاورها يصيدونهُ من الانهار ويحفظونهُ في بركهم للعب والتسلية وذلك انهم يلتقطون لهُ الذباب ويدنونهُ منهُ فيقذف عليهِ الماء من فيهِ حتى يقع في البركة فيلتقمهُ

ومن الحيوان ما يصطاد فريستهُ بكمونهِ لها حيث يَرى ولا يُرى لعلمهِ بالسليقة ان منها ما هو شديد الحذر والتوقي على نفسهِ كالتمساح فانهُ يتربص لفريستهِ في الماء او بين الاعشاب اياماً لا يبدي حراكاً كأنهُ ميت حتى تمرَّ من امامهِ فينقضُّ عليها كالبرق الخاطف . ومن الافاعي نوع يتعلق بالاشجار من ذنبهِ متدلياً ويبقى كذلك لا يتحرك حتى يعسر التمييز بينهُ وبين الغصون الَّتي حولهُ . فاذا مرَّت فريستهُ تحت الشجرة التي بنفسهِ عليها . وهكذا يفعل بعض انواع العلق في حراج افريقية فانهُ يعلق بغصون الاشجار حتى اذا مرَّ انسان او دابة تحتهُ سقط عليهما ليمتص دمهما

ومنها النسر ملك الكواسر . وصف بعضهم صيد بعض انواعهِ لفريستهِ نثرًا بمثل ما وصف المتنبي الاسد ملك الوحوش شعرًا من قصيدتهِ في بدر بن عمار فقال : يحلق ملك الكواسر في الجوّ ثم ينقض فجأَةً على شجرة بجانب نهر يرصد فريستهُ منها بعين تقدح شررًا وتتبين الاشباح بجلاء ولو كانت على حدود الافق واذن تكاد تسمع دبيب النمل في قراهُ . وتراهُ آونة بعد اخرى ينظر الى اسفل خشية ان لا يطرق مسمعهُ وئيد الظبية وخشفها . وتجثم انثاهُ على شجرة في الضفة المقابلة وتصيح فيهِ حيناً بعد حين كأَنها توصيهِ بالصبر وتحثهُ على السهر فينشر جناحيهِ ثم يطويهما وينحني الى الامام ويردُّ عليها بصراخ كأَنهُ قهقهة الضاحك او عربدة الشارب الثمل ويعود فيستوي في مجثمهِ كالملك على عرشهِ . فتمرُّ من تحتهِ اسراب البط تباعاً مراعاً ترد الماء فلا يرمقها بنظرة كبرًا وترفعاً

وفيما هو على تلك الحال يطرق اذنهُ واذن انثاهُ صوت اوزة عن بعد فتصيح الانثى صيحة شديدة وتأْخذهُ هزة فينتفض كأَن قد بللهُ القطر ويتحفز للانقضاض على فريستهِ حتى اذا مرَّت امامهُ جمع نفسهُ في زورهِ وانبعث من مكمنهِ انبعاث السهم عن قوسهِ او الشهاب الثاقب من فلكهِ وهو يصعق صعقات قوية تصيب اذن الاوزة فتقع عليها وقع الصاعقة وتحاول الفرار منهُ ولكن اين المفرُّ وسلطان الطير هو الطالب . فتحاول إلقاء نفسها في الماء

فيمنعها من ذلك بان ينازلها من اسفل فيضطرها الى البقاء طائرة حتى تقع غنيمة بين براثنهِ

ومن السمك نوع يصيد فرائسهُ بالحيلة فان لهُ شبه عرف معلقاً بانفهِ فيدفن نفسهُ في الوحل ويبقي العرف فوق الماء فاذا رأت صغار السمك العرف اجتمعت حولهُ ظنًّا ان هناك غنيمة باردة فيفتح فاهُ بغتة فتنحدر الى جوفهِ وهو لم يحرّك لصيدها ساكناً

ومن الحشرات ما يحفر في الارض حفرة مستديرة جوانبها من التراب والرمل الناعم فاذا مرّت حشرة اخرى بها هوت الى اسفل فاصطيدت

والعناكب تقتنص صيدها بشباك تحوكها فمنها ما يقف لفريستهِ بالمرصاد وسط شبكتهِ ومنها ما يختبئ قرب الشبكة في ثقب من الحائط فاذا وقعت الفريسة في الشبكة المنصوبة جعلت العنكبوتة تغزل الخيوط وتلفها حولها لتمنعها من الهرب . ومن هذه العناكب عنكبوتة في مدغسكر حيّرت علماء الحيوان مدة طويلة فان في وسط الشبكة التي تحوكها خيطاً غليظاً لم يهتدوا الى فائدتهِ مع طول المراقبة ولم يروها تستخدمهُ لغرض من الاغراض . والغريب انهُ اذا أُزيل اسرعت فغزلت خيطاً آخر غيرهُ . واتفق انهُ بينما كان احد العلماء يراقب عنكبوتة من هذه العناكب رأى جندباً كبيراً قد وثب الى وسط الشبكة وما كاد يفعل حتى وثبت العنكبوتة خلفهُ باسرع من لمح البصر وشدّت وثاقهُ بالخيط الكبير لان الخيوط الصغيرة لا تكفي لذلك

ومن الحيوانات حيوان يسمّى آكل النمل وطريقة صيدهِ لها هي انهُ يبسط لسانهُ الطويل على الارض وكل نملة تمرُّ عليهِ تلصق بهِ لوجود مادة لزجة عليهِ فاذا اجتمع منها لقمة سائغة ازدردها هنيئاً مريئاً . وكثيراً ما يغرز لسانهُ في قرية للنمل ثم يخرجهُ منها محملاً صيداً

ومن الحيوانات ما يصطاد جماعات كالكلاب البرية والذئاب والثعالب . روى بعضهم ان الكلاب البرية تجري خلف فريستها وهي تسابق الرياح وتستحثُّ بعضها بعضاً بالنباح حتى تخور قوة الفريسة رعباً وتعباً . واذا طاردت حيواناً لم ينقذهُ منها سرعة جريهِ ولا خفة حركتهِ ولا قوة عضلهِ ولا شدة بطشهِ . فالغزال والنمر والدب والاسد عندها شرعٌ . تتبع الفهد الهندي عن كثب وتهجم عليهِ فيثخن فيها جرحاً وقتلاً فلا يثنيها ذلك عنهُ بل لا تزال بهِ حتى تنال مأْربها منهُ

ومثل الكلاب البرية الذئاب فان شراستها مشهورة ولاسيما اذا دهمها الجوع . ففي الحرب تسير في اثر الجيوش فتستفرد المتخلفين من الجنود وتلتهم القتلى . او تهاجم المسافرين زرافات او تجتمع زوجين زوجين وتأْخذ صيدها بالحيلة . فاذا عثر الزوجان منها بقطيع من الماشية

حسبا للكلب الذي يحرس القطيع كلٌّ حساب عملاً منهما بشدة سهرهِ وقوة دفاعهِ ودقة شمّهِ فيحاولان خداعهُ بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مسترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويختبئ الآخر منهُ فيهجم الكلب على الذئب الذي يراهُ فيهرب هذا امامهُ والكلب في اثرهِ فيغتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منهُ شاة ويفرُّ الى حيث يقتسمها هو وشريكهُ

ومن الطير ما يعيش على صيد غيرهِ فاذا رأى طائرًا صاد شيئًا جدَّ وراءهُ حتى يدركهُ فيوسعهُ نقرًا بمنقارهِ او يترك صيدهُ فيتلقفهُ اذ ذاك غانمًا ويعود الآخر خاسرًا

وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصول فيهِ الاحياء ويجولون ويتجالدون ويتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الاَّ الجواد ولا يسلم الاَّ البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

المعالجة الحديثة (١)

ما زال الطب يجري مع الايام في مقدمة العلوم حتى وصل الى حالتهِ الحاضرة وقد اصبح مطلب العلماء وملجأ البائسين وهو الآن كما كان قبل سريع السير كثير التقلب بعيد المرمى شريف الغاية يتناول من الحقائق جوهرها ويبني عليهِ اعمالهُ العجيبة فهو صناعة دقيقة لا يمكن النجاح فيها الاَّ بعد عناء طويل ودرس كثير وعمل دائم وحسبنا شاهدًا على ما تقدم بذل العلماء نفوسهم في خدمتهِ. ومعلوم ان الطب في استخدامهِ الطبيعة لشفاء المرضى لا يستخدم بعض انواع المواد فقط بل كل ما يصل اليهِ فهو يستخلص الدواء اللازم من المعدن والنبات والحيوان والمصل والحرارة والنور والكهربائية واشعة رنتجن واشعة فنسن واشعة الراديوم وهلمَّ جرًّا الى ما لا نهاية لهُ. على انني لضيق المقام سأحصر بحثي في ثلاثة انواع من طرق المعالجة: وهي اولاً المعالجة بالمصل. وثانيًا المعالجة ببعض اعضاء الحيوان وثالثًا المعالجة بالاشعة المختلفة

اما المعالجة بالمصل فقد مهد لها السبيل الدكتور كوخ باكتشافهِ مكروب السل ففتح بابًا جديدًا للبحث اتجهت اليهِ الابصار ودخلهُ كثيرٌ من العلماء بالآلات المكبرة ليروا ما خفي عليهم منذ اجيال عديدة وهو ذلك المكروب الصغير الذي كان ولم يزل سبب اكثر الامراض فدرسوا عنهُ ما استطاعوا وعرفوا شيئًا مهمًّا عن ماهيتهِ وانواعهِ وكيفية نشوئهِ وتوليدهِ. واتضح لهم انهُ كلما دخل جسماً أوجد فيهِ سمًّا قتالاً واضطر الجسم ان يفرز من المواد اللازمة ما يضاد

(١) خطبة للدكتور توفيق بشارة كنعان احد المنتهين من القسم الطبي خطبها في احتفال كلية بيروت

ذلك السم وان افرز ما يكفي لمقاومتهِ أُمِن شرهُ والاَّ اهلكهُ [١] ولما تحققوا ذلك جعلوا يحقنون بعض الحيوانات كالخيل بكمية صغيرة من سموم احد المكروبات بحيث لا تضر بها لكي يتولد في الدم مادة تضادها ثم زادوا تلك السموم فازدادت المواد المضادة لها ولم ينفكوا يفعلون ذلك حتى وصل الى الدم من المواد المضادة ما جعل تلك الحيوانات غير قابلة السمّ مهما كانت قوة سمّ المكروب ثم اخذوا ذلك الدم المحتوي على هذه المواد وهو ما ندعوهُ الآن مصلاً وحقنوا بهِ من اصيب بمرض سببهُ نفس المكروب الذي استخدم سمّهُ لاستخراج المصل فخفَّت وطأة المرض وكثيرًا ما توقف سيرهُ بالكلية · واعظم شاهدٍ على ذلك مصل الدفثيريا اكتشفهُ بارنك وكيتساتو ووجد اورنسن طريقة لتطهيرهِ [٢] فقد قلل عدد الوفيات من ٦٠ الى ٢٦ في المئة [٣] ثم ان من الامراض ما استخرج مصلهُ ولكن لم يعم استعمالهُ لعدم تاكد فعلهِ كداء الجمرة (ومكتشف مصلهِ الدكتور إيڤو بندي [٤]) والطاعون (اكتشفهُ يرسن وهفكن [٢]) وداء الكلب (باستور) والحمى الصديدية [٢] والحمى العفنة [٢] والتتنوس (كتأني وتبزوني) [٢] والتيفوئيد (ڤيدال وكرينبوم وشانتمس [٢]) ولدغ الافاعي (كلمت) [٢] والسراجة (بوشكه وبونوم) [٢] والبرص (كرسكوبلاً) [٢] والزهري (پوكسن وريسُّو وسيپولينا) [٥] وهلمَّ جرًّا · وقد نجح بومكرتن وهيكلر في حقن العجول بمصل السل وجعلها غير قابلة الاصابة بهِ [٦]

اما المعالجة ببعض اعضاء الحيوان فقديمة العهد الاَّ انهُ لم يحفل بها حتى نشر برون سيكار نتيجة بحثهِ وبرهن للعالم ان اغلب الاعضاء ولاسيما الغدد تفرز الى الدم بواسطة الجهاز الليمفاوي مادة لا يستغني الجسم عنها وان فقدها تألم جدًّا وظهرت عليهِ اعراض مختلفة وقد يموت من جراء ذلك [٧] وكفى بذلك برهانًا على ان الحيوان اذا فقد الغدة الدرقية هَزُلَ وتوقف نموهُ واصابهُ بلهٌ وتغير تركيب اعضائهِ المختلفة وقد ظهرت كل هذه الاعراض على من لم يكن لهُ غدة درقية او من استؤصلت منهُ بعملية جراحية · وكثير من الامراض والبله وسوء تركيب الاعضاء ناتجةٌ عن نقص في وظائف الغدة الدرقية او عن عدم وجودها · وقد قال الدكتور اوسلر [٨] لم تشاهد صناعة الطب تقدمًا مثل تقدمها في شفاء الامراض الناشئة عن اضطراب في وظائف الغدة الدرقية واننا نخلّص اولادًا قضي عليهم بالبله والموت ونرد

(١) راجع كتاب Hare's "Pract. Therapeut" وجه ٤١٢ (٢) راجع Martindale's & Westcott's Extra "Pharmacop." وجه ٤٦٩ – ٤٩٠ (٣) "Hare's Pract. Therap." صفحة ٥٤١ (٤) راجع Lancet, Aug. 6, 1904 (٥) Lancet, Nov. 26, 1904. (٦) "Berlin. Klinische Wochenschrift" No. 3, 1905. (٧) "B. & W. Laborat. Researches" (٨) Osler's "Pract. of Medicine" p. 843

الى الحياة الذين كانوا فريسة هذا الداء . وذكر انهُ عالج ولدًا مصابًا بهذا الداء وابقاهُ تحت عنايتهِ مدة ١٨ اسبوعًا وفي نهايتها وجد خريضهُ قد نما ٢٠ سنتيمترًا وقوي جسمهُ وتقدمت قواهُ العقلية تقدمًا غريبًا [١] وقد ظهر حديثًا ان خلاصة الغدة الدرقية تنفع امراضًا كثيرة كداء قشر السمك والصدفة والسرطان وغيرها [٢] . قال احد الاطباء متهكمًا وقد ساءتهُ مبالغة البعض في مزية الغدة الدرقية : " لا يبعد بعد قليل ان نرى الجراحين يقطعون ارجل الناس واياديهم ثم يعطونهم خلاصة الغدة الدرقية فتنمو ثانيةً "

اما المعالجة بالاشعة فقديمة جدًّا لان اشعة الشمس رافقت الانسان منذ نشوئهِ واستخدمها لشفاء امراض كثيرة . وحديثًا ظهرت اشعة رنتجن فحارت فيها العقول وصوّبت نحوها الآمال لما امتازت بهِ من خرق الاجسام التي لم تقوَ اشعة الشمس على خرقها فاستطاع الجراح ان يرى في الجسد الاجسام الغريبة التي دخلت اليهِ ويزيلها من اماكنها بكل سهولة . وما عدا ذلك فلهذه الاشعة قوة غريبة في توقيف كثيرٍ من الامراض كالسرطان والدمامل وغيرها . ثم توصل فنسن الى اكتشاف اشعتهِ وهي عبارة عن تحليل اشعة الشمس الى عناصرها المختلفة بحيث يمكن الطبيب بواسطة آلة خصوصية ان يستعمل بعض العناصر فقط في معالجة بعض الامراض الجلدية . ومنذ عام اكتشفت اشعة الراديوم فرحب بها الانسان وجعلها منتهى امالهِ لما بان فيها من الصفات الغريبة . وقد امتحنت منفعة الراديوم باستعمال مادتهِ واشعتهِ ومحاولهِ (اول من استعمل الراديوم الدكتور ليبر في نيويورك) في امراض الجلد والدمامل والسرطان والورم الحمي والذئب والخراجات وامتحنت في خرق الاجسام فوفت بالمرام الّا انها لا تفضل على اشعة رنتجن في ذلك وكثيرون من العلماء يعتقدون بمنفعتهِ الخصوصية في بعض الاحوال كالدكتور ميرون متسنبوم والدكتور پيغارو والدكتور ليبر والدكتور ابولنت والدكتور اكسفر ولكن بعضهم يشكون في منفعتهِ او ينكرونها بالكلية كالدكتور ترنر والدكتور هرشل والدكتور مكس اينهورن والدكتور بليو

على ان اغلب العلماء يذهبون الى ان فائدتهُ ستكون محدودة جدًّا لعدم وجود غير غرام او غرامين منهُ (الدكتور هوفمن — ميونخ)

---

(١) "B. & W. Lab. Reports." (٢) ومرض كريفس (Grave's or Parry's Disease) حاصل عن تضخم في الغدة الدرقية بحيث انها تفرز كمية كبيرة جدًّا تسم الجسم وتسبب العوارض المشهورة في هذا المرض . وقد عالج حديثًا بارلت وانريل وبوركهرت وبلومنتال ولنس ومدسون هذا الداء بحليب ودم بعض حيوانات استوصلت منها الغدة الدرقية ونجحوا . فان هذا الحليب والدم يحتويان على مادة تعرف باسم رودجان (Rodagen) وهذه تضاد فاعلية السمّ الزائد من افراز الغدة الدرقية

تاريخ محمد علي باشا

الحملة على بلاد الشام

كانت بلاد الشام على ما وصفناها بهِ في العام الماضي في تاريخ الامير بشير الشهابي داراً للفتن ومغنماً لكل أفّاق يلتزمها الولاة ويأتونها اجوع من ذئاب فيبتزون اموالها ويرهقون سكانها

الارض طيبة والفلاح مجتهد يعمل في حقلهِ نهاراً وليلاً يغرس توتهُ ويربي دودهُ ويحل حريرهُ ويبيعهُ من التجار فيسلب عامل الناحية ثمنهُ منهُ ضرائب ومغارم ويؤديهِ الى الوالي ثمناً لمنصبهِ او ايفاء لما فرضهُ عليهِ والوالي يجمع الاموال ويبعث بها الى دار السلطنة تباعاً والاَّ عزل من منصبهِ

وبلاد الشام متوسطة بين اسيا واوربا تمرُّ فيها تجارة الهند وفارس وبلاد العرب ذاهبة الى الغرب وتجارة البلاد الاوربية ذاهبة الى الشرق . موارد الكسب فيها كثيرة ولكن لا يبقى منهُ شيءٌ لاهاليها . وحبل التجارة بين مصر والشام متصل ولكن مواردها تصبُّ في هوتين وتنفق على تعبئة الجيوش وترفيه العظماء

ظفرنا بالامس بكتاب فيهِ ترجمة الذائع الصيت الدكتور ميخائيل مشاقه نزيل دمشق كتبهُ بيدهِ ووصف فيهِ ما رآهُ في زمانهِ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فرأينا بين فصولهِ دلائل كثيرة على احوال البلاد المالية والاجتماعية من ذلك ان خالهُ الخواجه بطرس عنحوري نزيل مصر مضى الى جبل لبنان سنة ١٢٣٧ هـ ليطبب ابنتهُ من مرض اصاب عينيها واشترى موسم الحرير من الشيخ بشير جنبلاط وكان ينيف على الف واربعماية اقة (ولعلها كانت تساوي حينئذٍ عشرة الآف جنيه او حواليها) وكتب لهُ صكاً بالثمن كفلهُ فيهِ بيت مشاقه ثم اراد صاحب الترجمة ان يهاجر هو وذووهُ الى القطر المصري مع الامير بشير الشهابي فمضى الى الشيخ بشير ليقدّم لهُ رهناً بدل الكفالة فقال لهُ الشيخ بشير خذ الرهن فاني اعرف ما انتم عليهِ وانا لم اطلب من خالكم كفالةً بل انتم كفلتموهُ من تلقاء انفسكم ثم لماذا انتم عازمون على السفر . فاجابهُ اننا نخشى من اعداء الامير بشير ان يسعوا في ضررنا . فقال الشيخ بشير ان الامير وان غاب عنا شخصهُ فنحن دائماً تحت امرهِ ولا ينالكم مكروهٌ الاَّ ما يفوتني علمهُ فخذ الرهن وابقوا في بيوتكم واعمالكم وعسى الله ان يسهل طريق الامير ويردهُ الينا في اقرب وقت

قال صاحب الترجمة فرجعت واخبرت الامير فقال ابقَ اذًا مع اخوتك كما قال لك الشيخ بشير ثم اقلع من معلقة الدامور قاصدًا القطر المصري ولم يأخذ معهُ سوى مئة من اتباعهِ

وفي هذا الخبر البسيط دليل على وفرة الثروة في بلاد الشام وصدق المعاملة وائتمان الناس بعضهم بعضاً حتى في عصر القلاقل والفتن

وحدث قبل ذلك ان الامير بشيرًا لجأ الى حوران من وجه والي صيداء قام اليها فجأة ولم يكن في خزينتهِ من النقود سوى ٢٨٠٠٠ غرش وبعث الى الخواجه جرجس مشاقه ابي صاحب الترجمة ليستدين لهُ مئة الف غرش (تساوي اربعة آلاف جنيه بمعاملة هذه الايام) من تاجر من تجار دمشق وكتب لهُ سندًا بالمبلغ وارسل معهُ من شيلان الكشمير والفراء ما ثمنهُ ثمانية آلاف جنيه او اكثر ليضعها رهناً عند صاحب الدين. فذهب واخبر رجلاً من تجار الحرير في دير القمر اسمهُ بطرس الجاويش وكان في دمشق ليبحث لهُ عن صرَّاف يدينهُ هذا المبلغ . وفي صباح اليوم التالي جاء بطرس الجاويش ومعهُ رجل مهيب المنظر اسمهُ السيد محمد الجوخي ويتبعهما زنجي حامل كيساً ثقيلاً ولما جلس قال ان الخواجه بطرس اخبرني عن المبلغ اللازم لسعادة الامير فاحضرتهُ في هذا الكيس . قال صاحب الترجمة فعددناهُ فاذا فيهِ ما يساوي مئة الف غرش (٤٠٠٠ جنيه) وكلها من ارباع الذهب الفندقلي ذي الزنجير وكانت تلك النقود نادرة حينئذٍ . وقال السيد محمد اني اخترت هذا الصنف من النقود لان الامير في غربة وسائر اصناف الذهب تحتاج الى الوزن لانهُ يكثر النقص فيها ثم ان التعامل بالارباع اسهل من التعامل بغيرها. فكتبنا اسمهُ في السند وقدمناهُ اليهِ وسألناهُ الى اين يريد ان نرسل لهُ الرهن فضحك وقال ان الامر كتب سندًا وارسل رهناً لانهُ كان يظن انكم قد تأخذون المال من رجل لا يعرفهُ اما انا فو إن كنتُ لم اتشرف بمعرفتهِ قبلاً الاَّ انني سمعت عنهُ واشكر معروفكم لانكم كنتم الواسطة لاتصالي بهِ وها انا مستعد ان اقدم لسعادتهِ كل ما املكهُ . ثم شقَّ السند وارجعهُ الينا ولم يقبل استلام الرهن . وارسلنا النقود الى الامير مع السند المشقوق واخبرناهُ بما توقَّع وان الرهن باقٍ تحت امرهِ فجاء الجواب منهُ وعن طيهِ تحرير الى السيد محمد الجوخي يشكرهُ فيهِ على معروفهِ ويخبرهُ ان النقود البالغة مئة الف غرش (اي اربعة آلاف جنيه) وصلت مع السند الذي شقهُ ولكنهُ يؤمل منهُ قبول الامتعة المرسلة واذا ابت عليهِ شهامتهُ ان يقبلها رهناً فليقبلها وديعةً للاحتفاظ بها من التلف بالاسفار

فرضي السيد محمد بذلك واستلم الامتعة كوديعة للمحافظة عليها . ثم لما عاد الاميرُ الى لبنان بعث يدعوهُ اليهِ وانزلهُ في افخر مكان من سراي بيت الدين واحتفل بهِ احتفالاً عظيماً

ولما اراد الرجوع الى دمشق بعد عشرة ايام البسهُ فروًا فاخرًا وقدَّم لهُ فرساً من جياد الخيل وامر ان يُدفع اليهِ مبلغ الدين مضاعفاً وارسل معهُ كتيبة من الفرسان توصلهُ الى دمشق

وهذه القصة من اقوى الادلة على توفر الثروة في البلاد وحسن المعاملة فيها وعلى انهُ لو خلت البلاد من عوامل التخريب والتدمير ولو عرف ولاة امرها كيف يقون لها موارد الثروة ويدرأُون عنها اسباب الضعف والفاقة لما كنَّا نحسد الآن مملكة من الممالك الاوربية

هذا ولنعد الى حديث الامير بشير وحملة ابرهيم باشا على بلاد الشام فنقول

ان الامير بشيرًا لجأَ الى القطر المصري لكي يستعين بمحمد علي باشا على استرضاء الدولة عن عبد الله باشا والي صيداء. فان عبد الله باشا هذا كان صنيعة الامير بشير فلما تقلد الولاية ذكر الجميل واقرَّ الامير على ولاية الجبل ولم يصغِ الى قول الوشاة وكان تدبير امورهِ في يد رجل يهودي اسمهُ حاييم فارحي وهو سبب توليتهِ على ولاية صيداء فانهُ استعان بالمعلم حزقيال الاسرائيلي الذي كان صرَّاف الباب العالي وارضي الدولة فولتهُ على صيداء واعطتهُ رتبة الوزارة فجعل مدينة عكاء الحصينة مقر ولايتهِ كغيرهِ من الولاة السابقين

قال الدكتور مشاقه في سيرة حياتهِ "ان عبد الله باشا لم يتصرف بالرزانة المطلوبة منهُ بل صار يخالط الاوباش ويعاشرهم ويعقد حلقة الذكر منهم وكان المعلم حاييم مملوءًا حكمة وتهذيبًا فساءهُ هذا التصرف وقدم لهُ النصيحة الواجبة لانهُ كان صادق الخدمة وهو يظن ان عبد الله باشا ينتصح بنصحهِ ويراعي حقوق صداقتهِ لكنهُ لم ينتصح بل اخبر خلاَّنهُ بما قالهُ لهُ المعلم حاييم فقالوا ان هذا اليهودي قد عتا وتكبر على اهل الاسلام حتى ان البعض صاروا يقبلون يدهُ وقد قال القرآن العظيم ان اليهود اشد عداوة للذين آمنوا فكيف يليق بمسلم مثلك ان يأْتمنهم ويعاملهم وان عمك المرحوم سليمان باشا كان رجلاً سادجاً فكان يمسك قرون البقرة واليهود يحلبونها ويشربون لبنها وقد صارت الخزينة كلها في بيت هذا الرجل ولا احد يعرف ما دخلها وماخرج منها والخزينة بيت مال المسلمين فهل يجوز وضعها في بيت يهودي وائتمانهُ عليها . وبمثل هذا الكلام احتالوا على هلاك المعلم حاييم فاولاً طلب منهُ عبد الله باشا ان يحضر مال الخزينة من بيتهِ ويضعهُ في سراي الحكومة وثانيًا امرهُ ان يلازم بيتهُ وسلم الخزينة الى المعلم يوسف قرداحي من موارنة صيدا بعد ان عرضها على المعلم جرجس مسديه فرفضها وهو من كتَّاب الخزينة. واجتمع الشيخ مسعود الماضي وعمر افندي البغدادي عند عبد الله باشا وقالا لهُ ان جميع المسلمين فرحوا برفعك نير هذا اليهودي عن اعناقهم وبمقدار فرحهم يخافون من مكرهِ وسحرهِ لانهُ ساحر ماهر وزد على ذلك ان لهُ كلمة مسموعة في الباب العالي

بواسطة المعلم حزقيال الذي سعى في توجيه الولاية اليك رعاية لخاطر حاييم فلا بدَّ من ان حاييم يكتب اليهِ الآن بما حدث والذي يقدر على التولية يقدر على العزل لا سيما واليهود اغنياء والدولة تفتش عن المال لا عن الرجال فما دام حاييم في قيد الحياة فلا يستريح البال من تدبيره

فصمَّم عبدالله باشا على قتلهِ غير مقدِّر العواقب وارسل تلك الليلة ابرهيم بك الجركسي زوج اختهِ وامرهُ بقتلهِ فناداهُ الى خارج منزلهِ وخنقهُ وطرحهُ في البحر

قال الدكتور مشاقه وقد اسف العقلاء كلهم على فقد هذا المدبّر الحكيم ولا سيما الامير بشير الشهابي وصار يترقب وقوع الخلاف بينهُ وبين عبدالله باشا حاسباً انهُ لا بدَّ وان يصير يصغي الى اهل الدسائس والفتن . ونزح كبار التجار من عكاء الى بيروت ولبنان حذرًا من تقلب عبدالله باشا بعد ان رأوا ما فعل بمدبر اموره وسبب نعمتهِ وشرع عبدالله باشا يصادر الامير بشيرًا من ذلك الحين والامير يستعطفهُ بواسطة المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور لانهُ كان لعبد الله باشا المام بالادب فاذا حضر المعلم بطرس في مجلسهِ سحرهُ بظرفهِ وادبهِ وجعلهُ يرضى عن الامير واذا خرج من عندهِ غيَّرهُ المفسدون عليهِ زاعمين ان الامير مسيحي كافر لا تجوز موالاتهُ وان بطرس كرامه ساحر يأتي ويسحرهُ ويغير افكارهُ . ودام الحال على هذا المنوال الى ان تمكن اقارب المعلم فارحي من اسخاط الدولة على عبدالله باشا فعزلتهُ واضافت ولاية صيدا الى درويش باشا والي الشام . وبلغ عبدالله باشا ذلك فارسل الى الامير بشير يطلب منهُ ان يرسل اليهِ جدعون الباحوط وهو من اهالي ساحل بيروت وكان رجلاً وجيهاً مستقيم السيرة حسن السريرة وكان الامير يرسلهُ في مهامهِ الى عبدالله باشا قبلما استخدم المعلم بطرس كرامه فارسلهُ اليهِ فاخبرهُ عبدالله باشا ان اليهود سعوا فيهِ عند الدولة فعزلتهُ وولت درويش باشا وابقت ذلك مكتوماً حتى يذهب درويش باشا الى الحج ويرجع وقد عينت لمساعدتهِ مصطفى باشا والي حلب وبرهام باشا والي ادنه وقال لهُ قل للامير ان كنت تثبت معي فانا اقدر على مقاومتهم فكان جواب الامير انهُ عبد طائع لهُ يسفك دمهُ في خدمتهِ . وتمَّ الاتفاق بين عبد الله باشا والامير بشير على ضرب درويش باشا قبل وصول والي حلب ووالي ادنه فضرباهُ وجاهر عبدالله باشا بالعصيان وامتنع في عكاء وحصرتها جنود الدولة فعزم الامير بشير على المجيء الى القطر المصري والالتجاء الى محمد علي باشا ليتوسط لدى الدولة في العفو عن عبدالله باشا وتثبتهِ في ولايتهِ كما تقدم

وفصّل الشيخ طنوس الشدياق صاحب كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان خبر مهاجرة الامير بشير الى مصر فقال انهُ سار مع الامير ولداهُ الامير خليل والامير امين واربعة

وتسعون رجلاً من خدمهِ منهم سبعة من بني الدحداح حتى اذا وصلت السفينة بهم الى العزبة امام دمياط التقاهُ نائب متسلمها بكل احترام وكتب المتسلم الى الاسكندرية يخبر العزيز بحضورهِ فامرهُ العزيز ان يسير الامير الى مصر وكتب الى مدبرهِ فيها ليقدم لهُ ما يلزم من الاكرام والميرة وانزلهُ في قصر من قصورهِ وزارهُ ابرهيم باشا مرارًا وكان يذاكرهُ في امور لبنان . ثم لما عاد العزيز الى مصر من الاسكندرية عاملهُ بمزيد الاكرام . انتهى

وكان محمد علي قد استحضر اناساً من جبل لبنان زرعوا لهُ التوت في القطر المصري وحاولوا تربية دود الحرير فيهِ فلم يفلحوا لان بزر الدود كان يفقس قبل ظهور ورق التوت لشدة الحر ولم يكن يخفى عليهِ مبلغ ثروة سورية من حريرها ومن وقوعها في طريق التجارة بين المشرق والمغرب ولا بدَّ من انهُ كان يودُّ الاستيلاء عليها بعد ما اخمد ثورة الوهابية وتمهدت لهُ السودان وصار عندهُ من الجنود المنظمة اكثر مما عند الدولة العلية لاسيما وان الدولة كانت في ارتباك تام من حيث تنظيم جنودها فلما اتى الامير بشير اليهِ بالغ في اكرامهِ لكي يصطنعهُ ويستعين بهِ عند الحاجة اليهِ واراهُ اولاً مقدار قوتهِ وثروتهِ وحسن تنظيمهِ لبلادهِ ثم اراد ان يعرف مقدار قوة لبنان فسألهُ عما اذا كان يستطيع ان يمدهُ باربعة آلاف مقاتل من رجالهِ الاشداء لحرب اليونان فقال انهُ يستطيع ذلك ويفعلهُ عن طيب نفس ولما عاد الى الجبل كتب اليهِ محمد علي ان يعدَّ لهُ الرجال كما وعد فاجابهُ انهم مستعدون ومنتظرون امرهُ فكتب اليهِ ثانية ان لا داعي لهم

وبسط الامير الى محمد علي رجاءهُ الذي جاء لاجلهِ وهو استعطاف الدولة على عبدالله باشا والي صيداء فكتب محمد علي الى الاستانة وتمكن بما لهُ من المكانة هناك من اصدار امرٍ عالٍ بالعفو عن عبدالله باشا وامرٍ آخر بردهِ الى ولاية صيداء وبرفع الحصار عن عكاء ورجوع الولاة الى اماكنهم

ذكر الكولونل تشرشل في كتابهِ عن لبنان ان محمد علي استدعى الامير الى قصرهِ البديع في شبرا بعد ان ابان لهُ مكانتهُ في الاستانة بالحصول على العفو عن عبدالله باشا والي صيدا وكان جالسًا يحيط بهِ ابناؤُهُ وخواص دولتهِ فلما دخل الامير نهض لهُ واستقبلهُ استقبال النظير للنظير وهش لهُ وبشَّ وعرَّفهُ بالذين حولهُ كأنهُ من اقرانهِ ومشيريهِ لا كأنهُ مهاجر ملتجئٌ اليهِ وامر بنزولهِ عندهُ تلك الليلة وفي اليوم التالي اختلى بهِ وقال لهُ ان بلاد الشام كانت خير بقاع المعمور لما كانت مع الديار المصرية لملك واحد ثم تولاها آل عثمان فاذهبوا بروتها واستنزفوا خيراتها وبلغ من ظلم ولاتها الذين يرسلون لادارة الاحكام فيها ان ارهقوا



محمد علي باشا بالطربوش العسكري



الامير بشير الشهابي بالطربوش العسكري

الرعية وجاروا عليها حتى صارت ارضهم قفرًا بلقعًا وجبل لبنان الذي اذا اسعده ُ الله بوالٍ لا يخشى العزل والارهاق يصير جنة الله في ارضهِ صيروه ُ بفساد سياستهم دارًا للحروب وميدانًا للخصام . ويقال جملة ان بلاد الشام كلها صارت بسوء ادارتها في حالة من الضعف والاضمحلال توجب على كل محب لبلادهِ ان يسعى جهده ُ في تخليصها منها وتجيز لبلاد مجاورة لها مثل بلاد مصر ان تسعى جهدها في انقاذها . ثم جعل يصف حالة القطر المصري بعد ان اصلح زراعتهُ وانشأ المصانع فيهِ ووسع نطاق تجارتهِ وكيف ان ذلك كله ُ وقع موقع الرضا والقبول لدى مولاه ُ السلطان الاعظم كما يظهر من استعانة الدولة بهِ على كبح جماح العصاة في بلاد اليونان وبيَّن له ُ انهُ ينوي ضم بلاد الشام الى بلاد مصر عاجلاً او آجلاً ويعطيهِ ولاية لبنان له ُ ولاولادهِ من بعدهِ . ولما ودعه ُ وعاد الى منزلهِ رأى صرَّة فيها اربعة آلاف جنيه هديَّة منهُ . وبعد ايام ورد الفرمان من الاستانة بالعفو عن عبدالله باشا وبتثبيتهِ في ولاية عكاء وصيداء فثبت للامير ما قالهُ الوزير من ان له ُ في دار السعادة مقامًا رفيعًا وكلمة مسموعة

وعاد الامير الى بلاد الشام وقوبل في عكاء بالترحيب والاكرام واطلقت المدافع لقدومهِ وقرئ فرمان العفو وفرمان التولية فانصرف الوزراء الذين كانوا يحاصرون عكاء واعيد الامير بشير الى ولاية الجبل

وكل ما اصاب اهالي الشام من الظلم والارهاق لم يكن اشدَّ وطأة مما كان يصيب فلاحي مصر في ذلك الحين حتى اضطرَّ كثيرون منهم ان يهجروا بلادهم ويلجأُوا الى بلاد غزة ويافا فكتب محمد علي الى عبدالله باشا يطلب منهُ ارجاعهم الى بلادهم فلم يهتم عبدالله باشا باجابة طلبهِ . وكتب اليهِ الامير بشير ايضًا يحذره ُ سوء العقبى ان لم يجب عزيز مصر الى طلبهِ ويذكره ُ بما لهُ عليهِ من المعروف . وكان عبدالله باشا غرًّا مغرورًا فكتب الى الامير يقول ان الدولة رفعت الحصار عن عكاء لانها عجزت عنها وكيف لا تعجز وقد عجز عنها بونابارته وكانت محصَّنة بسور واحد والآن هي محصَّنة بسورين وانهُ لا يسمح بان يؤخذ بزر دود الحرير من الجبل الى مصر كأنهُ كان يخشى ان يربي الدود في مصر ويكثر فيها الحرير فينقطع طلبهُ من جبل لبنان . وبلغ محمد علي ذلك فاغتاظ من عبد الله باشا واضمرها لهُ وقام ينتهز الفرص الى ان وقع الخلاف في الجبل بين الامير بشير وحزبهِ والشيخ بشير جنبلاط وحزبهِ فارسل يعرض على الامير عشرة آلاف مقاتل فاجابهُ شاكرًا فضله ُ وشاكيًا اليهِ تصرُّف عبدالله باشا في حمايتهِ للشيخ بشير وكان والي دمشق قد قبض على الشيخ بشير وبعض رجالهِ بخديعة وارسلهم الى عبدالله باشا فأمر عبدالله باشا اولاً بحبسهم ثم انعم عليهم وطيَّب قلوبهم فكتب

الامير الى محمد علي يخبره بذلك ويقول له انهُ ما دام الشيخ بشير في قيد الحياة فلا سبيل الى راحة الجبل . فكتب محمد علي الى عبد الله باشا ليقتل الشيخ بشيرًا والشيخ امين العماد فقتلهما خنقًا وبقيت جثتاهما مطروحتين امام باب عكاء ثلاثة ايام كأنهما فرختنان او هرتان وهما من اعظم رجال لبنان واولها من اعاظم رجال المشرق ولكن اذا استفحل الظلم ضاعت الاقدار والنفوس

ثم تجدد الخلاف بين محمد علي وعبد الله باشا بسبب النازحين من القطر المصري وعلم محمد علي ان حكم الجبل قد تمهد للامير بشير وحده ولم يبقَ له منازع فيهِ بعد قتل الشيخ بشير وانخذال حزبهِ فبعث بالجنود المصرية لتدويخ بلاد الشام وكتب الى الامير بشير يخبره بذلك ويدعوه الى نجدة ابنهِ فجمع الامير بشير امراء الجبل ومشايخهُ في بيت الدين وبسط لهم واقعة الحال واستشارهم في الامر ففوضوا الرأي اليهِ لكن الدروز منهم خافوا العاقبة لانهم علموا انهُ ان صارت البلاد لعزيز مصر ضرب عليهم الضرائب الفادحة والمغارم الثقيلة واضطرهم الى الخدمة العسكرية . ولم يجاهروا برأيهم حينئذٍ بل تربصوا الى ان رأوا لهم فرصة للهرب والانضمام الى جنود الدولة ففعلوا . اما الامير بشير فلم يرَ لهُ مندوحة عن نجدة ابرهيم باشا ولعل رجالاً من الفرنسويين رغبوهُ في ذلك واغروهُ بهِ لانهم كانوا يعدونهُ بمجيء السفن الفرنسوية لمساعدتهِ كما سيجيء . هذا وسنقتصر في ما يلي على ما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في ترجمتهِ عن حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام لانهُ حضر كثيرًا منها وكان لهُ اتصال بها قال :

لما بلغ عبد الله باشا والي صيداء خروج العساكر من مصر اسرع يجهز كل ما يلزمهُ للحصار ونادى برفع اسعار المعاملة فزادها نحو عشرة في المئة وحضر الى الامير بشير عمدة بكتابة من الشيخ حسين عبد الهادي من مشايخ بلاد نابلس يخبره عن وصول عساكر مصر الى اراضي غزة مع ابرهيم باشا ويسأل الامير عما يشير بهِ عليهِ فاجابهُ انهُ يحسن بالشيخ ان يلاقي ابرهيم باشا ويسير معهُ ومتى وصلوا الى امام عكاء فهو يسير للقائهم . وكنت قد اتيت الى الامير اسألهُ كيف يريد ان يتصرف الامير سعد الدين (امير حاصبيا وكان المؤلف مدبرًا لهُ) فاجابني متى انتهى امر عكاء فاخبر الامير سعد الدين وغيره عما يجب عملهُ واما الآن فيجب ان يكون في طاعة والي الشام كعادتهِ . فكتبت اليهِ بذلك ونزلت الى بيروت لامر يخصني فلما وصلتها سمعت ان عساكر مصر بلغت صحراء عكاء وان ابرهيم باشا ارسل الى الامير بشير ليوافيهُ اليها فقمت الى عكاء في اليوم التالي ولما وصلتها وجدت اثنين وعشرين مركبًا حربيًا تحيط بها ثمانية من شماليها وثمانية من غربيها وستة من جنوبها امام برج الغربان ومن البر مدافع كثيرة على

تل الفخار وجميعها تضرب على عكاء باتصال وعكاء تضربها وكان دخان البارود مخيماً على المدينة حتى لم تعد ترى وبقي الضرب من الصباح الى قبل غروب الشمس بساعة ونصف فقامت المراكب الى حيفا ولم ترجع للضرب في ما بعد . والذي فهمتهُ ان المراكب قذفت على عكاء اكثر من سبعين الف كرة ولكن تعطل اكثرها من ضرب مدافع عكاء عليها . وبقيتُ هناك نحو عشرين يوماً وكان يخرج نحو خمسة آلاف من العسكر المصري كل ثلاث ليالي او اربع تحت ظلام الليل الى مكان بعيد ويرجعون عند شروق الشمس ايهاماً لعسكر عكاء ان عساكر مصر لم تزل تتوارد عليهم

واشتغل العسكر المصري بحفر الخنادق المعوجة المسماة عندهم طريق النار واقاموا متاريس قريبة من الاسوار ونصبوا عليها المدافع واتمّوا اعمالهم هذه في ظلام الليل لكي يتقوا نيران عكاء واستعرت نار الحرب بين المتاريس واسوار عكاء نهاراً وليلاً وكان جلّ ضرب المصريين على برج علي القريب من باب المدينة وكنت ارى انهم يعجزون عن فتح عكاء وابنت ذلك للخواجه حنا بحري فاجابني ان معنا نفراً من كبار المهندسين وهم يعلمون ما هو الاصلح

وكان في عكاء نحو ثلاثة آلاف من الجنود المجربين وكانوا يخرجون ويتحرشون بعسكر مصر ليجروهُ الى امام مدافع الاسوار فلا يفلحون لان ضباط الجيش المصري من ذوي الدراية التامَّة وكانت الكتابات من الدولة تدخل عكاء ليلاً مع اناس يأتونها بالبحر سباحة . وفي احدى الليالي حدث قلق وضجيج في العسكر ثم سمع طلق البارود والصياح والاغاني الفلاَّحية بمدح عبدالله باشا فظننا اولاً ان جيشهُ كبس الجيش المصري ثم تحقق لدينا ان ستماية رجل من اهالي نابلس عزموا على ان يخترقوا العسكر المصري ويدخلوا عكاء لمساعدة من فيها فاخترقوا العسكر مشهرين السلاح وهم يضربون من يعارضهم والعسكر لا يستطيع ان يطلق عليهم الرصاص لئلا يصيب بعضهُ بعضاً ولما وصلوا الى عكاء اطلقوا عليهم الرصاص فلم يصيبوهم لان الظلام كان حالكاً ودخلوا عكاء سالمين وكنا نسمع صوتهم على الاسوار يدعون لعبدالله باشا بالنصر

وكان الخواجه حنا بحري مرسلاً من محمد علي باشا معاوناً لولده ابرهيم باشا مطلق التصرُّف في ترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى فباشر اتمام ما يلزم في كل الايالة على اكمل وجه لانهُ كان من افراد الرجال في الذكاء وسمو العقل مع الاستقامة التامة في اقواله وافعاله لمخدومه وللرعية

وبعد ان عرفت كل ما امكنني معرفتهُ عن عدد العسكر وهو ان عددهُ ثمانية الايات من المشاة فيها ثمانية عشر الف نفس وثمانية الايات من الفرسان فيها اربعة الاف ومعهم الفان من فرسان عرب الهنادي وثلاثة واربعون مدفعاً ومطبعة حجر رجعت الى دير القمر

وقابلت الامير امينًا وكان وكيلاً عن والدهِ الامير بشير وطمنتهُ عن صحتهِ واخبرتهُ عما شاهدتهُ وسمعتهُ وسرت الى حاصبيا واخبرت الامير سعد الدين عما رأيتهُ ايضًا وابنت لهُ ما كنت اظنهُ وهو انهُ يستحيل على المصريين ان يفتحوا عكاء عنوةً في مدة قصيرة ان لم يتيسَّر لهم فتحها من جهة البحر لان اسوارها من جهة البر على غاية المناعة والاحكام ولا تصل المدافع الاَّ الى اعاليها لانها مستورة بالارض العالية التي امامها وهي مفصولة عنها بخندق عميق

وبعث ابرهيم باشا امير آلاي اسمهُ يعقوب بك ببعض الجنود الى دير القمر ليكون محافظًا فيها وسار بفرقة من عسكرهِ الى طرابلس فهرب واليها من وجههِ فدخلها ورتَّب امورها وتوجَّه منها الى حمص ثم عاد الى معلقة زحلة ومنها الى عكاء

وارسلت الدولة عسكرًا كثيفًا لقتال ابرهيم باشا بقيادة انجه بير قدار باشا والي حلب فجاء بالعسكر الى حمص ثم انتقل الى تل النبي مندو تحت قرية القصير على ضفَّة العاصي واقام هناك ينتظر قدوم العسكر النظامي لكي يسير معهُ الى عكاء عن طريق بعلبك والبقاع وبلغ ابرهيم باشا ذلك فارسل جانبًا من عسكرهِ الى معلقة زحلة مع بعض المدافع ليصدوا العساكر العثمانية وشدَّد الضرب على عكاء وردم الخندق الذي امام سورها وهجم عليها برجالهِ فارجعتهُ مدافعها ثم جمع جنودهُ وخطب فيهم وعدَّد المعارك التي فازوا فيها في المورة والحجاز على اقوام اشداء غير ضعفاء كالمحصورين في عكاء وقال ان رجوعهم عنها خائبين عار لا يمحى على اسم العسكري المصري لا يقبلهُ اناس اشتهروا بالشجاعة والشهامة في اقطار العالم. ثم امر بالهجوم على عكاء في ذلك اليوم وان تسير المدافع خلفهُ ولا ترجع حتى تمتلك السور ثم ساق العسكر وفتحت جهنم ابوابها من الجانبين فكان اول الصاعدين على السور سليم بك ارنوز برميرالاي الطبجية وابرهيم آغا الرشماني معلم الفرسان من موارنة دير القمر ووراءهما ابرهيم باشا نفسهُ ولكن اصابت رصاصة ابرهيم الرشماني من سور عكاء الداخلي فقتلتهُ وحينئذٍ كثرت الجنود المصرية التي بلغت اعلى السور والتحم القتال مع رجال عبدالله باشا وكان قد قلَّ عددهم جدًّا من كثرة قتلاهم وجرحاهم فلجأوا الى داخل السور الداخلي ورأى عبدالله باشا ان الجنود المصريَّة امتلكت السور الداخلي وانهُ لم يبقَ عندهُ من المقاتلة سوى ثلثمائة وخمسين رجلاً فسلم لابرهيم باشا وفتح لهُ الابواب فدخل العسكر المصري واستباح المدينة واما عبدالله باشا فعومل بالاكرام وأرسل الى مصر واحسن محمد علي مقابلتهُ ورتب لهُ ما يقوم بنفقاتهِ فاقام مدة في القطر المصري ثم طلب التوجه الى الاستانة فأرسل اليها والتمس من الباب العالي ان يقضي بقية عمرهِ في الحجاز فأُرسل اليهِ ومات فيهِ . وارتفعت رتبة حنا بحري بعد فتح عكاء فصار امير لواء وصار يلقَّب

بجري بك وكان ابرهيم باشا يوقع الكتابات الرسمية الحاج ابرهيم والي جدة والحبشة وسر عسكر عكا حالاً فصار يوقع سر عسكر عربستان

ثم رتب امور عكاء وامر بترميم ما تخرّب من اسوارها ومبانيها وشحنها بالذخائر والمهات الحربية ووضع فيها الحامية اللازمة لما وجاءتهُ نجدات كثيرة من مصر فقام بالعسكر قاصداً مدينة دمشق ومعهُ الامير بشير وكان الامير بشير قد كتب الى ولدهِ الامير امين ليرسل اليهِ بعض اتباعهِ والى امراء حاصبيا وراشيا ليوافوهُ الى دمشق فسرتُ اليها مع الامير سعد الدين

وجميع علو باشا والي الشام عسكراً من الاكراد واولاد البلد واخرجهم لمقاتلة ابرهيم باشا وصدهِ عن دخول دمشق وكانوا نحو عشرة آلاف فنظرهم ابرهيم باشا من بعيد بالنظارات وعرف فرسان الاكراد من الشوام فوجه فرسان الهنادي لمقابلة الاكراد ونبه على العسكر النظامي ان يقابل الشوام ولا يؤذيهم بل يطلق بنادقهُ في الهواء. وعند ما سمع الشوام صوت النار الدائمة فرّوا هاربين اما الاكراد فقاتلوا جهدهم ثم انكسروا وتبعهم فرسان الهنادي يقتلون منهم . وبلغ علو باشا والي الشام انكسار عسكرهِ ففرَّ من دمشق ودخلها ابرهيم باشا ولم يسمح لعسكرهِ بالاعتداء علي احد واطلق المناداة بالامان وان يبقى الجميع في اعمالهم مطمئنين. واقام في دمشق الى ٤ صفر سنة ١٢٤٨ (٢ يوليو) ١٨٣٢ وترك فيها المعلم بطرس كرامة لترتيب مجلس الشورى وولى عليها رجلاً من خواصهِ اسمهُ احمد بك ربيب كرد يوسف باشا احد ولاة الشام السابقين ثم خرج منها نهار الثلاثاء في ٥ صفر وعرفت عدد عسكرهِ كلهِ في ذلك اليوم وهو احد عشر الفاً من المشاة والفان من فرسان النظام وثلاثة آلاف من فرسان الهنادي وثلاثة واربعون من المدافع وثلاثة آلاف من الجمال الحاملة للذخائر والمهمات وكان معهُ عباس باشا ابن اخيهِ طوسن باشا ويكن احمد باشا ابن عمتهِ . ونهار الاربعاء قام بالعسكر الى النبك ونزل الامراء في دير عطية وهناك طلب الامير ان يرجع اعيان دمشق الى بيوتهم فرجعوا . ونهار الخميس قام الى حسيه ونهار الجمعة انعطف عن طريق حمص الى طريق القصير ونزلت العساكر على شاطيء نهر العاصي عند تل النبي مندو حيث كان العسكر العثماني لانهُ لما بلغهُ فتح عكاء رجع الى حمص

وكان ابرهيم باشا يسير في رحلاتهِ قبل الفجر بثلاث ساعات فيصل الى آخر المرحلة عند الضحى وساعة وصولهِ ذلك اليوم الى محلة النبي مندو وصلت بقية العسكر القادمة من طرابلس ومعلقة زحلة وهي نحو ستة آلاف فبلغ مجموع العساكر المصرية وعسكر الامراء عشرين الفاً (اي المشاة ١١ الفاً والفرسان الفان والهنادي ثلاثة آلاف وعساكر الامراء اربعة آلاف).

وكان المسموع ان العسكر العثماني في حمص اثنا عشر الفاً لا غير

ثم اجتمع ابرهيم باشا مع امراء العسكر واقروا على الخطة التي يجرون عليها وارسل فرسان المنادي عند نصف الليل الى حمص لمناوشة العساكر العثمانية وقام بعساكره عند طلوع النهار يوم السبت في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ ورتب المشاة ثلاثة اقسام جعل البعد بين القسم والذي يليهِ نحو ميلين والامير بشير وسائر الامراء ورجالهم في ساقة القسم الاوسط وخلفهم الجمال الحاملة للذخائر والمهمات . وكان ابرهيم باشا على ظهر جوادهِ يتردد بين الصفوف

ثم ضربت الموسيقات العسكرية ومشت صفوف العساكر في تلك السهول الفسيحة والرايات تخفق فوق رؤُوسها فكان المنظر مهيباً جدًّا وكلما مشى العسكر اقل من ساعتين يقف يستريح وعند الساعة السادسة وربع عربية وصل الى قرية قطينة وهي على ثلاثة اميال من مدينة حمص فامتدَّ منها الى جهة نهر العاصي الشمالي الغربي ومنها الى الجنوب الغربي فكان امتدادهُ نحو خمسة اميال وكان عباس باشا بالفرسان والمدافع عن يمين العسكر واحمد باشا عن يسارهِ وجعل ابرهيم باشا مقامهُ في القلب على تل قطينة وصدر امرهُ للامير بشير بان يقيم بمن معهُ من الامراء والرجال عن يسار العسكر قرب نهر العاصي ولا يدخلوا ميدان القتال فنزلنا قرب تل عالٍ مخروطي الشكل وسند العسكر سلاحهُ ليأكل فتواردت فرسان المنادي على ابرهيم باشا بالرؤُوس التي قطعوها والاسرى الذين اسروهم من عسكر الترك فانعم عليهم واثنى على بسالتهم . وكان معسكر الترك عند تل باب عمر بعيداً عنا مسافة ميلين وعلى التل مدافع كثيرة وثارت ريح شديدة من جهة الغرب الشمالي في ظهرنا تنسف الغبار في وجه عسكر الترك وكانت الارض سهلاً ناعم التراب وقد زاد نعومة بحوافر الخيل فملأ الغبار الجو وسدَّ الانفاس وكان ذلك اكبر معين للجنود المصرية على الجنود العثمانية . فصعدتُ الى راس التل مع البعض لارى الحرب وكان فرسان المنادي يهجمون على فرسان الاتراك كالضواري ويخطفونهم من بين جماهيرهم الكثيرة فالعشرة منهم تقاتل المئة واذا تكاثر عليهم الرجال لم يهربوا الى الوراء بل ساروا عرضاً الى ان تأتيهم النجدات فيهجموا على اضعاف عددهم ويقهقروهم عن مراكزهم . وقبل الغروب بثلاث ساعات نظرنا فارساً جاء مسرعاً من ساحة القتال ودنا من ابرهيم باشا فسار ابرهيم باشا الى حيث فرسان المنادي ولما رأيت ذلك ارسلت واخبرت الامير لانهُ كان لم يزل في خيمتهِ من شدَّة الرياح وكثرة الغبار فصعد الى قمة التل واخذ النظارة وجعل ينظر الى ساحة القتال فقلتُ لهُ اهؤُلاء هم الاثنا عشر الفاً الذين قلتم عنهم في دمشق فاجابني قلنا هذا ولم يصل معنا الى هنا نصف الذين كانوا معنا فكيف لو قلنا

انهم ستون او سبعون الفاً ولكن لا توهمك كثرتهم لانهم عند ما يسمعون تحريق الفرسي يهربون (يريد صوت رصاص العسكر النظامي والفرسي في لغة اهل الجبل قماش القطن المعروف بالخام) وبينما نحن في الكلام وصل رصاص الاتراك الينا لان عسكرهم تقدَّم من جهتنا فخشيت من اصابة الامير فتوسلت اليهِ لينزل و يعود إلى خيمتهِ من شدَّة الرياح والغبار فقال لا بل انك خفت من الرصاص خلافاً لطبيعة اهل بلدك فاجبتهُ اني ان خفت فلا يكون خوفي على نفسي بل على سعادتك لانك روحنا الثمينة واذا نزلتَ ونزل عبدك ايضاً فيكون خوفي على نفسي فارجو ان تجنبرني وتنزل. وغايتي الوحيدة نزولهُ . فاجابني انهُ على الانسان ان يتقي المخاطر حين لا يضطر اليها ولا يحسن بقاؤنا هنا ان كان منهُ خطر وكنت احتم على جميع الذين هنا بالنزول لو كان الامر كذلك ولكن لا خطر علينا لان الرصاص الواقع هنا لا عزم لهُ فيسقط سقوطاً من فروغ عزمهِ ولذلك لم يغرز في الارض بل تراهُ مطروحاً على وجهها

وصار فرسان المنادي الذين في جهتنا يرجعون الى الوراء وعدوهم يهجم عليهم و يضطرهم الى التقهقر فقال الامير لا شك ان المشايخ النكدية مع الاتراك لان هذه الهجمات هجماتهم (وتحققنا بعد ذلك ان النكدية كانوا هناك مع عسكر مرعش) . والتفت فرأيت عسكراً من النظام عن بعد واخبرت الامير فقال لقد حضر جاسوس هذا الصباح من معسكرهم وقال انهم خمسة وخمسون الفاً وليس فيهم عساكر نظامية. ثم نظر بالنظارة فلم يرَ احداً من النظام ولكنني رأيت طرابيشهم الحمراء ولمعان اسلحتهم في نور الشمس فراجعتهُ واشرت الى مكانهم فاعاد النظر اليهم بالنظارة فحققهم وقال لا بدَّ من ان يكونوا قد وصلوا الآن . وكان الوقت قبل الغروب بساعتين وربع وجاء فارس من عند ابرهيم باشا وتكلَّم مع القواد وللحال اصطفَّت العساكر صفاً واحداً في طرفيهِ الخيول والمدافع وعباس باشا مع فرسان الميمنة واحمد باشا مع الميسرة وضربت الموسيقات ومشى الجنود لمقابلة خصومهم فهرب الذين كانوا امامهم وتبعتهم فرسان المنادي وهجم نحو خمسة الآف من فرسان الترك على ميمنة العسكر فردهم عباس باشا بنار المدافع وبقي سائراً عليهِ نحو خمسة عشر الفاً من فرسان الترك وهجموا دفعةً واحدة فتلقَّاهم بمدافع الرش فانكسروا وتركوا من قتلاتهم اكثر من الفي قتيل . وقبل الغروب بساعة استعرت نار الحرب بين كل الصفوف واتصلت النار الدائمة بالبنادق والمدافع من الجهتين وكانت مدافع الاتراك على تل باب عمر تقذف قنابلها على المصريين. ويا لها من ساعة شديدة الهول تفتحت فيها ابواب جهنم تصب نيرانها على المتحاربين. وعند غروب الشمس سكت صوت البنادق وبقي صوت المدافع إلى ما بعد الغروب بساعة ونصف ثم سكت واستولى الهدو التام واتت البشائر الى

الامير بتمام النصر وان انجه بيرقدار باشا هرب هو ومن معهُ من الوزراء وان عساكر الترك بعضها قتيل وبعضها جريح وبعضها اسير والباقون تشتتوا

وصباح الاحد دخل الامير مدينة حمص وكانت الخيل تدوس على اشلاء القتلى مسافة ميل في سهل باب عمر وتسلَّم الامير احكام حمص ووجد بين الاسرى ثمانماية ارمني كانوا في خدمة العسكر فاطلقهم وارسلهم الى مطران الروم . والاسرى من العسكر كانوا الايًا كاملاً غير المفردات فارسلهم الى عكاء صحبة الشيخ حسين تلحوق . وجرحى الاتراك وهم نحو ستماية وخمسين سلّموا للاطباء مع جرحى العسكر المصري وأمر قاضي البلد ومفتيها بدفن القتلى ووكل كاتب هذه السطور بضبط متروكات الوزراء الهاربين وكانت محلتهم على نهر العاصي قرب جسر المياس فوجدتهم تركوا خيامهم بفرشها حتى ان كاتب الديوان ترك دواتهُ الفضية واقلامهُ مع الورق على الارض والطبائخ باقية على النار محروقة وصناديق الادوية ونسالة الكتان وقماش الاكفان وعدد وافر من الفراوي والبنشات للتلبيس ومهمات كثيرة ووجدنا مخزنًا في محلة سيدنا خالد مملوءًا من البن الحجازي يكفي مؤونة مدينة . فاكملت مأموريتي ووضعت كل شيء في محلهِ

ومدينة حمص جيدة التربة معتدلة الهواء متسعة الارجاء تحيط بها قرى كثيرة ولكن اكثرها خراب من اعتداء عرب البادية عليها . واهالي المدينة نحو عشرين الفًا ربعهم نصارى والثلاثة الارباع مسلمون ولم ارَ فيها نصرانيًا غير مولع بالسكر وكثير منهم يكتب خطًا جميلاً وقد خرج منها افراد مشهورون بالعقل والذكاء حال كون عامتهم تغلب عليهم السداجة . وقد حكي لي قصص كثيرة عن سداجتهم لا يسعني بسطها وانما اذكر ما شاهدتهُ بعيني وهو انهُ في اليوم الثاني من دخولنا حمص عُرِض للامير ان في ناحية تل باب عمر قتلى وجرحى من اولاد البلد يراد الكشف عنهم فارسلني لذلك فوجدتهم ثمانية رجال اربعة منهم قتلى واربعة جرحى فسألتهم عما اصابهم فقالوا اننا اتينا الى هنا للفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرةً محشوة وفتيلها ظاهر فاردنا ان نرى كيف تصعد وتهبط فاشعلنا الفتيل ووقفنا حولها ننتظر صعودها ولا نعلم ماذا اعاقها عن الصعود ثم فقست واصابنا منها ما تراهُ . فاذنت في دفن الموتى ومعالجة الجرحى ورجعت وعرضت واقعة الحال للامير فقال اكتبها عندك لكي يقف منها المعلم بطرس كرامة على درجه ذكاء اهل بلدهِ . وفيما بعد كنت اتكلم مع بحري بك فسألني عما رأيتهُ في حمص فمدحت لهُ هواءها وماءها قال وما قولك في اهاليها قلت اني وجدت لهم دعوى على سعادتك وعلى المعلم بطرس كرامة فقال وما هي قلت انكما سلبتماهم نصيبهم من العقل والذكاء فقال وكيف ذلك فقصصت عليهِ قصة الكرة

(ستأتي البقية)

منتخبات من ديوان الحماسة

وقال المقنع الكندي

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي ... زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمِ ... وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدَا

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا ... وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ ... وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلٍ ... وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

وقال مضرس بن ربعي

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا ... وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصْيَدِ

وَمَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ ... نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ

وَإِذَا نَمَوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمِ ... مِنَّا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَّدِ

وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ ... حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ ... عَجِلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

وقال قيس بن الخطيم

وَمَا بَعْضُ ٱلإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا ٱلْفَتَى إِلاَّ بَلاَءُ
وَبَعْضُ خَلاَئِقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ ٱلْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
وَبَعْضُ ٱلْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ كَمَحْضِ ٱلْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءُ
يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلاَ يُعْطَى الحَرِيصُ غِنًى لِحِرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الجُودِ الثَّرَاءُ
غَنِيُّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا البُخْلِ مَالٌ وَلاَ مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ الحُمْقِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنهُ بدراً

يَابَدْرُ وَٱلأَمْثَالُ يَضْـرِبُهَا لِذِي اللُّبِّ الحَـكِيمُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لاَ يَدُومُ
وَٱعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَالحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْـكَرِيمُ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ يَوْ مًا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْـمُودُ البِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَاعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِٱلْعِلْمِ يَنْتَفِعُ ٱلْعَلِيمُ
إِنَّ ٱلأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيجُ لَهُ العَظِيمُ
وَالتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تُقْـضَاهُ وَقَدْ يُلْوَى الغَرِيمُ

وَالبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ البَعِيـدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الحَمِيمُ
وَالمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى وَيُهَانُ لِلعَدَمِ العَدِيمُ
قَدْ يُقْتِرُ الحَوِلُ التَّقِيُّ وَيُكْثِرُ الحَمِقُ الأَثِيمُ
يُمْلَى لِذَاكَ وَيُبْتَلَى هٰذَا فَأَيُّهُمَا المَضِيمُ
وَالمَرْءُ يَبْخَلُ فِي الحُقُو قِ وَلِلْكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ
مَا بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
وَيَرَى القُرُونَ أَمَامَهُ هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ الهَشِيمُ
وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسٌ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ
كُلُّ امْرِئٍ سَتَئِيمُ مِنْـهُ العِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَئِيمُ
مَا عِلْمُ ذِي وَلَدٍ أَيُثْكِلُهُ أَمِ الوَلَدُ اليَتِيمُ

وقال منقذ الهلالي

مَا أَرَى الفَضْلَ وَالتَّكَرُّمَ إِلَّا كَفَّكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الفُضُولِ
وَبَلَاءٌ حَمْلُ الأَيَادِي وَأَنْ تَسْمَعَ مَنًّا تُؤْتَى بِهِ مِنْ مُنِيلِ

وقال محمد بن ابي شحاذ الضبي

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَضْلِ الغِنَى أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الأَدْنَى رَمَاكَ الأَبَاعِدُ
إِذَا الحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ الجَهْلَ لَمْ تَزَلْ عَلَيْكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

إِذَا العَزْمُ لَمْ يُفْرِجْ لَكَ الشَّكَّ لَمْ تَزَلْ جَنِيبًا كَمَا اسْتَتْلَى الجَنِيبَةَ قَائِدُ
وَقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لَاحِدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَامًا تُحِبُّهُ وَلَا مَقْعَدًا تُدْعَى إِلَيْهِ الوَلَائِدُ
تَجَلَّلْتَ عَارًا لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سِبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَالقَصَائِدُ

وقالت حرقة بنت النعمان

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
فَأُفٍّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

وقال الفرزدق

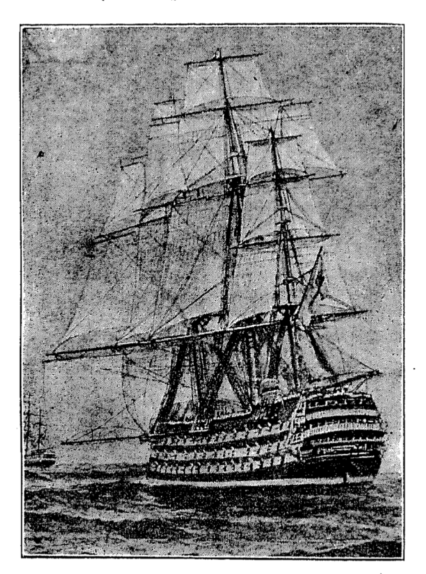
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وقال الصلتان العبدي

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْـكَبِيـ ـرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِي
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَّمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي
وَيَسْلُبُهُ الْمَوْتُ أَثْوَابَهُ وَيَمْنَعُهُ الْمَوْتُ مَا يَشْتَهِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغَنِي
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى ابْنَهُ وَأَوْصَيْتُ عَمْرًا فَنِعْمَ الْوَصِي
بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِي

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الخَفِي
كَمَا الصَّمْتُ أَدْنَى لِبَعْضِ الرَّشَادِ فَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِغَيّ

السفن الحربية في مئة عام



مضى مئة عام من حين انتصر نلسن في المعركة البحرية الكبيرة في طرف الغار على ساحل اسبانيا واكثر من مئة عام من حين انتصر في ابي قير قرب الاسكندرية وهما اشهر المعارك البحرية التي حدثت في القرن الماضي وتقابلهما المعركتان البحريتان اللتان انتصر فيهما اليابانيون على الروس منذ شهور قليلة · وقد يودُّ القارئ ان يعرف نسبة السفن الحربيَّة التي

تبني الآن الى السفن الحربية التي كانت تبنى في ذلك العصر ونسبة مدافع الواحدة الى مدافع الاخرى لاسيما واننا ذكرنا في ترجمة محمد علي باشا انهُ كان يبني السفن الحربية الكبيرة التي تحمل الواحدة منها مئة مدفع فاكثر والسفن الحربية لا تحمل الآن الاَّ عدداً قليلاً من المدافع فما هي النسبة بينها وبين سفن هذه الايام

اما السفن فكانت تبنى من الخشب الصلد كخشب السنديان وتُجعل طبقات توضع المدافع في كواها ثلاثة صفوف الواحد فوق الآخر على دائرها كما ترى في الصورة المتقدمة وهي صورة بارجة الفكتُري التي كان فيها نلسن لما حدثت واقعة طرف الغار على ما ذكر في الجزء الماضي من المقتطف . ولقد كان في تلك البارجة مئة مدفع وكان طولها من طرف الى طرف ١٨٦ قدماً انكليزية وعرضها نحو ٥٢ قدماً وعمقها ٢١ قدماً ونصف قدم ومحمولها ٢١٦٢ طناً . وكان الشروع في بنائها سنة ١٧٥٩ وتمت سنة ١٧٦٥ وجددت سنة ١٧٩٨ و١٨٢٠ فكان عمرها اربعين سنة لما حدثت واقعة طرف الغار ولا تزال الآن في مرفإ بورتسموث فصار عمرها ١٤٠ سنة . وكان فيها مئة مدفع في ثلاثة صفوف على دائرها كما ترى في الشكل وبلغ ما أُنفق على بنائها وتسليحها نحو ستين الف جنيه . وكذلك كانت السفن الكبيرة التي بناها محمد علي باشا في الاسكندرية او بُنيت لهُ في اوربا فان محمول السفينة منها كان نحو الفي طن ونفقة الطن من عشرين الى ثلاثين جنيهاً ولم تكن تبنى باسرع مما تبنى البوارج الكبيرة الآن ولكنها كانت تخدم مدة اطول لان البارجة التي يمرُّ عليها الآن عشرون سنة تحسب عتيقة لا تصلح للقتال اما في ذلك العصر فلم تكن عشرون سنة ولا ثلاثون شيئاً في عمر البوارج

ولكن النسبة بين البوارج التي كانت تبنى في اول القرن الماضي والبوارج التي تبني الآن كالنسبة بين الزورق الصغير والمركب الكبير مثال ذلك ان البارجة الانكليزية المسماة بالملك ادورد السابع محمولها ١٦٣٥٠ طناً اي ثمانية اضعاف محمول الفكتُري وقد بلغت نفقات بنائها وتسليحها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فهي تساوي خمساً وعشرين بارجة مثل الفكتُري في ما انفق عليها واكثر من خمسين بارجة مثلها من حيث القوة ولو التقت بكل البوارج التي كانت في طرف الغار من انكليزية وفرنسوية واسبانية لتغلبت عليها ومزقتها ارباً

وعند الانكليز ثماني بوارج من طراز الملك ادورد محمول كلٍّ منهُ او تفريغها ١٦٣٥٠ طناً وسمك درعها ٩ بوصات وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصانٍ وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً ونصف ميل في الساعة . وبارجتان من طراز نلسن تفريغ كلٍّ منها ١٦٦٠٠ طن وسمك درعها ١٢ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٧٥٠ حصاناً وسرعتها ١٨ ميلاً ونصف ميل . وسبع عشرة

بارجة مما تفريغ كلٍّ منها ١٥٠٠٠ طن وتختلف الآتها البخارية مما قوتهُ ١٨٠٠٠ حصان الى ما قوتهُ ١٢٠٠٠ حصان والتي قوتها ١٨٠٠٠ حصان سرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند فرنسا ست بوارج مما تفريغ كل واحدة منها ١٤٨٦٥ طنًّا وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الآتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند الولايات المتحدة الاميركية خمس بوارج تفريغ كلٍّ منها ١٥٠٠٠ طن وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الاتها البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا في الساعة وقد انزلتها كلها الى البحر سنة ١٩٠٣ وانزلت سنة ١٩٠٤ بارجة تفريغها ١٨٠٠٠ طن وكانت تبني خمس بوارج اخرى من طرازها تفريغ كل منها ١٨٠٠٠ طن وسمك درعها ١٢ بوصة وعندها ثلاث بوارج تفريغ كل منها ١٢٣٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٦٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند اليابان بارجتان تفريغ كلٍّ منهما ١٥٣٦٢ طنًّا وسمك درعها ٩ بوصات وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وبارجة تفريغها ١٤٨٥٠ حصانًا وقوة الاتها البخارية ١٤٥٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً وهي تبني بارجتين تفريغ كلٍّ منها ١٦٤٠٠ طن وسمك درعها ٩ بوصات وقوة الآتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً في الساعة

وعند ايطاليا بارجة تفريغها ١٥٩٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٧٩٧ حصانًا واربع بوارج تفريغ كلٍّ منها ١٢٦٢٥ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً في الساعة وبارجة تفريغها ١٣٨٦٠ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٢٢٨٦٠ حصانًا وسرعتها ١٩ ميلاً ونصف ميل وبارجة تفريغها ١٥٩٠٠ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٥٧٩٧ حصانًا وسرعتها ١٧ ميلاً في الساعة

هذا من حيث جرم البوارج وقوة آلاتها البخارية . والبوارج التي كانت شائعة في اوائل القرن الماضي لم تكن مدرعة اما البوارج الآن فمدرعة كلها وقد بالغوا في سمك درعها اولاً لما كان يصنع من الحديد الصاج فعند الايطاليين بارجتان من هذه البوارج سمك درع كلٍّ منهما ٢٢ بوصة ونصف بوصة اما الآن فابدل الحديد الصاج بالصلب ولا يزيد سمكهُ على ١٢ بوصة ولكنهُ امتن من ثلاثين او اربعين بوصة من الحديد الصاج

وكانت المدافع القديمة صغيرة الحجم جدًّا موضوعة على مركبات من الخشب تجشى باليد ثم كبرت رويدًا رويدًا حتى صار وزن المدفع منها مئة طن وطولهُ ٣٥ قدمًا ووزن قنبلتهِ ٢٠٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق بهِ ٤٥٠ رطلاً وهي تخرق صفيحة من الحديد الصاج

سمكها ٢٣ بوصة . ثم صُغّرت هذه المدافع واتقن صنعها وبنيت من اسلاك الصلب فصار وزن بعضها ٣٢ طنًّا فقط ووزن قنبلتهِ ٥٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق بهِ ٢٥٠ رطلاً وهي تخرق ما سمكهُ ٢١ بوصة من الحديد . والمدافع الكبيرة المستعملة الآن ثقل المدفع منها خمسون طنًّا وتخرق قنبلتهُ ما سمكهُ ٤٢ بوصة من الحديد الصاج . ومدفع ارمسترنج الذي قطر فوهتهِ ١٢ بوصة تخرق قنبلتهُ ما سمكهُ ٥١ بوصة من الحديد الصاج واطلاقهُ سهل جدًّا حتى يطلق مرتين كل دقيقة . والغالب ان يكون في البارجة من البوارج الحديثة اربعة من هذه المدافع الاخيرة واربعة مما قطر فوهتهِ ٩ بوصات و٤ او ٦ مما قطر فوهتهِ ٦ بوصات عدا المدافع الصغيرة جدًّا واانابيب الطربيد

ولانبالغ اذا قلنا ان البارجة من بوارج هذه الايام بمثابة خمسين بارجة من البوارج التي كانت عند الانكليز والفرنسويين وقت معركة طرف الغار او من البوارج التي كان يبنيها محمد علي باشا . هذا ما صارت اليهِ السفن الحربية في المئة العام الماضيةِ واكثر ما حدث فيها من التغيير انما هو في العشرين سنة الاخيرة ومَن يدري ما تصير اليهِ في المئة العام التالية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

١

الاحتضارات

عثرت في اثناء مطالعتي على كثير من اقوال المحتضرين (من احتُضِر الرجل احتضارًا على المجهول اذا حضرهُ الموت فهو محتضر) عند العرب وغيرهم من العجم وقرأت مقالة باللغة الانكليزية ووقفت على بعض القبريات (ما يكتب على القبور) عند الفريقين فجمعت ذلك في هذه المقالة لعلها تروق في اعين القراء الكرام لما فيها من موارد الحكم ومرائي الاخلاق وغرائب العادات ومختلف الاعتقادات وبليغ العظات . ولقد اخترت من مختلف الروايات في كثير من النقول العربية ما يرفع عن القارئ الارتباك ولعلي اصبت المرمى فاقول

احتضارات العرب

كان يعرب بن قحطان جد العرب حكيمًا لبيبًا فلما حضرتهُ الوفاة احضر بنيهِ واوصاهم بقولهِ

"يابنيَّ تعلموا العلم واعملوا بهِ واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليهِ فانهُ داعية القطيعة بينكم وتجنبوا الشرَّ واهلهُ فان الشرَّ لا يجلب عليكم الاَّ الشرَّ وانصفوا الناس من انفسكم فانهم ينصفونكم من انفسهم . واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فانهُ يقربكم من الناس ويحببكم اليهم. واذا استشاركم مستشير فاشيروا عليهِ بما تشيرون بهِ على انفسكم في مثل ما استشاركم فيهِ . فانها امانة قد القاها في اعناقكم وانشأ يقول

أوصيكم بما وصى أباكم ... أبوهُ عن أبيهِ عن الجدودِ
أذيعوا العلم ثم تعلموهُ ... فما ذو العلم كالغمر البليدِ
ولا تصغوا الى حسدٍ فتغووا ... غواية كل مختبل[1] حسودِ
وذودوا[2] الشرَّ عنكم ما استطعتم ... فليس الشرُّ من خلق الرشيدِ
وكونوا منصفين لكل دانٍ ... لينصفكم من القاصي البعيدِ
وباب الكبر عنكم فاتركوهُ ... فان الكبر من شيم العبيدِ
عليكم بالتواضع لا تزيدوا ... على فضل التواضع من مزيدِ
وان الصفح افضل ما ابتغيتم ... بهِ شرفاً من الملكِ العتيدِ[3]
وحق الجار لا تنسوهُ فيكم ... تنالوا كل مكرمةٍ وجودِ

وأوصى أبرهة ذو المنار ولدهُ عمرًا ذا الاذعار عند احتضارهِ بقولهِ : (تولى عمرو الملك قبل المسيح بثلاثين سنة)

يا عمرو انك ما جهلتَ وصيَّتي ... إياك فاحفظها فإنك ترشدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى ... فيما مضى الاَّ المعين المرفدُ[4]
يا عمرو مَن يشري العُلى بنوالهِ ... كرماً يُقال لهُ الجواد السيّدُ
كلُّ أمرئٍ يا عمرو حاصد زرعهِ ... والزرع شيءٌ لا محالةَ يُحصدُ
واصل ذوي القربى وحطهم إنَّهم ... بهم تُذِلُّ الأبعدين وتُكمِدُ

وقال مالك بن فهم اول ملوك العرب في الحيرة لما رأى سُلَيمة بن مالك يرميهِ بسهم قتلهُ بهِ :

جزاني لا جزاهُ الله خيرًا ... سُلَيمةُ إنهُ شرًّا جزاني
أُعلّمهُ الرماية كل يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعدُهُ رماني

وقال مالك بن ريب التميمي يرثي نفسهُ ويصف قبرهُ لما لسعتهُ الافعى واحس بالموت

---

(١) المختبل الفاسد العقل (٢) كفوا وادفعوا (٣) الحاضر المهيأ (٤) بمعنى المعين والمعطي

من قصيدة طويلة تعدّ من المراثي المشهورة عند العرب :

ألا ليت شعري هل ابيتنّ ليلةً بجنب الغضا أزجي [١] القلوص [٢] النواجيا [٣]

الى ان قال :

وأشقرَ خنذيذٍ [٤] يجرُّ عنانهُ سوى السيفِ والرمحِ الردينيِّ باكيا
ولما تراءت عند مروٍ منيّتي وحلّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقولُ لأصحابي ارفعوني فانني يقرُّ بعيني أنْ سُهَيلٌ بدا ليا
ويا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزلا برابية اني مُقيمٌ ليا ليا
أقيما عليَّ اليوم او بعض ليلةٍ ولا تعجلاني قد تبيّن ما بيا
وقوما اذا ما استلَّ روحي فهيئا لي الصدرَ والاكفان ثم ابكيانيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما من الارض ذات العرض ان توسعا ليا
وخطّا بأطراف الأسنّةِ مضجعي وردّا على عينيَّ فضل ردائيا
خذاني فجرّاني ببردي اليكما فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنتُ عطافًا إذا الخيلُ أدبرت سريعًا إلى الميجا إلى من دعانيا
وقد كنتُ محمودًا لدى الزاد والقرى وعن شتم إبن العمّ والجار وانيا

وهكذا الى آخرها وهي بليغة تثير العواطف

ولما حان ارتحال نزار بن معدّ الى الآخرة دعا باولادهِ الاربعة مُضَر وربيعة وإياد وأنمار بين يديهِ واوصاهم قائلاً " إعلموا يا اولادي اني راحل عنكم الى الآخرة . وما احضرتكم الاّ لاشرح لكم وصيتي فاحفظوا ما اقول لكم ولا تخالفوا وصيتي فيحلّ بكم الوبال " — قالوا : ما هي وصيتك يا ابانا — قال : " وصيتي لكم هي ان يوقر صغيركم كبيركم يا اولادي . اياكم والتكبُّر فانهُ مهلك الجبابرة . ما ولع بهِ احدٌ الاّ هلك . وفي غير طريق الحق سلك . يا اولادي اياكم والحسد . فانهُ يقلل الرزق ويذيب الجسد . والحسود لا يسود . ولا يموت الاّ مكمود . واياكم والطمع فانهُ يرمي صاحبهُ في البلاء والعذاب . والقناعة غناء . يا اولادي اياكم والبخل فيبعدكم من الله ومن الخلق . ومن هان عليهِ مالهُ . حسنت حالهُ . وسُمع مقالهُ . يا اولادي آسوا الناس بالطعام واكثروا البشاشة . وافشوا السلام . وصلوا بالليل والناس نيام . يا اولادي اياكم والكسل . فانهُ يورث الفشل . يا اولادي اياكم والغضب فانهُ يورث

(١) ادفع برفق وأسوق (٢) الناقة الشابة كالجارية من النساء (٣) جمع الناجية بمعنى السريعة ويقال انها للأنثى خاصةً (٤) الجيد من الخيل والفحل

السخط . والبشاشة في الوجه تورث المحبة وهي خيرٌ من القرى . ومن لانت كلمتهُ وجبت محبتهُ . يا اولادي لا تخالفوا وصيتي . واعلموا اني قد قسمت اموالي بينكم بالسويَّة . وجعلت قسم كل واحد منكم في كتابي هذا . فاذا وضعتموني في حفرتي وغابت عنكم جثتي . واتت العرب لعزائي فاذبحوا لهم من نعمي [1] . واذا تفرَّقت العرب عنكم فاعتمدوا على كتابي ووصيتي ولا تثيروا الحرب بينكم اه "

وقال عُبيد بن الابرص لما امر النعمان بقتلهِ (نحو سنة ٦٠٠ م) وهو يتأهب لهُ :

ألا ابلغ بنيَّ واعمامهم بأن المنايا هي الواردهْ
لها مدةٌ فنفوس العبادِ اليها وإن كرهت قاصدهْ
فلا تجزعوا لحمامٍ دنا فللموت ما تلد الوالدهْ
ووالله ان متُّ ما ضرَّني وان عشتُ ماعشتُ في واحدهْ

وقال يرثي نفسهُ :

يا حارِ [2] ما راح من قوم ولا ابتكروا الَّا وللموت في آثارهم حادِ
يا حارِ ما طلعت شمسٌ ولا غربت الَّا تقرِّبُ آجالٌ لميعادِ
هل نحن الَّا كأرواح يُمَرُّ بها تحت التراب واجسادٍ كأجسادِ

واستنشدهُ النعمان قبل قتلهِ قصيدتهُ البائية الشهيرة التي مطلعها :

اقفر من اهلهِ ملحوبُ فالقطبياتُ فالذنوبُ [3]

الى ان قال :

وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ [4] وغائب الموت لا يؤوبُ
أعاقرٌ مثل ذات رحمٍ [5] او غانمٌ مثلُ من يخيبُ
من يسأل الناس يحرموهُ وسائلُ اللهِ لا يخيبُ
بالله يُدرك كلُّ خيرٍ والقول في بعضهِ تلغيبُ [6]
والله ليس لهُ شريكٌ علاَّمُ ما أخفت القلوبُ
أفلح [7] بما شئتَ قد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريبُ [8]
لا يعظُ الناس من لا يعظ الدهرُ ولا ينفع التلبيبُ [9]

(١) ماشيتي (٢) ترخيم حارث (٣) ملحوب والقطبيات والذنوب اسماء اماكن فالاولى اسم مياه لبني أسد بن خزيمة والثانية اسم جبل والثالثة اسم موضع في ديار بني اسد (٤) يعود ويرجع (٥) الولود وهي ضد العاقر (٦) ضعف وافك (٧) عش ويروى افلح بمعناها (٨) العاقل
(٩) تكلف اللب من غير طبع فهي بمعنى التطبع

الاَّ محيات ما القلوب وكم يُرى شانئًا [1] حبيبُ
ساعد بأَرضٍ ان كنت فيها ولا تقل انني غريبُ
قد يُوصَل النازحُ النائي وقد يُقطع ذو السهمة [2] القريبُ
والمرء ما عاش في تكذيبٍ طولَ الحياة لهُ تعذيبُ

وهي طويلة اوردها صاحب شعراء النصرانية في صفحة ٦٠٥ فراجعها

ولما احتضر ذو الاصبع العدوانيّ دعا ابنهُ أُسيدًا فقال: "يا بنيَّ ان أَباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما ان حفظتهُ بلغتَ في قومك ما بلغتهُ فاحفظ عني: أَلن جانبك لقومك يحبوك. وتواضع لهم يرفعوك. وابسط لهم وجهك يطيعوك. ولا تستأْثر عليهم بشيء يسوّدوك. واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم. ويكبر على مودّتك صغارهم واسمح بمالك واحمِ حريمك واعزز جارك وأَعن من استعان بك واكرم ضيفك واسرع النهضة في الصريخ فإنَّ لك اجلاً لا يعدوك [3] وصُن وجهك عن مسأَلة أَحدٍ شيئًا فبذلك يتمُّ سؤددك. ثم انشأ يقول

أأُسيدُ ان مالاً ملكت فسر بهِ سيرًا جميلا
أأُسيدُ ان أَزمعت من بلدٍ الى بلدٍ رحيلا
آخِ الكرام ان استطعت الى إخائهم سبيلا
فاحفظ وان شط [4] المزارُ أخا أُخيك والزميلا [5]
واشرب بكأْسهم وان شربوا بها السمَّ الثميلا [6]
واركب بنفسك ان هممت بها الحزونة والسهولا
أَهنِ اللئام ولا تكن لإخائهم جملاً ذلولا
وصِلِ الكرامَ وكن لمن ترجو مودّتهُ وَصولا
انَّ الكرام اذا توَاخيهم وجدت لهم قبولا
ودع التواني في الأُمور وكن لها سلسًا ذلولا
ودع الذي يعد العشيرةَ ان يسيل ولن يسيلا
ابنيَّ ان المال لا يبكي اذا فقد البخيلا
وابسط يمينك بالندى وامدُد لها باعًا طويلا
وابسط يديك بما ملكتَ وشيّد الحسب الأَثيلا

(١) مبغضًا (٢) النصيب (٣) لا يتجاوزك (٤) بعد (٥) الرفيق (٦) يظهرانها من الثمال وهو السمّ النقيع

واعزم اذا حاولت أمرًا يفرج الهمَّ الدخيلا
وابذل لضيفك ذات رحلك [١] مكرمًا حتى يزولا
واحلل على الأيفاع [٢] للعافين [٣] واجتنب المسيلا
واذا القروم تخاطرت يومًا وارعدت الخصيلا [٤]
فاهصر [٥] كهصر الليث خضب من فريسته التليلا [٦]
وانزل الى الهيجا اذا ابطالها كرهوا النزولا
واذا دعيت الى المهم فكن لفادحه [٧] حمولا

وقال دريد بن الصمة لما ادركهُ ربيعة بن رفيع السلمي وهم بقتلهِ (سنة ٦٣٠ م)

فويح ابن اكمة ماذا يريدُ من المرعَش [٨] الذاهب الادردِ [٩]
فأقسم لو أنَّ بي قوةً لولت فرائصهُ [١٠] ترعدِ
ويالهف نفسي ان لا تكون معي قوَّة الشائخ الامردِ

ثم ضربهُ السلمي بسيفهِ فلم يغنِ شيئًا . فقال لهُ : "بئس ما سلحتك أمك . خذ سيفي هذا من موءخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ [١١] . فاني كذلك كنت افعل بالرجال" . ففعل كما قال فوقع صريعًا

ولما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد عمر قرنًا ونصفًا جميع بنيهِ فقال لهم : "يابنيَّ قد بلغت من العمر ما لم يبلغهُ احدٌ من آبائي . ولا بدَّ ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت واني والله ما عيرت احدًا بشيء الاَّ عُيرت بمثلهِ ان كان حقًا فحقًا وان كان باطلاً فباطلاً فكفوا عن الشتم فانهُ اسلم لكم واحسنوا جواركم يحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب واذا حدثتم فعوا [١٢] واذا حدثتم فأوجزوا فان مع الاكثار تكون الاهذار [١٣] واشجع القوم العطوف بعد الكر كما ان اكرم المنايا القتل ولا خير في من لا رويَّة لهُ عند الغضب . ولا من اذا عوتب لم يُعتِب [١٤] . ومن الناس من لا يرجى خيرهُ ولا يخاف شرهُ . فبكوءهُ [١٥] خير من درّهِ وعقوقهُ خير من برهِ اه"

(١) كناية عن المطية (٢) جمع يفع وهو المرتفع من الارض (٣) جمع عاف بمعنى الضيف (٤) جمع خصيلة وهي القطعة من اللحم (٥) اجذب وامل ومنها سمي الاسد الهصور (٦) العنق (٧) الامر المهم (٨) المرتعد او النسر قد هرم (٩) الذي ذهبت اسنانهُ كناية عن الهرم (١٠) جمع فريصة وهي لحمة بين الثندوءة والكتف ترتعد عند الخوف (١١) كني بذلك عما بين الجذع والراس واراد العنق (١٢) من وعى اي حفظ (١٣) كثرة الكلام (١٤) لم عتبهُ وهمزتهُ للسلب (١٥) قليلة من بكأت الناقة اذا قل لبنها

وقال أمية بن ابي الصلت لما اشتد عليهِ مرضهُ وقربت ساعتهُ : " قد دنا اجلي وهذه المرضة منيتي وانا اعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد " ولما دنت وفاتهُ أُغمي عليهِ قليلاً ثم افاق فرفع رأسهُ فنظر حيال(١) باب البيت وقال

لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما

لا عشيرتي تحميني ولا مالي يفديني ". ثم أُغمي عليهِ ايضاً بعد ساعة احتى ظنَّ من حضرهُ من اهلهِ انهُ قد قضى . — ثم افاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

لا بريء فأعتذر . ولا قويٌّ فأنتصر . ثم انهُ بقي يحدّثُ من عندهُ ساعةً — ثم أُغمي عليهِ مثل المرتين الاوليين حتى يئسوا من حياتهِ وافاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

محفوف بالنعم

ان تغفر اللهم فاغفر جمّاً واي عبد لك لا المّا (٢)

ثم اقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي فكونوا في أُهبتي وحدَّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضهِ وانشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيمٌ شاب فيهِ (٣) الصغير يوماً ثقيلا

ليتني كنت قبل ما بدا لي في رؤُوس الجبال ارعى الوعولا

كلُّ عيش وان تطاول دهراً منتهى امرهِ الى ان يزولا

اجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر ان للدهر غولا

ثم فاضت نفسهُ في نحو سنة ٦٢٤ م

وبينما كان امرؤُ القيس الشاعر عائداً من بلاد الروم وصل انقره فاشتدَّ عليهِ فيها داء السلّ فلم يبرحها حتى احتضر فقال مشيراً الى قبر امرأةٍ من بنات الملوك في سفح جبل عسيب

اجارتنا انَّ الخطوب تنوب واني مقيمٌ ما اقام عسيبُ

اجارتنا انَّا غريبان ههنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

فإن تصلينا فالقرابة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريبُ

---

(١) قبالة وازاء (٢) الم باشر اللمم اي صغار الذنوب (٣) غير ظاهرة ولعلها شاب عنهُ اي دافع ولم يبالغ

ويروى له قوله عند احتضاره ايضاً :

ألا أبلغ بني حُجر بن عمروٍ وأبلغ ذلك الحيَّ الحديدا
باني قد هلكت بأرض قومٍ سحيقاً من دياركم بعيدا
ولو اني هلكت بارض قومي لقلتُ الموتُ حقٌّ لا خلودا
أعالج مُلك قيصرَ كل يومٍ وأجدر بالمنيَّة ان نقودا
بارض الشام لا نسبٌ قريبٌ ولا شافٍ فيُسنِدَ او يعودا
ولو وافقتهنَّ على أُسيسٍ وحافةَ اذ وردنَ بنا ورودا
على قُلُصٍ تظلُّ مقلَّداتٍ أزمتهنَّ ما يعدقن (١) عودا

(توفي سنة ٥٢٩ م وقيل في غيرها) ستأتي البقية

الاتون الكهربائي

وعمل الماس والياقوت

اذا بلغت الحرارة درجة واحدة فوق الصفر اذابت الثلج وصيرتهُ ماء واذا بلغت مئة درجة أغلت الماء وصيرتهُ بخاراً . واذا بلغت ٣٢٦ درجة صهرت الرصاص وصيرتهُ سائلاً واذا بلغت ٩٦٠ درجة صهرت الفضة واسالتها واذا بلغت ١٠٦٢ درجة صهرت الذهب واسالتهُ واذا بلغت ١٠٨٠ درجة صهرت النحاس واذا بلغت ١٦٠٠ درجة صهرت الحديد وهي اشد حرارة يوصل اليها في الاتون الذي يوقد فيهِ الفحم ويجري فيهِ الهواء السخن بدل الهواء البارد. لكن من المعادن ما لا يصهر بهذه الحرارة كالبلاتين والاسميوم فلا يمكن صهرهُ في الاتاتين العادية . فان البلاتين لا يصهر الَّا عند الدرجة ١٧٧٠ والاسميوم لا يصهر الَّا عند الدرجة ٢٥٠٠ فكيف يمكن الوصول الى هذه الحرارة

لاحظ العلماء من عهد طويل انهُ اذا أُشعل الاكسجين والهيدروجين معاً تولَّدت من اشتعالهما حرارة شديدة جدًّا فصنعوا من ذلك ما سمي بالبوري الاكسيهيدروجيني ورأَوا ان الحرارة ترتفع فيهِ الى الدرجة ٢٠٠٠ فتذيب كل المعادن المعروفة ما عدا الاسميوم وهذه الحرارة تقارب حرارة باطن الارض التي اذابت المعادن وكوَّنت منها الحجارة الكريمة كالياقوت فان هذا الحجر الكريم يكاد يكون الومينا صرفاً والالومينا هو الطفال او الدلغان

(١) تروى هكذا والصواب يعرقن اي يقشرن من عرق اللحم عن العظم اي جردهُ .

وهو طين كثير الوجود جدًّا ولا قيمة لهُ لكثرتهِ فاذا سحق ووضع مسحوقهُ في البوري الاكسهيدروجيني ذاب من شدة الحرارة والتحمت دقائقهُ بعضها ببعض وصارت مادة زجاجية شفافة وهي الياقوت الصناعي الذي لا يفرق عن الياقوت الطبيعي لا في لونهِ ولا في صلابتهِ بل قد يكون اجمل لونًا واشدّ صلابة من الياقوت الطبيعي وهو يجتمع على طرف البوري نقطًا صغيرة او كبيرة وقد يبلغ وزن الكبيرة ١٠ قراريط الى ١٥ قيراطًا

لما تمكّن العلماء من عمل الياقوت خطر لهم ان يحاولوا عمل الماس . ومن المؤكد ان الماس فحم متبلور فاذا امكن ان يصهر الفحم من غير ان يحترق ثم يترك حتى يتبلور فلا يبعد ان يصير ماسًا غالي الثمن لكن حرارة الاتون العادي لا تصهر الفحم ولم تكن تعرف طريقة لصهرهِ الى ان بحث الاستاذ مواسان في هذا الموضوع فوجد ضالتهُ في الاتون الكهربائي فانهُ اذا اتصل القطبان الكهربائيان في بوتقة ارتفعت الحرارة الى الدرجة ٢٧٧٠ بميزان سنتغراد او الى درجة ٥٠٠٠ بميزان فارنهيت . وقد خطر لهُ ان الماس قد يصنع بواسطة الاتون الكهربائي من رؤْيتهِ حجارة صغيرة من الماس في بعض الحجارة النيزكية فقد أُرسلت اليهِ قطعة من النيزك الذي وقع في وادي ديابلو باميركا فحللهُ ووجد فيهِ حجارة صغيرة من الماس الاسود والماس الابيض الشفاف فاستنتج ان الكربون صُهر وهو في الحديد ثم تبلور فصار ماسًا . ولا بدّ ان الحرارة التي صهرتهُ كانت شديدة جدًّا تكفي لصهر الحديد وتزيد فلما برد تبلور كما تتبلور اكثر المواد التي تبرد بعد ما تكون مصهورة . ولكن لا بدّ من ضغط شديد حتى يتبلور الماس في الحديد وهذا الضغط يحصل من تجمد سطح الحديد بغتةً فان داخلهُ يتمدّد حينما يشرع في التبلور ولا يجد الى تمددهِ متسعًا لان سطح الحديد الظاهر يكون قد جمد فيضغط باطنهُ بعضهُ على بعض ضغطًا شديدًا جدًّا فيتبلور الكربون الذي فيهِ من البرد والضغط . وقال المسيو مواسان انهُ اذا استطاع ان يقلّد الطبيعة فيذيب الكربون في قطعة من الحديد المصهور بحرارة شديدة جدًّا كالحرارة التي في باطن الارض او كالحرارة التي تذوب بها الحجارة النيزكية الساقطة من الجو حتى يصهر بها الكربون وهو في قلب الحديد صار ماسًا حينما يبرد ويجمد

فلجأَ الى الاتون الكهربائي الذي تبلغ حرارتهُ ٢٧٧٠ درجة كما تقدم اي تزيد اكثر من الف درجة على الحرارة اللازمة لصهر الحديد وهي ليست حاصلة من فعل كيماوي كالحرارة الناتجة من احتراق الوقود بل من تحوُّل القوَّة الكهربائية الى حرارة

ويؤَلف الاتون الكهربائي من قطبين من الكربون قطر كلٍّ منهما بوصتان او ثلاث

يتصلان في حفرة مصنوعة في قطعة من الطباشير فوق بوتقة من الكربون ويغطى ذلك بطبقة من الطباشير حتى تنحصر الحرارة كلها داخل الحفرة . والطباشير غير موصل للحرارة فيستطيع الانسان ان يضع يدهُ عليهِ من الظاهر بل يضع عليهِ قطعة من الثلج فلا تذوب الّا بعد مدة طويلة مع ان نار الجحيم تتأجج في باطنهِ. ويخرج من شقوق هذا الاتون ألسنة من اللهب تبهر العيون بنورها الساطع فلا يستطيع العمال ان ينظروا اليها ما لم يلبسوا عوينات من زجاج اسود لشدة سطعانها . ومتى بلغت الحرارة الدرجة ٢٧٧٠ اذابت كل شيء تقريبًا حتى الطباشير نفسهُ يصهر من الداخل ولكنهُ لا يصهر من الخارج لانهُ غير موصل للحرارة كما تقدم واذا وضعت في البوتقة قليلاً من الرمل صهر حالاً واستحال بخارًا . وقوة المجرى الكهربائي الذي يستحيل الى حرارة تساوي قوة ١٥٠ حصانًا ولذلك فالاتون الكهربائي كثيرة النفقة لا تقل نفقتهُ عن عشرة جنيهات في الساعة وعن مئة جنيه في اليوم

لما استتبَّ للمسيو مواسان استخدام الاتون الكهربائي وحاول تقليد الطبيعة في عمل الماس وجد ان الحديد يصهر بسهولة عند حرارة هذا الاتون ويذيب كثيرًا من الكربون . وكان عليهِ ان يبرد الحديد بغتةً حتى يجمد سطحهُ ويشتد الضغط على باطنهِ ليتبلور ويحاول التمدُّد فلا يجد اليهِ سبيلاً . فجعل يذيب الحديد اولاً في الاتون ثم يزج فيهِ قطعًا صغيرة من الكربون ويغطي الاتون حتى اذا حسب ان الكربون ذاب في قلب الحديد الذائب فتح الاتون واخرج البوتقة منهُ بملقط طويل وزجها في سطل من الماء البارد فيتطاير الشرر منها في كل ناحية بازيز شديد . ثم وجد انهُ تتكون طبقة من بخار الماء حول البوتقة تقيها من برودة الماء فجعل يبرّدها في الرصاص المصهور لان الفرق بين حرارتها وحرارة الرصاص المصهور عظيم جدًّا فالرصاص المصهور حرارتهُ ٣٢٦ درجة والبوتقة حرارتها ٢٧٧٠ درجة

وحينما تبرد البوتقة يوضع الحديد الذي فيها في حوامض تذيبهُ فتبقى منهُ قطع الكربون المتبلور ماسًا اسود وابيض ويفرق بين الماس الاسود والابيض بوضعهما في سائل يغرق فيهِ الماس الابيض ولا يغرق الماس الاسود. والابيض بلورات شفافة كالماس الطبيعي تمامًا لكن حجارتهُ التي صُنعت حتى الآن صغيرة جدًّا . ولو صنع مواسان او غيرهُ حجارة كبيرة تباع كما يباع الماس الطبيعي أترى كان يفشي سر عملهِ ويخبر ان حجارتهُ صناعية لا طبيعية أوَ لا يرجح ان شركات مناجم الماس التي تربح خمسة ملايين جنيه كل سنة من مناجمها تبادر وتشتري منهُ حق اكتشافهِ وتكتم امرهُ لكي لا يرخص ماسها ولو مدة وجيزة

هذا وفوائد الاتون الكهربائي كثيرة جدًّا مثل كل ما بني على الكهربائية او نتج عنها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وانتخاب النواب في انكلترا

كتبت لادي مود سلبورن قرينة ارل سلبورن الذي عين حاكماً لجنوب افريقية مكان اللورد ملنر وابنة مركيز سلسبري المتوفى مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن منح النساء حق الانتخاب في انكلترا اسوة بالرجال فقالت ما يأتي

ان النساء اللواتي يدفعن ضرائب هنَّ غالباً من صاحبات الاملاك ومن المتقدمات في السن . وكثرة علاقتهنَّ بالاشغال والاعمال صيرتهنَّ معروفات في البلاد وصاحبات كلمة مسموعة وهنَّ لو كنَّ رجالاً لنلنَ حق الانتخاب بلا جدال

والذين يعترضون على منح النساء حق الانتخاب فئتان . فئة تقول ان النساء لا يصلحن للانتخاب لان منحهنَّ هذا الحق يبعدهنَّ عن صفات النساء وانهنَّ لا يستطعن اتباع حكم العقل في ذلك بل يستسلمن لهوى النفس . وفئة تقول ان منحهنَّ هذا الحق لا يضرُّ بل ربما افاد ولكنهُ يكون توطئة لامر اعظم شأناً وهو منح هذا الحق للمتزوجات ايضاً وهذا الامر لا يستحب ولا يرغب فيهِ

وعندي ان اعتراضات الفئة الاولى هي الاعتراضات الجديرة بالرد . اما اعتراض الفئة الثانية فجوابي عليهِ موجز بسيط وهو ان منح المرأَة المتزوجة حق الانتخاب بمنزلة تقوية اقتراع زوجها اذ ٩٥ في المئة من المتزوجات يقترعن مثل ازواجهنَّ وعليهِ أرى ان منحهنَّ حق الانتخاب ليس لازماً لهذا السبب

ولننتقل للرد على الفئة الاولى وهي اما رجل يغار على الدستور ويخشى من ادخال مبدإٍ جديد اليهِ . او رجل عزيز النفس كريم الطبع يحملهُ اكرامهُ لجنسنا ان يخاف علينا من التعرض لعدوى السياسة والتلوث بادرانها . او رجل كثر اختلاطهُ باهل الطبقة الدنيئة منا فبات وهو لا يخشى المجاهرة باحتقار النساء كلهنَّ . وهؤلاء الرجال مجمعون على الخوف من ان يكون منح النساء لحق الانتخاب طامة كبيرة على الامة

فلننظر الآن في ما اذا كان ثمة دليل على ان كوننا نساء يمنعنا من ابداء اراء رشيدة صائبة في امور السياسة وانتخاب افضل الرجال لاخراج تلك الاراء من القوة الى الفعل . لست انكر ان الرجال يستطيعون فعل امور كثيرة لا يستطيع النساء فعلها فانهنَّ لا يستطعن النبوغ في الموسيقى بل لم تقم منهنَّ امراة نبغت فيها الى الآن واريد بذلك انهُ لم تقم امراة ابتكرت نغمة او لحناً من الحان الموسيقى . وقليل منهنَّ نبغن في فنون النقش والتصوير والنظم واللواتي نبغن لم يبلغنَ المرتبة الاولى مع ان الفرص سنحت لهنَّ لدرس تلك الفنون وممارستها ولكن المقدرة السياسية او التضلُّع من علم السياسية مهما شئت سمّهِ اكثر شيوعاً بين النساء منهُ بين الرجال كما يتضح من المقابلة ومراجعة التاريخ . فان النساء اللواتي تولين زمام الحكومات فكنَّ ملكاتٍ ووصياتٍ قليلاتٌ وهنَّ لم يُختَرْنَ لمقدرة خصوصية فيهنَّ بل لاسباب اخرى مثل انقطاع الذكور من العائلة المالكة او غياب ازواجهنَّ او موتهم ولكن ازمنة حكمهنَّ كانت موسومة بالنجاح والارتقاء في كلّ عصر وامة . وامم كثيرة — والامة الانكليزية في مقدمتها — خطت اوسع الخطى في مضمار التقدم والارتقاء مدة حكم النساء. فهل راى الناس ان الملكات كنَّ شديدات الانفعال والتأثر في امور الملك الى ما فاق الحدّ . وهل ضحَّين خير شعوبهنَّ على مذبح عواطفهنَّ النفسية . وهل كانت تنقصهنَّ الجرأة والشجاعة الادبية في الدفاع عن شرف البلاد حين الحاجة . كلاّ ثم كلاّ

وعليهِ يرجح انهُ كما كانت الواحدة منا فكذلك تكون الجماعة التي أُخذت الواحدة منها

تهذيب النساء

معرفة النفس باب الصلاح والاصلاح وعليهِ قال احد الفلاسفة "ايها الانسان اعرف نفسك" فان الذي يرى نفسهُ كما هو يسهل عليهِ اصلاح عيوبهِ والذي يرى نفسهُ فوق ما هو تخفى عليهِ عيوبهُ ولكنها لا تخفى على غيرهِ

لا نكاد نتصفح مجلة من مجلات الغربيين الشهيرة او نقرأ كتاباً من كتبهم الاجتماعية الا ونرى فيهما بحثاً في المواضيع العمرانية التي هي اساس التمدن الغربي كحرية المرأة ومقامها في الهيئة الاجتماعية وما اشبه . والغريب في ما يكتبونهُ عن المرأة عندهم انهم يصفون لك حالها باوصاف لا تكاد تميزها عن المرأة الهمجية فيغضون عن حسناتها ويكبرون سيئاتها قصد الاصلاح لا غيرُ

كتبت كاتبة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر تحت عنوان "تدبير المنزل

والامة " قالت فيها ما خلاصتهُ

اذا جلنا في قرى البلاد نرى فيها كثيرين من الاولاد ذوي الاوجه الممتقعة والاجسام الضئيلة والصدور الضيقة والافواه التي لا اسنان فيها مثلما نراه في اكثر شوارع لندن ازدحاماً. وعليهِ فلا يمكن ان يكون الازدحام سبب ذلك بل السبب الحقيقي الوحيد ان نساءنا لا يعلمن شيئاً من الواجبات التي فرضتها الطبيعة عليهنَّ . فان البنات كثيراً ما يتزوجن باكراً وهن لا يعلمن ما اذا كنَّ صالحات لحمل الاولاد ولا كيف يربينهم بعد ولادتهم . وتراهنَّ يفتخرن بما تعلمن في المدارس من العلوم البسيطة فاذا سألتهنَّ اين بطرسبرج او ما هي طريقة استخراج الفائدة المركبة فربما أجبن بالصواب ولكنَّ تمرينهنَّ على الاشغال المنزلية البسيطة عن ايدي امهاتهنَّ اولاً وايدي مربيات يخترن لذلك ثانياً من الامور التي أُهملت الآن بعد ما كان المعوَّل عليها في سالف الزمان . وغاية ما تسعى اليهِ البنت اذا لم تتزوج ان تدخل في خدمة التلغراف او تتعلم الكتابة على الآلة الكتابية لا ان تكون خادمة في المنازل . واما التي تتزوج فان في رأسها قدراً كافياً من المعرفة يجعلها تحتقر الاشغال البيتية وتكبُّ على قراءة الجرائد والمجلات الرخيصة الثمن التي تصدر بالالوف لمطالعة البنات اللواتي من طبقتها وتشتري معظم طعام عائلتها ولباسها من الخارج فلا تتعب بطبخ ولا خياطة وهمها الاول فطم طفلها باسرع ما يمكن تخلصاً من تعب الرضاع

وليس ثمة سوى وسيلة واحدة لاصلاح بنية الاولاد وهي تعليم النساء الواجبات المنزلية التي كانت فخر امهاتهنَّ وجداتهنَّ وسبب سعادتهنَّ مثل عمل الخبز والطبخ والخياطة وتربية الاولاد والعناية بانفسهنَّ قبل ولادة اولادهنَّ . فان المرأة الانكليزية الآن اكثر نساء الارض جهلاً لتدبير منزلها وقد كانت افضلهنَّ في ذلك منذ مئتي عام . فكم من بنت لا تعرف كيف تخيط زرًّا على قميص ولا تعرف كيف تمشط شعرها وتعقصهُ . وقد عرفت امراة متزوجة كانت اذا غابت خادمتها الخصوصية عن المنزل عدة ايام لا تجسر ان تحلَّ شعرها خشية ان لا تستطيع مشطهُ وعقصهُ ثانية

وربَّ معترضة تقول لماذا أعقص شعري وعندي من تعقصهُ لي ولماذا اذهب الى المطبخ واراقب ما يجري فيهِ اذا كان عندي من هو اخبرمني بذلك . فالجواب انهُ اذا كانت المرأة تستطيع اقتناء الخدم وكانت الاعمال التي يعملونها على اتمّ المرام كما هي الحال عليهِ في بعض المنازل فلها بعض العذر في اهمال امور بيتها اتكالاً على همة خدمها وامانتهم. ولكن من رأيي ان تطلع على كلّ ما يجري في منزلها وتراقب كلَّ حركة وسكنة بنفسها ان لم يكن لقصد غير القدوة فكفى

وخير حلّ لهذه القضية ان تعلّم المرأة ان تدبير امور بيتها واولادها ليس امرًا دنيئًا ولا هو علامة انحطاط عقليّ بل هو غاية وجودها وانهُ ما لم تدرك هذه الغاية لا يحقّ لها ان تهتمّ بجمعية ولا برياضة ولا بقراءة كتب الادب ولا بتعلم فنّ من الفنون الجميلة . وليس يصعب على المرأة ان تكون جميلة فتّانة وعالمة بتدبير شؤُون بيتها معًا . فان النساء الفرنسويات يجمعن بين هذين الامرين فهنّ افتن نساء الارض للعقول ومن افضلهنّ تدبيرًا لمنازلهنّ . والنساء الالمانيات قلما يبالين بالفنون الجميلة ولكنهنّ صاحبات علم وخبرة في جميع الشؤُون وموصوفات بحسن تدبير منازلهنّ فلماذا لا تكون المراة الانكليزية مثل الفرنسوية في حسن هندامها وكياستها ولباقتها ومثل الالمانية في علمها وتهذيبها وحسن تدبيرها لمنزلها . انتهى

طعام الفطيم

اذا فطم الطفل وعمرهُ تسعة اشهر يطعم الطعام الآتي :

الساعة السابعة صباحًا — ١٢ ملعقة كبيرة من اللبن الحليب وملعقة من القشدة وملعقة صغيرة من سكَّر اللبن وثلاثة ملاعق كبيرة من الماء تمزج لهُ معًا

الساعة ١٠ ١/٢ لبن وسكر وماء كما تقدَّم ومعلقتان صغيرتان من طعام ملن Mellin الذي يطعم للاطفال تذابان في ماء سخن وتضافان الى اللبن

الساعة ٢ بعد الظهر كما أُطعم الساعة ١٠ ١/٢

الساعة ٦ " " " " "

الساعة ٧ " " كما أُطعم الساعة ٧ صباحًا

ومن سن العشرة اشهر الى سن الاربعة عشر شهرًا يطعم كما يأتي

الساعة ٧ صباحًا ١٥ ملعقة كبيرة من اللبن الجيد وملعقة من القشدة وملعقة من طعام ملن وثلاثة ملاعق من الماء تمزج معًا

الساعة ١٠ ١/٢ فنجان كبير من اللبن الفاتر

الساعة ٣ بعد الظهر صفار بيضة مسلوقة وقليل من الخبز او فنجان من مرق اللحم فيهِ قليل من الخبز

الساعة ٦ بعد الظهر مثل طعام الساعة السابعة

الساعة العاشرة مثل طعام الساعة ١٠ ١/٢ . ومن الشهر الرابع عشر الى الثامن عشر يبقى طعامهُ في الخمسة الاوقات المتقدمة ففي الوقت الاول فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز

يُفت فيهِ ويجب ان يكون الخبز بائتاً لا جديداً . وفي الثاني فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث فنجان من المرق وقليل من الخبز ومعلقة كبيرة من الرز المطبوخ باللبن والسكر . وفي الرابع كما في الاول . وفي الخامس ملعقة كبيرة من طعام ملن وفنجان كبير من اللبن

ويمكن ابدال الطعام هكذا في الوقت الاول صفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز وفنجان من اللبن . وفي الثاني فنجان من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث قليل من البطاطس المسلوقة المدقوقة واربعة ملاعق من خلاصة اللحم وقليل من اللبن الرائب

ومن الشهر الثامن عشر الى نهاية السنتين يطعم اربع مرات في النهار . في الفطور فنجان كبير من اللبن وصفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز والزبدة وقبيل الظهر فنجان من اللبن وقليل من البسكويت والظهر او بعده قليلاً فنجان كبير من مرق اللحم او الشوربا وقليل من الخبز وصحفة من الرز المطبوخ باللبن والسكر

وعند العشاء فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة

والاعتماد في طعام الاطفال على الخبز واللبن والرز المطبوخ باللبن والسكر مع قليل من مرق اللحم ويحسن اطعامهم شوربا الرز او شوربا العدس ولا بأس بالعدس المقشور اذا كان مطبوخاً مع الرز

والماء لازم للاطفال دائماً فاسقهم قدر ما يشربون منهُ بشرط ان يكون نقياً

ويتفق أن معد الاطفال لاتهضم اللبن وهذا نادر فيجب ان يبدل حينئذٍ بما يقوم مقامهُ من المآكل المغذية كالشوربا ونحوها

ولا بأس باطعام الصغار قليلاً من اللوز والفستق ونحوهما مما فيهِ من المواد الزيتية ولكن لايجوز الاكثار من ذلك

حب الصبا

يخرج من مسام الوجه مادة دهنيَّة ولاسيا في سن البلوغ وبعدهُ وقد يعاق خروجها لضعف الجلد فتتصلَّب ويسودُّ ظاهرها المعرَّض للهواء فتظهر في الوجه والانف والجبهة نقطاً سوداً فاذا عُصرت خرج منها مادة بيضاء دقيقة كالدود. وقد يلتهب مكانها قبل خروجها ولا بدَّ من الاعتناء بالصحة والهضم اولاً . ويوضع على حب الصبا خرقة ناعمة مبلولة باللبن الغالي ثم يغسل الوجه بالماء البارد. وتنزع المادة الدهنية بالعصر ويعاقب على مكانها بالماء الحار والبارد دواليك

حتى يتقلص الثقب الباقي هناك ويزول . ثم توضع عليهِ لبخ من المزيج التالي وهو اوقية من مذوب كربونات البوتاسا واوقيتان من ماء كولونيا واربع اواقي من الكنياك ولا بدَّ من الاعتناء بالامعاء حتى لا يكون فيها قبض

ويحسن غسل البثور بالماء المضاف اليهِ نقط قليلة من الحامض الكربوليك

النمش

الشمس ضرورية للصحة ولكن التعرُّض لها طويلاً قد ينتج النمش في الوجه . ومن اسهل الوسائل لازالة النمش الغسل بعصير الليمون الحامض . ويجب ان يبقى العصير على الوجه بضع دقائق ثم يغسل بالماء النقي البارد وينشف . ولا بدَّ من غسل الوجه جيدًا بالماء والصابون قبل وضع عصير الليمون الحامض عليهِ



تلقيح الاثمار

ذكرنا في عدد يونيو الماضي تحت عنوان تلقيح الاثمار ان رجلاً انكليزيًّا يعمل في زراعة الاثمار وتربيتها وتلقيحها بعضها من بعض حتى خرجت فائقة في منظرها وطعمها واشتهرت في جميع الاقطار . وذكرنا ايضاً ان زارعاً اميركيًّا مشهورًا اسمهُ بربنك يحذو حذوهُ وانهُ لقح كثيرًا من الاثمار بعضها ببعض فخرجت من ذلك انواع تفضل الاولى منظرًا وطعماً وظفر باستخراج برقوق بلا نواة وخرج من عندهِ نوع من الصبر بلا شوك يعيش بلا ماء في كل اقليم وتمكن من جعل الخوخ والبرقوق والنكتارين تحتمل البرد ولو على درجة الجليد الى غير ذلك مما ذكرناهُ في مكانهِ

وقد خطر للاستاذ ده فريس صاحب مذهب التحوُّل الفجائي الذي بسطناهُ في عدد يوليو الماضي ان يزور بربنك في مدينة سانتا روزا بكليفورنيا ويرى بالخُبر ما سمعهُ عنهُ بالخَبر فقصدهُ في جماعة من العلماء والاصدقاء منهم الاستاذ سفنت ارهينيوس الذي وضع اساس الكيمياء الطبيعية هو وهوف والاستاذ جاك لوب الفسيولوجي والاستاذان وكسون واوستزهوت

من كلية كليفورنيا وبعد ان شاهد ما شاهدهُ كتب مقالة في هذا الموضوع نلخصها من مجلة العلم العام الاميركية

ذكر اولاً حسن مقابلة بربنك لهُ ولرفقائهِ وانهُ رجل عزب يعيش مع امهِ وشقيقتهِ في منزل بسيط وانهُ لا يقصد من اهتمامهِ بالزراعة شهرة او جمع ثروة بل زيادة اسباب الرفاه للناس بما يولّدهُ كلّ يوم من الاثمار الجديدة اللذيذة . ثم قال :

اخذنا بربنك ذات يوم الى بستانهِ وأوقفنا امام شجرة مثقلة باثمار البرقوق وكانت الاثمار زرقاء اللون تجذب الابصار اليها بجمالها ولكنها صغيرة . فقطف بعضها وطلب منَّا ان نعضّها باسناننا ففعلنا ومع اننا كنا نعلم ان لا نوى فيها لم نتمالك من اظهار العجب والدهشة لما فلقنا الاثمار ووجدنا داخلها بزورًا مثل اللوز شكلاً وطعماً ولكن بلا نوى ووجدنا مكان النوى طبقة بقوام الهلام فيها بعض آثار النوى . فقال لنا انهُ لا يقنع بذلك بل لابدّ ان يوالي التجارب حتى يزول كلّ اثر للنوى وان عندهُ اشجارًا اخرى تحمل اثمارًا لا اثر فيها للنوى البتة

وبينما نحن كذلك اخبرنا الاستاذ اوسترهوت بما جرى للاستاذ بايلي استاذ الزراعة في كلية كورنيل مع بربنك وهذه الشجرة فقال ان بربنك جاء بالاستاذ بايلي واوقفهُ تحتها والاستاذ يجهل ان اثمارها بلا نوى فاراد ان يمزح معهُ وكان بايلي قد قال انهُ يستحيل وجود برقوق بلا نوى فقطف بربنك لهُ ثمرة وطلب منهُ ان يعضّها باسنانهِ فلم يفعل بل تناول سكينهُ من جيبهِ وجعل يقطع بها اللبّ لاظهار النواة اعتقادًا منهُ انها محاطة بقشرة صلبة فلما لم يجد اثرًا لها دهش اعظم دهشة

وكنت قد قرأت في بعض الجداول التي يصدرها بربنك محتوية اسماء الاثمار التي عندهُ واثمانها ذكر برقوق بلانوى فلم اكد اصدق وقلت في نفسي كيف يمكن احداث تغيير عظيم مثل هذا في الاثمار فان الانواع الجديدة التي تنتج عن التلقيح لا تتضمن صفات جديدة بل هي مجموع جديد لصفات موجودة في الانواع الملقحة منها . وهذا مبدأٌ جوهري في التلقيح . على انهُ وان كان فقد النواة خسارة لا ربحًا الاَّ انهُ خسارة خارجة عن دائرة ايجاد الانواع المجنسة وعليهِ لم تكن دهشتي اقل من دهشة الاستاذ بايلي عند قراءة ذلك فعزمت منذ زمن طويل ان اسأل بربنك ما هو السر الذي تمكن بهِ من احداث ذلك التغيير الجوهري في النبات وهل كان ذلك قصدًا او اتفاقًا . فما صدقت ان التقينا حتى سألتهُ هذا السؤال معتقدًا ان النتيجة العلمية من زيارتنا تتوقف على جوابهِ . فأجابني جوابًا بسيطًا لم اكن انتظرهُ وهو " انهُ كان في فرنسا منذ نحو قرنين نوع من البرقوق بلا نوى ولا يزال منهُ شجر الى الآن

فاشتريت ثمره وزرعت بزره ولقحت منهُ البرقوق الذي عندي". وعليهِ لم يشذ بربنك عن القاعدة المذكورة آنفاً اي انهُ لم يحدث نوعاً من الاثمار يتضمن صفات جديدة بل صفات قديمة

فخاب ظني وظن الاستاذ لوب لاننا كنا نؤَمل ان نتعلم شيئاً كثيراً عن الصفات الجديدة واصلها وهو الاساس الذي نبني عليهِ دروسنا ومباحثنا

وليست هذه اول مرة خاب فيها ظني من هذا القبيل . فاني كنت منذ عشرين سنة ابحث في هذا الموضوع فاكتشفت القاعدة المذكورة آنفاً وهي ان التلقيح لا يولد صفات جديدة بل يجمع بين صفات قديمة . وجاءَت تجاربي كلها مطابقة لهذه القاعدة ولكن ظهر بعد ذلك ما كدت اعتقد انهُ شذوذ عنها وهو اعلان لموان في نسي وهو اشهر من لقح الاثمار ورباها في فرنسا انهُ استخرج زنبقاً مضاعفاً بالتلقيح بين انواع الزنبق المفرد . فزرتهُ في نسي وسألتهُ كيف توصل الى ذلك فأجابني "هذا امر بسيط جدًّا فاني رأيت وانا صغير نوعاً من الزنبق المضاعف في حديقة لاحد اقاربي فاشتريتهُ الآن ولقحت بهِ انواع الزنبق المفرد التي عندي فخرجت مضاعفة كما ترى"

ولنعد الى بربنك فاقول انهُ أرانا كبوشاً من كبوش العليق كبيرة الحجم لذيذة الطعم فسألتهُ كيف استخرجها فقال انهُ استخرجها من كبوش برية بيضاء تنبت في كليفورنيا

ومن غرائب اعمالهِ عنايتهُ الشديدة بالصبر الذي لا شوك لهُ وهو ينبت في صحاري كاليفورنيا و يعرف بالتين الهندي والبقر ترعى ثمرهُ بشراهة لكثرة مائهِ وقلة شوكهِ وهو كثير الغذاء . وقد يدهم المواشي الجوع فتأكل النبات كلهُ ولكن جذعهُ كثير الشوك . فاذا سلق لان الشوك الذي عليهِ واصبح طعاماً مغذياً ولكن سلقهُ يحتاج الى نفقة فاذا امكن استخراج صبر بلا شوك بطريق من الطرق زرعت بهِ الصحاري فحولها مراعي نضرة تسام فيها الانعام

فلبلوغ هذه الغاية جاءَ بربنك بصبر بريّ من المكسيك وجنوب افريقية وبلاد اخرى وبصبر من النوع العادي . واتفق انهُ كان بين الانواع المختلفة التي جاءَ بها نوع بلا شوك على ورقهِ ونوع آخر بلا شوك على اغصانهِ فرأَى ان يستخرج من هذين النوعين نوعاً ثالثاً يجمع صفاتهما فيكون بلا شوك على ورقهِ واغصانهِ . وهو الآن يجرب التجارب الكثيرة ولا يمضي زمان طويل حتى يفوز بأربهِ

وطريقة انتقائهِ للاثمار هي انهُ يجول بين الاشجار بعد حملها فيعلّم كلّ شجرة تحسن في عينيهِ فيستبقيها ويقطع كلّ شجرة لا تصلح لسبب من الاسباب فلا يبقى بعد جولتهِ هذه سوى النصف منها ثم يعيد نظرهُ في النصف الآخر وينتقي منهُ الاصلح . كان مرة يعرض

٦٠ الف فسيلة من فسائل الكبوش لينتقي منها صنفاً جديداً وكانت مثقلة بالاثمار فانتقى البعض القليل واقتلع الباقي واحرقهُ

وربّى مرة ٦٥ الف فسيلة فانتقى منها نحو مئة ثم جمع الباقي وهو مثقلٌ بالاثمار فاحرقهُ وهو يفعل ذلك ١٥ مرة كل سنة

وما يفعلهُ بالاثمار يفعلهُ بالازهار ايضاً من حيث التطعيم والتلقيح والانتقاء فتخرج الازهار بديعة في الوانها واشكالها شذية في روائحها. جمع مرة ١٥ الف وردة قضى في تربيتها السنين الطوال فانتقى ثلاثة منها واتلف البقية غير آسف . وانتقى ٥٠ بصلة من الزنبق من نصف مليون فزرع الاولى واباد الثانية وهذا ما لا بدَّ منهُ في تحسين نتاج الاثمار والازهار

ولا يكتفي بتطعيم صنف من آخر بل يطعم عدة انواع بعضها من بعض حتى تجتمع صفات الانواع المختلفة في النوع الذي يراد استخراجهُ منها. وقد طعّم البرقوق بالمشمش فخرج من ذلك ثمر جديد سماهُ " بلامكوت " نسبة الى البرقوق والمشمس معاً اما طعمهُ فلذيذ جداً واما منظرهُ فاشبه بالمشمش في نعومة ملمسهِ وبالبرقوق في لونهِ ثم استخرج منهُ اصنافاً مختلفة في لونها فمنها اصفر ومنها احمر ومنها وردي ومنها ابيض وطعمها مختلف ايضاً

ومما ينظر اليهِ في تربية الاثمار وتحسين نوعها ان تكون صلبة بحيث يسهل ارسالها الى البلدان البعيدة من غير ان تفسد . وان تزرع في تربة لم تكن تصلح لها سابقاً . وان تكون الاشجار كثيرة الحمل تقوى على احتمال الصقيع الى حدٍّ محدود ففاز بعض الفوز حتى صارت اثمار كليفورنيا مشهورة في اوربا ترسل اليها ولا يصيبها تلف مع ترامي الشقة وكثرة مشقة السفر بينهما برّاً وبحراً

المن والندوة

ظهر المن في بعض الجهات على شجر القطن وهو مقدمة لظهور الندوة العسلية التي تتلف القطن تماماً . وقد اشار البعض بقتل المن بمذوب الصابون على هذه الكيفية

قطّع رطلاً من الصابون حتى ينعم جيداً واذبهُ في اربعة اكواز من الماء الغالي واضف الى المذوب اربعة عشر كوزاً من نفاية الصابون (وهي سائل يبقى في الاناء التي يصنع الصابون فيهِ ولا ثمن لهُ او ثمنهُ بخس جداً) واغلِ المزيج نصف ساعة واتركهُ حتى يبرد فيختثر ويصير كاللبن ضعهُ في القناني الى حين الاستعمال وضع رطلاً من هذا المزيج في رشاشة واضف اليهِ خمسة وعشرين رطلاً من الماء وحركهُ في الرشاشة جيداً ورش بهِ ورق القطن

من اعلاهُ ومن اسفلهِ فيموت المن عليهِ ويسلم القطن ويستفيد من محلول الصابون لانهُ كالسباخ لهُ ويسلم من الندوة وقد جرَّبناهُ فوجدنا فائدتهُ قليلة

الاراضي الزراعية في الفيوم

اشرنا في باب التقاريظ الى كتاب وضعهُ الجيولوجي المستر بدنل عن جيولوجية الفيوم وطبوغرافيتها وقد رأينا في هذا الكتاب فصولاً يحسن نشرها في باب الزراعة لما فيها من الفوائد الزراعية ومن ذلك فصل عن الاراضي في الفيوم قال فيهِ ان مساحة الاراضي الزراعية في مديرية الفيوم ١٨٠٠ كيلومتر مربع (نحو ٤٣٠ الف فدان) وهي طفالية مثل اراضي وادي النيل مرتفعة في الجهات الشرقية والمتوسطة ثم تنحدر رويدًا رويدًا ولاسيما في الجهة الشمالية حيث الانحدار نحو بحيرة قارون . وتروى كلها من بحر يوسف الذي يمر في ممرّ ضيق من الارض واصل بين وادي النيل واطيان الفيوم فانهُ يفارق وادي النيل من عند اللاهون ويجري في طريق متعرّج في الصحراء مسافة ٥ كيلو مترات ويروي ارضًا ضيقة على جانبيهِ تتسع عند هوارة وتتصل باراضي الفيوم ثم ينقسم الى فروع كثيرة جدًّا تروي اطيان المديرية كلها . وهذه الاطيان تصرف كلها في بركة قارون ما عدا الغرق جنوبي الفيوم فانهُ يروى من فرع يأتيهِ من بحر يوسف حال دخولهِ المديرية ولكنهُ لا يصرف في البحيرة لبعدهِ عنها وارتفاع الارض بينهُ وبينها بل يبقى ماؤُهُ فيهِ

وحول هذه الاطيان الزراعية اراضٍ طينية رملية الى جهة الشمال والشمال الغربي والغرب تسمى بالاراضي البحيرية وهي من الاراضي القديمة التي كانت حول بحيرة قارون ممزوجة بما يحملهُ بحر يوسف اليها من طمي النيل وبما يصلها من الرمال التي تسفيها الرياح اليها مما حولها

لما انحسر ماء البحيرة في عهد البطالسة انكشف كثير من هذه الاراضي البحيرية وزرع بعضها ثم اهملت زراعتها وانحصرت الزراعة بعد ذلك في الاراضي النيلية التي يغطيها طمي النيل . ثم لما اصلح الري حديثًا وزاد الماء في بحر يوسف أُحييت بعض الاراضي البحيرية ولا سيما شمالي الطامية وقرب قصر قارون

اما بركة قارون فطولها ٤٠ كيلو مترًا ومعظم عرضها عشرة كيلو مترات ومساحة سطحها الآن ٢٢٥ كيلو مترًا مربعًا وهي قليلة العمق لم يجد السر همبري برَوْن فيها ما هو اعمق من خمسة امتار ولكن الصيادين يقولون ان فيها اماكن اعمق من ذلك وهي الى الجنوب الغربي

منها وقد كانت في قديم الزمان تغطي اكثر اراضي الفيوم ثم جعلت خزاناً للماء في عهد الملك امنمحات الاول فتنصب فيها زيادة مياه النيل وقت الفيضان ثم يجري الماء منها وقت التحاريق لمد النيل فتفعل فعل خزان اصوان الآن . ثم اهملت في عهد الفرس والبطالسة فصارت تصغر رويداً رويداً حتى بلغت مساحتها الحاضرة وكانت لا تزال آخذة في الهبوط والصغر فقد هبطت في العشر السنوات الماضية نحو نصف متر فانحسرت عن اراضٍ كثيرة احييت للزراعة

ولكن لابدَّ من ان يزيد ماء الصرف الذي يصب فيها باتساع مساحة الاراضي الزراعية فيبطل انخفاضها ثم تأخذ في الارتفاع وقد ارتفعت قليلاً سنة ١٩٠٤ واذا ارتفعت نصف متر فقط غمرت ارضاً واسعةً لان الاراضي على شاطئها مستوية قليلة الارتفاع في الغالب [1]

وقد استنتج الاستاذ شوينفورث ان لها مصرفاً تحت الارض ينصرف بهِ ماؤُها والاَّ لزادت ملوحتهُ عما هي عليهِ الآن

الحشرات والزراعة

ترد الاخبار تباعاً عمَّا اصاب القطن الاميركي من الضرر بسبب الحشرات التي تسطو عليهِ ويقال انهُ ما من بلاد تصاب بالحشرات اكثر من الولايات المتحدة الاميركية او ما من بلاد يظهر فيها ضرر الحشرات ويقدَّر بالضبط كما يظهر في تلك البلاد ويقدَّر فيها فان قيمة الحاصلات الزراعية فيها سنوياً الف مليون جنيه والحشرات تتلف منها عشرة في المئة كل سنة على الاقل وتتلف في بعض السنين اكثر من ذلك كثيراً فيكون ثمن ما تتلفهُ كل سنة مئة مليون جنيه على الاقل وهذا التلف لا يشمل ما يصيب الحاصلات بعد جمعها وخزنها كالسوس الذي يضرب الحبوب على انواعها والذي ينخر الخشب وقد لا يقل الضرر منهما عن اربعين مليون جنيه فيكون ضرر الحشرات للزراعة الاميركية مئة واربعين مليون جنيه كل سنة على الاقل ولذلك لا عجب اذا بذلت الحكومة الاميركية اقصى جهدها وانفقت الاموال الطائلة واستخدمت كبار العلماء لاجل محاربة الحشرات وتقليل ضررها على قدر الامكان . وابن آدم في جهاد دائم واذا خلت الحياة من الجهاد والظفر خلت من البهجة واللذة

(١) رأينا البرشيا لي سهوراً كثير الارتفاع عن البحيرة حتى لو ارتفعت متراً او مترين لا تغمر الاَّ جزءا صغيراً منهُ

باب التقريظ والانتقاد

ديوان الرافعي

نشر الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي الجزء الثاني من ديوانهِ وهو الذي قال فيهِ نابغة شعراء العصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر

الشعر فوَّض امرهُ ونحاك في تفويضهِ
وعليك اسبغ بردهُ لتجرَّ ذيل رحيضهِ
فقبضتَ من مبسوطهِ وبسطت من مقبوضهِ
اشرقت فوق سمائهِ وسواك دون حضيضهِ
ديوان شعرك حيَّر الشعراء في تقريضهِ
ماذا يقول مقرظوهُ وانت رب قريضهِ

وقد اجمل الكاظمي في الوصف فابدع لكن الناس الفوا مبالغة الشعراء وغلوّهم فلا يبنون عليها حكمًا ولو كان الكاظمي ضنينًا بالمدح على غير اهلهِ ولذلك رأينا ان ننشر ابياتًا مقتطفة من هذا الديوان للدلالة على طريقة الناظم وامتلاكهِ ناصية هذه الصناعة وتفوقهِ في ابتكار المعاني او ابرازها في صورة حسناء ومن ذلك قولهُ في الفقر والغنى

واطراق الزمان يغرُّ قومًا وما اطراقهُ الّا افتكارُ
يظن المرء ان قد فرَّ منهُ ولكن كان منهُ لهُ الفرارُ
اذا وسعتَ في قفص لطير فكيف يفرُّ والقفص المطارُ

وقولهُ في تطرُّف العلماء

ارى للعقل حدًّا في التسامي كرمى الباصرات الى حدودِ
وكل تطرُّف العلماء جهل وبعض الجهل بالعلماء يودي
وسيَّان البصير وكلُّ اعمى اذا نظرا الى شيءٍ بعيدِ

وقولهُ في المرأة المصرية

تالله لو كان من علم وتربية شيءٌ يمازجهُ ذا الصبر والجَلدُ

اذا لما سخرت من بنت جمعتها مَن يومها السبت اومَن يومها الاحدُ
ياقوم لو نام ليث الغاب نومكمُ لاستنكف الفارُ أنْ قالوا له اسدُ

وقولهُ

دعي عنكِ الطلاءَ فليس حسناً واي حقيقة كانت مجازا
ومَن ذا غرَّهُ التحسينُ اني رأيت الشمس لاتحتاج غازا

وقولهُ

وقتيلٌ مَن كان في الغاب حيًّا تتولاَّهُ اعين الآسادِ
انما الناس ما يخلدهُ النا س وان كان امرهم للنفادِ
شدَّ ما يؤخذ الظلوم اذا ما سار في الناس سيرة استبدادِ
انما انفس الانام سيوف ان تحرَّكْ سالت من الاغمادِ

وقد طبع الديوان مشروحاً بقلم حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي وثمن النسخة منهُ خمسة غروش فقط وهو يطلب من المكتبة الازهرية بمصر ومن سائر المكاتب وحبذا لو اقلَّ الناظم من الغزل لان الشعراء لم يغادروا منهُ عامراً ولا متردماً واكثر من صوغ المعاني الجديدة في سياق الوصف والرواية والعرض والتخضيض

آفات المدنية الحاضرة

في بيروت جمعيةٌ ادبيةٌ تسمَّى جمعيةَ شمس البر يتمرَّن اعضاؤُها في الانشاء والخطابة ولا يتلى فيها الاَّ كل ما يهذّب الاخلاق و يثقف العقول وقد عينت منذ مدة جائزة لمن يؤَلف افضل كتاب في آفات المدنية الحاضرة يزيح النقاب عنها ويبين مضارها وطرق النجاة منها فنال هذه الجائزة حضرة الكاتب الغيور جرجي افندي نقولا باز على كتاب ألَّفهُ في هذا الموضوع واهداهُ الى المقتطف لانهُ "عامل على اذاعة المعارف في الشرق" ولاننا من مؤسسي جمعيةِ شمس البر

والكتاب يتناول كل الآفات التي لها علاقة بالمدنية الحاضرة او التي زادت بزيادة المدنية جريًا على ما قلناهُ غير مرة وهو ان العمران لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل لاتلافها بل زاد العقول استعداداً لنموها. وقد عدَّد المؤَلف ثلاثين آفة مثل المقامرة. والسكر. والعزوبة. والزواج. والعقم. وقلَّة الالفة العائلية. والانتحار. والتدخين. والبورصة. والاحتكار. والاعتصاب. والافلاس. والغش. والمجاملة. والمخاصرة. والحسر. والسل. والزهري. وشرح كل آفة منها وبيَّن مضارها مستشهداً باقوال مشاهير الكتاب. والمواضيع

التي تحتمل شرحاً مسهباً تضيق عنهُ صفحات هذا الكتاب وعد بشرحها في كتاب يفردهُ لها

ولا شبهة ان للمدنية الحاضرة شوائب كثيرة وان تبيين مضارها بالكتابة والخطابة والتعليم من افضل الوسائل لمقاومتها ولذلك احسنت جمعية شمس البر في اجازتها هذا الكتاب وطبعهِ على نفقتها فعسى ان يكون من المرغبات في اقتباس الفضائل واجتناب الرذائل وانَّا نسدي موَّلفهُ الاديب جزيل الشكر على الخدمة الجليلة التي خدم بها ابناء وطنهِ

جيولوجية الفيوم

The Topography and Geology of the Fayum Province ;
by H. I. L. Beadnell. F.G.S., F.R.G.S.

لم يكن يخطر بالبال ان علماء الجيولوجيا يجدون في مديرية الفيوم والصحراء المحيطة بها ابدع المكتشفات الجيولوجية كما وجد علماء الآثار في وادي النيل ابدع المكتشفات الاثريَّة لكن السنوات الاخيرة ارتنا الغرائب بهمة رجال المساحة الجيولوجية كما يظهر من مراجعة ما كتبناهُ عن مكتشفاتهم في سني المقتطف الماضية . وقد نشر المستر بدنل الآن كتاباً مسهباً عن جغرافية الفيوم وطبوغرافيتها ضمنهُ كثيراً من الحقائق التي اكتشفها هو وغيرهُ من رجال المساحة ورجال الري وسننشر بعضها في باب الزراعة وبعضها في باب المقالات تعميماً لفوائدها لان الكتاب باللغة الانكليزية

وانا لنأسف لان المستر بدنل ترك خدمة الحكومة المصرية ولكننا نرجو ان يجد في الواحات التي انتظم في خدمتها باباً اوسع للفائدة العلمية لانهُ لا يبعد ان يجد فيها عظام كثير من الحيوانات المنقرضة التي يجلي بها كثير من غوامض علم الجيولوجيا وعلم البليتنولوجيا

معين المبتدئين

في صرف ونحو اللغة العربية

هو كتيّب في صرف اللغة العربية ونحوها ألفهُ حضرة الاديب جرجس افندي الخوري المقدسي مدرس العربية في مدرستي الاميركان الداخليتين بطرابلس الشام ليستعين بهِ المبتدئ في درس قواعد اللغة . وهو يتضمن ٤٩ درساً مصدرة بامثلة وايضاحات تمكن الدارس من ادراك الاحكام المهمة في الصرف والنحو على اسلوب بسيط متحاشياً فيهِ التثقيل على اذهان الاحداث بذكر شيء يتعذر عليهم فهمهُ

الالزم

من لزوم ما لا يلزم

وهو ديوان انتخبهُ حضرة الاديبين احمد افندي نسيم وعبد الله افندي المغيرة من ديوان ابي العلاء المعري المسمى "لزوم ما لا يلزم" وعنيا بالانتخاب حتى جاء ديوانًا فريدًا جامعًا لحسنات ابي العلاء نابذًا لكثير مما جاء منها مكررًا . وفي حسن الانتخاب دليل على حسن ذوق هذين الاديبين . وقد اهديا الكتاب الى سعادة حسين واصف باشا محافظ القنال سابقًا

مراشد الهدايات

الَّف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور احمد افندي الدرندلي مفتش صحة الفيوم وأبان فيهِ واجبات الحلاقين والدايات لمنافع العائلات . وهو قسمان الاول اعمال الحلاّق الصحي وتحتهُ ابواب في الكشف عن المتوفى واسباب الوفاة والتبليغ عن الامراض المعدية مثل الحصبة والجدري والدفثيريا والتيفوس والكولرا والطاعون وما اشبه وغير ذلك من المباحث الكثيرة . والقسم الثاني في اعمال الدايات او القوابل . وهو مفيد لكل عائلة فنحث الجميع على اقتنائهِ

الفهميات

وهو كتاب في علم الحساب من تأليف حضرة الاديب احمد افندي فهمي الباجوري مدرس الرياضية في مدرسة دولة البرنس عزيز باشا حسن بالزقازيق . وهو شامل لمقرر المدارس الابتدائية ويحتوي على اكثر من ٢٥٠ مسألة حسابية وتمرينًا في الجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور الاعتيادية والعشرية .

كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الاديب رمزي افندي تادرس من محرري جريدة مصر وهو يبحث في نشوء المملكة الحبسية وجغرافيتها وسياستها وآداب اهلها وآثارهم ومعيشتهم وهيئتهم الاجتماعية وحكومتهم واستقلالهم وتاريخهم الحديث وعلاقتهم بالدول ومستقبلهم وقد زينهُ ببعض الصور ويجد القارئ فيهِ اخبارًا كثيرة تفكه وتفيد وفوائد جمة لا يجدها في غيرهِ فنشكر لحضرة المؤلف على هذه التحفة السنية

باب المسائل

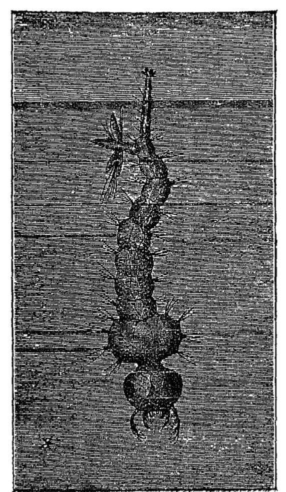
فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تولد البعوض ودواؤُهُ

مصر . ا . رافعي ارجو ان تفيدونا عن الدواء القاتل للناموس (البعوض) وعن سبب وجودهِ في بعض المنازل دون البعض ومن اي شيء يتولَّد

ج تبيض البعوضة في الماء الراكد نحو اربع مئة بيضة او اكثر او اقل وبيضها يصير دودًا صغيرًا وهو العوَم التي ترى احيانًا في الماء الراكد كما ترون في هذه الصورة وهي صورة عومة من العوَم مكبَّرة جدًّا . وهذه العوم تتخلَّق بعوضًا بعد ولادتها باسبوع او اسبوعين . فلا يتولد البعوض في بيت ما لم يكن فيهِ او في ما يجاورهُ ماء راكد تبيض فيهِ بعوضة فاذا لم تدَعوا في البيت ولا حولهُ ماء راكدًا فالبعوض الذي فيهِ لا يطول عليهِ الزمن حتى يموت ولا يتولَّد فيهِ بعوض غيرهُ

بالامس رأَينا عومًا من هذه العوم في الماء الذي نغسل بهِ فاستنتجنا حالاً ان الخادم ترك الماء اياماً في الخزان المتصل بالحنفية فوق المغسلة . وصببنا قليلاً من هذا الماء في كاس وفيهِ بعض العوم وصببنا عليهِ نقطًا قليلة من زيت البترول فماتت العوم بعد بضع ساعات



وصببنا غيرهُ في كأس اخرى وغطيناها بورقة ثقبنا فيها بعض الثقوب وتركناها ثلاثة ايام

فاستحالت العوم بعوضاً بقي يطير في الكاس فوق الماء اربعة ايام او خمسة ثم مات ووقع في الماء . وترون من ذلك ان زيت البترول يميت العوم التي يتولَّد البعوض منها اذا كانت في بركة كبيرة يتعذر نزح مائها ولكن اذا كان نزح الماء ممكناً فهو اسهل سبيل لمنع البعوض وقتله

وقد يهتم السكان بمنع الماء الراكد من البيت وينسون ان الغسَّالة تضع الماء في اناء في غرفة الغسل وتتركهُ من غسلة الى اخرى فيتولَّد البعوض فيهِ او ان اصحاب البيت يتركونهُ ويبقى خزان منجنيق الكنيف مملوءًا ماء فيتولَّد البعوض فيهِ

(٣) ضرر البعوض بالطعام

ومنهُ . ما قولكم في طعام سقطت فيهِ بعوضة هل يصير ضارًّا

ج يحتمل ان تقع البعوضة على شيء سام او تمتص من دم انسان مريض بمرض معدٍ قبلما تقع في الطعام فيكون منها ضرر ولكن ذلك قليل نادر فلا يخشى منهُ وما احسن ما قيل

اذا انت لم تشرب شراباً على القذى
ظمئتَ واي الناس تصفو مشاربهُ

والمعدة القوية تهضم العقرب والافعى والمعدة الضعيفة يؤذيها اقل شيء مما يؤذي واذا عاف الناس كل ما يقع فيهِ البعوض او يقع عليهِ الذباب وجب ان يعافوا كل شيء وقد لا ينجون من عوادي الادواء ولو اتخذوا نفقاً في الارض او سلَّماً في السماء

(٣) لغة الاقزام

نيو اورليانس باميركا . الخواجه طانيوس خليل ابو حيدر . هل لغة الاقزام الذين جاء بهم الكولونل هريسن نوع من لغات البشر او هي حركات واشارات يتفاهمون بها

ج هي لغة من اللغات يتكلمون بها تكلماً مثل غيرهم من الناس وكان معهم ترجمان منهم يعرف لغتهم واللغة السواحلية المنتشرة في شرقي افريقية والكولونل هريسن يعرف هذه اللغة فيكلمهم بواسطة الترجمان . وكيف لا تكون لهم لغة يتكلونها وهم على شيء من الحضارة فقد نقلنا عن الرحالة ستانلي انهم كرماء ذوو انفة وعزة نفس مرتبطون بنظام سياسي واجتماعي يشفُّ عن وحدة اصلهم وتقاليدهم ولهم ملكة جمعت بين اللطف والذكاء ولهم مهارة فائقة في عمل الحراب وهم يسبكون الحديد والنحاس ويصنعون الادوات والاسلحة منهما

(٤) عدد الاقزام

ومنهُ . كم عدد هؤلاء الاقزام بالتقريب

ج لا يُعلَم كم عددهم ولكنهم قبائل كثيرة ولا يبعد ان يكونوا مئات الالوف . راجعوا ما كتبناهُ عنهم في صدر الجزء الخامس من هذه السنة

(٥) كثرة ولد الحيوانات

بدران افندي احمد. ان اكثر الحيوانات لا تلد الاَّ ولدًا او اثنين ما عدا الكلاب والقطط والارانب فانها تلد من اثنين الى ثلاثة عشر فكيف ذلك

ج ان الغرض من الولادة حفظ النسل فاذا تعرَّضت الصغار للموت الكثير كثرت جدًّا حتى يحفظ النسل ولا ينقرض فالسمكة تبيض نحو مليون بيضة لانهُ لا يبلغ من اولادها غير اثنين او ثلاثة وكذا اكثر صغار الحيوانات التي هي صيد مستطاب لغيرها من الحيوانات الكبيرة فانها تلد اولادًا كثارًا حتى يبقى من ولْدها ما يُحفظ بهِ نسلها بخلاف الحيوانات الكبيرة كالخيل والبقر والاسود والافيال فانها تلد ولدًا واحدًا كل مرة لانها تستطيع ان تدافع عنهُ وتحميهُ حتى يكبر

(٦) دواء النمل

ومنهُ . كثر في دارنا النمل رغمًا عن اتخاذ الحيطة فهل لديكم وسيلة لاتقائهِ

ج نحن نتقي شرَّهُ بسدّ كل الخروق التي يمكن ان يأتي منها ووضع ما يقع عليهِ في خزانة كبيرة ارجلها قائمة في اربعة آنية مملوءة رمادًا ومسحوقًا يميت النمل . والرماد وحدهُ يكفي لانهُ يتعذَّر على النمل الدب عليهِ

(٧) المسيحية والمصرية

كدوك باعالي النيل . فؤاد افندي مغبغب باش كاتب اعالي النيل . بماذا يجيب علماء الديانة المسيحية على اقوال المستر وليم اوكسلي في كتابهِ Egypt & the Wonders of the Land of the Pharos.

وهو ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون باوسيرس كاعتقادنا نحن الآن بالمسيح تقريبًا اي انهُ ولد بالروح وكان مع والدهِ ووالدتهِ الهًا واحدًا بثلاثة اقانيم وانهُ بعد ما قُتِل وقُطع جسمهُ قطعًا عاش ثانية . وقد تمادى المؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هي الاَّ نوع مما كان يعتقد بهِ القدماء وضع على نسق احدث واكثر تهذيبًا واستشهد اثباتًا لاقوالهِ بصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا في انس الوجود باصوان وطبع تلك الكتابات في كتابهِ وعلَّق عليها شروحًا

ج يجيبون ان المستر اوكسلي مبالغ متخيل قاصد ان يثبت امرًا في ذهنهِ والذي يقصد ان يثبت امرًا من اشياء غير واضحة يراهُ فيها او يخيَّل لهُ انهُ يراهُ فيها كما اذا رأيتم الغيم في السماء متشكلاً باشكال مختلفة فاذا تصورتم ان بعضهُ يشبه الجمل وبعضهُ يشبه الفيل وبعضهُ يشبه الانسان لم يتعذَّر عليكم ان تروا اوجه المشابهة . وفي كتابات المصريين الاقدمين عن اوسيرس امور كثير بعضها يشبه ما جاء في تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء في تاريخ اي انسان كان ولكن ذلك ليس دليلاً على ان تاريخ كل انسان منتحل من الاخبار المصرية. عن

اوسيرس . ومن المحتمل ان بعض الذين تنصروا من المصريين الاقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم في الديانة المسيحية او في تعاليم الديانة المسيحية ولكن ذلك لا يدل على ان الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لان المخالفات والمناقضات بينهما كثيرة جدًّا وتعليل بقاء المخالفات على فرض وحدة الاصل اصعب من تعليل وجود المشابهات . ثم ان من علماء الديانة المسيحية من هم اعلم من المستر اوكسلي بالآثار المصرية كالاستاذ سايس القس اللاهوتي ومع ذلك لا يرى في الآثار المصرية ما ينقض معتقد المسيحيين في اصل ديانتهم . واذا صح ما يدعيهِ هولاء الباحثون عن اصل الاديان فالديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية او من الديانة البوذية لان فيها ما يشبه هذه وفيها ما يشبه تلك فاي النقيضين هو الصحيح وهل اذا رأينا امورًا متماثلة في حياة يوليوس قيصر ونبوليون بونابرت ومحمد علي باشا نستنتج انهم شخص واحد اخطأ المؤرخون لما ذكروهم في ازمنة مختلفة

والخلاصة ان اوكسلي بالغ كثيرًا في ما ذكرهُ من المشابهة وان المشابهة القليلة الموجودة قلما تخلو منها او من مثلها سيرة اثنين من الناس

(٨) الحشرات بلا راس

ومنهُ . مسكت فراشًا اعجبني تخطيطهُ ولونهُ فاحببت ان احنطهُ فغرزت دبوسًا في رأسهِ ولكنهُ لم يمت بل حمل الدبوس وطار فمسكتهُ ثانيةً وبينما انا اعالج اخراج الدبوس منهُ قُطع رأسهُ عن غير قصد مني فنظرت اليهِ آسفًا منتظرًا موتهُ في الحال لكنهُ لم يمت بل صفَّق باجنحتهِ وطار فاقتفيت اثرهُ ومسكتهُ ثالثة ووضعتهُ في صندوق صغير وهو مقطوع الراس فبقي حيًّا يتحرَّك ثلاثة ايام ولكنهُ فقد بعض القوة ولم يعد قادرًا على الطيران فكيف بقي حيًّا بعد انفصال رأسهِ وهل الفراش يختلف من جهة مركز الحياة عن بقية الطيور والحيوانات

ج يموت الحيوان اذا قطع رأسهُ لان في رأسهِ مركز الاعصاب التي تحرك قلبهُ ورئتيهِ واعضاءهُ المختلفة فيمتنع تنفسهُ ويسم دمهُ وتبطل حركتهُ واما الحيوانات الدنيا كالفراش والنمل فان مراكزها العصبية غير مجتمعة كلها في ادمغتها بل الكثير منها في ظهرها او في ما يقابل السلسلة الفقرية في الحيوانات الفقرية فاذا قطع رأسها نابت هذه المراكز العصبية عنهُ مدة الى ان تضعف قوة الحشرة من قلة الغذاء فتموت

(٩) تصبير الحشرات

ومنهُ . ما احسن طريقة لتصبير الحشرات الصغيرة كالفراش والصراصير على انواعها

ج لا يلزم لتصبيرها سوى ان يغرز فيها دبوس وتوضع في خزانة صغيرة محكمة حتى لا تصل اليها الحشرات التي تأكلها كالنمل والدود

(١٠) تفوُّق نبوليون

شيكاغو. الياس افندي بطرس حاوه. قرأت في مقتطفكم عن نبوليون وطالعت تاريخهُ المطوَّل بتدقيق فوجدت انهُ كان يوصف بالعظمة ويذكر بان قواهُ تفوق قوى البشر ومما يؤيد ذلك جواب اللورد روزبري في قولهِ " انهُ اذا اريد بالعظمة الجمع بين المزايا العقلية الرائعة والادبية السامية فنبوليون لم يكن عظيماً ولكن اذا اريد بالعظمة المقدرة العقلية والجسدية والتفوُّق في الصفات البشرية فلا شك انهُ كان عظيماً جداً لم يماثلهُ احد قط من اعظم الرجال الذين يعرف تاريخ اعمالهم " فوالحالة هذه لا يمكن ان نقول ان نبوليون من الجن بل هو من الجنس البشري ولكن يظن من صفاتهِ وقواهُ التي فاق بها غيرهُ انهُ لا بد من ان يكون قد حدث اختلاف او زيادة في تركيب اعضاء جسدهِ او دماغهِ حتى فاق البشر بتلك الصفات التي خصَّ بها فهل لكم ان تفيدونا على صفحات مقتطفكم عن اسباب ذلك التفوُّق

ج لا يُعلَم كيف يتولَّد النوابغ من الناس كما لا يُعلَم كيف تتولَّد الاصناف الجديدة من الحيوان والنبات. ولكن المخالفة ناموس تخضع لهُ الاحياء كالمشابهة فيجيء الولد مشابهاً لاسلافهِ من وجوه كثيرة ومخالفاً لهم من وجوه اخرى وقد تكون هذه المخالفة ارتقاء في النوع وقد تكون انحطاطاً فيهِ وقد تكون صغيرة جداً لا يُشعَر بها ولا يُلتفَت اليها وقد تكون كبيرة جداً حتى تُخرِج الفرد عن صنفهِ وتجعلهُ صنفاً جديداً او عن نوعهِ وتجعلهُ نوعاً جديداً قائماً برأسهِ. وقد يحدث ذلك تدريجاً وقد يحدث فجأَةً كما ابنا في الكلام على التحوُّل الفجائي في الجزء السابع من اجزاء هذه السنة. والظاهر ان نبوليون خُصَّ بشيءٍ من ذلك فولد وعقلهُ قابل للنمو في الامور الادارية والحربية وجسدهُ قابل لتحمُّل المشاق الى حدٍّ فاق بهِ غيرهُ وجاءَت الاحوال موافقةً لهُ فبلغ ما بلغ ولكن لما تغيَّرت احوال معيشتهِ واحوال البلاد حولهُ ضعف جسمهُ او ضعف هضمهُ واثَّر ضعفهُ في عقلهِ فضعفت عزيمتهُ واخطأَت احكامهُ فغُلِبَ على امرهِ. ويعسر جمع المعلولات كلها في اخلاق الانسان واطوارهِ وردها الى عللها الاصلية لانها لم تدرس الدرس الكافي حتى الآن ولأَن ملابساتها والمؤثرات فيها كثيرة جداً واكثرها غير معلوم

(١١) العرب والسياسة

مصر. عطا افندي فهمي. هل اشتغل العرب بعلم السياسة وهل لعلمائهم في هذا العلم مباحث. وما هي اعظم الكتب التي وضعت فيهِ وهل يصح الاخذ بما فيها الآن

ج يظهر لنا ان العرب اشتغلوا بكل العلوم التي ترجمت كتبها من اليونانية الى لغتهم وفي جملتها علم السياسة لارسطو فقد

ترجموهُ وقلَّدوهُ ومن الكتب العربيَّة فيهِ السياسة المدنية لابي نصر الفارابي المتوفى سنة ٩٣٣ وسياسة الملك لابي الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ والسياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيميَّة. ويصحُّ الاخذ بما في هذه الكتب ولكنها لا تكفي لان علاقات البلدان بعضها ببعض قد زادت كثيرًا وترتب على ذلك شؤون كثيرة لا بدَّ للسياسي من معرفتها لكي يحسن سياسة بلادهِ ويحكم علاقاتها بغيرها من البلدان



اوجه القمر في اكتوبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الربع الاول	٥	٢	٥٤	مساءً
البدر	١٣	١	٣	صباحًا
الربع الاخير	٢١	٢	٥١	مساءً
الهلال	٢٨	٨	٥٨	صباحًا

السيارات في اكتوبر

عطارد لا يرى في اول الشهر ثم يصير نجم المساء في الخامس عشر منهُ

والزهرة نجم الصباح

والمريخ يغيب نحو الساعة العاشرة مساءً الشهر كلهُ

وزحل يغيب الساعة الثالثة صباحًا في اول الشهر والساعة ١ صباحًا في آخرهِ

الكسوف في اصوان

حسب علماء الفلك ان كسوف الشمس سيكون تامًّا في اصوان فاوفدوا الوفود لمراقبتهِ من روسيا واميركا وانكلترا فالوفد الروسي ورئيسهُ الدكتور دوبنسكي جاء لاجل الارصاد المغنطيسيَّة اي ليرى هل تقلُّ مغنطيسيَّة الارض باحتجاب نور الشمس عنها فاعطتهُ مصلحة الآثار المصرية مدفنًا رحبًا حيث وضع آلاتهِ بعيدة عن سائر آلات الرصد لكي لا يؤَثر فيها شيءٌ منها. والوفد الاميركي فيهِ الاستاذ هسي والاستاذ وست وهو من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ويرصد معهُ. ووفدان آخران من اميركا الواحد في لبرادور والآخر في اسبانيا. وغرضهم رصد الاكليل الذي يظهر جليًّا حول الشمس وقت كسوفها وما يظهر فيهِ من

المشاعل والنثوات · ورؤية السيّار الذي زعم البعض انهم رأوهُ حول الشمس وهو اقرب اليها من عطارد. والحكمة في جعل الوفود الاميركية ثلاثة في اماكن مختلفة ان ترى حركة المشاعل وسرعتها فاذا رأى الوفد الذي في لبرادور مشعلاً ورآهُ الوفد الذي في اصوان فتكون رؤية هذا لهُ بعد رؤية الاول بنحو ساعتين ونصف فيعلم كم يطول او كم يقصر في هذه المدة وتعلم سرعتهُ وكذا يُعلم ما يحدث في الاكليل من التغيرات مدة الكسوف بين حدوثهِ في لبرادور وحدوثهِ في اصوان · وفي الوفد الانكليزي الاستاذ ترنر والمستر بلي وغرضهُ قياس اشراق الاكليل على ابعاد مختلفة من مركز الشمس وقياس ما فيهِ من النور المنعكس او المستقطب · ولما حدث الكسوف كانت السماء صافية والريح هاجعة او تهب نسيماً وحدثت المماسة الاولى الساعة ٣ والدقيقة ٣٦ وانحجب وجه الشمس كلهُ الساعة ٤ والدقيقة ٣٦ وبقي محجوباً دقيقتين و ٢٤ ثانية وظهرت نجوم كثيرة ولا سيما المريخ وكان الاكليل واضحاً جدًّا والمشاعل كبيرة في مناطق الكلف والغربية منها اقصر من الشرقية وطول الاطول مضاعف قطب الشمس وظهرت مشاعل قصيرة من قطبي الشمس الشمالي والجنوبي وكانت النتوات كبيرة ولا سيما الناتئة من طرف الشمس الغربي · وشاهدنا الكسوف في العاصمة فابتدأ الساعة ٣ والدقيقة ٩ ولما بلغ اشدهُ بقي من الشمس هلال صغير كالقمر وهو ابن ثلاثة ايام ولكن نورها بقي ساطعاً لا تحتمل العين النظر اليها من غير زجاجة مدخنة او ملونة وبقيت الغربان والحدآن محلقة في الجو على جاري عادتها لكن العصافير الصغيرة سكنت

ديون اليابان

استدانت اليابان لهذه الحرب من اوربا واميركا ٢٢ مليون جنيه سنة ١٩٠٤ و ٦٠ مليون جنيه سنة ١٩٠٥ · ويبلغ ربا هذه الديون مع الديون التي استدانتها قبل الحرب خمسة ملايين ونصف من الجنيهات اي ما يساوي رسوم الاشربة الروحية فيها تقريباً. وكان غرض الماليين من اول الامر ان لا يزيد ربا دين اليابان على ذلك فوضعت الحرب اوزارها وخرجت اليابان منها بنصف سخالين وردّت منشوريا الى الصين واطلقت يدها في كوريا اكثر مما كانت مطلقة قبلاً واعترفت لها الدول الاوربية انها من الدول العظمة · فاذا انتابتها سنوات خصب متوالية سهل عليها القيام بالحمل الجديد الذي حملتهُ بزيادة نفقاتها الحربيَّة برية وبحرية وايفاء ربا دينها والاَّ رزحت تحت حملها · وكانت تظن ان روسيا تدفع لها غرامة مالية وكانت الجرائد والمجلاَّت الانكليزية والاميركية تؤكد ذلك لكن خاب ظنها ولا يعلم هل

عادت من الحرب كاسبة او خاسرة الاَّ بعد ان تمرَّ عليها بضع سنوات وتظهر النتيجة في ماليتها

المناجم ومتعلقاتها

اصدرت نظارة الداخلية في انكلترا تقريرًا عموميًّا عن مناجم سنة ١٩٠٣ يتضمن احصاء مدققًا عن عدد العمال الذين استخدموا في مناجم الدنيا في تلك السنة وما استخرج من المعادن وعدد الذين اصابتهم النكبات وهم يعملون فيها . فجاء فيهِ ان عدد العمال بلغ ٤٨٦١٩٣٢ الخمس منهم في انكلترا والثلث في السلطنة الانكليزية كلها . واكثر من النصف استخدموا لاستخراج الفحم الحجري فبلغ ما استخرج منهُ في العالم كلهِ ٨٨١٠٠٢٩٣٦ طنًّا . وما استخرج من النحاس ٦٠٩٩٨٥ طنًّا . ومن الذهب ٤٩١٦٧٢ كيلو غرامًا . ومن الحديد ٤٤٥٤٨٩٦٢ طنًّا . ومن الرصاص ٨٩٢٨٩٩ طن . ومن زيت البترول ٢٦٢٣٢٠٩٩ طنًّا . ومن الملح ١٢٨١٨٢٥٣ طنًّا . ومن الفضة ٤٩٩٧٤٩١ كيلو غرامًا . ومن القصدير ٩٨٢٩٥ طنًّا . ومن التوتيا ٥٧٠٤٤٠ طنًّا

وبلغ متوسط الذين ماتوا بنكبات المناجم في العالم كلهِ ١,٨٣ في الالف يقابلهُ ١,٩٣ في الالف سنة ١٩٠٢ . ومتوسط الذين ماتوا بنكبات مناجم الفحم الحجري في انكلترا وحدها ١,٢٦ في الالف . وفي السلطنة الانكليزية ١,٣٣ في الالف . وفي فرنسا ١,٠٢ . وفي المانيا ٢ . وفي الولايات المتحدة ٣,٠٩ . اي ان استخراج الفحم الحجري في انكلترا اقل خطرًا من استخراجهِ في معظم البلدان الاخرى

المسكرات في انكلترا

قدَّر بعض الانكليز انهُ لو صُبَّ ماشربتهُ الامة الانكليزية من البيرة سنة ١٩٠٣ في حوض لاستطاعت جميع سفن الاساطيل الانكليزية ان ترسو فيهِ ولكان متوسط عمقهِ ٢٠ قدمًا . ولو صفّت البراميل التي توضع فيها ثلاثة ثلاثة وطرف الواحد منها الى طرف الآخر لامتدت من اقصى جبال اورال الشمالي الى راس سنت فنسنت في البرتوغال ويقتضي لشرب هذا القدر المائل اذا شربهُ انسان واحد في السنة ان يشرب ٦٦ برميلاً في الدقيقة ليل نهار . ولو دفع رجل واحد ثمن هذه البيرة لوجب ان يدفع نحو ٦ جنيهات كلَّ ثانية ونحو ٢٠ الف جنيه في الساعة ونصف مليون جنيه في اليوم . اي ان دخل الحكومة الانكليزية كلهُ في تلك السنة يكفي لمشترى ما يشرب من البيرة في ثمانية اشهر ونصف شهر فقط

على ان ما يفوت حصر الحاسب ووهم الكاتب ان الامة الانكليزيَّة انفقت على

المسكرات من سنة ١٨٤٥ الى السنة الماضية ٧٣٩٠ مليون جنيه وهو مبلغ لو جمع ذهب العالم وفضتهُ معًا ما بلغ ربعهُ ويبلغ عشرة اضعاف الدين الانكليزي وثلاثة اخماس ثروة السلطنة الانكليزية اليوم واعظم من عشر ثروة العالم كلهِ اجمع . وانفق الانكليز في العشر السنوات الاولى من المدة المذكورة ٨٥٣ مليون جنيه على المسكرات وفي العشر السنوات الاخيرة (١٨٩٤ — ١٩٠٤) ١٧٦٠ مليون جنيه او اكثر من ضعف المبلغ الاول . وفي الاربعين سنة الاخيرة ما يشتري جميع المنازل والمزارع وسكك الحديد في انكلترا كلها

لكنَّ شرب المسكرات قلَّ تدريجًا في الخمس السنوات الاخيرة فيها . فقد قلَّ ثمن ما انفق عليها في السنة الماضية خمسة ملايين ونصف مليون جنيه عما انفق عليها في السنة التي قبلها و١٧ مليون جنيه عما انفق سنة ١٨٩٩ وهي سنة زاد شرب المسكرات فيها عن كل سنة قبلها وبعدها فقد لحق الفرد فيها نحو ٤ جنيهات ونصف

خسارة الحروب

بلغ متوسط خسارة الجيش المنصور في ١٢ معركة كبيرة من حرب السبع السنوات التي جرت في القرن الثامن عشر ١٤ في المئة وخسارة الجيش المكسور ١٩ في المئة . وخسارة الجيش المنصور في ٢٢ معركة من معارك حروب نبوليون ١٢ في المئة والمكسور ١٩ في المئة . وخسارة المنصور في اربع معارك كبيرة من معارك حرب القريم ١٠ في المئة والمكسور ١٧ في المئة . وخسارة المنصور في ١٢ معركة كبيرة من معارك الحرب الاهلية الاميركية ٧ و١٩ في المئة والمكسور ٦ و١٩ في المئة . وخسارة المنصور في ثماني معارك كبيرة من اوائل الحرب السبعينية ١٠ في المئة والمكسور ٩ في المئة . وخسارة المنصور في ٣ معارك من اواخر الحروب المذكورة ٥ و٢ في المئة والمكسور ٥ و٣ في المئة . وبلغ متوسط خسارة الروس في ١٤ معركة من معارك هذه الحرب (ما عدا حصار بورت آرثر) ٥ و٩ في المئة واليابانيين ٦ و٤ في المئة

فيظهر مما تقدم ان خسارة الحروب قلَّت مع مرور الايام وذلك لاسباب منها ان الجيوش في الحروب الحديثة توجه معظم قوتها الى مكان واحد على خلاف ما كانت تفعل في الحروب الماضية فان تفرق قوة الجنود الاميركية مدة الحرب الاهلية هو السبب في كثرة ما سفك من الدماء فيها . ومنها ان الجروح الحديثة اسهل شفاء والرصاصة الحديثة اقل فتكاً . ومنها قرب المسافة بين الفريقين المحاربين في المعارك القديمة وبعدها في المعارك الحديثة . فقد كانت المسافة بين نابليون وولنتون في معركة ووترلو ميلاً وبين كبار القواد في معركة

مكدن بين ٢٥ و ٣٠ ميلاً . وكلما اقترب الجيشان المتحاربان الواحد من الآخر زادت الخسارة لسهولة اللحاق بالجيش المكسور عند اندحاره والضرب في اقفيته

مخدّر جديد

بحثت الجمعية الجراحية الفرنسوية في ما هو افضل الطرق للتنويم بالكلوروفورم عند عمل العمليات الجراحية بحيث يكون من ذلك اقلّ خطر على المريض اذ كثيراً ما يتفق ان المريض يمتقع لونهُ وهو تحت العملية وينقطع نفسهُ ويقف ضربان قلبهِ ويموت مع انهُ لم يكن قد استنشق سوى بخار نقط قليلة من الكلوروفورم . فتداركاً لمثل هذا الخطر رأى بعض الاطباء ان يخفف الكلوروفورم بمزجهِ بالهواء على مقادير مختلفة محدودة ولكنَّ ذلك لم يفِ بالمرام لانهُ كلما زادت طريقة تنشيق الكلوروفورم تعقداً زاد الخطر على المريض

وفي هذه الاثناء اهتدى الطبيبان تربيه ودجاردن الفرنسويان الى استعمال عقار جديد مكان الكلوروفورم . وكان الدكتور شنيدرلن الالماني قد اكتشفهُ قبلهما واسمهُ سكوبولامين لانهُ يستخرج من نبات يسمى سكوبوليا جابونيكا او البلادونا اليابانية . واول من حللهُ تحليلاً كيماويًّا لانجارد فاستخرج منهُ جسماً شبيهاً بالقلوي لهُ جميع خصائص قلويات البلادونا وفعلهُ انهُ يوسع الحدقة والاوعية الدموية ويخدر الجسم فيلقي عليهِ سباتاً عميقاً ويعوق التنفس ويزيد حركة القلب ويخدر الدماغ

وكيفية استعمال الدكتور شنيدرلن واتباعهِ لهُ في عملياتهم الجراحية هي انهم يضعون مليغراماً الى مليغرام ونصف منهُ في سنتمتر مكعب من الماء ويحقنون المريض بالمزيج تحت الجلد قبل العملية بساعتين ثم يحقنونهُ بهِ مرة ثانية قبل العملية بساعة ثم مرة ثالثة قبلها بنصف ساعة . وتحوطاً للخطر يضيفون الى المزيج قدراً صغيراً من هيدرو كلورات المورفين اي سنتغراماً في السنتمتر المكعب . فلا تمضي عشرون دقيقة على الحقنة الاولى حتى يشعر المريض بنعاس شديد فيحاول مقاومة النعاس ويفرك عينيهِ بيديهِ ويأخذ يتثاءب ثم ينام نوماً طبيعيًّا كمن أنهكهُ التعب والاعياء . وبعد الحقنة الثانية يعمق نومهُ ويقلُّ تأثرهُ فاذا ناداهُ احد باسمهِ مناداة قوية فتح عينيهِ ثم اطبقهما واستغرق في نومهِ حالاً . وبعد الحقنة الثالثة يزيد استغراقاً في النوم ويشتدُّ بهِ الخدر فيقدم الطبيب على العملية آمناً . ومن الغريب انهُ مهما يكن نومهُ عميقاً فانهُ يستيقظ اذا نودي نداءً عالياً كمن نام نوماً طبيعيًّا ولكنهُ لا يتأثر بالقرص والوخز

واهمُّ ما في طريقة التنويم هذه ان التخدير

يبقى بعد العملية مدة طويلة يسلم بها المريض من آلام ضمد الجراح بعد العملية فينام عدة ساعات . ومن المرضى من ينام خمس ساعات او ستاً ثم يستيقظ ليأكل ويعود فينام. واذا استيقظ المصاب لم يتذكر شيئاً مما جرى قُبيل العملية او بُعيدها

وهذه الطريقة لم تستعمل في فرنسا بعد ولكنّ الجراحين الالمانيين يستعملونها كثيراً وقد نوموا بها ١٥٠٠ مصاب او اكثر الى الآن. والطبيبان الفرنسويان المذكوران عوّلا على اتباعها في فرنسا ولكنهما تفننا فيها . فبدلاً من الحقن ثلاث مرات بالسكوبولامين يحقنان بهِ مرة واحدة قبل العملية بساعة او ساعتين وفي اثناء العملية يستعملان قليلاً من الكلوروفورم

ولا ريب ان هذه الطريقة تفضل طريقة التنويم بالكلوروفورم لانها تطيل زمان النوم والتخدير وتقلل الخطر اذ لم يمت حتى الآن احد بها . وتفضل الكوكايين لان الكوكايين مخدّر موضعي فقط

اصل بعض العادات

من عادات الغربيين انهُ اذا كان الرجل لابساً قفازين واراد مصافحة امراة نزع القفاز الذي في كفهِ اليمنى قبل ذلك. واصل هذه العادة ان الناس في زمان الفروسية كانوا يلبسون دروعاً تغطي اجسامهم كلَّها فكان لابس الدرع اذا اراد مصافحة آخر ليس عليهِ درع نزع قفاز الحديد من يدهِ. ومن عاداتهم ان يرفع الرجل قبعتهُ عن رأسهِ عند ارادة السلام واصل هذه العادة ان الفارس المدرّع في الزمان المشار اليهِ كان اذا ضاف رجلاً في قلعتهِ رفع خوذتهُ عن رأسهِ دلالة على انهُ لا يروم بهِ سوءا . ومعنى السلام العسكري ان المسلّم لا يحجم عن رفع خوذتهِ عن رأسهِ اذا سمح لهُ القانون العسكري .واصل عادة اطلاق المدافع للسلام رغبة المسلّم في اظهار ما لهُ من الثقة بزائرهِ الى حدّ انهُ يطلق كلّ مدافعهِ حتى لا يبقى فيها بارود وقنابل قبل الوصول اليهِ والدخول عليهِ . وكانت المدافع تحشى في بادىء الامر بالقنابل ثم جعلوا يكتفون بالبارود خشية حدوث ما لا يُحَبُّ

الشعب الالماني

كان عدد الالمانيين ٤٠ مليوناً سنة ١٨٧٠ فزادوا حتى بلغ عددهم ٦٠ مليوناً سنة ١٩٠٠ اي انهم زادوا ٥٠ في المئة في تلك المدة. وزاد عددهم في العشر السنوات الاخيرة ١٥٠٠٠ نسمة في المليون كلّ سنة على حين ان الانكليز زادوا ٩٤٠٠ في المليون والفرنسويين ١٧٠٠ فلا عجب اذا افتخر الالمانيون بانهم سيملكون الارض في المستقبل اذا بقوا يزيدون على هذه النسبة

ولكن هنا امراً غريباً جديراً بالذكر

وهو انهُ بينما ترى الالمانيين سكان المانيا يزيدون هذه الزيادة الكبيرة ترى الالمانيين سكان النمسا والمجر وغيرها يقلون سنة فسنة وعددهم الآن ٣٠ مليونًا . وليست قلتهم ناشئة عن انقراضهم بل عن فقد الصفات الالمانية التي تميز الشعب الالماني عن غيرهِ وعدم تمسكهم باللغة الالمانية . وعليهِ يقدرون انهُ لا تمضي ٤٠ او ٥٠ سنة حتى يُدرج الالمانيون الذين خارج المانيا في الام الذين يساكنونهم في كثير من ممالك اوربا وفي الولايات المتحدة فيفقدوا المزايا الالمانية الخصوصية

جبابرة القرود

ورد من اخبار الجزائر ان بعض السياح كانوا يسيحون في اعالي نهري لوم وسنجا فرأوا قرودًا هائلة اكبر من نوع الغورلا . وان سائحًا اسمهُ اوجين بروسو عاد الى الجزائر حديثًا من سياحتهِ في تلك البلاد ومعهُ صور فوتوغرافية لغورلا قتلهُ احد رجالهِ فاخبر ان طولهُ ٧ اقدام و ٦ بوصات وعرض كتفيهِ ٣ اقدام و ٩ بوصات وثقلهُ ٧٢٠ رطلاً . واقتضى لجرهِ ثمانية رجال . اما منظرهُ فيشبه الغورلا المعروف فان جبهتهُ كبيرة منحرفة الى الوراء واذنيهِ صغيرتان جدًّا وجلدهُ عارٍ من الشعر على صدرهِ ومعدتهِ اما كتفاهُ وركبتاهُ فمغطاة بشعر طويل وقد اتى بجثتهِ فدفنت في الارض لكي يبلى لحمهُ ويبقى عظمهُ فينقل الى متاحف التشريح ومن رأي المسيو بروسو ان هذا الغورلا من نوع غير النوع المعروف

المواليد والوفيات في انكلترا

يؤْخذ مما نشرهُ مكتب الاحصاء العمومي في انكلترا ان متوسط المواليد قلَّ في السنوات الاخيرة حتى بلغ اقل ما بلغهُ قبلاً وهو ٢٧ في الالف في لندن و ٢٩٫٢ في الالف في ٧٥ مدينة كبيرة . وقد ذكرت جريدة نائشر الانكليزية هذا الخبر قلقة وعقبت عليهِ بقولها اذا استمرَّ الحال على هذا المنوال فلا بدَّ ان يجيء زمان تزيد الوفيات فيهِ على المواليد فيقلُّ عدد شعبنا . ولو لم يكن متوسط الوفيات يقلُّ وخصوصًا بين الاطفال لادركتنا تلك المصيبة من قبلُ . وقلة المواليد واقعة في الاكثر بين الطبقتين العليا والوسطى والسبب في ذلك حبُّ النفس وحبُّ الملذات وثقل مطالب المعيشة الحديثة

القطب الشمالي

عادت السفينة "ترانوفا" التي سارت الى الاصقاع القطبية للتفتيش عن حملة زيجلر وهي تقلُّ رجال الحملة سالمين . فأخبرت ان السفينة "اميركا" التي كانت تقلُّ المستر فيالا قائد حملة زيجلر ورجالهُ بلغت جزيرة

البرنس رودلف في اواخر اغسطس سنة ١٩٠٣ فانشأت هناك محطات مغنطيسية وفلكية . ولما دخل شهر اكتوبر اطبق الجليد عليها فانكسرت في نوفمبر اما رجالها فنجوا الى البرّ على المزالق . وفي يناير سنة ١٩٠٤ ثارت الزوابع والعواصف فتكسّر الجليد وانتثر قطعاً وتبددت آثار السفينة . فحاول رجال الحملة بلوغ القطب ثلاث مرات على المزالق فلم يفوزوا باربهم بل كان اقصى حدّ بلغوهُ شمالاً على عرض ٨٢° و١٣َ ولكنهم اكتشفوا اموراً كثيرة قيمتها العلمية عظيمة

الدم في الاماكن العالية

راقب المسيو راول بابو الدم في الذين يصعدون جبل بلانك في اوربا فوجد ان الكريات الحمراء تزيد فيهِ كلما صعد الانسان من مكان الى مكان اعلى منهُ واذا اقام هناك قلّت الكريات الحمراء نوعاً ولكنها تبقى اكثر مما كانت قبلاً . ثم اذا نزل الى مكانهِ الاول وصعد ثانية فبلما تعود الكريات الى حالها الاولى زادت ثانية اكثر مما زادت اولاً . وتظهر هذه الزيادة في الذين لم يعتادوا الاقامة في الجبال العالية اكثر مما تظهر في الذين اعتادوها . وهذه هي اول مرة عُدّت فيها كريات الدم في اعالي جبل بلانك وهو اعلى جبال اوربا . وعليهِ فبين سكنى الجبال العالية واحمرار الوجه علاقة سببية

تصوير اكليل الشمس

قلنا في نبذة الكسوف ان غرض الوفد الاميركي الذي جاء لرصد الشمس هو رصد الاكليل الذي يرى حولها وقتما تكسف وهذا الاكليل موجود حولها دائماً ولكن تتعذّر رؤيتهُ لان نور الشمس يكسف نورهُ وقد حاول البعض اكتشاف طريقة يحجب بها قرص الشمس ويصوّر اكليلها فقط وظنوا انهم نجحوا في ذلك ولكن تبيَّن بعدئذٍ انهم لم ينجحوا وان ما ظنوهُ اكليلاً انما هو خطأٌ في التصوير . ويقال الآن ان الدكتور هوسكي مدير مرصد اودسا بروسيا اكتشف طريقة لتصوير الاكليل والشمس غير مكسوفة وكان عازماً ان يصورهُ قبيل كسوفها تماماً ثم تقابل صورتهُ بصورتهِ وهي مكسوفة

واقية الاوتوموبيل

كثرت الحوادث التي يصطدم فيها الاوتوموبيل بشيءٍ فيلحق بهِ ضرراً او يلحق الضرر بهِ وبالذين فيهِ . وقد استنبط بعضهم شيئاً لاتقاء ذلك وهو نصف اطار من الكاوتشوك ينصب امام القنديل الواحد ونصف اطار آخر امام القنديل الآخر فيزيلان قوة الصدمة وقد جربا في اوتوموبيل قوتهُ عشرون حصاناً فوفيا بالغرض

رصد الكسوف في اصوان

بعد كتابة ما تقدَّم على الكسوف وقفنا على رسالة في الغازت ذكر فيها كاتبها اموراً لم تذكر في ما تقدَّم فاقتطفنا منها ما يلي اتماماً للفائدة

اقام الاستاذ ترنر رئيس الوفد الانكليزي آلتين كبيرتين للتصوير الشمسي فيهما مرآتان كبيرتان عاكستان وقد تمكَّن من تصوير اربع عشرة صورة فوتوغرافية. واقام الوفد الروسي الى الغرب منهُ ومعهُ تلسكوب كبير عاكس وآلة تصوير متقنة وصوَّر اربع صور · هذا عدا رصد التغيرات المغنطيسية التي قام بها على الضفة الغربية . واقام الوفد الاميركي آلتين للتصوير الشمسي كبيرتين جدًّا طول الواحدة منهما اربعون قدماً صوَّر بها عشر صور تختلف مدتها من نصف ثانية الى ٦٤ ثانية . والثانية فيها اربع عدسيات بحيث تصور بها اربع صور مختلفة في وقت واحد وقد صورت بها ثماني صور

اما الآلة التي طولها اربعون قدماً فنصبت على الارض افقيةً ووضعت امامها مرآة تعكس صورة الشمس اليها وحُكِمت المرآة امام الشمس تماماً وكانت تدور معها وتبقى الصورة المنعكسة عنها في محلها ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة الكبيرة · ثم ان انبوب الآلة جعل طبقتين الواحدة داخل الاخرى حتى تكون الطبقة الخارجة بمثابة واقٍ للطبقة الداخلة

واقام الدكتور ميرالا الماني تلسكوباً صغيراً ولكنهُ قوي جدًّا صور بهِ اطراف الاكليل

ونصب المستر رينلدز تلسكوباً في محطة سكة الحديد طولهُ ١٢٠ قدماً صوَّر بهِ صورتين واتفق ان اتى القطار الى اصوان في ساعة الرصد لكنهُ نظر عن بعد قبلما يصل الى المحطة واشير اليهِ ليقف فوقف في مكانهِ ولولا ذلك لتلف الرصد بهذه الآلة

اما المرصد الخديوي فرصد رجالهُ التغيرات المغنطيسية في ثلاثة اماكن مختلفة في اصوان ودكا على سبعين ميلاً من اصوان جنوباً وادفو على سبعين ميلاً من اصوان شمالاً

ويقال ان ظلَّ القمر ظهر مارًّا على التلال في الضفة الغربية قُبَيل تمام الكسوف ودام الكسوف التام دقيقتين و ٢٤ ثانية

وقد رحَّبت الحكومة المصرية بالوفود كلهم وبذلت وسعها في ما يريحهم ويسهل عملهم فعادوا شاكرين لها معترفين انها من اول الدول في عضد العلوم

منع ضرر البَرَد

عرض المسيو فيدال حديثاً مذكرة على مجمع العلوم الفرنسوي أبان فيها فائدة القنابل التي اخترعها لمنع ضرر البَرَد . فقال ثارت زوبعة بَرَد في اول اغسطس سنة ١٩٠٤ وكان مبدأها على علو عشرة آلاف قدم في

جبال الالب فرّت على سهول واسعة في تلك الناحية وانزلت ضرراً عظيماً بما فيها من الزروع الاّ قريتين صغيرتين فانها لم تلحق بهما ضرراً والسبب في ذلك ان المسيو فيدال كان قد اطلق بعض قنابلهِ فيهما قبل مرور الزوبعة

المعالجة بالمصل

يعدُّ العلماء العشر السنوات من سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٠ العصر الذهبي لعلم فلسفة الامراض اي معرفة اصلها وسببها لانهُ اكتشف فيها مكروب الحمى التيفويدية والسلّ والملاريا والكولرا الاسيوية . على ان العشر السنوات التي تلتها (١٨٩٠ — ١٩٠٠) ليست اقلّ شهرة منها في هذا الباب فقد اكتشف الدكتور بهرنغ فيها المعالجة بالمصل ففتح الباب ومهّد السبيل لطريقة جديدة من طرق معالجة الادواء اذا امكن تعميمها عدّت اعظم اصلاح في علم صحة الانسان

كرم الاغنياء

منح المستر جون ركفلر اغني اغنياء اميركا مجلس التعليم العمومي عشرة ملايين دولار (مليوني جنيه) ينفق ريعها على تعليم العلوم العليا في الولايات المتحدة الاميركية . ومنح كلية يايل مليون دولار اخرى (مئتي الف جنيه)

دالية قديمة

في انكلترا دالية (شجرة كرم) زرعت سنة ١٧٦٩ فكبرت وضخمت حتى بلغ محيط جذعها ١٣ بوصة وطول اطول اغصانها ١١٤ قدماً سنة ١٨٣٠ . وحملت في احدى السنين ٢٢٠٠ عنقود عنب معدل ثقل العنقود منها رطل مصري وثقل حملها كلهِ طنٌّ تقريباً

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة الراس بجنوبي افريقية . وخطب فيهِ الاستاذ داروين بن داروين الشهير خطبة الرئاسة وسنأتي على خلاصتها وخلاصة غيرها من الخطب في الجزء التالي

غلة القمح في اميركا

موسم القمح في الولايات المتحدة الاميركية اكبر مواسم الحبوب فيها فقد بلغ ثمنهُ في السنوات الاخيرة ٢٠٠ مليون جنيه سنوياً وزاد في بعض السنين على ذلك

اكرام العلماء

عينت بلدية برلين اربعة آلاف جنيه لاقامة تمثال تذكاراً للعالم فركو من اعاظم علماء الطب بين الالمانيين

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

٧٦٩ مقام المعلّم . للرئيس روزفلت
٧٧٣ همّة الشيوخ
٧٧٥ غرائب النبات والحيوان
٧٧٧ المدح والذم والتقريظ والانتقاد . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٧٨٧ زوجها ابوها . لنقولا افندي رزق الله
٧٩٠ القويّ يأكل الضعيف
٧٩٣ المعالجة الحديثة
٧٩٦ تاريخ محمد علي باشا (مصوَّرة)
٨٠٩ منتخبات من ديوان الحماسة
٨١٣ السفن الحربية في مئة عام (مصوَّرة)
٨١٦ الاحتضارات والقبريَّات . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٨٢٣ الاتون الكهربائي

٧٤٦ باب تدبير المنزل * النساء وانتخاب النواب في انكلترا . تهذيب النساء . طعام الفطيم خبز الصبا . النمش
٨٣١ باب الزراعة * تلقيح الاثمار . المن والندوة . الاراضي الزراعية في الفيوم . الحشرات والزراعة
٨٣٨ باب التقريظ والانتقاد * ديوان الرافعي . آفات المدنية الحاضرة . جيولوجية الفيوم . معين المبتدئين . الانزم . مراشد الهدايات . الفهميات . كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها
٨٤١ باب المسائل * تولد البعوض ودواؤهُ (مصوَّرة) . ضرر البعوض بالطعام . لغة الاقزام عدد الاقزام . كثرة ولد الحيوانات . دواء النمل . المسيحية والمصرية . الحشرات بلا راس تصيير الحشرات . تفوّق نبوليون . العرب والسياسة .
٨٤٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٣٤ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٢٣

شيوع مذهب النشوء

مقتطفة من خطبة الرئاسة التي القاها الاستاذ جورج داروِن في مجمع ترقية العلوم البريطاني بجنوبي افريقية

لا نعلم ما اذا كان القرن الماضي يُعَدُّ في المستقبل قرن العجائب والغرائب باكتشافاتهِ واختراعاتهِ او انهُ مقدمة لقرون اخرى اعجب منهُ واغرب . والحق يقال ان العلوم والمعارف تتقدم الآن تقدماً مدهشاً فلا تكاد سنة تمرُّ الاَّ ونرى عجيبة جديدة من عجائب الاكتشاف او الاختراع . وسواءٌ كان تغير الحوادث والاحوال التي تقع تحت حواسنا سريعاً او بطيئاً فانهُ حلقة من سلسلة طويلة من تغيرات طرفاها الازل والابد . ولا شيء ترتاح اليهِ النفس مثل درس العلل والمعلولات او الاسباب والنتائج في سلسلة الحوادث التي تكوَّن منها تاريخ الارض وما عليها من الاحياء وبسط الآراء عما تأول اليهِ الحيوانات والسيارات والشموس والكواكب . وعليهِ فسأبسط في خطبتي هذه بعض هذه الآراء المتعلقة بمذهب النشوء والارتقاء عموماً فاقول

بين من يعتقد بمذهب النشوء والمؤرخ فرق بيّن . فان الاول يستنتج تاريخ الماضي من ادلة الحاضر واما الثاني فيمتاز عنهُ بان تاريخ الماضي مدوَّن امامهُ فيبني عليهِ ويستند اليهِ . ولا ينكر ان تمييز الحقّ من الباطل في التواريخ المتناقضة يقتضي نظراً دقيقاً ونقداً صحيحاً فاذا اجتمع ذلك في المؤرخ لم يبقَ امامهُ سوى ان يحوّل هيكل الوقائع والحوادث التي امامهُ الى جسم حي بإلباسهِ لحم البواعث والمقاصد البشرية . فيلزم ان يكون المؤرخ ممن خبر الناس ودرس اخلاقهم واطّلع على احوالهم

اما الاول فلهُ وظيفتان ادناهما وظيفة قاضي التحقيق الذي يجمع وقائع الجناية في

مخيلتهِ مما يراهُ ويستنتجهُ . واعلاها وظيفة رجل تحرَّر من ربقة المصطلحات والمسلَّمات البشرية وتصوَّر اموراً جديدة لم تخطر على بال انسان قبلهُ . ولا بدَّ لهُ في كلّ حال من ان يفرض علة للأمور التي امامهُ . والفرق بين صاحب النظر الصائب وبين المتسرّع الذي يفرض لكل معلول علةً سواءٌ اصابت او لم تصب انما هو في دقة النظر وبعدهِ وهذا ما يصير بهِ الاول قليلاً نادراً والثاني كثيراً شائعاً

والمحكُّ الذي تعرف بهِ صحّة المذهب العلميّ عدد الحقائق التي يجمعها وتنطبق عليهِ . وشرطهُ ان يرشد الى حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً والى علاقتها بعضها ببعض . فالمذهب الوجيه اشبه بدائرة معارف يمكن توسيعها باضافة مجلدات كثيرة اليها الى ما لا حدَّ لهُ . ولا يكاد يوجد بين المذاهب ما هو صحيح برمتهِ وكثير منها ليس فاسداً كلهُ . وقد يكون المذهب فاسداً في جوهرهِ متصدعاً من اساسهِ ولكنهُ يدل على طريق الصواب فلا يجدر بنا من ثمَّ ان ننبذ احد مذهبين متضادين بدعوى تضادهما اذ لا يبعد ان يتضمن كلٌّ منهما حقائق جديرة بالمعرفة . والمذاهب التي سأبسطها الآن قد تلوح متناقضة في ما لدينا من نور المعرفة فلا نحجم البتة عن تتبعها الى نتائجها المنطقية معتمدين على ما يجدُّ من الاكتشاف في المستقبل لنبذ الباطل والتوفيق بين الحقائق التي تتألف منها

على ان الذين ليس لهم قدم راسخة في العلم يخلطون بين مذهب النشوء بنوع عام ونشوء انواع الحيوانات المختلفة بعضها من بعض ويحدثونك عنهما كما لو كانا اسمين لمسمى واحد . ثم يخلطون بين نشوء انواع الحيوانات وبين الانتخاب الطبيعي ويعدونهما واحداً . ولكن الراسخين في تاريخ التصورات العلمية يعلمون ان مذهب نشوء الطبيعة بما فيها من حي وجماد مذهب قديم جدًّا

وَمثَل الحقائق التي بنيت مذاهب النشوء المختلفة عليها مثل عرمة من الخرز والجزع يختار الناقد البصير منها بعضاً لشبه يراهُ بينها وينظمهُ في سلك واحد فيخرج منها عقد منتظم . وكانت مذاهب النشوء المختلفة الى عهد قريب متقطعة غير كاملة وحلقاتها قصيرة غير متماسكة حتى ظهر مذهب الانتخاب الطبيعي وابان السبب في اختلاف انواع الاحياء المتعددة عن الاصل الذي اشتقت منهُ فكان للعالِم الطبيعي من ذلك واسطة لنقد الحقائق التي امامهُ وتمييز صحيحها من فاسدها بعض التمييز ورأى النظام سائداً حيث ظن اولاً ان الفوضى ضاربة اطنابها . ولكن تنظيم تلك العرمة كلها وترتيب آحادها بحيث لا يبقى اثر للفوضى بينها قد يقصر دونهُ علم الباحث وهمتهُ

وليس غرضي الآن ان ابحث في مقدار التغيير الذي طرأ على مذهب الانتخاب الطبيعي منذ وضعهُ ابي وولس ولو ان مبدأهُ العمومي من المبادئ الراسخة . بل ان ابين اوجه المشابهة بين عالم الاحياء وعالم الجماد من حيث مذهب النشوء والارتقاء . ومما يحسن بي ذكرهُ ان البارون كارل دي بريل سبقني الى الكلام في هذا الموضوع منذ سنة ١٨٧٣ فوضع كتاباً موضوعهُ " تنازع البقاء في الافلاك "

من المعلوم ان مادة الجماد تتحرك بقوات ابسط جدًّا من القوات التي تخضع لها مادة الحي ولكن القضايا التي تعرض للعالم الطبيعي والعالم الفلكي لحلّها ليست اسهل مراساً من القضايا التي تعرض للعالم البيولوجي فان سرّ الحياة لا يزال بعيداً عن الحل كما كان منذ القدم والبيولوجي لا يحاول تفسير ماهية الحياة نفسها بل يبحث في علاقة الحيوانات بعضها ببعض وبالوسط المحيط بها . اما العالم الطبيعي فمضطرٌ ان يرتئي الآراء في ما بين اجزاء المادة من القرابة ويسعى في ضمّ تاريخ السيارات والكواكب والسدام الماضي الى تاريخها المستقبل وهو والعالم الفلكي ليسا الّا مبتدئين ومع ذلك فقد اهتديا الى امور كثيرة ساذكر بعضها الآن

اهمُّ ما في مذهب الانتخاب الطبيعي بقاء انواع الحيوانات التي تصلح للاقامة في الوسط المحيط بها وفناء الانواع التي لا تصلح لذلك . والتنازع على البقاء بين الحيوانات التي يختلف بعضها عن بعض من هذا القبيل هو السبب في تحوُّل الانواع تحوُّلاً بطيئاً . وهذا ما يجري في عالم الجماد ايضاً وان كنا لا نعبّر عنهُ بعبارة واحدة . وايضاحاً لذلك أورد مثالاً من النظامات السياسية لسهولة مأخذها بالنسبة الى القضايا الطبيعية فاقول

يعبَّر عن علاقة الناس بعضهم ببعض ومعاملتهم بعضهم لبعض في مجتمع واحد بكلمات مصطلح عليها مثل المملكة والحكومة وما شاكلها . والحكومات تختلف اختلافاً عظيماً في نظاماتها وتراكيبها ونوع احكامها فمنها الحكم المطلق ومنها المقيّد ومنها الجمهوري وكلها تدل على التداخل في افعال الناس ومعاملاتهم . وعليهِ يمكن تحديد الحكومة بانها اسلوب منظم للمعاملات ولتأثير افعال الناس بعضهم ببعض . والتاريخ السياسي يبحث في التغير البطيء الذي طرأ على الحكومات واكتشاف ما وجد منها اصلح من غيرهِ للبقاء

وترى البيولوجي يسمّي الحيوانات التي تحافظ على كيانها بالانواع . والعالم الطبيعي يحدثك عن الاشكال الثابتة وانواع الحركة والسياسي عن الحكومات . والمبدأ الذي هو قاعدة هذه التصورات كلها الثبات او القدرة على مقاومة الانحلال . وبعبارة أخرى ان ثبات او بقاء نوع من انواع الحي او شكل من اشكال الجماد او حكومة من الحكومات يتوقف على درجة

صلاحيتها للبقاء وقدرتها على تكييف نفسها طبقاً للتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بها

والذي يراجع تاريخ بلاد من البلدان يرى درجة ثباتها متغيرة تغيراً بطيئاً على الدوام فتعلو تدريجاً حتى تبلغ اعلاها ثم تهبط تدريجاً حتى الحضيض فيعقب هبوطها ثورة ويعقب الثورة حكومة ذات نظام جديد . وهذه الحكومة الجديدة او الحركة الجديدة تكون متقلقلة قليلة الثبات في بادىء الامر ولكنها تاخذ تقوى وتشتدُّ في دورها وتزيد ثباتاً حتى تبلغ اشدَّها ثم تضعف رويداً وتهبط تدريجاً ويجري بها ما جرى بنظام الحكومة الاولى

وهذه الازمات في التاريخ السياسي قد تفضي الى حالة لا تستطيع حكومة البقاء عندها بالتغير من صورة الى اخرى . وهذا يحدث اذا أفنت قبيلة متوحشة قبيلة اخرى واتخذت من بقي منها ارقاء واجلتهم عن بلادهم فان شكل الحكومة الاولى ينقرض ويفنى بفناء القبيلة

والعالم الطبيعي يرقب نتيجة تغير الاحوال الخارجية مثل البيولوجي والمؤرخ فيرى قوة الثبات تنحط تدريجاً حتى تزول ثم يعقب زوالها ما يسمى في التاريخ السياسي بالثورة

فهذه الاعتبارات تحملني على الريب في ما اذا كان البيولوجيون مصيبين في ظنهم ان الانواع متصلة التحوُّل من حال الى حال . واذا اتخذنا التمثيل قياساً لنا وجب ان ننتظر حدوث تغيُّرٍ بطيء متصل في زمن مديد يعقبهُ تغيُّرٌ فجائيٌّ الى نوع جديد او انقراض سريع . ومهما يكن من ذلك فانهُ اذا ضعف ثبات شكل من اشكال الحركة في عالم الجماد فاما ان يتحول الى شكل جديد اثبت منهُ واكثر ملاءمة للاحوال المتغيرة او ينقرض . ثم ان معظم الاحياء التي انقرضت لاتزال محفوظة متحجرة في الطبقات الجيولوجية . وانواع الحكومات المنقرضة مدونة في بطون التواريخ فيتخذ البيولوجي تلك الطبقات اساساً لابحاثهِ والسياسي تلك التواريخ مشكاة يهتدي بها واما العالم الطبيعي فيقدم على البحث ولا اساس يعتمد عليهِ ولا مشكاة يستضيءُ بها

والوقت الذي يقتضي لتحول انواع الحيوان يقاس بالادهار والعصور لا بالسنين والشهور ومثل هذا يقال في التغيرات التي تطرأ على الكواكب والاجرام السموية . واما الوقت الذي يقتضي لتحول شكل من اشكال الجواهر والدقائق التي تتألف المادة منها الى شكل آخر فقد يكون جزءاً من مليون جزء من الثانية فلا يدركهُ الوهم لقصرهِ . ومع ذلك التفاوت العظيم في الوقت فان العمل واحد في جوهرهِ

هذا ولا يستبعد انهُ اذا عرفت الاحوال التي تصير فيها الحركة ثابتة منتظمة بالدقة والضبط عرفنا ايضاً تاريخ تكوين العالمين في الماضي ومصيرها في المستقبل ولكننا بعيدون

الآن مراحل كثيرة عن ذلك كما يتضح مما يأتي

هذا وان من اقدم المذاهب ان المواد كلها على تعدُّد انواعها من اصل واحد وعليهِ حاول اصحاب الكيمياء في العصور الوسطى تحويل المعادن الدنيا ذهباً وكانوا يظنون ان العقبة الوحيدة في هذا السبيل اكتشاف الطرق الكيماوية الملائمة التي توصل الى تلك النتيجة. ونحن وان كنا نعلم الآن انهم كانوا بعيدين عن غرضهم بعد الارض عن السماء ولكننا لا ننكر عليهم انهم مهَّدوا السبيل للكيمياء الحديثة. وقد كان غرضهم حلّ جواهر عنصر من العناصر الى الاجزاء الَّتي يتركب منها ثم تركيبها ثانية لتخرج جواهر ذهب. ولم يهتدِ كيماويو هذه الايام بعد الى الخطوة الاولى في هذا السبيل وهي حلُّ العناصر ولكن مباحثهم ازاحت الستار عن تركيب الجواهر بحيث صرنا نعلم ماذا ينبغي ان نفعل لتحويل العناصر. وما التغيرات المختلفة التي تحدث من نفسها في الاورانيوم والراديوم وما شابههما سوى مظاهر من مظاهر حلّ العناصر وتحوُّلها من نفسها على الراجح

وقد يلوح لاول وهلة ان الانتخاب الطبيعي لا علاقة لهُ البتة بمذهب الكيماويين هذا ولكن حلّ العناصر وتحولها يتوقفان على عدم ثبات الجواهر اولاً ثم استرداد ثباتها ثانية. وبقاء الجواهر الثابتة يتوقف على مبدإ الانتخاب الطبيعي. وكان الكيماويون يعتقدون منذ عشر سنوات ان العناصر الكيماوية متعددة ضرورة حتى لقبوا بالجوهر الفرد الجزء الذي زعموا انهُ لا يتجزأُ من المادة فكنت تراهم لا يتحدثون الاَّ عن الجوهر الفرد وكانت الكيمياء الحديثة كأنها بناية من الجواهر الفردة. ولكن لنارد ورنتجن وبكريل وكوري ولارمُر وطمسن وكثيرين غيرهم اثبتوا بمباحثهم ان الجوهر الفرد متجزّئ فكشف الستار بذلك عن تركيب المادة الحقيقي. اثبتوا ان الجوهر الفرد مؤلف من اجزاء عديدة وان جوهر الهيدروجين ابسط الجواهر مؤلف من نحو ٨٠٠ جزء وان الجوهر من العناصر التي هي اكثف منهُ مؤلف من عشرات الالوف من الاجزاء. وقد سمي الجزء منها كريَّة او الكترونًا ويمكن وصفهُ بقولنا انهُ ذرة من الكهربائية السلبية. ومن الغريب ان العالم الطبيعي يعلم عن هذه الالكترونات ما لا يعلمهُ عن الجواهر الفردة وعدُّها اسهل من عدّ الجواهر الفردة

ولما كانت هذه الالكترونات مكهربة كلها سلباً فانها تدفع بعضها بعضاً كما تتدافع شعرات الراس اذا مشطت بمشط اسود. ولا يعلم بعدُ لماذا لا ينحلُّ الجوهر والالكترونات التي يتألف منها متدافعة بسبب كهربائيتها السلبية فلابدَّ من وجود كهربائية ايجابية او ما يفعل فعلها في الجوهر لمنع انحلاله. اما كون الجوهر مؤلفاً من الكترونات سلبية فأمر مؤكد وهذه

الالكترونات تتحرك بسرعة تفوق سرعة النور فان سرعتها ٢٠٠ الف ميل في الثانية

ومنذ سنة صنع طمسن آلة كهربائية تمثل الالكترونات في الجوهر وفحص خصائصها فحصاً دقيقاً بالطرق الرياضية . وهي موءلفة من كرة مكهربة بالكهربائية الايجابية تمثل الجوهر الفرد وضمنها الف او الوف من الذرات مكهربة بالكهربائية السلبية وهي تدور في دوائر منتظمة بسرعة عظيمة وهذه الذرات تمثل الالكترونات . ولما كانت كهربائيتها من نوع واحد فانها تتدافع ولكن الكرة تجذبها كلها لان كهربائيتها من نوع آخر

وقد ظهر من هذه التجربة ان تحرُّك الالكترونات في دوائر ذات نظام محدود لازم لثبات حركتها . ولكن عدد الالكترونات في الجوهر ليس محدوداً فقد يمكن زيادة عدد قليل منها بغير ان يتشوش نظامها في الجوهر وبالتالي نظام الجواهر الاخرى المرتبطة بهِ كما انهُ يمكن زيادة سيار صغير او عدة سيارات صغيرة على النظام الشمسي ولا ينشأُ عن ذلك خلل في موازنتهِ ولا اضطراب في حركتهِ ولكن لا يمكن زيادة عدد كبير منها لان ذلك يفضي الى وقوع خللٍ في مجموعها كما لو زيد على النظام الشمسي مئة سيار يساوي مجموعها حجم المشتري فان ذلك يحدث اضطراباً فيهِ لا تحمد عواقبهُ . وهكذا يمكن ان تضاف الكترونات قليلة الى الجوهر او تطرح منهُ من غير ان يقع خلل في نظامهِ ومن غير ان يفضي الى تحوُّل العناصر

ويمكن اجتماع الالكترونات بعضها مع بعض على صور شتَّى فتكون ثابتة جدًّا او قليلة الثبوت او بينَ بين فيدور الالكترون في مجتمع منها الوفاً من الدورات قبلما يبدو عليهِ عدم الثبوت. وجوهر مثل هذا يبقى ملايين من الدقائق ولكن لا بدَّ من تمزّقهِ اخيراً وتفرُّق الكتروناتهِ او عودها الى الانتظام بعد ما يفقد بعضها . ولذلك يظن ان العناصر الكيماوية البسيطة هي الاجسام التي اجتمعت الكترونات جواهرها وانتظمت بعضها مع بعض وثبتت امام ما انتابها من النوائب في جهادها لاجل البقاء . وان كان الامر كذلك فيكاد يستحيل ان تكون الانواع التي نجحت في هذا الجهاد ازلية ولا بدَّ من انها تكوَّنت في احوال مخصوصة

ولكن ان لم تكن العناصر ازلية فهل من دليل على انها ابدية . ان انحلال العناصر وتلاشيها او تحوُّلها من نوع الى آخر امور بقي الكيماويون يحكمون باستحالتها الى عهد قريب ولكن قياس التمثيل يدلُّ على ان العناصر ليست ابدية

ومهما يكن من ذلك فتتبُّع ما يطرأُ على الجوهر الذي صنعهُ طمسن مثالاً للجوهر الفرد لا يخلو من الفائدة فان النواميس المتسلطة على الكهربائية تدلُّ على ان الجوهر يشعُّ من قوتهِ او يفقد بعضها رويداً رويداً ولا بدَّ من ان يأْتي وقت تنفد قوتهُ فيهِ ومتى جاء هذا الوقت

يستحيل الى جوهر يكتفي بقوة اقل من القوة الاولى التي كانت فيهِ . ويظن الاستاذ طمسن انهُ يمكن ان يُصنع جوهر بطيء الانحلال حتى يبقى مليون سنة ولكنهُ لا يمكن ان يكون ابديًّا

فهذه النتيجة تناقض تمام المناقضة كل ما كان معروفًا عن العناصر الى عهد حديث اذ لم يكن هناك علامة تدل على انحلالها . وزد على ذلك ان العناصر التي يتألف النظام الشمسي منها لا بدَّ ان يكون قد مرَّ عليها ملايين من السنين وهي على تلك الحال . ومع ذلك فان هناك ما يحمل على الظن ان ما نراهُ من الانحلال والتركيب في الراديوم والعناصر الاخرى التي لها جواهر كثيرة التركيب مثلهُ انما هو من قبيل تحول العناصر

والالكترونات على غاية من الصغر وقد أبان اللورد كلفن انهُ اذا كبرت نقطة ماء حتى صارت بحجم الارض بلغ حجم كل دقيقة من دقائقها (جواهر المادة) حجم كرة كالمشمشة . وكل دقيقة مؤلفة من ثلاثة جواهر فردة اثنين من الهيدروجين وواحد من الاكسجين فهي مثل النجوم المجتمعة ثلاثة ثلاثة يدور بعضها حول بعض في دوائر لا تعرف تمامًا . ولا يعلم مقدار الحيز الذي تشغلهُ هذه الجواهر بالنسبة الى ما تشغلهُ الدقيقة كلها وجهد ما يقال انهُ ربما كانت نسبة الحيز الذي يشغلهُ الجوهر الى الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة كنسبة الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة الى نقطة الماء ومثل ذلك يقال في نسبة الالكترونات الى الجوهر

قلتُ ان الجواهر الثلاثة من الهيدروجين والاكسجين في دقيقة الماء تشبه المجاميع المؤلفة من ثلاثة نجوم ولكن من الدقائق ما فيهِ خمسون جوهرًا او مئة جوهر فهي مثل المجاميع الكبيرة الكثيرة النجوم

واحوال الدقائق مثل احوال الجواهر فان الدقائق الكيماوية مؤلفة من جواهر مختلفة وهي على درجات متنوعة من الثبوت . ولا تكون الجواهر منفردة واذا استفردها الكيماوي لم تلبث منفردة الا دقيقة من الزمان وبعضها لا يُستفرد مطلقًا ولذلك فالتحليل والتركيب عملان مستمران في العالم كلهِ . والمركبات التي هي اثبت من غيرها تحفظ كيانها في هذا الوجود اكثر من غيرها كأنها تفوز على غيرها في تنازع البقاء وهي اكثر الموجودات وجودًا كملح الطعام ومركبات السليكون ولكن لم يجد احد منجمًا من قطن البارود لان هذا القطن قليل المقاومة سريع الانحلال فاذا تركبت دقيقة منهُ بواسطة من الوسائط الطبيعية العرضيَّة كانت حياتها قصيرة جدًّا

ثم ان ثبوت المركَّب يدل على مناسبة الاحوال لهُ ومناسبتهِ لها فالملح مؤهَّل للبقاء على الارض لان احوالها مناسبة لبقائهِ ولكنهُ لا يستطيع البقاء على سطح الشمس لانهُ لا يحتمل حرارتها

الذهب

خطب المستر بلي رئيس قسم الكيمياء في مجمع ترقية العلوم البريطاني خطبة موضوعها الذهب اكثرها علمي كيماوي لا يلذ جمهور القراء ولا يفيدهم ولكن فيها حقائق كثيرة يودُّ كل احد ان يطالعها من قلم كيماوي مجرَّب من ذلك :—

ان العناصر البسيطة كثيرة تبلغ ثمانين عنصراً ثلثاها نافع او عُلم نفعهُ والثلث غير نافع او لم يُعلَم نفعهُ حتى الآن واذا استثنينا العناصر اللازمة لتركيب جسم الانسان فانفع العناصر لهُ واكثرها دخلاً في شؤُونهِ المختلفة الحديد والذهب

ولقد تطلَّب الناس الذهب من اول عهد العمران وضحُّوا في سبيلهِ كل مرتخص وغالٍ وبذلوا كل وسيلة للحصول عليهِ اما من معادنهِ او من الناس الذين وجدوهُ عندهم فاراقوا الدماء وبذلوا المهج في هذا السبيل . وعصر الذهب ليس العصر الذهبي لان هذا الاصفر البرَّاق قلَّما يمثل غير المطامع والمتاعب

ولما ارتقت الصناعة وتقسَّمت الاعمال وبطلت المقايضة وقع الاتفاق بين الناس على جعل الذهب مقياساً وممثلاً للقوى والممتلكات فزاد ذلك في ارتقاء الصناعة والتجارة حتى بلغنا ما بلغناهُ

ولما كان الذهب يصوَّل من التراب كان العثور عليهِ من قبيل الاتفاق فقد يعثر عامل على شذرات كبيرة منهُ في بضعة ساعات وقد يقضي الايام والشهور ولا يجد منهُ شيئاً يذكر ولا ينقطع عن تطلبهِ مهما تجشم من المشاق لان الكسب الذي يأتي بالصدفة غرَّار فهو كالمضاربة او كلعب القمار . ثم وجدوا ان الذهب قد يكون متخللاً بعض الصخور فجعلوا يسحقونها ويمزجونها بالزيبق فيمتزج الزيبق بالذهب ويصير معهُ ملغماً ثم يحمون الملغم فيطير الزيبق ويبقى الذهب . وهذه هي الدرجة الثانية وكانت تستعمل حينما كانت مناجم الذهب سطحية ثم لما عُمقت صار سحق الحجارة التي فيها الذهب صعباً جدًّا ولا يستخرج كل الذهب منها فصارت تحمى حتى يسهل سحقها . ولم تصلح طريقة استخراج الذهب اصلاحاً كبيراً الاَّ منذ بضع عشرة سنة حين استعمل مذوب سيانيد البوتاسيوم لاذابتهِ فشاع استعمالهُ في كل مناجم الذهب وصارت طريقة استخراجهِ عملية قانونية واستخدم لهُ اناس من اكبر علماء الكيمياء

وقد وجد بالامتحان ان ماء البحر لا يخلو من الذهب وبيَّن الاستاذ لفرسدج ان في الطن من ماء الاوقيانوس نحو قمحة من الذهب ففي الكيلومتر المكعب سبعة آلاف كيلوغرام . ولا نقطة من ماء البحر الاَّ وفيها ملايين كثيرة من دقائق الذهب وعليهِ فالسفن التي تجري فيهِ

انما تجري في بحر من الذهب ودقائق الذهب تمس كل جزء من سطحها الغائص في الماء في كل لحظة من سيرها . ولكن استخراج الذهب من ماء البحر اكثر نفقة من ثمنهِ اي لا يستخرج ما يساوي دينارًا الّا بعد ان ينفق على استخراجهِ اكثر من دينار فكل الذين يزعمون انهم الفوا شركات لاستخراج الذهب من ماء البحر انما هم يخدعون الناس ليسلبوا اموالهم

ودقائق الذهب صغيرة جدًّا فاذا اذيبت قمحة ونصف قمحة منهُ في الطن من الماء ففي كل مليمتر مكعب من ذلك الماء ٦٥٠٠ مليون دقيقة من دقائق الذهب واذا غرزت ابرة في هذا الماء غطي رأسها ١٥٠٠ دقيقة من دقائق الذهب واذا بسطتَ هذا الماء على ارض مساحتها ١٦٨٠ ميلاً مربعاً انبسط الذهب عليها كلها حتى لا يكون فيها مغرز ابرة خاليًا منهُ

اقدم الآثار الاشورية

لا تكاد سنة تمرُّ الَّا وترى الاثريين في هذه الناحية او تلك البقعة من بقاع الارض يستخرجون من الاطلال القديمة آثارًا جديدة تميط النقاب عن كثير مما خفي علينا من تواريخ الاقدمين ونوع عمرانهم ومبلغ علومهم ومعارفهم

من ذلك ان فيس قنصل فرنسا في البصرة المسيو ده سرزك وهو من المولعين بالآثار القديمة نقب الاطلال الواقعة في اسافل وادي الفرات ودجلة فعثر في احدى التلال التي نقّب فيها على جدران بناية كبيرة ظهر فيما بعد مما وجد فيها من الكتابات والنقوش انها قصر الملك جوديا من ملوك الكلدانيين القدماء . والقصر بناءٌ قائم الزوايا طولهُ ١٧٠ قدماً وعرضهُ ١٠٠ قدم وفيهِ غرف ومقاصير كثيرة طول بعضها اربعون قدماً في مثلها عرضاً . ووجد في القصر وحواليهِ كثيرًا من تماثيل هذا الملك منحوتة في صخر اخضر قاتم اللون وهي في القدر الطبيعي وعليها كتابات كثيرة ووجد معها اسطوانتين كبيرتين من الخزف . فنقل بعض ما وجدهُ الى باريس حيث فحصهُ المسيو ليون هنري وغيرهُ من كبار علماء الآثار والعاديات . ثم وضع في متحف اللوفر وكلّ يوم يضاف اليهِ آثار جديدة

واقدم هذه الآثار قطعة فيها تمثال شخص بلا لحية ولعلهُ تمثال امرأة وعلى رأسهِ غطاءٌ يشبه ما يوجد على رؤُوس التماثيل الكلدانية عادة . وهو يشير بيدهِ الى تمثال شخص آخر اصغر منهُ وقد كسر بعضهُ . والظاهر انهُ يمثل طفلاً جالساً على ركبتي التمثال الاكبر ولعلّ التمثالين يمثلان احدى الالاهات الكلدانيين والاشوريين وطفلها كما هو مذكور في خرافاتهم

ومنها قطعة مثقوبة من الوسط لا يعلم الغرض منها وهي من عهد الملك اورنينا احد ملوك الكلدانيين وتاريخها من نحو ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح وعليها نقوش تمثل الملك اورنينا يحفّ بهِ اولادهُ وكبار حشمهِ . ومعنى الكتابة التي امامهُ هكذا — " اورنينا ملك سربورلا ابن نينيهالدو بنى هيكل الالاهة نينا " ولذلك مُثّل حاملاً السلَّة المقدسة التي هي رمز بناء الهيكل . ولعلَّ الكتابة المتقدمة اقدم تاريخ مصوَّر لحادثة حقيقية

ومن ذلك قطع من عهد الملك ايانادو حفيد الملك اورنينا كسرت من نصب طولهُ سبع او ثماني اقدام وعرضهُ ٥ اقدام . ففي واحدة منها رسم قسم من جسم الملك وفي الثانية رسم جنودهِ في ساحة القتال وقد صورت فيها الجنود في المقدمة والتروس الكبيرة في اياديهم وقد اتصل بعضها ببعض حتى صارت كالحصن امام الجيش وتسلحوا بالفؤُوس والحراب

وكانت فؤُوسهم وحرابهم من البرنز كما يظهر من مكتشفات اخرى اكتشفها المسيو سرزك وكانوا يمسكون الحربة من عند زجها والظاهر ان الملك كان يستعمل يسراهُ كما يستعمل يمناهُ على حدٍّ سوى لانهُ صوّر وفي كلٍّ من يديهِ حربة الَّا اذا اريد المبالغة في بسالتهِ . ومن القطع قطعة فيها صورة الملك وقد سدَّد حربتهُ الى اعدائهِ وهم محاوقو الرؤُوس وقد هربوا امامهُ والتفت رئيسهم اليهِ وبسط يديهِ مسترحماً ولكن حربة الملك اصابت جبهتهُ بين عينيهِ . ومنها قطعة فيها صورة ثور رُبط والقي على الارض كأَن المراد تضحيتهُ

ومن الانصاب التي وجدت نصب يسمى نصب النسر وفيهِ صورة ايانادو في اربع حالات في الاولى صورتهُ مع المشاة من جنودهِ وقد تغلبوا على العدو . وفي الثانية صورتهُ وهو راكب مركبتهُ في طليعة فرسانهِ يقتفي اثر العدو . وفي الثالثة صورتهُ وهو يضحي الضحايا تذكاراً لنصرتهِ . وفي الرابعة صورتهُ يمثّل بالاسرى

وهذا اقدم رسم معركة وجد حتى الآن

اقدم الآثار البابليَّة

ابنا غير مرة ان السماريين سكنوا بلاد بابل قبل البابليين وتاريخهم متوغل في القدم . وقد كشف الآن تمثال ملك من ملوكهم اسمهُ داود او داودو اكتشفهُ الوفد الذي انتدبتهُ مدرسة شيكاغو الجامعة وارسلتهُ الى خرائب بابل للبحث والتنقيب في مكان اسمهُ بسميا والمرجح ان تاريخهُ نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح . ولما وجد كان ملقىً على ظهرهِ ورأْسهُ مفقود واصابع

يديهِ مكسورة ومطروحة امامهُ . ثم وجد الرأس في مكان آخر

وعلو التمثال ٨٨ سنتمترًا ومحيطهُ ٨١ سنتمترًا ورأسهُ اصلع ولا شعر في وجههِ وعيناهُ مثلثتان وحجاجاها فارغان الآن وقد كان فيهما مقلتان من العاج ملصقتان بالزفت . وهو عارٍ الى وسطهِ وتحت ذلك ازار يتدلَّى من خصرهِ الى كعبيهِ يمثل الفرو وعلى كتفهِ اليمنى ثلاثة اسطر باللغة السمارية القديمة اي اللغة التي تقدمت اللغة البابلية وهذه صورتها



اشار
الملك داودو
ملك ادنتكي

اي ان ذلك التمثال صنع لهيكل اشار هيكل ملك ادنتكي

اما اسم الملك فجديد عند علماء الآثار الاشورية واما اسم المدينة والهيكل فمذكوران على حجر حمورابي الذي اشرنا اليهِ غيرة مرة

والذي جعل علماء الآثار يرجحون ان عمر هذا التمثال اكثر من ستة آلاف سنة هو اولاً ان نوع الكتابة التي عليهِ من نوع الكتابة المنقوشة على الآثار التي تاريخها قبل تاريخ

الملك سرجون اقدم ملوك بابل وتاريخهُ سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح

وثانياً ان التمثال وجد تحت انقاض عدة هياكل بنيت وهدمت ثم رممت . ففي الانقاض العليا كتابة تذكر الملك دنجي الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وتحتها انقاض عليها اسم الملك سرجون الذي كان سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح وتحتها آثار انقاض اخرى والتمثال تحتها كلها

وثالثاً ان طراز صناعة التمثال وعينيهِ اللتين على شكل مثلثين وشكل انفهِ وزي لباسهِ —كل ذلك يشبه تمثالين الواحد في متحف اللوفر والآخر في المتحف البريطاني . وعلماء الآثار الاشورية يقولون ان تاريخهما نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح ولا يخالفهم عالم كبير في ذلك

ويقال بالاختصار ان هذا التمثال اقدم من اقدم اثر بابلي بالف وخمس مئة سنة وهو مثال كامل لاقدم صناعة في العالم

التلوتوغراف

التلوتوغراف آلة للكتابة عن بعد . وقد بلغ من اتقانها الآن ان صارت بسيطة جدًّا وصارت بحيث يستطيع كل احد ان يستعملها اذا كان عارفاً الكتابة . فاذا مسكت قلمها بيدك وكتبت بهِ تحوَّلت حركتهُ الى كهربائية وانتقلت على سلك التلغراف او التلفون الى الطرف الآخر منهُ وحركت هناك قلماً دقيقاً من اشعة النور على ورق من ورق التصوير الشمسي الحساس فترتسم عليهِ كتابة مثل كتابتك تماماً كما ترى في الرسم التالي فان فيهِ صورة الكتابة الاصلية التي كتبها الكاتب والكتابة التي كتبها قلم النور على الورق الحساس

والآلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها فالقسم الذي لارسال الكتابة فيهِ قلم عادي من اقلام الرصاص متصل بمحلين صغيرين يحلان كل حركة من حركاتهِ الى حركتين واحدة افقية وواحدة عمودية وهاتان الحركتان تؤثران في كهربائية بطرية صغيرة متصلة بهذا القسم من الآلة وتسير الكهربائية على سلك التلغراف او التلفون الى حيث القسم الثاني من الآلة وهناك قنديل كهربائي صغير ومرآتان ينعكس نورهُ عنهما وهاتان المرآتان تتحركان بواسطة المجرى الكهربائي الآتي من المكان الاول وتأثيرهُ في مغنطيس متصل بهما فتكون النتيجة ان الحركتين اللتين انحلت اليهما حركة قلم الرصاص في يد الكاتب تصلان الى المرآتين وتحركانهما فتؤثران بقلم النور الواقع عليهما من القنديل الكهربائي فتحركانهِ حركتين تكون نتيجتهما مثل حركة قلم الرصاص . وفي هذا القسم من الآلة شريط

من الورق الحساس ملفوف على بكرة فيجري امام قلم النور رويداً رويداً وقلم النور يؤثر فيهِ فيكتب عليهِ مثل صورة الكتابة التي انتقلت بالمجرى الكهربائي

Der Telautograph (Gruhn) braucht wenig Stromkraft, kann mit dem Telephon verbinden werden. Er sendet original Handschriften auf grosse Entfernungen. Näheres durch Grzanna, Charlottenburg 5.

Der Telautograph (Gruhn) braucht wenig Stromkraft, kann mit dem Telephon verbinden werden. Er sendet original Handschriften auf grosse Entfernungen. Näheres durch Grzanna, Charlottenburg 5.

ومن مزايا هذه الآلة ان الورق الحساس هذا يمرُّ في مغنطيس يظهر تأثير النور فيهِ ويثبت اثر الكتابة عليهِ في عشر ثوانٍ من الزمان . فاذا مسكت قلم هذه الآلة بيدك وكتبت بهِ رسالة استغرقت كتابتها ربع ساعة فبعد انتهائك من الكتابة بعشر ثوانٍ فقط تكون الرسالة قد طبعت على الورق الحساس في المكان الذي ارسلت الرسالة اليهِ وصورتها مثل كتابتك تماماً كما ترى في الشكل المتقدم

ولا يخفى ان هذه الآلة يمكن وصلها بالتلفون فيستطيع الانسان ان يكاتب غيرهُ بها كما يستطيع ان يكالمهُ بالتلفون وهي تنقل خط الكاتب كما ينقل التلفون صوت المتكلم . وفي كل آلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها . وقد ظهر بالامتحان في المانيا ان خطوط التلفون العادية تكفي للتلوتوغراف وانهُ يمكن ارسال الكلام والكتابة على الخط الواحد في وقت واحد من غير ان يقاوم احدها الآخر

وقد امكن نقل الكتابة بين برلين ودرسدن مسافة ١٢٤ ميلاً فاذا استعمل بين مصر والاسكندرية كانت منهُ فائدة كبيرة ولا سيما في الاشغال المالية حيث تدعو الحال ان تكون " الاذونات " بخط صاحبها وامضائهِ وحيث يخشى من وقوع الخطإ اذا اقتصر على صوت التلفون . وتوضع آلة التلوتوغراف بجانب آلة التلفون ويمكن استعمالها معاً في وقت واحد او استعمالها بالتعاقب

الهالة حول الراس

ادّعى البعض انهم رأَوا هالة حول رؤُوس بعض الناس فحسبوا انها من الدلائل الالهية على قداستهم او على ترفعهم عن غيرهم من البشر . وقد تناول الاستاذ تندل هذا الموضوع وعلّل ظهور الهالة في بعض الاحوال تعليلاً علمياً طبيعياً . لكننا اطلعنا الآن على فقرات في مجلة العلوم النفسية يظهر منها ان بعض الهالات لا يعلّل بتعليل تندل لها وان بعض علماء الامراض العصبية لا يزال يظن ان هذه الهالات اذا ظهرت فلها علاقة باحوال الاعصاب المرضية فقد كتب الدكتور فره Féré بالامس يقول انهُ رأَى حادثتين من هذا القبيل منذ اكثر من عشرين سنة تعذر عليهِ تعليلهما ثم لما عُلم ما عُلم عن اشعة الراديوم ظن ان فيهِ ما يعللها فنشرها الآن قال

الاولى امرأَة عمرها ٢٨ سنة رأَيتها سنة ١٨٨٣ وهي من عائلة فيها الحدار العصبي وكانت تصاب باعراض هستيرية في العشر السنوات السابقة للوقت الذي رأيتها فيهِ و بالتشنج وفقد الشهية للطعام وبالازيميا البيضاء وتبقى منها علامات في جسمها . ويصيبها احياناً صداع شديد يبتدئ في الصباح و ينتهي في المساء بالقيء . وفي نوبة من هذه النوبات شعرت بصداع في صدغيها و ببرد في اطرافها . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر اتيت لمشاهدتها فرأَيت هالة من النور حول رأْسها قطرها ٤٠ سنتيمترًا لونها برتقالي يقلُّ اشراقهُ في محيطها ورأَيت هالتين أُخريين مثلها حول يديها وصار لون جلدها برتقاليًّا اقتم من لون الهالة وكان اصلاً ابيض ناصعاً وقد ظهرت الهالة قبل وصولي بساعتين وابتدأَ التلوُّن في جلدها قبلما ظهرت الهالة ببضع ثوانٍ ثم زالت الهالات من حول رأْسها و يديها واللون من جلدها بعد حضوري بساعتين في الوقت الذي ينتابها فيهِ القيء اي انها بقيت اربع ساعات

الثانية امرأَة عمرها ٢٥ سنة يصيبها صداع كل شهر من حين بلوغها ولها ابنة عمرها اربع سنوات تصاب بنوبات هستيرية . واصيبت هذه المرأَة بالصداع في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٤ على جاري عادتها فبقيت في فراشها ودعيت لمشاهدتها واصيبت ابنتها بالتشنج والحوَل ايضاً ولما رأَيتها كذلك تأَلمت جدًّا وللحال تغيَّر لون جلدها فصار برتقاليًّا كما صار جلد المرأَة الاولى وظهرت هالة حول رأْسها وهالتان حول يديها وهذه الهالات اضيق من الهالات الاولى ولكنها اشدمنها اشراقاً وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولكن هذه الحالة لم تدم الَّا بضع دقائق ولم يرَ زوجها هذا النور قبلاً في كل ما اصابها من نوبات الصداع قبل ذلك الوقت

ولم يبلغني ان احدًا من الاطباء شاهد ما شاهدتهُ لكن ذكر في التواريخ الدينية ان كثيرين حدث لهم ذلك فكانت رؤُوسهم او اجسامهم تحاط بهالة من النور. وذكرت ما رأيتهُ لاستاذي شاركو فظهر لي انهُ كان مرتابًا في صدقهِ . ثم بلغني حدوث شيء من ذلك في الصيف الماضي وهو ان سيدة من عائلة لا مرض فيها ولا يزال ابواها حيين (عمر ابيها ٧٨ سنة وعمر امها ٧٣ سنة) مرض زوجها فقلقت لمرضهِ قلقًا شديدًا وهمَّها امره جدًّا فانحطت قواها وصارت تسمع اصواتًا مقلقة وهي نائمة فتستيقظ مذعورة واستيقظ زوجها ذات ليلة اذ سمعها تصرخ فرأَى هالة من النور حول رأسها وكان امامهُ خزانة كبيرة ذات مرآة فرأَى صورتهُ وصورتها في المرآة بالنور الذي كان حول رأسها وهو اشعة بعضها اطول من بعض تحيط برأسها كيفما ادارتهُ وكان وجهها اصفر وكانت اذا اشتدَّ تهيجها يشتدُّ نور الهالة ودامت نحو ربع ساعة

معاهدة الصلح

المادة الاولى . تشترط هذه المادة اعادة السلم والصداقة بين امبراطوري السلطنتين وبين رعايا روسيا واليابان

المادة الثانية . يعترف جلالة امبراطور روسيا بمصلحة اليابان الراجحة في امبراطوريَّة كوريا سياسيًّا وماليًّا وعسكريًّا ويتكفل بان روسيا لا تعارض التدابير التي ترى اليابان ضرورة اتخاذها في كوريا بالاتفاق مع حكومتها لادارة احكامها وحمايتها ومراقبتها ولكن الرعايا الروسيين واصحاب المشروعات الروسية يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعايا البلاد الاخرى ومشروعاتها

المادة الثالثة . اتفق الفريقان على ان تجلي الجيوش الروسية والجيوش اليابانية عن منشوريا معًا وان تبقى جميع الحقوق التي اكتسبها الاشخاص والشركات فيها من غير ان تمس

المادة الرابعة . تنقل كل الحقوق التي لروسيا بمقتضى عقد الايجار في بورت آرثر ودلني والاراضي والمياه المحاذية لها الى اليابان ولكن تصان وتحترم حقوق الرعايا الروسيين واملاكهم

المادة الخامسة . تتكفل الحكومتان الروسية واليابانية ان لا تلقيا العراقيل والعوائق في سبيل الاحتياطات العمومية التي تتخذها الصين لنماء التجارة والصناعة في منشوريا وستكون هذه الاحتياطات واحدة لجميع الامم على السواء

المادة السادسة . يستثمر الروس واليابانيون معاسكة حديد منشوريا في كوانج تشنج تسي ولا تستعمل اجزاء هذه السكة التابعة لكل فريق من الفريقين الَّا لنقل المتاجر فيبقى للروس

جميع الحقوق التي خولت لهم باتفاقهم مع الصين على انشاء السكة الحديديَّة وتمتلك اليابان المناجم التابعة لقسم سكة الحديد الذي يعطى لها وتحترم حقوق الاشخاص والاعمال الخصوصية ويترك للفريقين المتعاقدين الحريَّة التامة في اجراء ما يستحسنانهِ على الاراضي التي نزعت ملكيتها

المادة السابعة · يتكفل الروس واليابانيون معاً بوصل خطي السكة الحديد التي تخص كلاًّ منهما في كوانج تشنج تسي

المادة الثامنة · اتفق الفريقان على ان يضمنا للسكك الحديديَّة المنشوريَّة نقل التجارة بلا مقاومة ولا تضييق

المادة التاسعة · يتنازل الروس لليابان عن القسم الجنوبي من جزيرة سخالين الى الدرجة ٥٠ من العرض الشمالي والجزر التابعة لهُ وتضمن حريَّة الملاحة في خليجي بيروز وتارتاري

المادة العاشرة · يكون المستعمرون الروسيون احرارًا في القسم الجنوبي من سخالين فيحق لهم ان يبقوا فيهِ من غير ان يغيروا جنسيتهم ولكن يجوز لليابان من جهة ثانية ان تلزم المسجونين الروسيين بترك الاراضي التي اعطيت لها

المادة الحادية عشرة · تعقد روسيا اتفاقًا مع اليابان يمنح الرعايا اليابانيين حق الصيد في مياه الاراضي الروسية من بحور اليابان واخوتسك وبيرين

المادة الثانية عشرة · تكفل الفريقان المتعاقدان بان يجددا المعاهدة التجاريَّة المعقودة بين الحكومتين قبل الحرب بكل معانيها مع تعديلات طفيفة في تفاصيلها

المادة الثالثة عشرة · يتكفل الروس واليابانيون معاً برد اسرى الحرب ودفع المصاريف الحقيقية التي صرفت عليهم ويجب ان تؤيد هذه المصاريف بمستندات خطية

المادة الرابعة عشرة · تكتب هذه المعاهدة باللغتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة ويعول الروس على النص الفرنسوي واليابانيون على النص الانكليزي واذا وقع خلاف في تفسير شيء منها يرجع في حلهِ الى النص الفرنسوي وحدهُ

المادة الخامسة عشرة · يمضي امبراطورا الحكومتين التصديق على هذه المعاهدة في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً من تاريخ امضائها ويكون سفراء فرنسا واميركا وسطاء بين حكومتي اليابان والروس فينقلون بالتغراف خبر المصادقة عليها . انتهى

وواضح ان الدولتين خرجتا من الحرب خاسرتين ولم يكسب منها الاَّ ارباب الاموال والمعامل في اوربا واميركا فان الدولتين استدانتا واشترتا منهم ما يساوي مئتي مليون جنيه وتعهدتا بدفع الربا الفاحش

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ويروى ان عدي بن ربيعة المهلهل لما اسنَّ وخرف وكان لهُ عبدان يخدمانهِ فملاَّ منهُ خرج بهما يريد سفرًا فاناخا بهِ في الفلوات وعزما على قتلهِ فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقتهِ هذا البيت ويروى انهُ اوصاهما ان يقولاهُ لولديهِ وهو

من مبلغ الحيينِ انَّ مهلهلا لله دركما ودرُّ ابيكما

ثم قتلاهُ ورجعا الى قومهِ فقالا مات . وانشداها قولهُ محتضرًا . ففكر بعض ولدهِ وقال ان مهلهلاً لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى لهُ وانما اراد ان يقول

من مبلغ الحيين انَّ مهلهلا أُمسى قتيلاً في الفلاة مجندلا
لله دركما ودرُّ ابيكما لا يبرح العبدانِ حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقرَّا بقتلهِ فقتلا بهِ في سنة ٥٠٠ م

وهذا اشبه بما يروى ان شاعرًا التقى بعدوهِ منفردًا فهم بقتلهِ . فقال لهُ : انا اعلم ان المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني فامضِ الى داري وقف بالباب ونادِ

أَلا ايها البنتان ان اباكما ....

فاقسم لهُ بالوفاء . فقتلهُ وسار الى بابهِ وانشد . وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قولهُ اجابتاهُ

.... قتيلٌ خذا بالثار ممن اتاكما

ثم انهما تعلقتا بالرجل وحملتاهُ الى الحاكم فاستقرهُ فاقرَّ بقتلهِ وقُتل بابيهما .

ولما رمى وزرُ بن جابر النبهانيُّ عنترة العبسيَّ المشهور بنبلة قطعت ظهرهُ تحامل بالرمية حتى اتى اهلهُ فقال وهو مجروح

وان ابن سلمى عندهُ فاعلموا دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي
إِذا ما تمشَّى بين اجبالِ طيّءٍ مكان الثريا (١) ليس بالمتهضمِ
رماني ولم يدهش بأزرقَ لهذَمٍ (٢) عشيَّة حلّوا بين نعف ومخزمِ (٣)

ثم مات على اثر ذلك الجرح سنة ٦١٥ م :

---

(١) اي ذو رفعة ليس بذليل (٢) الحادّ القاطع من الاسنة . (٣) اسم محلين

وقال لبيد بن ربيعة العامريّ يخاطب ابنتيهِ محتضرًا (توفي سنة ٦٨٠ م)

تمنَّى ابنتايَ ان يعيش ابوهما وهل انا الاَّ من ربيعة او مُضرْ

فقوما وقولا بالذي تعلمانهِ ولا تخمشا وجهاً ولا تحلق شعَرْ

وقولا هو المرء الذي لا صديقهُ اضاع ولا خان الخليل ولا غدَرْ

الى الحول ثمَّ اسمُ السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

ولما ماتت ليلى العامرية اتى المجنون (قيس بن الملوّح العامري) الى الحيّ وسأل عن قبرها فلم يهدوهُ اليهِ فاخذ يشم تراب كلّ قبرٍ يمرُّ بهِ حتى تراب قبرها فعرفهُ وأنشد :

ارادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيبُ تراب القبر دلَّ على القبرِ

ولم يزل يكرّر البيت حتى مات ودفن الى جنبها

ولما حضرت عبيدَ الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنهُ محمدًا فأوصاهُ وقال لهُ : " يا بنيَّ أرى داعي الموت لا يُقلع . وبحق إن مضى لا يرجع . ومن بقي فإليهِ ينزع[1] . يا بنيَّ ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية . والشكر لله وصدق الحديث والنيَّة فان للشكر مزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة :

ولستُ ارى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ

وما لابدَّ أن يأتي قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

وقال ابن قتيبة : بلغني ان اول من بكى على نفسهِ وذكر الموت في شعرهِ يزيد بن خرّاق فقال:

هل للفتى من بنات الدهر من واق ام هل لهُ من حِمام الموت من راق

قد رجّلوني[2] وما بالشعر من شعَثٍ[3] والبسوني ثياباً غير اخلاقِ[4]

وطالبوني وقالوا ايّما رجلٍ وادرجوني كأنني طيّ مخراقِ[5]

وارسلوا فتيةً من خيرهم حسباً ليسندوا في ضريح القبر اطباقي[6]

وقسموا المال وارفضّت عوائدهم[7] وقال قائلهم مات ابن خرّاقِ

هان[8] عليك ولا تولع بإشفاقِ فإنما مالنا للوارث الباقي

---

(١) يميل (٢) من رجل الشعر اذا سرَّحهُ (٣) تلبدهُ لقلة الطيب (٤) جمع خلق اي بالية (٥) منديل ويريد الكفن (٦) جمع طبق وهو عظم رقيق يفصل بين كل فقارَين ويريد به الجسم من باب تسمية الكل باسم الجزء (٧) اي تفرّقت النساء الزائرات لي في مرضي (٨) المشهور هوّن عليك والصدر مثل والاشفاق الخوف

وقال عروة بن حزام لما نزل بهِ الموت :

من كان من أخواتي باكيًا ابدًا فاليوم اني أُراني اليوم مقبوضا
ليسمعنّيهِ إني غير سامعهِ اذا علوتُ رقاب القوم معروضا

وقال كليب وائل لقاتلهِ جسّاس بن مرّة لما طعنهُ وادركهُ الموت : "يا جسّاس أغثني بشربةٍ من ماء" — قال جسّاس تجاوزت شبيثًا والأحص[1] فذهبت مثلاً ثم اجهز عليهِ

واستقدمت امرأة من بني حنظلة أمام عمرو بن هند لما اقسم انهُ ليحرقنّ من بني حنظلة مائة رجل في يوم أُوارة بناحية البحرين . فبعد ان ناقشها الكلام قال لها : اما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : اما والذي أسألهُ ان يضع وسادك . ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت الأ نساء ذوات ميسّم ودين[2]. قال : اقذفوها في النار . فالتفتت فقالت : " ألا فتًى يكون مكان عجوز " — فلما ابطأوا عليها قالت " كأن الفتيان حمًى " فأُحرقت وذهب كلامها مثلاً

ولما حضرت زرارة بن عدس الحنظليّ الوفاة جمع بنيهِ واهل بيتهِ ثم قال : " انهُ لم يبقَ لي عند احد من العرب وِترٌ[3] الأ وقد ادركتهُ غير تحضيض الطائيّ ملقط الملك علينا . حتى صنع ما صنع . فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيّئ " — قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : " أنالك بذلك يا عمّ " فمات زُرارة مطمئنًا

وقال لقيط بن زُرارة لما طعنهُ شريح وارتثّ اي حمل مجروحًا وقربت ساعتهُ مخاطبًا ابنتهُ دختنوس

يا ليت شعري عنك دختنوسُ اذا اتاكِ الخبرُ المرسوسُ[4]
أتحلق القرونَ[5] ام تميسُ لا بل تميس انها عروسُ

وقال عبد يغوث بن صلاءة رئيس مذحج في يوم كُلاب الثاني لما شدّوا على لسانهِ نسعة اي قطعة من سير : — " انكم قاتليّ ولا بدّ فدعوني أذمّ اصحابي وأنوح على نفسي " — فقالوا : " انك شاعر ونخاف أن تهجونا " فعقد لهم ان لا يفعل فأطلقوا لسانهُ وامهلوهُ حتى قال قصيدتهُ هذه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فمالكما في اللوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما أنّ الملامة نفعها قليلٌ وما لومي اخي من سماتيا

---

[1] اسم موردين [2] اي حسن وجمال [3] يعني الثار [4] من رسّ امور القوم واخبارهم اذا تعرّفها [5] اي الشعر

فيا راكبًا إما عرضت فبلغنْ ندامايَ من نجران أن لا تلاقيا
أَبا كرب والأَيهمين كليهما وقيسًا بأَعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً صريحهمُ والآخرين المواليا
ولو شئت نجّتني من القوم نهدةٌ[1] ترى خلفها الجردَ الجياد تواليا
ولكنني أَحمي ذمار[2] ابيكمُ وكاد الرماحُ تختطفن المحاميا
أَحقًّا عباد الله ان لست سامعًا نشيد الرعاء[3] المعزبين[4] المتاليا[5]
اقولُ وقد شدّوا لساني بنسعةٍ أَمعشر تيمٍ اطلقوا لي لسانيا
وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ[6] كأَن لم ترى قبلي اسيرًا يمانيا
أَمعشر تيمٍ قد ملكتم فأَسجحوا[7] فإنّ اساري لم يكن من توانيا
فان تقتلوني تقتلونيَ سيدًا وان تطلقوني تحربوني[8] بماليا
وقد علمت عرسي مليكة أَنني انا الليثُ معدوًّا عليه وعاديا
قد كنتُ نحّارَ الجزور ومعملَ المطيّ وامضي حيث لا حيّ ماضيا
واعقر[9] للشرب[10] الكرام مطيتي واصدع[11] بين القينتين[12] ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمصها[13] القنا لبيقا[14] بتصريف القناة بنانيا
فياعاصِ فكّ القيد عني فانني صبورٌ على مرّ الحوادث ناكيا
وعادية[15] سوم[16] الجراد وزعتها[17] برمحي وقد أَنحوا[18] عليّ العواليا[19]
كأَنيَ لم اركب جوادًا ولم اقل لخيليَ كرّي قاتلي عن رجاليا
ولم اسبإِ[20] الزقّ الرويّ ولم اقل لايسار صدقٍ اعظموا ضوء ناريا

فما اتمها حتى ضربوا عنقهُ نحو سنة ٥٨٠ م

وقال عدي بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان بن المنذر قبل ان اتى على نفسهِ في سنة ٥٨٧ م : (وتروى مقيدة الروي)

---

(١) فرسٌ حسنة (٢) ما يلزمك حفظهُ من عرض ونحوهِ (٣) جمع راعٍ (٤) المصيبين الكلأ البعيد (٥) المتالي من الابل التي لم تنتج حتى صافت (٦) منسوبة من عبد شمس (٧) اسجح الوالي احسن العفو (٨) تصادروني (٩) انحر واذبح (١٠) جمع شارب كالصحب جمع صاحب (١١) أُمزّق وأشق (١٢) مثنى قينة وهي الجارية المغنية (١٣) طردها طردًا عنيفًا (١٤) هو ذو اللبق اي الحلق والرفق بالعمل (١٥) جماعة القوم يعدون لقتال (١٦) من سامت الطير على الشيء حامت او من سامت الابل والريح مرت (١٧) دفعتها (١٨) بمعنى وجهوا (١٩) صدور الرماح (٢٠) اشتري وابتع

ابلغ النعمان عني مألكاً (١) انهُ قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري (٢)
وعداتي شمتٌ اعجبهم انني غيبت عنهم في اساري
لامرىءٍ لم يبل مني سقطة ان اصابتهُ ملمات العثارِ
فلئن دهرٌ تولى خيرهُ وجرت بالنحس لي منهُ الجواري
ربما منهُ قضينا حاجةً وحياة المرء كالشيء المعارِ

ولما رمي ربيعة بن مكدم في يوم الكديد لحق بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امهِ ام سنان فقال: علي يدي عصابة . وهو يرتجز ويقول

شدي عليَّ العصبَ (٣) ام سيار فقد رزيتِ فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقالت امهُ

انا بنو ثعلبة بن مالكِ مرور اخبارٍ لنا كذلكِ
من بين مقتولٍ وبين هالكِ ولا يكون الرزء الاَّ ذلكِ

وشدت امهُ عليهِ عصابة فاستسقاها ماءً فقالت: ان شربتَ الماء متَّ فكرَّ على القوم . فكرَّ راجعاً يشتدُّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أثخن (٤) فقال للظعن: "أوضعن ركابكنَّ حتى ينهين الى ادنى البيوت من الحي فاني لما بي سوف اقف دونكنَّ لهم على العقبة فاعتمد على رمحي فلا يقدمون عليكنَّ لمكاني" ففعلن ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ ثم مات . قال ابو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ

وكان توبة بن الصمة محاسباً لنفسهِ في اكثر آناء (٥) ليلهِ ونهارهِ فحسب يوماً ما مضى من عمرهِ فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فكانت احدى وعشرين الف يوم وخمسمائة يوم فقال ياويلتا القى مالكاً باحدى وعشرين الف ذنب"— ثم صعق (٦) صعقة كانت فيها نفسهُ

وقال عمرو بن زيد بن المثني يوصي ابنهُ وهو يجود بنفسهِ

أبنيَّ زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحل قاترِ (٧)
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين (٨) معاً لحشر الحاشرِ

---

(١) رسالةً (٢) من اعتصر بالماء ما غص بهِ من الطعام اي شربهُ قليلاً قليلاً ليسيغهُ (٣) البرُد ويريد هنا ما يشد بهِ الجرح منهُ (٤) وهن وضعف (٥) جمع انى وهو ساعة النهار (٦) غشي عليهِ وذهب عقلهُ من صوت يسمعهُ كالصاعقة ونحوها (٧) القاتر من الرحال والسرج الجيد الوقوع على الظهر او اللطيف ومنها الذي يقي الظهر ولا يعقرهُ (٨) مجتمعين

من لا يوافيهِ على عثراتهِ فالخلق بين مدفَّع او عاثرِ

وقام ابو عبيدة بن الجراح خطيباً في طاعون عمواس فقال : " ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان ابا عبيدة يسأل الله ان يقسم لهُ منهُ حظهُ " — فما أتم كلامهُ حتى اصابهُ الطاعون فمات لوقتهِ سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

وقال خالد بن الوليد عند موتهِ " لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسمي موضع شبرٍ الاَّ وفيهِ ضربة او طعنة ثم ها انا ذا اموت حتف انفي (١) كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء " توفي سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م

وارتجز رُوَيد بن زيد محتضراً

اليوم يبنى لدويد بيتهُ لو كان للدهر بلا ابليتهُ
او كان قرني (٢) واحداً أكفيتهُ يارب نهبٍ صالحٍ حويتهُ
ورب غيلٍ (٣) حسنٍ لويتهُ ومعصمٍ (٤) مخضَّبٍ ثنيتهُ

واستدعى جريدة بن الايشم الاسدي ابنهُ سعيداً فاوصاهُ وهو يلفظ انفاسهُ

ياسعد إما أهلكن فانني أُوصيك ان اخا الوصاة الاقربُ
لاتتركنَّ اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعيرٍ صالحٍ وسقِ الخطيا (٥) انهُ هو اقربُ
ولعلَّ لي مما تركتُ مطيةً في القبر اركبها اذا قيل اركبوا

ونبغ جوشن بن قنفذ الكلابيُّ في الشعر ومنعهُ عنهُ ابوهُ فجاش في صدرهِ ومرض حتى اشرف على الموت فاذن لهُ ابوهُ في انشادهِ : فقال " حال الجريض دون القريض " والجريض غصة الموت فذهب قولهُ مثلاً وقيل قالهُ عبيد بن الابرص للنعمان

وقال درَّاج لما طعن

شدي عليَّ العصب أم كهمس ولا تُهلك اذرع واروُس
مقطعات ورقاب خنس (٦) فانما نحن غداة الاخنس
هيمٌ (٧) بهيم (٨) ظليت تمرَّس (٩)

(١) لغير علة (٢) نظيري وكفوءي (٣) ساعد ريان ممتلئ (٤) موضع السوار من اليد (٥) مشي رويد اي على مهل (٦) منقبضة (٧) جمع هياء وهي الناقة التي اصابها داء الهيام من العطش (٨) جمع هياء وهي المفازة بلا ماء (٩) تمرس بمعنى تحتك من الجرب

ولما احس الحطيئة الهجاء بالموت اجتمع اليهِ قومهُ فقالوا : يا مليكة اوص فقال : ويل للشعر من رواية السوء . قالوا اوص رحمك الله يا حطيء قال : من الذي يقول

اذا أُنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا الشماخ . قال ابلغوا غطفان أنهُ أشعر العرب . قالوا ويحك أهذه وصيةٌ اوصِ بما ينفعك . قال ابلغوا اهل ضابىء انهُ شاعر حيث يقول :

لكلِّ جديد لذَّةٌ غير انني رأيت جديد الموت غير لذيذِ

قالوا اوصِ ويحك بما ينفعك. قال ابلغوا اهل أمرىء القيس انهُ اشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

قالوا اتقِ الله ودع عنك هذا قال : ابلغوا الانصار ان صاحبهم اشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

قالوا هذا لا يغني عنك شيئاً فقل غير ما انت فيهِ فقال :

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلَّمهُ اذا ارتقى فيهِ الذي لا يعلمهْ
زلَّت بهِ الى الحضيض قدمهُ يريد ان يعربهُ فيعجمهْ

قالوا هذا مثل الذي كنت فيهِ فقال :

قد كنت احياناً شديد المعتمدْ وكنت ذا غربٍ على الخصم ألدّْ
فوردت نفسي وما كادت تُرَدْ

قالوا : يا ابا مليكة أ لك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على المديح الجيد يمدح بهِ من ليس لهُ اهلاً

قالوا : فمن اشعر الناس . فأومأ بيدهِ الى فيهِ وقال هذا الجُحيرَ[1] اذا طمع في خير . يعني فمهُ واستعبر باكياً فقالوا لهُ قل لا اله الاَّ الله فقال :

قالت وفيها حيدةٌ وذعرُ عوذٌ بربي منكم وحجرُ

فقيل لهُ ما تقول في عبيدك وإمائك . فقال : هم عبيد قنٌّ[2] ما عاقب الليل النهار . قالوا فاوصِ للفقراء بشيء قال أُوصيهم بالالحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور . قالوا فما تقول في مالك . قال للأنثى من ولدي مثلا حظّ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى عزَّ وجلَّ لهنَّ قال: لكنني هكذا قضيت . قالوا . فما توصي لليتامى قال : كلوا اموالهم . قالوا فهل شيءٌ تعهد

(١) تصغير جحر وهو الغار البعيد القعر (٢) اي ملكوا هم وآباؤهم يقع على المفرد والجمع والمؤنث

فيهِ غير هذا قال نعم . تحملونني على اتان وتتركونني راكبها حتى اموت فإن الكريم لا يموت على فراشهِ والأتان مركب لم يمت عليهِ كريمٌ قطُّ . فحملوهُ على أتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا احدٌ ألأمُ من حطيئَةْ هجا بنيهِ وهجا المرِيَّةْ
من لؤمهِ مات على فُرَيَّةْ (١)

وتوفي في خلافة عمر بن الخطّاب

ولما رُمي بشر بن ابي حازم بن عوف الأسديّ الشاعر بسهم في غزوة بني وائل ونفذ في صدرهِ خرَّ عن فرسهِ وانشد عند موتهِ ٥٣٠ م :

اسائلة عميرة عن ابيها خلال الجيش تعترف الركابا
تؤَمل ان اعود لها بنهب ولم تعلم بأن السهم صابا
فإنَّ أباكِ قد لاقى غلاماً من الابناء يلتهبُ التهابا
وإنَّ الوائليَّ أصاب قلبي بسهمٍ لم يكن نكساً (٢) محابي (٣)
فرجي الخير وانتظري إيابي اذا ما القارظ العنزيُّ آبا (٤)
فمن يكُ سائلاً عن بيت بشرٍ فإنَّ لهُ بجنب الردِّ بابا
ثوى في ملحدٍ (٥) لا بدَّ منهُ فأذري الدمع وانتحبي انتحابا
مضى قصد السبيل وكل حيٍّ إذا حانت منيتُــهُ اجابا

وروى ابو الحباب أنَّ معاذ بن جبل لما أُحضر قال لخادمتهِ ويحكِ هل أصبحنا . قالت لا . ثم تركها ساعةً ثم قال لها انظري فقالت نعم . قال أعوذ بالله من صباح الى النار. ثم قال " مرحباً بالموت مرحباً بزائرٍ جاء على فاقة لا افلح من ندم . اللهمَّ انك تعلم أني لم أُحبَّ البقاء في الدنيا لجري الأنهار وغرس الاشجار ولكن لمكابدة الليل الطويل وظماء المواجر (٦) في الحرّ الشديد ومزاحمة العلماء بالركب في مجالس الذكر " وتوفي سنة ١٨ ﻫ ٦٣٩ م

ستأتي البقية

(١) أتان (٢) السهم المنكسر (٣) احي الرامي اخطأ الغرض ولم يسمع غيرهُ من حابي
(٤) مثل لعدم العودة (٥) قبر (٦) جمع هاجرة وهي الظهيرة

ماضي الاحياء ومستقبلها

في السماء نجوم لا عديد لها واكثرها عوالم كلٌّ منها يكبر ارضنا الوفًا من المرات بل نسبة الارض اليها نسبة عزبة صغيرة فيها عشرون او ثلاثون بيتًا الى مدينة كبيرة مثل لندن او باريس فيها مئات الوف من البيوت فهل يعقل ان تكون الارض مسكونة وتلك العوالم خالية من السكان خلقت لكي تدور في افلاكها وتُرَى من الارض كنقطة صغيرة في كبد السماء والارض وحدها من بين كل العوالم تسكنها المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وهي اصغرها جرمًا ولا تمتاز عليها بوجه من الوجوه

ثم انهُ ثبت بالادلة العلمية القاطعة ان المواد الكيماوية التي تتركب منها الاجرام السموية هي نفس المواد الكيماوية التي تتركب منها الارض اي ان طينة العوالم واحدة فعلى مَ لا تكون مسكونة كالارض بخلائق عاقلة مثلنا

لكن الاجرام السموية ليست الآن في الحالة التي فيها الارض من حيث الحرارة والبرودة والكثافة واللطافة اي لو انتقل الانسان الى المشتري او الى زحل او الى الزهرة ما استطاع السكنى فيها ساعة واحدة فان كان هناك خلائق حيَّة عاقلة فهي ليست مثلنا في شيء

ويُعلَم بالبحث ان الارض لم تكن في عصورها الغابرة ولا تكون في العصور التالية كما هي الآن فان كانت الاجرام السموية مسكونة فالارض كانت مسكونة ايضًا لما كانت شديدة الحمو مثل بعضها وستبقى مسكونة بعد ان تصير شديدة البرودة مثل البعض الآخر

كتب العالم جفري مارتن مقالة في جريدة العلم الانكليزية بحث فيها بحثًا جديدًا في ماهية الحياة واصلها فأبان اولاً ان جميع المركبات الكيماوية تنحلُّ عند حرارة وضغط معلومين وان الحرارة اللازمة لحل المواد تختلف باختلاف عدد الجواهر التي تتألف منها كلُّ دقيقة من دقائق المادة وصفة تلك الجواهر . ثم بحث في ما يكون تركيب المادة التي آخر ما تحتملهُ من الحرارة والضغط يطابق الحرارة والضغط اللذين على الارض الآن وما تكون خصائص تلك المادة واستنتج انهُ لا يستحيل على الاحياء ان تعيش والحرارة شديدة جدًّا كما لا يستحيل عليها ان تعيش والبرد شديد جدًّا . قال

اذا وضعنا مركبًا كيماويًّا مثل كربونات الكلس مثلاً في اسطوانة مسدودة وعرضناهُ لحرارة متزايدة وضغط مستمرّ اخذ في الانحلال عند بلوغ درجة معلومة من الحرارة . ثم اذا

زدنا الضغط توقف الانحلال وصار المركَّب يحتمل حرارة أعلى من الحرارة الاولى من غير ان ينحلّ . واذا استمررنا على زيادة الحرارة وصلنا الى درجة تتساوى عندها القوى الخارجية التي من شأنها تفريق الجواهر بعضها عن بعض والقوى الداخلية التي تربط الجواهر بعضها ببعض في الدقيقة . وبناء على ذلك نقول انهُ اذا زادت الحرارة عن درجة معلومة فلا ضغط يمنع المادة من الانحلال التامّ مهما كان ذلك الضغط شديدًا . وهذا الضغط وهذه الحرارة نسميهما الحدّ الاقصى لانحلال المركبات

وكلما قلّ عدد الجواهر في دقيقة من دقائق الجسم المركَّب علا حدُّ الحرارة الاقصى لانحلالهِ وكلما كثر عددها انخفض هذا الحدُّ . والسبب في ذلك انهُ اذا كثر عدد الجواهر في دقيقة الجسم المركَّب ضعفت القوة التي تربطها بعضها ببعض وهذا ظاهر من انهُ كلما زاد المركب اختلاطًا سهل انحلالهُ

اذا اردنا توليد مركب مختلط مثل هذا وجب ان نختار اساسًا لنا جوهرًا لهُ ميل شديد الى التركب مع غيرهِ حتى نستطيع ان نضيف اليهِ جواهر اخرى مختلفة . والجواهر التي تضاف اليهِ يجب ان يكون فيها الفة بحوهُ وبعضها نحو البعض الآخر لتستقر على حال واحدة . وافضل العناصر المعروفة التي تصلح لان تؤخذ منها جواهر أساسية يبنى عليها ويضاف اليها انما هو الكربون . والعناصر التي لها الفة بعضها لبعض وللكربون وهي اكثر العناصر وجودًا على الارض انما هي الهيدروجين والاكسجين والنتروجين في المرتبة الاولى والكبريت والفصفور في الثانية . ولكن الفة الكربون للهدروجين والاكسجين والنتروجين ضعيفة في المواد التي تتركب منها (المواد الآلية) وحدُّ الحرارة الاقصى لانحلالها واطئ حتى انها تنحل اذا اشتدت الحرارة فصارت مثل حرارة النار

ثم انهُ لما كان جذب الجواهر بعضها لبعض في هذا المركب ضعيفًا فان جذب دقائقهِ بعضها لبعض يكون ضعيفًا ايضًا وعليهِ فاما ان يكون المركب سائلاً او شبه سائل قوامهُ كقوام الجلاتين . وهذا هو البروتوبلازم اساس المادة الحية فانهُ مركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنتروجين وقليل من الكبريت والفصفور وقوامهُ مثل الهلام دائم التغير ما دامت الحياة فيهِ وحرارتهُ واحدة فاذا زادت عن حد انحلالهِ الاقصى انحل واضمحل حسب الظاهر واذا نقصت عنهُ بطل انحلالهُ فبطل عملهُ

اما سبب التغير المستمر الذي يطرأ على الجسم الآلي فهو التغير الدائم الذي يطرأ على الحرارة والضغط والفواعل التي تفعل في الارض من الخارج كالاشعاع والنور . وتركيب الجسم

الآلي هو بحيث يستطيع معهُ تكييف نفسهِ على حسب التغير الدائم في الاحوال المتسلطة على الارض وهذا التكييف هو ما نسميهِ بالحياة

والمرجح ان السبب في وجود اعضاء مختلفة في البروتوبلازم ذات وظائف مختلفة هو تفاوت اجزائهِ في التأثر بالمؤثرات الخارجية المتنوعة وان اختلاف الاعضاء يتمُّ بحلول دقائق النور او العناصر الثقيلة محل العناصر الخفيفة التي يتركب البروتوبلازم منها

هذا وان الحرارة والضغط على سطح الارض ليسا الآن مثلما كانا عليهِ في سالف الزمان بل المرجح ان الارض كانت شديدة الحرارة فيما مضى وانها تبرد على التوالي اي انها كانت في اوائل عمرها كتلة نار تحيط بها سحب كثيفة من البخار . وعليهِ فان وجد فيها احياءٌ حينئذٍ فلا بدَّ ان تركيبها كان يختلف عن تركيب الاحياء الموجودة فيها الآن لاختلاف حدّ الحرارة القصوى وحد الضغط الاقصى . وكلما زاد الضغط والحرارة زاد ميل الجسم الحي الى اضافة العناصر الثقيلة الى تركيبهِ وطرد العناصر الخفيفة الطيارة منهُ . فان وجد في الارض احياءٌ حين كان ضغطها وحرارتها شديدين فلا بدَّ من ان العناصر التي كانت تلك الاحياء تتركب منها تختلف كل الاختلاف عن العناصر التي تتركب منها الآن . وفي رأيي ان تركيب المادة الحية مرَّ في ادوار نشوءٍ وارتقاءٍ مثل معظم الاشياء ولا يزال يمرُّ فيها الى الآن وانهُ حين كانت الارض كتلة بيضاء من شدة الحرارة كانت الاحياء تختلف عما هي عليهِ الآن . وان العناصر الرئيسة التي كانت تتالف منها كانت ثقيلة غير معدنية كالسلكا والكبريت والفصفور والاكسجين فلما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تطرد الثقيلة وتحل محلها حتى صار تركيب الجسم الحي كما يرى الآن

وربَّ سائل يسأل هل يوجد بين العناصر عنصر يفعل بالاجسام الحية في الحرارة العالية ما يفعل الكربون بها في الحرارة العادية . فالجواب نعم وهذا العنصر هو السلكا واوجه الشبه بينهُ وبين الكربون ميلهُ الشديد الى التركيب والفتهُ لبعض العناصر حتى يتكون من تلك الالفة عدد عظيم من الاجسام المختلطة التركيب مثل السليكات وما يشتق منها . والفرق الجوهري بين مركبات الكربون ومركبات السلكا انما هو في الحرارة فان مركبات الكربون اقرب الى الانحلال بالحرارة العادية

ولما كانت الحرارة التي يتولد البروتوبلازم عندها من الكربون هي الحرارة التي يكون عندها اكثر مركباتهِ مع الهيدروجين والاكسجين سائلاً او شبه سائل استدللنا على ان الحرارة التي تولّد السلكا عندها مركبات غير ثابتة هي الحرارة التي تكون تلك المركبات

عندها سائلة او شبه سائلة او الحرارة البيضاء . وليس لدينا ادلة قطعية على ان الحياة لم تبدأ بمركبات الكربون بل بدات بعناصر اكثر احتمالاً للحرارة مثل السلكا والفصفور والكبريت والاكسجين ولكن يرجح ان الاحياء وجدت بكثرة في السلكا المصهورة التي كانت تغطي سطح الارض في العصور الخالية ثم لما ماتت تلك الاحياء امتزجت اجسامها بمادة الصخر المصهور المحيطة بها من غير ان تترك خلفها اثرًا يستدلُّ بهِ على وجودها

وظاهر انهُ لما اخذت الارض تبرد وصلت حرارتها الى درجة دون ما تستطيع الاحياء المكونة من السلكا البقاء عندها فماتت لجمود مادتها . والذي اراهُ ان السلكا كانت قوام الحياة في عصر من العصور السالفة ثم حلَّ الكربون محلَّها على كرّ الاعصر وتغير الاحوال ولم يبقَ لها اثر في اجسام الحيوانات الآن الاَّ حيث يراد تقوية بنائها . اما النباتات فتحتوي مقادير كثيرة منها . ومثل هذا يقال في الكبريت والفصفور فان الالبيومن يحتوي شيئًا قليلاً من الكبريت ولا يعلم احد وظيفتهُ والدماغ والاعصاب تحتوي قليلاً من الفصفور . فلما اخذت الحرارة تبرد جعل الاكسجين يحلُّ محلَّ الكبريت في الاجسام الحية والنتروجين محلَّ الفصفور

هذا ولا يكاد يعقل ان وجود الاحياء انحصر في زمان مثل الزمان الحاضر تبعًا لما فيهِ من الحرارة والضغط . وكيف يتصور ان وجود الاحياء انحصر في هذا الزمان الذي لا يعدُّ شيئًا في طولهِ بالنسبة الى الدهور الطويلة التي مرّت على الارض قبلما بردت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن والدهور التي ستمرُّ بها قبلما تهبط حرارتها الى درجة الصفر المطلق . والقول بهذا مثل القول بان الشمس والاجرام السموية والكون باسرهِ كان يدور حول الارض وانها هي مركز الخليقة كلها كما كان الفلكيون القدماء يزعمون

وهل يعقل ايضًا انهُ لا يوجد بين الالوف المؤلفة من العناصر ما يستطيع ان يكون مقرًّا للحياة سوى الكربون والهيدروجين والنتروجين والاكسجين . فاننا اذا درسنا خصائص هذه العناصر الاربعة وقابلناها بخصائص العناصر الاخرى لا نرى فيها ما يمتاز بهِ فريق عن فريق بل ان كلَّ خاصة من خصائص هذه العناصر الاربعة موجودة في العناصر الاخرى على درجة متفاوتة من القلة او الكثرة . فلماذا نقول انها هي وحدها قوام الحياة دون غيرها . اما كون الاحياء التي على الارض تتألف منها على الاكثر فربما كان ذلك صدفة واتفاقًا . فانها وجدت وفيها الصفات التي تجعلها اكثر ملاءمة من العناصر الاخرى لان تتركب الاحياء منها عند الحرارة والضغط اللذين في الارض الآن . ولكننا نعلم ان الخصائص الكيماوية تتغير كثيرًا بتغير الحرارة والضغط اللذين تتعرض العناصر لهما حتى لقد قال بعضهم انهُ يمكننا تغيير خواص

العناصر الكيماوية تحت حرارة وضغط معلومين بتغيير الاحوال الخارجية التي تكون تلك العناصر فيها . فاذا كان الامر كذلك لم يسعنا سوى الاستنتاج ان عناصر اخرى تتغير كذلك في احوال خارجية اخرى حتى يمكن ان تدخل في تركيب الاحياء مع انها لا تستطيع ذلك تحت الحرارة والضغط المعروفين الآن

وفي الفضاء ملايين الملايين من الكواكب والسيارات والاجرام المتأججة من شدة الحرارة وكثير من الشموس المظلمة التي تختلف احوالها الطبيعية عن احوال ارضنا فهل هذه كلها خالية من المخلوقات الحية أو لا يرجح العقل ان الاحياء موجودة فيها ولكن على صور واشكال وتراكيب تختلف عن صور الاحياء الارضية واشكالها وتراكيبها

ولا يطمئن العقل الاَّ اذا اعتقد ان الحياة قديمة بل هي مثل الكون قدماً . وقد وجدت على الدوام في العالمين والارض في جملتها وستبقى على الدوام مهما آل اليهِ امر الارض . والبروتوبلازم الارضي نتيجة نشوء وارتقاء في دهور وعصور لا يحصى عديدها من العصور التي كانت الارض فيها كتلة نارية الى هذا اليوم . وقد تناوبت العناصر كلها في تركيبهِ فدخلهُ البعض ثم خرج ليحلَّ غيرهُ محلهُ . والعناصر التي تركب البروتوبلازم منها اولاً كانت اثقل من غيرها واقل تبخُّرًا ثم لما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تحلُّ محلَّ الثقيلة حتى اتخذت الاحياء صورها الحالية وتراكيبها المعروفة . وهذا التبديل بين العناصر من الثقيلة الى الخفيفة يكاد يكون تامًّا الآن اي انهُ لا ينتظر ان يحدث تغيير كبير في تركيب الاحياء بعد لان العناصر التي يتركب البروتوبلازم منها من اخفّ عناصر الكون فلا يوجد اخفُّ منها ليحلَّ محلها . ولكن الارض لا تزال تبرد وعليهِ فان الاختلاف بين حرارة الاحياء وحرارة الارض والهواء آخذ في الزيادة على مرّ القرون فلا بدَّ من ان يصعب حفظ الحياة رويدًا رويدًا

***

من الشروط التي لا بدَّ منها لظهور الحياة في الجسم الحي السيولة فان المادة الحية تقتضي ان تتحرك بسهولة فيجب ان تكون في سائل وهي نفسها تشبه السائل في قوامها . وكلُّ الدلائل تدلُّ على ان السيولة شرط لازم من شروط الحياة حتى لقد قيل ان الاحياء ظهرت اولاً في الماء ثم انتقلت منهُ الى اليابسة . ومما يؤيد ذلك ان الماء يؤلف الجانب الاكبر من تركيب الاحياء سواءٌ كان مركبًا بها او غير مركب

والغرض من كون الاحياء سائلة او شبه سائلة ظاهر من درس طبائعها الكيماوية فانها

مركبة من جواهر مختلفة دائمة التغير . ومن اهم شروط الحياة التغير ولا يتم هذا التغير في الجسم الحي لمقاومة انحلاله الدائم الا بواسطة جسم سائل او شبه سائل . فاذا كانت الاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط تمنع وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل لم يمكن وجود الحياة فيها كما نعرفها الآن

وعليهِ يجب ان يكون تركيب الاحياء مطابقاً للاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط الى حدّ ان تبقى تلك الاحياء دائمة السيولة . ويظهر لنا من مراجعة تاريخ الارض ان تلك الاحوال كانت تختلف عما هي عليهِ الآن . فقد اتى على الارض حين من الدهر كانت فيهِ كتلة نار ولم يكن القمر قد انفصل عنها بعدُ فاخذت تبرد حتى نقصت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن ولا تزال تبرد ولا بدَّ ان يأتي يوم ينخفض فيهِ معدَّل حرارتها من ١٥ درجة بميزان سنتغراد الى الصفر فعشر درجات تحت الصفر فمئة فاوطأ من ذلك الى درجة يجمد الهيدروجين عندها

وحرارة الارض الآن اعلى قليلاً من الحرارة التي يتحول ماء الارض كلهُ عندها جليداً وقد ابتدأ دور التجمد حتى ان مساحات واسعة من سطح الارض جمد الماء فيها الى الابد وستمتدُّ على مرّ الزمن حتى يجيء زمان تتحول فيهِ البحار والاوقيانوسات جليداً من سطحها الى قعرها فيظهر الماء للانسان المستقبل كأنهُ من الجوامد مثلما يظهر صخر الرخام لنا

وقد يظهر لاول وهلة ان نتيجة هذا التجمُّد العام ابادة الاحياء برمتها لانهُ اذا جمد الماء كلهُ بات من المستحيل وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل . والماء كما لا يخفى قوام الاحياء وعلى سيولتهِ تتوقف سيولتها وحركتها . ولكن درجة جمود الماء يمكن تخفيضها باضافة بعض المواد الى الماء . مثال ذلك ان الماء الملح يبقى سائلاً عند درجة الجليد . ولو كانت الاحياء آلة جامدة لا تتكيف بالمكيفات الخارجية ليئسنا من بقاء الحياة في الاعصر المقبلة حين يسودُ البرد والظلام ولكن الدلائل الكثيرة تدلُّ على انها ليست آلة صماء بل تكيف نفسها بحسب الاحوال الخارجية المتغيرة . مثال ذلك اننا اذا رفعنا درجة حرارة الماء الذي يعيش فيهِ بعض الاحياء الصغيرة امكننا على مرّ الزمن ان نجعلها تعيش في حرارة لا تستطيع الاحياء التي من نوعها ان تعيش فيها ما لم تكن قد اعتادت المعيشة فيها مثلها بل تموت حالاً اذا تعرضت لها . فالمسألة الآن كيف تستطيع الاحياء ان تغير تركيبها حتى يمكنها المعيشة في درجة من البرودة اوطأ من درجة الجليد بكثير

والجواب على ذلك انهُ اذا كان لا بدَّ للاحياء ان تسلم من الموت برداً فلا بدَّ من ازالة

الماء منها تدريجاً واستبداله بمادة اخرى تبقى سائلة في درجة يجمد الماء عندها . وتلك المادة هي الكحول فانهُ لا يجمد الاَّ عند الدرجة ١٣٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد والماء يجمد عند درجة الصفر . ثم ان الكحول اقرب المواد الى الماء في خصائصهِ الكيماوية والطبيعية بل هو ماء يحلّ محلّ جوهر من جوهري الهيدروجين اللذين فيهِ مادة اخرى. ثم ان الكحول يتمم وظائف كثيرة من وظائف الماء ولهُ علاقة بالمواد الآلية مثلهُ ولكن تلك العلاقة اضعف كثيراً من علاقة الماء بها وهو نتيجة اختمار الاحياء الدنيا ويكثر وجودهُ في النباتات والاثمار الناضجة المختمرة . فليس غريباً والحالة هذه ان يدخل في تركيب المواد الحية اكثر مما يدخل في تركيبها الآن ويحلّ محلّ الماء فيها على مر الزمان لاسيما وان بعض الاحياء الدنيا تولد الكحول في اجسامها . فاذا هبطت الحرارة الى تحت درجة الجليد لم يؤثر ذلك فيها لان الكحول يحلّ محلّ مائها

ومن المشهور ان سكان المناطق الباردة يشربون الكحول اكثر من سكان المناطق الحارة واذا برد انسان تراهُ يطلب الكحول ويشربهُ كأنهُ ينقاد بالغريزة اليهِ وعليهِ فلا بدّ من ان هذا الميل الى الكحول يزيد كلما بردت الارض

ولا اسهل عليَّ من ان اتصوَّر الانسان يشرب الماء القراح اولاً ثم الماء ممزوجاً بقليل من الكحول كما يفعل الآن ثم يزيد الكحول ويقلل الماء بزيادة البرد على مر الدهور حتى يأتي زمان يشرب الكحول فيهِ صرفاً . وكلما زاد شربهُ للكحول زاد مقدار الكحول المذخور في جسمهِ وقل مقدار الماء حتى يحل الكحول محل الماء تماماً كما حل الاكسجين والنتروجين والكربون والهيدروجين محل الكبريت والفصفور والسلكا فيهِ او يبقى من الماء اثر قليل في الجسم كما بقي فيهِ اثر قليل من الكبريت

اذاً أفليس ما يرى في الانسان الآن من الميل الى الاقلال من شرب الماء القراح والاكثار من شرب المشروبات الكحولية في البلدان الباردة طلائع الدور الجديد الذي بدأ الكحول فيهِ يحلّ محلّ الماء من جسم الانسان . وقد يحتمل ان سائلاً آخر غير الكحول يحلّ محلّ الماء كالزيت الذي يوجد بكثرة في اجسام الاسماك السابحة في البحور الباردة . وسواء حلّ الكحول او الزيت او غيرها محل الماء فمن المؤكد الذي لاريب فيهِ انهُ اذا كان لا بدّ من بقاء الاحياء في حرارة اوطأ كثيراً من حرارة سطح الارض الآن فلا بدّ من ان يزول الماء من اجسامها ويحلّ محلهُ سائل آخر لا يسهل تجميدهُ مثلهُ

عدد سكان العواصم الكبرى

اسم المدينة	المملكة	عدد سكانها	بحسب تعداد سنة
لندن	انكلترا	٦ ٥٨١ ٣٧١	١٩٠١
نيويورك	اميركا	٣ ٨٣٣ ٩٩٩	١٩٠٠
باريس	فرنسا	٢ ٧١٤ ٠٦٨	١٩٠١
برلين	المانيا	١ ٨٨٤ ١٥١	١٩٠٠
شيكاغو	اميركا	١ ٦٩٨ ٥٧٥	١٩٠٠
ڤينا	النمسا	١ ٦٣٥ ٦٤٧	١٩٠١
كنتون	الصين	١ ٦٠٠ ٠٠٠	تقديراً
طوكيو	اليابان	١ ٥٠٧ ٦٤٢	١٩٠٠
فيلادلفيا	اميركا	١ ٢٩٣ ٦٩٧	١٩٠٠
بطرس برج	روسيا	١ ٢٤٨ ٦٤٣	١٩٠٠
القسطنطينية	تركيا	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٠١
بكين	الصين	١ ٠٠٠ ٠٠٠	تقديراً
موسكو	روسيا	٩٨٨ ٦١٤	١٨٩٧
بونس ايرس	الارجنتين	٩٠٠ ٠٠٠	١٩٠٠
بمباي	الهند	٧٧٦ ٨٤٣	١٩٠٠
غلاسكو	سكتلاندا	٧٦٠ ٤٢٣	١٩٠١
بودابست	المجر	٧٣٢ ٣٢٢	١٩٠١
همبرج	المانيا	٧٠٥ ٧٣٨	١٩٠٠
لفربول	انكلترا	٦٨٥ ٢٧٦	١٩٠١
ريوجناريو	برازيل	٦٧٤ ٩٧٢	١٩٠٠
وارسو	روسيا	٦٣٨ ٢٠٩	١٨٩٧
سنت لويس	اميركا	٥٧٥ ٢٣٨	١٩٠٠
القاهرة	مصر	٥٧٠ ٠٦٣	١٨٩٧

جزاء سِنِمّار

تليان وزوجتهُ

"غداً يقتلونني أفلست الاَّ نذلاً جباناً"

هذا ما كتبتهُ الى عشيقها امرأة بديعة الجمال بعد ان غلبها اليأس واشتدَّ بها الجزع وهي في السجن وقد قضي عليها بالموت . هذه هي تريزيا ابنة الكونت كباروس رجلٍ فرنسوي الاصل اسباني المولد . كانت في سجن "لافورس" في باريس مع من طُرح فيهِ من الابرياء في عهد الجمهورية الاولى (١٧٩٤) وهم ينتظرون القتل علناً بقلوب واجفة . وكان موعد قتلهم في غد اليوم الذي كتبت فيهِ ما كتبت وذلك في اليوم التاسع من شهر ترميدور[١] في السنة الثانية من الجمهورية الاولى

وكانت قد تزوجت قبل الثورة مركيز دي فونتناي وسكنا بوردو . ففي الثورة قُبض عليهما وطرحا في السجن بتهمة ان لهما علاقة بالاشراف والاعيان وانهما كانا ينويان الفرار الى اسبانيا

وكان زمام الامر حينئذٍ بيد روبسبيير وانصارهِ ولهم احدى وعشرون الف لجنة من لجان الثورة بثت العيون والارصاد والجواسيس في جميع انحاء فرنسا يأمرون وينهون بما لم يبلغ اليهِ حَول ملك فرنسوي ولا تجاوزهُ طول طاغية روماني في اكثر ايام رومية بؤساً واشدها ظلماً . فكانوا يحكمون الاحكام الجائرة وينفذونها ولا رادع لهم ولا رقيب عليهم حتى امتلأت السجون بالابرياء من الرجال والنساء

غير ان ما خصَّت بهِ هذه المرأة من الحسن الرائع والجمال البارع حال دون انزال البلاء بها وبزوجها فانها امتلكت لبَّ شاب من اكبر زعماء الثورة اسمهُ تليان كان قد أُرسل من باريس الى بوردو ليستأصل شأفة الملكية منها فبات وهو الآمر الذي لايردُّ لهُ امر لايستطيع ان يُردَّ لها اشارة . وكان قد رآها قبل ذلك باربع سنوات وهو عامل في احدى مطابع باريس فافتتن بها . والآن اصبح الرجل الوحيد الذي يستطيع ان ينقذها من الموت فانقذها هي وزوجها

وتليان هذا اشتهر بالهجوم على قصر التويلري وكان من اشدّ زعماء الثورة بطشاً واعظمهم فتكاً اتى بهِ بونابرت معهُ الى مصر بعد انتهاء الثورة بنجاء القاهرة وقضي مدة فيها يحرّر الجريدة

(١) الشهر الحادي عشر في روزنامة الجمهورية اولهُ ١٩ يوليو وآخرهُ ١٨ اغسطس واليوم التاسع منهُ اي ٢٧ يوليو مشهور لان روبسبيير احد كبار زعماء الثورة قتل فيهِ

الرسمية الفرنسوية المسماة "دكاد اجبسيان" ثم عزلهُ الجنرال منو. وكان وضيع الاصل ضعيف النسب صغير النفس مثل اكثر زعماء الثورة فلم يكن في معاملتهِ لها اكبر نفساً ولا اكثر مروءة وابوّة مما طبع عليهِ . فصاحبها في بوردو كارهة ثم تزوجها في باريس مكرهة . ولما اكمل ما انتدب اليهِ في بوردو اخذها معهُ الى باريس. فنظر روبسبير وغيرهُ من زملائهِ اليهِ والى علاقتهِ بها نظرة الشبهة والاتهام لانها من الاشراف نخافوا ان ينقلب عليهم فقبضوا عليها ثانية والقوها في سجن " لافورس" المذكور آنفاً وحكموا عليها بالقتل فكتبت الى تليان حينئذٍ تستثيرهُ للدفاع عنها قائلة " غداً يقتلونني افلست الاَّ نذلاً جباناً "

اما تليان فلم يكن الرجل الجبان الذي يصبر على الضيم والاذى ويقعد عن خلاص محبوبتهِ ولكن ما هي حيلتهُ فقد ضحّى نفسهُ في سبيلها المرة الاولى وكاد يفقد ثقة اصحابهِ بهِ اكراماً لها ولم يحفظ لهُ مكانتهُ عندهم الاَّ ما كان يظهرهُ من الغيرة الشديدة على الثورة ومبادئها . فلم يجرأ على الانتصار لها هذه المرة ايضاً علماً بان ذلك لا يجديهِ نفعاً بل ربما اودى بهِ وبها معاً

ولكنهُ لم ييأس ولم يقنط بل سعى سعياً مستمرًّا لعلهُ يستطيع الى انقاذها سبيلاً . وكانت امهُ بوابة في منزل بشارع " لابرل" وبجانب السجن منزل فيهِ بوابة أُخرى صديقة لامهِ فكان يدخل المنزل كل يوم سرًّا فيرى من احدى نوافذهِ الامراة التي كانت شغلهُ الشاغل ويكلمها تارة بالاشارة وطوراً بالكتابة . ولم يكن يدري بموعد اعدامها حتى جاءتهُ هذه الرقعة منها فهاج وماج وارغى وازبد واقسم لينقذنها او يموت

ومهما كانت عيوب تليان ونقائصهُ فانهُ كان شجاعاً بطلاً اذا اثير ثار كأنهُ اسد رئبال فرأى ان السبيل الوحيد الى نجاة خليلتهِ قلب الهيئة المتربعة في دست الاحكام حينئذٍ واثارة ثورة وسط ثورة وتسليط فوضى على فوضى والقذف بروبسبير وانصارهِ من حالق . ففكر في ذلك مليًّا وعقد العزم عليهِ مع ما يحف بهِ من الاهوال والمخاطر . ولم يرعهُ الاقدام على هذه الثورة سعياً في تخليص امرأة فاما ان يخلصها او يقتل معها

***

جاء صباح التاسع من شهر ترميدور وهو اليوم الملقب " يوم اللهب " وأُعدت المركبات لنقل المحكوم عليهم بالقتل وعدتهم ستة وثلاثون نفساً ووقف الجلاد ومساعدوهُ في " ميدان الثورة " يشحذون آلات الذبح للساعة العصيبة. وعقدت الجمعية الوطنية برئاسة روبسبير لتسمع ما يقولهُ هو وغيرهُ من الزعماء ولكن اعضاءها لم يبدوا من الارتياح ما جرت عادتهم بهِ قبلاً كأنهم ملّوا تلك الحال وكأنهم يرومون الخلاص منها فلا يلزم لذلك سوى عزمة من عازم او

كلمة من قائل حتى يلتفوا حوله فتنقلب آمال روبسبيير واتباعهِ احلاماً وتذهب مساعيهم ضياعاً

ولم تعدم الجمعية رجلاً يعزم تلك العزمة ويقول تلك الكلمة — رجلاً تمرَّس بجميع فظائع روبسبيير ورجالهِ ومحارمهم وجزاراً ترك بوردو سابحة في بحر من الدماء . فلما أزفت الساعة لقتل الابرياء وازدحم الموقف بجماهير المشاهدين وثب تليان وهيئتهُ واشاراتهُ كمن أصيب بمسّ من الجنون وصاح برجال الجمعية الوطنية ان ينهضوا من غفلتهم ويقاوموا جماعة العتاة الغاشمين الذين اغتصبوا السلطة من ايديهم وصيروا الجمعية الوطنية في حال من الرق والاستعباد لا يُصبَر عليها وتركوا الجمهورية تسبح في سيل من دماء الابرياء

قال المؤرخ "لنوثر" يصف تليان في تلك الساعة ما يأتي

"وقف وعيناهُ تقدحان شرراً وصدرهُ يجيش غيظاً ويغلي غمراً فصعق سامعوهُ لما رأوا من اقدامهِ وما سمعوا من فصاحتهِ ثم بعث فيهم روح عزم وشجاعة فصيَّر جمعيتهم التي كانت كأنها جثة من الغراء لا حياة فيها ولا شعور ولا حراك جسماً حياً فيهِ العظم والعصب . ولما أمسك روبسبيير من خناقهِ وجذبهُ الى الارض من مجلسهِ لم تمدّ يدٌ لا يقافهِ عند حدّهِ ولم يعلُ صوت للاعتراض على فعلتهِ . فهو قد خلّص الجمهورية وفرنسا بل العالم اجمع من غير ان يقصد ذلك او يدري بهِ . ولقد نال مأربهُ اقدم على ثورة لينقذ من الموت تلك التي احبَّها "

فانتهى بذلك حكم الارهاب الذي ساد البلاد وكان شعارهُ اراقة الدماء ففتحت السجون وأُطلق منها سراح المسجونين المظلومين فلم تقل المركبات احداً الى ساحة الاعدام بعد ولا شحذت آلة الذبح لتضريب الاعناق وازهاق الارواح الاّ حين سيق روبسبيير وعشرون من انصارهِ بعد ايام قليلة الى حيث احتزت رقابهم وختم حكم الارهاب بدمائهم

وعظم شأن تليان بعد هذه الحادثة فصار سيد فرنسا وقائدها وخدمها اجلّ خدمة في الشؤون العسكرية والملكية معاً . وكان من اعمالهِ انهُ صار حامي بونابرت حتى لقد قيل انهُ لولاهُ ما استطاع بونابرت ان يتوج رأسهُ بتاج فرنسا

على ان السعد لم يخدمهُ طويلاً بعد ذلك نعم انهُ كان راضياً بحالتهِ سعيداً بالحصول على اجمل نساء باريس ولكنها هي لم تكن راضية بذلك لانها اعتادت عيشة النعمة والترف مع زوجها الاول وتليان لم يكن موسراً ولو شاء لكانت لهُ زروع وأنعم وثروة طائلة مثل غيرهِ من زعماء الثورة الذين عرفوا كيف تُغتنَم الفرص ولكن اباء نفسهِ حال دون جمعهِ للمال بالوسائط الدنيئة وكان يحسب نفسهُ اغنى الناس واسعدهم بحبيبتهِ والناس يحسبونهُ كذلك

ولما لم يبقَ امامهُ مطمح يطمح بابصارهِ اليهِ ولا مطمع يمنّي نفسهُ بهِ وكلّ ما يشتهيهِ عندهُ

عزم على اعتزال مناصب الحكومة والسكنى في منزل بسيط بعيداً عن الهموم والمشاغل لكن ابنة الكونت وزوجة المركيز لم يرضها شظف العيش . فقد كانت ناعمة البال مجبورة الخاطر ايام كان تليان يقيم الحفلات ويولم الولائم فيؤمُّ دارهُ كل ذي وجاهة وذات دلال ليسجدوا امامها — ايام كانت زوجة بطل ترميدور وسيد فرنسا . اما الآن وقد اعتزل الشؤون العمومية وانزوى في منزل حقير انزواء الراهب العابد في ديرهِ او الناسك الزاهد في منسكهِ فلم يطب لها المقام معهُ بعد ذلك بل تاقت الى عيشتها السالفة وحنَّت الى منزلها الاول

وفي ذات يوم افتقدها فلم يجدها . وبيان الخبر ان صديقاً من اصدقائهِ الاغنياء بنى قصراً بديعاً في شارع مجاور لمنزلهِ ودعاها لزيارتهِ فسحرت بما رأتهُ فيهِ وصاحت وقد عرتهُ الدهشة " ما اجمل هذا القصر — هنا السعادة والهناء المقيم " فأجابها صاحبهُ " ما دام الامر كذلك فدونكِ مفتاحهُ " وكان هذا الحديث المقتضب بدء الفصل الثالث من رواية حياة هذه المرأة التي كانت مركيزة دي فونتناي فصارت مدام تليان والآن سمت نفسها باسمها وهي فتاة قبلما تتزوج اي — تريزيا كباروس . وكانت لم تتجاوز الثلاثين من سنها وعادت لا تهتم بتليان الاَّ لتطلقهُ باسرع ما يمكن

***

وبدأ الفصل الرابع من رواية حياتها سنة ١٨٠٥ عند ما تزوجت برنس دي كرمان . وكان لها اربعة اولاد من تليان صبيٌّ وثلاث بنات ولكنها كانت تبذل الجهد في نسيان ما مضى ولم تلتقِ بتليان بعد ذلك سوى مرة واحدة وذلك ان ابنتهما البكر واسمها ترميدور كانت مخطوبة للكونت دي ناربون بليه . فازف يوم زواجهما وكان لا بدَّ من حضور تليان لامضاء عقد الزواج على كره من اصحاب العرس . فحضر وامضى العقد ببساطة لا يشينها شين وهو الرجل الذي امضى قبل ذلك بعدة سنوات عقد زواج زوجين لولاهُ لم يصيرا امبراطورين (نابوليون وجوزفين)

ولما انتهى العقد تنازلت التي كانت زوجتهُ ودعتهُ لركوب مركبتها حتى الشانزاليزه بجوار منزلهِ الحقير فقبل دعوتها وركبا معاً آخر مرة في الشوارع التي طالما ضجت بصدى الهتاف والابتهاج لرجل جعل لترميدور شأناً في التاريخ لا ينسى وقضى قضاء مبرماً على حكم الارهاب والاستبداد

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٢٠ نشرت جرائد باريس خبراً موجزاً تنعي فيهِ المسيو تليان وتقول انهُ مات فقيراً مدقعاً في منزل حقير وكاد يتضور جوعاً قبل موتهِ لولا ان الملك عيَّن لهُ مرتباً طفيفاً من جيبهِ الخاص جزاء مساعدتهِ لهُ على خلع اخيهِ

السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقيين صروف الدهر فانقرضوا واندثرت معهم مدنيتهم الغريبة وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رحال تجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم المعمور في ايامهم عظمة وثروة وقوة اثاراً طوامس واطلالاً دوارس

ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء ومآثرهم الشماء لم تمت . فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبقَ لنا نحن السوريين شيءٌ يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوهُ من درجات المجد والسعد قليلة جداً بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر . غير انهم خلفوا لنا مزية لا تقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثار المنافع . فقد امّوا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبثوا روح المدنية . ولو كان افتتاح كولمبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوهُ وحرثوا اراضيهُ واستثمروا خيراتهِ واستخرجوا معادنهُ وعمروا مدائنهُ ونظموا هيئتهُ الاجتماعية

عرف عامة السوريين منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلاداً جديدة تسمى اميركا . وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من المحقق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحائها وان مئات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطناً لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولّدت روحاً جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة نجاوُها . ولما تحققوا بالخبر ما سمعوهُ بالخبر ارسلوا يطلبون عيالهم وانسباءهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكتهم المسلوكة فكثر عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يفتحون ابواب الرزق ويكتسبون المال . فمنهم من

جعل هذه البلاد وطناً لهُ ومنهم من رجع الى سورية فحسَّن املاكهُ بما اخذهُ من المال او ابتاع بها املاكاً جديدة او نفدت دراهمهُ لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية

وقدوم السوريين الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا نرى سفينة قادمة الى هذه البلاد الاّ وفيها عدد كبير من مهاجريهم . اما عدد السوريين في المهاجر كلّها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدَّر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفاً منهم .
ولقد سألت حضرة الكاتب الاديب نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى عن عدد السوريين في المهاجر كلها فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفاً ٦٠ الفاً في الولايات المتحدة و ٥٠ الفاً في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفاً في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في اوستراليا وبعض الجزائر والباقون في افريقية والهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودُّون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمةً في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة

البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والاوسع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارتهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهادهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نفَّر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعمالهم عما كانت عليهِ قبلاً

ولما كثر عدد المهاجرين واختبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومتاجرهم وصنائعهم اقتصروا على الاتجار بالاقمشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحريرية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

وربح بائع الكشة يقدر سنويًّا بنحو ٥٠٠ ريال واذا كان عدد الباعة خمسين الفاً كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ريال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قلَّ عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فتحولت انظار كثيرين منهم الى مجاراة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بمعيشة صاحب

الكشة والتجول في البراري والقفار ومقاساة آلام الحرّ والبرد الوانًا فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحريرية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكابرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملكت فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيرًا عن سكان البلاد الاصليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظرًا لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة

ومنهم عمال المعامل والطرق والاسواق والمناجم وهم قليلون لا يرجى منهم نفع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلالٌ جدًّا بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيرًا لمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجانًا لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانًا تملكهُ اياها شرعيًّا بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذوو ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولهم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطون في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق وانجر بضائع فرنسا وايطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة والعمران

ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصولاً تثني فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتفننهم في اساليب التجارة . ولا غروَ فان بيننا منهم من يفتخر بذكرهم ويعطر اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عمومًا والسجّاد التركي والعجمي خصوصًا . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤمها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحًا للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شباننا الادباء ان هذه المهنة اشرف المهن واجزلها ربحًا فان تجارتها محصورة مع اكابر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانهُ كلما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحهُ

ومنهم ارباب الجرائد والاطباءِ . وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثماني جرائد وهي كوكب اميركا اقدم جريدة عربية في العالم الجديد والهدى ومرآة الغرب والصخرة والمحيط والاقبال والراوي والمهاجر . وهي تدخل الممالك العثمانية ما عدا الثلاث الاولى لانها حرَّة

ولقد كانت حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها . واما اليوم فحالتها سارَّة واقوالها مفيدة . وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الاَّ انها ماتت لقلة مكاسبها وفي نية بعض ادبائنا انشاءُ جرائد جديدة

وبين نزالتنا جماعة من ارباب الاقلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم ما زالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية . ولذا تراهم يفضلون المراكز المادية على المراكز الادبية فصار اكثرهم تجارًا وكانت النتيجة حرمان الامة السوريَّة من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية . وثانياً فساد بعض عمَّال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤُون والاحوال

هذا شول بغداد المهجور الفسيح الارجاءِ . وهذه بادية الشام واراضي باشان . وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة . فلو ساد في اطرافها الامن ووجهت الدولة اليها انظارها ووهبتها لفلاحي البلاد ليحرثوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادباؤُهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ولكنهم ظلوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً . فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شرقيون . فاذا زارهم اميركي عاملوهُ كما يعاملهُ ابن بلادهِ وما زار اميركي سوريًا الاَّ خرج مادحاً ما لقيهُ من حسن ضيافتهِ ورقة اخلاقهِ ومتعجباً كيف ان هذا الشرقي الحديث العهد في بلادهِ جاراهُ في مصطلحاتهِ وباراهُ في عوائدهِ وكاد يسبقهُ في اتقانها

وقد افتتح السوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية . فاذا جاءَ قادم من الشرق ومرَّ على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيويورك خال نفسهُ في سورية

اما الالقاب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً . فكل من الكاتب والشاعر والاديب

والطبيب والوجيه والرئيس والزعيم يلقب بالافندي والشيخ ما زال شيخًا والامير ما برح اميرًا اما الذين ولدوا في هذه البلاد الجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على معاشر السوريين حتى ان معدهم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعلومة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاهية بالتمدن وزاهرة بالحضارة والعمران . فلولا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغهُ من التقدم والارتقاء. ولولا اختلاط الشعوب المنحطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدودًا من العصور المظلمة بالجهالة والتقهقر. فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيرًا الآن. هذا جبل كسروان فلولا اميركا لظلت مساكنهُ اكواخًا واهلوهُ يقاسون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فلولا اميركا لما كثرت دورهُ الفخيمة وتحسنت املاكهُ واراضيهِ وتساوى فقيرهُ بغنيهِ . وهذا وادي التيم فلولا اميركا لبقي فقيرهُ مدوسًا فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم محسوبًا من اصاغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشًا في السنة واكثر فامسى الآن خمسة غروش للتجار وثماني او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل القلمون وغيرهِ من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض اهاليها الى اميركا. فان حالتهم كانت كحالة اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم. واما اليوم فقد تحسنت شؤونهم وتوفرت اموالهم

وارتفاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على ان اميركا اكثرت ثروة القطر السوري الى حدّ لم يحلم بهِ احد من اجدادنا. ومن اين رأس مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ. وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

بل بالاختلاط والاقتداء . فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاتلون كل ظالم مكابر بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسهُ وسمت مطالبهُ وتشددت عزائمهُ وحلقت ابصارهُ الى طلب المعالي

الفائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلادهِ الداخلية افقدتهُ نشاطهُ لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الانحطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليهِ روح النشاط فقرنهُ بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد وتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

الفائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اقبح العوائد في القطر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالفلاح والصانع والعامل والخادم ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عندهُ هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لاغير . فكل من هؤلاء اذا قيض لهُ ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنتهِ ولو اضطرهُ اقلالهُ الى التسوُّل ظناً منهُ ان العمل عار عليهِ . والوجيه او المثري او الكبير الذي ساعدتهُ الايام ليكون كبيراً بوجاهتهِ او بمالهِ او بنفوذهِ او برجالهِ اذا عاندهُ التوفيق وسطا عليهِ الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعماً بان هذا التنازل يحط من قدرهِ ومقامهِ وشرفهِ

واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاَّب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقداً ان "كل عمل محلل شريف" وانهُ ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كثار لحصاد مزروعاتهم فاذاعوا انهم يدفعون اجرة اليوم من ريالين الى ثلاثة ريالات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عاراً او اهانة كما يتوهم ابناء سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقتهِ . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا نراهم يتقلبون في الاعمال كلما سنحت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تماماً ولكننا نقول بالاجمال

انهُ سيكون مجيدًا للاسباب الآتية وهي

اولاً . اتساع ثروتهم

ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بتحسينها ومجاراة الاميركيين

ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنهُ في البحث الرابع من هذه المقالة

رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الآيلة لخيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسن والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات

خامساً . اهتمامهم بتهذيب ابنائهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم

سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بتحسينها وتقدمها واكثارها ونشرها للمواضيع المفيدة

سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولهم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على مَن يريد المجيء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم والعيون . فان كان ذا مرضٍ معديٍّ وكانت عيناهُ ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معهُ مقداراً قليلاً من المال ينفقهُ قبل شروعهِ في العمل

الثالثة . ان يكون اقرارهُ في ادارة المهاجرة في نيويورك كاقرارهِ في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة . والاقرار هو سؤالات تطرح على القادم المهاجر في الكمبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسؤالات هي كما يأتي

(١) الى اين تقصد الذهاب

(٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة

(٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم

(٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك

(٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امراتهُ واولادهُ فالكمبانية

تصحّ ان يكون اقراره انهُ اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح لهُ بالدخول اذا كان متزوجاً وقد ترك عائلتهُ في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امراة غير مصحوبة ببعلها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضاً

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملقى في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الاَّ الذي عضهُ الفقر وتعود الدأب والتعب . فكل مَن تعود الترف والراحة الجسديَّة في بلادهِ وكان فقيرًا فننصح لهُ ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجديهِ نفعاً

السادسة . ان يحسب انهُ اذا كان دخلهُ الشهري في سورية ٢٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفيهِ عاماً في بلادهِ نفقةً لا يكفيهِ في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجهل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشة وقد سبق الكلام عن اشكال الاتعاب التي يقاسيها صاحب هذه الحرفة

الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيرًا ما دمرت الدور والمساكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرُها الحديدية وسائر الآلات التجارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء واماتت العباد. وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسببت طوفاناً في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقاً وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة آنفاً . فكثيرًا ما يتغير الطقس في النهار من حرّ شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغيُّر السريع عللاً صدريَّة واضرارًا صحية مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية ونقاوة هوائها وترتيب فصولها وطيب مائها

التاسعة . انهُ اذا تحسنت شؤون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

يوسف جرجس زخم
الريشاني
الولايات المتحدة

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

ذكرنا في الجزء الماضي استيلاء ابرهيم باشا على قلعة عكاء وانهزام الجيوش العثمانية امامهُ في واقعة حمص نقلاً عن الدكتور ميخائيل مشاقه الذي رأى تلك الواقعة مرأى العين وكان لهُ شأن فيها . وها نحن متمّون اخبار ابرهيم باشا نقلاً عنهُ قال :—

اقام ابرهيم باشا في حمص يوماً واحداً . ويوم الاثنين عاشر صفر سنة ١٢٤٨ خرج بالعساكر في طريق حلب وقبلما وصل اليها التقى بحسين باشا قادماً لمقاتلتهِ ومعهُ اربعون الفاً من العساكر فانكسر حسين باشا وبقي ابرهيم باشا سائراً الى حلب ففتحت لهُ ابوابها فرتَّب امورها وارسل والياً الى ايالة اورفه وسار نحو بلاد الترك واستولى على ايالة ادنه بغير حرب لان البلاد كلها خافتهُ . وسار الى قونية فهرب محافظوها ودخلها بعسكرهِ ولم يكن قد بقي معهُ سوى اثني عشر الفاً لانهُ ترك بعضهم للمحافظة على البلاد التي فتحها وفتك الهواء الاصفر بالبعض الآخر . وبلغهُ حينئذٍ ان الصدر الاعظم وصل الى قرب قونية ومعهُ مئة وخمسون الفاً من الجنود بالمدافع والمهمات الحربية الكثيرة فخرج اليهِ بعساكرهِ القليلة وهي بقيادة سليمان باشا الفرنسوي فالتقى الجيشان ونشب القتال وكان الصدر الاعظم راكباً جوادهُ يجول بين العساكر يحرضهم ويشجعهم وكان الضباب كثيفاً والدخان منتشراً يعمي الابصار ورأى ابرهيم باشا كثرة عدد خصومهِ وعدد رجالهِ فيئس من النجاة ووقف لا يدري ماذا يعمل ومرَّ بهِ سليمان باشا الفرنسوي وهو على تلك الحال فقال لهُ اراك تجهل ابواب الحرب ولا تفرق بين الغالب والمغلوب فان نظام خصمنا قد اختلَّ وستدور الدائرة عليهِ قريباً واما نحن فلم يزل ترتيب جنودنا على ما يرام فتشجع ولا تخف لاني اعتقد ان عسكرنا هذا القليل يكفي لقهر خصمنا ولو كان ضعفي ما هو

فاشتدَّت عزيمة ابرهيم باشا وزاد تحريضهُ لرجالهِ . وبقي الصدر الاعظم يجول بين عساكرهِ في مقدمتهم ولشدة الضباب دخل بين الجنود المصرية وهو لا يدري فاحاطوا بهِ وقبضوا عليهِ واتوا بهِ الى ابرهيم باشا فقام للقائهِ واستقبلهُ بالاحترام اللائق برتبتهِ ونودي في الجيوش التركية ان الصدر الاعظم أُخذ أسيراً فاختلَّ نظامهم واركنوا الى الهزيمة تاركين ما معهم من ميرة وذخيرة للمصريين

اما ابرهيم باشا فسار ومعهُ الصدر الاعظم الى قونية ثم بعث بهِ الى الاسكندرية وارسل بشائر انتصارهِ الى جميع البلاد الشامية وبلاد الترك التي فتحها . ولما استراح عسكرهُ نهض بهِ قاصدًا ايالة كوتاهية فهرب حكامها من وجههِ ولم يبقَ من يعارضهُ لان الرعب ملأ القلوب فدخل كوتاهية من غير مقاومة وجعل فرسان المنادي يسيرون الى مدينة ازمير فلا يجدون من يعارضهم مع انها كانت لا تزال في حكم الدولة

وحينئذٍ بعث سفير انكلترا وسفير فرنسا الى ابرهيم باشا ليقف عن التقدم حتى يأتيهُ امر من والدهِ لان الدول الاوربية كانت قد توسطت في ازالة الخلاف من بينهِ وبين الباب العالي فوقف الى ان قرَّ القرار على ان يبقى لمحمد علي ايالات صيدا وطرابلس والشام وحلب وادنه ويعود ابرهيم باشا بجنودهِ الى سورية

وحضر شريف باشا الى دمشق حكمدارًا على بلاد الشام من حلب الى غزة وهو من اقرباء محمد علي وكان على جانب كبير من الذكاء والانصاف الاَّ انهُ كان صارمًا جدًّا لا يشفق على مذنب ولا يرحم مسترحمًا فامات كثيرين بضرب السياط فالذي يستحق ذنبهُ الضرب عشرين سوطًا يضربهُ خمس مئة سوط وكان عندهُ للضرب رجل مصري اسمهُ علي يفتخر بانهُ يجلد الانسان على رجليهِ اربع جلدات فيخرج الدم منهما وقد شاهدتهُ يجلد انسانًا أُغمي عليهِ والدم ينزف من رجليهِ . لكن شريف باشا كان عادلاً صادقًا في كلامهِ ومواعيدهِ فرتب الولاية والمجالس على احسن حال وجعل لها مجلس استئناف في دمشق لاستئناف الاحكام واطلق الحرية التامة للقضاة ليحكموا كما يتراءى لهم وترفع الاحكام الى حنا بك بحري فينظر فيها ويعلق عليها ما يبدو لهُ من الملاحظات ويردها الى المجلس فاذا رأى اعضاؤُهُ ان بحري بك مصيب عملوا برأيهِ والاَّ دارت المناقشة بينهم وبينهُ الى ان ينجلي الحق ويعمل بهِ

وفرض ابرهيم باشا على الرعايا مالاً سنويًا سُمّي اعانةً وهو يختلف حسب غنى الانسان وفقرهِ من خمس مئة غرش في السنة الى خمسة عشر غرشًا حتى يكون المتوسط مئة غرش فاكثر وكان الريال العمود حينئذٍ بخمسة عشر غرشًا فاستثقل الناس ذلك من مسلمين ونصارى ولا سيما سكان القرى الذين يدفعون الاموال عن اراضيهم واغرامهم ومواشيهم ونحلهم وعسلهم وزاد على النصارى منهم مال جزية رقابهم كاهالي حاصبيا فوقع الامير سعد الدين في ارتباك عظيم لانهُ لا يستطيع ان يخالف اولياء الامر ولا يرى ان الرعايا قادرون على دفع ما فُرض عليهم فامرني بالنزول الى دمشق ومعي ورق ابيض عليهِ ختمهُ لكي اكتب عليهِ باسمهِ ما اراهُ لازمًا فاتيت دمشق وكان كاتب مجلس الشورى يميل اليَّ وبيننا قرابة

وصداقة فقدمت كتاباً من الامير سعد الدين الى شريف باشا يقول فيهِ انهُ ارسلني وكيلاً عنهُ لترتيب اعانة بلاد حاصبيا في مجلس الشورى . فاحال شريف باشا هذا الكتاب الى المجلس فاخذتهُ الى الكاتب فوعدني بانجاز طلبي حالاً فقلت لهُ ارجو ان يؤخر الى ما بعد غيرهِ وجعلت احرك وكلاء البلاد للشكوى من ثقل هذه الاعانة فكتبوا يتشكون ويسترحمون

ونجح المعلم بطرس كرامة في تنزيل فئة الاعانة عن اهالي لبنان الى خمسين غرشاً وجعل عدد الرجال المكلفين اربعين الفاً لا غير مستثنياً الامراء والمشايخ وايمة الدين من مشايخ المسلمين وخطبائهم ومطارنة النصارى وخوارنتهم ورهبانهم ومشايخ العقل عند الدروز وخلواتيتهم وخطبائهم فكانت جملة الاعانة المفروضة على اهالي لبنان اربعة آلاف كيس وفرضت الاعانات على سائر البلاد على هذه النسبة وكان البقاع اقلها وهو ٣٥ غرشاً على المكلَّف وحينئذٍ اجتهدت في تقليل اعانة حاصبيا فجعلتها ٣٠ غرشاً على المكلف واما دمشق فلم يحسن اهاليها التصرُّف في ترتيب فئتها فجعلت ١١٠ غروش وبلغ المفروض عليها اكثر من اربعة آلاف كيس سنويًا . واكثر اهاليها من الصنَّاع الفقراء فوقع عليهم ضنك شديد لان الاغنياء الذين فُرض عليهم مبلغ كبير قليلون جدًّا

ثم شرعت الحكومة المصرية تمنع الامراء والمشايخ من الاستقلال في حكم بلادهم وجعلتهم مأمورين من قبلها برواتب معلومة لا تساوي عشر ما كانوا يجمعونهُ من بلادهم ثم صارت تعزلهم منها وتولي غيرهم لكن الامير بشيرًا استصدر امرًا من محمد علي باشا الى شريف باشا ليتركهُ مستقلاً في امارة لبنان فاستثقل شريف باشا ذلك ولبث يتحين الفرص لنزع هذا الامتياز من الامير بشير . فنزع اولاً استقلال الامراء الحرافشة في بلاد بعلبك ورتَّب لهم معاشاً وفعل مثل ذلك بامراء حاصبيا وراشيا وذلك سنة ١٢٥٠ فصممتُ حينئذٍ على سكن دمشق فحضرت اليها وسكنتُ فيها وكنت الاحظ اشغال الامير سعد الدين عند الحكومة وفي مجلس الشورى وعندي ختمهُ على ورق ابيض

ولما تمادى المصريون في تغيير عادات العشائر وفرْض الاموال الطائلة على الاهالي نفرت القلوب منهم وصار سكان البلاد يتمنون رجوع حكم الاتراك وجاهر بعضهم بالعصيان فاضطر المصريون ان يكثروا عساكرهم لمنع الثورات واول من عصا طائفة النصيرية في جبال اللاذقية فأرسلت الجنود من لبنان وحاصبيا وراشيا لتأديبهم فقهرتهم اولاً ودخلت جبالهم وامتلكت اماكن كثيرة فيها ثم تغلبوا عليها وقتلوا كثيرين منها فعادت الى اللاذقية لكن جاءتهم نجدات قوية فاخمدوا ثورة الثائرين

ثم شرعت الحكومة المصرية في اخذ العساكر من الاهالي وكانت لا تراعي نظاماً مخصوصاً ولا تجنّد الجنود الى اجل معين وذلك جعل الشبان يهربون من وجهها الاَّ مسلمي لبنان ودروزهُ فان الامير بشيرًا امر ان لا يجنَّد احد منهم الاَّ باختيارهِ فلم ينزح منهم احد واما في المدن الكبيرة كدمشق فان الجنود كانت تجول في الشوارع وتقبض على كل الشبان الذين تجدهم وكل من وُجد منهم صحيح الجسم ادخلوهُ العسكرية ولو كان وحيدًا لوالديهِ بل ولو كان لهُ اخ في العسكرية ولم يبقَ في بيت ابيهِ غيره

واستثقل اهالي نابلس وطأة الحكومة فجاهروا بالعصيان وهم ابطال مجربون فقام اليهم ابرهيم باشا بعساكرهِ فحاربوهُ وضايقوهُ وكادوا يقبضون عليهِ وبلغ خبرهُ اباهُ في مصر فحضر بنفسهِ الى يافا لكن ابرهيم باشا نجا منهم ثم اغراهم بالطاعة وقبض على كبرائهم وقطع رؤُوسهم

وسنة ١٢٥٣ عصى دروز جبل حوران بسبب المغارم الكثيرة فبعث شريف باشا ٤٥٠ من فرسان الهوارة عليهم ظانّاً انهم يكفون لتأديبهم لكنهم بيَّتوا الهوارة وذبحوهم الاَّ القليل منهم وغنموا خيلهم واسلحتهم . وطار الخبر الى شريف باشا فارسل عليهم ستة آلاف من الفرسان والمشاة . اما الدروز فانهم تحالفوا مع عرب السلوط ولجأُوا الى اللجاة بعيالهم وهي عسرة المسالك جدًّا طولها عشرون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور والشقوق يتعذر على الغريب السلوك فيها فدارت الدائرة على الجنود المصرية ولاسيما بعد ان جاء الشيخ شبلي العريان لمساعدة الدروز وكانت الدواب ترسل من دمشق بالميرة وتعود بالجرحى حتى دعت الحال الى مجيء الدكتور كلوت بك الفرنسوي من مصر ومعهُ بعض الاطباء لكثرة الجرحى

واخيرًا قام شريف باشا وذهب الى اللجاة بنفسهِ ومعهُ جيش كبير فانهزم الدروز من امامهِ اولاً حتى اذا توسط اللجاة في مكان عسر المسالك عادوا عليهِ وقام الذين كانوا كامنين لهُ وراء الصخور واطبقوا على عسكرهِ وذبحوهُ ذبح الغنم وفاز شريف باشا بالفرار ولكن قتل اكثر الذين كانوا معهُ واستولى الدروز على اسلحتهم وامتعتهم واشتدت عزائم الدروز وكثرت جموعهم بمن كان ينضم اليهم وصاروا يرسلون سرية وراء سرية للقبض على الميرة الواردة الى الجيش المصري بطريق عكاء

وبلغ ابرهيم باشا ما حلَّ بجنودهِ من الدروز وكان في حلب فاتى دمشق وجهز جيشاً كبيرًا وسار لقتالهم فلم ينل منهم مأربًا لان جنودهُ كانوا يخافونهم فانتقل الى سهل تسهل الحركة فيهِ على الجيوش المنظمة وبعث فرسان الاكراد امامهُ وسار في اثرهم ببقية الجيش حتى اذا بلغ الاكراد ارض دامه اطبق عليهم الدروز وكسروهم شر كسرة فدافع عنهم ابرهيم باشا بالجنود النظامية

وكان الرعب متمكناً من قلوب جنوده كما تقدم فانهزموا امام الدروز وجدّ الدروز وراءهم وسدّوا عليهم الطرق ولم يتمكن ابرهيم باشا من الخروج من اللجاة الاّ بعد عناء شديد وخسارة كبيرة فعمد الى منع الماء عنهم وكانوا يشربون من مياه في لحف اللجاة فعزم على دس السم فيها وطلب من كلوت بك ان يذيب السليماني حتى يصبهُ لهم في الماء فابى كلوت بك ان يفعل ما امرهُ بهِ قائلاً ان صناعتي لاتجيز لي ذلك لا سيما وان الذين يشربون من الماء ليسوا الرجال فقط بل النساء والاطفال ايضاً . فقال لهُ ابرهيم باشا اني لا اخدعهم بل اخبرهم بما فعلت فاصرّ كلوت بك على انهُ لايفعل ذلك. وكان في العسكر المصري غير كلوت بك من العارفين بفن الكيمياء فالزمهم ابرهيم باشا باذابة السليماني واشتري كل ما وجدهُ منهُ في اسواق دمشق فاذابوهُ وصبوهُ في الماء الذي يستقي منهُ الدروز فمات بعضهم عطشاً واضطروا ان يتركوا اللجاة ويمضوا الى بلاد راشيا وعرقوب حاصبيا . وكان في راشيا طابور من العسكر المصري في سراي الامير افندي فحاصروهُ واضطروهُ الى التسليم والرجوع الى دمشق ثم تبعوهُ في الطريق وذبحوهُ عن آخرهِ وبلغ ابرهيم باشا ذلك فكتب الى الامير بشير ان يرسل ابنهُ الامير خليلاً الى حاصبيا ومعهُ ثلاثة آلاف من اللبنانيين فرساناً ومشاة ونهض هو من دمشق بالعساكر قاصداً راشيا عن طريق الديماس حتى اذا بلغ وادي بكّا التقى بالشيخ ناصر الدين العماد قادماً من لبنان بالف رجل من دروزهِ لمساعدة الدروز في راشيا فنشب القتال بين الفريقين وكان الشيخ ناصر الدين من الابطال المعدودين ولكن اصيب برصاصة فخرّ قتيلاً والتجأ رجالهُ الى ربوة كثيرة الصخور والادغال ولا ماء فيها فاحاط بهم العسكر المصري فاصلوهُ ناراً حامية الى ان فرغ بارودهم واستمرّ العسكر يطلق الرصاص عليهم الى ان افناهم . قال ابرهيم باشا في كتاب بعث بهِ الى شريف باشا انهُ رأى منهم رجلاً واحداً فاز بالنجاة لانهُ لم يصعد الربوة معهم اما انا فبلغني من اهالي بنطا المجاورة لمكان الواقعة انهُ نجا منهم اربعون نفساً والظاهر ان ابرهيم باشا لم يرَ غير الذي اخبر عنهُ

وبلغ الدروز في راشيا قدوم ابرهيم باشا عليهم فهربوا الى ارض جنعم من بلاد حاصبيا بالقرب من قرية شبعا. وشرقي جنعم جبل الشيخ وغربيها الجبل الوسطاني وهو عسر المرتقى يفصل حاصبيا وبعض قراها عن جنعم والتفّ عليهم كثيرون من دروز حاصبيا وبلادها وبلاد راشيا واقليم البلاّن واتاهم شبلي العريان من اللجاة فارسل ابرهيم باشا الى الامير خليل ليوافيهُ برجالهِ الى جنعم ولما التقى بالدروز اصلاهم ناراً حامية الى ان دارت الدائرة عليهم واستأمنوا وارسلوا اليهِ الشيخ حسن البيطار من عقّال راشيا يلتمس لهم الامان وكانت عباءتهُ مخرّقة من الرصاص وكان ابرهيم باشا

يعرفهُ ويسرُّ بكلامهِ فقال لهُ ألم تزل حيًّا فقال انظر ما في عباءتي من خروق الرصاص والباري سبحانهُ لم يسمح بقتلي فان شئتهُ انت فانا بين يديك . فقال لهُ انا لا اشاءُ قتل احد ولكن قومك يسعون في قتل انفسهم . فقال الشيخ انهم انتبهوا الآن من غفلتهم وارسلوني اطلب لهم العفو والامان . فقال ابرهيم باشا ذلك لهم على شرط ان يسلموني سلاحهم . فقال الشيخ انهم خاضعون يفعلون كل ما تأمرهم بهِ فاصدر امرك بمرسوم الامان وليتوجه معي مأمور لكي نجمع السلاح ونسلمهُ لهُ . فكتب المرسوم وذهب المأمور فاعطوهُ السلاح وعندهم غيرهُ

ونهبت خلوات البياضة في هذه الحوادث وهي للدروز بمثابة الاديرة للنصارى (واستطرد المؤلف هنا الى ذكر عقائد الدروز والى حادثة البادري توما الذي قتل في دمشق واتهم اليهود بقتلهِ وغير ذلك من الحوادث التي ليس لها شأن كبير في تاريخ ابرهيم باشا) الى ان كانت سنة ١٢٥٥ فارسل السلطان محمود جيشًا كبيرًا لمحاربة ابرهيم باشا واخراجهِ من سورية فمضى ابرهيم باشا الى حلب وجمع عساكرهُ والتقى بالجيش التركي وانتصر عليهِ ووجد بين اوراق السرعسكر فرمان الولاية على الشام لعلي اغا كاتب الخزينة

وكان شريف باشا والي الشام ناقمًا على علي آغا هذا لانهُ كان وجيهًا عند ابرهيم باشا وكان ابرهيم باشا ينزل في دارهِ كلما جاء دمشق ويسرُّ بمسامرتهِ ونوادرهِ . وحضر علي آغا حرب نابلس التي اشتدَّ فيها الضيق على ابرهيم باشا واظهر حينئذٍ من الشجاعة والبسالة ما رفع منزلتهُ عند ابرهيم باشا ثم سار معهُ لمقابلة محمد علي باشا لما جاء الى يافا . وكان يخدم الحكومة المصرية مجانًا لم يقبل وظيفة ولا انتفع بشيء وعرض عليهِ ابرهيم باشا وظائف تليق بهِ فاعتذر عن قبولها . وقال لهُ ابرهيم باشا في مجلس شراب الى متى اعرض عليك الوظائف وانت تأباها فقال علي آغا اني اخدمك في كل ما تريد الاَّ الوظائف المرتبة فاني لا اقبلها . وكان حاضرًا حسن بك الكحالة الدمشقي متسلم القدس فقال لهُ اما خدمت في اللاذقية متسلمًا ثم صرت متسلمًا في حماه . فاغتاظ ابرهيم باشا منهُ وقال لهُ هل الوزراء الذين خدمتهم اعظم مني . فقال كلا ولكنهم ما كانوا يسألون عن تصرفي واما دولة مصر فتعاقب خادمها اذا تناول هدية ولو ديكًا فتحبسهُ ويحضر القبطي يكتب جورنال الدعوى بعينين مزورَّتين ويلحظني شزرًا كأني قاتل اباهُ ويقول قرَّر فلان وقرَّر فلان وتكون الدعوى على ديك او جرزة فجل فلا اجعل نفسي لاجلهما اسيرًا وخير لي ان ابقى حرًّا اقبل هدية الثور والجمل ولا احد يسألني . فقال لهُ ابرهيم باشا اني ارتب لك راتبًا يكفيك ويرضيك فلا يبقى لك عذر ولا حاجة الى الهدايا . فاجابهُ ان الباري تعالى عندما خلق السموات والارض خلق الاسماك في البحار

والحيوانات في البر والطيور في الجو وجعل جنةً فيها من الاشجار انواع شتى من كل ما تشتهيهِ الانفس ثم استحسن ان يخلق حضرة ابينا آدم لخلقهُ على صورتهِ في غاية الكمال وافاض عليهِ روح النبوَّة وجعلهُ حاكماً على جميع مخلوقاتهِ من البهائم والاسماك والطيور والاشجار والاعشاب لا يزاحمهُ فيها انسان آخر واختص الله لذاتهِ شجرة واحدة ونهى آدم عنها فعصا وا كل منها وهو نبيٌّ. فمهما اعطيتني لا تقدر ان تعطيني ما اعطاهُ الله لآدم وانا ابنهُ فلا بدَّ وان يكون طبعي مثل طبعهِ ولا اقف عند نهيك فتعاقبني بخير لي ان ابقى خارجاً عن وظائف الحكومة.
فسرَّ ابرهيم باشا بهذا الجواب واقتنع بهِ. لكن لما رأى فرمان التولية لهُ من الباب العالي امر بتوقيفهِ في محل بدار الحكومة . وكان شريف باشا كارهاً لهُ كما تقدَّم فعمل مجلساً لاثبات تهم اتهمهُ بها . وكان علي آغا يبرهن على براءتهِ منها وكنت اقف على كل ما يقال في الجلسات من الامير محمود حفيد الامير بشير فانهُ كان يحضرها بامر شريف باشا ولم يذكروا لهُ فرمان الولاية ولا هو كان عالماً بهِ (كما ثبت لي بعدئذٍ من علي بك ابن خليل باشا الذي حضر دمشق والياً عليها فانهُ اخبرني ان اباهُ سعى في الحصول على فرمان الولاية لعلي آغا من غير ان يخبرهُ بذلك) . لكن براءتهُ وتبرئتهُ نفسهُ لم تجدياهُ نفعاً . فقطعوا رأسهُ امام سراي الحكومة في الصباح وتركوهُ مطروحاً الى آخر النهار ليراهُ الناس وكان عمرهُ سبعين سنة لكنهُ كان كابن خمسين . وكان يوماً عبوساً على اهالي دمشق من مسلمين ونصارى ويهود لان علي آغا كان محبوباً مكرَّماً عند الجميع ولم يكن احد يظن ان تكون لهُ هذه الخاتمة من يد المصريين لانهُ كان محبًّا لابرهيم باشا مخلصاً الولاء لهُ

ثم ان الامراء بيت الحرفوش اصحاب بعلبك كانوا حكامها منذ قرون كثيرة فلما اخرجهم ابرهيم باشا من حكمها رتَّب لهم رواتب لا تقوم بمعيشتهم فشقوا عصا الطاعة وكان الامير جواد الحرفوش اعلاهم مقاماً واشدهم بأساً لكنهُ ملَّ من الفرار امام رجال الحكومة فالتجأ الى الامير بشير واستأمن اليهِ فامَّنهُ ووعدهُ بالسعي لهُ لدى الحكومة للعفو عنهُ وكتب الى شريف باشا فاتاهُ الجواب بان يرسل الامير جواداً واتباعهُ الى دمشق . ولما وصل الى دمشق قطع رأسهُ وطرحهُ امام باب السراي . فهذه الاعمال المت الامير بشيراً واضعفت ثقتهُ بالمصريين وصار ينتظر زوال نعمتهِ عن يدهم كما ازالوا نعمة غيرهِ . (ويظهر من حوادث كثيرة ذكرها الدكتور مشاقه في عرض كلامهِ ان ابرهيم باشا كان اعدل من شريف باشا وارأف منهُ جدًّا فكان يعفو عن القاتل والعاصي اذا طلبا العفو وذكرا سبباً معقولاً للقتل او للعصيان . مثال ذلك ان الامير بشيراً والامير خليلاً الشهابيين اخوي الامير سعد الدين

صاحب حاصبيا قتلا الامير بشيرًا والامير عليًا بديعه بعد رجوع ابرهيم باشا من حاصبيا وكانا قد استأمنا اليهِ فأمَّنهما . فامر بتوقيف الامير سعد الدين عند الامير بشير في لبنان وفرَّ القاتلان من وجه الحكومة واختفيا مدة . واتَّفق ان حسين الطرابلسي من متوالة بلاد بشارة وهو رجل مشهور بالشجاعة ولهُ احد عشر ولدًا وكلهم من الشبان الاشداء وكان يقطع الطرق ويعتدي على ابناء السبيل بالسلب والنهب التقى بالامير خليل احد الاخوين القاتلين فاطلق عليهِ الرصاص واخطأهُ فهجم عليهِ الامير خليل برجالهِ وقبضوا عليهِ ونزعوا سلاحهُ وشدُّوا وثاقهُ وسلموهُ لمحمد آغا سويدان حاكم حاصبيا وأُرسل الخبر الى ابرهيم باشا فقال يا سبحان الله ان القتلة الهاربين من وجه الحكومة يمسك احدهم الآخر ويسلمهُ للحكومة . فقال لهُ احد الحضور ان المقبوض عليهِ كان يقتل طمعًا بسلب الاموال واما القابض فقتل قاتل اخيهِ أخذًا بثارهِ وفرَّ خوفًا من سطوة الحكومة ولم يسلب راحة الرعية ولا اتعب الحكومة ثم اظهر ولاءهُ لها في هذه الحادثة . فقال ابرهيم باشا لا ريب عندي في ولاء الامراء الشهابيين ولكن اخذهم تأرهم بيدهم لما يشين ولا سيما لانهم خفروا ذمتي ومع ذلك فقد عفوت عنهم لصدق خدمتهم وامر باطلاق الامير سعد الدين وتأمين اخويهِ وصرف معاشاتهم وشنق حسين الطرابلسي فشنقوهُ في حاصبيا ثم ارجع حكومة حاصبيا وراشيا الى الامراء الشهابيين

ومن هذا القبيل ان شبلي العريان البطل المشهور الذي قاوم ابرهيم باشا اشد مقاومة في حوران وحاصبيا واستأمن ثم خان عاد وطلب الامان وسلم سلاحهُ لابرهيم باشا والقى نفسهُ بين يديهِ فعفا عنهُ واحضرهُ معهُ الى دمشق وردَّ لهُ سلاحهُ وعقد لهُ على ثلاث مئة فارس

وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وخلفهُ ابنهُ السلطان عبد المجيد وكثرت القلاقل في بلاد الشام بسبب المغارم التي فرضتها الحكومة المصرية على الاهالي مع انها انصفتهم بعضهم مع بعض ولم تكن تأخذ منهم غير ما فرضتهُ عليهم وكانت تهتم بالمنافع العمومية فتدفع نفقاتها من غير ان تكلفهم شيئًا . مثال ذلك ان المياه القذرة كانت تنصبُّ من بعض احياء دمشق وتجتمع في خندق خلف السور جهة باب شرقي ويفوح منها روائح كريهة على البيوت المجاورة واكثر سكانها من النصارى واذا جفَّت في الصيف نزعها اصحاب البساتين ونقلوها الى بساتينهم فتجتمع اقذار غيرها ويمكن صرفها في نهر عقربا الذي لا يستعمل الاَّ للري لانهُ يحمل اقذارًا كثيرة من دمشق ولكن لا يمكن جرُّها اليهِ الاَّ اذا مرَّت في اراضي وقف المجذومين فالتمس اهالي المحلة من ابرهيم باشا ان يأذن لهم في صرف تلك الاقذار في نهر عقربا على نفقاتهم فكتب الى شريف باشا لكي يبحث في طلبهم بمعرفة المهندسين ويرى مقدار النفقات اللازمة لهُ ولما

ثبت له ان الضرر حاصل وانهُ يمكن صرف الاقذار في نهر عقربا امر بعمل كل ما يلزم لذلك على نفقات الحكومة قائلاً انهُ من المنافع العمومية التي يجب ان تتحمل الحكومة نفقاتها لانها مكلفة بدفع الضرر عن الرعية

ومنها ان الجزارين رفعوا سعر اللحم حتى صار ثمنهُ فاحشاً فامر ابرهيم باشا مجلس الشورى ان يبتاع الغنم ويعين من يذبحهُ ويبيعهُ بثمن معتدل ولما رأى ان الجزارين لم يرعووا امر ان يترك لهم الربح الكافي وتؤخذ منهم الزيادة وتنفق في المصالح العمومية فارتدعوا

الاَّ ان ثقل الضرائب وانقطاع ارزاق ابناء العشائر ومساعي الاتراك والاوربيين حملت اهالي سورية على شق عصا الطاعة فجاهروا بالعصيان وفازوا باخراج ابرهيم باشا من بلادهم كما سيجيء

الشيخ محمد عبده

سيرتهُ ومآثرهُ

نشرت جريدة المنار ترجمة مسهبة للشيخ محمد عبده ووعدت بنشر كتاب مطوَّل جمعت فيهِ اثارهُ ومآثرهُ وما كتب عنهُ . واجتمع كثيرون من تلامذتهِ واصدقائهِ ومريديهِ في الاربعين من وفاتهِ وتلوا خطباً وقصائد في سيرتهِ ومآثرهِ في الجامع الازهر ومجلس الشورى ومحاكم القضاء والبلاد الاسلامية عامةً فكثرت لدينا المواد فوق ما نعرفهُ بالخُبْر من امر الفقيد فاقتطفنا منها ما يأتي :

ولد سنة ١٢٦٦ للهجرة من ابوين متوسطي الحال ووالدهُ من بلدة محلة نصر في مديرية البحيرة وينتمي بيت والدهِ الى بني عدي من العرب وقال انهم من ذرية عمر بن الخطاب . وقد سمعنا من الفقيد انهُ من العرب الذين هاجروا من بلاد المغرب الى القطر المصري وقال صاحب المنار انهُ نشأ كما ينشأ امثالهُ من ابناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة الاَّ بعد ان جاوز العاشرة من سنهِ وقد كتب عن مبدإِ تعلمهِ وتأديبهِ ما نصهُ

« تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليهِ وحدي جميع القرآن اول مرة ثم اعدت القراءة حتى أتممت حفظهُ جميعهُ في مدة سنتين ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا الحافظ ظنًّا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من اثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني

والدي الى طنطا حيث كان اخي لامي الشيخ مجاهد رحمهُ الله لأجوّد القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائهِ بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

" ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الاجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفاً لا افهم شيئاً لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية او فقهية لانفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فادركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة اشهر ثم عثر عليَّ اخي فاخذني الى المسجد الاحمدي واراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت لهُ : قد أيقنت ان لانجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليَّ الاَّ ان اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من اقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليهِ فاخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا اعوذ الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

" فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقتهُ في الازهر وهو الاثر الذي يجدهُ خمسة وتسعون في المئة ممن لايساعدهم القدر بصحبة من لايلتزمون هذا السبيل في التعليم — سبيل القاء المعلم ما يعرفهُ او ما لا يعرفهُ بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعدادهِ للفهم . غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم انفسهم فيظنون انهم فهموا شيئاً فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال وهم في احلام الاطفال ثم يبتلي بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عندهُ داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينهُ وبين نفع الناس بعلمهِ

" بعد ان تزوجت باربعين يوماً جاءني والدي ضحوة نهار والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ووجدت فرساً أُحضر فركبتهُ واصحبني والدي باحد اقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (ايتاي البارود) التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء تحصب الوجه بشبه الرمضاء فلم استطع الاستمرار في السير فقلت لصاحبي اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بدَّ من التعريج على قرية انتظر فيها ان يخف الحر فابى عليَّ ذلك فتركتهُ واجريت الفرس هارباً من مشادتهِ وقلت اني ذاهب الى (كنيّسة ادرين) — بلدة غالب سكانها من خؤولة ابي — وقد فرح بي

شبان القرية لانني كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح واملوا أن أُقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبهِ . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وارادني على السفر فقلت لهُ خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأَخبر بما أُخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوماً تحولت فيها حالتي " وبدلت فيها رغبة غير رغبتي "

" ذلك ان أَحد اخوال أَبي واسمهُ الشيخ درويش سبقت لهُ اسفار الى صحراء ليبيا ووصل في اسفارهِ الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئاً من العلم واخذ عنهُ الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمهُ ثم رجع من اسفارهِ الى قريتهِ هذه واشتغل بما يشتغل بهِ الناس من فلح الارض وكسب الرزق بالزراعة

" وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة وبيدهِ كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديهِ بالاطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان اقرأ لهُ فيها شيئاً لضعف بصرهِ فدفعت طلبهُ بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منهُ اشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميتهُ الى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى اخذت الكتاب وقرأت منهُ بضعة اسطر فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبهُ وتسبق الى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابهِ والحَّ عليَّ في قراءة شيء منهُ فقرأت وفسر ثم تركتهُ الى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الاول . اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ لهُ فيهِ وهو يشرح لي معاني ما اقرأ نحو ثلاث ساعات لم أَملّ فيها فقال لي انهُ في حاجة الى الذهاب الى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منهُ ابقاء الكتاب معي فتركهُ ومضيت اقرأهُ وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأَسألهُ عنها الى ان جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني الى البطالة . وعصر ذلك اليوم سألتهُ عما لم افهمهُ فابان معناهُ على عادتهِ وظهر عليهِ الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل الى الفهم

" كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من

مظاهر هذه الحياة الدنيا

" لم يأت عليَّ اليوم الخامس الَّا وقد صار ابغض شيء اليَّ ما كنت احبهُ من لعب ولهو وفخفخة وزهو . وعاد احب شيء اليَّ ما كنت ابغضهُ من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت احب ويزهدونني في عشرة الشيخ رحمهُ الله فكنت لا احتمل ان ارى واحداً منهم بل افر من لقائهم جميعاً كما يفر السليم من الاجرب . في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت او ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوي الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون وان كنا في غمرة ساهين . سألتهُ ما وردكم الذي يتلى في الخلوات او عقب الصلوات . فقال لا ورد لنا سوى القرآن نقرأ بعد كل صلاة اربعة ارباع مع الفهم والتدبر : قلت انَّى لي ان افهم القرآن ولم اتعلم شيئاً قال اقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل واذا خلوت فاذكر الله : على طريقة بيَّنها . واخذت اعمل على ما قال — من اليوم الثامن فلم تمض عليَّ بضعة ايام الَّا وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت اعهد واتسع لي ما كان ضيقاً وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً . وعظم عندي من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً . وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبقَ لي الَّا هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة كامل ادب النفس ولم اجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليهِ نفسي الَّا ذلك الشيخ الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد . هذا هو الاثر الذي وجدتهُ في نفسي من صحبة احد اقاربي وهو الشيخ درويش خضر من اهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البحيرة . وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة وهو الذي ردَّ لي ما كان غاب من غريزتي وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي

" وفي اليوم الخامس عشر مرَّ بي احد سكان بلدتنا (محلة نصر) فاخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكنيسة فاصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت اقمت الف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبهُ ومطلبي لما اقتنع

" ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الاخرة من

سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنتهُ فعاقهُ الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض لهُ عارض منعهُ عن اتمام شرح الشيخ خالد على الاجرومية فادركت كلاً منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرسهُ وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لاطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاهُ . وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت امامي شخصاً يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رامي اليهِ قال لي ما معناهُ : ما احلى حلوى مصر البيضاء : فقلت لهُ واين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله من جد وجد : ثم انصرف فعددت ذلك القول منهُ الهاماً ساقهُ الله اليَّ ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا

"وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخهِ مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصاً كلمة لغير ضرورة . وفي اواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى (محلة نصر) لاقيم فيها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال . وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ درويشاً قد سبقني اليهِ فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري. وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فاذكر لهُ ما درست فيقول : ما درست المنطق مادرست الحساب ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة : وهكذا وكنت اقول لهُ بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيلهِ في اي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارةً كنت اخطئ في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر اواخر سنة ١٢٨٦

"وقد صاحبتهُ من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ واخذت اتلقى عنهُ بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وادعو الناس الى التلقي عنهُ كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبتهِ يتقولون عليهِ وعلينا الاقاويل ويزعمون ان تلقّي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والاخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمهُ وحكمتهُ وان اعدى اعداء العليم هو الجاهل واعدى اعداء الحكيم هو السفيه وما تقرب احد الى الله بافضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديهِ الاّ ما يسميهِ بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر

والشعوذة ونحوها اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس: "

هذا ما كتبهُ الفقيد عن مبدإِ تربيتهِ وتعلمهِ في ترجمتهِ التي كتبها لي قبل اشتداد مرضهِ الاخير وكان قد حدثني قبل بشيءٍ من ذلك ومنهُ انهُ لم يكن يواظب على حضور دروس من لا يفهم او لا يستفيد منهم وانهُ ربما كان يحضر درس احدهم وفي يدهِ كتاب آخر يطالع فيهِ مدة الدرس وان من شيوخهِ الذين فهم منهم واستفاد في اول تحصيلهِ الشيخ محمد البسيوني وانهُ بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين ملَّ الدروس المعتادة كأَنهُ اخذ حظهُ منها وصارت نفسهُ تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنهُ حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى اعادة شيءٍ منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بعلم المنطق فحضرهُ عليهِ ولم يكن يشفي ما في نفسهِ بل كانت تتشوق دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبتهِ فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر بهِ القطب على الشمسية ناقصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بان المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات او اشبه بالحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليهِ نفسهُ من اضطرابها ووجدت عندهُ جميع طلبتها واقصى امنيتها . واخبرني رحمهُ الله تعالى ان الذي اخبرني بقدوم السيد جمال الدين هو احد المجاورين في رواق الشوام قال لهُ انهُ جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسناً ودعاهُ الى زيارتهِ معهُ فالفياهُ يتعشى فدعاهما الى الاكل معهُ فاعتذر فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قالهُ المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأَ قلب الفقيد بهِ عجباً وشغفهُ حباً

وقال حسن باشا عاصم في ترجمتهِ التي تلاها يوم تذكار الاربعين ان الفقيد "عرض نفسهُ في سنة ١٢٩٤ ﻫ على مجلس الامتحان طالباً شهادة العالمية من الازهر فنال الشهادة رغماً عن تشديد اكثر المشايخ عليهِ لحضورهِ على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية واما دور العمل والاصلاح فقد بدأَ بهِ في اثناء الطلب . كان يقرأُ دروساً في التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتباً جديدة من كتب سلفهم واسلوباً جديداً يتدفق فصاحةً وبلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتى مطلع الفجر

وبعد ان صار مدرساً رسمياً زادت عنايتهُ بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عليش للفقيد لوشاية مكنها من نفسهِ حضور الفقيد على السيد جمال الدين

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامي بواسطة الحكومة لانهُ اسرع فائدة وابنع ثمرة لو تمّ . وقد مهد لهُ السيد بتلاميذهِ ومريديهِ حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذي كان متصلاً بهِ قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى اوغر الوشاة صدرهُ على السيد وعلى تلميذهِ الاول ويمينهِ في العمل فنفي السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلدهِ (محله نصر) وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦ ﻫ

كان الفقيد قبل ذلك عين معلمًا للتاريخ في مدرسة دار العلوم واللغة العربية في مدرسة الالسن فجرى في التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الاصلاح والنجاح . وكان يقرأ في مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم تقرأ قبلهُ درسًا في مصر وكان يسلك في تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد في علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسهِ هذا لربى رجالاً واحيا آمالاً

وفي سنة ١٢٩٧ ﻫ عينهُ صاحب الدولة رياض باشا محررًا في الجريدة الرسمية ثم جعلهُ رئيس التحرير فيها ورغب اليهِ في سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من احكام ذلك القانون انهُ يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على ما يراهُ منتقدًا منها كما انهُ لهُ حق المراقبة على الجرائد التي تنشر في البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن احكامهِ ان ينشئ رئيس التحرير في الجريدة الرسميَّة قسمًا ادبيًّا تنشر فيهِ المقالات في التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة في الاخلاق والعادات

بهذا القانون صار الفقيد كالمسيطر على عمال الحكومة والمربي للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسميَّة تنتقد ما تكتبهُ مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقي دروس في العربية وانشئت لذلك مدارس ليلية تبرع الفقيد بالقاء دروس في بعضها وتنتقد الاعمال حتى كان ذلك عونًا على اصلاحها لما يتوقاهُ العمال من الانتقاد والتشهير بل من المؤاخذة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس التحرير الحق في مطالبة الحكومة بالتحقيق عما تقولهُ الجرائد المحلية في عمال الحكومة فان ظهر صدق طعن في احد فعلى الحكومة ان تؤاخذهُ . وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عباراتها حتى انهُ انذر بعض الجرائد بالتعطيل اذا لم تأتِ بمحرر بارع يصحح عبارتها بعد ايام حددها ففعلت فكان وجودهُ في المطبوعات مبدأ النهضة القلمية في القطر المصري بعد ان اعدهُ السيد جمال

الدين وافراد آخرين لذلك . وقد كان من اثر انتقادهِ على الحكومة انشاء مجلس اعلى لنظارة المعارف هو احد اعضائهِ والغرض منهُ ترقية التربية والتعليم في البلاد

بعد ذلك جاءت الثورة فاوقفت سير هذا الاصلاح في اللغة والاعمال والآداب كما اوقفت غيرهُ مما كانت الحكومة شرعت فيهِ بهمة رياض باشا

لذلك كان الفقيد شديد الانتقاد على العرابيين قولاً وكتابة ولكن الوشاية اتهمتهُ فحكم عليهِ بالنفي ثلاث سنين

اذا اراد الله بعبد خيرًا اهّلهُ للاستفادة من كل شيء ولقد كانت تربية الفقيد تحتاج في كمالها الى السياحة في الارض واختبار الامم فتمَّ لهُ ذلك بهذا النفي

ذهب الى سورية واقام فيها نحو سنة ثم سافر الى اوربا واقام نحو عشرة اشهر التقى فيها باستاذهِ وصديقهِ السيد جمال الدين على موعد واصدرا جريدة العروة الوثقى التي كان لها اعظم تأثير في العالم الاسلامي ولكن لم يطل عليها العهد اذ منع دخولها في مصر والهند وهما القطران المقصودان بها اولاً وبالذات ثم عاد الى سورية مارًّا بتونس فاقام فيها عدة سنين

كان في بيروت يدرس العقائد الاسلامية في المدرسة السلطانية ويقرأ درسًا في التفسير في الجامع الكبير ودرسًا آخر في جامع آخر وكانت دارهُ ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف وكان يكتب في الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف اتم الاختبار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى مصر وتسابق العظماء الى الشفاعة فيهِ لدى الخديوي السابق فعفا عنهُ وامر بان يعين قاضيًا في المحاكم الاهلية فلما علم بذلك استاء وسعى في ان يكون معلمًا في دار العلوم قائلاً اني خلقت لان اكون معلمًا لا قاضيًا فلم يقبل الخديوي الاَّ ان يكون قاضيًا فرضي رحمهُ الله بالقضاء وارتقى الى اعلى مرتبة فيهِ وكان فيهِ قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون اذا لم ينطبق معهُ على العدل والانصاف بل يعمد الى الصلح وكان يتوخى التربية في احكامهِ حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير

منذ اكثر من ثلاثين سنة فكر بعض عقلاء هذه الامة في طريقة لارتقاء علماء الدين الى درجة ينفعون بها العالم الاسلامي كما نفعهُ سلفهم فكان رأي البعض ان لا سبيل الى ذلك الاَّ بايجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الاخرى وكان من وراء ذلك انشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ هـ والبعض الاخر كان يرى ان اقرب الطرق للوصول الى هذا

الغرض هو اصلاح الازهر. وكان الفقيد على هذا الرأي ولذلك ما كان يجد فرصة الا انتهزها لتحقيق امانيهِ حتى انهُ لما اتصل بسمو الجناب الخديوي عباس الثاني في اول ولايتهِ ونال الحظوة عنده تعين عضوًا في مجلس ادارة الازهر وتمكن من العمل في اصلاح التعليم والتربية الدينية فيهِ لاعتقادهِ انهُ اصلاح اسلامي عام ينتشر نورهُ في جميع بلاد الاسلام. وفي سنة ١٣١٧ قلدهُ سمو الجناب الخديوي منصب افتاء الديار المصرية فكان بهِ لهذا المنصب الشأن العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء في العالم الاسلامي

وكان من مقتضى منصب الافتاء ان كان رحمهُ الله عضوًا في مجلس الاوقاف الاعلى فكان نبراسًا للمجلس يستضيء برأيهِ في تطبيق اعمالهِ على احكام الشرع الشريف وفي حل المشكلات. ومن اقتراحاتهِ المفيدة ان تشكلت لجنة تحت رئاستهِ وضعت نظامًا للمساجد لو عمل بهِ كما هو لعمرت بيوت الله وبيوت خدمتها ولكانت عونًا على احياء علوم الدين

عقب تقلدهِ منصب الافتاء عين عضوًا في مجلس شورى القوانين فكان للمجلس على عهدهِ من الخدمة النافعة والاحترام ما لم يكن لهُ من قبل فقد كان عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان اهم غرض لهُ من التعب الشديد في المجلس تعويد الامة دقة البحث في امورها وتربية الرأي العام فيها . ولا ننسَ من خدمتهِ للعلوم الاسلامية رئاستهُ لجمعية احياء العلوم العربية فقد أُسست هذه الجمعية في سنة ١٣١٨ لاحياء كتب سلف هذه الامة وافاضل علمائها وكانت فاتحة اعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير لهُ في موضوعهِ . وقد تولى تصحيحهُ مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وان الفضل في خدمة الشنقيطي لهذا الكتاب راجع الى فقيدنا فانهُ لولاهُ لما اقام في هذه البلاد . وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص في احياء مدون الامام مالك رضي الله عنهُ . وللفقيد من الخدمة في استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ما لولاهُ لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كلهِ

وكان يعتقد انهُ لا يرجى خير لامة الا اذا دبت في افرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الاسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الأمر الذي لا يتأتى الا بالتربية والتعليم . ولما كان يرى نفسهُ مخلوقة لتربية الامة وتعليمها فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية في سنة ١٣١٠ هجرية ولهُ من العمل فيها ما يجعلهُ في مقدمة اعضائها. فانهُ كان يحض الامراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسهِ اذا اقتضت الحال ذلك ويعمل كل ما في جهدهِ لارتقائها واتساع نطاقها. وكان يرى ان الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع لاجل التعاون وشعار قلوب الاغنياء

عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك في الاحتفال السنوي من كل عام"

وافاض حضرة القاضي الفاضل الشيخ احمد ابي خطوة في وصف ما عملهُ الفقيد للازهر فنقتطف منهُ ما يأتي قال

"كان شغلهُ الشاغل لاوقاتهِ الازهر واهلوهُ لعلمهِ ان في صلاحهِ صلاح المسلمين ولقد نقل عنهُ وهو بالشام انهُ لا يرتاح ولا يهدأُ خاطرهُ الاَّ اذا صلح هذا المكان . وانهُ لا بدَّ ان يجهد نفسهُ ويعمل فكرهُ ويعمل في صلاحهِ وانهُ ان مات في هذا السبيل مات قرير العين . ولهذا كان دأبهُ السعي في مصلحتهِ وهو غير مكلف بهِ الاَّ من نفسهِ . فلما ان كلف بهِ من الحكومة المصرية في ١٧ رجب سنة ١٣١٢ وصدر الامر العالي بتعيينهِ عضواً في مجلس ادارة الازهر رأى انهُ سيصل الى ضالتهِ المنشودة واخذ في كل ما يرقيهِ من كل جهاتهِ . ووافقهُ وساعدهُ على ذلك بعض كبراء مشايخ الازهر واعضاء مجلس ادارتهِ خصوصاً عضدهُ وصديقهُ الشيخ عبد الكريم سلمان

ابتدأ بالبحث عن اهل الازهر وسيرهم واخلاقهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة بينهم وطرق العلم والتعليم . فعلم انهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصاً في امر معيشتهم لان اكثرهم من الفقراء الضعفاء . وليس لهم الاَّ قليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة آلاف رغيف في اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيهات مرتبات شهرية و٦٣٧ جنيهاً مرتبات سنويَّة وهي المعروفة بدل الكساوي وان مساكنهم عتيقة ضيقة . فرأى ان من اول الواجبات ان يتقدم الاصلاح المعنوي اصلاح الماديات فاجتهد مع من بيدهم الامر في الحكومة حتى زيد في المرتبات الشهرية المرتبة من المالية الفا جنيه في السنة ووعدوهُ بالمزيد الى عشرة آلاف جنيه متى ظهرت فائدة الاصلاح . ثم استمطر فيوضات الجناب العالي الخديو فافاض ما اوجب على الازهر بين شكر اياديهِ واصدر امرهُ الى ديوان الاوقاف بترتيب ثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة واربعة وسبعين جنيهاً في السنة وزيد في خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم هذا الخير الجهات الملحقة بالازهر كالجامع الاحمدي والدسوقي وعلماء دمياط والاسكندريَّة حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر وملحقاتهِ نحوَ اربعة عشر الف جنيه وسبعمائة وخمسين جنيهاً بعد ان كان فوق الاربعة الاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض اشخاص منهم وغير ما زيد في رواتب الخدم والموظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية في اليوم بخصوص الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد ان كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناهُ وذلك غير ما رتب من الجرايات للملحقات المذكورة . واما ما يتعلق بالمساكن فانهُ قد عرض امرها على الجناب

الخديوي فصدر امرهُ بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جهتهِ الغربية ليجعل مكانها اماكن لسكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الاروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكمل هذا وذاك على احسن مثال مراعى فيهِ النظامات الصحية . ثم توجهت الفكرة الى نظافة الازهر بتمامهِ فبعد ان كان يفرش في السنة مرة واحدة صار يفرش في العام مرتين وبعد ان كان يضاء بالزيت القليل الضوء حسب العادة أمسى يضاء بمصابيح الغاز التي تكفي القارئ والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال ليلاً . وبعد ان كانت المياه المستعملة فيهِ معينة مالحة راكدة قذرة لا توجد الاَّ بمزيد التعب والمشقة ادخلت فيهِ حنفيات شركة المياه فاصبح ماؤُهُ يتجدد كل يوم نقياً صالحاً للاستعمال

كان امر الصحة في الازهر مهملاً بالمرة وكانت الامراض المعدية منتشرة فيهِ فعين لهُ طبيب يعرض عليهِ كل مَن يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب ويعالج المرضى ويراقب تنفيذ الامور الصحية وانشئت لهُ اجزاخانة بالرواق العباسي ومحل لعيادة المرضى وصرفت لهم الادوية مجاناً فاصبح ولاهلهِ عناية تامة بالصحة من انفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة المرضى لا يسعهم اشتغل رحمهُ الله في ديوان الاوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار الازهر في شارع الشنواني أُعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيهِ خصوصاً في زمن الامراض الوبائية دفعاً لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريباً ان شاء الله . وناهيك بامر صيانة نظام الضبط والربط في الازهر فقد زيد عدد خدمتهِ وملاحظيهِ بنسبة عدد المجاورين فيهِ فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات

كانت مشيخة الازهر تدار اعمالها بمنزل من يكون شيخاً لهُ يتحمل اهلهُ مشقة الذهاب والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الازهر وبين بيوت مشايخهِ . وكان لهُ كاتب واحد يجلس في الازهر حيث شاء . وكانت سلطتهُ عامة طامة . فكان من عمل المرحوم وسعيهِ ان أُنشئ في المباني الجديدة مكان للمشيخة والادارة . وتبينت كثرة الاعمال وان كاتباً واحدًا لا يكفيها . فزيد في عدد الكتبة خمسة ووظف لمجلس الادارة العدد الكافي من الخدم حتى صارت الادارة ديواناً كبيرًا واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع الاوقات في الذهاب الى بيوت المشايخ ونجزت الاعمال في اوقاتها

كانت المرتبات في الازهر مبعثرة مشتتة لا ضابط لها سنويَّة كانت او شهريَّة . كانت تمنح لاناس دون اخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشاً في الشهر وللكثير منهم الحرمان ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش . وكان لاولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط ولا قيد حسبما يراهُ شيخ الجامع وحدهُ فجاء نظام المرتبات الذي اشتغل بهِ الشيخ المرحوم

اول الامر ودفع كل هذه الاستئثارات بجعل العلماء درجات علم كل منهم درجتهُ ومقدار مرتبهِ فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال في المرتبات السنوية التي هي بدل الكساوي فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجتهِ وانتفع بهِ بلا حاجة الى الرجاء والاستجداء . واما اولاد العلماء فقد جعل لهم في استيلائهم على المرتبات المخلفة عن آبائهم شروطاً وقيوداً الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيهِ وبسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوهُ في انفسهم من الضعف عنهُ فحرموا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمهُ الله رثى لفقرهم وجمع لهم من اهل البر والخير صدقة واسعة ها هي مودعة في خزينة الازهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الازهر تقريباً وربما زاد

اما نظام الجرايات فكان من الهمجية بمكان لا يتصور ما هو عليهِ ولا كيف رضي بهِ اهلوهُ فلم تكن الاَّ منبع ثروة للنقباء ومشايخ الاروقة والحارات وسبباً للتخاصم والتحاسد بين اهليهِ ولذلك رأى الشيخ رحمهُ الله ان يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارتهِ وانتهى الامر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يعم جميع الاروقة والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيهِ شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة والاَّ فيرجع الى قواعد الشرع الشريف . فشكلت تحت رئاسة الاستاذ الشيخ الرافعي

وكذلك وُضع لكساوي التشريف نظام حتى لا تكون في اعطائها والحرمان منها موكولة الى رأي واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من اهل العلم كما كان جارياً من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطاً بشروط مقيدًا بقيود الغرض منها ان لا تمنح الكسوة الاَّ لمن وضح نفعهُ في التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوي وبذلك انتقل الحال فيها ايضاً من الهمجية الى النظام

هذا ما وجه اليهِ المرحوم فكرتهُ من اصلاح الماديات الذي جعلهُ مقدمة لاصلاح المعنويات وبعد الفراغ منهُ وجه فكرتهُ الى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الازهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيهِ مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن وبينت علوم المقاصد بانها هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصولهُ والاخلاق الدينية وبينت الوسائل بانها هي المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم اليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان والزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بادائهِ في المقاصد وبعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم

القانون على معلمي العلوم الآلية خصوصاً علوم البلاغة ان يدربوا الطلبة على تطبيق العلم على العمل وان يتجنبوا في السنين الاربع الاول قراءة الحواشي والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الاحكام الكثيرة التي ترجع كلها الى تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلي بمحاسن الاخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصلوهُ من العلوم. وبهذا تحول الازهر من فوضى التدريس الى نوع من النظام. ولقد كانت العادة ان لا يتجاوز عدد الممتحنين من طالبي الامتحان الكثيرين عن ستة اشخاص في السنة وقد يكونون في الغالب ثلاثة اشخاص لا غير فوصل عدد الممتحنين بعد وضع هذا النظام وتنفيذهِ الى خمسة وتسعين في السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث وبذلك سار الامتحان في طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم في التحصيل. وكانت المدة التي يشتغل فيها الطالب في السنة قبل وضع هذا النظام في الازهر لا تزيد عن اربعة اشهر مقطعة في السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد ايام العطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثمانية اشهر

هذا ما يتعلق باصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمهُ الله بافكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ما سنح لهُ منها على مشيخة الازهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعاً بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد اساسية الى اليوم. منها ما يرجع الى كيفية تعليم العلم. ومنها ما يبين الواجب على المشايخ في اثناء التعليم وان يكونوا قدوة للطالب في مكارم الاخلاق. ومنها ما يتعلق بسير الطالب وآدابهِ مع الاستاذ واخوانهِ من الطلبة المتعلمين معهُ. ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى في تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها الى المقاصد وتستثمر بها الحكم التي قصدها الشرع الشريف من الاحكام. واستعان مجلس الادارة بما زيد في نقود المرتبات على هذه الامنية خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانهُ خصص منها ستمائة جنيه لمعلمي تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها في الازهر معلمين كانوا قد تخرجوا في الازهر وانتقلوا الى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلموها اجانب عن هذا المكان. وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنيهاً لتعليم الخط فاصبح هذا الفن مع سابقيهِ منتشراً في الازهر بين كل الطلبة واستفاد اهلوهُ من ذلك فائدة عظيمة فاصبحوا في هذه العلوم على حال لم تكن لتنتظر منهم. فانهُ يوجد فيهِ الآن خمسة عشر عالماً يدرّسون الحساب على احسن ما يكون في تدريسهِ بالمدارس الاميرية وثلاثة يدرّسون علم تقويم البلدان وواحد يدرّس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد ادّى الامتحان في الحساب والجبر العالي وتحصل على الشهادة باكمال دروسهما ومن بينهم عدد كبير تقدموا في امتحان الاساتذة بالمدارس الاميرية ومدارس الاوقاف والمدارس

الاهلية وحازوا قصب السبق فيهِ على المتخرجين من تلك المدارس واحرزوا وظائف الاستاذية فيها باستحقاق وهذه احدى النتائج الحسان التي ربما كانت لا يحلم بها ولا تخطر على البال

ولما لغط اللاغطون في ان هذه العلوم الحديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة في الازهر رأى المرحوم ان يعمل احصاء عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحان المكافآت في كل عام يقصد فيهِ تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة. فكان كذلك ووضع رحمهُ الله طريقة لهذا الاحصاء. فظهر من بعد البحث الدقيق والتحري السديد الشديد ان نسبة الناجحين في العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها اقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها. وتلي ذلك في مجمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع واكابر العلماء وظهر من ذلك ظهوراً جليًّا ان العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويهِ في فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة في الازهر

وقد رأى المرحوم ان الوسيلة في تدريس كل العلوم وتلقيها هي الكتب فلذلك وجه همتهُ الى جمع ما تشتت من كتب الازهر وجعلهِ في مكان واحد (وكلامهُ عن جمع الكتب وانشاء مكتبة الازهر لا يخرج عما نشر عن هذه المكتبة في الجزء الماضي من المقتطف. ثم استطرد الى عنايتهِ بالعربية وبآداب الازهريين ومما قالهُ في هذا الصدد)

" انهُ كان يحب للازهر ان يبلغ الغاية القصوى من الكمالات العلمية والاخلاق الدينية خصوصاً في هذا الزمن الذي انتشرت فيهِ الافكار والمدنية الغربية معلمًا ان الشريعة الاسلامية تنطبق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وان جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وانهُ يجب على المسلم ان يكون متحليًا بالفضائل متخليًا عن الرذائل. وكان شديد الحرص على ذلك في كل مجالسهِ ومحادثاتهِ سواءٌ كان مع الازهريين او مع اي طبقة من طبقات الناس " الى ان قال:

" وبالجملة فان مقاصدهُ بالازهر وبالازهريين كانت خيرًا محضاً لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجههِ تعالى وابتغاء ان يترقى اهل هذا المكان المنيف الى ما يحبهُ لهم من كمال الاخلاق وعلو المكانة بين الناس. والحمد لله لم يجعل الله اتعابهُ سدًى بل قد اثمرت وهو حي وانبتت نباتًا حسنًا فنجب من شبان الازهر ومن علمائهِ من يقدرون العلم حق قدرهِ ويعملون بعمل الاستاذ وفكرهِ وسيكونون ان شاء الله في المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك ان شاء الله الى من بذر هذا البزر الحسن وتعهدهُ بالتربية والتغذية "

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مؤلّفة ومؤلَّف غريب

ظهر حديثاً كتاب من قلم كاتبة انكليزية بامضاء "أيِّم" اي فتاة جاوزت سن الزواج ولم تتزوج وعنوانهُ "حقيقة الرجل". وقد تضمن كثيراً من القدح والهزء بالرجال والمبالغة في وصف عيوبهم ومساوئهم ولكنهُ لم يخلُ مع ذلك من الحقائق الراهنة . وقد استشهدت فيهِ على صدق دعاويها بحقائق اوردتها من تاريخها الخصوصي . فقالت انهُ أحبها ثلاثة اميركيين وفرنسويان والماني وارلندي وسويسري وثلاثة اسكتلنديين واثنان او ثلاثة من المستعمرات ولكنها أبت ان تتزوج احداً منهم وأهدت كتابها "الى الرجل الساكن في القمر لعلهُ لا يجزيها عن المعروف بالانكار ولا يقابل الاحسان بالاساءة" وفي اعتقادها ان رجل الارض كثير الصلف والخيلاء قليل الشعور فاقد الرقة والانعطاف وكلَّما مرَّ يوم اصبحت المرأة اكثر غنيً عنهُ . الى ان قالت "أعطِ المرأة شيئاً تعيش منهُ وتلتهي بهِ وأجرِ عليها رزقاً معلوماً واختر لها نفراً من الاصدقاء الكرام تتسلى بعشرتهم وانظر حينئذٍ ان كانت لا ترضى بالعيش وتقنع بالحياة بلا زوج . وقد اخذت المرأة تتعلم بالمشاهدة والاختبار انهُ يمكنها ان تعيش ناعمة مسرورة بلا محبة الرجل لها مثلما تعيش بمحبتهِ لها . ولو كانت كثيرة الحذر من الزواج مثلهُ لما عُقد في الارض عقد زيجة"

واشدُّ ما كانت وطأتها على الرجل محباً وزوجاً وبشرتهُ بمستقبل قاتم وسقوط لا تقال لهُ عثرة بعد ما تظلُّ المرأة الحاضرة مرتقية في سلَّم القوة البدنية حتى يأتي يوم تقذف فيهِ بالرجل الى مركزهِ الحقيقي فيعلم جلية امرهِ . ثم شبهت المرأة بالكلب والرجل بالهرّ في اوصافهما فقالت

"ان للمرأة معظم اوصاف الكلب وللرجل معظم اوصاف الهرّ . فان الكلب يطيع صاحبهُ طاعة عمياء ويخضع لامرهِ بلا تردُّد ولا احجام ويلحس اليد الذي تضربهُ . واما الهرُّ فحيوان

ذكيٌّ انوف لا يُكره على عملٍ ما لا يحبهُ بل يصرُّ على عمل ما يحبهُ هو وما لا يحبهُ صاحبهُ وكثيرًا ما يخدش اليد التي تلاعبهُ . فالرجل مثل الهرّ ينكر كل معروف وجميل ولا يقيم الّا حيث تطيب لهُ الاقامة . ومما يؤيد حجتي ولعنا نحن النساء بالهرر والّا فما يحملنا على الولع بها لو لم تكن تمثل الرجال "

النظافة والصحة

نظافة الجلد . اهمُّ وظائف الجلد صيانة الجسم ووقايتهُ فاليهِ تنتهي اعصاب الحس واللمس ومن مسامهِ تخرج بعض مفرزات الجسم فتنتظم درجة حرارتهِ . وفيهِ الغدد العرقية والغدد الزيتية او الدهنية فالاولى لحفظ حرارة الجسم على درجة واحدة والثانية لصيانة الجلد

وصحة الجلد تتوقف على بقاء عملهِ وطرح القشور الجافة منهُ واستبدالها بقشور جديدة . والسبيل الى ذلك ان يكون الطعام ملائمًا والرياضة كافية والاستحمام متواترًا . فان في سطح الجلد ما يزيد على مليونين من المسام تخرج منها بعض فضلات الجسم فاذا تبخَّر ماء العرق بقيت المادة السامة على سطح الجلد فاذا لم تُزَل بالاغتسال عاد الجسم فامتصَّ بعضها وسدَّ البعض الآخر مسامَّ الجلد . واذا سدَّ نصف تلك المسام عقب ذلك الموت لا محالة

وقد كان الناس في العصور الوسطى لا يغتسلون فاذا هبّت من اجسامهم رائحة خبيثة كانوا يتطيبون بالاطياب منعًا لها فكثرت بينهم الادواء والاوباء وامراض الجلد

والاوساخ التي تتراكم على سطح الجلد تسدُّ المسام كما تقدَّم وتبلي الجلد فتظهر البثور والدمامل على سطحهِ والأكثر العمل على الرئتين او الكليتين او عليها كلها معًا فتتقرَّح وتسوءُ الصحة

وكثيرًا ما تظهر البثور على الوجه والسبب في ذلك ان الناس يعنون على الغالب بنظافة وجوههم دون ابدانهم فتندفع الفضول الى الوجه لتنصرف منهُ الى الخارج

والحمَّام على نوعين او بعبارة اخص للحمام غايتان . الاولى تنظيف الجلد فقط والثانية تنظيف الجلد ومساعدتهُ على طرد الفضول الى الخارج بزيادة حرارتهِ وتفتيح مسامهِ . فلبلوغ الغاية الاولى يغتسل بماء فاتر ثم يصبُّ على الجسم ماء بارد . او يغتسل بماء بارد فقط . وطريقة الاغتسال او الاستحمام هي ان يبلّل الصدر والوجه والعنق اولاً بالماء البارد ثم ما بين الكتفين نازلاً على السلسلة الفقارية وتفرك هذه المواضع جيدًا باليدين ثم يصب الماء على البطن والوركين والظهر والذراعين والساقين وتفرك جيدًا في اثناء ذلك . ثم ينشف الجسم بمنشفة

خشنة وتلبس الملابس حالاً . ويروض الجسم بعد ذلك اما بالمشي او بغيرهِ بحيث يحصل من الحمّام ردّ فعل

والفرك اهمّ ما في الحمّام فان الماء يليّن القشور التي تغطي الجلد والفرك يزيلها و يدفع الدم الى سطح الجلد فتسرع الدورة الدموية و ينتعش الجسم . والحمّام اليومي يصيّر الجلد ناعم الملمس كالحرير على شرط ان يكون الطعام في اثناء ذلك سهل الهضم حسن الغذاء

اما تنظيف الجلد بزيادة حرارتهِ وتفتيح مسامهِ فيكون بالحمّام الحارّ والصابون . واذا أُطيل الحمّام كثيرًا أَضعف الجسم . ولا بدَّ من الراحة بعدهُ والاَّ ذهب نصف فائدتهِ سدًى فلذلك يستحسن الاستحمام بالماء السخن قبل النوم . ويجب غسل الصابون جيدًا لانهُ اذا بقي على الجلد اضرَّ بهِ

ومن اهم الامور للجسم غسل المعدة اذا كانت معرَّضة للاختلال والارتباك وطريقة ذلك ان يشرب العليل كأْساً او كأْسين من الماء السخن صباحاً قبل الطعام فتطرد المواد المخاطية المتجمعة فيها وتترك نظيفة مستعدة لقبول الطعام

الرواء . وهو ماء الوجه او ما يسميهِ الافرنج (complexion) وهو يتوقف على شفوف الجلد وصحتهِ وحالة الدم وحسن الطعام . والحمّام مجلبة لشفوف الجلد وصحتهِ ومصلح للدم على شرط ان يكون الطعام حسناً صالحاً للتغذية

وآفات الرواء اصفرار الوجه وحبّ الصبا والنمش والكلف والتلويح او السَّفع وسبب هذا الاخير كثرة التعرض للشمس . واما الاخرى فمنها ما هو خلقي كالنمش ومنها ما سببهُ اهمال الجسم وعدم العناية بهِ . وكلما تقدم الانسان في السن ظهرت الغضون والاسارير في وجههِ وسببها كثرة تحريك الجلد في مكان دون الآخر فكثرة العبوسة وتقطيب الجبين تغضن الجلد ما بين الحاجبين . وكثرة الابتسام تحدث الاسرة فيما يلي الفم والعينين

اما اصفرار الوجه فقد يكون سببهُ بلادة في الكبد او سوء التغذية وعلاجهُ تنظيم امر الاكل والاستحمام والرياضة والتنفس العميق . وليكن الطعام خضرًا واثمارًا . وليشرب العليل كاس ليمونادة بلا سكر قبل النوم . واذا كان مصاباً بعسر الهضم ايضاً فليأْكل مرتين في اليوم فقط الاولى الساعة العاشرة صباحاً والثانية الساعة الرابعة بعد الظهر

واما الكلف فسببها اختلال في بعض وظائف الجسم مثل امتصاص الجسم لمفرزاتهِ او عدم انتظام الكبد . وعلاجها تنطيل الوجه وذلك بان توضع قطعة من الفلانلا فوق بخار الماء ثم توضع على الوجه حتى تبرد . ويكرر ذلك مرارًا ثم يغسل الوجه بماء بارد اذيب فيهِ بعض

كربونات الصودا ويدهن بزبدة غير مملحة او فازلين او زيت حلو . ودهن جوز الهند افضل الادهان لذلك

واما التلويح فيعالج بالدهن بمزيج مؤلف من زيت الزيتون وماء الكلس على نسبة واحدة

اثاث غرفة المائدة

اذا كانت غرفة المائدة متجهة الى الجنوب وفيها بساط يغلب فيهِ اللون الاخضر والازرق ومائدتها وخزائنها وكراسيها من خشب الاكاجو الاحمر وجلدها بني وجب ان تبطَّن جدرانها بورق بني لهُ حواشٍ يغلب فيها اللون الاخضر والازرق والنحاسي وان يكون لون ستائرها نحاسيًّا وان تكون آنيتها المعدنية من النحاس ويصبغ الخشب الذي فيها بلون بني . وكذا اذا كان خشب المائدة والخزائن والكراسي من الجوز . واما اذا كان الخشب من السنديان وجب ان يكون لون البساط كثير الخضرة وكذلك لون ورق الجدران او دهانها ويكون في الحواشي ازهار وردية وجلد الكراسي اخضر او زيتيًّا .

العسل في البيت

كان القدماء يكثرون من اكل عسل النحل . فلما كثر السكَّر ورخص ثمنهُ قلَّ استعمال العسل جدًّا وقلَّت تربية النحل ايضاً وهذا خطأ لان عسل النحل احلى من السكر واطيب منهُ طعماً واكثر منهُ نفعاً هذا من حيث كونهُ طعاماً . ولهُ فوائد اخرى فانهُ يلين الجلد اذا دهن بهِ الوجه واليدان واكثر الادهنة المستعملة لتليين الجلد قوامها العسل

تعليم الاولاد التوفير

ملكة التوفير من اهم الملكات التي يجب ان يربَّى عليها الصغار فلا بدَّ لك من ان تعطي ولدك قليلاً من النقود وتعلمهُ ان يعرف قيمتها وذلك بان تدعهُ يصرف بعضها ويوفر بعضها فاعطهِ مثلاً غرشاً كل اسبوع واشترِ لهُ صندوقاً صغيرًا يضعهُ فيهِ ويصرف نصفهُ بمشترى شيء يحبهُ او يفيدهُ ويوفر نصفهُ ومتى وفَّر عشرة غروش او عشرين غرشاً فدعهُ يضعها في صندوق التوفير في البوسطة او في بنك من بنوك التوفير . وكلما توفَّر معهُ خمسة غروش دعهُ يضعها فوقها فيصير يوفر من نفسهِ . ولكن التوفير وحدهُ لا يكفي لئلاَّ يصير بخيلاً فعلمهُ ان يشتري ببعض ما يوفرهُ شيئاً مما يحتاج اليهِ او يدفعهُ احساناً لفقير او ثمناً لهدية يهديها الى صديق لهُ فيربي على صفتين شريفتين الاقتصاد من جهة واستعمال المال في ما يصلح استعمالهُ لهُ من جهة اخرى فلا يشب مبذرًا ولا مقترًا

قلي سمكة موسى

وصفت الجريدة الانكليزية المسماة عالم المرأة كيفية قلي سمكة موسى قالت : اغسل السمكة جيداً واقطع رأسها وزعانفها وذنبها ولتّها بالدقيق حتى تنشف واضرب بيضة حتى تمتزج جيداً وغطّ السمكة فيها ثم لتّها بمدقوق الخبز المحمّص واقلها قليلاً في مقلاة صغيرة كثيرة الزيت او السمن ثم صب الزيت او السمن عنها وانقلها الى مقلاة كبيرة فيها صاصة وضعها على نار خفيفة ربع ساعة ثم صبها في صحن وكلها مع الفطر او الخضر المطبوخة . والصاصة المشار اليها تصنع من الزبدة والبصل والجزر والدقيق والماء تسخن اوقية ونصف من الزبدة يضاف اليها نصف جزرة مفرومة فرماً رفيعاً ثم بصلة صغيرة مفرومة ومتى قلي البصل وصار لونهُ اصفر ذهبياً اضف اليهِ اوقية ونصفاً من الدقيق ثم فنجاناً كبيراً من الماء واغلهِ جيداً واضف اليهِ ما يكفي من الملح والبهار . ويحسن ان تضيف الى الماء نصف معلقة من مربّى الطماطم



تاريخ الدولة العلية

أُهدي الينا كتاب " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " لحضرة مؤلفهِ الفاضل ابرهيم بك حليم مفتش اوقاف دمنهور . وهو يتضمن تاريخ سلاطين آل عثمان وما تمَّ على ايديهم من الفتوحات وما جرى من الحروب وما عقد من المعاهدات بينهم وبين سائر الدول واسماء معاصريهم من الملوك والامراء من عهد السلطان عثمان الاول مؤسس الدولة العثمانية الى عهد سلطانها الحالي

والكتاب كبير فيهِ نحو ٢٥٠ صفحة ومطبوع في مطبعة ديوان عموم الاوقاف . وحبذا لو عني حضرة مؤلفهِ العناية الكافية بتصحيح عبارتهِ وروايتهِ لان كتاباً مثل هذا جدير بان يكون اماماً للعثمانيين في معرفة تاريخ دولتهم

واننا نورد المثال التالي من هذا الكتاب للدلالة على قلَّة ما فيهِ من الدقة في سرد الوقائع التاريخية قال

"وفي سنة ١٢٥٦ اهتم محمد علي باشا وابنهُ ابرهيم باشا بالحرب وظنا ان موت السلطان محمود وجلوس السلطان عبد المجيد يكونان سبباً لاتمام انتصاراتهما فارسلت الدولة دونانمة عظيمة الى مينا وسواحل اسكندرية واحالت ادارة ولاية مصر موقتاً على محمد باشا عزت فاستولت الدونانمة على قلاع جونيه وصيدا وسوريا وانتصرت عساكر الدولة براً على ابراهيم باشا. فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك اهالي ومشايخ جبل لبنان والشيخ احمد بك شيخ العربان ثم استولت عساكر الدولة على قلاع صيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص. اما من جهة الدول فان انكلترا واوستريا والروسيا وبروسيا قطعوا العلاقات مع محمد علي باشا بل ان انكلترا اظهرت المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد علي باشا مرة اخرى تم الصلح على ما هو معلوم فبناء عليهِ عادت دونانمة الدولة السابق تسليمها الى محمد علي باشا الى الاستانة كما كانت"

فليقابل القارئ ذلك بما هو معلوم من حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام ومساعدة الدول الاوربية للدولة العلية كما سنبينهُ في الجزء التالي من المقتطف

الكلية الشرقية

أُهدي الينا كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . وهي الكلية التي انشأتها الرهبانية الكاثوليكية في مدينة زحلة بلبنان سنة ١٨٩٨ . وهو يشتمل على مقدمة في مختصر تاريخها وعلى قوانينها واشغالها المدرسية واسماء اساتذتها وتلامذتها ودوائرها وترتيب صفوفها. وفيهِ ثلاث صور لها من جهات مختلفة. ويظهر منهُ انها سائرة في مقدمة المدارس العليا بهمة اساتذتها ومديريها فندعو لها بالتقدم والنجاح

تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس

الاثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس من قلم عزتلو وهبي بك مدير مدرسة الاقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية . وهو ثلاثة ابواب الاول في تاريخ مصر من عهد مينيس الى هذا العصر . والثاني في ملخص تاريخ بطرس الاكبر . والثالث في محاكمة الكسيس وهو رواية محزنة ذات خمسة فصول نثرية وشعرية . ويلي ذلك خاتمة الكتاب في خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الاكبر الى هذا اليوم . والكتاب حسن اللغة صحيحها مثل كل ما ينشئهُ حضرة مؤلفهِ . فنشكر لهُ غيرتهُ على نشر الآداب

حقوق المرأة في الاسلام

وضع هذا الكتاب حضرة احمد بك اجايف من كتّاب الروس وعرّبهُ حضرة الاديب سليم افندي قبعين وقدّمهُ الى حضرة القاضي الفاضل عزتلو قاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة وقال في مقدمتهِ انهُ احتمل مشاق تعريبهِ والانفاق على طبعهِ ليطلع عليهِ اخوانهُ من مسلمي الشرق فيعلموا ان الناشئة الاسلامية في روسيا تشكو نفس شكوى الناشئة الاسلامية المصرية من سوء حالة المرأة المسلمة وحرج مركزها في المجتمع الانساني

هذا وقد رأينا ان ننقل الفصل الآتي من هذا الكتاب المستطاب اظهاراً لفضل المؤلف والمعرب وايضاحاً لاسلوبيهما في الانشاء والترجمة وتعميماً لما فيهِ من الفوائد : —

"ونحن الآن نترك البحث فيما وصلت اليهِ حالة المسلمين ونأخذ بتلابيب مسألة المرأة وعلاقة الاسلام بها من الوجهة العملية او بعبارة اوضح نبحث فيما جاء في الديانة الاسلامية من التعليم بخصوص المرأة ونعرّف القارئ بالحالة التي وجد فيها محمد المرأة في البلاد العربية خصوصاً والشرق عموماً ثم ننتقل بعد ذلك الى البحث فيما صنعهُ للمرأة او فيما حاول صنعهُ لها على الاقل . واظن ان هذه الطريقة تؤدي الى امكان معرفة ما ستؤول اليهِ حالة المرأة المسلمة في المستقبل عند ما يفتح الله بصيرة المسلمين ويكشف لهم عن نور الحقيقة فيدركون جوهر دينهم ويفهمونهُ فهماً حقيقياً كما هو . ومن جهة اخرى ارجو ان ادحض تلك المثالب التي ينسبها للاسلام اولئك العلماء والباحثون المجردون عن الانصاف الذين يستسلمون للاغراض والاهواء النفسانية فيصدرون احكاماً سطحية تكذبها الحقيقة الراهنة كاتهامهم الاسلام مثلاً باحداث امر تعدد الزوجات

ان حالة المرأة في البلاد العربية والمتاخمة لها قبل ظهور الاسلام كانت حالة مؤلمة لا يرضاها من كان في فؤادهِ اقل شعور حي . ففي بلاد فارس لم تكن المرأة تمتاز في شيء عن الامة او العبدة الرقيقة فكانت تقضي جميع ايام حياتها مسجونة ضمن جدران منزلها لا يسوغ لها ان تخرج منهُ مطلقاً اوتجيل بصرها في فسيح الفضاء . وقد اباحت نظامات البلاد المدنية بيع وشراء النساء كالسلع[1] واما نظامات البلاد الدينية فقد اباحت الزواج بالامهات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت[2] . ثم انهُ في الادوار الطبيعية المشهورة التي

---

(١) راجع كتاب (شاه نامه) للفردوسي

(٢) "Zende Avesta" Iames Dermerterer.

يحدث للمرأة كانت نساء الفرس يُبعدن عن المنازل ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة او البلدة ولا يجوز لاحد مخالطتهن قطعاً (وتعرف تلك الخيام المخصصة لاقامة النساء في ايام الطمث باسم داخمي) حتى انهُ كان يجب على الخدام الذين يعهد اليهم تقديم الطعام والشراب لهن ان يلفوا مقدم انوفهم وآذانهم وايديهم بلفائف من القماش الغليظ وكانوا يتحفظون بمثل هذا التحفظ لانهم كانوا يعتقدون انهم يتنجسون اذا مسوهن او مسوا الخيام او الاشياء المحيطة بهنّ حتى الهواء[1] وكانوا يكرسون بنات الاشراف والملوك للالاهة اناخيدا المشهورة حيث كان كهنتها يتممون عليهنّ بعض الفروض المخصوصة ويعدونهن بتعاليم خاصة الى الزواج[2] واما بشأن حقوق المرأة ومركزها في العائلة ونسبتها الى زوجها ووالديها فحدث ولا حرج فان النساء كن في بلاد فارس تحت سلطة الرجل المطلقة الذي كان يحق لهُ ان يحكم عليها بالموت او ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراهُ وتطيب لهُ نفسهُ وبوجه عام فانهُ كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وادوات بيتهِ

واما حالة المرأة في البلاد العربية فكانت اشد صعوبة واتعس حالاً منها في بلاد فارس فكان العربي يتطير اذا ولدت لهُ ابنة وترتعد فرائصهُ جزعاً ويعد ذلك علامة على عدم رضى الالهة عنهُ[3] فكان اما ان يئد بناتهِ في الرمل او يبيعهن بيع الرقيق او يستبدلهن ببعض الحيوانات الاهلية[4] واما الزواج عند العرب فلم يكن لهُ نظام مخصوص محدد ببعض الفروض او مقيد بعادات متبعة بل كان يحدث بطريق المصادفة ولم يكن احد الزوجين ملزماً بدفع بائنة او شيء من الاشياء. ويظهر للباحث ان اخلاق العرب البدوية وما اتصفوا بهِ من البسالة والشجاعة والفروسية كانت السبب الوحيد في عدم تقييد الزواج باصول متبعة. والغالب ان الزواج كان يحدث من طريق الحب الاختياري المقرون بالتغزل والقصائد الشعرية وبدائع النسيب وفي جميع احوالهِ كانت الحرية مطلقة للزوجين ان يترك احدهما الآخر متى شاء واراد والامر الوحيد الذي كان يربط الاتحاد الزوجي انما هو الخوف من انتقام اقارب المرأة الاشداء البأس. وقد وصف ذلك أحسن وصف في الرواية الآتية الطبري المؤرخ العربي المشهور[5]

في واقعة احد التي وقعت بين اهل مكة وصحابة النبي محمد اهل المدينة خرجت نساء المكيين الى ساحة القتال وراء ازواجهن وكانت ترأسهن هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان

(١) لبيد (٢) راجع كتاب (المملكة العربية السابعة) لرولنسون

(٣) راجع كتاب (الاسلام وموسسو) لجون شولل (٤) راجع كتاب (البلاد العربية قبل الاسلام) لماشانوف (٥) الطبري صحيفة ٢٦٥ طبع القاهرة

وقد قامت في النسوة اللاتي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الادبار ضربا بكل بتار

وتقول ايضاً ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان تعدد الزوجات لدى ظهور محمد منتشراً انتشاراً هائلاً فلم يكن عربي ميسور الا وتراهُ متزوجاً ١٥ او ٢٠ واحياناً ١٠٠ زوجة[1] وكانت المرأة محرومة من جميع الحقوق على الاطلاق وحالتها لما يرثى لها فلم يكن لها حق بالارث عن زوجها او احد اقاربها من الرجال[2] وكانت عندهم عادة مقدسة معمول بها تخول الوالد حق التصرف بينتهِ كيفما يشاء فكان يزوجها لشخص وهي رضيعة في المهد فاذا ما نمت وبلغت سن الرشد لا تستطيع المعارضة بل يتحتم عليها ان ترضخ رضوخاً اعمى لاحكام والدها عليها[3]

اما النبي محمد فانهُ نادى في بدء ظهورهِ بضرورة ازالة تلك العادات الهمجية البربرية المتبعة مع النساء وكان يتأثر اشد التأثر لحالة المرأة وما هي عليهِ من الانحطاط والامتهان ولم يكن فؤادهُ الرقيق يتألم ويتأثر ايضاً لشيء مثلما يتأثر مما كان يراهُ من حالة المرأة السيئة المتروكة دون اقل اهتمام وليس لها عضد او نصير وكذلك كان يتألم لرؤيتهِ الاطفال والاولاد الذين يتركهم والدوهم ومثل ذلك الغرباء الذين لا مأوى لهم. والمطلع على ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات بشأن النساء والايتام والغرباء لا يفتأ حتى يتقطع فؤادهُ الماً وجزعاً لما تضمنتهُ تلك الآيات من الكلام المؤثر الشديد اللهجة. وقد خصصت في القرآن سورة طويلة للنساء معروفة بهذا الاسم وهي تدل دلالة واضحة على الاهمية الكبرى التي اظهرها محمد بشأن مسألة المرأة وتبتدئ تلك السورة بآية لم يكن ينتظر سماعها رجال العرب وعدوا ذكرها جرأة عظمى وهي: "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة". ان كلمات هذه الآية اشتمَّ منها العرب الوثنيون رائحة الاضطراب والثورة المقصود بها القضاء على سننهم وتقاليدهم وعاداتهم واخلاقهم وافكارهم وافهامهم ولكن اذا نظرنا الى كلمات تلك الآية من وجهة اخرى نجد انها توجه الى العرب عبارات التوبيخ والملام المملوءة بالعار والشنار وتفهمهم ان الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة وانهما متساويان في كل شيء ومسؤولان امام الله على

(1) انظر كتاب منحة الصادقين في تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٢٣ وما بعدها

(2) تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٢٣ وما بعدها (3) ابن خلدون

السواء عما يفعلانهِ . وبعد ذلك يقص القرآن كيف خلق الله آدم وحواء واورد تلك القصة كما جاءت في التوراة بتغيير طفيف لا يذكر ونحن لا نتمسك كثيرًا بآيات هذه السورة التي نزلت خاصة للمرأة لانها لم تجيء مترادفة بل تخللتها آيات كثيرة خاصة بالتعليم عن القداسة والاعمال الطيبات واغاثة الملهوف وحماية الغرباء والرفق بالايتام وغير ذلك . ثم ان القرآن وقف وقفة المدافع الشجاع ضد عادة العرب الهمجية الا وهي وأد البنات في الرمل وقد ورد الكلام عنها دفعتين في الاولى مثل للقارىء حالة جهنم المخيفة ونيرانها الملتهبة وافاعيها المتصاعدة من افواهها النيران المحرقة ثم اقام امام عيني العربي ابنتهُ الموؤودة تقول لهُ (واذا الموؤودة سئلت باي ذنب قتلت) وفي الدفعة الثانية يصف جنة الخلد وصفًا موءثرًا ثم اتبعهُ بالآية القائلة (ولا تقتلوا اولادكم) وفوق هذا وذاك فان محمدًا لم يدع في حياتهِ احدًا يئد بنتًا واجتهد اجتهادًا عظيمًا لنزع هذه العادة من بين العرب ولم يقف عند هذا الحد بل زرع في قلوبهم هول وفظاعة هذا العمل الشنيع . وبعد فتح مكة ودخول اهلها الوثنيين في الاسلام كان من جملة الشروط عليهم ان يقسموا الايمان الغليظة بعدم وأد بناتهم (١)

وعدا ذلك فقد وصلت الينا جملة احاديث نبوية تتضمن الكلام بخصوص المرأة ورفع منزلتها في عيون العرب ففي احدها جاء ما مضمونهُ (ان ولادة البنت علامة من علامات نعم الله ومراحمهِ)

وورد ايضًا احاديث اخرى بشأن الاولاد الذين يموتون كيف انهم يشفعون بوالديهم ويكونون وسيلة لادخالهم الجنة فنذكر بعضها اتمامًا للفائدة

اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال : "ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين ومشفعين"

واخرج حميد بن زنجون ومسلم وابو نعيم عن حسان قال قلت لابي هريرة توفي لي ابنان فحدثني شيئًا سمعتهُ من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم تطيب بهِ انفسنا عن موتانا قال "صغارهم دعاميص الجنة يلقى احدكم اباهُ فيأخذ بصنفة ثوبهِ كما اخذت بصنفة ثوبك فلا ينتهي حتى يدخلهُ الله واياهُ الجنة"

وروى ابو النضر السلمي ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال : "لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الاَّ كانوا لهُ جنة من النار"

واخرج البخاري والنسائي وابن ماجة عن انس قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم "ما من

(١) الطبري ص ٢٧٠ طبع مصر

الناس يموت لهُ ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الاَّ ادخلهُ الله الجنة بفضل رحمتهِ اياهم [١]

ومنها ايضاً . روى ابو هريرة عن شيخ من بني تميم عن عمر بن ابي بكار عن محمد بن ابي فراس عن احمد بن الهيثم بن فراس بن خلف بن المرزبان قال ان قيس بن عاصم دخل على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وفي حجره بعض بناتهِ يشمها فقال لهُ ما هذه السخلة تشمها فقال هذه بنتي فقال والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن انثى ولا ذكرًا قط فقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فهل الاَّ ان ينزع الله الرحمة من قلبك [٢]

وقال النبي ايضاً في بعض كلامهِ (الجنة تحت اقدام الامهات) [٣]. وبعد ان رفع النبي محمد كما قدمنا منزلة المرأة الادبية خولها حقوقاً واسعة لم تخطر على بال احد من المتشرعين العصريين كالفرنسويين مثلاً او سواهم

ان البنات بحسب الشريعة المحمدية يرثن عن آبائهن وامهاتهن ثم ان الشريعة حرمت على الوالدين السلطة المطلقة على البنات فلا يستطيعون التصرف بشؤونهن قبل بلوغهنَّ سن الرشد وبعد ان تبلغ البنات الرشد يجوز لهنَّ التزوج بمن يخترنهُ لنفوسهنَّ بعلاً بقطع النظر عن موافقة والديهنَّ. والزواج بدون ارادتها يعد لاغياً فاسدًا غير شرعي وهنَّ يتمتعنَ بجميع الحقوق المدنية ويستطعنَ الاشتغال باية مهنة شريفة يردنها ويعقدن السندات سواءٌ لهنَّ او عليهنَّ [٤] ثم ان الشريعة السمحاء خولت المرأة المتزوجة جميع الحقوق المدنية فهي تدبر شؤونها وممتلكاتها بنفسها مستقلة بذلك عن زوجها الذي لا يحق لهُ ان يلزمها بعمل امر من الامور قط عدا ارضاع اطفالها وانما هي مرغمة لزوجها بالعفة المطلقة والطاعة ضمن حدود معلومة واذا شاءت الاعتناء بتدبير شؤون منزل زوجها وممتلكاتهِ فانما تأتي ذلك مخيرة يدفعها الى ذلك حبها الحقيقي لهُ. ثم ان كل خصام يحدث بينهما ينبغي ان ينظر ويحل بواسطة مؤتمر عائلي مؤلف من حكم من اهلهِ وحكم من اهلها قال الله تعالى " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهلهِ وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما " والشريعة السمحاء خولت النساء حق الارث عن ازواجهنَّ واولادهنَّ . وامرت الشريعة ايضاً بان يكون عقد الزواج مبنياً على الحب الحقيقي فقال جل شأنهُ "فانكحوا ما طاب لكم من النساء" وهو مؤسس على فروض شرعية مقدسة تجعلهُ محترماً معلوماً لدى الجميع وقد جاء في القرآن الكريم " ومن آياتهِ ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة " . اجل انهُ

(١) الاحاديث الشريفة المذكورة مأخوذة عن رسالة الجلد عند فقد الولد للسيوطي

(٢) ابو الفدا - كتاب الاغاني (٣) ارنست رنان في كتابهِ تاريخ الاديان (٤) مجمع النورين

يسوغ نقض عقد الزواج لان الشريعة اباحت الطلاق وانما ضمن حدود معلومة حيث ينبغي ان يكون مبنيًا على اسباب شرعية ويحتم على الرجل في جميع احوال الطلاق (ما عدا طلاقة زوجتهُ بسبب خيانتها وعدم صون عرضها) ان يدفع لها نفقة العدة لمدة ثلاثة شهور على الاقل. واباحت الشريعة للمرأة المطلقة ان تبقي لديها اولادها الصغار وفي مثل هذه الحالة حتمت على الرجل ان يدفع لها نفقة لتنفقها على تربية الاولاد. قدمنا ان الشريعة اباحت الطلاق ولكنها من جهة اخرى حقرتهُ وابغضتهُ فقد جاء في الحديث الشريف "ابغض الحلال عند الله الطلاق" ثم ان الشريعة حتمت على الازواج ان يعيشوا مع زوجاتهنَّ على اتم وفاق ووئام قال الله تعالى "وعاشروهنَّ بالمعروف فان كرهتموهنَّ فعسى ان تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيهِ خيرًا كثيرًا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهنَّ قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا أتأخذونهُ بهتانًا واثمًا مبينًا وكيف تأخذونهُ وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقًا غليظًا". ثم انهُ يحتم على الازواج ان يتساهلوا مع زوجاتهنَّ ويصفحوا حتى عن الزوجة التي تسقط في الضلال وتمزق شعار طهارتها وعفتها. ثم اوضحت الشريعة ايضًا بانهُ لا يجوز ادانة الزوجة بالزنا لمجرد الشك او النميمة او السماع وانما ينبغي ان ينظر قضية ادانة الزوجة بالزنا مجلس عائلي يتثبت من الامر بشهادة اربعة شهداء عدول مشهود لهم بطهارة الذمة والامانة وعدم الميل لغرض من اغراض القضية المرفوعة وقبل اصدار الحكم يدعوها المجلس الى التوبة والرجوع عن غيها وضلالها قال الله في كتابهِ العزيز

"واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهنَّ في البيوت حتى يتوفاهنَّ الموت او يجعل الله لهنَّ سبيلاً واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابًا رحيمًا"

افليس هذا الكلام يطابق كل المطابقة لتعليم نبي الله الآخر (عيسى) عن المرأة الزانية او ليس ايضًا كان سماع مثل هذه الآيات البينات صعبًا على اولئك الاعراب البرابرة المتوحشين الذين كانوا يرجمون نساءهم بالحجارة لاقل حادث او اثم بسيط[1]

ولننتقل الآن الى الكلام على تعدد الزوجات فقد سبق لنا القول بانهُ عند ظهور النبي كان امر تعدد الزوجات منتشرًا انتشارًا هائلاً في البلاد العربية والبلاد المجاورة لها ولم يكن في الامكان ازالة هذه العادة التي رسخت في افئدة القوم منذ اجيال عديدة ويظهر ان تلك العادة كانت من مطالب الحياة الضرورية لاهل الشرق ولا يمكنهم ان يستغنوا عنها او يعيشوا

(١) ابن خلدون

بدونها و ينسبون اسباب انتشارها بين الشرقيين الى المناخ وتركيب بنية اجسامهم ولكن مع ذلك فقد اصلح الاسلام هذه العادة وصنع كثيرًا للشرق بشأنها فقد عين اولاً بان عدد الزوجات الشرعيات ينبغي ان يكون اربعة وحصر هذا التعيين ضمن حدود معلومة يصعب على الانسان تعديها او القيام بما جاء فيها ولذلك فاذا تأملناها فاننا نجدها تفضي الى الزواج بواحدة . ورأس هذه الحدود انهُ يتحتم على الرجل ان يعدل بين جميع زوجاتهِ ونحن ايضاحاً لذلك نكتفي بايراد مجمل اقوال المفسرين لكلمة " العدل " كالامام فخر الرازي والملا فتح الله وغيرهما : ينبغي على الرجل ان يطلق العدل ليس فقط على علاقاتهِ الخارجية مع زوجاتهِ اي الانفاق عليهنَّ على السواء كلا بل يجب على الرجل ان يعدل في محبتهِ بين نسائهِ وهل هذا امر مستطاع يا ترى ؟ وقد اجاب القرآن الشريف على هذا السؤَال بقولهِ تعالى " ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا او تتقوا فان الله كان غفورًا رحيماً " ولذلك كان العدل بين النساء من رابع المستحيلات يؤَدي بالذين يتزوجون باكثر من واحدة الى ارتكاب الخطيئة وتعدي حدود الله فما العمل ايضاً لقاء هذا الامر . وعلى هذا السؤَال ايضاً يجيب القرآن الكريم بقولهِ تعالى " فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم . ذلك ادنى ان لا تعدلوا "

ان الآيات التي اوردناها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام مؤيد للزواج بواحدة وهذا امر مما لا ريب فيهِ وانهُ سيأتي يوم عند ما يدرك المسلمون فيهِ روح دينهم وجوهرهُ سينبذون عادة تعدد الزوجات ويقبلون من نفوسهم على امر الاكتفاء بزوجة واحدة ولذلك فيخطئ كتَّاب الاوربيين خطأً جسيماً باتهامهم القرآن ومحمدًا بعداء نصف الجنس البشري اي المرأة ويخطئون ايضاً بنسبتهم جمود المسلمين ونقائصهم الى الدين مع انهم لو انصفوا ونطقوا بالحقيقة المجردة عن كل غرض سيء لرأوا ان هذه النقائص وجدت من نفسها في العالم وان دين اولئك الكتاب اي النصرانية يقاومها مقاومة عنيفة متواصلة اما القرآن فقد قام بعمل خطير جدًا فانهُ رفع شأن المرأة واعلى منزلتها وخولها حقوقاً لم يسمع بمثلها في الشرق مطلقاً فانهُ جعلها امًّا وزوجة بعد ان كانت امة ليس لها كرامة او مقام معروف . وقد ادركت النساء مقدار الحقوق التي خولتها اياها الشريعة الغراء فتمسكت بها وحافظت عليها ودافعت عنها دفاعاً شديدًا ولم تخشَ بسببها بأس احد يدلنا على ذلك الرواية الآتية التي رواها الملا فتح الله في تفسير القرآن العزيز حيث جاء فيهِ ما نصهُ : بعد وفاة النبي وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبتهِ انهُ يروم ابطال عادة دفع المهر للزوجة فقامت احدى

النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة : يا امير المؤمنين انك لاتستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ فرجع الخليفة عن عزمهِ . انتهى

جواهر البلاغة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية في القاهرة نسخة من كتاب الّفهُ حديثًا وسماهُ " جواهر البلاغة " في المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر الثلاثة عشر . وهو على مثال الكتب التي من موضوعهِ في تبويبهِ وتقسيمهِ وتقديم بعض مباحثهِ وتأخير الآخر ولكنهُ ربما فاقها في حسن طبعهِ وما في آخر كلّ فصل من التمرينات التي لا غنى للدارس عنها لفهم ما ورد في الفصول

وقد اكثر من الشواهد تحت بعض الانواع مثل حسن التعليل من المحسنات المعنوية والجناس من المحسنات اللفظية . فأورد من الاول مثلاً قول ابي هلال العسكري

زعم البنفسج انهُ كعذارهِ حسنًا فسلوا من قفاهُ لسانهُ

وقال في تفسيرهِ "لخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علة لهُ لكنهُ ادّعى ان علتهُ الافتراء"

واورد من الجناس اللفظي قول ابي فراس

ما كنت تصبر في القديم فلمْ صبرت الآن عنّا

ولقد ظننت بك الظنون لانهُ من ضنّ ظنّا

ومن الجناس المعنوي قول احدهم

منعم الجسم تحكي الماء رقتهُ وقلبهُ قسوةً يحكي أبا أوس

فقال في تفسيرهِ " واوس شاعر من شعراء العرب واسم ابيهِ حجر فلفظ ابي اوس يحضر في الذهن اسمهُ وهو حجر وهو غير مراد وانما المراد الحجر المعلوم "

ويلي البديع العروض وتحتهُ ابواب في بحور الشعر المختلفة . ثم القوافي وفنون الشعر الملحقة بالبحور كالتشريع والتشطير والتخميس والجارية على ألسنة العامة كالزجل والمواليا . ويلي ذلك كلهُ خاتمة في السرقات والمحاضرات الشعرية

قلنا ان طبع الكتاب حسن وانما ينقصهُ شكل ما ورد فيهِ من الابيات والشواهد الشعرية التي قد تلتبس على المتعلم . لكن ذلك لا يقدح في فضل مؤلفهِ فلهُ منا عاطر الثناء

الارشادات الوفية في القضايا الشرعية

الّف هذ الكتاب حضرة الاديب عبد المجيد افندي البيومي الكاتب في محكمة مديريّة البحيرة الشرعية . وهو يحتوي على فصول مختلفة في دعاوي النكاح والصداق والجهاز والطلاق والنفقة والوقف والولاية والرشد والارث والوصية وما اشبه . وقد قرظهُ حضرة الفاضل الشيخ علي هاني مفتي مديرية البحيرة فقال انهُ نافع في الغرض المطلوب من الاحكام

حسناء نيويورك

رواية ادبيّة فكاهية عرّبها عن الانكليزيّة حضرة نجيب افندي جرجس عبدالله واعتنى باصلاحها حضرة اسعد افندي ملحم وكلاهما من السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية وهي تفضل كثيرًا من الروايات التي تتداولها الايدي الآن في لغتها وطبعها فانها سهلة العبارة صحيحة اللغة عمومًا ومطبوعة طبعًا حسنًا على ورق جيد فنثني على حضرة معربها ومصلحها ونتمنى لها الانتشار



العدس المصري

من مقالة للمستر بونابرت من اساتذة مدرسة الزراعة الخديوية

العدس نبات معروف وحبوبهُ كثيرة الاستعمال في هذا القطر والقطر السوري وكان يطبخ ويؤْكل فيهما منذ الوف من السنين . قال المسيو ده كندول النباتي الشهير انهُ كان يزرع في اسيا وبلاد اليونان وايطاليا قبل زمن التاريخ ونقلت زراعتهُ منها الى القطر المصري

ويزرع العدس الآن في المانيا وفرنسا وجنوبي اوربا وجانب كبير من اسيا ولاسيما في الهند . وزراعتهُ واسعة نوعًا في القطر المصري ولاسيما في الوجه القبلي وحبوب العدس المصري صغيرة سمراء كثيرة الغذاء ولاسيما اذا قشرت فيها نحو ٢٥ في المئة من المواد الالبيومينية

و ٥٨ في المئة من النشاء ودرجتها في الغذاء ٨٧

والعدس الذي يُستَغلُّ من القطر المصري يؤكل فيهِ ولا يصدر الَّا القليل منهُ واكثر الصادر يرسل الى البلاد الانكليزية وسائر اوربا وتركيا

الارض الصالحة لهُ — يزرع العدس في كل الاطيان . والاطيان التي لا يجود فيها القمح والفول كالخفيفة والجديدة يجود فيها العدس ولكنهُ يجود بنوع خاص في الاراضي الطينية الرملية الجافة التي فيها شيء من الجير

اعداد الارض — اذا زرع العدس في حياض الوجه القبلي فلا تحرث الارض لهُ بل يزرع فيها ملقاً فيبذر على الارض بعد نزح الماء عنها كما تبذر الحنطة ثم تحرث واما في الوجه البحري فتحرث الارض مرةً ويبذر فيها بمعدل اربع كيلات للفدان ثم تحرث

وهناك زراعة ثالثة وهي زراعة العقر تحت الذرة فانهُ يبذر تحت الذرة والارض مروية ويترك الى ان تجف الذرة وتقطع فيروى مرة او مرتين

وقت الزرع — في الوجه القبلي في اواخر اكتوبر ويتاخر الزرع في الوجه البحري الى نوفمبر من ١٥ الى ٣٠ منهُ

الخدمة — اذا زرع في حياض الوجه القبلي فلا يحتاج الى شيء واذا زرع في الوجه البحري يروى مرتين غالباً المرة الاولى قبلما يزهر والثانية حينما يعقد زهرهُ . ولا يستعمل لهُ سماد مطلقاً

الجمع — يبلغ العدس في الوجه القبلي في اواخر شهر مارس وفي الوجه البحري في اواسط شهر ابريل ويقلع من الارض قلعاً قبلما يجف لئلاً يقع كثير من بزرهِ ويبسط حتى يجف ثم يدرس كما تدرس الحنطة

مقدار محصولهِ — يبلغ محصول الفدان نحو ثلاثة ارادب من العدس وزن الاردب منها ٣٣٠ رطلاً وثلاثة احمال من التبن وتبن العدس اكثر غذاء من سائر انواع التبن

ويضرب السوس العدس ولكنهُ اذا جُرش وحفظ مجروشاً سلم منهُ . وهو اذا جُرش يخسر كيلة من كل اردب تذهب كسراً وقشراً فيبلغ الكسر او سن العدس قدحين والقشر خمسة اقداح والتراب نصف قدح . وسن العدس وقشرهُ مغذيان جداً فيطعمان للمواشي لتسمينها انتهى

ولو زادت العناية بزراعة العدس وجلبت التقاوي من سورية مما لونهُ ابيض وهو سريع النضج اذا طبخ لكان منهُ ربح وافر

الزيتون وزيتهُ

من المظنون ان موطن الزيتون الاصلي بر الاناضول وبر الشام ثم نقل منهما في عهد بعيد جدًّا الى مصر واليونان ثم الى بلاد اخرى فكانت زراعتهُ منتشرة في ايطاليا واسبانيا سنة ٦٠٠ قبل المسيح

والفرق بين الزيتون وبعض البزور التي يعصر الزيت منها انهُ يمكن عصر الزيت من الزيتون بسهولة كلية بخلاف البزور الاخرى فانهُ يقتضي لها معاصر كبيرة لا يستطيع اقتناءها سوى الاغنياء

والزيتون انواع فمنهُ ما ثمرهُ كروي ومنهُ ما هو مستطيل ومنهُ ما هو رقيق القشر واللب كبير النواة ومنهُ ما هو على ضد ذلك. ونضجهُ بطيء يتمُّ في نحو عشرة اشهر وقبلما ينضج يكون فيهِ كلوروفل وتنين وكثير من النشا فاذا نضج اختفى الكلوروفل وهيدرات الكربون وحل الزيت محلهما في خلايا النواة والقشرة

وكمية الزيت في النواة واللب تبلغ معظمها في اثناء نضج الاثمار ثم تقل تدريجًا ويقال بالاجمال ان الاثمار التي لبها سميك اكثر زيتًا من التي لبها رقيق ونواها كبير. واذا كانت الاثمار من حجم واحد فان اخفها اكثرها زيتًا

وللتربة تأثير عظيم في كمية الزيت ونوعهِ. فاذا كانت التربة جيرية (كلسية) او ممتزجة كان زيت الزيتون الذي يزرع فيها افخر مما يزرع في الاراضي الدلغانية الكثيرة الرطوبة. والزيتون الذي يزرع في الاراضي الصخرية جيد الزيت جدًّا. ويختلف مقدار الزيت في الزيتون البري من ١ الى ٩ في المئة اذا كان اخضر ومن ٢١ الى ٢٨ في المئة اذا كان جرجارًا وفي الزيتون الجوي الجيد من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

ويتوقف زمن النضج على الاقليم. ففي بر الشام يجنون الزيتون بين سبتمبر ودسمبر وفي ايطاليا في نوفمبر وفي البرتوغال في دسمبر. وفي الجزائر وتونس يبتدئُ القطاف في نوفمبر ويستمر طول الشتاء. وفي فرنسا يكون موسم الزيتون في اواسط الشتاء

وطريقة القطاف هي انهم يأخذون عصيًا طويلة ويضربون الاغصان بها فيسقط الزيتون الى الارض. ولكنها طريقة لا يصلح اتباعها لانها تضرُّ الاشجار وتؤَثر في حمل السنة التالية وخير منها قطف الثمر الداني القطوف باليد والقاصي بالضرب بالعصا. ويجب ان يتلقى الزيتون بملاءات تنشر تحت الشجر وان يفرز الزيتون المصاب عن الصحيح

وافضل الزيت ما استخرج من الزيتون حالما يقطف وذلك لانهُ بعد قطفهِ يدبّ الاختمار فيهِ فيخرج زيتهُ حرّيف الطعم . ومن طرق حفظهِ بعد قطفهِ ان ينشر طبقة واحدة على موائد خشبية ولكن هذه الطريقة لا تفي بالمرام لانهُ اذا ترك على تلك الحال دبّ اليهِ الفساد في ثمانية ايام اوعشرة . ومنها ان يوضع في الماء ويغيَّر الماء من آن الى ان وهذه الطريقة لا تفي بالمرام ايضاً لانها تفضي الى خسارة بعض الزيت . وخير منهما الطريقة التي تتبع في الجزائر وهي ان يوضع الزيتون في ماء غالٍ . ومن الطرق ان يوضع في آنية ويعس قليلاً فيخرج منهُ زيت يطفو على وجه الاناء فيحفظ ما فيهِ من الزيتون من الفساد . ومنها ان يملّح الزيتون ثم يكبّ الماء الذي يتكون بعد تمليحهِ فيحفظ بذلك شهرًا لا اكثر . واحسن من ذلك كلهِ ان يملّح الزيتون ويترك سابحاً في مائهِ فيحفظ خمسة اشهر ولكن الزيت الذي يستخرج منهُ لا يكون جيداً كالزيت الذي يستخرج من الزيتون الجديد

ويدرس الزيتون بحجارة كبيرة ثقيلة تديرها الرجال يكون الحجر منها اسطوانياً قطرهُ نحو متر او اكثر وسمكهُ نحو نصف متر وهو ليس اسطوانياً تماماً بل مخروط ناقص اي ان احد وجهيهِ اضيق من الوجه الآخر . ولهُ ثقب في محورهِ يدخل فيهِ عمود طويل يرتكز امام وجههِ الاضيق على محور قائم ثابت ويكون تحت الحجر فرش من الحجر منبسط مستدير ويبنى حولهُ حاجز مرتفع فيدار العمود فيدور بهِ الحجر على الفرش حول المحور القائم ويوضع الزيتون على الفرش فيهرسهُ الحجر هرساً ويصيرهُ مادةً رخوة القوام كرب الاثمار الناضجة . وقد يوضع على الفرش حجر واحد وقد يوضع عليهِ حجران متقابلان والعمود الذي يدير الحجر او الحجرين يديرهُ الرجال او البهائم وقد يدار بقوة مائية او بخارية

ومتى هرس الزيتون وصار ربًّا يوضع في قفف من الخوص او الخيش ويعصر الزيت منهُ بمعاصر لولبية او مائية

وعصر الزيت اسهل في الحر منهُ في البرد ولذلك يمزج الرب بماء سخن اذا كان الفصل بارداً او تحمى الآنية التي يوضع فيها حتى يسخن قليلاً او تزول برودتهُ فقط لان الحرارة الشديدة تضرُّ بهِ . والزيت المعصور من الرب البارد اجود من المعصور من الرب السخن لكنهُ اقل منهُ . ويجب ان يكون العصر معتدلاً خفيفاً في اول الامر ثم يزاد رويدًا رويدًا لان الزيت الذي يخرج بالعصر الخفيف اجود من الزيت الذي يخرج بالعصر الثقيل . ثم يطلق البخار السخن في الرب ويعصر ايضاً فيخرج منهُ زيت اقل جودة من النوع الثاني . ولذلك فالزيت ثلاثة انواع اجودهُ ما يخرج من رب الزيتون بعصر خفيف ويتلوهُ ما يخرج منهُ بعصر

شديد ثم النوع الثالث الذي يخرج منهُ بعد ان يسخن على النار او بالبخار السخن ويعصر منهُ والغالب ان لا يكون الزيت نقيًّا حالما يعصر بل يكون فيهِ عكر فيترك حتى يرسب العكر منهُ . او يضاف اليهِ ماء بارد فيحمل العكر وينزل بهِ الى اسفل الاناء فيصفَّى الزيت النقي عن العكر. ولا بدَّ من الاسراع في تصفية الزيت النقي والَّا تغيَّر طعمهُ لان العكر والفضلات التي فيهِ تختمر فتوَّثر فيهِ

والزيت الجيد يقيم مدة طويلة جدًّا من غير ان يتعكَّر او يحل بهِ شيء من الفساد وهو خالٍ من كل طعم آخر غير طعم الزيت الحلو . والزيت العكر اذا طال عليهِ الزمان زاد عكرًا وفسادًا . ولا يصح تعريض الزيت للهواء والنور والحرارة لئلاَّ يسرع اليهِ الفساد

ومهما كانت المعاصر قوية لا يستخرج بها كل الزيت بل يبقى في الكسب خمسة في المئة الى عشرة في المئة منهُ . والكسب يستعمل علفًا ووقودًا فلا يضيع من الزيتون شيء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

قد اطلعت على رسالة في العدد الاخير من المقتطف من احد كرام المشتركين بشأن عدوى الجذام "ورجوعي الى الحق بعد خمس وعشرين سنة" ورأيت فيها وجهين للمسئلة احدهما شخصي يتعلق بي والثاني علمي . اما الاول فحقير لا يعتد بهِ لاني لست بخارج عن قول المثل الروماني القديم الغلط من شأن الانسان

واما الوجه العلمي فلهُ شأن عظيم لما فيهِ من العلم بوقاية الاصحاء من اخبث الامراض . وقد تذكرت ما توصلت اليهِ من هذا القبيل بعد درس طويل في مقالة ترجمت عن

الانكليزية وطبعت في المقتطف في هذه السنة (نيسان ١٩٠٥) . وخلاصة ذلك ان السبب الباثولوجي لهذا المرض نوع من الباشلس خاص بهِ وانهُ لما كان الجلد مجلسة الاصلي نرجح دخولهُ اليهِ اما بواسطة خدشٍ يحملهُ اليهِ الهواء او الماء او بواسطة لسع الهوام كالذباب والبعوض الذي ينقلهُ من المريض الى الصحيح . فاذا ثبت هذا القول لم تكن العدوى بالملامسة والمخالطة بل على وجه التلقيح ولكنهُ لا يثبت الاَّ بمشاهدة هذا الباشلس في الهوام المحيطة بالمجذومين وهو امر لم يخطر لي مدة درسي الكلينيكي لهذا المرض فاتركهُ الى غيري من احداث الاطباء

بيروت يوحنا ورتبات

داء الاسد

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

قرأت في الجزء الماضي من المقتطف كلمة في "الرجوع الى الحق" ايد بها احد المشتركين صدق الحديث الشريف في عدوى الجذام ولا ازيد في نصر ذلك بتأ كيدهِ فان للدين ربًّا يحميهِ قال "انَّا نحن نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون". وليست هذه باول مرة وافق فيها الدين الاسلامي كل علم صحيح

ولكن رواية الحديث المشهور هي "فرَّ من المجذوم كما تفر من الاسد" لا كما ذكر هناك مغيرًا

والعامة في مصر تسمي هذا المرض "بالاسد" فلعلهم تخطفوا هذه الكلمة من هذا الحديث هذا ما لاحظتهُ فارجو اثباتهُ في المقتطف ولكم الشكر

فنار بور سعيد

اعجب بهذا الفنار مرتفعا يبيت بالنيّرات ملتفعا
يلوح منهُ الضياء منصلتًا كالسيف راع الظلامَ فانقطعا
يُقطّع الليل بالسنا قطعًا تمرُّ مرَّ السحاب منقشعا
يبدو سناهُ بمنظر بهجٍ كأنهُ من زبرجد لمعا
لا تسأم النفس حسنهُ ابدا وقد تملُّ الاعيادَ والجمعا
وهو اذا زدتموهُ من نظرٍ يزداد حسنًا في غيرهِ امتنعا

لو خيَّروا متعبًا لينظرهُ او يتهنى بالنوم ما هجعا
لو كانت الثاكلات تبصرهُ لأُنسيت حزنها وما رجعا
يُنجدر الضوء من جوانبهِ كأَنهُ السيل جاء مندفعا
يُطلع في كل لحظة قمرا يغني عن البدر حينما سطعا
لا البدر يغني السفَّار عنهُ اذا بدا ولا النجم كلما طلعا
يقصِّر النجم عن هدايتهِ اما تراهُ للسفن مطَّلعا
ترقبهُ السفن للنجاة كما ترقب غرقى البحار مرتفعا
كأَنهُ قبلة الصلاة لها او كامام تأْتي لهُ تبعا
يحسب ربانها اشعتهُ الحبال مستمسك بها انتفعا
يدور في الليل حاكيًا فلكًا يريكم الليل والنهار معا
سبحان ربي اعطى خليفتهُ في الارض[1] عقلاً فانظر لما صنعا

حسين عبد الفتاح الجمل

باب المسائل

(١) قوات الدول البحرية

سليم افندي صادق بكفر كلا الباب . ذكرتم في الجزء التاسع الصادر في غرة سبتمبر الماضي قوة كل دولة من الدول البحرية ورسمتم صورة اساطيلها مبتدئين بدولة بريطانيا العظمى ومنتهين بدولة النمسا ولم تذكروا قوة الدول الاخرى فنرجو ان تبينوا لنا قوات الدول التي اهملتم ذكرها مبتدئين بالدولة العثمانية ثم اليونان

ج لم نذكر اساطيل بقية الدول لانها ليست دولاً بحرية اي انها لا تعتمد في حروبها على الاساطيل البحرية اما لانها غير متصلة بالبحر فلا اساطيل لها او لان اساطيلها البحرية ضعيفة لا يعتدُّ بها ومن هذا القبيل الدولة العليَّة فانها كانت قبلاً دولة بحرية وبرية ثم اهملت اساطيلها البحرية . فاكثر

[1] خليفة الله في الارض الانسان قال الله تعالى في القرآن « وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » يعني آدم وذريتهُ

سفنها الحربية قديمة لا يعتدُّ بها في الحروب الحديثة وليس عندها من السفن الجديدة سوى طرّادين محميين تفريغ كلٍ منهما ٣٥٠٠ طن وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ٦ بوصات وسبعة اعشار البوصة وقد اصلحت الطرّاد المسعودية في ايطاليا وفيهِ الآن مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ٦ بوصات لكن سرعتهُ لا تزيد على سبعة عشر ميلاً بحريًّا في الساعة واصلحت ثلاثة طرّادات أُخرى في الاستانة اصلحها لها عمّال ايطاليون فصارت عمارتها البحرية مؤَّلفة من ستة طرّادات صغيرة تفريغ كلٍ منها ٣٥٠٠ طن وستة من قوارب الطربيد ولكن عندها من البحارة والجنود البحرية ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فان عدد جنودها البحرية وبحارتها نحو اربعين الفًا

اما اليونان فعندها ثلاث مدرعات صغيرة تفريغ كلٍ منها ٥٠٠٠ طن وفي كل منها ثلاثة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ١٠ بوصات ونصف وخمس مدافع اصغر منها قطر فوهة الواحد منها ست بوصات وعندها ١٩ من قوارب الطربيد لكنها قديمة لا فائدة منها وعدد الجنود والبحارة لا يزيد على ٤٠٠٠ نفس . واما سائر الدول فلا فائدة من وصف قواتها البحرية

(٢) الدولة العلية واليونان

ومنهُ . اي الدولتين اقوى بحرًا أَلدولة العلية ام دولة اليونان

ج يظهر من الوصف السابق ان الدولة العلية اقوى من دولة اليونان

(٣) الدولة العلية واسبانيا

ومنهُ . ما نسبة الدولة العلية الى اسبانيا الآن من حيث القوة البحرية

ج كانت اسبانيا من الدول البحريَّة الكبيرة قبل حربها مع اميركا وقد فقدت اكثر اسطولها في تلك الحرب ولكن لا يزال عندها الآن ما هو اقوى كثيرًا من الاسطول العثماني فعندها بارجة تفريغها ٩٠٠٠ طن وفيها مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ١٢ بوصة وستة اعشار ومدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ١١ بوصة وتسعة مدافع قطر فوهة كل منها خمس بوصات ونصف وطراد تفريغهُ ٩٢٠٠ طن وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًّا في الساعة . وجملة ما عندها الآن سفينة حربية من الدرجة الثالثة وسفينة من الدرجة الرابعة وثلاثة من الدرجة الخامسة وواحدة من الدرجة السادسة وواحدة من الدرجة السابعة وسبعة من قوارب الطربيد وستة من متلفات الطربيد وهي تبني الآن طرادين من الدرجة الخامسة وطرادين من الدرجة السابعة فهي اقوى جدًّا من الدولة العلية من حيث اسطولها

(٤) برد البطيخ في الشمس

ومنهُ . اتينا ببطيخة من محل منبتها وكان الوقت ظهرًا فكان جلدها سخنًا كأَنهُ

موضوع في ماء مغلي ثم شققناها ووضعناها في الشمس نحو نصف ساعة فبرد لبها حتى كأنها وُضعت في الثلج فما سبب ذلك

ج اذا مسحتم يدكم بماء حرارتهُ مثل حرارتها تماماً شعرتم ببرودة لان الماء يتبخر عنها وتبخره هذا يستدعي استخدام جانب من حرارتها اي ان جانباً من حرارة اليد يمدد الماء ويحوّلهُ بخاراً فتشعرون بالبرودة. واذا وضعتم الماء في ابريق من الخزف الذي يرشح كثيراً لا يلبث ان يبرد لان الماء المترشح منهُ يطير بخاراً سالباً جانباً من حرارتهِ . ولا يخفى انهُ اذا اتسع السطح الذي يصعد البخار عنهُ كثرت البرودة المتولدة من ذلك . وفي البطيخ الناضج حبوب صغيرة فيها ماء ويحيط الماء بها فاذا وضعتهُ في الشمس كثر صعود البخار عنهُ لكثرة ما يتعرَّض منهُ للتبخر فيسلب جانب كبير من حرارتهِ فيبرد كثيراً

(٥) الوسكي والبصل

ومنهُ . أصحيح ان الوسكي مستخرج من ماء البصل وهل هو افيد المشروبات الروحية بعد البيرة والنبيذ

ج لا يستخرج الوسكي من ماء البصل ولا هو نافع . واذا وقع التفاضل بينهُ وبين البيرة والنبيذ فيكون في ايها اكثر ضرراً او اقل ضرراً . ويستخرج الوسكي غالباً من استقطار الشعير والذرة والارز والبطاطس واكثر المواد التي فيها نشاء او سكر ولا يتعذر استخراجهُ من البصل لان في البصل مادة نشوية . وعند الاوربيين شراب آخر اقوى من الوسكي يستخرج من جذور الجنطيانا وهي نبات ورقهُ مثل ورق البصل او بصل الفار ولعل مخبركم خلط بين هذا الشراب وبين الوسكي وخلط بين الجنطيانا وبصل الفارفقال ان الوسكي يستخرج من البصل

(٦) تحسين الخطابة

اسنا . الخواجا عزيز جرجاوي . ما هي احسن الوسائط لتحسين الخطابة

ج الدرس الكثير للاحاطة بالموضوع من كل جهاتهِ والتمرُّن الكثير على الخطابة حتى تصير ملكة في النفس والاعتماد على رجل يعرف محاسن الخطابة ومذامها يرشد الى مواقع الخطإِ ويساعد على اصلاحها كل ذلك لازم للنبوغ في الخطابة

(٧) الخطباء الضعفاء الصوت

ومنهُ . هل قام خطباء اشتهروا بالخطابة وكان صوتهم ضعيفاً

ج يحكى ان ديموستنس كان ألكن ثم قوم لسانهُ بوضع الحصى في فيهِ لكنَّ هذه الحكاية تفتقر الى الاثبات. وقد سمعنا جون مورلي يخطب في مجلس النواب الانكليزي فوجدنا صوتهُ ضعيفاً على اشتهارهِ بالخطابة وسمعنا غيرهُ من المعدودين بين الخطباء وصوتهم ضعيف لا يكاد يسمع على مئة قدم

ولكن الخطباء المشهورين حقيقةً الذين سمعناهم صوتهم جهوري فخيم او حادٌّ رنان وهو في الحالين قوي يبلغ السامعين على مئات من الاقدام

(٨) عصب الريق

ومنهُ . اعرف خطيباً ينشف ريقهُ عند الخطابة حتى يضطر ان يضع شيئاً من الملبس في فيهِ ادراراً للعابهِ والاَّ تعذَّر عليهِ الكلام فهل من دواء لهذا الداء

ج ان عصب الريق وفيضانهُ ناتجان عن فعل عصبي والغالب ان عصب الريق ناتج عن الخوف او الهيبة حتى انك اذا امرت السارق ان يتفل على الدقيق تعذَّر عليهِ ذلك . ودواؤهُ التمرن على الخطابة طويلاً حتى تصير مألوفة ويزول الخوف من الناس

(٩) دعوى من يغني الناس

مسقط . الخواجا يوسف اسطفان .
قرأت اعلاناً للمستر هنس الاميركي في مجلة ستندرد يقول فيهِ انهُ استغنى بالمتاجرة بطريقة عجيبة وانهُ يودُّ ان يغني كل من يرسل اليهِ دراهم للمتاجرة بها كما انهُ قد اغنى كثيرين ممن اعتمدوا عليهِ وقدموا لهُ دراهم فهل ذلك صحيح

ج اذا كانت اقامةُ هذا الرجل في الولايات المتحدة الاميركية فالاموال تربح فيها نحو اربعة او خمسة في المئة سنويًّا ربحاً يكاد يكون ثابتاً فاذا كان هذا الرجل بالغاً حد الاستقامة فلا يحتمل ان يربح الذين يعتمدون عليهِ اكثر من ذلك ولكن يغلب على ظننا انهُ غاش او مغشوش . والذي يعرف طريقة للغنى يستعملها لنفع نفسهِ

(١٠) الاحكام العرفية

كنداء . الخواجا جرجس حنا جرجورا .
كثيرًا ما نقرأُ في الجرائد قولهم وضعت المدينة الفلانية تحت الاحكام العرفية فما هي الاحكام العرفية هذه

ج اذا اضطربت احوال بلاد بسبب ثورة داخلية او بدنو العدو منها حتى لم يعد سكانها يخضعون لقوانين الحكومة اضطرَّت الحكومة ان تعدل عن الجري على موجب قوانين البلاد وان تتصرف حسبما تراهُ مناسباً فتقبض على زيد مثلاً وتسجنهُ او تقتلهُ من غير مرافعة او محاكمة وهذه هي الحكومة العرفية وقد تلجأُ الى القوانين العسكرية فتجري عليها . وبعض الحكومات التي تفعل ذلك في وقت الاضطراب او وقت الحرب تضطرُّ ان تبرر عملها وقتما يستتبُّ الامن وتعوّض على الذين اوقعت بهم ضررًا . لنفرض ان اهالي مدينة هاجوا وماجوا لسبب من الاسباب فاراد البوليس ان يسكّن هيجانهم فهجموا عليهِ ورموهُ بالرصاص ثم هربوا من وجههِ وتحصنوا في البيوت القريبة فان الحكومة قد تضع المدينة تحت الاحكام العرفية حينئذٍ وتأمر البوليس باطلاق الرصاص عليهم من

غير محاكمة ويحرق البيوت التي تحصَّنوا فيها ثم متى استتب الامن قد يضطرها مجلس الشورى الذي فيها الى تبرير عملها هذا والى التعويض على اصحاب البيوت التي امرت باحراقها

(١١) التدخين والعمر

مصر . الخواجا يوسف ابرهيم كوهن . هل ثبت ان التدخين يقصر العمر واذا كان ذلك صحيحاً فما هو سببهُ

ج ان التدخين يضرُّ المعرَّضين للامراض القلبية بنوع خاص ولا يبعد ان يقصّر عمرهم وليس منهُ ضرر صحي كبير في ما سوى ذلك ولا ثبت ان الذين يدخنون اقصر عمرًا من غيرهم . والافراط في التدخين مضر كالافراط في الاكل والشرب والنوم والسهر وكل شيء

(١٢) بزر الموز والقصب

ومنهُ . اننا لا نرى بزرًا في الموز ولا في القصب فاين بزر هذين النباتين

ج يكون في بعض الموز بزر صغير داخل ثمرهِ ولكن الاستمرار على توليد الموز من الفسائل اضعف بزرهُ جدًّا حتى لم يعد يتولَّد منهُ . وكذلك القصب يظهر في اعلاهُ زهر وبزر صغير ولكنهُ لا يتولَّد منهُ بل من العقل كما لا يخفى

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	٣	٣٩	صباحاً
البدر	١٢	٧	١١	"
الربع الاخير	٢٠	٣	٣٣	"
الهلال	٢٩	٦	٤٧	مساءً

السيارات

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب بين الساعة ٩ ١/٢ و ١٠ مساء الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب الساعة ١ صباحاً في اوائل الشهر والساعة ١١ مساء في آخرهِ

موءتمر السل الدولي

التأم موءتمر السل الدولي في مدينة باريس من ٢ الى ٧ اكتوبر وحضرهُ جمهور كبير من نخبة الاطباء من كل اقطار المسكونة . واهم ما تُلي فيهِ خطبة للاستاذ بهرنغ مكتشف علاج الدفثيريا قال فيها انهُ اكتشف علاجاً شافياً لداء السل يشفيهِ كما يشفي المصل النسيـ

اكتشفهُ داء الدفثيريا. وقد قال انهُ جرَّب هذا العلاج في الحيوانات فوجد انهُ يشفيها من السل ويودُّ ان يجربهُ غيرهُ من الاطباء ايضاً لئلاَّ يكون مخطئاً في حكمهِ ثم يجرَّب في الناس. وسننشر ترجمة خطبتهِ في الجزء التالي

وعُرضت في المؤتمر امثلة كثيرة يظهر منها الفرق بين ميكروب سل البقر وميكروب سل البشر وميكروب سل الطيور ومقدار ضرر كلٍّ منها. وأُقيمت الأدلَّة على ان الكلاب تصاب بالسل الرئوي والمعوي وان الكلاب التي تكون في البيوت ويلعب بها الاولاد قد تكون مسلولة فيعدون منها لاسيما وان ميكروب السل يكون كثيرًا في افواهها فاذا لحست ايدي اصحابها اوصلت اليهم ميكروب السل. ويكثر السل بنوع خاص في الكلاب التي تقيم في الحانات الكثيرة الازدحام الفاسدة الهواء

وثبت ان الانسان يُعدَى بسل البقر وان ميكروبهُ اعدى لهُ من غيرهِ ويصل ميكروب السل اليهِ من شربهِ لبن البقر المصابة بالتدرُّن. وكل ذوات الثدي تعدى بسل البقر وبسل البشر ايضاً. واذا دخل ميكروب السل جسم حيوان من غير ذوات الثدي تغيَّر تغيُّرًا كثيرًا ولكن لا يتعذَّر ارجاعهُ الى اصلهِ

والمصل الذي استخدمهُ الاستاذ دنس افاد في التدرُّن الجراحي الذي يصيب المفاصل وظهرت لهُ فائدة قليلة في علاج السل نفسهِ فيستحق ان تكرَّر التجارب فيهِ

وشدَّد الاطباء في وجوب منع الاولاد من الاقامة في غرف يقيم فيها المسلولون وفي وجوب مراقبة اللبن الذي يستعمل في المدن وقالوا انهُ يجب على الحكومة ان تراقب اماكن اللبانة من وقت الى آخر. وانهُ لا يجوز للمدارس ونحوها ان تستعمل لبناً لم يثبت انهُ حُلب من بقر سليمة من السل او لم يعقم قبل استعمالهِ حسب طريقة باستور

وسيعقد المؤتمر التالي في اميركا بعد ثلاث سنوات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم في جنوبي افريقية كما ذكرنا في الجزء السابق فاجتمع اولاً في مدينة الراس وتلا رئيسهُ الاستاذ جورج دارون جانباً من خطبة الرئاسة وقد ترجمناهُ ونشرناهُ في هذا الجزء وتلا بعض رؤَساء اقسامهِ خطبهم ثم ضرب اعضاؤُهُ شمالاً الى ان وصلوا مدينة جوهنسبرج فتلا الرئيس فيها القسم الثاني من خطبتهِ وتلا غيرهُ من الرؤَساء خطبهم وسننشر بعض ذلك في الاجزاء التالية

وختم الاجتماع في مدينة جوهنسبرج وانتخب الدكتور راي لنكستر رئيساً للاجتماع التالي. وتقدم الاعضاء من هناك شمالاً وزاروا مناجم الذهب والماس ولما بلغوا مناجم

الماس خطب فيهم السر وليم كروكس خطبة بليغة موضوعها الماس فبيَّن فيها كيفية عمله الماس الصناعي باشعال الكرديت ونحوهِ . وقد ابتهج السامعون بهذه الخطبة وطلبوا منهُ ان يعيدها لهم مرة ثانية فاعادها في اليوم التالي وسننشرها في جزء تالٍ . وعاد الاعضاء الى السير في خمسة قطرات خاصة الى ان بلغوا شلالات فكتوريا في الحادي عشر من سبتمبر ففتح الاستاذ دارون الجسر الذي أُنشئ فوق تلك الشلالات وقد وصفناهُ في الجزء الثامن من المقتطف وزاروا الجزائر الكثيرة التي في ذلك النهر ثم انقسموا الى قسمين قسم عاد بطريق مدينة الراس وقسم بطريق بيرا . ووصل بعضهم السويس ومرُّوا بالقاهرة وكان معهم السر كولن سكوت منكريف وكيل نظارة الاشغال المصرية سابقاً ورئيس قسم الهندسة في هذا المجمع فزار بهم القناطر الخيرية واراهم بالعيان ما وصفهُ لهم في خطبتهِ باللسان

المعارف الانكليزية

بلغ ما انفقتهُ الحكومة الانكليزية في العام الماضي على التعليم وترقية العلوم والفنون ١٥ ٧٩٥ ٥٣٨ جنيهاً انكليزيًّا يقابلها ١٦ ٣٢٨ ٩٤٧ جنيهاً هذا العام منها ١٢ ٦٦٠ ٨١٦ انفقها مجلس التعليم وهو بمثابة نظارة المعارف وهي

للادارة	٣٢٢ ١٦٩ جنيهاً
للتفتيش والامتحان	٢٥٩ ٩١٩ "
اعانات للمدارس الابتدائية	١٠ ٩٥١ ١٠٤ "
" للمدارس المعلمين	٤٨٩ ٨٤٣ "
" للمدارس الثانوية	٢٤٢ ٥٠٠ "

والباقي أُنفق على المتاحف ومسح الاراضي التي لم تمسح بعد واللجان العلمية وما اشبه ذلك من الاغراض العلمية . فنفقات الادارة تبلغ نحو جزء في المئة فقط مما ينفق على التعليم

الاوتوموبيل في فرنسا

حازت فرنسا قصب السبق في اتقان مركبات الاوتوموبيل حتى فاقت المركبات التي صُنعت فيها المركبات التي صنعت في البلدان الاخرى في كل سباق جرى . وصناعة الاوتوموبيل فيها على ازدياد كل سنة ففي سنة ١٨٩٨ صنع فيها ١٨٥٠ مركبة ثمنها ٣٣٢٠٠٠ ثم زادت زيادة عظيمة حتى بلغ عدد ما صنع منها سنة ١٩٠٤ اثنتين وعشرين الف مركبة ثمنها ٧٠٤٠٠٠٠ جنيه اي ان الزيادة اكثر من ٢١ ضعفاً

وصدر منها الى الخارج سنة ١٨٩٨ ما ثمنهُ ٧٠٠٠٠ جنيه فزاد حتى بلغ ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٣ و ٢٩٦٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤

ويقدرون عدد الذين يعملون في معامل الاوتوموبيل في فرنسا باكثر من ٣٠٠ الف

نفس وعدد هذه المعامل ١٧٢ وعددها في انكلترا ١١٤ وفي المانيا ٦٠٠ وفي فرنسا الآن نحو ٢٠ الف مركبة بين ايدي الاهالي

الطلاق في الصين

يطلق الصيني امرأتهُ للعلل الآتية وهي العقم والزنى وسوء معاملة والديه والنميمة والسرقة والغيرة . واذا طُلقت امرأَة جاز لها ان تتزوج ثانية وجاز لها ايضاً ان تشكو زوجها الى الحكومة اذا كان تطليقهُ لها مخالفاً للقانون فيحكم عليهِ بالجلد ثمانين جلدة وارجاع زوجتهِ

وقد يفترق الزوجان بالتراضي لاختلاف في طبعهما ومزاجهما . واذا هجر احدهما منزلهُ فللآخر الخيار في قبولهِ ثانية او تطليقهِ . فاذا كانت الزوجة هي التي هجرت منزل زوجها عوقبت بمئة جلدة ولزوجها الخيار في ان يستردها او يتزوج غيرها او يزوجها من اراد . والمرأَة التي تتزوج غير زوجها الشرعي من نفسها بعد هجرها اياهُ وقبل تطليقها منهُ تقتل خنقاً وهو عقاب الزانية عندهم . واذا كان الزوج هو الذي هجر منزلهُ وجب على امرأَتهِ ان تقيم على تلك الحالة ثلاث سنوات فاذا لم يأْتها خبر منهُ في تلك المدة طلقت باذن الحكومة وتزوجت ثانية اذا شاءت . فاذا لم تنتظر ثلاث سنوات بل هجرت منزلها ايضاً جلدت ٨٠ جلدة واذا تزوجت جلدت مئة

والطلاق الزامي اذا زنت الزوجة او ضربت زوجها ضرباً افضى الى جرحهِ جروحاً بالغة او كسر عظم من عظامهِ او فقد عضو من اعضائهِ او ضربها هو ضرباً افضى الى مثل ذلك

وفاة ممثل مشهور

توفي السر هنري ارفنغ اعظم ممثل انكليزي في هذا العصر . وكانت وفاتهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد تمثيل الفصل الاخير من رواية " بكت " رئيس اساقفة كنتربري الذي قتل في اوائل القرن الثاني عشر بامر الملك هنري الثاني . ولم يلحظ احد من اعضاء جوقهِ تغيراً في حركاتهِ واشاراتهِ ليلة التمثيل مما ينذر بمرضهِ حتى آخر الفصل الاخير حين كان يمثل موت بكت وكانت عادتهُ في تمثيل موتهِ ان يسقط على المشهد ولكنهُ هذه المرة سقط عند الدرج الذي امام مذبح الهيكل حيث قتل بكت وفاه بالكلمات التي فاه بها بكت وهي " اسلم امري الى الله في يديك يا رب في يديك " ومن غرائب الصدف انها كانت آخر عبارة فاه بها السر هنري في التمثيل . فانهُ بعد ان سقط على المشهد وانزل الستار بقي منطرحاً على ظهرهِ فهرع اليهِ احد رجال الجوق ومسّ يديهِ لينهضهُ فاذا هما باردتان فسألهُ هل انت مريض فلم يجبهُ . ورفع الستار وأُنزل مراراً

والناس يصفقون لهُ ولا يدرون انهُ لا يستطيع النهوض من الاعياء . واخيرًا استفاق مضطربًا ووقف والتفت الى احد مساعديهِ قائلاً "وماذا جرى" فاجابهُ ان الحضور يطلبون رؤيتك فلا بد لك من كلمة تقولها فتردد هنيهة ثم رفع الستار وفاه بكلمة شكر للحاضرين

وكان الاعياء قد بلغ منهُ مبلغهُ فبدل ملابسهُ وركب مركبة الى النزل الذي يقيم فيهِ . وبينما كان يدخل القاعة عثر وسقط ولكن احد ملازميهِ واسمهُ شبرد أقالهُ ولم يدعهُ يسقط الى الارض فقال بصوت خافت "ذلك الكرسي يا شبرد" وكانت آخر عبارة نطق بها وهو يجود بنفسهِ ومات ولم تبدُ عليهِ علامة نزع والم

والانكليز يجلون قدرهُ كثيرًا حتى انهم اقروا على دفنهِ في كنيسة وستمنستر مدفن عظمائهم وكبار كتبتهم وشعرائهم

الاشعاع من غير الراديوم

اكتشف الدكتور توماسينا الجنيفي انهُ اذا كهرب سلك بالكهربائية السلبيَّة واحمي فَعَل بغيرهِ من المواد فعل الراديوم . وكذلك اذا وقعت اشعة رنتجن على الجسم صار يشع مثل الراديوم وبقيت فيهِ قوة الاشعاع بضعة ايام . ثم رأى ان قوة الاشعاع موجودة في كثير من الاجسام كالاثمار والازهار والاوراق وموجودة ايضًا في الطيور وهي في كبارها اكثر منها في صغارها

العلم في حرب اليابان

أُمر بحارة اليابان والجنود البحرية ان يستحم كلٌّ منهم قبل كل معركة بحريَّة ويبدل ثيابهُ التحتانية بثياب نظيفة حتى اذا جُرح لا تدخل مادة سامة في جرحهِ واعطي كل واحد منهم قطع من القطن ليسد اذنيهِ بها ومحلول حامض البوريك ليغسل عينيهِ بهِ من دخان البارود . فكانت نتيجة هذه التحوطات العلميَّة ان اكثر الجرحى برئوا من جراحهم

نفقة بعض الكليات

يبلغ ما تنفقهُ كلية برلين على كل تلميذ من تلامذتها في السنة ١٣ جنيهًا وباريس ١٤ ١/٢ وفينا ١٥ وادنبرج ٣١ ١/٢ وهارفرد ٦١ وكولمبيا ٩٤ ويايل ٥١ وبرنستون ٦٧ وهذه الاربعة الاخيرة في الولايات المتحدة الاميركية

قوة شلال نياغرا

قدَّر مهندسو اميركا حديثًا انهُ ينصبُّ من شلال نياغرا ٢٣٠٠٠٠ قدم مكعبة من الماء كل ثانية من الزمان وفي انحدارها من القوة ما يساوي تسعة ملايين حصان يمكن استخدام نصفها للاعمال المختلفة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

٨٥٧ شمول مذهب النشوء . للاستاذ جورج دارون
٨٦٤ الذهب
٨٦٥ اقدم الآثار الاشورية
٨٦٦ اقدم الآثار البابلية (مصوَّرة)
٨٦٨ التلاوتوغراف (مصوَّرة)
٨٧٠ الهالة حول الراس
٨٧١ معاهدة الصلح
٨٧٣ الاحتضارات والقبريَّات . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٨٨١ ماضي الاحياء ومستقبلها
٨٨٨ عدد سكان العواصم الكبرى
٨٨٩ جزاء سنمار
٨٩٣ السوريون في اميركا . ليوسف افندي جرجس زخم الريشاني
٩٠١ تاريخ محمد علي باشا (مصوَّرة)
٩٠٩ الشيخ محمد عبده

٩٢٣ باب تدبير المنزل * مؤَلفة ومؤَلف غريب · النظافة والصحة · اثاث غرفة المائدة · العسل في البيت · تعليم الاولاد التوفير
٩٢٧ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ الدولة العلية · الكلية الشرقية · تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس · حقوق المرأة في الاسلام · جواهر البلاغة · الارشادات الوفية في القضايا الشرعية · مستشفى نيويورك
٨٣١ باب الزراعة * العدس · الزيتون وزيتة
باب المراسلة والمناظرة * الرجوع الى الحق · داء الاسد · فنار بور سعيد
٨٤١ باب المسائل * قوات الدول البحرية · الدولة العلية واليونان · الدولة العلية واسبانيا · برد البطيخ في الشمس · الوسكي والبصل · تحسين الخطابة · الخطباء الضعفاء الصوت · عصب الريق · دعوى من يغني الناس · الاحكام العرفية · التدخين والعمر · بزر الموز والقصب
٨٤٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ شوال سنة ١٣٢٣

السر هنري ارفنغ

لقد يعجب المرء لاول وهلة اذا دخل كنيسة وستمنستر التي يدفن فيها ملوك الانكليز وعظماؤهم ورأى ضريح ممثل من الممثلين او شاعر من الشعراء بجانب اضرحة كبار الملوك والقوَّاد والوزراء . ولكنهُ اذا نظر في الامر مليًّا لم يرَ سببًا للعجب لان النوابغ الذين يفوقون غيرهم لا ينحصرون في فئة من الناس والنابغة في الشعر او في التمثيل او في الغناء كالنابغة في سياسة الممالك او في قيادة الجيوش ولا مزية للواحد على الآخر الاَّ بمقدار ما يسترعي السمع ويحمل الامَّة على اكرامهِ فاذا نهضت الامة واكرمت شاعرًا او مغنيًا في حياتهِ وطلبت ان يكرم في مماتهِ فقولها القول الفصل وكلمتها هي المرعية . ومن هذا القبيل اكرام الامة الانكليزيَّة للسر هنري ارفنغ الممثل المشهور الذي توفي بالامس

ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٨ واسم ابيهِ صموئيل برودريب ولكن السر هنري انتحل اسم ارفنغ سنة ١٨٨٧ برخصة ملكية . وكان مولعًا منذ صغرهِ بمطالعة الاقاصيص الشعرية فحفظ منها ما راقهُ . ولما بلغ الحادية عشرة اتى مدينة لندن ودخل احدى مدارسها وكان يقضي وقتًا طويلاً في مكتبتها يقلّب الكتب القديمة وينتقي الخطب التي كان يُطلب من التلامذة حفظها فيفضّل ما كان كثير الخيال منها

وبعد ان اقام في المدرسة سنتين اخرجهُ ابوهُ منها وادخلهُ مكتبًا تجاريًّا ليكون كاتبًا فيهِ فكان يأتي كلَّ يوم بالدواوين الشعرية والروايات التمثيلية ويطالعها في ساعات الفراغ ويبذل الجهد في استظهارها حرفًا حرفًا . وكان راتبهُ ١٣ شلنًا في الاسبوع فكان يوفّر منهُ بعض دريهمات لمشترى كتب التمثيل وينهض كلَّ يوم الساعة الرابعة صباحًا فيتمشى الى النهر حيث

كان يغتسل ثم يشرع في قراءة تلك الكتب وحفظ ما فيها حتى الساعة التاسعة وهو وقت فتح المكتب



السر هنري ارفنغ يقرأ اشعار تنيسن

واتفق ان بعض المولعين بفن التمثيل نظم فرقًا لدرس هذا الفن فكان تلامذة كل فرقة يجتمعون في مكان معيّن ويتلو كلٌّ منهم ما اختار حفظهُ ويتفنن في الالقاء والاشارات كما لو كان يمثّل على المشهد فينتقد الآخرون القاءهُ واشاراتهِ . وفي ذات مساءٍ دخل عليهم شابٌّ حسن الطلعة طويل القامة لابس ملابس سوداء ولم يكن احد يعرفهُ . فجلس يصغي الى ما يقال حتى جاء دورهُ فوقف وجعل يلقي ما وعاهُ من غير ان يعتذر عن تطفّلهِ عليهم فأُعجبوا بهِ غاية الاعجاب وهو هنري ارفنغ . واخيرًا عوّلوا على التمثيل في المشاهد العمومية فطرب ارفنغ لذلك وكان كلما القى شيئًا في دورهِ يصفق لهُ السامعون و يستعيدونهُ وكان يميل الى تمثيل ادوار الرجال في الروايات ولكن حال دون ذلك نحافة جسمهِ ولطافة قدّهِ فكان يعطى ادوار النساء

اما ابوهُ فكان يؤمل انهُ يرتقي في وظيفتهِ من كاتب الى شريك ولكنهُ كان ضعيف الرأي فلم يقاوم تعلّق ابنهِ بفنِ التمثيل . واما امهُ فهالها ذلك الامر ورأت في تعلّقهِ بالتمثيل ضياع آمالها فتوسلت اليهِ ان يترك التمثيل وشأنهُ وكانت مخالفتها اصعب شيء عليهِ لانهُ كان يحبها فحاول اقناعها بانهُ مصيبٌ في رأيهِ ولكن على غير طائل لان نفورها من التمثيل كان شديدًا وحبها لابنها كان اشدّ حتى انها اجتمعت مرةً بالممثلين الذين كان ابنها منتظمًا في سلكهم وكلمت كلًّا منهم على حدة وتوسلت اليهِ ان يقنع ابنها بالعدول عن اتخاذ التمثيل حرفة لهُ . لكنهُ لم يعبأ بذلك كلهِ بل ظلّ يواظب على الدرس والمطالعة في ساعات الفراغ نهارًا وحضور فرقة التمثيل ليلًا ولجأ الى ممثل معروف فكان يعلمهُ كيفية الالقاء وإتيان الاشارات ساعة كلّ يوم. ولم يكن قد حضر تمثيل الروايات في المشاهد العمومية بسبب ما كان يلقى من مقاومة عائلتهِ لذلك فاغتنم الفرصة ذات ليلة وخرج من المنزل سرًّا وحضر تمثيل رواية "هملت" في احد المشاهد وخرج مرة ثانية وحضر تمثيل رواية اخرى وعاد الى منزلهِ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وكان اهلهُ قد دروا بخروجهِ فرآهم مجتمعين يندبون مستقبلهُ ويبكون ضياع آمالهم بهِ

ولم يمضِ زمان طويل على ذلك حتى ترك المكتب واعلن عزمهُ على الانتظام في سلك الممثلين جهارًا . وفي سبتمبر سنة ١٨٥٧ ظهر اول مرة في مشهد عمومي وما زال منذ ذلك الحين يواظب على التمثيل بلا كلل ولا ملل حتى طبقت شهرتهُ الآفاق وانعمت الملكة فكتوريا عليهِ بلقب سر سنة ١٨٩٥ وهو اول ممثل اعطي هذا اللقب.

الّا ان الشهرة لا تأتي عفوًا . وليس الناس بالمبذرين في اكرامهم لغيرهم حتى يكرموا مَن يستحق الاكرام ومَن لا يستحقهُ . فلم ينل ارفنغ ما نال من الشهرة الواسعة الّا بعد ان دفع ثمنهُ سهرًا ودرسًا واجتهادًا قلّ ان فاقهُ احد فيها . وهذا مضافًا الى ما ميزتهُ بهِ الفطرة من المزايا اللازمة للتفوّق في فن التمثيل اكسبهُ ما اكسبهُ من المقام بين قومهِ . ولقد اجمع الباحثون في سيرتهِ على انهُ رقّى فن التمثيل في البلاد الانكليزية وجعل عقلاء الامة وعلماءها يرغبون فيهِ بعد ان رغبوا عنهُ زمانًا طويلًا . ولم يقصّر في ما يتطلبهُ اهل العواطف والازياء بل ارضى الجميع فرأى العلماء والحكماء في تمثيلهِ علمًا وحكمةً واهل الخيال ومحبو الجمال تخيُّلًا وجمالًا وطلّاب القصوف والتسلية ما يسر ويسلّي فاجمعت الامة على الاعجاب بهِ من حين قام في مشاهد التمثيل الى ان واراهُ لحدهُ وختمت اكرامها لهُ بدفنهِ حيث يدفن اعظم عظمائها وبتأبينهِ في جرائدها كأنهُ اعظم النابغين فيها

الرائحة وسببها

والفائدة العملية من ذلك

ان الذين درسوا العلوم الطبيعيَّة رأَوا فيها ان الرائحة ناتجة عن دقائق صغيرة تنتشر من الجسم ذي الرائحة وتؤثر في اعصاب الشم . لكن الروائح العطرية ونحوها تدلُّ دلالة واضحة على ان دقائق الجسم يجب ان تكون اصغر مما يفرَض عادةً فان القمحة من المسك تتضوَّع رائحتها في غرفة توضع فيها سنين كثيرة ثم توزن في آخر المدة فاذا ثقلها على حالهِ لم ينقص شيئاً

ولبعض الحشرات قوة غريبة في الشم فانهُ اذا وُضعت فراشة من الفراش المعروف باسم ستورنيا كربيني في صندوق من الخشب ووضع الصندوق في غاب شمَّت ذكور الفراش رائحتها عن بُعد ميل واتت اليها وما ذلك الاَّ لان رائحتها انتشرت على مسافة ميل حولها مع انها ضمن الصندوق فاذا فرضنا انهُ انتشر في القدم المكعبة من الهواء عشر ذرات فقط من رائحتها وفرضنا ان سمك منطقة الهواء عشر اقدام فقط فقد انتشر فيها ثلاثة عشر الف مليون ذرة

وكان المظنون ان هذه الذرات مواد جامدة خارجة من الجسم الذي تنتشر منهُ لكن الدكتور اتكن العالم الطبيعي اثبت الآن انها ليست مواد جامدة بل هي غاز ينتشر من الجسم ذي الرائحة

وذلك انهُ اذا كان في اناء زجاجي اجسام دقيقة منتشرة فيهِ وأُدخل اليهِ قليل من البخار المائي تكاثف البخار حول الدقائق المنتشرة في الاناء وصار ضباباً منظوراً

واذا كان في الاناء هواءٌ عاديٌّ تكاثف البخار فيهِ ضباباً ولكن اذا رُشّحَ الهواءُ من من الغبار والهباء بمرورهِ في القطن المندوف لم يتكاثف البخار فيهِ بل يبقى غير منظور

وطريقة اظهار ذلك ان يوضع قليل من الماء في زجاجة وينزع بعض الهواء منها بمفرِغة الهواء فللحال يستحيل بعض الماء الذي فيها بخاراً ويتكاثف فيها ضباباً حول دقائق الهباء التي في هوائها . ثم اذا زيد تفريغ الهواء منها حتى لم يعد فيها شيءٌ منهُ بطل تكوُّن الضباب فيها مع انها تكون مملوَّة بخاراً وحينئذٍ اذا أُدخل اليها قليل من الهواء العادي عاد الضباب فتكوَّن فيها ولكن اذا أُدخل اليها هواءٌ منقًى من الهباء بمرورهِ في القطن المندوف لم يتكون الضباب فيها

وقد وضع الدكتور اتكن في قنينة مثل هذه حبَّة من المسك وقال انهُ اذا كانت رائحة المسك تتضوَّع منها ذراتٍ صغيرة وجب ان يتكاثف البخار حولها ويصير ضباباً واذا لم يتكاثف

فالرائحة ليست ذرات صغيرة بل هي غاز منتشر من المسك . ووجد لدى الامتحان ان البخار لا يتكاثف في قنينة ملئت من رائحة المسك ولا اذا ملئت من رائحة الكافور ولا من رائحة النفثالين. وامتحن كذلك ثلاثًا وعشرين مادة من المواد الجامدة ذات الرائحة القوية فوجد ان روائحها لا تتولَّد من ذرات صغيرة منتشرة منها بل من غازات صاعدة عنها. والظاهر انهُ لا دليل عندهُ على ان الرائحة غاز سوى انها يجب ان تكون مادة جامدة او سائلة او غازية وهي احوال المادة الثلاث فهي غاز لانها ليست جامدة ولا سائلة ولكننا لا نرى ما يمنع ان تكون من الحالة الرابعة من حالات المادة اي الكترونات منتشرة من المادة ذات الرائحة فدقائقها اصغر من الجواهر المادية التي تتكوَّن الغازات منها

ولو اقتصر بحث الدكتور اتكن على ما تقدَّم لاقتصرت فائدتهُ على كونها علمية نظرية . ولكن العلوم النظرية صارت الآن اساسًا للعلوم العملية فلا تكاد تكتشف حقيقة نظرية الاَّ وتكتشف لها فائدة عملية . والفائدة التي بناها الدكتور اتكن على ذلك هي ان الروائح التي تنتشر من الكنف لا يكون فيها اجسام جامدة بل هي غاز محض فليس فيها شيء من جراثيم الامراض على ضد ما يتوهم جمهور الناس والاطباء ولا سيما اطباء الصحة الذين اذا شمُّوا رائحة كريهة منتشرة من كنيف في البيت اضطروك ان تقاومها برائحة قد لا تقل كراهة عنها وهي رائحة الحامض الكربوليك . ولا مشاحة في ان الرائحة الكريهة كريهة ويجب التخلُّص منها او تجنُّبها لانها تؤَثر في الاعصاب تأْثيرًا شديدًا وقد تمرض بعض الناس ولا سيما قبل ان يعتادوها ولكن الروائح الطيبة تفعل ذلك ببعض الناس . ولا دليل ولا شبه دليل على ان الجراثيم المرضيَّة تكون منتشرة في الروائح الكريهة الاَّ اذا تحركت السوائل في الكنف ومجاريها فانتشر منها رشاش في الهواء وانتشرت معهُ بعض الجراثيم التي كانت في مواد الكنف وكان بينها جراثيم مرضيَّة وذلك نادر جدًّا كما لا يخفى . وهذا يفسّر لنا كيف عاش الناس قرونًا كثيرة قبل استنباط الاساليب الجديدة لمنع غازات الكنف من الانتشار في البيت ولم ينقرضوا بالامراض ولا كانوا يشكون الاَّ من خبث الرائحة . ويفسّر لنا ايضًا كيف ان السرَبية اتخذوا كسح الكنف حرفةً لهم ولم يصبهم ضرر الاَّ من قلة الهواء النقي . وكيف ان عيالاً كثيرة تسكن حول اسراب المدن الكبيرة ولا ينالها اذىً

وخلاصة ما تقدَّم ان الرائحة ليست ذرات جامدة منتشرة في الهواء وان الروائح الطيبة والخبيثة سواء في ذلك فلا يُحتَمل ان يكون في الرائحة الخبيثة جراثيم مرضية خلافًا لما هو شائع ولما يقول بهِ كثيرون من الاطبَّاء

الدكتور برناردو المحسن الكبير

توفي بالامس رجل اقلُّ ما يقال فيهِ انهُ عظيمٌ . وقد قامت عظمتهُ باحياء النفوس المائتة وانتشالها من وهدة الفقر والبأساء

والرجل المشار اليهِ هو الدكتور برناردو الانكليزي مولدًا والاسباني اصلاً . ولد سنة ١٨٤٥ ولما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعدادًا للخدمة في الصين كاحد المرسلين فرأى ذات يوم غلاماً رثَّ اللباس مستفع السحنة فرقَّ لهُ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ الغلام انهُ يتيم لا مأوى لهُ يأوي اليهِ ولا سند يعتمد عليهِ وان لهُ رفقاء كثيرين حالهم شرٌّ من حالهِ فطلب برناردو منهُ ان يريهُ اياهم فمشى امامهُ الى حيث كانت زمرة منهم نائمة . قال الدكتور يصف ذلك المنظر "فرأيت احد عشر غلاماً نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسندًا لرؤُوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلباً للدفء فمنهم من اضطجع على جنبهِ وجمع رأسهُ الى رجليهِ كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم الى رفيقهِ تخفيفاً لالم البرد كما تفعل الغنم . ولاح لي ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة والبقية بين ٩ و ١٤ فراعني انهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم وقلت في نفسي ما هؤُلاء المساكين الَّا بعضٌ من كلٍّ وشعرت كأَن يد الله مدَّت وازاحت الستار من امام عينيَّ لأَرى خلفهُ ما يقاسيهِ كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعلهُ وحدي وهو انقاذ الولد البائس الذي كان اول من رأيت من هؤُلاء المساكين ثم على السعي في انقاذ امثالهِ"

وحدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجههِ وشدَّد عزيمتهُ على السعي والعمل . وهو انهُ عُقد اجتماع للمرسلين في احد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برناردو ان يتكلم بدلاً منهُ وكان لا يزال تلميذًا في مدرسة الطب فتمنَّع عن الكلام تهيباً لانهُ لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف وقال انهُ نظرًا الى غياب بعض الخطباء طلبت من احد تلامذة الطب ان يقصَّ علينا شيئاً عن اشغالهِ المدرسية قبل سفرهِ الى الصين قريباً . فصفق السامعون فلم يسع برناردو اذ ذاك الَّا ان يمتثل فنهض وهو لا يكاد يعي مما عراهُ من الحياء وبدأ الكلام وعيناهُ مغمضتان ليستجمع شوارد الموضوع وينسى مكان وجودهِ . فجعل يتعثَّر اولاً ويتمتم حتى اذا امتلك قواهُ اخذ يتدفق في الكلام تدفق السيل ويصف هول المناظر التي رآها في ايست اند احد احياء لندن ونسي نفسهُ وسامعيهِ حتى بلغ كلامهُ اعماق القلوب

ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان

وما كاد ينزل عن المنبر حتى استقبلتهُ فتاة خادمة وقالت لهُ "قد جئت الى هذا المكان لمساعدة المرسلين وجعلت دأبي الصلاة لاجلهم منذ سنين . وانا لست الآ خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كلَّ ما استطيع لهم . ولكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على ابوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعتهُ لمساعدة المرسلين" . ثم وضعت في يدهِ صرَّة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك . ولما وصل الى منزلهِ فكَّ الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش وكانت اول الدراهم التي جاءتهُ من الجمهور والبذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ما جمعهُ مدة خدمتهِ البالغة نحو ٤٠ سنة

ونشرت الجرائد خطبتهُ واطَّلع عليها لورد شفتسبري فاثَّرت فيهِ تأثيرًا شديدًا فدعا برناردو للعشاء عندهُ . وبعد العشاء سألهُ وهو بين مصدّرق ومكذّب هل تظنُّ اننا نرى غلمانًا نائمين في العراء هذه الليلة . فأجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قولهُ وطلبوا منهُ ان يدلَّهم على المكان الذي يظنُّ الغلمان نيامًا فيهِ فقام امامهم وتبعوهُ على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأوا بعيونهم ما تحققوا بهِ صدق قولهِ . وكان ذلك بدء عمل من اعظم الاعمال الخيريَّة ومبرَّة من اشرف المبرات فجمع برناردو على اثرهِ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم ربَّى بها نحو خمسين الف يتيم ويتيمة فخرجوا من ملجإهِ شبانًا وشاباتٍ ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوهُ علمًا وعملاً

واول ملجإٍ انشأهُ كان في مكان اسمهُ ستابني بلندن وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جعل يوسعهُ بما يضيفهُ اليهِ من المباني حتى صار دارًا كبيرة سميت ملجأ برناردو وكني هو "بابي الذين لا اهل لهم" وعدد الذين يربون فيها الآن يزيد على ستة آلاف نفس وانشأ ملاجئ اخرى في غير لندن من مدن انكلترا وقراها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل شرع يفكّر في طريقة يمكّن بها الذين يخرجون من ملجإهِ من العمل خارجهُ فاهتدى اليها وهي انهُ انشأ ادارة للمهاجرة وجعل يسفّر الشبان والشابات الى كندا حيث اشترى مزارع وحقولاً تقدر مساحتها بالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار والبنات فاعطوا اعمالاً اخرى . وكان يرسل كلَّ سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجإهِ الى كندا فيجدون لهم اعمالاً ويفلحون كلهم ما عدا ٢ في المئة على وجه التعديل

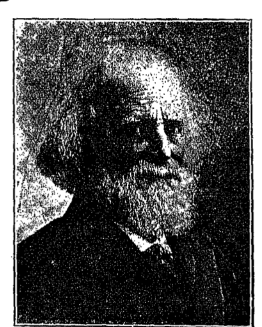
وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين

والسياسة والادب في لندن مثل اسقف لندن واسقف ستابني واللورد روبرتس والمسترستد صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان نقدم على الاكتتاب بالاموال لمساعدة ملاجئ برناردو تذكاراً لعيد ملادهِ وأرسلت اليهِ جلالة ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيدهِ تهنئهُ بها وتدعو لعملهِ بالنجاح العاجل

وفي سبتمبر الماضي اصابتهُ نوبة قلبية ذهبت بحياتهِ فكتبت الملكة رسالة تعزية الى ارملتهِ. وعرضت جثتهُ فمرَّ من امامها الوف من عارفي فضلهِ والمعجبين بهِ . واحتفل بدفنهِ احتفال قلَّ نظيرهُ فمشى في مقدمة جنازتهِ الوف من الاولاد الذين في ملاجئهِ وقد صفوا صفوفاً عديدة على حسب سنّهم ومشى خلف نعشهِ كثيرون من علية القوم ونخبة الامة الانكليزية ودفن مأسوفاً عليهِ . فيا سعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال

اليزه ركلي

اليزه ركلي زعيم من زعماء الفوضويين وعالم من علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان وهو صاحب الجغرافية العمومية الجديدة التي صدرت في تسعة عشر مجلداً كبيراً . ولد سنة ١٨٣٠ ودرس على كارل رتر الجغرافي الالماني وكان من المتطرفين في الحرية فاضطرَّ ان يخرج من فرنسا سنة ١٨٥١ واقام سبع سنوات في انكلترا واميركا حيث اتسعت معارفهُ بالاسفار ثم عاد الى فرنسا وانضمَّ الى الكومون فنفي منها بعد الحرب وعاد اليها لما صدر العفو العام سنة ١٨٧٩ وشرع في تأليف جغرافيتهِ الكبيرة وهو في المنفى. ولهُ كتب كثيرة من هذا القبيل مثل كتاب الارض في مجلدين كبيرين والظواهر الارضية وتاريخ جبل . ولهُ كتاب تركهُ من غير طبع في اربع مجلدات موضوعهُ التاريخ وتأثير الجغرافية فيهِ . وهو من نوابغ الكتاب ومن اكثرهم تدقيقاً



وقد كان كريماً جواداً تنطبق سيرتهُ على تعاليمهِ فاستعزَّ بهِ الاشتراكيون والفوضويون المعتدلون وكانت وفاتهُ في الرابع من شهر يوليو الماضي

قبل الولادة وبعد الموت

اين كانت نفوسنا قبلما وُلدنا واين تذهب بعد ما نموت أَوَليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها. هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الاَّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

الاديان المختلفة تحلُّ هذا السؤَال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدْساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبني على الحس والمشاهدة . والذين يبحثون عن ادلة علميَّة لمعرفة ما كان الانسان عليهِ قبلما وُلد وما يصير اليهِ بعد ما يموت فئتان فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم . وفئة تقول ان في الجسم الحي روحاً وهذه الروح تنفصل عنهُ احياناً فيبقى حيَّاً وتغادرهُ عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحلَّ في جسم آخر ويدَّعون انهم وجدوا ادلَّة تؤيد ذلك فكأنهم عادوا الى مذهب التقمص الذي قال بهِ القدماءُ ولا يزال الهنود يقولون بهِ الى الآن

وقد اطَّلعنا على مقالة للكولونل ده روشا نشرت في مجلَّة العلوم النفسية التي يحررها جماعة من اشهر علماء العصر مثل الدكتور داريه والاستاذ ريشه والسروليم كروكس والمسيو فلامريون والاستاذ لمبروسو والاستاذ مورسلي والدكتور اوشروتز . وفي هذه المقالة وصف فتاة نوَّمها الكولونل ده روشا على اسلوب خاصّ فتنبَّهت ذاكرتها وصارت تتذكر احوالها الماضية قبل ان ولدت ولادتها الاخيرة وقبل أن ولدت الولادة التي قبلها وهلمَّ جرَّا وتنبأت بما ستصير اليهِ بعد بضع سنوات وها نحن موردون خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن لغرابتهِ لا لاننا نعتقد صحتهُ ثم نعقب عليهِ بما يبدو لنا قال —

لا يخفى ان الانسان وهو في سكرات الموت قد تتنبَّه ذاكرتهُ فيتذكَّر امورهُ الماضية بدقة ولقد بيَّنت ان ذلك يمكن احداثهُ في بعض الناس بتنويمهم بواسطة الاشارات الطولية اي من الاعلى الى الاسفل فيصيرون يتذكرون ماضي حياتهم الى سن الصغر ثم اذا ايقظتهم بواسطة اشارات عرضية تقاطع الاشارات التي ناموا بها مرُّوا في تذكرهم من سن الصغر الى ان يبلغوا السن الذي هم فيهِ

وهذا الامر على غرابتهِ لم يدرَس حتى الآن الدرس الكافي ولكنهُ ليس الاَّ توسُّعاً في

امور محققة فلا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى ما يحدث لو واصلنا الاشارات الطولية حتى يصل المنوَّم الى سن الطفولية ثم يتجاوزهُ الى ما قبل ولادتهِ وواصلنا الاشارات العرضية حتى يصل المنوَّم الى سن الشيخوخة فالهرم فالموت وما يتلوهُ فيُعرَف بالاشارات الاولى ماضي الانسان وبالاشارات الثانية مستقبلهُ · ويقال ان بعض الباحثين في هذا الموضوع في اسبانيا وليون تمكنوا من جعل بعض الناس يتذكَّرون احوال ماضيهم ويكتشفون احوال مستقبلهم ثم كرَّروا عليهم تلك الاشارات فتذكر كل منهم نفس ما تذكرهُ اولاً واكتشف نفس ما اكتشف اولاً دلالة على ان ذلك حقيقي جارٍ على نمط واحد

ولا استطيع ان اذكر كل ما ثبت لي بالعمل فاجتزي عنهُ بذكر ما رأيتهُ في فتاة عمرها ثماني عشرة سنة لم تسمع كلمة عن المغنتزم ولا عن السبرتزم واسمها ماري مايو وهي ابنة مهندس فرنسوي قضى جانباً من عمرهِ في بلاد المشرق في انشاء سكك الحديد ومات فيها فتزوجت امرأتهُ مهندساً آخر من مهندسي سكك الحديد وبقيت الابنة في مدينة بيروت الى ان صار عمرها تسع سنوات وكانت تتعلَّم في مدرسة للراهبات وتعلمت هناك مبادئ القراءة العربيَّة ثم أُتي بها الى فرنسا وكفلتها عمتها وكانت تسكن البروفنس

وبقيتُ امتحن التنويم في هذه الفتاة شهرين جارياً في ذلك على غاية الرفق والتأني وكنت انومها ومعي الدكتور برتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وقد فوَّضتُ اليهِ كتابة ما يراهُ ويسمعهُ ولم يكن هو والدكتور برتران رأيا احداً من هذا القبيل ولذلك كتب ما رآهُ غير ميَّال لتأييد امر راسخ في ذهنهِ · وها خلاصة ما جرى

الجلسة الاولى في ٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ · حاولتُ تنويم ماري مايو بالاشارات الطولية فشعرت بشيءٍ من التخدُّر ثم ايقظتها باشارات عرضية مقاطعة للاشارات الاولى . وأعدت ذلك بعد ربع ساعة فاوصلتُها الى الدرجة الاولى من درجات النوم المغنطيسي

الجلسة الثالثة في ٥ دسمبر · نوَّمتها واوصلتها الى درجة المشي النومي (سمنمبولزم) فنامت وبقيت عيناها مفتوحتين وامتحنتُ فعل الموسيقى بها فطربت بصوت الغناء ولكنها لم تطرب بصوت البيانو

الجلسة الرابعة في ٦ دسمبر · اوصلتها في التنويم الى ان صارت ترى طيفاً منيراً خارجاً منها ولكن رؤيتها لهُ لم تكن جليَّة

الجلسة الخامسة في ٧ دسمبر . نوَّمتها وجعلتها تمر في درجات التنويم المختلفة رويداً رويداً وكنت امتحن قوة شعورها وهي في كل درجة من هذه الدرجات فوجدتُ انها وهي في درجة

المشي النومي تبقى تتذكر ما كانت تعلمهُ وهي مستيقظة ولكن حينما تصل الى درجة الاتصال (الربور) لا تعود ترى غيري ولا تسمع غيري وبقيت تتذكر اسمي واسمها . ثم لما بلغت درجة الشعور بالاتصال صارت تشعر بكل ما اشعر بهِ انا اذا لمستها ولكنها تنسى كل ما كانت تشعر بهِ في الحالة السابقة

الجلسة السادسة في ٩ دسمبر . صارت ترى طيفًا جليًّا قائمًا بجانبها وقلتُ لها ان تتصورهُ بصورة امها فتصوَّرتهُ كذلك لكن لم يظهر في ذاكرتها شيءٌ من تذكُّر الماضي

الجلسة السابعة في ١٠ دسمبر . تمَّ انفصال الطيف عنها واقام الى جانبها وقلتُ لها ان تنقلهُ من مكانهِ فنقلتهُ وقلتُ لها ان تجعلهُ يخرق سقف البيت ويخرج منهُ فلم تستطع . وكانت ترى بينها وبينهُ حبلاً من النور ممتدًّا فوق رأسها فكلما لمستهُ تألَّمت من ذلك

الجلسة التاسعة في ١٢ دسمبر . درسنا في هذه الجلسة تأثير التنويم فيها حسب الوقت وكتب المسيو لاكوست الملاحظات التالية

الساعة ١ والدقيقة ٣٠ كانت مستيقظة لم تؤثّر الاشارات فيها

الساعة ١ والدقيقة ٣٣ امسك المسيو ده روشا يديها واضعًا ابهاميهِ في راحتيها فشعرت كأنَّ سائلاً مرَّ في كل ذراع من ذراعيها ونامت بعد دقيقة من الزمان

الساعة ١ والدقيقة ٣٦ مرَّت من حالة السبات الى حالة المشي النومي وهي الحالة الثانية من حالات التنويم المغنطيسي على رأي المسيو ده روشا وكانت عيناها مفتوحتين وهي لا ترى ولا تشعر وبعد ثلاث دقائق ونصف دقيقة بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال (ربور) فكانت تأبى ان ترينا رجلها خجلاً ولكنها لا تأبى ان تدنو من المسيو ده روشا وتعتنقهُ

وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٦ بلغت الدرجة الرابعة فنسيت اسمها وبقيت تخجل من اظهار رجلها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٠ بلغت الدرجة الخامسة والقت رأسها على كتف المسيو ده روشا لتستمد قوةً منهُ ونسيت اسمها ولكنها تذكرتهُ لما فرك المسيو ده روشا مارن انفها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٦ رأت طيفًا عن يسارها فيهِ شيءٌ من الانارة

وفي الساعة ٢ والدقيقة ١ دخلت الدرجة السابعة فرأت طيفها عن يمينها وزال الطيف الذي كان عن يسارها وتذكرت انها رأت امها وهي في الدرجة السادسة ولكنها ابت ان تراها ثانية

الساعة ٢ والدقيقة ٤ . تم تكوُّن الطيف وهو المسمَّى عندهم بالجسم الاثيري وحاول المسيو ده روشا اخراجهُ من الغرفة فكان يصل الى الجدار ويقف وقال لها يوان تمدَّ اليهِ يد

الطيف اليسرى فقرصهُ اي قرص الهواء فشعرت مايو بالقرصة

الساعة ٢ والدقيقة ١١ ايقظها بالاشارات العرضية المقاطعة للاولى فاستيقظت ولم تشعر بتعب وفي يمينها علامة القرصة التي قرص بها طيفها . انتهى

قال المسيو ده روشا ونوَّمتها في الثالث عشر من دسمبر وفتشت عن نقط الاستهواء في بدنها حيث يُسمح لي بالتفتيش عنها فوجدتها في رسغيها وفوق عينيها ووراء اذنيها وفوقها وفي نحرها

ثم نوَّمتها في السادس عشر من دسمبر واوصلتها الى درجة اخراج الطيف منها فكانت ترى نصفهُ عن يمينها ونصفهُ عن يسارها ونظرتْ الى الطيف الذي عن يسارها فرأتهُ جانبيًّا وظهرهُ الينا اي انهُ مخالف لها في اتجاهها . ونوَّمتها في السابع عشر وابلغتها درجة الاتصال وكنت ادني شمعة مشتعلة من عينيها فلا تراها وادنيت من انفها قنينة مفتوحة فيها امونيا فلم يظهر انها شمَّت رائحتها ولكنني تنفست قليلاً في بخار الامونيا فشمَّت رائحتهُ حالاً . وطلبتُ منها ان تقبّلني فقبّلتني في وجهي ولمست شفتيها قليلاً فنفرت مني مغضبةً

وتماديت في تنويمها فصارت ترى طيفها واقفاً بجانبها فقلت لها ان تجعل شكلهُ مثل شكلها وهي ابنة ١٨ سنة ثم وهي ابنة ١٤ سنة ثم وهي ابنة ١٢ سنة ثم وهي ابنة ١٠ سنوات وسألتها اين كانت حينئذٍ فقالت في مرسيليا وهذا صحيح ثم وهي ابنة ٨ سنوات وقالت انها في بيروت وصارت تتكلم عن ابيها وامها والذين تعرفهم من سكان بيروت ممن كان يتردد على بيت ابيها . وكان كل ذلك صحيحاً

ثم غيرت الاشارات وجعلتها تقاطع الاشارات الاولى فعاد طيفها اليها ولم يكن ذلك بالامر السهل . ثم ايقظتها تماماً ولما استيقظت لم ارَ اختلافاً في قواها العقلية ولكنني خفت ان يظهر فيها اختلاف لانني اعدت طيفها اليها وهو في السنة الثامنة من عمرها فنوَّمتها ثانيةً واخرجت طيفها منها فوجدتهُ في السنة الثامنة من العمر فرددتهُ الى السنة الثامنة عشرة وارجعتهُ اليها وايقظتها

الجلسة الخامسة عشرة في ١٩ دسمبر . نومتها حسب العادة واوصلتها الى الدرجة الثالثة وادنى الدكتور برتران شمعة مشتعلة من عينيها فلم يظهر انها كانت تراها ولكنها اغمضت عينيها حالما التفتتْ الى الشمعة . وادنى زجاجة امونيا من انفها وقلتُ لها ان تشمها فشمتها ولم تشعر بشيءٍ ولكنني لمست يدهُ وللحال ابعدت رأسها عن الزجاجة كأنها شمَّت رائحة الامونيا حينئذٍ . ولما بلغت الدرجة الرابعة نسيتْ كل شيءٍ حتى اسمها واخذ طيفها يخرج منها . وبلغت الدرجة الخامسة فرأت الطيف عن يسارها وفيهِ نقط سوداء تقابل نقط الاستهواء في جسمها وقلت

لها ان تدل على نقطة تراها في طيفها في جبهتهِ فدلت على نقطة في جبهتها ولكنها رأت النقطة في الطيف الى الجهة اليسرى ودلت على نقطة في الجهة اليمنى من جبهتها . فوضعت مرآة امام الطيف فرأتهُ فيها واصلحت خطأها ودلت على نقطة في الجبهة اليسرى من جبهتها . وتمَّ شكل الطيف لما بلغت الدرجة السابعة وصارت تراهُ امامها مواجهاً لها ومنحرفاً الى اليمين قليلاً وفقدت حينئذٍ كل حياءٍ وحشمة ولم تعد تتذكر احداً وسألتها كم عمركِ فقالت ١٨ سنة فقلت لها ان ترجع الى سن ١٦ فرأت جسمها يتغير حتى صارت كما كانت وهي ابنة ١٦ سنة . ثم طلبتُ منها ان ترجع الى ما كانت عليهِ وهي ابنة اربع عشرة سنة فاثنتي عشرة سنة فعشر سنوات وسألتها حينئذٍ اين تسكن فقالت في مرسيليا . ثم طلبت منها ان ترجع الى سن ٨ سنوات وسألتها اين هي فقالت في بيروت وسألتُ ما معنى كلمة بون جور بالعربية فقالت سلام عليك . ثم قلت لها ان ترجع الى السنة الرابعة وسألتها اين هي فقالت في مرسيليا . ثم الى السنة الثانية وسألتها اين هي فقالت في كوجه وهذا صحيح ايضاً . ولما وصلت الى السنة الاولى لم تعد تتكلم بل كانت تكتفي بالنظر اليَّ وبقولها نعم او لا . ولما ارتدَّت الى ما وراء ذلك بقيت تشعر بوجودها ولكن ليس في حالة محدودة ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى وجود آخر . ووقفتُ عند هذا الحد واعدتها الى حالتها الطبيعيَّة رويداً رويداً الى ان صار عمرها ١٨ سنة ولم اقف عندهُ بل تماديت في الاشارات العرضية وسألتها كم صار عمركِ الآن فقالت ٢٠ سنة فقلت لها اين انتِ الآن هل انتِ في اكس فقالت كلاَّ فقلت لها هل تتذكرين مسيو لاكوست ومدام لاكوست فقالت نعم وسألتها هل تتذكرين المسيو ده روشا فتبسمت وقالت نعم . واعدتها الى حالتها الطبيعية بالاشارات الطولية

الجلسة السابعة عشرة في ٢٢ دسمبر . نوَّمتها واعدتها الى سن ١٢ وقلت لها ان تكتب اسمها فكتبتهُ marie بحروف متساوية ارتفاعاً . ثم اوصلتها الى السنة الثامنة وطلبت ان تكتب اسمها فكتبت حرفين عربيين[1] ورددتها رويداً رويداً الى ان وصلت الى زمن ولادتها والى ما وراء ذلك ودار بيني وبينها المسائل التالية

س . من انتِ الآن

ج . امرأة اسمها لينا

س . اين تسكنين

ج . لا اعلم

(١) (المقتطف) الحرفان يشبهان شد او شهد بخط قريب من الفارسي

س · هل انتِ حية او ميتة

ج · ميتة

س · كيف متِّ

فاجابت انها لم تمت بمرض بل بالماء غرقت واختنقت وورمت

س · هل كنتِ حاضرة في جنازتها

ج · كلاَّ لان جسمها لم يستخرج من الماء

س · هل تألمتِ من الانحلال في الماء

ج · كلاَّ لم اشعر بلذة ولا بالم

ثم رأيت ان اعيدها الى حالتها الحاضرة بالاشارات العرضية فارتدَّت رويداً رويداً الى ان دخلت جسم امها وهي حبلى وولدت ثانية ونمت حتى صار عمرها ١٩ سنة فسألتها اين هي الآن

ج · ليس هنا

س · اتعرفين في اي بلاد انتِ

ج · كلاَّ

واوصلتها الى سن ٢٠ سنة وسألتها اين انتِ الآن . فاشارت بيدها انها لا تعلم فقلتُ لها اين تكونين حينما يصير عمرك عشرين سنة فقالت لا اعلم ولكني اري اناساً ليسوا مثل الذين هنا

فقلت لها اني عازم ان اقدمك في السن اكثر فاكثر فاذا حدث لكِ شيء مهمٌ فاخبريني حتى اقف . صار عمركِ ٢١ سنة صار عمركِ ٢٢ سنة ألا تزالين هناك فقال لا وعادت بغتة الى سن ١٨ سنة وبقي طيفها عن يمينها فايقظتها ثم نوَّمتها وجعلتها تعود رويداً رويداً الى ما قبل ولادتها فاذا هي امرأة اسمها لينا ماتت غرقاً وصعدت في الهواء ورأت فيهِ كائنات منيرة ولكن لم يسمح لها بالتكلم معهم ولم تتألم ولا تعبت وهي في تلك الحالة ثم ارجعتها الى سنها الحالي وتقدمت بها الى ان صار عمرها ٢١ سنة فاذا هي تقطن بلاداً اهلها زنوج عراة ولم تتقدَّم عن ذلك بل عادت الى سنها الحالي

الجلسة الثامنة عشرة في ٢٣ دسمبر · نوَّمتها لاعرف ماضي حياتها بالتدقيق فعرفت منها ان المرأة لينا التي كانتها قبلما ماتت وولدت الولادة الاخيرة كانت زوجة صياد اسمهُ ايفون وكان لها ولد وحيد مات وعمرهُ سنتان وكسرت السفينة بزوجها فمات غرقاً فيئست من الحياة والقت

نفسها في البحر من رأس شاهق واكل السمك جسمها . هذا من جهة ماضيها اما مستقبلها فرأت فيهِ انها وهي في التاسعة عشرة من عمرها تسافر مع امها وتقيمان في بلاد اهاليها سود عراة ولم ترَ شيئاً وراء ذلك . وبقيت لا تنوَّم الاَّ بارادتها

الجلسة التاسعة عشرة في ٢٤ دسمبر . نوَّمتها ورددتها الى الحالة التي كانت فيها لما كان اسمها لينا ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى التيه ثم صارت رجلاً غير صالح وضربتُ يد طيفها بيدي حينئذٍ فاحمرَّت يدها الحقيقية

الجلسة العشرون في ٢٦ دسمبر . لا يزال الاحمرار في يدها حيث ضربتُ يد طيفها . وكانت ترى الطيف الذي الى يمينها احمر والطيف الذي الى يسارها ازرق اي انها كانت ترى طيفها نصفين احدهما الى يمينها وهو احمر والآخر الى يسارها وهو ازرق وكل نصف منهما جانب واحد منها ظهرهُ الينا ووجههُ الى ما وراءها كأنَّهُ صورتها في مرآة جانبية

ثم جعلتها تتدرَّج في تاريخ ماضيها فكانت ترى طيفها يصغر كلما صغرت سنًّا حتى اذا صارت طفلة في بطن امها زال الطيف تماماً وامتزج بالجو . ولما صارت لينا وماتت دخلت العتمة وحاولت ان تلتقي بزوجها وولدها فلم تلتقِ بهما . وكانت في زمن لويس الثامن عشر وقبل ذلك كانت رجلاً اسمهُ شارل موفيل ابتدأ كاتباً في احدى نظارات باريس . وكان الناس حينئذٍ يقتتلون في الاسواق وقتل هو بعضهم لانهُ كان شريراً ولما صار عمرهُ خمسين سنة مرض وترك منصبهُ ثم مات وسار طيفهُ في الجنازة وسمع الناس يقولون "لقد تمادى في الشر" وبقي في حالة غير راضية الى ان دخل جسم لينا

الجلسة الحادية والعشرون في ٢٧ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى الدرجة السابعة فنسيت اسمها واسمي وصارت ترى نصف طيفها ازرق عن يسارها والنصف الآخر احمر عن يمينها واذا رفعت يدها اليمنى رأت النصف الايسر من طيفها يرفع يدهُ والضد بالضد . واوصلتها الى الدرجة الثامنة فنم الطيف وعادت ذاكرتها اليها ولما بلغت السنة الاولى من تدرجها الى الوراء سألتها عما اذا كانت تتكلم فقالت لا فقلت لها كيف قلتِ لا وانتِ لا تتكلمين فقالت ان الذي اجابك هو انا ليس الشخص الصغير الواقف بجانبي . فقلتُ لها اذًا لستِ كلكِ في هذا الشخص الصغير. فقالت لا لان حول هذا الشخص ضباباً منيراً . فقلت لها أَوَ لا يوجد شيء آخر فقالت نعم يوجد شيء اخر وهو نفسي التي ترى الشخص الذي عمرهُ سنة والشخص الذي هو انا الآن

واعدتُها الى ما وراء ذلك وسألتها في اي وقت دخل الطيف جسمها فقالت انهُ دخلهُ قُبيل ولادتها وكان قبل ذلك حول امها ثم كان قبل ذلك في العتمة

وردها الى ان كانت لينا حينما كان عمرها ١٥ سنة وكانت مع امها وهي لا تعرف اباها ولا اسم عائلتها ووراء ذلك كانت في الظلمة وهي في حالة الألم من توبيخ الضمير وكانت قبلها رجلاً اسمهُ شارل موفيل مات من برد اصابهُ وعمرهُ خمسون سنة . وحاول ارجاعها الى ما وراء ذلك فجعلت تسعل ثم ردها الى جسم لينا وتدرَّج في عمرها الى ان حانت وفاتها فابطأ في الاشارات فانقطع نفسها وجعل جسمها يتمايل كأنها محمولة على ظهر الامواج وظهر عليها كأنها كادت تختنق فاسرع الاشارات وايقظها حالاً

الجلسة الثانية والعشرون في ٢٩ دسمبر . ووصفها منقول عن الدكتور برتران . قال ان المسيو ده روشا نوَّمها وتدرَّج الى ان بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال فلم تعد ترى غيرهُ وطلب منها ان تعود الى سن ١٦ فقالت انها عادت . ثم اوصلها الى الدرجة الرابعة ولم تعد تشعر الاَّ في الغشاء المخاطي كما في لسانها وشفتيها وفي كتفيها . ولما وصلت الى الدرجة الخامسة ظهر طيفها كغيمتين منيرتين في شكلين جانبيين احدهما ازرق وهو عن يسارها والآخر احمر وهو عن يمينها . وفي الدرجة السادسة التحم الطيفان وصارا طيفاً واحداً نصفهُ احمر ونصفهُ ازرق ووقف امامها وكانت ذاكرتها قد ضعفت فقويت بغتةً وامرها حينئذٍ ان تجعل طيفها يرتفع فارتفع ولكنها لم تستطع ان تجعلهُ يخرق السقف وكانت تشعر باقل حركة تحركها يدهُ فوق رأسها وفسر ذلك بان طيفها متصل بها بحبل اثيري ممتد فوق رأسها . ثم اعادها الى سن ١٨ واوصلها الى سن ٢٠ ودار بينهُ وبينها الحديث التالي

س . في اي بلاد انتِ

ج . لا اعلم

س . مع مَن انتِ

ج . مع زوج امي

س . وبعد ذلك

ج . مع الزنوج

ثم قال امشِ معي فاني اريد ان تصيري ابنة ٢١ سنة ثم ابنة ٢٢ سنة . فلم تتقدم عن سن ٢٠ سنة ثم قالت انها مع الزنوج في بيت بعيد عن محطة سكة الحديد . فاعادها الى سن ١٨ فسن ١٦ و١٤ و١٢ و٨ و٥ و٢ . ولما صارت في سن سنتين قالت انها لا تعرف ان تتكلم

وسأَلها عن نفسها فقالت انها مثل لسان الشمعة بين جسمها الحالي والطيف الصغير الذي صارتهُ ثم دار بينهما الحديث التالي

هو — ارجعي الى بطن امكِ ماذا اصاب الجسم الصغير الآن

هي — اختلط

هو — اين انتِ الآن

هي — لا اعلم ولا ارى شيئًا ولكنني اشعر بشيء متحرك

هو — عودي الى حالتكِ الحاضرة كيف شعرتِ لما ولدتِ

هي — تجسَّم طيفي حينما قُطع الحبل السري

هو — ارجعي الى بطن امكِ واخرجي منهُ ولا يزال حبلك السري متصلاً فهل تتنفسين

هي — كلا

هو — قُطع الحبل السري فهل تتنفسين الآن

هي — نعم

هو — عودي الآن الى العتمة

ثم قال لها يجب ان تصيري كما كنتِ وقتما غرقتِ . وللحال دارت على جانبها الايمن ووجهها بين يديها وبقيت كذلك بضع ثوانٍ . ثم دارت على جانبها الايسر وصار تنفسها صعبًا وبانت على وجهها دلائل الاضطراب والخوف وصار حلقها يتحرك كمن يبلع الماء غصبًا عنهُ ونطقت بالفاظ لم نفهمها وجعلت تتململ وبانت على وجهها علامات الالم الشديد فامرها ان تتقدَّم عن ذلك بضع ساعات ثم قال لها هل اتعبكِ النزع . فقالت نعم

واشار بعض الاشارات العرضية وقال لها اين انتِ الآن فقالت في العتمة

ولم تعد تتذكر شيئًا مما جرى لها ولا غرقها . ووالى الاشارات العرضية فتقدَّمت الى سن ٢ و ٦ و ١٠ واخيرًا بلغت سن ١٨ وهو سنها الحالي وايقظها فيهِ

الجلسة الثالثة والعشرون في ٣٠ دسمبر . مما كتبهُ الكومندور رميس رئيس الجمعية الثيوصوفية في مرسيليا

عمر الفتاة ١٨ سنة وهي متعلمة متهذبة مستكملة الصحة جسدًا وعقلاً لا تتعب من التنويم . حالما اشار اليها الكولونل ده روشا بالاشارات الطولية نامت وتنقلت في درجات التنويم . وحالما نامت فقد جسمها الشعور ولم يعد يشعر الاَّ بعد ان تجرَّد طيفها منها . والطيف يخرج منها رويدًا رويدًا في طبقات سائلة يمتزج بعضها ببعض على مقربة منها واذا قُرِص

شعر جسمها بالقرص · ولم تعد ترى احدًا غير الكولونل وكنت واقفًا امامها على نحو متر منها فلم ترَني ولكن الكولونل لمسني فوصلني بها وللحال صارت تراني اي انها صارت تشعر بواسطته وادنيت من انفها زجاجة فيها امونيا فلم تشعر برائحتها ثم ادنيت هذه الزجاجة من انف الكولونل فشعرت هي برائحتها ونفرت كأنَّ الزجاجة امام انفها وقد شعرت برائحتها

ولما كمل تجريد طيفها منها قام وحدهُ على نحو متر منها ورأتهُ عن يسارها ممزوجًا من لونين ازرق واحمر وهو متصل بها بحبل سائل في ثخانة الاصبع . ومددت يدي الى هذا الطيف فشعرتُ بهِ باردًا · ثم امرها ان تقسم الطيف الى قسمين فقسمتهُ الى قسمين احمر وازرق واقام القسم الاحمر عن يمينها والازرق عن يسارها ثم مزجت القسمين معًا واوقفتهما عن يمينها وكان الكولونل يقرص الهواء في المكان الذي ترى فيهِ الاتصال بينها وبين طيفها فتشعر بالقرص وتبعد الى الوراء . وطلبتُ منها ان ترفع الطيف فارتفع الى ان وصل الى السقف ثم طلب منها الكولونل ان تنزلهُ وتوقفهُ عن يمينها ففعلت وامرها ان تتدرَّج في ماضي حياتها فتدرَّجت رويدًا الى حين ولادتها ثم الى ما وراء ذلك . ولما بلغت السنة السادسة عشرة من العمر سأَلها هل تعرفين الكولونل ده روشا فتبسمت وقالت لا كأنها تقول لم أكن اعرفهُ حينئذٍ · وظهرت عليها دلائل الاستحياء حين صار عمرها ست سنوات فاذا لمست ركبتها وعمرها ست سنوات خجلت ومدَّت يدها لتدفع بها اليد التي لمستها واما اذا لمست ركبتها وعمرها خمس سنوات لم تفعل ذلك . ولما كان عمرها ١٢ سنة قالت انها كانت لا تزال في بيروت ولم تكن تعرف اللغة الفرنسوية بل تعرف العربية . ولما بلغت سن الولادة فارقها طيفها لكنها رأتهُ محيطًا بامها كأنهُ سحابة من مادة سائلة وكانت قبل ذلك في العتمة لا تتألم ولا ترى شيئًا حولها ولكنها تشعر ان حولها خلائق اخرى لا تعلم ماهيتها · ثم اجتازت هذه الحالة بأَلم شديد (لانها ماتت غرقًا) وظهرت في بريتني امرأَة اسمها لينا زوجة رجل صيَّاد

واجتازت عمر هذه المرأة وعادت الى الظلمة حيث كانت تتألم وكانت قبل ذلك رجلاً شريرًا اسمهُ شارل موفيل مات وعمرهُ خمسون سنة ووصلت الى حين ولادتهِ ولم تتجاوزها فسأَلها الكولونل المسائل التالية

هو — اين ولدت

هي — في باريس

هو — في اي عهد

هي — في عهد الملكية

هو — انت الآن في السنة الثلاثين من عمرك فاين انت وماذا تفعل

هي — في باريس في احد الدواوين

هو — ما هو عملك

هي — لا اعلم

هو — اكتب اسمك

فامضت اسمها شارل موڤيل

هو — من المتسلط على فرنسا الآن

هي — كثيرون

هو — انت من حزب الثورة بلا شك

فلم تجب لكنها تبسّمت

هو — لا بدّ من انك كنت راضياً بقتل الملك والملكة

هي — الملك نعم واما الملكة فلا

هو — انت الآن في الخمسين من عمرك وقد دنا الموت منك

فاصابها سعال وضيق نفس شديد كما يصيب المصدورين

هو — اكان وراء النعش كثيرون

هي — كلاّ

هو — هل قالوا انك كنت رجلاً شريرًا

هي — نعم (قالت ذلك بصوت منخفض بعد ان ترددت عن الجواب هنيهة)

ثم انتقلت الى الظلمة وتقمصت ثانية في بريتني ووُلدت ابنة وتقدّمت في السن الى ان صار عمرها ١٨ سنة فتزوجت وتمخّضت وولدت ابنًا وظهرت عليها كل آلام المخاض حتى اضطرّ الكولونل ان يجعلها تجتاز ذلك بسرعة ثم صار عمرها ٢٢ سنة فغرق زوجها ومات ابنها ويئست من الحياة فالقت نفسها في البحر ولما كان الغرق مؤلمًا لها جعلها تجتازهُ بسرعة فانتقلت الى العتمة ولم تتألم فيها كما تألمت لما كانت في الظلمة بعد موتها وهي شارل موڤيل . وتقمّصت اخيرًا في جسمها الحالي فايقظها لما بلغت السن الذي هي فيهِ

وسنأتي على تتمة هذا البحث في الجزء التالي ونشفعهُ بما يبدو لنا من التعاليل

الري في اعالي النيل

من مقالة للسر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية
نشرت في مجلة القرن التاسع عشر

قسمت هذا الموضوع قسمين ضمنتُ الاول منهما وصفاً مختصراً لمجرى النيل من منبعهِ الى مصبهِ والثاني وصف المشروعات التي يراد عملها للتحكم بهِ وضبط مياههِ من مخرجهِ الى مصبهِ في بحر الروم . ولما كان النيل بين مخرجهِ من بحيرة فكتوريا واقترانهِ بالبحر الازرق عند الخرطوم مختلف الاسماء باختلاف شعبهِ وفروعهِ المتعددة مثل نيل فكتوريا وبحر الجبل وبحر الزراف فسأُعدّي عن هذه الاسماء الى اسمهِ المشهور وهو " البحر الابيض " طلباً للبسط وهرباً من الغموض والابهام

لا يخفى ان النيل شمالي الخرطوم مؤَلف من فرعين كبيرين يقترنان على مسافة قصيرة منها وهما البحر الازرق والبحر الابيض والاول يجري من الجنوب الشرقي والثاني من الجنوب وكلاهما يستمدُّ ماءهُ من بحيرات كبيرة واقعة في صُعُدٍ ترتفع كثيراً عن سطح البحر. فالبحر الازرق منبعهُ بحيرة تسانا في صعيد الحبشة الشمالي والابيض بحيرة فكتوريا نيانزا في صُعُد اوغندا على خط الاستواء وبحيرتا ألبرت ادورد نيانزا والبرت نيانزا فيخرج من من الاخيرة ويجري الى الشمال نهراً واحداً

ويختلف البحر الازرق والبحر الابيض الواحد عن الآخر كلَّ الاختلاف ولكلٍّ منهما شأن عظيم في انتظام الفيضان السنوي بين ارتفاعهِ وهبوطهِ ولكن البحر الابيض اعظم شأناً وعليهِ يتوقف عمران البلاد التي الى واديهِ الشمالي . اما البحر الازرق فانهُ وان كان كثير الطمي الذي لاغنى عنهُ لخصب مصر فهو متقلّب في اطوارهِ فيضنُّ بالماء والحاجة اليهِ شديدة ووجه الارض يُغلى بحر الشمس صيفاً

واهمُّ اوجه الفرق بين البحرين في مجراهما ان البحر الازرق ينحدر من صُعُد الحبشة الى بلاد جبلية كثيرة الغياض والسيول ويجري في وادٍ عميق لم يستطع السياح تتبعهُ من اولهِ الى آخرهِ تتخللهُ شلالات كثيرة الانحدار ذات قاع صخري . ومتى بلغ نصف الطريق انساب في بلاد سهلية جبلية . وينضم اليهِ في اثناء جريهِ انهر عديدة من صعيد الحبشة الغربي واكثرها غدران تسيل وتطمُّ ثم تنضب

واذا كان واطئاً رأيت ماءهُ صافياً نقياً من شوائب الاكدار ينعكس عنهُ وجه السماء

كما من مرآة فيظهر لونهُ مزرقًا . ولكن في زمن الفيضان يكثر الطمي فيهِ فيخرج لونهُ مثل القهوة . وهذا الطمي هو السبب في خصب تربة مصر الذي اشتهرت بهِ من قديم الزمان . والفرق بين مقدار الماء في البحر الازرق فائضاً وبينهُ فيهِ غائرًا عظيم جدًّا لان مقدارهُ في الحالة الاولى ستون الى سبعين ضعف مقدارهِ في الثانية

اما البحر الابيض فيختلف عن الازرق من جميع الوجوه فانهُ يجري اولاً في بلاد جميلة المناظر الطبيعية . وبحيرة فكتوريا التي يستمد ماءهُ منها يصبُّ فيها عدة انهر اهمُّها نهر كاجيرا وموقع هذا النهر في بلاد قاحلة مغطاة بالمواد البركانية تتخللها سلسلة براكين صغيرة منها ما هو ثائر الى الآن . وهذه البلاد يكتنفها الضباب معظم السنة وقمم البراكين الخامدة تملأُ ارضها في كل ناحية . وكلما اقتربتَ من البحيرات انقشع الضباب وصارت المناظر الطبيعية اجمل منها في البلاد الاولى . فان في بحيرة فكتوريا جزرًا عديدة يعلو النبات شواطئها وينعكس لونهُ عن وجه الماء فيزيد المنظر رونقاً وبهاء . واما بحيرتا أَلبرت ادورد وأَلبرت فتختلفان كلَّ الاختلاف عن بحيرة فكتوريا فان حولها بلادًا قفراء والجبال تكتنفهما من كل جانب وبينهما صعيد من الارض فيهِ جبال رونزوري يغطي الثلج قممها على مدار السنة وهي جبال القمر المشهورة في التواريخ وقصص الاقدمين . وفي هذا الصعيد سهول ونجود وآكام تغطيها الاشجار والانجم كأنها روضة غناء فيها مسارح الظباء ومضارب اقوام اغرب مما فيها من انواع الحيوان

وبعد ما يخرج البحر الابيض من بحيرة أَلبرت يجري في ارض كثيرة الشلالات تكسب منظرهُ جمالاً وجلالاً او ينساب بين آكام تكسوها الاشجار ويبقى كذلك مسافة تعادل ربع طولهِ ثم يتغير تغيرًا عظيماً اذ يدخل ارض المستنقعات الكبيرة فتقلُّ سرعتهُ ويتسع مجراهُ ويقلُّ عمقهُ ويصير قاعهُ وحلاً بعد ما كان صخرًا وتكثر تعاريجهُ الى الدرجة القصوى ويتغير لون مائهِ فيصير مخضرًّا . وفي هذه المستنقعات موقع السدّ المشهور الذي عاق ماء النيل عن الجري في الزمان الماضي فأُزيل حديثاً بمساعي زمرة من الضباط الانكليز . ومساحتها الوف من الاميال المربعة يعلوها القصب والبردي في معظم نواحيها ويكثر فيها البعوض وتتخللها برك قريبة القعر يتحلب اليها ماء النهر واسم النهر هناك بحر الجبل ثم يتبخر منها بسرعة عظيمة فيفقد النهر بهذا التبخُّر وبامتصاص النباتات المائية جانباً كبيرًا من مائهِ حتى اذا خرج من المستنقعات كان مقدارهُ حينئذٍ جزءا من ٥٠ الى ٨٥ من مقدارهِ عند دخولهِ اليها . وضياع هذا القدر العظيم من الماء من اشهر مزايا البحر الابيض او بحر الجبل بنوع اخص . ومهما

يكن الماء في بحيرة ألبرت عالياً او مقدار الماء الذي ينصبُّ في بحر الجبل من الانهر الصغيرة كثيرًا فان مقدار الماء الذي يخرج من بحر الجبل بعد مروره في السدّ واحد على مدار السنة وفي كلّ الاحوال . فمنع ضياع الماء هذا هو المشكل الكبير الذي يحتاج الى الحلّ فيما يختصُّ بالنيل

هذا وان بحر الجبل او القسم المعروف منهُ بالبحر الابيض يصب فيهِ نهران كبيران عدا الانهر الصغيرة الواحد غربي واسمهُ بحر الغزال والآخر شرقي واسمهُ نهر السبَت وهما يختلفان اختلافاً عظيماً من حيث تأثيرهما في الفيضان. فبحر الغزال يجري من الصعيد الواقع بين النيل واوغنده وتصبُّ فيهِ نهيرات عديدة ويمرُّ في سلسلة مستنقعات طولها مئتا ميل قبل التقائهِ ببحر الجبل فتمتصُّ ماءهُ كما تمتصُّ الاسفنجة الماء حتى اذا بلغ بحر الجبل او اوائل الابيض لم يبقَ منهُ سوى بحيرة ماء عميقة راكدة يعلوها القصب والبردي فما لا يتبخَّر منها يتحلَّب الى البحر الابيض عند انخفاض مائهِ

واما الفرع الشرقي اي نهر السُّبَت فعليهِ يتوقف معظم الفيضان في مصر فانهُ نهر جبلي ينبع من صعيد الحبشة الجنوبي وينخفض ماؤُهُ في بعض الفصول حتى يكاد يغور ويجفُّ ولكن سيلهُ يطمو نحو ستة اشهر وينحدر بشدة فاذا بلغ ربَاهُ بلغ مقدار الماء الذي يصبُّهُ في البحر الابيض نحو ثلاثة اضعاف الماء الذي يجري اليهِ من البحيرات الاستوائية بطريق بحر الجبل . ويكون ماؤُهُ اذ ذاك كدرًا مبيضًا ومنهُ اسم البحر الابيض

وقبل البحث في المشروعات المختلفة التي ينظر فيها للتحكم بماء النيل في اعاليهِ لا بدَّ لي من كلمة في وصف البحيرات والانهر المتعددة التي يتكوَّن النيل منها متوخياً الايجاز ما امكن لاسباب منها اولاً ان التطويل غير مقصود في عجالة مثل هذه . وثانياً ان المعلومات في هذا الصدد قاصرة محدودة . وكلُّ سنة تمرُّ تزيد معرفتنا من هذا القبيل وتمكننا من فهم احوال النيل شيئاً فشيئاً . اما البحيرات فكلُّ الدلائل الحديثة تدلُّ على ان فائدتها من حيث خزن الماء اقلُّ مما كان يظنُّ قبلاً وان ارتفاع الماء وانخفاضهُ فيها كلَّ سنة يتوقفان في الاكثر على وقوع المطر فيها وتبخُّر الماء منها لا على الانهر التي تصبُّ فيها او الماء الذي يستمدهُ النيل منها

وعلى ذلك فان بحيرة تسانا مصدر البحر الازرق لا تؤَثر في مقدار الماء الذي يتدفق منهُ تأثيرًا كبيرًا على ما يظهر ولا يؤَثر ذلك المقدار في ارتفاع مائها وانخفاضهِ في فصل من فصول السنة لانهُ ليس شيئاً مذكورًا في جنب الماء الذي يجري الى البحر الازرق من

الانهر التي تصب فيهِ مثل الدبوس والدسا والرهد ودندر

هذا ولنرجع الى البحر الابيض فنقول ان مصدرهُ الحقيقي بحيرة فكتوريا نيانزا ولكن مقدار الماء الذي يخرج منها يقلُّ كثيرًا بعد مرورهِ في مستنقعات بحيرة تشوجا حتى ان ما يبلغ منهُ بحيرة ألبرت نيانزا و يصبُّ فيها يكاد يكون واحدًا على مدار السنة مهما ارتفع الماء فيها او انخفض . ولست اعني بهذا القول ان مقدار الماء الذي يجري الى بحيرة البرت في النهر الواصل بينها و بين بحيرة فكتوريا (نهر فكتوريا) واحد بل ان المقدار الذي يصل اليها من بحيرة فكتوريا فقط هو واحد تقريباً . فان المطر يهطل غزيرًا في البلاد الواقعة شمالي بحيرة تشوجا فيزيد مقدار الماء الذي يدخل بحيرة ألبرت

وعلى علو الماء في بحيرة البرت يتوقف مقدار الماء في البحر الابيض على الغالب. فان كانت بحيرة فكتوريا مصدر النيل الحقيقي فبحيرة ألبرت خزَّانهُ الحقيقي وقنطرة موازنتهِ لانها تمدُّهُ بالماء وتجدد مقدار ما تمدُّهُ بهِ منهُ . وهي تستمدُّ ماءها من بحيرة فكتوريا بواسطة نهر فكتوريا ومن بحيرة ألبرت ادورد بواسطة نهر سمليكي . وهذا النهر يستمد ماءهُ من بحيرة البرت ادورد ومن الثلج الذائب في قمم جبال رونزوري

وللمطر فصلان في صعيد اوغندا الاول من شهر مارس الى شهر يونيو والثاني من اكتوبر الى يناير . ويكون الماء في بحيرة فكتوريا على اكثرهِ في اواخر مايو وعلى اقلهِ في سبتمبر . وفي بحيرة البرت يرتفع تدريجًا مدة الصيف كلهِ ولكنهُ يبلغ اكثرهُ في نوفمبر او دسمبر واقلَّهُ في اواخر مارس . وارتفاع الماء المستمر مدة الصيف في هذه البحيرة هو الذي يؤَهلها لأَن يقام فيها خزَّان للماء في المستقبل

اما المطر في اعالي النيل فيغزر في اواخر الخريف ثم في يوليو واغسطس فيملأُ المسايل والغدران التي تصبُّ في النيل بعد خروجهِ من بحيرة فكتوريا . ومتى اخذ ماء بحيرة البرت ينخفض وغاض ماء الغدران ينخفض النيل ايضاً حتى يبلغ اقلهُ في مارس او ابريل . ثم يأْخذ ماء البحيرة يرتفع وماء النيل يزيد بما يقع من المطر الغزير في يوليو واوغسطس فتمتلئُ الغدران وتصبُّ فيهِ فيبلغ اكثرهُ في سبتمبر . ولكن تأْثير هذه الغدران اقلُّ كثيرًا من تأْثير البحيرة فيهِ كما يستدلُّ من الادلة الحديثة فاذا كان الماء في البحيرة عالياً في اواخر السنة كان ماء بحر الجبل غزيرًا في صيف السنة التالية والفيضان حسناً على الغالب . وبضدِ ذلك اذا كان ماء البحيرة منخفضاً في دسمبر فان ماء بحر الجبل في الصيف التالي يكون دون المتوسط والفيضان رديئاً مهما امتلأَت الغدران وطمت

واني اوجه الانظار بنوعٍ خاص الى هذا الامر اذ على بحيرة ألبرت يتوقف حلّ المسألة المهمة ألا وهي الحصول على قدر كافٍ من الماء كل سنة للزراعة الصيفية . ومعلوم اني اذا قلت ان الفيضان حسن او رديء فانما أُشير الى مقدار الماء الذي يصل الى المستنقعات الكبيرة

***

اذا اتضح ما تقدم فقد اصبح من السهل فهم علاقة كل نهر من الانهر التي يتكون النيل منها بالفيضان كل سنة . ففي شهري ابريل ومايو يكون ماء هذه الانهر على اقلهِ فلا يتجاوز الخرطوم منهُ الأَ ما يحلَّب من مستنقعات البحر الابيض مضافاً اليهِ قدر صغير من ماء البحر الازرق . وفي يونيو يقع المطر في بلاد الحبشة فيفيض البحر الازرق ويتعاظم في يوليو ويبلغ معظمهُ في اغسطس ثم يهبط سريعاً في سبتمبر . ويأخذ الاتبره يرتفع في يونيو ويبلغ رباهُ في اغسطس او قبل البحر الازرق بقليل ثم يهبط سريعاً في سبتمبر ويجف في اشهر الشتاء . واما البحيرات الاستوائية فيخرج منها مقدار قليل مستمر يتحلَّب من المستنقعات الكبيرة بواسطة بحر الجبل وبحر الزراف . وعليهِ فالفيضان في البحر الابيض يتوقف كلهُ على نهر السُّبت . فان هذا النهر يغزر عادةً في شهر يونيو ويأخذ يتعاظم بعد ذلك حتى يبلغ معظمهُ في سبتمبر او اكتوبر ثم يهبط سريعاً. واذا زاد مقدار الماء الذي يصبهُ في البحر الابيض توقف الماء الذي يتحلَّب اليهِ من المستنقعات عن النزول واخذ يعلو فيها حتى تبيت غامرة على مسافة طويلة ويخزن الماء فيها فلا ينصرف منها حتى يهبط نهر السبت. وماء السبت يصب في البحر الابيض من يوليو الى اكتوبر وعليهِ يتوقف ما يصل الى الخرطوم من الماء بالبحر الابيض في هذه المدة

اذاً فالماء الذي يمرُّ بالخرطوم مدة شهر يوليو ويتزايد كل يوم يجيء من البحرين الازرق والابيض وينضم اليهِ ماء الاتبره . وهذه الأنهر الثلاثة سبب الفيضان السنوي في القطر المصري . وفي شهر اغسطس يزيد تأثير النهرين الشرقيين (الازرق والاتبره) زيادة ظاهرة فيبلغ مقدار الماء الذي ينصب من البحر الازرق حينئذٍ عشرة اضعاف ما ينصبُّ من البحر الابيض ويفعل البحر الازرق بالبحر الابيض ما يفعلهُ نهر السبت بهِ ايضاً كما تقدم ولكن على قدر اعظم جداً . اي انهُ اذا بلغ فيضان البحر الازرق حداً معلوماً عند الخرطوم أوقف ماء البحر الابيض عن الجري فيأخذ ماء البحر الابيض يعلو ويتعاظم حتى يفيض عن جانبيهِ على مسافة مئات من الاميال جنوبي المقرن ويبقى الماء مخزوناً على تلك الحال حتى يقلَّ فيضان البحر الازرق عن الحدّ المشار اليهِ وذلك يكون في سبتمبر غالباً فيأخذ ماء البحر الابيض يجري شمالاً . وكلما قلَّ الماء في البحر الازرق حلَّ ماء البحر الابيض محلهُ وبقي يجري شمالاً

بمقادير متزايدة حتى اواخر السنة . وكذلك اذا قلّ الماء في نهر السبت فان الماء المخزون في البحر الابيض فوق ملتقى النهرين ينصرف شمالاً ويضاف الى الماء المخزون فيهِ فوق المقرن . وفي شهر نوفمبر يقلُّ الماء في نهر السبت جدًّا فيعود البحر الابيض يستمدُّ معظم مائهِ من البحيرات الاستوائية . والماء المخزون في الخزانين المشار اليهما كثير جدًّا الى حدّ ان الماء الذي يمرُّ بالخرطوم شمالاً في اشهر الشتاء الاولى اعظم مقداراً من الماء الذي يجلب من البحيرات الى البحر الابيض مارًّا في المستنقعات الكبيرة

***

ولننتقل الآن الى الكلام على ما تحتاج مصر والسودان اليهِ من الماء فأقول : —

لا يخفى ان في القطر المصري نظامين للريّ وهما ري الحياض والري الصيفي فالاول قديم من عهد الفراعنة وطريقتهُ ان يطلق ماء الفيضان على الاطيان ثم يصرف عنها وتزرع . وطريقة الثاني ان تروى الاطيان على مدار السنة عند الحاجة الى ريها بواسطة ترع يجري الماء فيها بالقسط فيتسنَّى بهذه الطريقة زرع القطن وقصب السكَّر . والاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا يزيد ثمنها زيادة عظيمة على ثمن الارض التي تروى ري الحياض فقط . فبناء على ذلك وجهت مصلحة الريّ المصريَّة جلَّ همها واهتمامها الى تدبير الطرق اللازمة لزيادة المياه في زمن التحاريق اي في الاشهر التي قبل اشهر الفيضان لكي تزيد مساحة الاطيان التي تزرع صيفاً

اما من جهة ما يحتاج اليهِ القطر المصري من الماء فاقول انهُ يؤْخذ من احدث التقديرات ان مجموع مساحة الاطيان التي يمكن زرعها في القطر المصري ثمانية ملايين فدان منها نحو مليون فدان من الاطيان البور . ونصف مليون فدان لا تصلح للزراعة . ونصف مليون اخرى على حدود الصحراء جنوبي القاهرة لا يمكن ارواؤُها الاَّ ري الحياض . فتهبط مساحة الاطيان الزراعية بذلك الى سبعة ملايين فدان منها اربعة ملايين تزرع الآن زراعة صيفيَّة وفي آخر سنة ١٩٠٨ تصير مساحتها اربعة ملايين ونصف مليون اي يبقى مليونان ونصف تحتاج الى زيادة الماء لاجل الري الصيفي . وقد ابان الاختبار ان الف مليون متر مكعب من الماء المخزون يكفي لارواء نصف مليون فدان صيفاً وعليهِ فالمليونان ونصف تحتاج الى خمسة آلاف مليون متر مكعب من الماء

ومسألتنا الآن كيف يمكن الحصول على هذا القدر من الماء . فانهُ اذا أُعلي خزان اصوان خزن من الماء ما يكفي نصف مليون فدان اخرى فتبقى ثمة حاجة الى اربعة آلاف مليون من الامتار المكعبة . ولسدّ هذه الحاجة اقترح البعض جعل وادي الريّان خزاناً . ولا يستبعد ان

يستخدم ذلك الوادي لهذا الغرض في المستقبل ولكن يستصوب الآن نظرًا الى موقعهِ ان يترك حتى تضطر الحال الى استحياء البحيرات التي تتاخم الدلتا شمالاً وزرعها في مستقبل الزمان والمرجح ان تبنى خزانات تسع الاربعة آلاف مليون المشار اليها في وادي النيل بين الشلال الثاني والسادس . ولا يمكن الجزم بهذا الامر قبلما يتمّ مسح الشلالات . على انهُ لو امكن بناء تلك الخزانات ما امكن ان تملأ ماء ما لم يزد الماء الذي يجري في النيل شتاء من الجنوب زيادة عظيمة . والمسأولون عن الري في مصر يعلمون علم اليقين انهُ اذا أُعلي الخزان كما هو في النية أمكن ان يخزن فيهِ الف مليون آخر فقط من الماء في الاحوال الحاضرة وفي سنة فيضانها قليل . واذا تمّ ذلك لحق بالملاحة بين مصر واصوان ضرر عظيم مدة الشتاء . فلا غنى اذًا لوجود الماء المطلوب عن اكتشاف طريقة لزيادة الماء في اعالي النيل مدة الشتاء والربيع واوائل الصيف

سيأتي البقية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ولما حضرت النبي الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا متّ " إنَّا للهِ وإنَّا اليهِ راجعون فان لكل انسان مصيبةً معوَّضة " — قالت ومنك يا رسول الله . قال " ومني " ويروى انهُ لما تراكدت[1] عليهِ كُرَب الموت وفاطمة بين يديهِ رفع رأسهُ وقال " واكرباه " فبكت فاطمة وقالت — واكرباه لكربك يا أبتاه — قال : " لا كرب على ابيك بعد اليوم " وتوفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)

وروي أن أبا بكر حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث بهِ مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأاه على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد ابي بكر فان تقرُّوا بهِ نقرأهُ وان تنكروه نرجعهُ فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد ابي بكر بن ابي قحافة عند آخر عهدهِ بالدنيا خارجًا منها واوّل عهدهِ بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب اني امرتُ عليكم عمر بن الخطّاب فان عدل واتّقى فذاك ظني بهِ ورجائي فيهِ وان بدّل وغيّر فالخيرَ اردتُ ولا يعلم الغيب الاّ الله اه " توفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)

---

(١) لعلها بمعنى تتابعت او سكنت

ولما احتُضر عمر بن الخطاب قال لولدهِ عبدالله " ضع خدّي على الأَرض علّ ربي ان يتعطَّف عليّ ويرحمني " ثم لفظ أَنفاسهُ بعد قليل سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م)

ولما عاين عثمان بن عفان القتل وايقن بهِ كتب الى عليّ بن ابي طالب " اما بعد يا أَبا الحسن فقد بلغ السيل الزُّبى[1] وجاوز الحزام الطبيين[2] فاذا أَتاك كتابي فأَقبل اليّ عليّ كنت ام لي ثم تمثل ببيت العدوي وهو :

فان كنتُ مأْكولاً فكن خيرآكلٍ   وإلاَّ فادركني ولمَّا أُمزَّقِ

توفي سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م

ولما احتُضر سلمان الفارسيّ تحسَّر عند موتهِ فقيل لهُ علامَ تأَسُّفك يا أَبا عبدالله قال ليس تأَسفي على الدنيا ولكنّ رسول الله عهد الينا وقال ليكن بُلغة أَحدكم كزاد الراكب وأَخاف أَن نكون جاوزنا أَمرَهُ وحولي هذه الاشياء وأَشار الى ما يليهِ واذا هو سيف ودست وجفنة ثم اسلم الروح سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م)

وروي ان الامام علي بن ابي طالب بعد ما ضربهُ ابن ملجم شهق شهقةً بعد ان أُغمي عليهِ ثم افاق ودعا ولديهِ الحسن والحسين وقال : " أُوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأْسفا على شيءٍ فاتكما منها فانكما عنها راحلان . افعلا الخير وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً " — ثم دعا محمداً ولدهُ وقال لهُ : " اما سمعتَ ما اوصيتُ بهِ اخويك " — قال : بلى — قال " فاني أُوصيك بهِ وعليك ببرّ[3] اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امراً دونهما " — ثم اقبل عليهما وقال : " أُوصيكما بهِ خيراً فانهُ اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان انّ اباهُ كان يحبهُ فاحباهُ " — ثم قال : " يا بنيّ أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد[4] في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدوّ والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدّة والرخاء

يا بنيّ ما شرٌّ بعدهُ الجنة بشرّ ولا خيرٌ بعدهُ النار بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاءٍ دون النار عافية . يا بنيّ من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ . ومن رضي بما قسم الله لهُ لم يحزن على ما فاتهُ . ومن سلّ سيف البغي قتل بهِ ومن حفر لاخيهِ بئراً أُوقع فيها ومن هتك حجاب اخيهِ هُتكت عورات بنيهِ . ومَن نسي خطيئتهُ استعظم خطيئة غيرهِ وَمَن

(١) جمع الزبية وهي الرابية لا يعلوها ماءٌ ويروى الربي (٢) مثنى الطبي وهي حلمات الضرع والعبارتان مثلٌ بمعنى اشتداد الامر وتفاقمهِ (٣) بمعنى اكرام من برّ والديهِ اذا اكرمها وضدّهُ عقّها

(٤) بمعنى الاقتصاد والتوفير ولا تخفى بلاغة هذه الفقرات فانها من جوامع الكلم

أُعجب برأيهِ ضلّ . ومَن استغنى بعقلهِ زلّ . ومن تكبر على الناس ذلّ . ومن خالط الانذال احتُقر . ومن دخل مداخل السوء اتُّهم . ومن جالس العلماء وقر . ومن مزح استُخفّ بهِ . ومن اكثر من شيء عُرف بهِ . ومن كثر كلامهُ كثر خطؤهُ . ومن كثر خطؤهُ قلّ حياؤهُ . ومن قلّ حياؤهُ قلّ ورعهُ . ومن قلّ ورعهُ ماتَ قلبهُ . ومن مات قلبهُ دخل النار

يا بنيّ الادب ميزان الرجل . وحسن الخُلق خير قرين . يا بنيّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت إلاّ ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء . يا بني زينة الفقر الصبر . وزينة الغنى الشكر . يا بنيّ لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى . ولا شفيع انجح من التوبة . ولا لباس اجمل من العافية . يا بنيّ الحرص مفتاح التعب ومطيّة النَّصَب[1] توفي سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م

ودنا اجل الحسن بن علي وهو يكثر الاسترجاع[2] فقال لهُ ابنهُ " امثلك يسترجع على الدنيا " — قال : " يا بني ما استرجع الاّ على نفسي التي لم أُصب بمثلها قط " توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لهُ ابنهُ : " يا ابتاهُ انك كنتَ تقول لنا " ليتني كنتُ التقي رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت بهِ حتى يصف لي ما يجد " وانت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال : " يا بنيّ والله كأنّ السماء قد أُطبقت على الارض وكأنّ جنبيّ في تخت وكأني اتنفّس من سمّ[3] إبرة وكأنّ غصن الشوك يجذَب من قدمي الى هامتي " ثم انشأ يقول :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ويروى انهُ دعا بغلّ وقيد وقال أَلبسوني اياها فاني سمعت رسول الله يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر[4] ابن آدم بنفسهِ ثم استقبل القبلة وقال : " اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ[5] بك فان تعفُ فانت اهل العفو وان تعاقب فبما قدّمت يداي لا إله الاّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين " ثم مات وهو مغلول مقيد . فبلغ ذلك الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعهُ

ويروى انهُ جمع بنيهِ فقال " يا بنيّ ما تغنون عني من امر الله شيئاً " — قالوا : " يا أَبتي

---

(١) بمعنى التعب (٢) استرجع قال انا لله وانا اليهِ راجعون (٣) ثقب (٤) يغرغر يجود بنفسهِ عند الموت (٥) الملتجئ

انهُ الموت ولو كان غيرهُ لوقيناك بانفسنا " — فقال : اسندوني فاسندوهُ — ثم قال : " اللهمَّ انك امرتني فلم آتمر وزجرتني فلم ازدجر اللهمَّ لاقويٌّ فانتصر ولا بريٌّ فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر استغفرك واتوب اليك لا اله الاَّ انت سبحانك اني كنتُ من الظالمين" فلم يزل يكرّرها حتى مات

ولما احتضر ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الأزدي الحافظ الكبير بكى فسئل عن ذلك فقال " ابكي على بعد سفري وقلة زادي واني اصبحتُ على مهبط جنةٍ او نار لا ادري ايهما يأخذ بي " ثم قضى نحبهُ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

ولما حانت وفاة سعيد بن العاص القرشيّ الصحابيّ قال لبنيهِ : " ايكم يقبل وصيتي — قال الاكبر أنا — قال انَّ فيها وفاء ديني — قال وما هو . قال : ثمانون الف دينار . قال وفيمَ اخذتها . قال " في كريم سددتُ خلّتهُ(١) وفي رجل جاءني ودمهُ يتروّى(٢) في وجههِ من الحياء فبدأتهُ بحاجتهِ قبل سؤالهِ " ثم استأثرت بهِ رحمة ربهِ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل لهُ في مرضهِ ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما بهِ الى الطبيب فقال : " اما الأنين فهو جزع(٣) وعار . والله لا يسمع مني انيناً فأكون عندهُ جزوعاً . واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء الله امسكها وان شاء قبضها " وعُوجل الى رحمة ربهِ

ولما أُصيب الربيع بن خيثم الزاهد بالفالج قيل لهُ : لِمَ تتداوى فقال : قد علمت ان في الدواء شفاء ولكن عن قريبٍ لا يبقى المداوي ولا المداوَى ثم توفي سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م

وقال الطرمّاح بن حكيم يرثي نفسهُ (توفي سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م)

فيا ربِّ لا تجعل وفاتيَ إنْ أتت على شرجعٍ(٤) يُعلى بدكنٍ(٥) المطارفِ(٦)
ولكنْ أجِزْ يومي شهيدًا وعصبةً يصابون في فجٍّ من الارض خائفِ
اذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الاذى وصاروا الى موعود ما في الصحائفِ
فأُقتَل قصعاً(٧) ثمَّ يُرمى باعظمي مفرَّقةً اوصالها في التنائف(٨)
ويصبح لحمي بين طيرٍ معُيلةٍ(٩) دوين السماء في نسورٍ عواجفِ(١٠)

(١) فقرهُ وحاجتهُ (٢) لعلها يتراءى (٣) الجزع ضدّ الصبر (٤) نعش (٥) جمع ادكن وهو المائل الى السواد (٦) الاثواب المعلمة ويريد الاكفان والاغشية السود (٧) من قصع الجرح بالدم شرق بهِ وامتلأَ اي قتلاً ولعلهُ يريد القتل السريع (٨) الفلوات جمع تنوفة (٩) مكتنفة بهِ او حريصة عليهِ ومفتقرة اليهِ او ذات فراخ كثيرة (١٠) مهزولة

ولما احتضر معاوية بن ابي سفيان قال

أَلا ليتني لم أُعنَ (١) في الملك ساعةً ولم أكُ في اللذات أعشى النواظرِ
وكنتُ كذي طِمرَين (٢) عاش بِبُلغةٍ (٣) ليالِيَ حتى زار ضنك المقابرِ

ويُروى انهُ قال

ان تعذِّبْ يكن عذابك يا ربِّ غراماً لا طاقة بالعذابِ
او تجاوز فانت ربٌّ عفوٌّ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقيل وفد الناس يعددونهُ فقال لاهلهِ " مهّدوا لي فراشاً واسندوني واوسعوا رأسي دهاناً ثم اكحلوا عينيَّ بالاثمد (٤) ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلّموا عليَّ قياماً ولا تجلسوا عندي احداً " ففعلوا ذلك . ولما دنا منهُ الموت تمثل بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت ادهى وافظعُ

ثم رفع يديهِ وقال : " اللهمَّ اقل (٥) العثرة واعفُ عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرجُ غيرك ولا يثق الاَّ بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئةً منك مهرب " ثم اسلم الروح . توفي سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

ولما دنت ساعة معاوية بن يزيد قيل لهُ " لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفةً " قال " لم انتفع بها حيًّا فلا اقلدها ميتاً لا يذهب بنو امية بحلاوتها واتجرَّع (٦) مرارتها ولكن اذا متُّ فليصلِّ عليَّ الوليد بن عقبة . وليصلِّ بالناس الضحَّاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم " وتوفي سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

ودخل ابو سهل الساعديّ على جميل بُثَينة وبوجههِ آثار الموت فقال لهُ " يا ابا سهل ان رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً ولم يشرب خمرًا ولم يأتِ فاحشة أَفترجو لهُ الجنة " — قال الساعدي " اي والله فمن هو " — قال جميل " اني لأَرجو ان اكون ذلك " — فذكر الساعدي لهُ بُثَينة . فقال جميل : " اني لفي آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد ان كنتُ حدَّثتُ نفسي بريبةٍ قطُّ "

ولما شعر جميل بقرب الساعة دعا صديقاً لهُ وعاهدهُ على ان يتم وصاتهُ وهي : " اذا انا

(١) اتعب واشقى (٢) الثوب البالي (٣) الكفاف من العيش او ما يسدّ به الرمق (٤) الكحل
(٥) اقال عثرتهُ انهضهُ من سقطتهِ (٦) اشرب وأُسقى

متُّ فخذ حلَّتي هذه التي في عيبتي[1] فاعزلها جانباً ثم كلَّ شيءٍ سواها لك وارحل الى رهط بني الأَحبّ من عذرة وهم رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرف[2] وصح بهذه الابيات وخلاك ذمٌّ[3]

صدع[4] النعيُّ وما كنى بجميلِ ... وثوى[5] بمصر ثواءَ غير قفولِ[6]

ولقد اجرُّ الذيل في وادي القرى[7] ... نشوان[8] بين مزارعٍ ونخيلِ

قومي بثينةُ فاندبي بعويلِ ... وابكِ خليلكِ دون كلِّ خليلِ

وتوفي سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م وفعل صديقهُ حسب وصيتهِ

ولما احسَّ المهلَّب بن ابي صفرة الأَزديّ البصريّ بساعة رحيلهِ عن الدنيا دعا بسهام فحزمت . ثم قال لبنيهِ : اترونكم كاسريها مجتمعة . قالوا : لا . قال : أَفترونكم كاسريها مفرَّقةً . قالوا : نعم . قال : " هكذا الجماعة " وتوفي سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ولما شعر عبد الملك بن مروان بالموت قال لابنهِ الوليد : " اذا انا متُّ اياك ان تجلس وتعصر عينيك[9] كالمرأَة الوكعاء[10] . لكن ائتزر وشمّر والبس جلد النمر[11] وضعني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك شأنك وادعُ الناس الى بيعتك . فمن قال برأسهِ هكذا[12] فقل لهُ بسيفك هكذا[13] " — ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية . فقال : " هل عندكما ندامة في بيعة الوليد " — فقالوا : " لا نعرف احداً احقّ منهُ بالخلافة . فقال " اما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيهِ اعينكما[14] " ثم رفع كنار[15] فراشهِ فاذا تحتهُ سيف مسلول تحت يمينهِ — كل هذا وروحهُ تتردَّد في حنجرتهِ وهو يقول : " الحمد لله الذي لا يبالي اصغيراً اخذ ام كبيراً . لا اله الاَّ الله محمد رسول الله . ثم بعد ساعة نفدت روحهُ سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م

وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلَّم بها عند الموت وهي " اللهمَّ ان ذنوبي وان كثرت وجلَّت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعفُ عني " اه

ويروى ايضاً انهُ في احتضارهِ في قصرهِ الذي كان يُشرف على بردى نظر فرأَى غسَّالاً

---

(١) وعاء الثياب (٢) محلّ مرتفع (٣) دعاء بمعنى لا اتيت ما يستحق الذمّ (٤) كشف و بين
(٥) حلّ ونزل (٦) راجع (٧) اسم محلّ (٨) سكران وهائم (٩) كناية عن البكاء
(١٠) الحمقاء الوجعاء (١١) كناية عن التصبر والجلد (١٢) اي اشار برأسه اشارة النفي
(١٣) كناية عن تجريد السيف والضرب به (١٤) كناية عن الراس (١٥) حاشية الثوب فارسيّ يريد به الغطاء

يغسل الثياب فقال ليتني كنت مثل هذا الغسّال اكتسب ما اعيش بهِ يوماً بيوم ولم ألِ [1] الخلافة وتمثل بقول امية

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ولما بلغ قولهُ ابا حازم قال " الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيهِ ولم يجعلنا في احتضارنا نتمنى ما هم فيهِ "

ويروى ان ابن القرّية خطيب العرب المشهور لما دعا الحجاج بن يوسف الثقفي بالسيّاف لقطع رأسهِ استوقفهُ وقال " كلمات اصلح الله الامير كأنهنَّ ركب وقوف يكنَّ مثلاً بعدي " قال هات : قال " لكل جواد [2] كبوة [3] ولكل صارم [4] نبوة [5] ولكل حكيم هفوة [6] " قال الحجاج ليس هذا وقت المزاح ياغلام اوجب جرحهُ فضرب عنقهُ سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

ولما اشرف الاخطل الشاعر المشهور على الموت قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي . قال بلى . ثم انشد يوصي الفرزدق وكان صديقهُ

أُوصّي الفرزدق عند المماتِ بأُمّ جزيرٍ وأغيارها [7]

وزار القبور ابو مالكٍ برغم العداة واوتارها [8]

وتوفي سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م

ولما احتضر ابرهيم النخعي الكوفي جزع جزعاً شديداً فقيل لهُ في ذلك فقال " واي خطر اعظم مما انا فيهِ انما اتوقع [9] رسولاً يرد عليَّ من ربي اما بالجنة واما بالنار والله لوددت انها تلجلج [10] في حلقي الى يوم القيامة " وتوفي سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موتهِ : " اللهمَّ اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي " وتوفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) وكان عمر بن عبد العزيز تُعجبهُ هذه الكلمة منهُ ويغبطهُ عليها ولما حكى ذلك للحسن البصري قال اوَ قالها فقيل نعم فقال عسى

وانشد ابن سريج المغني المشهور لما حضرتهُ الوفاة في خلافة سليمان بن عبد الملك

كأني من تذكُّر ما ألاقي اذا ما اظلم الليلُ البهيم [11]

سقيمٌ ملَّ منهُ اقربوهُ واسلمهُ المداويـ والحميم [12]

ستأتي البقية

---

(١) اتقلد واتولى (٢) حصان كريم (٣) عثرة وسقطة (٤) سيف قاطع (٥) نبا السيف عن الضريبة كلَّ عنها وارتدَّ ولم يقطع (٦) سقطة وغلطة (٧) بمعنى ضرَّاتها (٨) جمع وتر وهو بمعنى الثار (٩) انتظر (١٠) اي تتلجلج اي تتردَّد (١١) المظلم (١٢) الصديق

الشيخ محمد عبده

اشتغاله في مجلس الشورى

وقال سعادة حسن باشا عبد الرازق واصفاً اشتغال الفقيد في مجلس الشورى

ما كان فقيدنا رحمة الله عليه من الرجال الذين ينبغون في كل جيل او ينشأون من كل قبيل ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحاداً وتنجلي بهم العصور في احقاب متفرقة فينشأون وقد عدّهم الله لجلائل الاعمال وعظائم الامور ومنحهم فطرةً تعلو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأي ورجاحة العقل وبعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت امثال هؤلاء في ارض صالحة ووجدوا في امم مستعدة للرقي طامحةٍ الى ادراك المعالي عرفت اقدارهم ووزنت اعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها في سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك لا سيما اذا طال بهم الاجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم واهلها منهم خير نصيب . هؤلاء الرجال العاملون لخير اممهم يجدون من قومهم في البلاد الحية ما يزيدهم اقداماً وثباتاً ويملأ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون ما يعيشون مؤيدةً كلمتهم مكرمةً رتبتهم محفوظاً لهم الجميل وبذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولاً واقبالاً زادوا رغبةً في العمل ولا تجد انشط للعامل من ان يرى لعمله عند امته قبولاً

اما اذا قضى الله لأولئك النابغين ان يكونوا بين أمم فسدت اخلاقها وتمزقت روابطها وبعد ما بينها وبين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حرباً عواناً كلما ارادوا بهم اصلاحاً لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدةٍ رسخت في نفوسهم واطمأنت لها قلوبهم ويعملون لتحويل وجوههم الى الرشاد بعد ان انصرفت الى الغي وأنست به وما اصعب نقل الطباع في الامم من الفساد الى الصلاح وما اشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد في تلك الامم الميتة بعض افرادٍ يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون على اولئك المصلحين بوجوههم ويصغون لندائهم فان مد الله لهم في حبل الحياة اثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم في اعمالهم اما اذا اسرع اليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئاً

ولا يخفى عليكم ايها السادة حال امتنا المصرية وما لاقي الاستاذ الفقيد رحمهُ الله منها ابتداء من مناصبتها لهُ ووضعها العقبات في سبيله

(وافاض الخطيب في وصف هذه العقبات وتغلب الفقيد عليها وساق الحديث الى آثارهِ في مجلس الشورى فقال)

ولكنني ارى من الواجب عليَّ ايها السادة ان اذكر لكم مجملاً من مآثرهِ الغراء واعمالهِ الجليلة في مجلس شورى القوانين لانني رافقتهُ فيهِ في اغلب اوقاتهِ وشاركتهُ في معظم اعمالهِ وعرفت من حسن نيتهِ وصدق عزيمتهِ ما لا يعرفهُ كثير من الناس

اختارت الحكومة الاستاذ رحمة الله عليهِ عضواً في المجلس وتعين بامر عالٍ في ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ واول جلسة حضرها كانت في يوم الخميس ٢٩ منهُ وكان اذ ذاك بين اهل الحلّ والعقد في الحكومة وبين رجال الشورى شيءٌ اشبهُ بالخلاف في الرأي ادَّى الى ان الحكومة نفَّذت كثيراً من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة في عدم العمل بها وصرفت النظر ايضاً عن كل او جل التعديل في المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة في تعديلها فلما جاء الاستاذ الى المجلس ونظر في الامر نظرة الحكيم البصير وعرف ان ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمهُ الله في ان يزيل اسباب هذا الخلاف فكان ما اراد وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيهِ السعادة للامة ويبتغي الخير لها وان ليس لهُ غرض في مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصدهِ وعلم المجلس ايضاً ان الحكومة لا تقصد الى شيء وراء ما يقصدهُ لمصلحة البلاد وبذلك اتفقت الكلمة في الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حلهُ

كان الاستاذ رحمة الله عليهِ واسطة العقد في مجلس الشورى فالتفَّت حولهُ القلوب وعرف الكل مكانتهُ من قوة الحجة وسداد الرأي وطهارة النية وكان اخوانهُ من رجال الشورى يلجأون اليهِ اذا اشتبه الامر وخفي الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا اسرع الناس قبولاً الى الحق واوسعهم لهُ صدراً فاذا سقت اليهِ الحق هشت لهُ نفسهُ وقرَّت بهِ عينهُ ولم يصرفهُ عنهُ تمسك بالرأي ولا تعصب لمشرب

وكثيراً ما كنا نباحثهُ في امرٍ اختلف النظر فيهِ بيننا وبينهُ فيرجع الينا ويوافق رأيهُ رأينا ولم نرَ مثلهُ في احترام الآراء ما دام مصدرها شريفاً لم يشبهُ الغرض

ولقد كنا نختلف معهُ في رأي ويجاهر كل منا برأيهِ ويدعو اليهِ اعتقاداً منهُ انهُ الحق ولا نزال بعد ذلك اخلص الناس سرًّا واصفاهم ودًّا

وكان رحمهُ الله واسع الاطلاع نير البصيرة في كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرًا بصيرًا واذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن اقلَّ من اهلها علمًا بدقائقها واسرارها واحاطةً بمنافعها ومضارها واذا جاءت المسائل المالية رأيتهُ ماهرًا باساليب الحساب عارفًا بفنون الاقتصاد فكنا نجد منهُ في سائر الابواب علمًا جمًّا ومعرفة وفهمًا ورأيًا صائبًا وذهنًا ثاقبًا ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواهُ عن العمل وحال بينهُ وبين مرادهِ الاجل. قضى هذا الفقيد الكريم مدتهُ بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموتهِ رجلاً لا تعوضهُ الرجال وانثلم بفقدهِ بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود

اخلاقهُ وفضائلهُ

وقال حضرة القاضي الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف

اذا أُصيبت امة من الامم الغربية بفقد رجل من رجال العلم او الادب او السياسة كانت تعتمد عليهِ في اصلاح شأن من شؤونها قال قومهُ "ليس في الوجود انسان لا يعوَّض" ووجدوا في الحال بين اهل طائفتهِ او صناعتهِ من يسدُّ الفراغ الذي تركهُ ويأْخذ مكانهُ

اما الحال عندنا فليس كذلك . مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يعوض علينا ما خسرناهُ بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده لا اقول ذلك محاباة لصديق كانت محبتهُ من اسباب الشرف والسعادة لي ولا موافقة للعادة المتبعة في رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم احد بشيء منها مدة وجودهم بين الاحياء

وانما هذا هو الحق الذي يجب اعلانهُ اعترافًا بالفضل لمصري وصل الى اسمى مقام يمكن ان ينالهُ انسان في هذه الحياة . مقام لم يستمد وجودهُ من منصب عالٍ في الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة الى بيت قديم ولا من شيءٍ آخر من القاب الشرف المعروفة التي اخترعت لتحلَّ محل شرف النفس . مقام اهتدى اليهِ بشعورهِ واكتسبهُ بجدهِ وعملهِ وحافظ عليهِ بقوة ارادتهِ وحسن سياستهِ وخدم فيهِ بعلمهِ وعقلهِ . مقام مكنهُ من ان يمسك بيدهِ زمام امة باسرها ويحركها نحو الخطة التي رسمها ويسوقها الى المستقبل الذي هيأَهُ لها . مقام الامامة باوسع معناها . تركهُ الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجرأُ على ان يدعي فيهِ استحقاقًا بعدهُ

لهذا رأينا مدة مرض الامام ويوم وفاتهِ حركةً في شعور الامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر الى الاسكندرية حيث كان المئات من اصدقائهِ ومعارفهِ وزملائهِ وتلاميذهِ يودعونهُ في المحطة وجميعهم في سكون وقلق وخوف على حياتهِ . وتتذكرون اقامتهُ في الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليهِ افواجاً في كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الامل واليأس يسألون عن صحتهِ ويرسلون اخبارهُ الى محبيهِ الكثيرين الذين كانت تمنعهم اشغالهم عن زيارتهِ وتعلمون الاحتفال الجليل الذي قام بهِ سكان الثغر والعاصمة بعد موتهِ

رأينا كثيرًا من العلماء والذوات والامراء مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للظاهرات الرسمية ولم نشاهد ان عددًا يذكر من الامة غير اقاربهم واصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث واظهر شيئًا من شعورهِ

ذلك لان اولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لانفسهم ولكن امتنا قد شعرت في هذه الدفعة بحسن غريزتها انها فقدت رجلاً كان عائشاً لها اكثر من كونهِ كان عائشاً لنفسهِ ولعائلتهِ . هذا هو سر الشعور الجديد الذي رأيناهُ لاول مرة في الامة المصرية شعور الاتحاد في الكدر والحزن لحرمانهم من امامهم المحبوب

فكان هذا الحادث العظيم مبدأً الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة المصرية جمعهم احساس واحد . وهذه خطوة في سبيل التقدم الادبي الذي هو في نهاية الامر عبارة عن ترقي الاحساس الى درجة يميل معها الى الجميل وينفر من القبيح في جميع اشكالها ومظاهرها

سادتي ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال اكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نموًّا عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على احسن شكل زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالاً في الجمال يجب ان نضعهُ دائماً امامنا لنتعلم منهُ مقدار ما يصل الجهد في العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للازهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة

المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليهِ ويراسل علماء المسلمين في جميع الاقطار التي يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصدهِ . وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور اصحابهُ ويشاركهم في جميع افراحهم واحزانهم

ونتعلم منها ايضاً مبلغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسهُ وهذبها ورباها حتى ارسلها الى اقصى ما تصل اليهِ نفس بشرية من الجمال اوالكمال

بلغت فيهِ طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة . كان يجذبهُ الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليهِ ويسعى الى كل نفع للغير عام او خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين باي مصيبة واهل الازهر الذين هم اكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن انفسهم في ميدان حياتنا الجديدة . يبذل اليهم مالهُ ويسعى لهم عند ولاة الامور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لاعز انسان لديهِ يسعى مرة ومرتين وثلاثاً الى ان يقضي حاجتهم وهم جميعهم في نظرهِ مستحقون سواء كانوا كذلك في الحقيقة ام لا . بل كان يسعى الى صاحب الحاجة وهو يعلم انهُ اساء اليهِ وقدح فيهِ وتحالف مع خصومهِ واشترك في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنهُ يوماً مدة حياتهِ

لا يصل انسان الى هذا الخلق العظيم الاَّ اذا ربى نفسهُ على ان تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكماً عليها يحاسبها على كل عمل او نزعة او فكرة او خاطر مما يرد عليها . كان الاستاذ يرى ان الشر لا فائدة منهُ مطلقاً وان التسامح والعفو عن كل شيءٍ وعن كل شخص هما احسن ما يعالج بهِ السوء ويفيد في اصلاح فاعلهِ . كان متفقاً مع فلاسفة العصر على ان الخير لا يتولد الاَّ من الخير والشر لا ينتج الاَّ من الشر

نعم كان للامام الكبير الذي فرض على نفسهِ اصلاح امتهِ خصوم واعداء كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لان يدركوا مقاصدهُ ويفهموا مباحثهُ فيقتصروا على التمسك بما وُجد عليهِ آباؤهم من قبل — وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليهِ الحاسدون الذين يتألمون اذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم الاَّ اذا انزلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ في مستوى واحد معهم — وفي مقدمة هذا الجيش كقواد لهُ ارباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتي الرياح . فكان الاستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار

العقل فيهما ولكنهُ كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذي لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش . وكان فضلاً عن ذلك لا يكره خصومهُ ولا يبغض اعداءهُ وانما يناقش افكارهم ويطعن على اوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم الى الصواب

كان الكثير من اصحابهِ ينصحونهُ ان يجتنب اسباب العناء ويترك ادارة الازهر والدروس التي كان يلقيها فيهِ ومجلس الاوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود الى مركزهِ في الاستئناف براتب اعظم مما كان يكسبهُ وعمل اخف مما كان يكابدهُ فيعيش كغيرهِ خالياً مستريحاً مطمئناً . ولكنهُ لم يسمع قول نصوح . واقول انهُ كما عرفتهُ كان من المستحيل عليهِ ان يعيش عيشة اخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليهِ قائلين: ما هذا الشيخ الذي يتكلم باللغة الفرنساوية ويسيح في بلاد الافرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم ويباحث علماءهم ويفتي بما لم يقل بهِ احد من المتقدمين ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ان كان من اهل الدين فليقضِ حياتهُ بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراهُ يعمل فيها وحدهُ اكثر من جميع الناس . كان الاستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت الى اقوال المنتقدين حسنت نيتهم اوساءت

كان محركاً بقوة غير عادية ملآناً بالفكر الى حد انهُ ما كان يسعهُ كلهُ فكان يفيض منهُ بالرغم عنهُ. وكان قلبهُ ملتهباً بحب وطنهِ فلا يستريح الاَّ وهو مشغول بهِ وبسعادتهِ ومستقبلهِ وكان مثل جميع النوابغ لا يبالي بالالم الذي يأتيهِ بسبب امنيتهِ التي كان يعزها بل كان يجد الالم فيها لذيذاً كما يلتذ العاشق بما يقاسيهِ من العذاب في هوى من يحبهُ

كم من مرة سمعتهُ يؤكد بانهُ صمم على ان لا يتداخل في شيء من هذا القبيل ثم رأيتهُ في الغد منغمساً فيهِ اكثر مما كان بالامس

ذلك لانهُ كان بعكس ما يراهُ عموم المصريين في نفسهم عندهُ امل لا يزعزعهُ شيءٌ في اصلاح امتهِ . واعتقاد متين ان البذرة الطيبة متى القيت في ارض بلادنا الخصبة نبتت وازهرت واثمرت كما نبتت وازهرت واثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقي بملء يديهِ كل ما جمعهُ في حياتهِ من الافكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة — كأنهُ كان يشعر ان حياتهُ ليست طويلة وكان لعجل ببذل جميع ما كان عندهُ

وهل كان مخطئاً في آمالهِ ؟ كلاَّ . وانما يخطئ من يقنط وييأس من مستقبل امتهِ

ان لم تسمح القدرة لامام مصر باتمام مقاصده جميعها فلا ينكر احد ان تعاليمهُ قد أثرت في عموم الامة وفي اهل الازهر على الخصوص تأثيرًا حسنًا

ولكن ينبغي ان لا يغيب عن فكرنا ان الامم التي تستفيد من الاصلاح هي التي تستحقهُ اي تدركهُ وتفهمهُ وتحبهُ وتطالب بهِ وتكرم رجالهُ وتحترمهم وتعزهم والاَّ فكل اصلاح فيها مصيرهُ الى الزوال السريع

يجب علينا ان نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام اساسهُ ونحافظ عليهِ ونداقع عنهُ ونضيف اليهِ ان امكننا حتى نتركهُ الى ذريتنا كميراث نفيس تنتفع منهُ وتزيد عليهِ ثم تتركهُ الى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح فينا كلما مرت الايام والاجيال كما هو الحال عند الامم الحية . سادتي نحن اليوم في عصر توفرت فيهِ ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا اذا نحن عرفنا ان نستخدمها . نحن في عصر النظام والحرية التامة التي لا تقف الاَّ عند حد القانون وارى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عالٍ وينشرون ما يوافق مصالحهم ويختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . اراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية التي منحها المصريون وارى بعكس ذلك ان الطيبين منا الصادقين الذين يريدون الخير لبلادهم لا يستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيء يتكلمون بصوت منخفض او لا يتكلمون ولا ينشرون اميالهم وآراءهم ويبتعدون عن ولاة امورهم ويترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون الى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة العامة فكان ضعف هؤلاء وجراءة اولئك من اهم العوائق التي صادفها الامام في طريق الاصلاح

اذا دام هذا الحال كان نصيب ما شيدهُ من البناء الخراب والسقوط

اما اذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بافكارهم ودافعوا عن آرائهم وتركوا ما اعتادوهُ من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة الزائدة عن حد المعقول وساروا في الطريق الذي رسمهُ لهم امامهم ملهمين بروحهِ مهتدين بنورهِ مقتدين بسيرتهِ معجبين بما اظهرهُ في حياتهِ من علو النفس وشهامة الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة فلا ريب ان البناء يكمل والاصلاح يتم ويحقق ما كان استاذنا وامامنا العزيز يريدهُ وما يتمناهُ كل مصري من الشرف والمجد والسعادة لامتهِ

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ان فوز ابرهيم باشا على الجنود العثمانية لم يرضِ انكلترا لا لأنها كانت تكره محمد علي وترغب في مناوأتهِ بل لأنها تحسب ان سلامة الدولة العلية لازمة لها لكي تبقى سداً منيعاً في سبيل الروس ولانها خشيت ان تدور الدائرة على ابرهيم باشا ولو مرةً واحدة فينحدر انحداراً يضعف مركز ابيهِ في مصر فتعزلهُ الدولة منها وتعود الفوضى الى القطر المصري وهذا لا يرضيها لانها استفادت اكثر من كل الدول الاوربية باستتباب الأمن في الديار المصرية وتسهيل سبُل المواصلات فيها وقد اعربت عن ذلك بكلام قالهُ سفيرها في فينا للكولونل هوجس الذي جُعِل حينئذٍ وكيلاً سياسياً لبريطانيا في مصر وهو " قل لمحمد علي ان انكلترا لا تنوي لهُ العداء وان النظام والامن اللذين نشرهما في القطر المصري اثمن في عينيها مما هما في عيون سائر الدول لانهما سهَّلا عليها المواصلات الى الهند وان نجاح التجارة في القطر المصري نافع لنا ولذلك يهمنا و يفيدنا جدًّا ان يبقى متمتعاً بحسن الادارة التي اوجدها محمد علي فيهِ . ففي افريقية نحن اصدقاء لمحمد علي ولسياستهِ ونودُّ بقاءها واذا لم نكن كذلك في اسيا فليس لاننا نكرههُ بل لان وجودهُ في اسيا يضعف سلطنة آل عثمان ويحلها وهو لا يستطيع ان ينشئ سلطنة تقوم مقامها ونحن عازمون ان نبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل الاحتفاظ بتلك السلطنة

" فان كان غرض محمد علي ان يمهّد الملك لاولادهِ من بعدهِ فذلك انما يكون في افريقية هناك تساعدهُ اوربا وتصالحهُ مع الباب العالي ولهُ ان يقوي البناء الذي انشأهُ فيها ويعززهُ بما شاء حتى يتركهُ لاولادهِ مشيد البنيان معزز الاركان . والامر على ضد ذلك في اسيا لانهُ اذا قام فيها بقي العداء بينهُ وبين الباب العالي فإِما ان يَقْهَر او يُقهَر ولكن هاتين النتيجتين غير متوازنتين فاذا قُهِر في معركة واحدة اضطرَّ ان ينكص على عقبهِ الى افريقية واذا فاز فغاية ما ينالهُ ان الطريق تفتح لهُ ليزحف على الاستانة وهي امنع من ان ينالها فلا يستتبُّ لهُ الفوز التام وغاية ما يكسبهُ في اسيا ان يحتلَّ بعض الولايات احتلالاً وقتيًّا وغاية ما يخسرهُ تُعلَم مَمّا اصاب كلَّ فاتح اذا دُحر في بلاد غير بلادهِ "

ونقل الكولونل هوجس هذا الكلام الى محمد علي فلم يتزحزح عن عزمهِ بل قال لقد استوليتُ على هذه الولايات ولا اتخلَّى عنها ما دمت حيًّا

وكان لورد بامرستون في الوزارة فامر الكولونل هدجس بما تعريبهُ

اذا قابلت محمد علي وذكر لك حقوقهُ فقل لسموهِ ان حكومتك امرتك ان تقول لهُ " ان ليس لهُ حقٌّ من الحقوق الاَّ ما منحهُ اياهُ السلطان وان السلطة الشرعية الوحيدة التي لهُ هي السلطة التي خوّلهُ اياها السلطان على جانب من سلطنتهِ وقد ائتمنهُ عليها لكي يستخدمها في طاعتهِ والعمل باوامرهِ . وان للسلطان حقًّا بان ينزع منهُ ما وهبهُ اياهُ والمرجح انهُ يفعل ذلك اذا رأى ان سلامتهُ تقتضيهِ . وانهُ اذا اراد السلطان ذلك ولم يكن عندهُ الوسائل الكافية للدفاع فلهُ حلفاء يساعدونهُ . وبيّنْ لمحمد علي ان الحامية التي تستأمن قبل ان تؤخذ حصونها تنال من التساهل في شروط التسليم اكثر مما تنالهُ الحامية التي لا تستأمن الاَّ بعد ان تخسر كل شيء "

الاَّ ان هذا الكلام الصريح لم يصرف محمد علي عن عزمهِ لان الحكومة الفرنسويَّة كانت تشد ازرهُ فان المسيو تيبرس (وكانت مهام الامور في يدهِ حينئذٍ) حسب ان مصالح انكلترا ومصالح فرنسا متضاربة في مصر فاذا ضعفت مصالح انكلترا قويت مصالح فرنسا . فأُغري محمد علي بذلك وسدَّ اذنيهِ عن نصح انكلترا ووعيدها

واتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على ان تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسلهِ من بعدهِ وتكون لهُ ايضاً الولاية على عكاء وجنوبي سورية مدى عمرهِ على شرط ان يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية في مدة عشرة ايام . فقبل محمد علي ولاية مصر ولكنهُ ابى ان يخرج جنودهُ من سورية حاسباً انهُ خدم الدولة خدماً عديدة تؤهلهُ لامتلاك سورية كلها وانتظر ان تؤيدهُ فرنسا في ذلك . ولما مضت العشرة الايام ولم يجب الدول الى ما طلبت منهُ خرج معتمدوها من الاسكندرية واعلن الباب العالي انهُ عزل محمد علي عن ولاية مصر واستعدَّت الدول لاخراجهِ من سورية بالقوة . وثار اهالي لبنان عليهِ وهاك تفصيل ذلك منقولاً عما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في تاريخهِ قال

"شاع سنة ١٢٥٦ هـ اتفاق الانكليز والنمسويين مع الدولة العثمانية على محمد علي وحضرت مراكبهم الى بيروت مع المراكب العثمانية وحضرت ايضاً مراكب فرنسوية وهي غير متحدة معهم وكان الظاهر لمصر ان فرنسا تدافع عنها ولذلك توقف المصريون عن قبول ما عُرِض عليهم وهو ان تكون مصر لذرية محمد علي باشا يتوارثونها الارشد فالارشد مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويُدفَع عنها للدولة العلية ستون الف كيس كل سنة ويكون عدد عساكرهِ ومراكبهِ الحربية معيناً لا يزيد عنهُ وان بر الشام يبقى في يدهِ مدة حياتهِ فقط وما عداها مما في يدهِ

كالحجاز وكريت يرد للدولة فاذا لم يرتضِ بذلك في مدة عشرة ايام يؤْخذ بر الشام من يدهِ وتترك لهُ بلاد مصر ثم يهل عشرة ايام اخرى فان لم يرتضِ تؤْخذ منهُ بلاد مصر ايضاً . ولولا ثقة محمد علي بمواعيد فرنسا لقبل بما عرض عليهِ اولاً

"واما ابرهيم باشا فلما تحقق عصيان اهل كسروان بمساعي السنيور وود[1] قام لمحاربتهم باثني عشر الف عسكري من المشاة وابقى شريف باشا حاكماً في دمشق وارسل حنا بك بحري ليقيم عند الامير بشير رقيباً عليهِ . ولما وصل ابرهيم باشا بجنودهِ الى كسروان قاومهُ رجالها فانكسرت الجنود المصرية مراراً وارسل قنصل الانكليز في دمشق روفائيل مشاقه الى الامير بشير ليخبرهُ عن قرار الدول المتحدة وانهُ الاجدر بهِ ان يطيع الدولة . وطلب من الامير ان يرسل معتمداً الى بيروت لمواجهة الكومودور نبير[2] فارسل اليهِ ابرهيم مشاقه سراً عن طريق صيدا وبعد المكالمة رجع الى الامير عن طريق صيدا ايضاً وذلك خفية عن بحري بك الذي أُقيم في سراي الامير ليراقب حركاتهِ وسكناتهِ . وكان من كلام الكومودور نبير لابرهيم مشاقه ان لا بدَّ من اخراج المصريين من بلاد الشام فعلى الامير بشير ان لا يغرر بنفسهِ

ولما رفض محمد علي ما عُرِض عليهِ صدر الامر باخراج المصريين من سورية بالقوة ورجع بحري بك الى دمشق قبل ضرب بيروت . وفي احدى الليالي اتى السنيور مرلاتو قنصل النمسا ليسهر عندي وسيق الكلام الى حضور المراكب الى بيروت فقلت لهُ انها فعلت عين الصواب في اخذها الاماكن الضعيفة اولاً ثم يكون لها الزمن الكافي لمحاصرة عكاء . فقال أتظن ذلك فقلت لهُ هذا ما يظنهُ الجميع . فقال ان المراكب اتت بيروت اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها فخافت ان يقع عليها ضرر . ثم كم تظن ان عكاء تحتمل مع الانكليز. فقلت لهُ ان ابرهيم باشا حاربها سبعة اشهر ولم يكن داخلها قوياً كما هو الآن ثم زاد في تحصينها فيجب ان تزيد قوة الانكليز على قوتهِ حسب ما زاد في قوتها . فضحك وقال يا تعس من يقاوم الانكليز . فقلت ولكن عكاء حصينة جداً وقد زاد ابرهيم باشا في تحصينها . فقال نعم انا اعرفها بعد تحصينها فصارت تحتمل ضرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي حينئذٍ رجل من انسباء بحري بك وهو صديق لي وقد سمع كل ما دار بيننا من الحديث فاوجست شراً وخفت من بلوغ الخبر الى الحكومة المصرية فطلبت من صديقي هذا ان يذهب

(١) هو رتشرد وود احد تراجمة سفارة الانكليز في الاستانة جاء لبنان لتعلم اللغة العربية ولاثارة اهاليهِ على الحكومة المصرية (٢) هو السر تشارلس نبير امير الاسطول الانكليزي واحد القواد المشهورين

حالاً ويخبر بحري بك عن لساني بكل ما سمعهُ . ففعل وفي الصباح اتاني رسول يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت اليهِ فقال حضر فلان واخبرني ما هو كيت وكيت فاريد ان اتحققهُ منك لئلا يكون قد وقع فيهِ زيادة او نقصان . فقصصت عليهِ واقعة الحال فقال اريد منك ان تستعلم منهُ هل هو على ثقة ان الانكليز والنمسويين يحاربون مع الدولة وترد عليَّ الجواب باسرع ما يمكن . فقلت لهُ ان القنصل المشار اليهِ لا يسهر عندي دائماً واذا ذهبت اليهِ بهذا السؤال فقد يفتكر افكاراً تمنعهُ عن الاخبار بالحقيقة فارجو منك ان تمهلني حتى ارى الطريق الاصلح لذلك

وفي المساء جاء في القنصل وكان حضورهُ اليَّ في ليلتين متواليتين نادراً فقلت لهُ بعد حديث طويل انني لا ازال افتكر بقولك ان عكاء تؤخذ في ست ساعات ثم هل انت واثق ان المراكب اتت بيروت لصيانة اموال الاجانب فقط او هي مأمورة بالضرب مع المراكب العثمانية كما قلت البارحة . فقال ان المراكب الانكليزية والنمسوية ما حضرت الاَّ للضرب واما الفرنسويون فيبقون على الحياد

وفي الصباح ذهبت الى بحري بك واخبرتهُ بما سمعتهُ فاكفهرَّ وجههُ واستعادني الحديث فاعدتهُ فقال الله يجازي الفرنسوي اذا بقي على الحياد لانهُ بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيدهُ بالمساعدة ما كان افندينا يخالف رأي الانكليز ويجعلهم لهُ خصوماً . فقلت لهُ ان بونابرت الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكاء وكان لها سور واحد وكان داخلها جزار باشا وجنودهُ لا تساوي طابوراً واحداً من العسكر المصري والآن صارت عكاء ذات سورين وزاد تحصينها عن الاول وفيها عسكر ابرهيم باشا لا عسكر الجزار الضعيف . فقال ان الذي اعجز ابرهيم باشا عن فتح عكاء ليس تحصينها بل قوة الانكليز التي اتت ضدهُ وزاد عليها انقلاب جمهورية فرنسا عليهِ وقطعها عنهُ المدد وتعمُّدها اهلاكهُ في هذه البلاد فاضطرَّ ان يقوم عن عكاء والاَّ فما هي عكاء وما كان اعظم منها بالنسبة الى اقتدار الملوك العظام فلو كانت قوة الاتراك وحدها موجهة ضد افندينا ما كان يبالي بها مهما كثرت عدداً وعدداً وانت شاهدت بنفسك حربهُ في حمص وكيف كان الجمهور الكبير من الاتراك يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ثم ما كفانا مقاومة العدو القادم علينا من الخارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين لمعروف الدولة المصرية مع النصارى

فقلت لهُ أتسمح لي ان اتكلم بالحرية ام ابقى صامتاً فقال بل اود ان تتكلم بكل حرية عن كل ما يلوح في فكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانهُ اذا

كان لبنان معنا فهو الحصن لنا لا عكاء وانت تعرفهُ جيداً فلا بدَّ من انك تعرف ما يصلحهُ وما يفسدهُ

فقلت ان من القواعد المقررة بالاختبار ان المغتصب لبلاد اذا لم يحسن سياستها واحدث فيها غير المألوف عند اهاليها فلا بدَّ ان تصير لغيرهِ كما صارت لهُ . فاولاً ان لبنان كان يدفع الى خزينة الولاية الفين وثلاثمائة كيس كل سنة فزدتم عليهِ اربعة آلاف كيس كل سنة ودائماً تطلبون منهُ رجالاً لمعونتكم وقت الحرب بدون اجرة فيتعطلون عن اشغالهم اللازمة لمعيشة عيالهم ويُقتَل منهم كثيرون . وليس افقر من اهالي لبنان في كل بلاد الشام نعم انهُ يخرج منهُ حرير من الف الى الف وخمسمائة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبان واهالي المدن كبيروت وطرابلس فالاهالي يبقى لهم القليل من حاصلات الجبل وهم نحو ثلثمائة الف نسمة وليس عندهم ارض لزرع الحبوب فيضطرون ان يشتروها من الخارج

ثانياً اي رئيس عشيرة ابقيتموهُ ولم تهينوهُ وتنزعوا بلادهُ من يدهِ نعم ان الامير بشيراً بقي على لبنان كعادتهِ بامر خصوصي من محمد علي باشا ولكن بعد ان رتَّبتم على فقراء بلادهِ اربعة آلاف كيس سنوياً زيادة عن المرتَّب قبلاً حتى بلغ المطلوب ثلاثة اضعاف ما كان يطلب عادة وما كفى حتى تماديتم في اعمال تهين شرف اسمهِ بطلبكم منهُ تسليم اللاجئين اليهِ لكي يتوسط عندكم في الرأفة بهم ولما ارسلهم اليكم قطعتم رؤُوسهم بدلاً من قبول وساطتهِ

ثالثاً ان اهالي سورية لم يعتادوا العبودية كاهالي مصر الذين اعتادوها من زمن الفراعنة فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكر من غير ان تعينوا أجلاً محدوداً لخدمتهم فالذي يؤْخذ ابنهُ يعلم انهُ لا يرجع اليهِ الاَّ اذا لم يعد يصلح للحرب ولا للعمل اذا بقي سالماً ثم انهم يأْخذون الوحيد لوالديهِ ولا يراعون حالهما ولا صغر اطفالهِ وشدَّة حاجتهم اليهِ فهذهِ الامور كافية لتنفير الناس منكم اما التجار واصحاب الاموال فيرغبون في بقاء الحكومة المصرية لحفظ الامن وتحصيل الحقوق . وشمالي لبنان كان من قبل استيلاء المصريين على سورية ناقماً على الامير بشير وقد نشأَت فيهِ فتنة جسيمة سنة ١٨٢١ وكان الاكليروس يعضد الاهالي والبطريرك يصمت عنهم ولا سيما البطريرك يوسف حبيش

فقال ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل الى الامير مع انهُ من طائفتهِ

فقلت هذا اعرفهُ من قبل انتظامهِ في سلك الكهنوت وقد كان اسمهُ الشيخ يعقوب حبيش كنت اتعلم عند اولاد فرنسيس باز في حوالي سنة ١٨١١ وكان الشيخ يعقوب هذا يقيم في دير القمر مدداً طويلة لدرس الشريعة على الشيخ شرف الدين القاضي مع خصم لهُ اسمهُ الشيخ

شمسين وهو من حزب الشيخ جنبلاط. وكان الشيخ يعقوب يمضي اكثر اوقاته عند اولاد باز يتذاكر مع احدهم في علوم اللغة وكان ينسب عدم نجاح دعواهُ الى رغبة الامير بشير في اذيتهِ بكلام يدل على عظم كراهتهِ لهُ وحقدهِ عليهِ . اما جنوبي لبنان فاذا لم يتدارك امرهُ امتدت الفتنة اليهِ لان الموارنة نحو نصف اهاليهِ والمشايخ الذين يربطونهم مع الدروز حتى يكونوا يدًا واحدة هم آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيون الى مصر فاذا أرجعوا الى أوطانهم وطيبت خواطرهم فبواسطتهم يثبت جنوبي لبنان ويخشاهُ شماليهُ فهذا الذي اظنهُ وقد اكون غلطانًا

فقال وانا من رأيك والاجدر بنا احضار المشايخ من مصر

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر من ابرهيم باشا الى شريف باشا بان يحجز على قنصلي انكلترا والنمسا في بيتيهما ويضع خفراء من العسكر على بابيهما . وبعد ايام ورد كتاب من ابرهيم باشا الى شريف باشا يقول لهُ فيهِ ان بيت قنصل الانكليز لهُ بابان فما المنفعة من وضع الخفر على واحد منهما . وكان ذلك صحيحًا . وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم في بيتي بواسطة الترجمان وكنت افعل ما يلزم لقنصل الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات سرًّا لا كرهًا بالحكومة المصريَّة ولا حبًّا بالحكومة التركية بل لانني منتمٍ الى الدولة الانكليزيَّة وخدمتها واجبة عليَّ لانني من مأموريها فعندما كانت تساعد المصريين كنت اسير حسب رغبتها وعندما صارت تساعد الاتراك صرت اساعدهم معها وفي الحالتين ابذل جهدي لكي لا اضرَّ احدًا بل اساعد كل احد حسب طاقتي

ثم حاق الفشل بالعساكر المصريَّة لان رجال كسروان اتتهم الاسلحة والمهمات الحربية والعساكر المصريَّة ملَّت مواصلة الحروب . ولما رأى ابرهيم باشا تأخر عساكرهِ سار بهم الى زحلة غربي البقاع حاسبًا ان خصومهُ يطمعون ويتبعونهُ وهناك سهل فسيح تسهل فيهِ الحركات العسكريَّة فيفتك بهم لكن اهالي الجبل لم يتبعوهُ بل اكتفوا بخروجهِ من بلادهم

وفي غضون ذلك استولت الدولة على مدينة صيداء. وصدر الامر الى الامير بشير لينزل اليها في يوم معيَّن فيفوَّض اليهِ حكم الجبل . فارسل الى حفيدهِ الامير مجيد لكي يتخلَّص من معسكر ابرهيم باشا ويأتي اليهِ مسرعًا وطلب من اندراوس مشاقه ان يحصي ما عندهُ من النقود في دار الحريم فاحصاها فوجدها ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعين كيسًا وهي تساوي حينئذٍ اربعة وستين الف ليرا فرنسوية (٦٤ الف بنتو) . فامرهُ ان يضع الثمانية الآلاف في اكياس ويكتب على كل كيس مقدار ما فيهِ ويضعها في صندوق ويأتيهُ بمفتاحهِ . فعمل

كما امره' وقال له' ماذا افعل بباقي الدراهم فاجابهُ ابقها لنرسلها الى البطريرك (بطريرك الموارنة) . فقال ان سيدنا البطريرك لا يحتاج الى النقود وهي الزم لسعادتك مما هي له' . فتنهَّد الامير وقال ان ارسالي النقود الى البطريرك الزم لي من كل نفقاتي

ولما بلغ الامير مجيداً امر جدهِ احتال وتخلَّص من العسكر المصري ولكنهُ لم يصل الى جدهِ الاَّ في اليوم الذي عيّن له' ليصل الى صيداء بجميع اولادهِ واحفادهِ . ولما وصل صيداء خرج خالد باشا للقائهِ بالعساكر واحتفل بهِ كثيرًا وكتب الى بيروت عن وصولهِ الى صيداء فأتى الامر ان يمضي الى بيروت فمضى فلاموه' على تأخرهِ ولم يقبلوا له' عذرًا وخيّروه' في الاقامة حيث شاء الاَّ في سوريا وفرنسا فاختار الاقامة في مالطة وامهلوه' ليرتّب اموره' . وارسل اليهِ البطريرك الخوري نقولا مراد ليكون معهُ لاجل الخدمة الدينية وهو في الحقيقة رقيب عليهِ . فسار الامير بكل عائلتهِ وخدمهِ الى مالطة

وبقي ابرهيم باشا في زحلة . وشاع في دمشق ان فردوس بك اتي الى اخوتهِ في دمشق وهو ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم في محاربة الفرنسوية بمصر سنة ١٨٠١ وتزوج علي آغا بابنتهِ وولد له' منها بنون وبنات وتزوج شريف باشا واحدة منهنَّ . وكان فردوس بك مع عساكر السلطان . وذات يوم طلبني بحري بك وسألني قائلاً هل علمتَ بقدوم فردوس بك الى دمشق فقلت سمعت بقدومهِ ورأيت اخاه' عاكف بك في احد البيوت وسألتهُ عنهُ فاخبرني انهُ حضر الى بيروت وليس الى دمشق . فقال بلغني انهُ حضر الى دمشق وانت طبيب تدخل كل البيوت فارجو ان تحقق لي ذلك . وكنت اعلم انهُ اتى الى حاصبيا الى الامير سعد الدين وأُلبس ملابس اهل الجبل وأُوصل الى دمشق ولكنني خفت ان أُخبر بذلك فيُقبض عليهِ ويُقتَل وقلت لبحري بك ان البكوات المشار اليهم اصدقائي وانا اتردَّد عليهم ولكنني لا ادخل دور الحريم لانني لست طبيبهم . والطبيب نفسهُ لا يدخل دار الحريم الاَّ اذا طلبوه' لذلك . فقال ومن هو طبيبهم قلت روفان صيدح الذي نقصد ان تزوج ابن اخيك بابنتهِ

وكان متسلّم دمشق حينئذٍ حافظ بك بن عبدالله باشا العظم وكان من المخلصين للحكومة المصرية وهو من اقارب فردوس بك فاخبر بحري بك ان فردوس بك اتى دمشق واجتمع في بيتهِ بشريف باشا ثم عاد الى بيروت ويجب ان تخبر ابرهيم باشا بذلك فقال بحري بك وما هو الدليل الذي نثبت بهِ قولنا لو انكروه' فقال حافظ بك هلمَّ معي نتغدَّ سوية في بيتي وهناك ترى الدليل فمضى معهُ وبعد الطعام دخلا مخدعاً واستدعى حافظ بك ولدًا لاخي فردوس

بك وقال لهُ اي متى يخرج عمك فردوس من الحريم · فقال الولد ان عمي سافر منذ ثمانية ايام وما تعوّق عندنا غير يومين · فقال لهُ اذًا ما صبر حتى قابل صهركم شريف باشا فقال الولد ان الباشا اتى الى هنا ثاني ليلة ومبهرا وحدهما في القصر وسافر عمي في الليلة التالية · ثم صرف الولد وقال لبحري بك أبقي عندك شك · فاجاب كلاً ولكن ابقِ ذلك في سرك الى ان نخبر ابرهيم باشا ونجري حسب ارادتهِ

وكان بحري بك يكرهُ الوشاية بشريف باشا لانهُ صديقهُ ولانهما تعلما وتهذبا معاً عند عبود البحري ولكنهُ كان يخشى ان يبلغ الامر مسامع ابرهيم باشا فيرى انهُ اخفى عنهُ خبرًا مثل هذا فيبطش بهِ فاجتمع بشريف باشا وقصَّ عليهِ واقعة الحال وقال لهُ صرتَ في خطر وان هربت فقد لا تسلم وتفقد جميع اموالك ومقتنياتك واذا انا كتمت الخبر عن ابرهيم باشا فلا يكتمهُ عنهُ الذي اخبرني بهِ وحينئذٍ يحسبني خائنًا ويهلكني معك · فاتفقا على ان بحري بك يكتب الى ابرهيم باشا لكي يستدعيهُ اليهِ بكتاب يرسلهُ الى شريف باشا فورد كتاب الى شريف باشا من ابرهيم باشا يقول فيهِ لا بدَّ من المذاكرة في بعض المهام والحالة الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فارسلوا الينا بحري بك للمذاكرة معهُ · فمضى بحري بك حالاً وقصَّ على ابرهيم باشا واقعة الحال فاستشاط غيظًا وقال لا بدَّ من قتل شريف باشا فقال بحري بك نعم ولكن لا بدَّ من النظر في العواقب قبل الحكم فان اذنتموني في الكلام اتكلم فقال تكلم

فقال ان شريف باشا ليس غريبًا عنكم بل هو من انسبائكم وقد ربَّيتموهُ واحسنتم اليهِ ورفعتم قدرهُ وقطعتم لهُ ثلاثة آلاف كيس كل سنة حال كون السلطنة لا تعطي مَن كان في رتبتهِ غير خمسة آلاف غرش شهريًا وصار لهُ عقارات كثيرة في الاقليم المصري والشامي وزاد على ذلك انكم جعلتموهُ حكمدارًا على اقليم سورية · فهذا اذا لم يحفظ ولاءكم فهل يرجى حفظ الولاء من كل الذين دونهُ وهم ليسوا من انسبائكم ولاهم حاصلون على شيء من النعم التي حصل عليها واذا كان خصومكم قد نجحوا في اغراء اعقل من تعتمدون عليهِ من انسبائكم المغمورين بانعامكم وليس عندهُ قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل يؤْمن انهم لا يفلحون في اغراء رؤَساء عساكرنا الذين يرجونهم ويتقونهم · فالآن اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون لهُ امثال في رؤَساء العساكر فينفرون وتقوم الفتنة في عسكرنا ويقوى الخصم علينا ورأْيي ان تنزل الى دمشق بالعساكر وتعمل هناك ما تراهُ موافقًا

فاستحسن ابرهيم باشا رأْي بحري بك ونزل الى دمشق واخذت عساكرهُ تجتمع من

جميع الجهات . وأُخرج قنصل انكلترا وقنصل النمسا من دمشق وأُوصلا سالمين الى ايالة صيداء . وسارت المراكب الانكليزية والنمسوية والعثمانية الى عكاء وضربتها وامتلكتها عنوة بعد ضرب ثلاث ساعات وثلث ساعة لانهُ كان قد وصل اليها كثير من صناديق البارود من مصر وكانت ملقاة بين السورين لانهُ لم تكن المهلة كافية لتخزينها فوقعت عليها قنبلة فاشعلتها وكان لذلك فعل مدهش حمل العساكر الذين في عكاء على الهرب منها واستولت الدولة على البر المحيط بالساحل بغير حرب وكذلك استولت على البقاع حينما تركهُ ابرهيم باشا وسار الى دمشق

وسنأتي على تتمة اخبار ابرهيم باشا واخبار ابيهِ في الجزء التالي

دواء السل

من الخطبة التي القاها الدكتور بهرنغ الالماني على مؤتمر السل الذي عقد في باريس واعلن فيها اكتشافهُ دواء للسل شافياً لهُ واقياً منهُ . قال

تحققت في السنتين الماضيتين وجود جوهر شافٍ للسل يختلف كل الاختلاف عن جوهر اللقاح الذي وصفتهُ منذ ١٥ سنة

وهذا الجوهر الجديد هو العامل الاهمُّ في اللقاح البقري الذي اكتشفتهُ وجربتهُ منذ اربع سنوات الى الآن فثبتت فائدتهُ في مقاومة سل البقر

وتأثيرهُ يتوقف على اشباع الخلايا او الحويصلات الحية في جسم الحيوان مادَّة تستخلص من سمّ التدرن أُسميها (T C)

ومتى صارت هذه المادة (T C) قسماً من حويصلات الحيوان الذي يعالج بها وحولتها تلك الحويصلات من حالٍ الى حالٍ فاسمّيها حينئذٍ (T X)

ومادة (T X) وبعبارة اصحّ (T C) توجد في ميكروب التدرُّن ولها خواص غريبة فتكون بمثابة شيء لازم لقوام الميكروب ولحلول الاختمار فيهِ وتحليلهِ . ومن خصائصها انها تجعل بعض المواد ثابتة ولها خاصة التمثيل في بعض الحالات . ويقال بالاختصار انها الجوهر الحيُّ في الميكروب

وعندي انهُ اذا لُقِحت المواشي لوقايتها من التدرُّن تحرَّرت مادة (T C) التي في

الميكروب من المواد التي تكون قد امتزجت بها عرضاً والّفت بين العناصر الخلوية التي داخل الخلايا الآلية وخصوصاً ما كان مصدرهُ في مركز الانسجة اللفاوية وهي سبب ردّ الفعل الذي يحدث بعد التلقيح بلقاح كوخ من الجهة الواحدة وسبب الوقاية من التدرن من الجهة الاخرى

وقد طال بي المطال وكثرت امامي الصعوبات قبلما توصّلت الى ما تقدم في ادراك ماهية اللقاح الواقي من التدرن . ولولا اطلاعي على مباحث متشنكوف في الكريات البيضاء وفعلها في مقاومة ميكروبات الامراض ما ادركت الفرق بين الوقاية الحادثة في خلايا الجسم والوقاية الحاصلة في رطوباتهِ

ولو شئت تفصيل الادلة على صحة قولي لقضيت في ذلك عدة ساعات . ولكني اكتفي الآن بوصف طريقة العلاج الجديدة التي توصلت اليها من درس التدرن درساً علميًّا . واعتقادي ان هذه الطريقة الجديدة تقي المعرضين للسلّ من عواقب عدواهُ . وقد علمني الاختبار ان امتنع عن ادخال ميكروبات التدرن الحية الى جسم الانسان مهما كانت الغاية من ذلك . وعليهِ فان علاج الناس لوقايتهم من السلّ بدأ باكتشافي علاجاً اتقدم الآن لوصفهِ لكم فاقول

واضح ممَّا تقدم انني بذلت اقصى الجهد لاكفي الجسم العناء والخطر اللذين يترتبان على توليد مادة (TC) فيهِ فعملت التجارب في آنية زجاجية وفزت بالمطلوب اذ استبدلت الوقاية الحاصلة من الداخل بوقاية آتية من الخارج . ولم أُسرَّ في عمري قطُّ كما سررت ايام كنت أُراقب الحلقات السببية التي تصل ما بين التلقيح والوقاية حتى تجلَّت لي باوضح مظاهرها من فضل التجارب العديدة التي جربتها في المواشي

وخلاصة ابحاثي انهُ يقتضي لتحرير مادة (TC) من المواد التي تعوق عملها الشفائي التمييز بين ثلاثة انواع من المواد الميكروبيَّة وهي

(١) مادة تذوب في الماء القراح فقط ولها خاصة اختيارية تحليلية . ومن هذه المادة تتألف عناصر لقاح كوخ السامّة (توبركولين) وأُسميها (TV) . ولادراك قوتها التلقيحية اقول ان قوة غرام جافٍ منها تفوق قوة لتر من لقاح كوخ

(٢) مادة هلامية تذوب في محلول ملح متعادل مثل محلول من الملح العادي فيهِ ١٠ في المئة ملحاً وقد سميت هذه المادة (TGL) وهي سامة مثل لقاح كوخ

(٣) مواد اخرى غير سامة تذوب في الكحول والاثير والكلوروفورم وغيرها

وبعد ما يحرّر ميكروب التدرن من هذه الانواع الثلاثة من المواد الغريبة يبقى جسم مميتهُ " الميكروب الباقي "

وهذا الميكروب مثل ميكروب التدرن في شكلهِ وفي قابليتهِ للتلون ويمكن تغييرهُ حتى لا يبقى لهُ شكل مخصوص وحتى اذا لقحت بهِ خنازير غينيا او الارانب او الغنم او المعزى او البقر او الخيل امتصتهُ حويصلاتها اللمفاوية وغيرتهُ فصارت بهِ اكسيفيلية . وفي اثناء ما يحدث من التغيير في الخلايا بفعل مادة (T C) ينال الجسم الوقاية

ومن الامور الجوهرية ان في مادة (T C) قوة لتوليد التدرن وان تكن هي نفسها لا تتوالد والدرن الذي يتولد منها لا يجبّن ولا يلين

وقد اتضح لي من تجارب عملتها في حيوانات مختلفة من ذوات الثدي ان مادة (T C) التي توجد من قبل في ميكروب التدرن يمكن تربيتها في آنية زجاجية بحيث يستخلص منها علاج يمكن استعمالهُ في الناس بلا ضرر

وأرى من اللازم ان يمتحن العلماء الذين يشتغلون بهذا الفن في المستوصفات الاخرى فعل علاجي في الحيوانات ويتأكدوا انهُ لم يكتشف علاج مثلهُ قبل الآن

ومعلوم عندكم ان لقاح كوخ ولقاحهُ الجديد (T R) ولقاح مراجليانو ولقاح مرمولاك وغيرها من المستحضرات لها بعض التأثير الشافي او الواقي بشهادة اصحابها . ولكن غيرهم جربوها وخصوصاً في خنازير غينيا فلم تسفر تجاربهم عن النتائج المرضية . اما انا فأومل ان يكون علاجي نافعاً وان العلماء الذين اسلمهُ اليهم ليجرّبوهُ يفوزون بنتائج حسنة مثل التي فزت بها انا او احسن

هذا واني ارجو منكم ان لا تنسوا ان اكتشافي الذي اعلنهُ اليوم يذكرنا باكتشاف علاج الدفتيريا الذي اعلنتهُ سنة ١٨٩٠ وقد أيدت التجارب فائدتهُ بما لا يترك مجالاً للريب فيهِ . وقد مضى على اكتشافي الاول نحو اربع سنوات قبلما صار موضع ثقة الاطباء ولو لم يقم صديقي الدكتور رو في بودابست و يساعدني على مقاومة الدفتيريا قاتلة الاطفال لاضطررت ان انتظر زماناً اطول حتى يتحقق الناس صحة قولي وفائدة اكتشافي

ولا ادري كم من الوقت يمضي قبلما يصبح اكتشافي الجديد موضع ثقة الناس بهِ وتحقق فوائدهُ

طلاق

الامبراطورة جوزفين

رأى قلبهُ من قلبها ما يكابدُ فنازعهُ فيها الهوى والمقاصدُ
رأى حبّهُ معبودها وفؤادها يدق كما دق النواقيس عابدُ
رأى دمها وجداً رأى وجدها دماً فغيّب عنهُ الرأيَ ما هو واجدُ
رأى قلبها كاللؤلوء الرطْب ناضراً فأشفق ان تُلقى عليهِ الجلامدُ
فتًى جاهد الدنيا وجاهد اهلها وفي نفسهِ لم يدرِ كيف يجاهدُ
اقامت لهُ الايام صدر امورها وفي صدرهِ همٌّ من الحب قاعدُ
بكى وبكت "جوز"فينُ" حزنا وقلبها على قدميهِ من جوى الحب ساجدُ
ولما أضا برق المنى في فؤادهِ لها ايقنت ان سوف تدوي الرواعدُ (١)

***

يقولون هذا ليثنا اين شبلهُ ألم تدرِ ان الدهر يا ليث صائدُ
فمن يرث التاج الذي انتَ تاركٌ ومن ينتضي السيف الذي انت غامدُ
ومن يلجُ الباب الذي قد فتحتهُ ومن خلفهِ الدنيا وتلك الفراقدُ
وايُّ جبين فيهِ سياك بيننا واي فؤاد فيهِ سرُّك خالدُ
سيظلم عرش الشمس ان غاب بدرهُ ولم يكُ مولود عليهِ ووالدُ

***

اتثبت هذي الارض لاثنين مثلهُ وقد هزّها ما بين كفّيهِ واحدُ
فأولى بنابليون نسلٌ من السما يجاهد في افلاكها ويجالدُ
لتنضمَّ في املاكهِ الارض كلها ونبتون في جوّ السما وعطاردُ
ويرميَ ذاك النسر ظل جناحهِ الى حيث لا يرقى من الوهم صاعدُ
كفى الارضَ ما نالتهُ من مَطَراتهِ لكل اوانٍ زارعون وحاصدُ

***

ويومٍ تولّى برجهُ شرُّ كوكب فدارت على اقطابهنَّ الشدائدُ

(١) يشير ببرق المنى الى رغبة نابليون في الاولاد و بالرواعد الى ما سيكون من كلمات الطلاق

ومدّ عليهِ النحس ظلّ كآبةٍ تغشّتهُ حتى كلُّ ما فيهِ كامدُ
كأن خيال الموت مدّ طرافهُ عليهِ فكلٌّ ساهم الخد جامدُ
كأنّ لهيب الشمس في مهجة الهوى فللشمس جرمٌ اكمد اللون باردُ
اذا كان في الايام ايمانُ رحمة فيومك يا جوزفين فيهنّ جاحدُ
صرخت فردّ الجو انفاس اهلهِ ليصعد صوت من فوآدك شاردُ
ليصعد صوت العدل لله شاكياً عليهِ عينٌ من بكاكِ وشاهدُ
ليبلغ سكان السماء تنهدٌ من الارض اذ جوُّ الفضيلة راكدُ
لتضطرب الارواح من ظلم اهلها لتصرخ في سرّ القلوب المحامدُ
فقد نزعوا قلباً وتاجاً ونعمةً وزوجاً ولم يفقد كهاتيك فاقدُ
رمَوا قلبك المكسور في مَطرَح النوى يطارد من آفاتهِ ما يطاردُ
ولا فخر للانثى سوى ضبط قلبها تقرّ بهِ أنّى تشأ وتباعدُ

***

دوتْ قصفات الدهر وانطوت المنى وغطت سماء النصر تلك المكائدُ
وجاء وليُّ التاج والتاج ذاهب وحلّت اماني الدهر والدهر زاهدُ
واصبح ركن العرش كالغصن مائلاً على كل ريح لا يرى من يُساندُ
ودارت بنابليون في النحس دورةٌ تقابل فيها حظهُ والنواكدُ
وقصوا جناحي نسرهِ بعد ان دوى لخفقهما جوُّ العلى والفدافدُ
فيانسر ماذا يصنع الفرخ بعدها وقد حطمت ظفريهِ هذي المباردُ
تركت لهُ ملكاً بغير رعيّة وكفًّا ولكن ليس في الكف ساعدُ
وبوّأتهُ عرشاً اذا ما ادّكرتهُ لقيت كما يلقى الخيالات راقدُ
جنيت عليهِ بالسياسة قبلها بلَى قد جنتها قبل ذاك العوائدُ
اتذكر اذ عاندت قلبك جاهدًا فهذا الذي قد كنت فيهِ تعاندُ
وكذّبتهُ والقلب صوتٌ من السما ولولاهُ ما سدّدت إذ انت قائدُ
والزمتهُ نصح الورى وهو مبصر وللعين لا للقلب تُعطى المراودُ
فما قتلتك الحادثات وانما أرتك دم القلب الذي انت فاصدُ

مصطفى صادق الرافعي

شمول مذهب النشوء

[وهو القسم الثاني من خطبة دارون القاهُ في جوهنسبرج بالترنسفال . اما القسم الاول فالقاهُ في مدينة الراس قبل الثاني باسبوعين وقد نشرناهُ في العدد الماضي]

كان مدار بحثنا فيما مرَّ على الاشياء الصغيرة التي لا تكاد تُتصوَّر لصغرها ومرادي الآن ان ابيّن ان ما يجري بين الدقائق والجواهر الصغيرة يجري ايضاً بين الاجسام الكبيرة . فأتقدم اولاً الى الفلك وابدأ بالاقدار الصغيرة متدرجاً منها الى الظواهر الفلكية الكبرى فاقول

وضع الفلكي الالماني بود قاعدة بسيطة للابعاد التي تفصل بين الشمس والسيارات . وقد صحت هذه القاعدة على السيارات كلها ما عدا نبتون حتى لا نرى لنا مناصاً من الاعتقاد ان السيارات كلها كانت منطبقة عليها

هذا وان الاسباب التي افضت الى هذه القاعدة البسيطة لم تعلم بعد ولكن يمكننا ادراك بعض كنهها من النظر الى ما يأتي

تصوَّروا شمساً يدور حولها سيار كبير في دائرة . واسمي هذا السيار زفس اذ يمكننا تشبيههُ بالمشتري اكبر سياراتنا . ثم افرضوا ان نيزكاً او سيَّاراً صغيراً رمي في الفلك الذي يتحرك زفس فيهِ فكيف تكون حركتهُ . قد يظهر لاول وهلة ان هذا السوَّال مما تسهل الاجابة عنهُ والحقيقة ان حلهُ اعضل على الرياضيين فلم يهتدوا بعد اليهِ . على اننا نعلم ان النيزك المرميَّ يرسم دائرة كثيرة التشويش والارتباك طوعاً لجذب الشمس والسيار فتارةً يسير سيراً بطيئاً على بعد شاسع من الشمس والسيار وطوراً يمرُّ بسرعة عظيمة قرب احدهما . وعندما يمرُّ قرب احدهما فقد يتفق انهُ يدنو منهُ الى حدّ ان يكاد يصطدم بهِ ثم ينجو بنفسهِ ولكن لا بدَّ ان يأتي زمان يصطدم فيهِ بالشمس او بالسيار فتكون بذلك آخرتهُ اي انهُ يتحد باحدهما والغالب ان يتحد بالشمس

ثم لنفرض بدل النيزك الواحد مئات من السيارات الصغيرة او النيازك تدور حول الشمس وزفس في جميع الجهات . ولما كانت كلها صغيرة جدًّا فان جذب بعضها لبعض لا يعتدُّ بهِ لضعفهِ وعليهِ فانها تتحرك حول الشمس وزفس كما لو كان لهما وحدهما تأثير في حركتها دون غيرهما . وتكون النتيجة ان الشمس تجذب اليها معظم تلك النيازك وتبتلعها وان زفس يصطدم بالبقية القليلة ويجذبها اليهِ

ورب سائل يسأل وكم يطول عمر النيزك من ابتداء حركتهِ الى انتهائها . والجواب ان

عمرهُ يتوقف على جهة حركتهِ وسرعتهِ وانهُ يمكن اطالتهُ بتكييفهما. فاذا أطلنا عمرهُ بتأخير اوان الاصطدام الى ما لا نهاية لهُ دار حول الشمس وزفس ولم يصطدم باحدهما ابدًا

اذًا هناك أفلاك يمكن ان يدور نيزك او سيّار صغير فيها الى الابد ولا يصطدما بشيءٍ فاذا عُرِف ذلك وجب علينا ان نعرف ايضًا هل اذا طرأ على ذلك السيار الصغير طارىءٌ ينحرف بهِ اقلّ انحراف عن سيرهِ يزيد ذلك الانحراف شيئًا فشيئًا على مرّ الزمان حتى يفضي اخيرًا الى اصطدام السيار بالشمس او بزفس او انهُ يبقى يسير في خط فلكهِ الجديد ولا يحيد عنهُ الى الابد . فاذا زاد الانحراف على مرّ الزمان كان الفلك غير ثابت والاَّ فاذا كان الانحراف قليلاً غير متزايد فالفلك يبقى ثابتًا غير متغير

وعلى ذلك فالافلاك نوعان نوع ثابت وهو الاقل ونوع غير ثابت وهو الاكثر . والأُولى هي الافلاك التي تصلح للبقاء فتبقى والثانية هي التي لا تصلح لهُ فتزول . فاذا فرضنا وجود نظام مؤلف من شمس وسيار كبير وعدد من الاجسام الصغيرة السائرة في كل جهة فان الشمس والسيار يكبران بما ينضمُّ اليهما من تلك الاجسام السائرة على توالي الايام فيبقى عدد قليل من السيارات الصغيرة والاقمار يتحرك في دوائر وافلاك محدودة وتكون النتيجة نظامًا محكم الترتيب تنتظم افلاك سياراتهِ على حسب ناموس محدود

على ان مسألة هذا النظام البسيط لم تحل حتى الآن حلاً تامًّا فلم تكتشف بعد طريقة لمعرفة حركات الافلاك الدائمة ولا اهتدى احد الى ما يفرق بين الثابت وغير الثابت منها . ولكن العلماء شرعوا في معرفة بعض المناطق المحيطة بالشمس وزفس حيث يمكن وجود الافلاك الثابتة وحيث لا يمكن وجودها ولا يكاد يكون ثمة اقلُّ ريب في انهُ اذا حلّت مسألة نظامنا الشمسي حلاً تامًّا وجدنا ان افلاك السيارات والاقمار التابعة لها من الافلاك الثابتة الدائمة فنصل الى تفسير قاعدة بود تفسيرًا رياضيًا فيما يخصُّ ابعاد السيارات

وان الانسان ليدهش مما يرى من المشابهة العمومية بين المسائل المختصة بالذرات الدائرة في افلاك حول الجواهر وبين السيارات والاقمار الدائرة حول الشمس . ولعلكم تذكرون اني بحثت قبلاً في ما اذا كانت الالكترونات الدائرة في افلاك الجوهر ابدية غير متغيرة وان المشابهة بينها و بين غيرها من النظامات المتحركة تدلُّ على انها كذلك . واهمُّ نظام خطر على بالي حينئذٍ النظام الشمسي . فان الافلاك التي اشرت اليها سابقًا انما تكون دائمة حين تكون الاجسام التي تدور فيها صغيرة الى النهاية ولا تلقى مقاومة في دورانها . ولكن الاجسام الصغيرة الى النهاية غير موجودة ومن رأي اللورد كلفن وبوانكاره انهُ لا بدَّ من وقوع

الخلل في اي نظام كان من نظامات الاجسام المتحركة حتى في الاجسام ذات الافلاك الثابتة وهذا بصرف النظر عن المقاومة التي تلقاها تلك الاجسام من اعتراض بقية غاز منتشرة في الفضاء ووقوفها في سبيلها . فالثبوت اذا نسبيٌّ لا مطلق وما من نظام الاَّ وفيهِ ما لا بدَّ ان يفضي الى خرابهِ ولكن لا نقلق لذلك ولا نيأس فان في النظام الشمسي بزور خراب ودمار اخرى يرجح ان تنبت وتثمر قبل حدوث الطارئة الاولى

***

شرحت في ما تقدَّم الرأْي القائل بتكوُّن الشمس والسيارات من تجمع النيازك تدريجاً فهو يفرض وجود النيازك ولا يذهب الى ما وراء ذلك اي قبل ان وجد جسم كثيف مركزي او شمس يدور حولها جسم كثيف آخر . ولكن قام منذ اكثر من قرن مَن حاول الذهاب الى ما وراء ذلك وسعى في الوقوف على تاريخ الشمس والسيارات قبلما صارت اجساماً كثيفة بانياً سعيهُ على فرض غير ما تقدَّم عن تركيب النظام الشمسي الاوَّلي . ومن رأْيي ان المذهب الذي بسطتهُ آنفاً والمذهب الذي سابسطهُ الآن كليهما يتضمن حقائق جوهريَّة وان ما بينهما من التناقض الظاهر لا بدَّ ان يزول في مستقبل الايام . اما المذهب الذي ساشرحهُ فهو المذهب السديمي المشهور اول من قال بهِ كنت الفيلسوف الالماني ثم اعلنهُ لابلاس الرياضي الفرنسوي من غير ان يعلم بما قالهُ كنت وعلى صورة اوضح

ذهب لابلاس الى ان اصل النظام الشمسي سديم او سحابة من الغاز اللطيف متجمعة حول مركز كثيف هو اصل الشمس . وكان الكلُّ يدور دوراناً بطيئاً على محور مارٍ في مركزهِ حتى استدار وتسطح عند قطبيهِ بسبب دورانهِ وجذب الغاز بعضهِ لبعض . وقد ايَّدت ارصاد الفلكيين هذا الفرض فانهم اكتشفوا في السماء سحباً عديدة من السديم واثبت السبكترسكوب ان نورها مشتقٌّ من الغاز . ولا ريب ان السديم الكروي الاول جسم ثابت وعليهِ فان مذهب لابلاس يطابق الناموس العمومي الذي ذكرتهُ آنفاً

وبعد ذلك اخذ السديم يبرد تدريجاً بالاشعاع الى الفضاء ففقد الغاز جانباً من مرونتهِ ونتج عن فقدهِ لبعض مرونتهِ ان قلَّت قوة مقاومتهِ للجاذبية فاخذ يتجمع حول المركز المتكاثف ويتقلص وتقلُّصهُ افضى الى نتيجتين لازمتين على موجب نواميس الميكانيكيات الاولى ان حرارة المركز المتكاثف علت والثانية ان دورتهُ اسرعت . ونتج عن اسراع دورتهِ زيادة تسطحهِ من قطبيهِ فاتخذ شكل عدسية او شكل قرص اكثف في الوسط منهُ في المحيط

ومن هنا يبتدئُ التعقيد والاشكال وتعرض الشكوك في هذا المذهب. فقد زعم اصحابهُ

ان السديم ما زال يرق حتى لم يعد يستطيع البقاء على حالهِ فانفصلت منهُ حلقة خارجية وحينئذٍ عادت اجزاؤهُ الوسطى فاتخذت الشكل الكروي الذي كان لهُ اولاً وعادت ترق ثانية بسبب اسراع دورتها حتى انفصلت حلقة اخرى . ودامت الحال على هذا المنوال حتى انقسم السديم كلهُ حلقاتٍ تحيط بالمركز المتكاثف . ولا بدَّ ان تكون حرارتهُ قد بلغت حينئذٍ درجة البياض .

ثم جعلت كل حلقة تجتمع حول نواة اكثف من غيرها اتفق وجودها في محيطها فتألف من ذلك سديم ثانوي مرَّ في الادوار التي مرَّ السديم الاول فيها ثم تحوَّل سياراً تتبعهُ اقمارهُ

هذا وان التلسكوب يؤيد مذهب لا بلاس بوجه عامّ . فالسديم الكبير الذي في المراة المسلسلة انما هو مثال لنظام لا يزال في طور التكوُّن ففيهِ نرى المركز المتكاثف يحيط بهِ سديم حلقيّ وفي احدى الحلقات مركز ثانوي متكاثف او نواة ثانوية

على ان في كلّ درجة من درجات العمل صعوبة او عقبة يستحيل علينا تمهيدها فنسأل مثلاً ايمكن كتلة غاز على غاية اللطافة والرقة ان تدور كلها كما لو كانت قطعة واحدة او ليس الارجح ان يكون هناك دردور مركزيٌّ سريع تحيط بهِ اجزاءٌ تدور دوراناً بطيئاً . وما هي الاسباب التي تؤيد قول من يقول ان الحلقات انفصلت بفعل فواعل متقطعة او ليس المرجح انها تكونت من غاز يشعُّ من الجهات الاستوائية فيها اشعاعاً متصلاً غير متقطع .

والظاهر ان حلقة زحل هي التي حملت لا بلاس على القول بالمذهب المتقدم ولكن اتخاذ تلك الحلقة قياساً يقاس عليهِ يقودنا الى صعوبة جوهريَّة لا مخلص لنا منها . ولبيان ذلك اقول انهُ اذا اجتمعت دقائق المادة على شكل حلقة بجذب دقائقها بعضها لبعض فانما تجتمع حول مركز الثقل لتلك الحلقة كلها ثم تهبط اليهِ وتتحد بمادتهِ . وعليهِ فلا بدَّ من قوة اخرى خارجية غير جذب دقائق الحلقة بعضها لبعض ليتيسر لها التجمع وهذه القوة لا ذكر لها في مذهب لا بلاس . والطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الصعوبة ان يفرض ان الحلقة مستطيلة او غير متوازنة اي انها اكثف واثقل في جانب منها في الجانب الآخر وحينئذٍ تتجمع الدقائق حول نقطة داخل الحلقة ولكنها ليست في السيار . ويزعم كثيرون من العلماء ان الابعاد التي بين السيارات والشمس الآن تدل على سعة الحلقات الاصلية .ولكن ذلك ليس صحيحاً لان دقائق الحلقة انما تجتمع حول مركز ثقلها وهي حجة لم يقل بها احد قبلي على ما اعلم

ثم ان تجمُّع دقائق الحلقة غير المتوازنة حول نقطة داخلية يولّد ضرورة سياراً يدور دوراناً مماثلاً لدوران الحلقة الاصلية اي في جهة دورة الارض . ولكن السيار نبتون

واقماره تدور دوراناً متقهقراً · واغرب من ذلك ما اكتشفهُ بكرنج حديثاً وهو ان القمر التاسع من اقمار زحل يدور دوراناً متقهقراً واما السيار نفسهُ وحلقتهُ واقماره الثمانية فتدور دوراناً مستقيماً (اي ان القمر التاسع يدور من الشرق الى الغرب وزحل نفسهُ وسائر اقماره تدور من الغرب الى الشرق) ثم اني اشك في ما اذا كان التلسكوب يؤيد مذهب لابلاس حقيقة فان ما نراه به يدلُّ على ان السديم ينفصل على شكل لولبي لا حلقي

وليس المقام مقام افاضة وتفصيل فما تقدم يكفي لبيان ان المذهب السديمي لا يمكن ان يعوَّل عليهِ برمتهِ مهما تضمن من الحقائق الراهنة

***

قلنا في المذهب الاول الذي بسطتهُ امامكم عن اصل الشمس والسيارات انها تكوَّنت من تجمُّع النيازك الشاردة الآبدة في الفضاء وهذا يخالف مذهب لابلاس مخالفة جوهرية ولكن عنَّ لي منذ عدة سنوات رأي اوفق فيهِ بين هذين المذهبين . فان الغاز ليس مادة متصلة بل يتألف من عدد عظيم من الدقائق وهي تتحرك في كل جهة بسرعة عظيمة فتتلاحم وتتصادم · وقد قلت سابقاً انهُ اذا كثر التصادم بين مجموع من النيازك نشأ عن ذلك مادة لها كثير من صفات الغاز الميكانيكية مما يطابق الشروط التي وضعها لابلاس . وعليهِ يمكن حسبان السديم شبه غاز دقائقهُ النيازك ويكون النور الغازي الذي ينبعث من السديم ناشئاً عن اصطدام النيازك · واما النيازك نفسها فلا ترى اذ لا نور فيها · وقد حلَّل السر نورمن لكيرطيف السديم بالسبكترسكوب فاستدل منذ زمن طويل على ما يشبه هذا الرأي

على انني لا اريد ان اتشبث برأيي هذا لان مجموعاً من النيازك لا يستطيع المحافظة على صفات الغاز الميكانيكية الاَّ الى زمان محدود·· وزد على ذلك انهُ يصعب علينا ان ندرك كيف ان مجموعاً من النيازك المتحركة في كل جهة ظهر الى عالم الوجود كما قال الاستاذ تشمبرلن

تقدم القول انهُ اذا شئنا تفسير تكوُّن السيارات على حسب مذهب لابلاس وجب ان تكون الحلقات غير متوازنة او متقطعة · فاذا كان لا بد من ان نفرض الحلقة بعيدة عن الكمال الى حدّ ان لا تشغل سوى قوس صغيرة من الدائرة كان الأسهل لفهم الاطوار التي تقلبت السيارات واقمارها عليها ان تفرض كروية الشكل او ما يقارب الكروي منذ بداءتها. وهذا الفرض يصل بنا الى مباحث حاول الرياضيون تفسير تكوُّن السيارات واقمارها بها على طريقة تظهر لاول وهلة مناقضة لمذهب لابلاس

ولا يخفى ان حلَّ مسألة النشوء والارتقاء يتضمن البحث في الصور والاشكال الدائمة

والثابتة التي يسميها البيولوجيون انواعاً . والانواع التي ساتكلم عنها الآن يمكن ان تدرج تحت جنس شامل يتضمن جميع الصور المتنوعة التي يمكن ان يتخذها سائل يدور وهو معرَّض لعاملين الجاذبية والدوران. فلنبدأ اذاً بسيار كان سائلاً يدور مثل الارض ولنتصوَّر ان سرعة دورانهِ اخذت في الزيادة نجد بالحساب ان قوة مقاومتهِ لما قد يطرأ عليهِ من الاضطراب تصير اقل مما كانت عليهِ اولاً . وبعبارة اخرى ان ثبوتهُ اي بقاء شكلهِ على حالهِ يقلُّ بزيادة سرعتهِ حتى يبلغ حدًّا يزول ثبوتهُ عندهُ . ويصير شكلهُ حينئذٍ عرضةً للتغيُّر لان هذا الحدَّ بدءُ نوع جديد تختلف صفاتهُ عن صفات النوع الذي قبلهُ وتكون درجة ثبوتهِ او قدرتهِ على الاحتفاظ بشكلهِ ضعيفة جدًّا . وكلما زادت سرعتهُ يزيد ثبوتهُ اولاً حتى يبلغ معظمهُ ثم يأخذ يقلُّ حتى يدخل في دور انتقال جديد ويتحول نوعاً جديدًا . وهكذا يمرُّ من نوع الى نوع بزيادة السرعة

واول انواع السيارات مستدير عند خطهِ الاستوائي مثل الارض . والثاني بيضوي يشبه بيضة موضوعة على مائدة وهي تدور على جنبها . والثالث بيضوي ايضاً ولكن احد طرفيهِ آخذ في الانتفاخ حتى ينتأ منهُ ويصير كوصلة متصلة بهِ واخيرًا يصير النتوُّ كالبصلة ويبقى متصلاً بالجرم الاكبر من السائل بعنق مستدقة ثم تندقُّ العنق فتنفصل البصلة عن بقية الجرم فيصيران جسمين منفصلين يمكن تسميتهما بالسيار وقمرهِ . والحقُّ يقال ان هذا الانفصال خياليٌّ فرضيٌّ لان الرياضيين قصروا عن تتبُّع هذا العمل من اولهِ الى آخرهِ

هذا وان تحوُّل الانواع في الفرض الخيالي المتقدّم تمَّ بزيادة سرعة دوران السائل زيادة تدريجية . وقد يظهر ان هذه الزيادة المستمرة اعتباطية لا مثيل لها في الطبيعة ولكن الاجسام الحقيقية تبرد وكلما بردت تتقلص والتقلص يفعل في شكلها فعل زيادة السرعة وعليهِ فان ما تحدثهُ زيادة السرعة التي قد تظهر اعتباطية قد يحدث عن التبريد ايضاً . ثم ان الاشكال التي رسمتها بعد الحساب الدقيق عن حالة السيارات واقمارها في الدرجات الاخيرة من نشوئها وارتقائها تذكرنا ببروز البروتوبلازم من كتلة مادة حية ولعلنا نرى في ذلك ما يشبه شكلاً واحدًا على الاقل من اشكال تولد الكواكب المزدوجة والسيارات والاقمار

وقد كان نيوتن اول من عيَّن الشكل الاول من الاشكال المذكورة آنفاً بطريقة حسابية وتلاهُ جاكوبي فقال بالشكل الثاني ثم بوانكاره فقال بوجود شكل ثالث . وقد ظفرت انا بتعيين حدود الشكل الذي قال بوانكاره بوجودهِ تعييناً مدققاً و بالبرهان على انهُ شكل حقيقي ثابت

فهذه المباحث تبين لنا تكوُّن الاقمار على طريقة اكثر اقناعاً مما في مذهب لابلاس . ولا ينكر ان ما يترتب على ما افترضهُ لابلاس فيهِ كثير من الصحة ولكن تحوُّل الانواع على ما في المذهب الآخر اقرب الى الفهم . وعليهِ يرجح ان كلا المذهبين يتضمن حقائق لا ريب في صحتها وان كلاً منهما يفضل الآخر من بعض الوجوه

هذا وان جرم القمر اي مادتهُ جزء من ثمانين من جرم الارض على حين ان جرم تيتيان اكبر اقمار النظام الشمسي جزء من ٤٦٠٠ من السيار التابع لهُ وهو زحل . فبناء على هذا الفرق العظيم بين جرم قمر الارض واقمار السيارات لا يبعد ان تكون طريقة انفصال قمرنا عن الارض مختلفة عن طريقة انفصال الاقمار الاخرى عن السيارات التابعة لها . والمذهب الذي سأشرحهُ الآن يفترض وجود القمر اصلاً في مكان لا يبعد كثيراً عن سطح الارض الحاضر ثم ابتعادهُ عنها تدريجاً . فاذا صحَّ هذا المذهب امكننا ان نفرض ان القمر انفصل عن الارض قطعةً واحدة لا حلقة غازية على ما في مذهب لابلاس فاقول

اذا كان وجه السيار مغطى ببحور من الماء والهواء او كان السيار مؤلفاً من صخر مائع يقبل شكلهُ التغير من حال الى حال فلا بدَّ من تكوُّن امواج مدٍّ في اجزائهِ المتحركة طوعاً لجذب اقمارهِ والشمس لهُ . وهذه الامواج تقاوم دوران السيار بقوة الفرك حتى تعوقهُ عن الحركة رويداً . ولما كان الفعل وردُّ الفعل متساويين ومتضادين فان فعل الاقمار في السيار وهو ما يسبب فرك المدّ المذكور آنفاً يقابل ردَّ فعل من السيار في الاقمار فيؤَثر في حركتها

واذا فرضنا النظام المؤلف من السيار والقمر التابع لهُ نوعاً ثابتاً من الحركة فان فرك المدّ يدخل قوَّات تحدث تحوُّلاً مستمراً بطيئاً في شكل هذا النظام . فمن المهمّ اذاً ان نعود بعين الخيال الى الماضي ونتتبع سلسلة التغيرات التي نشأَت عن سبب دائم العمل مثل هذا (المدّ) لنعلم الحالة الاصلية التي انحطّ السيار وقمرهُ عنها شيئاً فشيئاً . وان ننظر بعين الخيال ايضاً الى المستقبل لنرى الى ايّ حدٍّ يصل بنا هذا التحوُّل . فلنبحث اذاً في دوران الارض والقمر معاً حول الشمس مفترضين ان فرك المدّ في الارض هو الفاعل الوحيد الذي يحدث تغييراً فيها

من المعلوم ان القمر يدور حول الارض على بعد ٢٤٠ الف ميل عنها ويتمُّ دورتهُ حولها في ٢٧ يوماً . ولما كانت الارض تتمُّ دورتها على محورها في ٢٤ ساعة فسرعة دورتها ٢٧ ضعف دورة القمر وفرك المدّ يبطئ حركتها . وعليهِ فلنعد بعين الخيال الى زمان كان طول اليوم فيهِ ٢٣ ساعة و٢٢ و٢١ و٢٠ وهلمَّ جرًّا الى ان نصل الى زمان كان اليوم فيهِ اقصر من ذلك ولكن ردَّ فعل القمر كان عاملاً في تلك المدة كلها فنتج عنهُ ان القمر كان يتمُّ دورتهُ حول

الارض في زمان اقصر من الزمان الحاضر وبالتالي ان الشهر القمري كان اقصر منهُ الآن . وهذه النتائج حقائق رياضية لا ريب فيها وان يكن ما يطرأ على حركة الارض والقمر من التغير يوماً بعد يوم لا يكاد يشعر بهِ ولا يقاس ولو بادق المقاييس الفلكية

ولنفرض ان معنى " اليوم " الوقت الذي تقضيهِ الارض في دورانها حول محورها بصرف النظر عن طولهِ . وان معنى " الشهر " الوقت الذي يقضيهِ القمر ليتم دورتهُ حول الارض بصرف النظر عن طولهِ ايضاً . فنقول انهُ وان تكن عدة ايام الشهر الآن ٢٧ يوماً واليوم والشهر كانا اقصر في ما مضى مما هما عليهِ الآن فليس ثمة ما يدلنا على ان ايام الشهر كانت اكثر او اقل من ايام الشهر الآن . لانهُ ان كان اليوم يطول الآن باسرع مما يطول الشهر فقد كانت ايام الشهر في ما مضى اكثر منها الآن وان كان الشهر يطول الآن اكثر مما يطول اليوم فقد كان عدد ايام الشهر اقل مما هو الآن

ويظهر من الحساب الدقيق ان اليوم لا بدَّ وان يطول الآن اكثر من الشهر ولذلك فقد مرَّ زمان كانت فيهِ ايام الشهر اكثر منها الآن اي انها كانت ٢٩ يوماً بدلاً من ٢٧ يوماً كما هي الآن . ولكن ذلك الزمان كان شبه فارق في تاريخ القمر والارض لان اليوم كان يقصر قبلهُ بابطأ مما كان الشهر يقصر . وعليهِ فقبلما كانت ايام الشهر ٢٩ يوماً مرَّ زمان كانت فيهِ مثلما هي الآن اي اقل من ٢٩ يوماً

وهذا يوصلنا الى نتيجة غريبة وهي ان معظم ما بلغتهُ ايام الشهر ٢٩ يوماً فلم تزد على ذلك البتة وان الارض والقمر جازا هذا الفارق حديثاً . ولكن الزمن الحديث في تاريخ الارض طويل جداً قد يكون ملايين من السنين

واذا عدنا القهقرى الى ما وراء ذلك وجدنا اليوم والشهر آخذين في القصر الى ان نصل الى زمان كانا فيهِ متساويين وكلٌّ منهما اربع ساعات او خمس . وحينما كانا كذلك كان القمر مواجهاً لجانب واحد من الارض دائماً فكان وجه واحد من الارض يقابلهُ دائماً كما ان وجهاً واحداً منهُ يقابلها الآن . وكان القمر حينئذٍ قريباً من الارض على بضعة الوف من الاميال عنها وهو الآن على ٢٤٠ الف ميل

ويمكن ان يستدل من ذلك على ان القمر انفصل عن الارض قُبَيْل الزمن المشار اليهِ آنفاً . وعلى هذا دليل اقوى وهو ان الحالة الابتدائية التي كان فيها القمر يجب ان تكون حركتهُ فيها غير ثابتة حتى ينتقل من حال الى حال

وقد رأينا في الكلام على حركة الجسم السائل انهُ يميل الى ان ينقسم قسمين ولو تعذَّر

علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الدقيقة التي يتم فيها هذا الانقسام . وكذلك اذا تتبعنا تاريخ جسمين كانا جسماً واحداً واحدهما لا يزال قريباً من الآخر صعب علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الزمن الذي كانا فيهِ جسماً واحداً

هذا من حيث ماضي الارض والقمر اما من حيث مستقبلها فاليوم الارضي والشهر القمري يطولان الآن شيئاً فشيئاً لكن اليوم يطول اكثر مما يطول الشهر فسيأتي زمان يتساويان فيهِ كما كانا متساويين في الزمان الماضي وحينئذٍ يصير طول كل منهما ٥٥ يوماً من ايامنا ولا يرى القمر حينئذٍ الاَّ وجهاً واحداً من الارض كما كان الحال حينما انفصل عنها في سالف الزمن ولكنَّ بين الحال الاول والاخير بوناً شاسعاً لان الحال الاول كان قليل الثبوت واما الحال الاخير فيكون كثير الثبوت

ثم ان النسبة بين القمر والارض متبادلة فيصح ان تحسب الارض قمراً للقمر . واذا كان القمر يدور على محورهِ كما كان يدور اولاً على ما يرجَّح فالارض كانت تحدث فيهِ مدًّا وجزرًا كما يحدث فيها الآن . وهو اصغر من الارض كثيرًا ففعل الارض بهِ اشد من فعلهِ بها ولذلك تدور ادوارهُ باسرع مما تدور ادوارها فقد بلغ الحالة التي يحسب ان الارض ستبلغها في مستقبل الزمان وهو يرينا الآن وجهاً واحداً كما ستريهِ الارض في المستقبل البعيد

واذا تساوى الشهر القمري واليوم الارضي ولم يكن في الكون غير الارض والقمر بقي هذا التساوي الى ابد الآباد ولكن الشمس تغيّر هذه النتيجة وتبعد زمن التساوي ولا ابحث في ذلك لان في النظام الشمسي ما يقضي باخلالهِ قبل ذلك الزمن على ما يرجح

هذا من حيث الارض وقمرها اما باقي السيارات واقمارها فلا يصدق عليها ما صدق على الارض وقمرها ولذلك يبقى الاعتماد على مذهب لابلاس لتعليل انفصال الاقمار الاخرى عن سياراتها

ثم ان مسألة الزمن الذي تكوَّنت فيهِ العوالم من اكثر المسائل اشكالاً فاذا اعتمدنا على مذهب لابلاس وهو المعروف بالراي السديمي لم نجد فيهِ ادنى مقياس للزمن وكذلك اذا اعتمدنا على الرأي النيزكي الذي يفرض ان الاجرام السموية تكونت من التقاء النيازك الصغيرة بعضها ببعض وتكوُّن الاجرام الكبيرة من مجموعها لان التقاءها هذا يقتضي ملايين الملايين من السنين ولمَّ ما بقي من شعثها يقتضي ملايين اخرى ولم يزل هذا اللمُّ جاريًا حتى الآن كما يرى من النيازك الكثيرة التي تجذبها الارض اليها كل سنة . وغاية ما يُقال عن الزمن الذي يتطلَّبهُ هذان المذهبان انهُ طويل جدًّا جدًّا اذا قدِّر بالسنين

ولا يقاس من كل الافعال التي فعلت في تكوُّن العوالم الاَّ الفرك الناتج عن المدّ والجزر فاذا كان هذا الفرك قد فعل منذ تولُّد القمر كما يفعل الآن فالزمن الذي مرَّ من حين تولد القمر الى الآن لا يقل عن ستين مليون سنة ولا بدَّ من ان يكون اطول من ذلك كثيرًا. ولا نبالغ اذا قلنا انهُ من خمس مئة مليون الى الف مليون سنة

وهذا الزمن ليس طويلاً في عرف الجيولوجيين الذين قدَّروا عمر الارض بوسائل اخرى تقريبيَّة مثل سمك الرواسب ومقدار ما تجرفهُ الامطار والانهار من الارض سنويًّا فوصلوا الى ان الزمن الذي مرَّ على الارض طويل جدًّا يقدر بمئات الملايين من السنين وهو بين مئة مليون والفي مليون سنة

وقد قدَّر جولي عمر الارض على اسلوب ادق من غيرهِ وذلك انهُ لما بردت الارض كان الماءُ كلهُ بخارًا يحيط بها فلما تكاثف وصار ماءً كان كلهُ عذبًا لا ملح فيهِ ثم صارت الامطار تقع على الارض وتذيب الملح من صخورها وتجري بهِ الى البحر فاخذ البحر يملح من ذلك الحين. ويسهل علينا الآن ان نعرف مقدار الملح في ماء البحر كلهِ ومقدار ما يصل اليهِ منهُ كل سنة بما ينصبُّ فيهِ من الانهار

فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحر على مقدار الملح الذي يصل اليهِ كل سنة عرف من ذلك عدد السنين وهو نحو مئة مليون سنة. فقد مرَّ مئة مليون سنة من حين شرعت الامطار تهطل على الارض. وفي هذا الاسلوب ابواب واسعة للخطإِ لكنهُ لا يزال ادق من كل الاساليب الجيولوجية التي امكن الوصول فيها الى تقدير عمر الارض بالسنين. ويمكنني ان اقول بنوع عام ان الادلة الجيولوجية تجعل عمر الارض بين خمسين مليون سنة والف مليون سنة والزمن الاول اقرب الى الصحة من الزمن الاخير ولذلك لا شيءَ فيها يناقض مذهب المدّ المتقدم ذكرهُ

الاَّ ان علماء الطبيعة يقدرون عمر الارض باقل من ذلك كثيرًا فانهم يحسبون حرارة الشمس حاصلة من تقلصها ومن وقوع النيازك عليها. وجرم الشمس معلوم فيعلم منهُ مقدار الحرارة التي تشع منها مهما كان مصدرها. ويعلم ايضًا مقدار الحرارة التي تصل الى الارض كل سنة واذا قسم مقدار الحرارة التي كان يمكن ان تتولد من جرم الشمس على مقدار الحرارة التي تشعُّ منها في السنة ظهر ان السنين لا تزيد على عشرين مليون سنة وذلك يقضي بان يكون عمر النظام الشمسي نحو عشرين مليون سنة لا غير

هذا دليل هلهلتز وهو مبطل لتقدير الجيولوجيين اما انا فكنت اعتقد دائمًا ان تقدير

الجيولوجيين اصح من تقدير الطبيعيين

والآن كُشف ما يوفق بين المذهبين وهو الراديوم الذي قوتهُ تفوق قوة الديناميت الوفاً من المرات على ما يظن فقد قدَّروا ان في الاوقية منهُ ما يرفع عشرة آلاف طن مسافة ميل فوق سطح الارض وان ٣٢ اوقية منهُ تكفي لتسيير سفينة كبيرة محمولها ١٢٠٠٠ طن مسافة ستة آلاف ميل بسرعة ١٥ ميلاً بحريًّا في الساعة. وقد اثبت المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يشع الحرارة من تلقاء نفسهِ فان كان في الشمس قليل منهُ كفى لتعليل ما يصدر منها من الحرارة. والادلة متوفرة الآن على وجود الراديوم فيها مع ان هذا البحث لا يزال في طفوليتهِ وعليهِ فليس في الدليل الطبيعي الذي ذكرهُ هلمهلتز ما ينقض ادلة الجيولوجيين من حيث طول الزمن الذي مرَّ على الارض من حين تكوَّنت الى الآن

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فتح الشبابيك ليلاً

كان الاطباء منذ عهد قريب لا يعتدُّون بتهوية المنازل في علاج الادواء بل كانوا يحمقون كلَّ طبيب يصف لمسلول فتح الطاقات والشبابيك ويتهمونهُ بقتلهِ عمدًا ولكن آراءهم تغيَّرت تغيُّرًا عظيمًا بعد ذلك فصاروا يصفون تهوية المنازل في جميع الامراض تقريبًا ويعدُّونهُ العامل الاكبر في معالجتها والشفاء منها . وقد اثبت الاختبار والفحص البكتيريولوجي ان نور الشمس والهواء النقيَّ اقتل الاشياء لجراثيم الامراض وميكروباتها

ومبدأ علاج الامراض بالهواء النقي هو انهُ بدلاً من استعمال الوسائط الصناعية كالعقاقير الطبية لتقوية الجسم في مقاتلة الميكروبات الضارَّة التي تسطو عليهِ يفضّل استعمال القوى الطبيعية لبلوغ تلك الغاية فيكون التأثير اشدَّ والنتيجة اثبت واذا كان استخدام القوى الطبيعية لمقاومة الامراض التي تفتك بالجسم يفيد الفائدة المطلوبة فأحرِ بها ان تستخدم لصيانتهِ منها وتحصين اسوارهِ دونها فلا تقوى على دخول ابوابهِ . فان منع الداء قبل دخولهِ ايسرَ من طردهِ بعد حلولهِ

ومن الغريب ان الانسان لا يحتمل الاقامة طويلاً في غرفة قد أُغلقت شبابيكها نهاراً ومع ذلك تراهُ ينام ثماني ساعات متوالية او اكثر في غرفة أُغلقت شبابيكها ليلاً ولا يبالي ولعلَّ لذلك سببين الاول انهُ اذا فسد هواء الغرفة لم يشعر النائم باقلّ انزعاج واذا شعر بضعف وصداع نسبهما الى اسباب اخرى غير فساد الهواء . والثاني اعتقادهُ ان ما في الابواب والشبابيك من الشقوق المؤذنة للهواء يكفي لتجديد هواء الغرفة . نعم ان الهواء يتجدد بعض التجدد بواسطة الشقوق ولكن ذلك لا يكفي ولا يعتدُّ بهِ

هذا وان جسم الانسان اشبه شيء بمستنبت للميكروبات . والميكروبات منها ما هو نافع ومنها ما هو ضارٌّ . وفي الجسم خلايا خصوصية متفرقة هنا وهناك تثير على الميكروبات الضارة حرباً عواناً فهي حماة الصحة . وسلاحها الوحيد الذي تحتاج اليهِ في حربها انما هو الاكسجين ومصدرهُ الهواء النقي والغذاء الكافي فالميكروبات التي تلتقي بهذه الخلايا ينالها ما ينال البزور التي تقع في تربة صخرية

على ان كثيرين يعترضون على تهوية غرف النوم ليلاً باربعة امور الاول ان هواء الليل مضرٌّ . والثاني ان فتح الشبابيك يعرّض النائم للمجاري الهوائية . والثالث انهُ يعرّضهُ للبرد . والرابع ان هواء الليل كثير الرطوبة . وهي اعتراضات لا صحة لها فان هواء الليل ليس مضرًّا بل هو انقى من هواء النهار لقلة الغبار والدخان ليلاً . اما المجاري الهوائية فيمكن تجنبها اما بوضع حاجز بين سرير النائم والشباك المفتوح واما بفتح الشباك كلهِ فتقل سرعة الهواء الداخل منهُ . وعليهِ فكلما وسع الشباك قلَّت سرعة مرور الهواء فيهِ وقلَّت المجاري الهوائية . اما البرد فيمكن تجنبهُ بزيادة الغطاء . واما الرطوبة فخير ما يقال فيها ان الهواء في غرفة النائم المغلقة اكثر رطوبة من الهواء الخارجي لكثرة ما تفرزهُ الرئتان منها

ويقال اخيرًا انهُ ظهر من علاج السلّ في السنوات الاخيرة ان نور الشمس والهواء النقي اضمن الاسباب لحفظ الصحة ومقاومة المرض وانهما يفعلان ما لا تفعلهُ جميع العقاقير

عطر الورد

ان كثيرات يفضلنَ عطر الورد على غيرهِ من العطور وهو غالي الثمن ولكن النقطة منهُ تعطر زجاجة او خزانة فاذا وضعت ١٢ درهماً من السبيرتو في حنجر وصبيت عليها نقطة واحدة من عطر الورد الصحيح فيكون من ذلك عطر جيد لتعطير المناديل

واذا نقّطت نقطةً واحدة من عطر الورد على منديل ووضعتهُ تحت المناديل انتشرت الرائحة العطريَّة فيها كلها

واذا مُلئ حنجر واسع الفم بالقطن ونقطت فيهِ ثلاث نقط من عطر الورد بعد ان تمزجها باثنتي عشرة نقطة من الغليسرين ووضع في درج على جنبهِ تعطّر كل ما في الدرج من الثياب

واذا مزجت الغليسرين بقليل من عطر الورد وصببتهُ على سليخة من القطن ووضعتها في خزانة الثياب لا تلبث ان تتعطر الثياب برائحتها

وقد جرت العادة الآن ان تعطَّر الحلى بوضعها في علبة فيها حشايا معطَّرة

الشعر وماء البحر

ماء البحر يضرُّ الشعر فيجب على السيدات اللواتي يغتسلن في البحر ان يقين شعرهنَّ منهُ واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بالماء السخن حالاً بعد الخروج من البحر ودهنهُ بسائل يقوي الشعر . ولا بدَّ من نزع كل آثار الملح من بين الشعر والاَّ اضرَّت بهِ . واذا تشققت اطراف الشعر فاحرقها مرة كل شهرين او ثلاثة

اللبن (الحليب)

اللبن طعام يجلب السمن لشاربهِ على شرط ان يلائم مزاجهُ . فاذا شرب بارداً وجب ان يمتص شيئاً فشيئاً وذلك لانهُ متى بلغ المعدة تخثَّر بسبب حموضتها فاذا جرع كما يجرع الماء تخثَّر كتلاً كبيرة يعسر على العصارة المعدية اختراقها لهضمها . ويحسن مزج اللبن بقليل من ماء الجير

منع سقوط الشعر

من الوصفات الحسنة لمنع سقوط الشعر ان يؤخذ ٣٠ نقطة من صبغة الذرَّاح (كنثريدس) ونصف ملعقة من الملح العادي و ٦ اواقيَّ من الروم ثم تمزج معاً ويفرك بها الموضع الذي اخذ الشعر يسقط منهُ فاذا جفَّ الشعر فليدهن بقليل من زيت الخروع

فائدة الماء السخن

اذا شرب الماء السخن كلَّ ليلة قبل النوم اصلح الهضم وأبعد الأرق وحسَّن رواء الوجه واذا احسَّ احد بألم في ظهرهِ فليضع عليهِ كيساً من الماء السخن او بألم في رأسهِ فليضعهُ على قفاهُ . واذا التهبت العينان فلتغسلا بالماء السخن او تعبت القدمان فلتغطسا فيهِ

فائدة التربنتينا

اذا دهن مكان الحرق بزيت التربنتينا زال المهُ وسهل شفاؤُهُ . واذا دهنت بهِ البثور منع ورمها . واذا رشَّ نقط منهُ في الصناديق والادراج والخزائن سلمت الملابس التي توضع فيها من العثّ

غسل الاطفال

عند ما يغسل الطفل يجب ان تكون حرارة الماء معتدلة وواحدة وتقاس حرارتهُ بتغطيس المرفق فيهِ لا اليد . ويجب ان تكون الغرفة التي يغسل فيها حارّة غير معرَّضة للمجاري الهوائية . ويجب ان لا يغسل الطفل بعد الطعام رأساً خشية ان تنتابهُ نوب عصبية

نوم الاطفال

يجب ان ينوَّم الاطفال في غرفة فتحت نوافذها قليلاً لتهويتها وان تكون الغرفة معرضة لنور الشمس فقد ورد في بعض الامثال القديمة انهُ حيث لا تدخل الشمس يدخل الطبيب

نزهة الاطفال

يجب ان يخرج الطفل للنزهة مهما كانت عليهِ حالة الهواء الاَّ اذا كان متوعك المزاج . فان اخراجهُ للنزهة في يوم دون آخر يعرّضهُ لكثير من الادواء



قواد الغرب وقواد العرب

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

التمس منكما ان تنشرا لي هذه الجملة على صفحات المقتطف ولكما الشكر سلفاً

بينما كنت اسرح ناظري في رياض المقتطف الزاهر عثرت على جوابكم لسؤالي في العدد الثامن عن حجة تؤيد افضلية قواد العرب كقتيبة وغيرهِ على قواد الغرب كنبوليون وغيرهِ كما ذهب حضرة الكاتب الفاضل رفيق بك العظم ورأيتكم تتجافون عن الحكم الفصل

في هذه المسألة لانكم قلتم ان المقابلة بين القواد العظام ليست بالامر السهل بل هي تقتضي نصباً كبيراً للوصول الى الضالة المنشودة . فها كم بعض الوجوه التي اذا روعيت حق الرعاية دلّت دلالة صريحة على اخذ قواد الغرب كنبوليون المحل الاول واخذ غيرهم من قواد الارض المحل الثاني . ان عظمة نبوليون لم ينلها صدفة او اتفاقاً بل هي متسببة عن مواهب كانت في دماغهِ ولم تكن في دماغ غيرهِ وهو القائد الذي صادر الدول الاوربية على ما بها من فخامة الملك ونازل ملوكها في بلادهم واستطاع ان يستظهر عليهم في مواقع عدة مع انهم كانوا متعاونين عليهِ عاقدين النية على اجتياح دولتهِ واقتلاع جرثومتهِ . ويعلم الذين قرأوا تاريخ نبوليون ان الاحوال التي وجد فيها لم تساعدهُ على صيرورتهِ من اكبر القواد المعدودين في الارض انما الذي جعلهُ خليقاً بذلك هو ذكاؤهُ وعزمهُ وحزمهُ . ثم اننا اذا نظرنا الى موسى بن نصير مثلاً ومولاهُ طارق اللذين فتحا اسبانيا نجد ان احوال زمانهما كانت لهما من المنشطات المشجعات خلافاً لنبوليون فان احوالهُ كانت من المضعفات المثبطات واليك بيان ذلك . لما عزم العرب على فتح اسبانيا كانت قد ساد فيها الفساد وانتشر الضعف حتى لما دخلها العرب لم تكن لتقوى على مقاومتهم ناهيك عما جرى من الخيانة في تسليم البلاد لخلف بين زعماء الامة ورؤسائها وقس على ذلك كل فتوحات العرب . وقد ذهب فلاسفة العمران الى ان فلاح العرب كانت علتهُ مفاسد بين دولة الروم والفرس وضعف في الدولتين فجاءتهما الدولة العربية على حين غرة واستولت عليهما غنيمة باردة ولم تلفِ وازعاً يزع او مقاوماً يقاوم فالقائد الذي فتح اسبانيا في مثل هذه الحال ليس جديراً ان يدعى اعظم من نبوليون . ويدهشني الغلط الذي ارتكبهُ حضرة رفيق بك في تفضيل موسى بن نصير او قتيبة على نبوليون بمجرد وقعة لا تستحق الذكر مع ما هو عليهِ من التضلع في علم العمران وسعة علمهِ بمثل هذه الاشياء . اما هنيبال القائد القرطاجني فلا يقل عظمة عن نبوليون فانهُ دخل منذ نعومة اظفارهِ في معارك الحياة وناصب دولة الرومان اعواماً متوالية وانتصر عليها في مواقع عديدة تخلف ذكراً لا تخلقهُ العصور بمرورها ولا تهرمهُ الدهور بكرورها . وانتصار هنيبال على دولة طار نسرها في كل جو وعقدت رايتها في كل ارض لما يوهلهُ ان يكون اعظم قائد بخلاف عبد الله الغافقي وغيرهِ من الذين لم يذكر لهم التاريخ افعالاً تجعلهم خلقاء بان يعدوا من اعاظم القواد

لما كنا نقرأ التاريخ وفلسفتهُ على العلامة الدكتور بورتر سألناهُ مرة ان يذكر لنا القواد العظام فذكر نبوليون وهنيبال والاسكندر ويوليوس قيصر ولم يذكر قتيبة ولا عبد الله بن

الغافقي ولا موسى بن نصير ولا خالد بن الوليد ولا سعد بن ابي وقاص ولا عبد الرحمان ولا ادري سبباً لذلك الاَّ ان اولئك القواد الذين ذكرهم راسخة اسماؤُهم وصورهم في ذهن كل موَّرخ ومتخرج في فلسفة التاريخ لما قاموا بهِ من عظائم الافعال فتذكرهم الالسنة قبل غيرهم. وما قدَّمتهُ لا يمنع ان يكون قواد العرب من اعاظم القواد ولكنهُ يدلُّ على انهم ليسوا اعظم قواد الارض قاطبةً واعظم من نبوليون وهنيبال والاسكندر وقيصر

حمص خليل يعقوب الخوري

"مدير مدرسة الجبلية حمص"

فرس البحر

سيديَّ منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما ذكر في باب المسائل من الجزء التاسع من المقتطف الاغر عن فرس البحر ووصفهِ وقد شاهدت هذا الحيوان عياناً ومكثت طويلاً في البلاد التي يسكنها وعاشرت القوم المولعين بصيدهِ فاتيت بهذه الرسالة لازيد القراء الكرام بياناً عن هذا الحيوان الغريب وعن الطرق التي يتخذها سكان هذه البلاد في صيده فاقول :

اصطدنا بالامس واحداً منهُ ثقلهُ نحو ٩٠ قنطاراً مصريًّا بعد ان أُطلق عليهِ ٢٩ رصاصة اصابتهُ كلها واستعملنا في جرهِ اقوى الحبال فتقطعت مراراً وقد بقي سكان كدوك الذين يزيد عددهم عن ١٥٠٠ نفس خمسة ايام ياكلون من لحمهِ. اما الطرق التي يتبعها الصيادون في صيدهِ فتختلف على اختلاف قبائلهم فالذين من قبيلة الشلوك يصطادونهُ بالطريقة الآتية

يذهب رجل الى المكان الذي يكثر صعود الحيوان اليهِ للرعي ويختبئُ بحيث يرَى ولا يُرى وعند صعود الحيوان يطعنهُ بحربة ذات اسنان متعددة ومشعبة الرأس كالصنارة تدخل في جلدهِ فيصير من الصعب اخراجها وقد ربط بها بحبل مصنوع من جلد فرس البحر نفسهِ قطعة من الخشب الخفيف العوَّام تدل الصياد على محل الحيوان بعد نزولهِ واختفائهِ في الماء واذ ذاك يتبعهُ عن بعد عدد كبير من الرجال بقواربهم فيمسكون طرف الحبل المربوطة بهِ الحربة ويشدونهُ فيكثر الم الحيوان من جرحهِ ودخول المياه اليهِ ويخرج الى البر فيهجمون عليهِ ويكثرون من طعنهِ حتى يموت وان لم يمت وعاد الى الماء يكون قد زاد عدد الحراب المشعبة التي في جسمهِ وكل منها قد ربط بها حبل متين يشد بهِ فلا يعود يستطيع احتمال آلام جراحهِ والاستمرار على المقاومة فيطاوعهم ويخرج ثانية الى البر فيجهزون عليهِ

وهم يستعملون في صيدهِ الحبال المصنوعة من جلدهِ لان سواها غير متين يسهل عليهِ قطعهُ والافلات منهم

اما الدينكا فالبعض منهم يصطادهُ بهذه الطريقة والبعض الآخر يغوص وراءهُ ويقتلهُ في الماء . والنوير يختبئون لهُ بين الحشائش وعند خروجهِ يضربونهُ بحربة كبيرة على قوائمهِ فتنكسر ولا يبقى لهُ قدرة على الهرب

واسلم هذه الطرق طريقة الشاوك المار ذكرها والحربة التي تستعمل تسمى عند اهالي السودان العرب "بادنجو" وباللغة الشلكاوية "لونج" . والحيوان كبير في هذه الجهات يخرج الى البر ويرعى الحشائش كالبقر وهو يقلقنا دائماً بصوتهِ الذي يشبه قباع الخنزير ولكنهُ اعلى منهُ كثيرًا . ومن جلد هذا الحيوان تصنع الكرابيج والعصي المشهورة

كدوك في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ فؤاد مغبغب

باشكاتب مديرية اعالي النيل

تصحيح خطإٍ

الى العلامتين الفاضلين منشئي المقتطف الازهر

ورد اليَّ المقتطف الاخير فاستقبلتهُ بما عودتهُ من البشر وجاءني بما عودني من جزيل الفوائد . فقلبت صفحاتهِ البيضاء فوقع نظري فيهِ على آخر ما نقلتموهُ في باب التقريظ والانتقاد من كتاب "حقوق المرأة في الاسلام" وهو

"وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبتهِ انهُ يروم "ابطال عادة دفع المهر للزوجة" فقامت احدى النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة "يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ . فرجع الخليفة عن عزمهِ"

فرأيت في هذه العبارة تحريفاً كبيرًا وخطأً كثيرًا لا ادري اذا كانا من المؤلف او من المعرب واحتمال كونهما من المعرب اقرب . فعدت الى الذاكرة الضعيفة فرأيتها تحفظ هذه العبارة بوجهٍ اصح . فاستمليتها فأملت عليَّ ما ارسلهُ الى المقتطف ليجود بنشرهِ كعادتهِ من الانصاف وتحرّي حقائق التاريخ

لما صعد عمر رضي الله عنهُ المنبر قال بلغني انكم تغالون في مهر الزوجة واحب ان ارجعهُ الى مثل مهر فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وهو قليل . فقامت امرأة من المسلمات فقالت ولكن

الله يقول غير ما تقول يا امير المؤمنين فاصغى اليها وقال وما يقول الله قالت يقول الله في كتابهِ الكريم

" وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا "

فقال عمر اصابت امرأة واخطأ عمر حسين عبد الفتاح الجمل



شرح قانون المحاكمات الجزائية

قانون المحاكمات الجزائية في الممالك العثمانية يقابل قانون العقوبات في القطر المصري . وقد شرحهُ حضرة الاصولي الفاضل والقانوني المدقق سليم افندي رستم باز مفتش عدلية لبنان سابقاً واهدى الينا نسخة منهُ فتصفحناها بقدر ما سمح لنا الوقت فرأينا الشرح وافياً في مقاصدهِ لا يتردد الواقف عليهِ في الحكم بان صاحبهُ الفاضل عانى فيهِ الصعاب حتى خرج صحيح العبارة مسترسلها دقيق المعاني مبسوطها . قال في مقدمتهِ

" يراد باصول المحاكمة الجزائية طريقة تحقيق الجريمة ومحاكمة فاعلها وانفاذ الحكم فيهِ ولما كان الغرض المقصود من قانون الجزاء تحديد العقاب لكل جريمة كان مرمى ذلك الغرض من اصول المحاكمة اخراج هذا الوعيد الى حيز الفعل بطريقة تعصم من الخطإِ في كيفيتهِ وبذلك تعرف اهمية اصول المحاكمة وصعوبة مسالكها . ولقد كان هذا الامر من اهم المشاغل التي تفرغ لها في جميع الاعصار كل من عُني بوضع القوانين شرقاً وغرباً حتى استفرغت آراءهم واستنفدت اعمارهم لان الخطأ في هذا الباب جسيم الغائلة وخيم العاقبة لا يقاس بهِ غيرهُ من مزلات العقل الانساني ومغالطهِ فغاية ما ينتقد بهِ على قانون الجزاء مثلاً انهُ لا يخلو عن اللين في موضع الشدة وعن الشدة في موضع اللين فالاول لا يعبأُ بهِ لان الرفق بالمجرم لا يتأتى منهُ كبير ضرر اما الثاني فلا يعد جورًا ولو كان مما يؤْسف لهُ لان العقوبة فيهِ واجبة وانفاذ العقاب عادل من حيث هو هو ولا يقدح فيهِ سوى الشدة لا غير وهذا مما يغتفر لهُ وخصوصاً لانهُ نادر الوقوع ولكن اين ذلك من الخطإِ الذي يقع في المحاكمة فيضل الحاكم عن سبيل الحق اذ هناك يتملص الجري من العقوبة ويُقاد البريءُ بجريمة غيرهِ وهذا مما ترتعد لهُ فرائص العدل والانسانية "

وترى في كل فصل من فصول هذا الشرح ادلة على اعتناء الشارح ببسط الاحوال واقامة الادلة كقولهِ في الكلام على وجوب محكمة التمييز التي حُرِم منها القطر المصري قال

"(٧٩١) من ابدع ما وضعهُ الشارع عند ما سن قوانين العدلية الجديدة ومن اجلّهِ نفعاً وعائدةً طريقة تمييز الحكم اذ من المعلوم انهُ لا يمكن صون المحاكم عن الخطاء في تطبيق الاحكام القانونية على الحوادث كما لا يمكن اتفاق آرائها في تفسير معاني القانون وما غمض من دقائقهِ فلو تركت المحاكم وشأنها تفسر القانون كما ترى لتشردت احكامهُ وتمزقت كل ممزق وتباينت معانيهِ وتضاربت بتضارب الآراء في تأويلها وتفسيرها فيصير ما يقضى بهِ هنا غير ما يقضى بهِ هناك واذا تمادى الامر تصدعت وحدة القانون وانقطع نظامهُ وصار كأن لكل ولاية بل لكل قضاء قانوناً مستقلاً في ذاتهِ والحال ان الركن الاساسي في العدل التسوية بين الرعية في الاحكام القانونية فلا يصح ان يعاقب الرجل هنا على عمل يعدُّ هناك مباحاً كما لا يجوز ان تكون مدة الاستئناف في هذه الولاية عشرة ايام وفي غيرها احد عشر يوماً لان هذه تطرح من المدة يوم التبليغ وتلك لا تطرحهُ الى غير ذلك من الاختلاف في الحكم بسبب تباين الآراء واختلاف المذاهب في التفسير والتأويل . ولا يمكن تلافي هذا المحذور الاّ بوضع محكمة سامية لكل المملكة خاصتها ان تنتقد الحكم فتؤيدهُ اذا كان موافقاً للقانون وتنقضهُ اذا كان مخالفاً لهُ وانما لا يكون لها ان تحكم بالدعوى بل تعيدها الى المحكمة الّتي حكمت بها او الى محكمة اخرى لتراها مجدداً من النقطة التي وقع فيها النقض فما يليها وبذلك تعلم المحاكم ما يقع من الخطاء والصواب في الحكم فتجتنب الاول وتعتمد الثاني وتجري كلها على مذهب واحد في التأويل والتفسير فيتوحد القانون في جميع انحاء المملكة لفظاً ومعنىً" انتهى

وغنيٌّ عن البيان ان احكام المحاكم المصرية صارت كثيرة التناقض والتضارب ولا سيما اذا قوبلت احكام المحاكم المختلطة باحكام المحاكم الاهلية فعسى ان يرى اولياء الامر ما يسهل لهم انشاء محكمة خصوصية لتمييز الاحكام لان محكمة النقض والابرام صارت عبئاً ثقيلاً على القضاة

والكتاب ضخم الحجم يزيد على الف صفحة مثل صفحات المقتطف ولهُ فهرس هجائي مسهب لتسهيل المراجعة . ولا غرابة اذا جاء كما وصفنا من البيان والسهولة لكثرة ما لصاحبهِ من الجولات في ميدان القضاء فقد شرح "المجلة" "وقانون الحقوق" قبلهُ وتولّى القضاء في محاكم لبنان سابقاً وهو الآن من مشاهير المحامين فيهِ وفي بيروت

الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة

هي رسالة في بيان فضل العفاف للقس ماير الانكليزي الخطيب الشهير ترجمها الى العربية حضرة عيسى افندي الحلو في طرابلس الشام . وقد ذكر فيها الاخطار الادبية التي تعرض للشاب في سنّ بلوغهِ وما بعدهُ وقال انها ثلاثة الاغواء والخطيئة السرية الانفرادية ومعاشرة السفلة واردفها باربع حقائق وهي اولاً ان العفة دعامة الصحة . وثانياً ان الزواج ناموس مقدس والعفة واجبة فيهِ . وثالثاً ان لطالبي العفة وسائل تمهد لهم السبيل اليها . ورابعاً ان العفة مطلب الدين والآداب

والخلاصة ان هذه الرسالة جليلة في بابها . ولكن لمَّا كان الخطاب فيها موجهاً الى جميع الاحداث والشبان على اختلاف طبقاتهم وتفاوتهم في المعرفة والعمر فقد كان اجدر بها ان تكون اسهل مأخذًا وابسط عبارة لان معظم الذين يقصدون بها يشكل عليهم فهم كثير مما ورد فيها

كتاب الحيوان

لأبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وهو من اوسع الكتب العربيَّة واغزرها فوائد واندرها وجودًا عندنا نسخة منهُ ليس لها الاَّ شقيقة واحدة في القطر المصري نقحها المرحوم السيد محمود الشنقيطي . وقد تولى طبعهُ الآن حضرة الحاج محمد الساسي المغربي التاجر في مصر ونشر الجزء الاول منهُ وفيهِ نحو مئتي صفحة كبيرة وسيكون الكتاب نحو سبعة اجزاء او نحو ١٤٠٠ صفحة

الجغرافية الجديدة

ألَّف هذه الجغرافية بالانكليزية حضرة الاديب احمد افندي حافظ واهداها الى سعادة سابا باشا مدير البوسطة العام ثم طبعها طبعة ثانية وهي مطابقة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومطبوعة طبعاً متقناً وفيها كلام ضافٍ عن مصر والسودان وسكانهما واقليمها وتجارتهما وسائر ما يتعلق بهما

قاموس أنكليزي وعربي

وضعت هذا القاموس ادارة المكتبة العمومية لصاحبها الاديب سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ووقف على طبعهِ حضرة عزتلو الياس افندي جرجس طراد وهو يشتمل على ثلاثين الف كلمة واكثر وثمنهُ خمسة فرنكات وربع خالصة اجرة البريد

ديوان تذكار الصبا

نظم هذا الديوان الرقيق فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد فنفدت الطبعة الاولى فطبع ثانية على نفقة جرجي افندي غرزوزي صاحب المطبعة المعروفة باسمهِ في الاسكندرية فنثني على اهتمامهِ بالآداب

مراثي الشعراء

وهي المراثي التي نظمت في رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم محمود باشا سامي البارودي جمعها حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المجيد خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية "ذكرى خالدة للفقيد" وصدرها برسم الفقيد وترجمتهِ وبعض منتخبات من نظمهِ وفصل في اخلاقهِ وشعرهِ وآخر في مشهدهِ . ويلي ذلك المراثي التي تلاها اماجد الشعراء في حفلة الاربعين ثم المراثي التي نظمها غيرهم وبعثوا بها الى حضرة جامع الديوان

التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية

اتحفنا حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس بنسخة من كتابهِ "التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية" بعدما نفدت طبعتهُ الاولى وطبعهُ مرة ثانية مضيفاً اليهِ زيادات كثيرة وقد ضمنهُ كثيرًا من المفردات والجمل والاصطلاحات والتصاريف والمراسلات مما لا غنى لطالبي اللغة الانكليزية عن استيعابهِ

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الرابع

يقول علماء البيان ان قول الكافر انزل السحاب المطر يطابق الاعتقاد ولكنهُ لا يطابق الواقع وقول المؤمن انزل الله المطر يطابق الاعتقاد والواقع معاً . وعلى هذا النحو جرى اكثر الاقدمين في بحثهم عن الحوادث الطبيعيَّة والتاريخية فكانوا ينسبونها الى قوة الهية لكي لا يُنسبَوا الى الكفر لكن جمهور الناس لم يجروا هذا المجرى في اعمالهم فرأَوا بالاختبار ان الحرث والري ينبتان البزر والخدمة والسماد يزكيانهِ فاعتمدوا على حرث الارض وريها وخدمتها وتسميدها . وان السلاح والتمرُّن على القتال ادعى للظفر من التوكل فنظموا الجنود وسلحوها ومرَّنوها . ورأَوا ان العلل

المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ففسروا حوادث الماضي بادلة الحاضر واخذوا تاريخ العصور السالفة وطبقوهُ على القواعد الكلية التي استنتجوها من تاريخ العصور الحاضرة فادركوا اسبابها ومسبباتها وصار التاريخ علماً معقولاً بعد ان كان مقصوراً على سرد الحوادث من غير ارتباط بينها ومن غير نظر في صحتها

وقد اراد صديقنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشئ مجلة الهلال الجري على الخطة العلمية في تاريخ العرب فجمع كثيراً من موادهِ بعضها مما هو متداول من الكتب وبعضها مما يندر العثور عليهِ في المكاتب الشرقية او مما لم يعثر عليهِ الاَّ الاوربيون وبوَّب ذلك وجمع منهُ كتاباً كبيراً اصدر منهُ الى الآن اربعة اجزاء ووعد باصدار الجزء الخامس وبهِ تتمة الكتاب

وقد ذكرنا الاجزاء الثلاثة الاولى حين صدورها وامامنا الآن الجزء الرابع الذي صدر هذا الصيف وفيهِ ان اهل اللغات الاخرى في العالم الاسلامي احتفلوا بالاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب واعجب كبار العلماء المستشرقين في اوربا بموضوعها وقد اخذوا يشتغلون بنقلهِ الى السنتهم ونشرهِ بين مواطنيهم وبعض هذه الترجمات قد طبع ونشر ولا يزال البعض الآخر تحت الطبع والآخر تحت الترجمة

وموضوع الجزء الرابع سياسة الدول الاسلامية في خمسة عصور الاول العصر العربي الاول من ظهور الاسلام الى انقضاء الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية والثاني العصر الفارسي الاول من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٣ والثالث العصر التركي الاول من خلافة المتوكل الى تسلُّط الديلم سنة ٣٣٤ والرابع العصر العربي الثاني من قيام الدولة الفاطمية الى انقضائها والخامس العصر المغولي من ظهور جنكيز خان الى وفاة تيمور لنك .

وقسم كلاً من هذه الاعصر الى فصول وابواب ضمنها كثيراً من الفوائد التاريخية التي لا يعثر عليها الاَّ في المكاتب الحافلة فكيفما قلَّبت الكتاب تجد مباحث طلية تودُّ مطالعتها وفوائد جليلة ترغب في الاحتفاظ بها والرجوع اليها لا سيما وانها مستندة الى كبار المؤرخين مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزي والمسعودي والفخري وابن خلكان

واننا نؤْثر عنهُ فصلاً وجيزاً موضوعهُ الشعوبيَّة والعرب انموذجاً منهُ وهو

"وفي ايام المأمون ومن جاء بعدهُ تظاهر الشعوبية بالطعن على العرب وكان المأمون يقرّبهم ويجعلهم من بطانتهِ ويجيزهم ومنهم سهل بن هارون قيم بيت الحكمة وكان شديد التعصب على العرب وابو عبيدة الراوية الشهير وعلان الشعوبي . والف الشعوبية الكتب في ذكر مثالب العرب والردّ على القائلين بتفضيلهم على سواهم من الامم

والشعوبية يقولون بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم ايضاً " اهل التسوية " ومن اقوالهم في الردّ على العرب ان النبي نفسهُ ساوى بين المسلمين على اختلاف مللهم بقولهِ " المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على سواهم " وقولهِ في خطبة حجة الوداع " ليس لعربي على عجمي فضل الاَّ بالتقوى " وما جاء في القرآن " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . والشعوبية ينوبون بدفاعهم عن كل امم الارض في ذلك العهد الاَّ العرب فاذا افتخروا بملوكهم ذكروا الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وافتخروا بسليمان الحكيم والاسكندر الكبير وبملوك الهند . واذا فاخروهم بالانبياء والمرسلين ذكروا الانبياء من آدم الى ايامهم وانهم جميعاً من غير العرب الاَّ اربعة هم هود وصالح واسماعيل ومحمد . واذا فاخروهم بالعلم والصناعة والفلسفة ذكروا اختراع لعبة الشطرنج ورمانة القبان والاسطرلاب وفخروا بفلسفة اليونان واشعارهم وسائر علومهم وعلوم الهند والفرس وغيرهم . وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردودهِ ان قال " فما الذي تفخر بهِ العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض فرجالها موثقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل " (١) واستشهدوا على ذلك بابيات من اقوال العرب تدلُّ على ضعف غيرتهم على العرض وقالوا " لا يفلح العربي ان لم يكن معهُ نبيٌّ ينصرهُ " (٢) وعيروهم باستلحاق الادعياء ونظموا الاشعار طعناً فيهم . وممن نظم المطاعن عليهم الحسن بن هانئ وبشار بن برد وغيرهما على ان بشاراً كان تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء

وقام المتعصبون للعرب فألفوا الكتب في الردّ على الشعوبية . ومن اشهر ما الف في ذلك كتاب " تفضيل العرب " لابن قتيبة وقد ردّ الشعوبية عليهِ في مناظرات يطول شرحها . وفي كل حال فان السياسة وطبيعة العمران قضت بذهاب دولة العرب " انتهى

والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وفي تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبَّه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولا سيما في تاريخ نصفهُ منقول عن السنة الرواة

---

(١) العقد الفريد ٦٩ ج ٢ (٢) ابن الاثير ٥٧ ج ٢

باب الزراعة

السكّر وقصب السكّر

ان الحلاوة التي في الاثمار المختلفة سببها السكّر ولكن السكّر الذي في القصب لا يوجد في كل الاثمار بل في بعضها فالسكّر الذي في المشمش من نوع السكّر الذي في القصب ولكن السكّر الذي في العنب من نوع آخر يسمَّى سكَّر العنب كما ان الاول يسمَّى سكَّر القصب

وسكَّر القصب موجود بكثرة في القصب والبنجر السكَّري والسرغم والاناناس والقيقب السكَّري والشليخ والمشمش ومقداره فيها مختلف كما ترى في هذا الجدول

في قصب السكر	من ١٥ الى ٢٠ في المئة
وفي البنجر	من ٨ الى ١٨ "
وفي السرغم	من ٩ الى ١٤ "
وفي الاناناس	١١ "
وفي القيقب السكري	٥ "
وفي الشليخ (كبوش القش)	من ٥ الى ٦ "
وفي المشمش	من ٥ الى ٦ "

ويوجد سكر القصب على قلة في الجمَّار واصول الذرة

وقد جيء بالسكر الى بلاد اليونان من المشرق في عهد الاسكندر المكدوني واستعمله اطباء اليونان في علاج الامراض وكان الفرس يستخرجونهُ في القرن الثامن للميلاد . ونقل العرب زرع قصب السكر الى صقلية واسبانيا في القرن العاشر ونقلهُ الاسبانيون الى جزائر مدايرا والى برازيل والهند الغربية وانشأ الاوربيون معامل تكرير السكر في بلادهم الى ان قام بونابرت ومنع جلب السكر غير المكرر الى اوربا سنة ١٨٠٦ فضعفت صناعة تكرير السكر من القصب ونشأت صناعة استخراج السكر من البنجر

ويزرع قصب السكر الآن بكثرة في كوبا وجاوي ومنلاً وموريتيوس وجزائر الهند الغربيَّة وشمالي الهند وشمالي اميركا وبرازيل واليابان والصين ومصر وجزائر صندريج

والقصب البستاني لا بزر لهُ او يندر ان يكون لهُ بزر ولذلك يزرع من العقل

ولا يجود قصب السكر الاَّ في الارض الجيدة التي احسنت خدمتها ويقلُّ السكر في القصب اذا بقي في الارض بعد بلوغهِ او اذا قُطع وترك زماناً طويلاً قبل عصرهِ

اما كيفية استخراج السكر من القصب وتكريرهِ فمما لا بد لاهل الزراعة فيهِ

حياة البزور والبرد الشديد

قرأ المسيو پول بكرل رسالة في اكادمية العلوم بباريس وصف فيها فعل البرد الشديد بحياة الخلايا الاصلية . فقد قال البعض ان بزور النبات تحتمل البرد الشديد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر وتبقى حياتها فيها فتنبت اذا زرعت دلالة على ان البرد لا يؤَثر في الخلايا الحية معها اشتدَّ وهذا يخالف ما يعتقدهُ علماء البيولوجيا . اما المسيو بكرل فاخذ انواعاً مختلفة من البزور وقسمها اربعة اقسام وجعل في القسم الاول منها البزور التي تكون جافة من طبعها كالقمح والذرة والفول . وفي الثاني البزور الجافة التي ينزع قشرها كالارز . وفي الثالث بزوراً جففها بمفرغة الهواء حتى لم يعد فيها شيء من الرطوبة . وفي الرابع بزوراً منقوعة في الماء . وبرَّد هذه الاقسام كلها معاً في الهواء السائل مدة ١٣٠ ساعة ثم استخرجها منهُ وزرعها فالقسم الاول نبت بعض بزورهِ ولم ينبت البعض الآخر والذي لم ينبت هو الذي فيهِ كثير من الماء . والقسم الثاني نبت ثلاثة منهُ فقط . والقسم الثالث نبتت كل بزورهِ الجافة . والقسم الرابع لم ينبت شيء من بزورهِ واتضح من ذلك ان وجود الماء في البزر يقتلهُ اذا اشتدَّ البرد عليهِ لان الماء يجلد بالبرد الشديد ويشق الحويصلات الاصلية

الموز وتجارتهُ

الموز من الذ الاثمار طعماً واكثرها غذاء واغلاها ثمناً وهو يجود في القطر المصري كما يجود في غيرهِ من الاقطار الحارَّة ولاسيما اذا كان ماؤُها غزيراً . ولقرب القطر المصري من اوربا لا يصعب نقلهُ اليها وبيعهُ فيها بعد ان تستوفي البلاد حاجتها منهُ ولكن ذلك غير مرغوب فيهِ الآن لان الموز صار رخيصاً جدًّا في اوربا ولا سيما البلاد الانكليزية حيث تباع الصباطة (القرط) منهُ بشلنين او ثلاثة

ويجنى من الفدان الواحد ستمائة صباطة من الموز الى الف صباطة فاذا بيعت الصباطة الواحدة بعشرة غروش فقط بلغ ثمن غلة الفدان الواحد ستين جنيهاً الى مئة جنيه في السنة . ولا تبلغ نفقات الزرع والخدمة اكثر من سبعة جنيهات او ثمانية في السنة وهب

انها بلغت عشرة جنيهات فيبقى من الموز ربح وافر. ولا يزال الموز اغلى من ذلك كثيراً في هذا القطر يبلغ ثمن الصباطة منهُ خمسين او ستين غرشاً . ولا يخفى انهُ اذا اريد نقل الموز من بلاد الى اخرى وجب ان يقطع قبلما ينضج بخمسة عشر يوماً او اكثر ويعرف ذلك بان تقطف موزةً من آخر الصباطة اي مما يلي عرقها وتقطعها من وسطها بسكين ماضٍ قطعاً عرضيًّا ثم تنظر في مقطعها فاذا رأيت فيها اصفراراً قليلاً حول البزور السوداء الصغيرة التي في قلبها فيكون قد حان الوقت لقطف الصباطة فتنضج من نفسها بعد خمسة عشر يوماً والاَّ فاذا وجدت داخل الموزة التي قطعتها ابيض كلهُ لا اصفرار فيهِ فلا يكون الوقت قد حان لقطف الصباطة. ولا بدَّ من قطع رأس الصباطة قبل شحنها باسابيع حتى ييبس مكان القطع والاَّ عفن واتلف الصباطة

ويبلغ وزن الصباطة من اربعين رطلاً الى مئة رطل

القطن المصري

قدِّر القطن المصري هذا العام باكثر من ستة ملايين ونصف مليون قنطار ولكن الذين قدَّروا قطنهم قبل جمعهِ ثم وزنوهُ بعد جمعهِ وجدوا ان وزن المجموع لا ينطبق على التقدير الذي قدَّروهُ بهِ بل ينقص عنهُ ثلاثين او اربعين في المئة فالفدان الذي قدَّروا محصولهُ ستة قناطير لم يجمعوا منهُ خمسة والذي قدَّروا محصولهُ اربعة لم يجمعوا منهُ ثلاثة فاذا كان هذا الامر عامًّا فالمحصول اقلُّ مما قدِّر بهِ وقد لا يبلغ ستة ملايين قنطار ولا نعجب اذا كان اقل من ذلك

ثم ان الجيد من القطن المصري اقل هذا العام مما كان في الاعوام السالفة ولذلك لم يكن في الحسبان ان الاسعار تهبط كما هبطت في اواسط هذا الشهر نعم ان الهبوط ابتدأ من اميركا وهي صاحبة القول الفصل في سعر القطن ولكن للقطن المصري محلاً لا يقوم مقامهُ فيهِ قطن آخر غير السي ايلند وهو اغلى من القطن المصري ولذلك لا تزال الآمال معقودة بارتفاع سعر القطن المصري ولو لم يكن ذلك قريباً والاَّ فخسارة القطر عظيمة جدًّا

القطن في جزائر الهند الغربية

دعا ارتفاع ثمن القطن الى تجربة زرعهِ في جزائر الهند الغربية فزرع منهُ ٩٥ فداناً بلغ متوسط محصول الفدان منها قنطارين وثلث قنطار من القطن الشعر وكان القطن من النوع

المعروف بالسي ايلند وبلغ متوسط ثمن القطن والبزرة عن كل فدان ١٤ جنيهاً ومتوسط نفقات الزرع اربعة جنيهات فيكون صافي ربح الفدان عشرة جنيهات تدفع منها الضرائب وقيمة الايجار او ربا راس المال

غلاء الحاصلات

لقد شمل الغلاء الحبوب على انواعها والتبن ايضاً فيباع حمل التبن بمئة غرش او اكثر واردب الفول بمئة وخمسين غرشاً وكذلك القمح والذرة الاَّ ان غلاء الحبوب لا يقدم ولا يؤَخر في ثروة البلاد لان الصادر منها قليل جدًّا فقد بلغ ما صدر من الفول من غرة ابريل الماضي الى ١٧ نوفمبر ٩٣٦٠٠ اردب وكان في العام الماضي الى ١٧ نوفمبر ٢٠٨٣٤٦ اردباً اما ما يباع في البلاد من الحبوب ونحوها فلا يؤَثر في ثروتها سواءٌ كان غالياً او رخيصاً لان مفادهُ نقل النقود من يد زيد الى يد عمرو لا غير

حالة القطر المالية

يدلُّ تقرير الجمارك المصرية على ان العسر الذي اصاب البلاد في العام الماضي لا يزال مستمرًّا ونعني بالعسر زيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات ولا عبرة بتوفُّر الاموال في القطر اذا كانت هذه الاموال قد أُرسلت اليهِ من اوربا ليستدينها اهاليهِ ثم يضطرون الى ايفائها وايفاء رباها لان الغني من كانت اموالهُ لهُ لا لغيرهِ

وقد بلغت قيمة الواردات الى آخر اكتوبر الماضي ١٧٢٢١٤٠٩ جنيهات وكانت في العام الماضي الى آخر اكتوبر ١٥٦٩٣٧٠٩ جنيهات فزادت قيمة الواردات هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي ١٥٢٧٧٠٠ جنيه اي اكثر من مليون ونصف من الجنيهات

ومما زاد الطين بلَّة ان قيمة الصادرات نقصت ٧١٧٧٣٨ جنيهاً فانها كانت في العام الماضي ١٥٥٣٤٩٨٥ جنيهاً فبلغت هذا العام ١٤٨١٧٢٤٧ جنيهاً فقط . وبلغ الفرق على القطر المصري من زيادة قيمة الوارد ونقص قيمة الصادر ٢٢٤٥٤٣٨ جنيهاً اي نحو مليونين وربع مليون من الجنيهات فان كان في القطر شيءٌ من المال المدَّخر فلا بد من ان يستنزف قريباً الاَّ اذا رأى ارباب الزراعة سبلاً اخرى لزيادة قيمة الصادرات او اذا قلَّل الاميركيون زراعة القطن في العام المقبل كما قلَّلوها هذا العام فعاد سعر قنطار القطن الى اربعة جنيهات او خمسة فتزيد قيمة الصادرات وتنفرج الضيقة المالية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغرامة الحربية

كدوك بالسودان . فؤاد افندي مغبغب هل لليابان حق باخذ غرامة حربيَّة من روسيا ولم تتمكن من ذلك إما لضغط دول اوربا عليها او لسبب آخر او ليس لها حقٌّ مطلقاً وقد كان طلبها لها من قبيل تكثير الطلبات كعادة المنتصر

ج ان الغرامة ليست من قبيل الحق وما هي الاَّ فكاك يطلبهُ الغالب من المغلوب مقابل خروجهِ من بلاد احتلها او تنازلهِ عن حقوق اغتصبها او توقفهِ عن الحرب وهو قادر عليها فلو احتلت اليابان ولاية من ولايات روسيا وقالت انها لا تجلي عنها ما لم تدفع اليها روسيا كذا وكذا من المال لاضطرت روسيا اما ان تدفع المال المطلوب او تترك تلك الولاية لليابان . وقد كان في طاقة اليابان ان تبقى في جزيرة سخالين وتقول لروسيا انها لاتخرج منها ما لم تدفع اليها غرامة حربية ولكنها وجدت ان الجزيرة كلها لا تساوي قيمة تذكر فاكتفت بنصفها اما سائر البلاد التي احتلتها فليست من املاك روسيا وكذلك لم تستولِ على شيءٍ مما لروسيا وعرضت ان تردهُ لها مقابل الغرامة الحربية او مقابل ما يساويهِ منها ولو عرضت ان ترد لروسيا قلعة بورت ارثر او البوارج التي استولت عليها مقابل ما يساويها من المال لقبلت روسيا ذلك عن طيب نفس . وكذلك لو كان في طاقة اليابان ان تواصل الحرب وليس في طاقة روسيا ان تواصلها وقالت اليابان انني لا انكفُّ عن الحرب ما لم تدفع اليَّ روسيا كذا وكذا من المال لكانت روسيا تفعل ذلك ولكن الظاهر ان اليابان كانت ترغب في الكف عن الحرب مثل روسيا فلم يبقَ لها سبيل الى الاصرار على طلب الغرامة

(٢) شروط الصلح

ومنهُ . اذا كانت شروط الصلح مجحفة بحقوق اليابان فما هو قصد انكلترا السياسي من عقدهِ على هذه الصورة فقد جاء في

التلغرافات والجرائد انهُ كان لجلالة الملك اليد الطولى في جعل اليابان تقبل بهذه الشروط

ج يظهر لنا ان اليابان لم تغبن في شروط الصلح وان انكلترا ساعدتها ادبيًّا وماديًّا اكبر مساعدة ممكنة ولولاها ما استطاعت ان تقهر الروس ولا احجمت الدول الاوربية عن مساعدة الروس عليها . وقد نالت اليابان كل ما كان يمكنها ان تنالهُ من هذه الحرب وليس الخطأ في عقد شروط الصلح بل في اعلان الحرب والاستعداد لها . واللوم في ذلك ليس على اليابانيين كافَّة ولا على الروس كافَّة بل على ارباب المال والمصالح المالية الذين امسى زمام السياسة في يدهم والكسب باية واسطة كانت غرضهم الاول والاخير

(٣) عسر الهضم

بيروت . ج . م . شاب عمرهُ ثلاثون سنة صناعتهُ الكتابة ضعيف البنية لا يشكو من شيءٍ سوى عسر الهضم لا يستريح في نومهِ بل يشعر بتعب اثناء النوم ورائحة فيهِ كريهة ولسانهُ اغلب الاحيان ابيض فاي شيءٍ يفيدهُ

ج تقليل الطعام ولاسيما مساءً ومضغهُ جيدًا والرياضة في الهواء النقي فاذا اكتفى في الصباح بفنجان من اللبن والقهوة وكسرة من الخبز واكل الظهر طعامًا خفيفًا وقلَّل طعامهُ في المساء فاكتفى بصحن من الشوربا وقليل من الخبز والبيض او اللحم ومضغهُ جيدًا فالغالب ان يصطلح هضمهُ ويحسن نومهُ ولاسيما اذا قلَّل الشغل وروَّض جسمهُ في الخلاء ساعةً او ساعتين كل يوم

(٤) المرأة العرَّافة

مصر . كامل افندي حقي . ما قولكم في المرأة العرَّافة التي في جهة المتبولي هل علمها واستدلالها بالكف من قبيل علم الفلك

ج هي وكل العرَّافات دجَّالات على جانب من الذكاء فتتكلم كلامًا مبهمًا ولكن الذي يقصدها ويعتقد صحة قولها يفهمهُ على حسب ما قام في ضميرهِ فيرى صحتهُ . ولو قصدها واحد يعتقد كذبها لرأى انها لا تقول شيئًا محدودًا وان قالت شيئًا محدودًا فالغالب انهُ غير صحيح وان صحَّ شيءٌ مما تقولهُ فتكون صحتهُ من قبيل الممكنات فاذا قالت لامرأة انكِ تموتين قبل زوجك فالصحة في هذا القول خمسون في المئة اي انها اذا قالت هذا القول لمئة امرأة اصابت في خمسين على الراجح

(٥) اصل هنود اميركا

هملور باميركا . الخواجه بشاره ابو رزق . كيف دخل الهنود الى اميركا قبل وصول البيض اليها

ج ان هذه المسألة من المشاكل التي لم تحلَّ حتى الآن حلًّا مقنعًا والرأي الراجح ان هنود اميركا دخلوها من جهات الصين واليابان اما بسفن ساقتها الرياح اليها او

ساروا اليها برًّا في جزائر غارت في البحر وغمرتها المياه الآن لان الانسان وُجد في اميركا قبل العصر الجليدي اي منذ عشرين الف سنة او اكثر . ويظن البعض ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في اسيا واوربا وان الناس انتقلوا الى العالم القديم من العالم الجديد . ولم يُقَل القول الفصل في هذه المسألة حتى الآن

(٦) كسوف الشمس والاكليل

الفيوم . رزق الله افندي بولس . اطَّلعت على ما ذكرتموهُ عن كسوف الشمس يوم ٣٠ اغسطس الماضي وتصوير اكليلها وقد اخذت صورة كسوف الشمس وارسلتها اليكم الآن و يظهر فيها اكليل حول الشمس وهي في شكل الهلال كما ترون فهل هذا هو الاكليل الذي يرصدهُ علماء الفلك

ج وصلت الصورة الفوتوغرافية التي ارسلتموها الينا وقدظهرت صورة الشمس فيها جيدًا وهي كالهلال ولكن الايبضاض الذي حولها ليس صورة الاكليل لأن الاكليل لا يظهر الَّا اذا كان الكسوف تامًّا وغاية ما بلغت اليهِ السنةُ في هذه النوبة نحو قطرين مثل قطر الشمس فاذا كان قطر الشمس نحو اربعة مليمترات كما هو في رسمكم فاطول لسان من السنة الاكليل نحو ثمانية مليمترات فقط أما قطر النور في رسمكم فنحو خمسين مليمترًا وواضح ان الايبضاض في رسمكم شامل للقمر الذي كسف الشمس فهو يقابل ما انحجب عنهُ نور الشمس بالنسبة الى الجزء الذي بقي ظاهرًا منها اي ان الهلال الذي بقي ظاهرًا من الشمس ظهر في صورتكم اسود فاحمًا لانهُ هو الجزء المنير الذي اثَّر في اللوح الفوتوغرافي وما بقي ظهر ابيض لان النور كان محجوبًا عنهُ فلم يؤَثر في اللوح الفوتوغرافي

(٧) الفرح والحزن

لبنان . م . ط . ايُّ اشدُّ تأثيرًا في النفس الفرح في أشد درجاتهِ ام الحزن في اشد درجاتهِ

ج يظهر لنا ان الحزن اشد تأْثيرًا من الفرح لان الفرح يزيد شيئًا موجودًا في النفس مألوفًا لها فلا يكون تأْثرها منهُ شديدًا جدًّا واما الحزن فيوجِد شيئًا غير موجود في النفس او يمنع شيئًا موجودًا فيها فيكون تأَثرها منهُ شديدًا ألا ترى ان البعض يحملهم الحزن على الانتحار لكي يتخلَّصوا من وطأتهِ عليهم واما الفرح فلم يسمع انهُ ادَّى الى ذلك

(٨) اكليل القمر

المطرية بالدقهلية . ح . ع . ج في الليلة العاشرة من شهر رمضان رأينا حول صفحة القمر البيضاء الفضيَّة هالة خضراء زبرجديَّة يحيط بها دائرة حمراء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها

ج الذي رأيتموهُ ليس الهالة بل الاكليل

الذي يظهر احياناً حول الشمس وحول القمر اذا نظهر اليهما من خلال الضباب الرقيق فان اشعة النور تمر في نقط الماء الصغيرة التي تكون منتشرة في الضباب وتنكسر وتنحل الى الوانها المختلفة ومن حيث ان هذه النقط منتشرة في فسحة واسعة وانكسار النور يجري على نسق واحد فما يحدث في الجهة الواحدة من القمر يحدث في كل الجهات حوله فترى الاشعة المنكسرة في شكل دائرة او اكليل حول القمر وتكون الوانها الخضراء والزرقاء الى الداخل والوانها الحمراء والصفراء الى الخارج ولا يتعذّر ايضاح ذلك بالحساب



اوجه القمر في شهر دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٣	٨	٣٨	مساءً
البدر	١٢	١	٣٦	صباحاً
الربع الاخير	١٩	٢	٩	مساءً
الهلال	٢٦	٦	٤	صباحاً

السيارات

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في اواسطهِ

الزهرة نجمة الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نحو الساعة ٩ ١/٢ الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب بعيد الساعة العاشرة في اول الشهر وقُبيل ذلك في آخرهِ

الاسراب في فلسطين

يستدل من بعض الدلائل التاريخية ان المهندسين الاسرائيليين حفروا سرباً في عهد الملك حزقيا (منذ ٢٥٠٠ سنة) على مثال سرب سمبلون الذي حفر حديثاً في جبال الالب. فقد ورد في بعض التواريخ ان حزقيا اضطرب لقلة الماء في اورشليم وكدرهِ فأمر ببناء خزّان عند ابواب المدينة يجري الماء اليهِ من عدة ينابيع خارجها. فكاد عملهُ هذا يحبط في بادىء الامر لوجود سلسلة تلال عالية تفصل بين الينابيع والخزان. وعليهِ قرّ القرار على حفر قناة للماء في الصخر الصلب. وورد في ابن سيراخ ان حزقيا حصّن مدينتهُ بجرّ الماء اليها لحفر سرباً في الصخر الصلب بآلات من البرنز وجمع الماء في خزّان

وقد اكتشفوا في ضواحي القدس منذ ١٥ سنة قناة مكشوفة ولكن يظهر ان بانيها ملك من الملوك الذين تقدموا حزقيا لاحزقيا نفسهُ كما يستدل من نقوش بالعبرانية وجدت قرب القدس ونقلت الى متحف الاستانة وهذه ترجمتها " قد انتهى الحفر . وقبل ان التقى معول العامل الواحد بمعول العامل الآخر والبعد بينهما ثلاث اذرع كان العمال يسمعون نداءهم بعضهم لبعض في الجهتين المتقابلتين وفي آخر يوم من ايام الحفر لمست المعاول بعضها بعضاً . وكان علو الصخر فوق رؤُوس العمال مئة ذراع ثم جرت المياه الى الخزان على طول ١٢٠٠ ذراع "

وقد اكتشف حديثاً سرب كان الماء يجري فيهِ من عين شرقي القدس الى بركة سلوام المذكورة في التوراة وهو المعروف بقناة شيلوه واستدل من الدلائل الكثيرة انهُ هو السرب الذي حفرهُ حزقيا . وطول هذه القناة نحو ٥٠٠ ذراع وتدلُّ آثار المعاول على ان العمال كانوا يحفرونها من الجهتين المتقابلتين في وقت واحد . وقد غيرت جهت الحفر مراراً لما ظهر للمهندسين ان العمال خرجوا عن الجهة المطلوبة . وعرض القناة يختلف بين ذراع وذراع ونصف وعلوها بين ذراع ونصف واربع ونصف حسب صلابة الصخر او ليونتهِ

ولا يعلم حتى الآن كيف كان المهندسون يعينون جهة الحفر في تلك الايام ويهتدون الى اصلاح خطائهم وما هي الادوات والآلات التي كانت تستعمل للحفر فان ذلك كلهُ لا يزال مجهولاً

عمر الارض

كتب الاستاذ سولاس الجيولوجي كتاباً في عمر الارض قدَّر فيهِ الزمان اللازم لتكوُّن الصخور المنضدة بستة وعشرين مليون سنة على تقدير انهُ يقتضي قرن كامل لرسوب قدم واحدة منها . وقال ان هذا التقدير يطابق مذهب البيولوجيين

واستشهد بقول اللورد كلفن ان عمر الشمس منذ صارت منيرة اقصر من عمر اوقيانوسات الارض . اي انهُ اذا كان عمر الطبقات المنضدة ٢٦ مليون سنة كما تقدم فلا يبعد ان يكون عمر الاوقيانوسات ٥٥ مليوناً . وكانت حرارة مياهها في بادىء امرها على درجة الغليان تقريباً ثم اخذت تبرد شيئاً فشيئاً حتى تكونت طبقة سميكة من الجليد على سطحها فلما ظهرت الشمس زال ليل الارض الطويل وخفَّ بردها الشديد واخذ الجليد يذوب والماء يجري فكان ذلك بدء تكوّن الصخور المنضدة

واستطرد الى الراديوم فقال ويؤَكد بعض العلماء انهُ اذا كان في كلّ متر مكعب من الارض جزء من خمسة ملايين جزء من الراديوم فذلك يكفي للتعويض عما تفقدهُ

الارض من الحرارة بالاشعاع الى الفضاء وتبقى حرارتها على درجة واحدة زمناً طويلاً جداً

اكتشاف نجم جديد

اكتشفت مس فلمنغ الاميركية نجماً ثانياً في النسر الطائر وهي من مساعدي مرصد هارفرد وقد اكتشفت ثمانية نجوم جديدة من الاحد عشر نجماً التي اكتشفت في العشر السنوات الماضية. وكانت تدرس الصور الفوتوغرافية التي كانت النجوم تصور بها كل ليلة فرأت طيفاً جديداً في الصور التي صُوّرت في ١٨ اغسطس الماضي فراجعت الصور التي صوّرت في ١٠ منهُ فلم تجد اثراً للطيف المشار اليهِ وكان حين رأتهُ من القدر السادس اي ان نورهُ كان اقل قليلاً من نور اصغر نجم يرى بالعين المجردة. وجعلت تراقبهُ كل ليلة فرأت نورهُ يقلُّ رويداً حتى بلغ العدد الحادي عشر وهذا دليل على انهُ نجم جديد

الاحتضار والموت

كتبت كاتبة انكليزية مقالة عن الموت قالت فيها ان موت الجسد قد يتأخر عن خروج الروح مدة كما جرى لامبراطورة النمسا . ثم قصّت ما جرى لبعض المحتضرين وما فاهوا بهِ من العبارات قبيل موتهم منها ان نوتيًّا شابًّا احتضر فخاف من الموت اذ لم يكن يظن انهُ يموت وهو في عنفوان شبابهِ فلما اخبرهُ الطبيب بدنوّ اجلهِ صاح صيحة اليئس وكانت الكاتبة حاضرة قالت فتبدلت حالهُ ثم اخبرني انهُ وان كان قد اكتأب في بادئ الامر فهو لم يعد يبالي بالموت الآن ولكنهُ خاف لانهُ لم يعمل الصلاح دائماً . وظهر لي انهُ كان حائرًا في ما يفعلهُ بعد مفارقة روحهِ لجسدهِ . وقبل خروج النفس الاخير سمعتهُ يقول بصوت خافت لا بأس عليَّ فقد دلُّوا اليَّ حبلاً استطيع الصعود عليهِ

والمرجح ان الروح تختبر عالمَ الارواح والجسم لا يزال أسير اوصابهِ وآلامهِ بدليل ما يستولي على المحتضر من الغيبوبة قبل انفصال روحهِ عن جسدهِ . فقد روي ان امرأة غابت عن الوجدان قبيل موتها فردَّها زوجها الى وجدانها بالمنعشات والمنبهات . فنظرت اليهِ نظرة الموبخ وقالت لمَ ارجعتني فقد كنت أصعد في اكمة صعبة المراس وكدت ابلغ قنتها فأعدتني الى حضيضها . ثم غابت ثانيةً واسلمت الروح

سباق البلونات

جرى سباق للبلونات في ليبج بالبلجيك بين ثلاثة بلونات فكان السابق البلون الانكليزي المسمَّى ڤيڤيان الثالث . ركبهُ رجلان انكليزيان وكانت الريح عاصفة فبلغ

بهما علوّ ١٦ الف قدم . ولما ركباه كانت سرعة الريح ٣٠ ميلاً في الساعة وكانت تهب من الشمال الشرقي فصعدا بهِ الى مافوق الغيم حيث كان العلو ٩٠٠٠ قدم وسرعة الريح ٥٠ ميلاً في الساعة وهي تهبُّ من الجنوب الغربي فلما انتقل البلون من المجرى الاول الى الثاني المضادّ لهُ مال براكبيهِ بغتة ميلاً شديداً حتى كاد ينقلب بهما ثم عاد الى موازنتهِ الاولى وهو يسير صعداً . ولما بلغ علو ١٦٠٠٠ قدم سمع راكباهُ صوت الآلات تعمل في المناجم البلجيكية والالمانية تحتهما . ثم اقبل الظلام فهبطا الى الارض بعدما اجتازا اطول مسافة في ذلك السباق

وتسابق ١٣ بلونًا في ١٥ اكتوبر وبدأ السباق من حدائق التويلري في باريس فنزل بلون منها في المانيا نحو الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي بعد ان قطع ٨١٠ كيلو مترات ووصل آخر الى حدود النمسا نحو الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فقطع ٧٨٠ كيلو مترًا في تلك المدة . ونزل آخر في بافاريا عند نصف الليل بعدان قطع ٦١٠ كيلو مترات وقطعت البلونات الاخرى مسافات متفاوتة في اوقات متفاوتة

السر جورج دارون

انعم ملك الانكليز بلقب سر على الاستاذ جورج دارون بن دارون الشهير

نقولا بك توما

خسرت صناعة المحاماة محاميًا قوي الحجَّة وخطيبًا شديد العارضة . والنزالة السورية وجيهًا يفتخر في انديتها بانهُ نشوء ذراعهِ ومحسنًا يفتح ابواب الرزق في وجوه طالبيهِ . ولد في مدينة صيداء وهاجر الى القطر المصري فوصلهُ وليس في يدهِ سوى ريالين فانتظم اولاً في خدمة الحكومة ثم تعاطى صناعة المحاماة فاشتهر فيها حتى صار يعدُّ من نوابغ الطبقة الاولى بين المحامين وجمع ثروة طائلة ولكن اعتلَّت صحتهُ من كثرة الشغل ومضى في الصيف الماضي الى اوربا مستشفيًا فقضى نحبهُ في اڤيان في الخامس والعشرين من شهر اغسطس الماضي ونقلت جثتهُ الى القاهرة فوصلتها في ١١ اكتوبر واحتفل احتفال عظيم بدفنهِ فيها

الدكتور بشاره زلزل

هو من اسرة لبنانية وجيهة اشتهر بعض افرادها بالعلم والفضل . درس الطب في المدرسة الكلية السوريَّة وبرع فيهِ وكان من كبار المنشئين ولهُ مقالات كثيرة في المقتطف وغيرهِ من المجلات العلمية واشتغل بعلم الحيوان وجمع فيهِ كتابًا كبيرًا شرع في طبعهِ ونشرهِ من عهد قريب فلم يمهلهُ القدر حتى يتمهُ وكانت وفاتهُ في الحادي عشر من شهر نوفمبر الماضي فخسر ابناء المشرق بفقدهِ رجلاً يعدُّ من اركان النهضة العلمية الحديثة

الثلج في قطب المريخ الشمالي

كان بعضهم يرصد المريخ في مرصد لويل باميركا في ١٩ مايو الماضي فرأى بقعة بيضاء كبيرة الى الجنوب الغربي من مكان البقعة البيضاء التي كانت عليهِ في السنة الماضية ولم تكن ظاهرة في اليوم الذي قبلهُ وهذا الفصل في المريخ يقابل ٢٠ اوغسطس عندنا. وشوهدت البقعة في اليوم التالي ايضاً وبدأ تكونها بعد الانقلاب الصيفي في النصف الشمالي من المريخ بمئة وستة وعشرين يوماً وكان قد بدأ سنة ١٩٠٣ بعد الانقلاب الصيفي في تلك السنة بمئة وثمانية وعشرين يوماً او مئة وتسعة وعشرين مما يدلُّ على دوام التقلبات الجوية في المريخ

الكونت دي برازا

توفي من عهد قريب الكونت دي برازا السائح الفرنسوي المشهور . وهو ايطالي الاصل ولد في ريوجنيرو بالبرازيل سنة ١٨٥٢ ولكنهُ تعلَّم في المدارس الفرنسوية واستعدَّ لخدمة البحريَّة . وسنة ١٨٧٦ قصد افريقية للاكتشاف فاكتشف منابع نهر اوجوي اكبر انهار غينيا الفرنسويَّة في غربي افريقية . وفي ١٨٧٩ بلغ البقعة التي سميت فيما بعد برازافيل باسمهِ عند بحيرة ستنلي قبلما بلغ ستنلي اعالي الكونغو . وفي سنة ١٨٨٨ عيّن حاكماً عامًّا لبلاد الكونغو الفرنسويَّة فنظم ادارتها وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٧ فاستعفى لاعتلال صحتهِ

قتلى الوحوش في الهند

يؤْخذ مما ورد في بعض جرائد الهند ان عدد الذين قتلتهم الوحوش في الهند كلها بلغ ٢١٥٧ نفساً سنة ١٩٠٤ يقابلهم ٢٧٤٩ سنة ١٩٠٣ منهم ٧٨٦ قتلتهم الفهود يقابلهم ٨٦٦ في السنة التي قبلها و ٢٤٤ قتلتهم الذئاب يقابلهم ٤٦٣ سنة ١٩٠٣

والذين اماتتهم الافاعي سنة ١٩٠٣ كانوا ٢١٨٢٧ نفساً فزادوا حتى بلغوا ٢١٨٨٠ سنة ١٩٠٤ . وبلغ عدد الافاعي التي قتلها الاهالي ٦٥٣٧٨

المطر في الهند

يشتدُّ وقوع المطر في بعض انحاء الهند حتى يبلغ حدًّا يبعد عن التصديق . فقد بلغ ما وقع منهُ في مدة ٢٤ ساعة في مقاطعة شيموجا نحو ٢١ بوصة وذلك في شهر يونيو الماضي على حين ان متوسط ما يقع من المطر في سواحل سورية على مدار السنة بين ٣٠ و ٤٠ بوصة . ومتوسط ما وقع منهُ في المقاطعة المذكورة مدة ٣٥ سنة الماضية لم يزد على ٣٧ بوصة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

٩٥٣ السر هنري ارفنغ (مصوَّرة)
٩٥٦ الرائحة وسببها
٩٥٨ الدكتور برناردو المحسن الكبير
٩٦٠ اليزه ركلي (مصوَّرة)
٩٦١ قبل الولادة وبعد الموت
٩٧٢ الري في اعالي النيل . للسر وليم جارستن
٩٧٨ الاحتضارات والقبريَّات . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٩٨٥ الشيخ محمد عبده
٩٩٢ تاريخ محمد علي باشا
١٠٠٠ دواء السل
١٠٠٣ طلاق الامبراطورة جوزفين . لمصطفى افندي صادق الرافعي
١٠٠٥ شمول مذهب النشوء . للاستاذ السر جورج داروِن

١٠١٠ باب تدبير المنزل * فتح الشبابيك ليلاً . عطر الورد . الشعر وماء البحر . اللبن (الحليب) منع سقوط الشعر . فائدة الماء السخن . فائدة التربنتينا . غسل الاطفال . نوم الاطفال نزهة الاطفال
١٠١٨ باب المراسلة والمناظرة * قواد الغرب وقواد العرب . فرس البحر . تصحيح خطاء
١٠٢٢ باب التقريظ والانتقاد * شرح قانون المحاكمات الجزائية . الصحة العجيبة في تطهير أناء الشيبة كتاب الحيوان . الجغرافية الجديدة . قاموس انكليزي وعربي . ديوان تذكار الصبا . مراثي الشعراء . التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية . تاريخ التمدُّن الاسلامي
١٠٢٨ باب الزراعة * السكر وقصب السكر . حياة البزور والبرد الشديد . الموز وتجارتهُ . القطن المصري . القطن في جزائر الهند الغربية . غلاء الحاصلات . حالة القطر المالية
١٠٣٢ باب المسائل * الغرامة الحربية . شروط الصلح . عسر الهضم . المرأة العرَّافة . اصل هنود اميركا . كسوف الشمس والاكيل . الفرح والحزن . اكليل القمر
١٠٣٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٤ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

